

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم المؤلف : السيد عمار الحكيم

عنوان الكتاب : خطاب الاعتدال والبناء

موسوعة الخطب والكلمات والبيانات والرسائل للسيد عمار الحكيم لعام ٢٠١٤

الطبعة الثانية : ٢٠٢٢

الترقيم الدولي : ISBN: 978-9922-914-22-0

---

العراق - بغداد- الجادرية جسر ذي الطابقين  
شارع المتنبي - مقابل مقهى الشابندر - قرب مصرف الرشيد  
07813614106  
inky.publishing@gmail.com



# خطاب الاعتدال والبناء

موسوعة الكلمات والمحاضرات  
واللقاءات المجتمعية والإعلامية  
والبيانات للسيد عمار الحكيم  
لعام (٢٠١٤)

الجزء التاسع





## تقديم

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين . . . وبعد

فهذا المجلد التاسع من موسوعة (خطاب الاعتدال والبناء) ، التي درجنا على تضمينها ما يشهده العام من كلمات ومحاضرات وبيانات ومراسلات ، رئيس تيار الحكمة الوطني السيد عمار الحكيم ، فكان هذا المجلد شاهداً لسنة (٢٠١٤) .

قمنا بتقسيم هذا المجلد إلى ثلاثة فصول ؛ بسطنا في الأول منها ما شهده عام (٢٠١٤) من ملتقيات ثقافية ، درج السيد عمار الحكيم على إقامتها في مكتبه كل يوم أربعاء .

وبسطنا في الفصل الثاني الأمسيات الرمضانية التي عقدها السيد الحكيم في مكتبه ، متناولاً فيها موضوعاً مركزياً ، هو منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية ، في ضوء رسالة الحقوق للإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ .

أما الفصل الثالث فقد أفردناه لمحاضرات محرم الحرام ، حيث يقف السيد عمار الحكيم كل عام في رحاب كربلاء ، في رحلة مع موضوعة يختارها من مفردات الثورة الحسينية .

أما الفصل الرابع فتم تخصيصه للمحاضرات الأخلاقية ، وهي مجموعة من المحاضرات في (الأخوة الإيمانية) ألقاها سماحته على ملاكات المكتب الخاص والملاكات المتقدمة لتيار الحكمة الوطني خلال شهر رمضان المبارك بعد صلاة الظهر ، واستمرت بعد الشهر الفضيل في يوم الثلاثاء من كل أسبوع .

وختاماً ، نتمنى أن نكون قد وفقنا في عرض مادة هذا المجلد ، والله وليُّ التوفيق .

مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث





الملتقيات الثقافية







## الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٠١٤/١/٢٢

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ، سادتي الأفاضل إخواني الأكارم الأخوات الفاضلات ، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا ، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم .

### النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

كان حديثنا في اللقاءات السابقة من الملتقى الثقافي عن النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة ، وذكرنا أن عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر حين ولاء مصر يمثل تجسيدا واختزالا لهذه النظرية ، ووصلنا إلى المقطع الخامس عشر منه .

### الطبقة الاجتماعية في الإسلام

((وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ ، لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ))  
هنا يطرح أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مفهوما إسلاميا مهماً ؛ هو مفهوم الطبقة الاجتماعية ، فماذا تعني هذه الطبقة ، وهل يعترف الإسلام بالطبقة الاجتماعية؟ . . لا شك في أن المدارس المادية في جميع توجهاتها لها فهم خاص عن الطبقة ، وهي تنظر إلى الطبقة الاجتماعية من زاوية اقتصادية ؛ فالناس الذين ينتمون إلى مستوى اقتصادي معين يُصنّفون على أنهم من طبقة اجتماعية معينة ، طبقة الفقراء غير طبقة الأغنياء ، وطبقة المسؤولين وأصحاب الواجهات غير طبقة من سواهم في المواقع وفي الأدوار الاجتماعية ، فتصنف

الطبقات الاجتماعية على ضوء الوفرة والإمكانات المالية والوضع الاقتصادي وما إلى ذلك، فهل إن الإسلام حينما يتحدث عن الطبقة الاجتماعية يعني هذا المعنى، ويصنف الناس على ضوء إمكاناتهم المادية؟ . فمن يمتلك مالا ينتقل إلى طبقة أخرى، ومن يفقد ذلك المال ينتمي إلى طبقة ثانية وثالثة . . الجواب كلا؛ فالإسلام لا ينظر إلى الطبقة على أساس المُعطى الاقتصادي، وإنما ينظر نظرة الإنسانية لموضوع الطبقة، فالطبقة في الإسلام هي تنوع أصناف وليست تنوع مستويات معيشية .

المجتمع بحاجة إلى مهمات عديدة؛ فنحن نحتاج إلى نجارة وحدادة وصناعة وتجارة وزراعة، ونحتاج إلى سياسيين وإعلاميين وفنانين، ونحتاج إلى مهمات مختلفة في المجتمع، والناس الذين ينتمون أو يلبون حاجة محددة من احتياجات المجتمع، هؤلاء صنف واحد؛ مثلاً صنف المحامين أو الفنانين أو الإعلاميين وهكذا، كلهم يمارسون دوراً محدداً ويلبون حاجة محددة في المجتمع، وهذه يسميها الإسلام طبقات، فالطبقة في الإسلام هي صنفية وليست تمايزاً بين الناس، وحقوق المواطنة واحدة بين الجميع، والناس مشتركون في الإنسانية وحقوق المواطنة ولكن يختلفون بعضهم عن بعض بطبيعة مهمات التي يمارسونها في المجتمع، فكل مجموعة من الناس تلي حاجة محددة من احتياجات المجتمع تسمى صنفاً وتسمى طبقة في المجتمع، لذلك فالطبقة في الرؤية المادية منشؤها اقتصادي، أما في الرؤية الإسلامية فإن منشأها إنساني وليس اقتصادياً .

هذا التنوع وهذه الطبقة المستندة إلى تعدد المهن في المجتمع تجعل الإسلام يرى ويحترم هذا التنوع والتعدد في مهمات الموكلة إلى الناس بعضهم تجاه بعض، ويوجد حالة من التعاون والتكامل في ما بين هؤلاء، فعندنا صناعيون ولكن المجتمع لا يُدار بهم وحدهم، والزراعة وحدها والصحة وغيرها لا تلبى جميع مطالب المجتمع وتحل مشاكله، فهذه القطاعات بعضها بحاجة إلى البعض الآخر وبوجودها معا تتحقق اللحمة الاجتماعية وتكامل الأدوار المجتمعية .

### الطبقة الاجتماعية.. بين تكامل الأدوار والخلفية الاقتصادية

الذي يرى الطبقة بخلفية اقتصادية يفرّق بين الناس، ويوجد حالة من التنافس والصراع والاختلاف والتدافع والتحزب، حالة من التقسيم والتشطي في المجتمع، فتحدث الفرقة في داخل المجتمع، ولكن الخلفية الإنسانية للطبقة الاجتماعية تعني أنني أستطيع أن أمارس مهمة ولكنني أحتاج إليك لأنك تمارس مهمة أخرى، وأن كلينا نحتاج للثالث،

ونحن الثلاثة محتاجون للرابع والخامس، فالطبقة الإنسانية والتنوع المهني يجعلان الجميع مرتبطين ببعضهم ومتكاملين مع الآخر ومتعاونين معه، ولكن الطبقة الاقتصادية تجعل الناس متخاصمين بعضهم مع بعض، فلاحظوا هذا الفارق الكبير.

بحسب نصوصنا الإسلامية فإن أول من طرح الطبقة بوضوح وبهذا المفهوم هو أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في عهده لمالك الأشر، «واعلم أن الرعية طبقات»، أي أصناف، وتفسير هذه الطبقة؛ «لا يصلح بعضها إلا ببعض»، من له خبرة في مهنة ما أو المحترف في مجال ما بلا وجود الآخر لا يستطيع أن يعيش ولا تتكامل منظومة الحياة لأي أحد، «لا يصلح بعضها إلا ببعض»، إلا حينما تتكامل، «ولا غنى ببعضها عن بعض»، وجود أي قطاع من القطاعات أو مهنة من المهن أو شريحة من المهنيين في مجال ما، لا يغني عن وجود الشرائح الأخرى، لأن المجتمع بحاجة إلى هذا التنوع.

إذن، فالطبقة في الإسلام عبارة عن أصناف مهنية، ولا تفاضل بين الناس بحال من الأحوال، لأن منشأ التفاضل أمور أخرى؛ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، معيار التفاضل هنا هو التقوى. ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، الجهاد وتحمل المسؤولية معيار من معايير التفاضل بين الناس. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، العلم معيار من معايير التفاضل والتمايز بين البشر. ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، الإيمان معيار من معايير التفاضل. لكن المال والجاه والشهرة والمكانة الاجتماعية والامتيازات الطبقة والسياسية لا تعني شيئاً في رؤية الإسلام، ولا يفضل الناس بعضهم على بعض من خلال أمور اعتبارية.

إن الطبقة على أساس الخلفية السياسية أو الاقتصادية، أي الطبقة المادية، تجعل الإنسان غير مستقر الحال ويعيش حالة من التخبط، أما بناء على الطبقة الإسلامية وتنوع الأصناف والمهام، فستكون مكانة الإنسان محفوظة مهما تغيرت الظروف والأحوال، فهذه الطبقات تمايز في المهن وتمايز في المهام، فيكمل بعضها بعضاً ويحتاج بعضها إلى البعض الآخر ولا يستغني بعضها عن بعض، هذه هي الرؤية التي يحملها الإسلام في موضوعه الطبقة الاجتماعية، ولذلك فإن أهمية طبقة عن طبقة لا ترتبط بالشخص بقدر ارتباطها بالمهنة، فهناك مهنة أهم وهناك مهنة أقل أهمية، وكلما كانت المهنة أهم كانت تلك الطبقة أهم لأهمية المهنة ولشرف الخبرة والعمل

١. سورة الحجرات: الآية ١٣.

٢. سورة الزمر: الآية ٩.

٣. سورة السجدة: الآية ١٨.

والكفاءة وليس لخصوصية الفرد، والناس سواسية إلا بالتقوى والعلم والجهاد وغيرها من معايير التفاضل الحقيقي، وما سواها لا تفاضل فيها إلا إذا كانت عنده خبرة وكفاءة.

هذه الطبقة ضرورة اجتماعية لا يمكن أن تتخلى عنها، ولا يمكن أن نعيش بدون أن يكون بيننا أطباء ومهندسون وعلماء وأناس في مختلف الاختصاصات التي نحتاج إليها في المجتمع، فتصبح ضرورة اجتماعية كبيرة لا يمكن تجاوزها، وبناء على ذلك، فالطبقات تختلف من زمان إلى آخر بحسب تطور المجتمع وتعبده وتستحدث مهام جديدة، ففي يوم ما، لم تكن هناك فضائيات ولا صحف ولا وسائل إعلام بهذا المعنى، بل يوجد شعراء، ومن خلال الشعر يوصلون رسائل معينة، وفي الصدر الأول من الإسلام، كان الأذان في غير وقته ينبه الناس على أن هناك شيئاً معيناً. أما اليوم، بهذا التنوع الكبير في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة والالكترونية، فأصبح عندنا طبقة كبيرة ومؤثرة ومهمة نسميها السلطة الرابعة، هي طبقة الإعلاميين. ولم تكن الصناعة في المجتمعات البدائية بهذا المعنى، بل كانت الزراعة والتجارة هي المعتمدة فقط، والصناعة والدول الصناعية والدور التكنولوجي، كلها أشياء حديثة، لذلك حينما نقارن الطبقات الاجتماعية بحسب الرؤية الإسلامية، أي المهن والمهام في زماننا مع أزمنة سابقة، نجد أن هناك اختلافاً، فهناك طبقات مستحدثة وأخرى زائلة، فقد تطورت الأمور واختلفت، وبعد مئة أو مئتي عام ستستحدث طبقات جديدة، فالمجتمع يحتاج لأناس يتصدون لمعالجة أزمة أو قضية معينة، وحينئذ تصبح هذه المهمة جديدة وتنشأ طبقة جديدة في المجتمع. هذه إحدى الإضاءات من كلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الطبقة.

### قبول التنوع وضرورة المشاركة

نفهم من تبني مفهوم الطبقة الاجتماعية احترام التعدد والتنوع، والقبول بتنوع المهام المجتمعية والأصناف والشرائح الاجتماعية التي تعمل في هذه المهمة أو تلك. إن ثقافة تقبل الآخر وتقبل التنوع والتعدد واحترامه والتعاطي معه واستثماره وتوظيفه بشكل صحيح لصالح المشروع والمجتمع ولصالح اللحمة والبناء الاجتماعي، هذه أيضاً من القضايا الأساسية التي نشدها في هذه الرؤية.

في بحار الأنوار: عن عبد العظيم الحسيني المدفون في ري قال، قلت لأبي جعفر محمد بن علي الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا ابن رسول الله حدثني بحديث عن آبائك عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

قال: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: « لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا فإذا استوتوا هلكوا»<sup>(٤)</sup>، ما دام هذا التنوع موجوداً، وهذه المهام المختلفة موجودة في المجتمع وكل منا له اهتماماته ويغطي مساحة من المساحات فالمجتمع قائم، أما إذا استوى الناس كلهم بمهمة واحدة، فسيصبح هناك خلل في توزيع الأدوار والمهام. . في مجال التخدير لدينا شحة هائلة في العراق ونجلب أخصائيين من الهند! في حين نملك وفرة هائلة في اختصاصات أخرى، وليس هناك فرصة عمل لاختصاصه.

إن المنظومة القيادية الناجحة هي المنظومة التي تشرك الجميع ضمن اختصاصهم وتنوع اهتماماتهم وضمن خبراتهم المتنوعة وكفاءاتهم المتعددة، وكلما أمكن إشراك الجميع تحقق النجاح في المنظومة القيادية، وكلما احتكرنا الأدوار بالرجل الواحد والفريق الصغير وأهملنا الآخرين، فقدنا فرص النجاح، فالتطبيقية والتنوع أساس النجاح في المنظومة القيادية، وسعة المشاركة وإشراك الجميع ضمن اختصاصهم ومهامهم شرط أساسي في نجاح الإدارة والقيادة.

### المعركة ضد الإرهاب معركة وجود

إن قواتنا المسلحة ومعها العشائر الغيورة والأصيلة والوطنية، تقاوم اليوم في معركة مفتوحة جغرافياً وزمناً وفنياً، وهي معركة مصيرية مع الإرهاب الاقليمي والدولي؛ لأنها معركة حاسمة، فعلى الجميع أن يدرك مسؤوليته تجاهها ويحدد موقعه فيها. . . وسنقف وندافع بقوة عن وطننا وشعبنا ومشروعنا في مواجهة داعش والمجموعات المسلحة الأخرى التي تتمترس خلف هذا العنوان لتخفي هويتها ولكنها مكشوفة لدينا، سندافع بكل قوة مهما كلفنا ذلك من ثمن، ولكن ضمن رؤية إستراتيجية، وخطة واضحة وخطوات محسوبة.

نترحم على شهدائنا الأبرار ونتمنى للجرحي الشفاء العاجل، ونحن على يقين بأن نُقتل في ساحات الدفاع عن الدين والوطن والكرامة خير لنا من أن ننتظر الإرهاب ليقطع أشلاءنا على قارعة الطريق، ونشد على أيدي قواتنا المسلحة لما تتحملة من مهام وطنية جسيمة. إن هناك الكثير من الذين لا يفرقون بين الدعم الحقيقي والصراخ السياسي الهستيري، ونحن في تيار شهيد المحراب سيبقى نهجنا دائماً وأبداً نهجاً عقلانياً وسطيّاً، ولا ننجر إلى صراعات جانبية مهما كانت بشاعة الاستفزازات، لأننا أصحاب مشروع

٤ . بحار الأنوار ٧٤ : ٣٨٣ ، ح ١٠ .

وقضية، وقدرنا أن نبقي بكبر العقيدة التي نحملها وبسعة المشروع الذي تحملنا مسؤوليته الشرعية والوطنية، فلا انجرار إلى صراعات جانبية ولا خضوع للاستفزات ولا انسياق مع لغة الشتائم والتسقيط السياسي. . . ونعم لشرح الرؤى وتوضيح المواقف. . . نعم للدفاع عن النفس بقوة وحزم ووضوح، نعم لإزالة الالتباس والتشويش لدى الجمهور نتيجة التضليل والفبركات الإعلامية الرخيصة.

هذه عناوين نهجنا السياسي وأخلاقنا الإسلامية ومسؤوليتنا الشرعية والوطنية، فلسنا من يقاتل الانفعال بالانفعال بل بالتروي والتعقل، ولسنا من يقاتل الصراع بالصراع بل بالمنطق والحكمة.

إن واجبنا الشرعي المقدس الآن هو أن ندعم أبناءنا في القوات المسلحة وعشائرتنا الأصيلة في حربهم ضد الإرهاب الأسود، ويجب أن يفهم الجميع أن الحرب ضد الإرهاب والتكفير هي معركة وجود، فإما نحن أو هم، والنصر لنا لا محالة في هذه المعركة بإذن الله تعالى.

#### عدم الانجرار إلى صراعات جانبية

والواجب المقدس الثاني هو ألا ننجر إلى صراعات جانبية أو حملات تسقيطية؛ لأن من يدير هذه الحملات هدفه أن يفرق وحدة الصف ويشير الفتنة ويضعف الأخوة، لذا علينا أن نعص على الجراح ونقتدي بأئمتنا وأخلاقهم ونصبر من أجل حماية الأمة والمشروع، فنحن لسنا أشرف من نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما كان يتلقى الحجارة والشتائم من جهلة قريش ورعاها، ولسنا أشجع من أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام وهو يتحمل جدال السفهاء والمنافقين واتهامات أصحاب القلوب المريضة التي تعرف الحق وتحرفه وتعرف الباطل وتطبل له. نحن أصحاب مشروع ولن يوقفنا أحد في سيرنا نحو إكمال مشروعنا، ولو توقفنا هنا وهناك للرد على هذا الاستفزاز أو ذلك التشويه لحققنا مرادهم في إشغالنا ومشاغلنا.

إنني اليوم أناشد أخي دولة رئيس الوزراء بصفته القائد العام للقوات المسلحة، أن يصدر تعليماته الخاصة بتكريم شهداء المعارك الحالية ضد الإرهاب ورعاية الجرحى وتعويضهم بصورة سريعة وبعيدا عن الروتين والبيروقراطية، وأن يكون تكريمهم خاصا ومميزا يتماشى مع حجم الهجمة الإرهابية التي نتعرض لها، وهذا الأمر كان أحد البنود

المهمة التي أوردناها في مبادرتنا الخاصة بالتعامل مع الوضع العسكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والتنموي في محافظة الأنبار.

وللعلم، فإننا لاحظنا أن العديد من بنود المبادرة قد تم تطبيقها ولو جزئياً، فقد تم تعيين الآلاف في الصحوات ووجه نداء إلى أبناء العشائر للانضمام إلى الجيش العراقي والشرطة، وبالتأكيد بعد انتهاء المعارك سيتم إعمار الأنبار، وما يهمنا أن نقدم حلولاً واقعية، وليس المهم أن يقولوا هذه مبادرة عمار الحكيم والمجلس الأعلى. . . ففي أيام تشكيل الحكومة الحالية كنا قد دعونا إلى طاولة مستديرة، وفي وقتها شنت علينا حرب شعواء، لماذا الطاولة المستديرة؟ . . . حتى أصبحت مشكلة العراق هي الطاولة المستديرة، وبعد أشهر وكالعادة رجعوا لمبادرتنا في الطاولة المستديرة، حتى أن أحد الإخوة قال لقد عُقدت الطاولة التي دعوت إليها، ولكنها ليست مستديرة بل صارت طاولة مستطيلة، فقلت له ليجلسوا على الأرض!، فالمهم أن يجلسوا ويحلوها.

واليوم ليست المشكلة هي اسم المبادرة، ولكن المهم أن نقدم حلولاً وليسموها (أنبارنا الصامدة) أو اسماً آخر، ليسموها ما شاؤوا، فما داموا سينفذونها فجزاهم الله خير الجزاء، ونحن متعودون على هذا الأمر، والإخوة يدورون ثم يرجعون إلى ما نطرحه، ولكنهم يحورونها قليلاً.

### إقرار الموازنة وحقوق المحافظات

ننتقل إلى قضية كبيرة وحساسة أخرى؛ وهي قضية إقرار الموازنة وحقوق المحافظات المنتجة للنفط، فقد تم إقرار البترودولار كحقوق ثابتة للمحافظات المنتجة للنفط في التعديل الأخير لقانون مجالس المحافظات الذي صوّت عليه مجلس النواب واكتسب الدرجة القطعية، واليوم نواجه بميزانية لا تمنح هذا الحق للمحافظات دون أي تبرير. إن موقفنا ثابت ولا يتغير في هذه القضية؛ وهو أن حقوق المحافظات المنتجة للنفط لا يمكن تجاهلها، ولا يوجد أي مبرر لتجاهلها، وهذه المحافظات هي التي تزود الميزانية العراقية بالأموال اللازمة، فلماذا تُحرم من حقها الذي كفله لها القانون؟.

حقيقة إنه أمر غريب أن يتم الاعتداء على حقوق المحافظات بهذه الطريقة، ولا نعرف ما هو تبرير الحكومة أو وزارة المالية، ونتمنى على معالي وزير المالية بالوكالة، وهو من أبناء البصرة، أن يصحح هذا الخطأ الكبير وأن يضمن حقوق المحافظات المنتجة للنفط، فليس من المعقول أن تُجرّف الأراضي في محافظات البصرة وذو قار

وميسان وواسط وكركوك من قبل الشركات النفطية، وتكون مساحة كبيرة من أراضيها تحت سيطرة وزارة النفط ثم لا تُعوض، ألا يعد ذلك إجحافًا وظلمًا وتجاوزًا؟ . . وبماذا سيُبرر هذا التصرف حين تُسلب مليارات الدولارات من المحافظات المحرومة، من حقوقها في قيمة النفط الذي تنتجه من أراضيها بدون وجه حق؟ .

إن موقفنا الثابت هو موقف شعبنا، أن لا تراجع عن حقوق المحافظات والبترو خمسة دولار، لأن عدم إقرار هذه الحقوق يعتبر اعتداء واضحًا وصريحًا على محافظاتنا وأهلنا.

### ملف الانتخابات المقبلة

في ملف الانتخابات القادمة، فإن الأيام تنطوي بسرعة وتقترب من موعد الاستحقاق الانتخابي، وفي نفس الوقت فإن غيوم الأزمات ما زالت تتلبد بكثافة وتلوح في الأفق إمكانية حدوث أزمات جديدة، ولكن الموقف من الانتخابات ثابت ومصيري، ولا تراجع أو تأخير في موعد إجراء الانتخابات، لأن تأجيل الانتخابات انقلاب على الديمقراطية، وعلى الحكومة أن تضع البدائل للتعامل مع بعض المشاكل المتوقعة التي قد تعيق الانتخابات في بعض المناطق، وتحديدًا المعارك في الأنبار التي إذا ما طالت فيجب ألا تكون مبررًا لتأجيل الانتخابات .

إن موقفنا من إجراء الانتخابات في موعدها المحدد نابع من قناعتنا التامة بالعملية السياسية والديمقراطية التي يؤسس لها العراق حاليًا، والتي تمثل الحبل السري للعراق الجديد، وإذا ما تم قطع هذا الحبل تحت أي ذريعة وعنوان، فإنه يعني موت العراق الديمقراطي سريريًا .



الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٠١٤/٢/٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ، سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم الأخوات الفاضلات ، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا ، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم .

النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

انتهينا إلى الحديث عن الطبقية من منظور علي (صلوات الله وسلامه عليه) حين يقول : «واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض» .

وأوضحنا الفرق الكبير بين النظرية المادية والنظرية الإسلامية ؛ بين نظرية توجد خصومة وعداء ومشاكل وتنافساً محمومًا بين الناس ، ونظرية توجد تعاونًا وتكاملاً وتجسيرًا للعلاقة ورص الصفوف في المجتمع ، هذه نظرية الإسلام ، التي تتجسد في حديث علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في عهده لمالك الأشتر ، ويذكر المختصون أن أمير المؤمنين أول من تحدث عن الطبقية في الإسلام وشرحها بحسب الرؤية الإسلامية .

طبقات المجتمع في تصنيف أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ

((واعلم أن الرعية طبقات ، لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ، فمنها : جنود الله ، ومنها : كتاب العامة والخاصة ، ومنها : قضاة العدل ، ومنها : عمال الإنصاف والرفق ، ومنها : أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها :

التَّجَارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا: الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةِ، وَكُلُّ قَدْ سَمَّى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

ثم يأتي أمير المؤمنين بعد ذلك ليحدد هذه الطبقات على النحو التالي :  
أولاً/ جنود الله .

يعني القوات المسلحة؛ الجيش والشرطة في معايير اليوم، فالقوة العسكرية صنف .

ثانياً/ كُتَّابُ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ

ما نسميهم اليوم الوزراء وذوي الدرجات الخاصة، ومن يبرم الاتفاقات والعقود،  
ومن يراجع الناس لتوثيق قضاياهم ومصالحهم وممتلكاتهم، وهم صنف ثان .

ثالثاً/ قضاة العدل

شريحة القضاة صنف وطبقة اجتماعية، بهم يستعاد الحق وبهم تنتظم الأمور، وبهم  
يشعر الجميع بالاطمئنان والعدالة .

رابعاً/ عمال الإنصاف والرفق

ونسميهم اليوم موظفي الدولة، والجهاز الإداري والهياكل الإدارية، ومن يقومون  
بالخدمة وحل مشاكل الناس والتواصل معهم في تفاصيل حياتهم .

خامساً / أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس

وهم دافعوا الضرائب في ذلك الزمان، فلا يوجد نفظ ولا توزع الرواتب بين الناس،  
مثل دول كثيرة لا تملك نفطاً، فتعيش وتدير أمورها بالضرائب، لذلك فإن دافعي الضريبة  
في الدول التي يتكل اقتصادها على الضريبة شريحة مهمة، وطبقة من ميسوري الحال  
وتدفع الضرائب للدولة ومن خلالها تمارس الدولة شؤونها، فهم روافد ميزانية الدولة .

سادساً / التجار وأصحاب الصناعات

القطاع الاقتصادي من الصناعة والتجارة، ويمثلون شريحة مهمة في المجتمع .

سابعاً / الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة

الطبقة السفلى هم عموم المواطنين وليسوا ضمن هذه العناوين المذكورة، ونسميهم  
ذوي الدخل المحدود، وإن كان هذا الوصف اليوم يشمل موظفي الدولة والقوات  
المسلحة ومن يتسلم مرتباً ثابتاً ولكنه محدود، وهؤلاء لا يملكون مرتبات محددة .

إن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ينظر إلى المجتمع من خلال التصنيف والطبقات الاجتماعية السبع، ولكن اللافت أنه حينما ذكر كل طبقة من هذه الطبقات وضع لها صفات وسمات، وحدد مهماتها وبوصلتها، فلم يقل القوة العسكرية ولم يقل الجنود، بل قال جنود الله، وهكذا في الأصناف الأخرى، فيتطلب أن نقف عند هذه الأوصاف لنجد كيف يجب أن تكون كل طبقة من هذه الطبقات وصنف من هذه الأصناف الاجتماعية؛ ما هي السمات لكي تنتظم أمور المجتمع وتتمكن هذه الطبقة من أداء واجبها؟ . . فإذا كانت الطبقة صنفاً أو مهنة، فلا بُدَّ من أن تلتزم بمواصفات وسمات محددة لكي تستطيع أن تفي بواجباتها.

في اللقاء السابق ذكرنا أن الطبقات مهن وأصناف، والمجتمع كلما تطور استحدثت مهام جديدة فتشكلت طبقات اجتماعية جديدة، لذلك فإننا اليوم في زماننا قد لا نختزل كل المجتمع بهذه الطبقات، وهذه تمثل الهيكل العام، ولكن هناك مهام جديدة وطبقات جديدة، فالיום هناك طبقة الإعلاميين ومؤسسات إعلامية تسمى بالسلطة الرابعة لها دور كبير ومؤثر وقد تكون طبقة مستقلة، وهناك طبقة الفنانين على اختلاف التزاماتهم واهتماماتهم واختصاصاتهم، إنها طبقة واسعة وأصبحت كليات تدرّس هذه الاختصاص، وهناك جيش من المختصين بهذا المجال يمارسون مهام أساسية ومؤثرة ولهم دور أساسي في الثقافة المجتمعية، وفي السلم الاجتماعي وتشجيع الناس وتحفيزهم نحو اتجاهات ما إلى غير ذلك، وهكذا يمكن أن نسرد العديد من الطبقات الجديدة بحسب المهام والواجبات الاجتماعية الجديدة التي استحدثت بحكم تطور المجتمع وطبيعة التعقيد الاجتماعي.

### سمات الطبقات الاجتماعية وواجباتها

#### الإطار الشرعي والأخلاقي للجنود

الطبقة الأولى في نظر علي عَلَيْهِ السَّلَامُ هم جند الله، وكلمة جند تعني قوة عسكرية، والعسكرية تعني السلاح والقوة، ومن بيده القوة يُخشى منه، فمن بيده القوة قد يشد وقد يسيء، ومن الضامن لهذه القوة العسكرية أن تسير بالاتجاه الصحيح؟ . . حينما تُحدّد وتُؤطر بقيود أخلاقية والتزامات شرعية؛ بأن تمثل تعاليم الله في الأرض وتعمل ضمن ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى، فيجب أن يكون هناك الوازع الأخلاقي والإطار الشرعي؛ نصره المظلوم والانتصار للمواطن والدفاع عن الوطن والانتصار للمصلحة العامة.

جند الله وليس جند حزب أو جند شخص أو حاكم أو طاغوت أو ديكتاتور، ولا حظنا في العهود السابقة في بلادنا وفي بلدان أخرى أنها تقمع الشعوب وهذه جيوش ليست من جند الله، وابتعدت عن السمة المطلوبة فما باتت طبقة اجتماعية مكاملة ومطورة للمجتمع، بل أصبحت هدامة. هناك جيوش تهرب الناس منها وتخاف، وهذا ليس عنصر إثراء للمجتمع، بل عنصر تخريب ودمار، والدبابة التي قصفت قبة سيد الشهداء الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ دبابة لا تتحرك بمنظومة أخلاقية، بل تتحرك بنزوات السلطة ونزوات وضع اليد على مقدرات الشعوب، وهكذا نجدها في كثير من الدول والشعوب الأخرى.

جند الله يعني القوات المسلحة التي تتحرك ضمن الإطار الأخلاقي والشرعي، أي الإطار الصحيح، فالجيش لا يواجه الناس ولا يهتك الأعراض ولا يريق الدماء البريئة ولا يستغل قوته لمآرب سيئة وسياسية وينحاز لهذا وذاك، بل الجيش للشعب والوطن والأمة، والجيش للحفاظ على المصلحة العامة.

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، من يقاتلكم قاتلوه، فتنظيم داعش إرهابي وتجرب مقاتلته، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وليس في سبيل مآرب أخرى شخصية، بل مآرب عامة، ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، ولكن حين تقاتلون العدو، يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾<sup>(٥)</sup>، حتى على العدو يجب ألا تعتدي، فهناك ضوابط في القتال حتى مع العدو؛ المثلة محرمة حتى بالكلب العقور.. حتى بأشرس الخصوم، ومهما كان عدوك سيئاً فهناك معايير وضوابط، وإذا سلم نفسه لا يجوز أن تقتله إلى غير ذلك.

الإسلام قبل (١٤٠٠) سنة تحدث بهذه الأمور وذكرها، ثم بعد مئات السنين جاءت لوائح الأمم المتحدة لتحدد اتفاقيات جنيف وأمثالها كيف يتعاملون مع الأسرى وفي الحروب إلى غير ذلك من تقييدات.. أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما أوفد ابن قدامة إلى قتال القاسطين قال له: «اتق الله الذي إليه تصير»، يا ابن قدامة اتق الله، فالجيش بيدك وحين تأمرهم بالقتل فسيقتلون، فالأوامر يجب أن تكون منضبطة، وقد تكسب معركة ولكنك تتورط بدماء بريئة ومواقف سيئة أو غير ضرورية، وأنت ذاهب إلى الله تعالى وسوف تُسأل، «اتق الله الذي إليه تصير ولا تحتقر مسلماً ولا معاهداً»، المسلم لا تحتقره، فكونك قويا والناس تهابك ليس معناه أن تذلمهم وتسيء إليهم، وليس المسلم

٥. سورة البقرة: الآية ١٩٠.

فقط وإنما المعاهد وأهل الذمة من غير المسلمين لا تسئ إليهم . . أنت عنصر خير ولست عنصر شر . . أنت تحفظ الأمن ولا تتشفى وتنتقم من هذا وذاك .

«ولا تنصبن مالا»، حينما تدخل إلى بيوت الناس والمدن والأماكن، لا تمد يدك على أموال الناس، فلا تعتدوا على الناس وتأخذوا من أموالهم، «ولا ولدا»، لا تأخذ أبناء الناس بالقوة إلى الحروب وإنما يأتون بمحض إرادتهم، «ولا دابة»، لا تأخذ دواب الناس وتستخدمها، فلا يجوز ذلك، «وإن حفيت وترجلت»<sup>(١)</sup>، وإن فقدت الدابة التي تستخدمها، أو ضاع الحذاء منك، واحتفيت في الميدان فليس لك حق بأن تستخدم وتستغل قوتك لأخذ ممتلكات الناس بالقوة، فلا يجوز لك ذلك. هذه المنظومة الأخلاقية، هذه أخلاقية القتال في الرؤية الإسلامية، لاحظوا الضوابط والمعايير في المعارك حتى مع الخصم والعدو.

#### طبقة كُتاب العامة والخاصة

هؤلاء هم المعنيون بإدارة شؤون البلاد والعباد؛ اتفاقيات مع دول وعقود استثمارية وعقود تشغيلية وبناء وإعمار وتنمية، الوزراء وذوو الدرجات الخاصة والحكام، هؤلاء يعبر عنهم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كُتَّابُ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ، وعملهم أن يكتبوا ويقيدوا ويحفظوا الحق لأهله وينتصروا للمواطنين ويضمنوا حقوق الناس، وليس استغلال مواقعهم للاعتداء على الناس، هؤلاء السبب في تحقيق النظام وفي إشاعة العدل والإنصاف وفي ضمان الحقوق.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾، حتى على المستوى الشخصي يجب عمل ذلك، والتكاتب عند اقتراض مبلغ معين من المال حتى لا يحدث الاختلاف، من هذه التعاملات الشخصية بين الأفراد إلى تعاهدات فيها مصالح عامة وشؤون دولة، فالدولة تحتاج إلى وثائق وإلى معايير صحيحة حتى يعتمد عليها، ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾، كاتب مسؤول يوثق التعاهدات والتعاقدات ويعدل بينكم ويعطي الحق لأهله، ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾، والذي عنده قدرة ويعرف كيف يضمن الحقوق ويعرف الضوابط فإن الله تكرم عليه بهذا وعليه ألا يقصر في خدمة الناس ويقدم هذه الخدمة للناس.

﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾، الذي عليه الحق أي المدين، ويجب أن يرجع

الحق لأهله، ليقبل للكاتب الحقيقة أنه اقترض مبلغاً من المال من الشخص الآخر أو باع هذه الأرض إلى غير ذلك، حتى تُكتب بشكل كامل من دون نقيصة ويقر بالتزامه بأنه سيعيد أو سيقدم، إلى غير ذلك، ﴿وَلَيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾، ليكن الله تعالى حكماً بينكم، ﴿وَلَا يَبْخَسُ مِنْهُ شَيْئًا﴾<sup>(٧)</sup>، لا يقلل من حقه شيئاً، بل يذكر حقوقه ويدرجها في هذه اللائحة بالكمال والتمام.

### الثورة الإسلامية في إيران.... انتصار القيم

تمر علينا الذكرى الخامسة والثلاثون لانتصار الثورة الإسلامية في إيران، وهي تمثل واحدة من الثورات الكبيرة التي شهدتها القرن المنصرم، إذ تجاوزت في تأثيراتها محيطها الجغرافي المحدود، واستطاعت أن تشكل بداية لمرحلة جديدة من التعامل بين الشعوب والطغاة، وبين المعسكرات السياسية التي كانت تقسم العالم في حينها إلى معسكر شرقي ومعسكر غربي.

وأهم ما ميز الثورة الإسلامية هو جوهرها القيمي الكبير، لأنها مثلت انتصار القيم، لأنها ثورة القيم.

وهنا نقف لنحلل ونفهم آلية انطلاق هذه الثورة، وسنجد بدون عناء أن آليتها الكبرى والعظيمة كانت في تغيير القيم الاجتماعية والشعبية أولاً ومن ثم تغيير النظام، هذا هو جوهر نجاح الثورة الإسلامية وسر صمودها، فهي بدأت من القاع حيث الجماهير والشعب والمجتمع، ومن ثم صعدت للأعلى حيث القوة والسلطة والنفوذ والنظام الحاكم، فعندما تغير الجماهير قيمها يعني أنها دخلت في صراع مع قيم أخرى موجودة في المجتمع، وهي قيم المجتمع الشاهنشاهي البهلوي السائدة آنذاك، ومن هنا ندرك أن ثقافة النظام البهلوي الاستغرابية كانت من أهم أسباب حدوث هذه الثورة.

فبتغيير القيم الشعبية تغيرت قواعد الثقافة المجتمعية من قواعد غريبة على المجتمع إلى قواعد مجتمعية إسلامية مألوفة، وإلى ثقافة إسلامية مستقلة عن الثقافات السائدة في تلك الحقبة، ومن هنا كان أحد أكبر شعارات الثورة هو شعار (لا شرقية ولا غربية، جمهورية إسلامية)، فهذا الشعار لم يولد بالصدفة، وإنما وُلد من عمق المفاهيم الرئيسة التي أشعلت شرارة الثورة وأهمها تغيير القيم الاجتماعية.

وتأكيداً على هذا الفهم فإن زعيم الثورة الإمام الخميني (قدس) كان مدركاً تماماً

٧. سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

لهذا التغيير القيمي للجماهير، ولهذا فإنه اعتمد أسلوب الاستفتاء الجماهيري في ترسيخ مرتكزات بناء الدولة، بدءاً باختيار النظام الجمهوري الإسلامي، وصولاً إلى التصويت على الدستور، ولو ركزنا على هذا التوجه من قبل الإمام الخميني لوجدنا أنه كان مطمئناً للنتائج؛ لأنه كان يعرف جيداً عمق التغيير الذي حدث في المجتمع، وإلا فإنه ليس من المنطقي أن يصوّت الشعب بنسبة (٩٨٪) على الدستور والثورة في بدايتها ولا توجد إمكانيات التحشيد والتأثير الإعلامي إلى غير ذلك من أساليب التأثير، ومع ذلك كان الإمام الخميني في كل مسألة جوهرية ومنعطف كبير يقول اذهبوا واسألوا الشعب، وكان مطمئناً لما سيقوله الشعب، لأنه مطمئن للقيم الجديدة التي آمن بها الشعب وثار من أجلها.

### سر صمودها .. إرادة شعب وحكمة قيادة

هذا الفهم للثورة الإسلامية في إيران يقودنا لاستيعاب سر الصمود لهذه الثورة واستمرارية وجودها وترسيخ أهدافها، إنها ثورة قيمة وليست ثورة مرحلية، وهي ثورة تغيير جذري وليست ثورة تغيير جزئي، وهي ثورة مجتمع كامل وليست ثورة طبقية، لقد شارك كل المجتمع الإيراني المسلم بهذه الثورة، ولم تختص الثورة بطبقة محددة، ولهذا تجاوزت الطبقة وتجاوزت الجزئية واقتلعت قيماً بالية وزرعت مكانها قيمها الجديدة التي آمن بها الشعب.

ومثل هذه التحولات الثورية في الدول والمجتمعات تأتي متسقة مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٨)</sup>، فهذه هي الحقيقة الكبرى، وهذا هو الدستور الحقيقي، فالتغييرات الكبيرة تنطلق من الداخل أولاً ثم تمتد إلى الخارج ليصل مداها إلى جميع أرجاء العالم.

إن انتصار الشعب الإيراني الأول كان انتصاراً على نفسه، وعلى الخوف الذي كان يسكنه وعلى الخنوع الذي كان مفروضاً عليه، وعلى القيم البالية التي كان يُراد لها أن تشكل ثقافته. لقد انتصر عليها الشعب بثورته على نفسه أولاً ثم انطلق إلى ثورته على الطواغيت، فكانت الثورة الإسلامية، ولهذا كان الإمام الخميني (قدس) يقول: ((الله غير الشعب))، فجعل التغيير على يد الشعب. إن الله سبحانه هياً للشعب الإيراني قائداً استطاع أن يمسك بمشعل ثورته ويقوده نحو الانتصار وتثبيت دعائم الثورة الوليدة وبناء دولة جديدة.

٨. سورة الرعد: الآية ١١.

لم تتعرض ثورة في العصر الحديث إلى منعطفات وتحديات مصيرية كالتى تعرضت لها الثورة الإسلامية، ومع ذلك فإنها صمدت وتقدمت وواصلت انتصارها، وقد قدم رجال الثورة الكثير من التضحيات وتحملوا الكثير من الآلام، ومعهم الشعب الذي كان وما زال الحامي الأكبر لهذه الثورة.

اليوم في الواقع السياسي العراقي علينا أن نتعلم من المراحل الصعبة التي مرت بها الثورة الإسلامية، وكيف استطاعت أن تتجاوز جميع التحديات، ونتعلم كيف تعامل قائد الثورة ورجالها مع الهجمات التي كانت تتعرض لها ثورتهم الوليدة وجمهوريتهم الفتية، فنرى متى كان الصمود واجباً، ومتى كانت المرونة واجبة، وكيف تعاملوا بواقعية مع الكثير من الملفات واستطاعوا احتواءها. لقد كانوا يقاتلون على أكثر من جبهة، فحرب على الحدود مع دكتاتور شرس، وإرهاب في الداخل من قبل متمردين قساة، وحصار اقتصادي من دول عظمى، ونزعات انفصالية هنا وهناك. . هذا كله بالإضافة إلى الملفات الملحة التي تتطلبها أي ثورة في طريقها لبناء دولة.

ومع هذا الوضع المعقد والمتداخل، فإن قائد الثورة كان على قدر هائل من الاستيعاب، ورجال الثورة كانوا وما زالوا على قدر كبير من القدرة على ضبط النفس والتقدم بهدوء، وهذه الثقة والقدرة لدى القائد ورجاله انعكست على الشعب كله، فاستطاعت الثورة الإسلامية أن تعبر بحر التحديات وتصل إلى ضفاف الأمان، واليوم أصبحت الجمهورية الإسلامية دولة إقليمية بمواصفات عالمية، ودولة قيمة تحمل مشروعاً وإيديولوجية واضحة، ودولة ناجحة دستورياً وقانونياً واقتصادياً وعلمياً وخدمياً.

إن الدول لا تُبنى بالأمني، إنما تبنى بإرادة قادتها وشعوبها، فهنيئاً للجمهورية الإسلامية بقيادتها وهنيئاً للإسلام بجمهوريته، ونهنئ الشعب الإيراني وقيادته متمثلة بالإمام الخامنئي (دام ظلّه الوارف) بذكرى الثورة ونقول لهم؛ إلى الأمام دائماً وإلى مزيد من التطور والرفي.

### أسبوع الوثام العالمي بين الأديان

هذا الأسبوع هو أسبوع الوثام العالمي بين الأديان، كما أقرته الأمم المتحدة، ليبرز الحاجة الملحة إلى التواصل والوثام بين معتنقي الأديان المختلفة وسط عالم مليء بالتطرف والكراهية.

إن العالم اليوم يواجه تحدياً حقيقياً من قبل أصحاب الأفكار المتطرفة والمنحرفة،



ويمكن القول إنها حقيقة راسخة تربط بين الانحراف والتطرف، فمتى ما كان هناك انحراف فإنه ينتج تطرفاً، وهذه القاعدة تنطبق على جميع المذاهب والأديان السماوية بدون استثناء؛ لأنه لا يوجد دين سماوي أو مذهب إلهي يدعو إلى الكراهية والحقد.

إننا جميعاً أمام مسؤولية حقيقية في تمكين الأغلبية المعتدلة في العالم من الوقوف أمام هذا الزحف الأسود من الأفكار الهدامة والمنحرفة والمتطرفة، ويجب أن نقف بقوة وحزم، وأن نكون صارمين في وجه قوى التطرف.

إن نشر ثقافة التسامح هو السلاح الأقوى في وجه التطرف، وهو الوسيلة الأمثل لنشر قيم المحبة والوئام في المجتمعات، وفي هذا الأسبوع تسعى الأمم المتحدة إلى تشجيع الناس على تبادل الزيارات في أماكن العبادة والتواصل مع بعضهم على أسس الإنسانية من دون وضع حواجز دينية أو مذهبية.

وفي هذا الأسبوع نرى بوضوح عمق الرؤية الاجتماعية لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام حين يقول: ((الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق))<sup>(٩)</sup>، هذا هو الإسلام الصحيح والحقيقي، وهذه هي الروح المنهجية للإسلام المحمدي.

نحن في العراق نمثل أحد أكبر المراكز الدينية على مستوى العالم، ومن هذه الأرض انطلق الأنبياء والمصلحون ونشروا رسالاتهم وتعاليمهم، وهنا كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وهنا استشهد الإمام الحسين من أجل نشر روح التسامح، وهنا سيكون محط رحال الإمام الحجة المنتظر، فما أحوجنا اليوم إلى أن نكون نحن القدوة في هذا الوئام ونحن الأوائل في زرع هذا الانسجام بين الأديان السماوية، ولكننا نرى أن بعض من يدعي الانتماء إلى الإسلام قد تحوّل إلى جماعات متناحرة وانحرف في عقيدته وأصبح التكفير والقتل هو منهجه ودينه.

في هذا الأسبوع أَدْعُو الجميع إلى أن ينشروا قيم الوئام والانسجام والتسامح بين الأديان في عوائلهم أولاً وفي المجتمع ثانياً، وأن تكون هناك زيارات متبادلة بين الجوامع والحسينيات والكنائس والمعابد، فإن هذه الزيارات البسيطة هي أساس لزرع روح التسامح ونشر ثقافة الوئام بين الأديان والمذاهب.

## قانون التقاعد العام

لقد أقر مجلس النواب قانون التقاعد العام بعد جهود مضيئة وسنوات من المتابعة الحثيثة، وهي خطوة أساسية تنصف شريحة مهمة وواسعة من أبناء شعبنا. إننا نشكر ونثمن جميع الكتل النيابية والسادة والسيدات النواب على تصويتهم لصالح هذا القانون، ولكن ما يؤسفنا هو ضياع حلاوة الإنجاز بإضافة فقرات تخص تقاعد الرئاسات الثلاث ونوابهم والدرجات الخاصة والنواب والوزراء، لتلتف على الجهد الكبير المبذول في تجنب ذلك ومخالفة المرجعية الدينية وإرادة أوساط واسعة من أبناء شعبنا، وقد حُشرت هذه الفقرات في القانون لإحراج الكتل المعارضة عليها، ونحن نؤكد موقفنا الواضح تجاه هذا الموضوع، وهو أنه لا تقاعد للدرجات الخاصة والرئاسات الثلاث والنواب والوزراء كونها مواقع خدمة عامة محددة بمدة زمنية محدودة، فكيف يساوى من يخدم لبضع سنوات مع من يفني حياته في الخدمة الإدارية؟.

نقولها بوضوح؛ نحن مع قانون التقاعد العام وما يتركه من أثر في حياة شريحة المتقاعدين، مع تحفظنا الكامل على الفقرات التي ذكرناها.

## الطعن في قانون المحافظات

لقد تم إقرار قانون (البترو و ٥ دولار) للمحافظات المنتجة والمكررة للنفط، وذكرنا في الأسبوع المنصرم إشادتنا الكبيرة بهذا القرار، واليوم نواجه تحدياً آخر هو الطعن بقانون المحافظات وتحديد الصلاحيات، بالإضافة إلى محاولات صرف الـ (٥) دولارات في نهاية السنة وليس في نهاية كل شهر، لماذا هذه المعرفلات؟.. نتقدم خطوة إلى الأمام ونعود خطوتين إلى الخلف، نمنح الـ (٥) دولارات في الموازنة ونطعن بها في المحكمة ولا نصرفها، ونعطي الأموال ونطعن بالصلاحيات.. إلى أين نحن ذاهبون وماذا يحدث، ومتى نضع رؤية واحدة وواضحة لإدارة البلد ونطلق إلى الأمام؟.

نتمنى على مجلس الوزراء أن يراعي هذه التفاصيل، وأن يدعم الصلاحيات ويسحب الطعن بقانون المحافظات، لا سيّما أنني قد بلغني أن السيد رئيس مجلس الوزراء لم يوقع على الطعن مما يجعلنا متفائلين في أن سيادته سيستخدم تأثيره على السادة الوزراء لإقناعهم بسحب الطعن وإطلاق الصلاحيات حسب القانون المعدّل.

## دعم قواتنا المسلحة

نشكر دولة رئيس مجلس الوزراء على منحه الامتيازات الاستثنائية لأبنائنا في القوات المسلحة الذين يواجهون الإرهاب والحقد التكفيري الأعمى ، وإننا ندعم ونبارك مثل هذه الخطوات التي ترفع من الروح المعنوية لأبنائنا في القوات المسلحة ، وتشعرهم بأنا نقدر كثيرا التضحيات التي يبذلونها في حماية الأمة والشعب .

وقد حددنا فقرة في مبادرتنا ((أبناونا الصامدة))، لدعم قواتنا المسلحة ، والله الحمد ، فإن هذه الفقرة قد تحققت الآن ، وهذا يدل مرة أخرى على أننا لم نطلق هذه المبادرة من فراغ ، وأنها ستبقى أساس مواجهة الإرهاب والانتصار عليه ، وها نحن نرى فقراتها وهي تنفذ الواحدة تلو الأخرى ، وهذا هو المهم ، فنحن أصحاب مشروع ولسنا أصحاب مواقف دعائية ، وطالما يتحقق المشروع فنحن سعداء ، سواء كان بإعلان قبول مبادرتنا أو بتنفيذ بنودها عمليا وتجاهلها والهجوم عليها إعلامياً .

## الانتخابات.. محددات لا بُدَّ منها

إن العراق بلد ديمقراطي ، والانتخابات ستجري كل أربع سنوات على المستوى الوطني وعلى مستوى المحافظات ، وعلينا أن نتعلم أن الديمقراطية في جوهرها عملية متحركة ، ولكن الذي نستشعره أن الانتخابات أصبحت تدخل في كل شيء حتى في القرارات المصيرية ، وأصبحت المزايدة عليها تضع الدولة والحكومة في مهب الريح ، وغداً تنتهي الانتخابات ويفوز من يفوز ، ولكن القرارات التي أتخذت على أساس انتخابي سوف تبقى وتبقى تبعاتها الكبيرة .

وقد قلنا سابقا إن مسألة التطور الإداري مسألة مهمة جداً ، ولكننا اليوم نسمع أخباراً عن تفكك إداري كبير ينتظر المحافظات ، وعن بداية تحول كبير في المنظومة الإدارية للدولة ، من خلال التحول من ناحية إلى قضاء ومن قضاء إلى محافظة ، وبعض هذه المطالبات ليست على أسس إدارية أو علمية ، وإنما تندرج ضمن المزايدات الانتخابية . أرجو أن تبقى الانتخابات في صناديق الاقتراع وألا نسمح لها بالدخول والتدخل في جميع شؤون حياتنا .

## اليوم العالمي للسرطان

بالأمس كان اليوم العالمي للسرطان ، وفي هذا اليوم يقف العالم أمام مأساة كبيرة يسببها هذا المرض الخبيث فعلاً وأعراضاً ، مرض يملأ قلوب الناس بالخوف وأجساد المرضى بالألم ، ومع كل هذا الألم إلا أن العالم يقف اليوم وهو سعيد بالتقدم الكبير الذي حققه في مكافحة هذا المرض ، وإن كان لم يصل إلى مرحلة القضاء عليه .

إن معرفة الإنسان تتطور والعلماء أصبحوا يعرفون كثيراً عن أسباب وأنماط المرض ، وفي كل يوم يتقدمون خطوة ، ولكن ما أود الحديث عنه هو الأمل الذي يجب أن نتحلى به ونزرعه في قلوب أحببتنا المرضى ، فالأمل هو المضاد الإنساني الأكبر الذي نملكه في مواجهة هذه الاختبارات التي تواجهنا في الحياة .

الأمل برحمة الله الواسعة وأن الشفاء نعمة من الله أولاً وأخيراً ، وأن أسباب الشفاء تأتي على يد الأطباء والعلماء . الأمل في أن ما نعجز عن مواجهته اليوم سنستطيع أن نتغلب عليه غداً ، والأمل في أن نكون رحماء بيننا ويشعر بعضنا بألم البعض الآخر ويقوي بعضنا بعضاً .

ويبقى البحث العلمي هو الطريق إلى المعرفة ، وتبقى المعرفة هي الطريق إلى الشفاء ، إلا أن المعرفة وحدها لا تكفي ، فالمرضى يحتاج إلى الحنان والدفع ، كما يحتاج إلى الشجاعة والإصرار على مواجهة المرض . ويجب أن نتذكر دائماً أن هناك إنساناً مريضاً يحتاج أكثر من الآخرين إلى الحب والأمل ، فتعالوا نحن أمام هذا الإنسان ، ونجعل من هذا اليوم يوماً للرحمة والمحبة والأمل .

الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٠١٤ / ٢ / ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ، سادتي الأفاضل إخوتي الاكارم الأخوات الفاضلات ، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا ، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم .

النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

((وَأَعْلَمَ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ ، لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ، وَلَا غَنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ ، فَمِنْهَا : جُنُودُ اللَّهِ ، وَمِنْهَا : كِتَابُ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ ، وَمِنْهَا : قُضَاةُ الْعَدْلِ ، وَمِنْهَا : عُمَّالُ الْإِنصَافِ وَالرَّفْقِ ، وَمِنْهَا : أَهْلُ الْجَزْبَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ ، وَمِنْهَا : التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ ، وَمِنْهَا : الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ ، وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ))  
يطرح أمير المؤمنين سبع طبقات ، سبع مهمات أساسية ، كانت تمثل تركيبة المجتمع الإنساني في ذلك الحين

## تصنيف طبقات المجتمع ومعاييرها المهنية

### الطبقة الأولى: « جند الله.. »

لا يقول القوات المسلحة، أو الجيش والشرطة، بل يقولها متممة بالصفة المطلوبة؛ «جند الله»، هؤلاء ليسوا جنود الدكاتور، وليسوا جنود الشخص أو الحزب أو الفئة أو الطائفة التي تحكم بأي سبب من الأسباب، بل هؤلاء جند بوصولهم رضا الله سبحانه وتعالى والعمل بالتعاليم الإلهية وبالقيود الشرعية والاخلاقية، لأن القوات المسلحة تعني قوة وسلاحاً وقدرة على البطش والفتك، فلا بُدَّ من أن تتقيد بقيود ومحددات تمنع من استغلالها ومن تسييسها وزجها في معارك بعيدة عن مهماتها الحقيقية في حماية الوطن والمواطن.

### الطبقة الثانية: « كُتَّاب العامة والخاصة »

طبقة الدرجات الخاصة وكبار المسؤولين والرؤساء والوزراء وذوي الدرجات الخاصة كما نعبّر عنه في أديباتنا اليوم، هؤلاء الكُتَّاب يكتبون الموائيق والاتفاقيات الدولية والاتفاقيات الإقليمية والوطنية، وينظمون التعاقدات في ما يخص مشاريع الدولة، وحينما يُنظر إلى كبار المسؤولين، من الوزراء والأمراء على أنهم كُتَّاب لهم مهام في الخدمة العامة وتنظيم الحياة الاجتماعية والتعاقدات وما إلى ذلك، فهذا أيضاً مسار، إذن هؤلاء ليسوا سلطويين، وليسوا في مواقع إلهي منة على الناس، بل هؤلاء كُتَّاب في موقع الخدمة، فهؤلاء رعاة بحسب منطوق الراعي والرعية الذي استخدمه الإسلام، فالمواطنون رعية مخدمون، والمسؤول راع خادم، وشتان بين نظرية المسؤول الخادم، ونظرية المسؤول الحاكم والمهيمن المتسلط.

### الطبقة الثالثة: « قضاة العدل »

كذلك حينما يجري الحديث عن القضاة، يُردف بالسمة التي يجب أن تتوافر في القاضي، فالقضاء هو حجر الزاوية في بناء المجتمع، والناس تصطدم بعضها ببعض وتحتك بعضها ببعض الآخر وتتقاطع مصالحها وتختلف في ما بينها، وعند الاختلاف إلى من يرجعون لكي يعالج مشاكلهم ويبت في الأمر، وإلى من يتظلمون؟ إلى القضاء، فالقضاء يجب أن يكون عادلاً ومنصفاً، ليأخذ من الظالم حق المظلوم ويعيده إليه.

حين يمارس القضاء دوره الحيادي والمهني العادل، فإن ذلك مبعث استقرار وطمأنينة للمجتمع، والكثير من الأزمات والإشكالات مردها إلى الشعور بالغبن والظلم وعدم تكافؤ الفرص والإقصاء والتمهيش، وقضاء عادل يعني تطيناً للمواطن بأن حقه لن يضيع، سواء كان وراءه حزب أو عنده جماعة تدافع عنه، أو ليس كذلك، وحينما جلس علي عليه السلام بين يدي القاضي اعترض عليه وقال له إنك تطيل النظر إليّ ولا تنظر إلى اليهودي، فقال سيدي يا أمير المؤمنين، أنت الخليفة، قال وإن كنت الخليفة، فأنا الآن لست خليفة بل بصفتي علي بن أبي طالب، أنا مواطن بين يديك، وفي بلاد الإسلام يجب ألا يشعر هذا اليهودي بأنك منحاز إليّ ولو بالنظر، فنظراتك يجب أن تساوي فيها بيني وبين الآخر، لكي يشعر اليهودي بأن بإمكانه أن ينتزع حقه من علي إن كان الحق معه. . . هذه عدالة في المؤسسة القضائية نحن بأمس الحاجة إليها لتحقيق الاستقرار النفسي والطمأنينة المجتمعية وعدم شعور الناس بالظلم والغبن.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾<sup>(١٠)</sup>، العدالة في الحكم وفي القضاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. وفي غرر الحكم، عن علي عليه السلام: «أفضل الخلق أقضاهم بالحق»، دائماً تحدد الفضيلة والمرتبة العالية والمستويات الرفيعة والمكافأة الكبرى بحسب المهام، والمنزلاقات التي يتعرض لها الإنسان بحسب مهامه. أيها القاضي لأن مهمتك خطيرة، ولأنك تفصل بين الناس، ولأن مهمتك حجر الزاوية، ولأنك إذا صلحت صلح المجتمع، ولأنك إذا عدلت استقر المجتمع واطمأن، فلذلك دورك أعظم وأفضل الخلق كما في هذه الرواية عن علي عليه السلام، «أفضل الخلق أقضاهم بالحق وأحبهم إلى الله سبحانه أقولهم للصدق»<sup>(١١)</sup>، أتريد أن يحبك الله؟ . . عليك الصدق في الكلام، أتريد أن تكون من أفضل الخلائق؟ . . كن عادلاً حينما تحكم بين الناس.

وإذا غابت العدالة كانت بداية الانحراف ليس في المؤسسة القضائية، وإنما الانحراف في المجتمع، فلا يبقى حجر على حجر، وإن كان القضاء غير قادر على أن يستعيد الحق لصاحبه، فإن الإنسان يبحث عن وسائل أخرى لينتزع حقه ويحصل على فرصه وحقوقه، وإذا أراد كل واحد أن ينتزع حقه بطريقته وعقله وأسلوبه فهذه هي الفوضى بعينها، ولذلك عن أمير المؤمنين أيضاً في غرر الحكم قوله: «أفزع شيء ظلم القضاة»<sup>(١٢)</sup>، القاضي

١٠ . سورة النساء: الآية ٥٨ .

١١ . غرر الحكم ١ : ١٨٤ ، ح ٨٨ . عيون الحكم والمواعظ : ١١٩ .

١٢ . مستدرک الوسائل ١٧ : ٣٤٦ ، ح ١٢ .

حينما يظلم ويسيس ، وحينما يكون صاحب أجندة ، وحينما لا ينتصر للحقيقة كما هي ، فهذا أفظع شيء وأخطر شيء ، لأنه يخاطر بالسلم المجتمعي ويخاطر بالاستقرار النفسي المطلوب لأبناء المجتمع .

#### الطبقة الرابعة: «عمال الإنصاف والرفق»

المنتسبون للدولة ، ونسميهم الموظفين في عصرنا، الهيكلية الإدارية للدولة ، والعاملون في مؤسسات الدولة ، هؤلاء أيضاً لا يقول إنهم العمال في مؤسسات الدولة ، بل يقول عمال الإنصاف والرفق ، سمتان وصفتان يجب أن تتوافرا فيهم ؛ الإنصاف ، بعيداً عن المحسوبية والمنسوية وتغليب المصالح الحزبية والفئوية ، وبعيداً عن ابتزاز الناس لأنهم يراجعون هذا الموظف وعملهم يرتبط بهذا الموظف أو ذاك ، فيقول لهم انتهى الوقت . . باقي نصف ساعة وينتهي الوقت . . أتعلم كم ساعة مرت حتى وصل هذا المواطن ، وكم مفخخة عبر لكي يصل إليك ، وكم ساعة قضاها في الاستعلامات والتفتيش إلى أن وصل إليك؟ . . هذه قيمة الإنسان وقيمة المواطن؟ ، عليك أن تنجز عملك أيها الموظف ، وهنينا لك؛ فأنت في موقع خدمة عامة ، والناس يراجعونك في قضاياهم ، لكنك تصرفهم لأبسط نقص في المعاملة الإدارية . . عليك أن تساعد المواطن وتعلمه . . خذ منه المعاملة وأنجزها ، فالإنصاف مسألة مهمة .

وكذلك الرفق ، فالمواطن جاء محتاجاً ومعاملته لديك ، فلا تظن نفسك إمبراطوراً؛ لأن قضايا الناس عندك . . لا تفتك بالناس ، ولا تسمعهم الكلام الغليظ ، وكل من جاء تحمله وساعده ، لكي لا يخرج وقلبه مليء بالألم والحسرة ويرفع يده ويحرقك بدعائه . . يا موظف احذر من ذلك ، وعليك بالرفق والابتسامه والكلام الطيب ، وقد ينجز شخص عملاً لمواطن ولكنه يتعامل معه بقسوة فيخرج المواطن متألماً غاضباً ، وشخص آخر يأتيه مواطن بمعاملة لا يمكن إنجازها ، ولكنه يستقبله بابتسامه وكلمات لطيفة ويشرح له لماذا لا يمكن إنجازها ، فيخرج راضياً ، فالإنسان يبحث عن كرامة وعزة ، ويريد أن يرى نفسه في وطنه ، وخصوصاً شعبنا العراقي ، فالمواطن العراقي مغدور ومجروح بسبب الأنظمة الدكتاتورية المتعاقبة ، ومن شدة إلى شدة ومن حرب إلى حرب ومن مشكلة إلى مشكلة ، شخصية مجروحة ، ولدينا نقص في العواطف والمشاعر كعراقيين ، نحتاج إلى جرعة إضافية ، هذا هو الإسلام ، الله الله أن يسبقكم بالعمل به غيركم .



اليوم عندما نذهب إلى الغرب، نجدهم يدرّسون في كليات الإدارة علم التسويق، وواحدة من المسائل كيف تبتسم؟، فالموظف في محل تجاري يجب أن يبتسم، والحق مع الزبون (١٠٠٪) في جميع الأحوال حقا كان أو باطلا، هكذا يعلمونهم وأي مشاجرة بين العامل في متجر والزبون يكون الحق مع الزبون ويطردون الموظف حتى لو كان هو المظلوم، ويقال هنا يجب عليك أن تجلب رأس المال وتأتي بالأرباح والفوائد، وتميل على نفسك وتحمل بعض المنغصات، هذا علم التسويق، ولكي يربح ألف دينار أو ألفين أو مئة ألف أو مليون دينار، يضع ضوابط صارمة، ونحن لكي نربح الوطن، ونشعر المواطن بأنه عزيز. . ارفع رأسك، فأنت على أرضك وفي وطنك، ومحترم ومقدر، هذا بكم؟ . . كم يجب أن ندفع من أجل أن نصل إلى هذه النتيجة؟.

متى نعلم موظفينا الإنصاف والرفق بشكل كامل ونلزمهم ونتخذ إجراءات قاسية بحق من يتناول على مواطن، ومن لا ينفذ أعمال المواطنين بسرعة، ومن يؤجل؟، وكلما راجعه المواطن قال له تعال غداً، وأيام الغد لا تنتهي.

#### الطبقة الخامسة: «أهل الجزية والخراج»

هؤلاء دافعوا الضرائب، وهم الذين يقومون اقتصاد الدولة والمواطنين، إن كانوا من أهل الذمة ويدفعون الجزية أو من عموم المواطنين ويدفعون الضرائب للدولة. في يوم ما، لم يكن النفط في العراق يستخدم في ميزانيات تشغيلية، ولم يكن يدخل في موازنة الدولة، وهناك صندوق خاص يضعون فيه أموال النفط لقضايا تنموية وبنى تحتية وسكن إلى غير ذلك، وميزانية الدولة من الضرائب، واليوم هناك دول موازنتها (٥٠٠٠) مليار دولار تعيش على الضرائب وتمتلك أكبر خزين من النفط في العالم؛ بالمرتبة الأولى أو الثانية، لكنها تعتمد على الضرائب، وليس على النفط، ولكننا نخرج النفط ونحوه إلى مال ونشنته في المجتمع ولا نخلق مجتمعاً فاعلاً وكفوفاً وقديراً ومنتجاً، ليستفيد المجتمع ويقوى، وتتحرك الدولة من خلال مصالح الناس وليس من خلال المال، مال النفط الذي يتحول إلى صدقات ومكرمات وهبات ويستغل للضغط على الناس باتجاهات محددة.

هؤلاء طبقة دافعي الضرائب، لأنهم قوام الاقتصاد في المجتمع، فالمجتمع يقف على دفعاتهم وضرائبهم، فيجب أن يكرموا ويعززوا، ويجب أن يشعروا بالاحترام والتوقير لكي يرتبطوا بوطنهم ويقدموا له المزيد.

### الطبقة السادسة: «التجار وأهل الصناعات»

القطاع الاقتصادي من تجارة وصناعة إلى غير ذلك، هؤلاء طبقة في المجتمع، وهي طبقة منتجة ومؤثرة، طبقة داعمة وساندة للاقتصاد في الدولة، وأيضاً يجب أن يقدر عملهم ومهماتهم وتُسهل الإجراءات والضوابط لهم، واليوم يحتاج فتح اعتماد إلى أسابيع إذا لم يكن إلى أشهر، وترخيص بضاعة استوردها مواطن صناعي أو تجاري أو ما شابه ذلك، قد يحتاج ترخيصها من ميناء أو من حدود إلى وقت طويل وإلى دفع مبالغ غير رسمية إلى غير ذلك، وهذا خلاف الرؤية الصحيحة في تسهيل الأمور للقطاعات الاقتصادية من التجارة والصناعة وأمثال ذلك.

### الطبقة السابعة: «الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة»

لأنه مواطن بسيط وفقير، ولأنه ليس من أقطاب الاقتصاد ولا يملك مصنعا، وهذه الطبقة يجب أن تُحترم.. طبقة هؤلاء الناس الفقراء وعموم المواطنين يجب احترامهم وتوقيرهم، ففي زماننا هناك قوانين تحمي العسكري وتعطيه قطعة أرض، والموظف نعطيه قطعة أرض وكذلك الإعلامي وعوائل الشهداء، وجميع المضحين يجب أن نعطيهم وكلنا نطالب بذلك وهو حق، ولكن المواطن الذي لم يخدم في دوائر الدولة وليس في القوات المسلحة من أين يحصل على قطعة الأرض؟.. لماذا هذه الطبقة مهملة، هذه الطبقة التي لم تدخل في العناوين المعينة التي تستحق الدعم والإسناد المباشر؟.. يجب أن نعطي جميع أبناء الشعب العراقي بمن فيهم المواطن الذي ليس موظفاً في الدولة، فالدولة عليها أن تخدمه؛ لأنه مواطن ويستحق، وهذا العدل والإنصاف في توزيع الثروة والإمكانات، وإشعار المواطنين بتكافؤ الفرص، وعنصر المساواة في حقوق المواطنة، هذه من القضايا الأساسية التي علينا أن نلتفت إليها في هذا السياق.

لذلك، فهذه الطبقات تتكامل مع بعضها ويحتاج بعضها إلى بعض ولا يستغني بعضها عن بعض، فهي حقيقة وواقع، وهي تتكامل بحسب الرؤية الإسلامية.

يقول أمير المؤمنين: «وكلا قد سمي الله له سهمه»، الله تعالى قدر لكل طبقة من هذه الطبقات سهمها وحقها في هذا البلد، «ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»، وُحِدَ هذا الحق من خلال القرآن الكريم أو من خلال السنة النبوية الشريفة أو سنة أهل البيت، وحددت الحقوق الواضحة لكل طبقة من هذه الطبقات،

«عهداً منه عندنا محفوظاً»، كل طبقة لها حقوق وعليها التزامات تجاه الطبقات الأخرى، فتتعلق العلاقة بين الطبقات وتتكامل العلاقة بين الناس مهما كانت مهماتهم وواجباتهم. هذا نظام عادل وسياق مقنع لا يُشعر أحداً بظلم أو بتجاهل لأي سبب من الأسباب، «عهداً منه عندنا محفوظاً»، الله تعالى ضمن حقهم، ولا أحد يظلم في المجتمع الإسلامي الذي يسير ضمن السياقات الصحيحة والأطر الإسلامية الصحيحة. نسأل الله أن يعيننا على تطبيق هذه الرؤية المتطورة العصرية في بناء مجتمعنا، ونحن نحمل شعار بناء الدولة العصرية العادلة.

### المبادرات بين الرفض والقبول وعامل الوقت

الحرب على الإرهاب سوف تستمر إلى أن ينتصر مفهوم الدولة على مفهوم الإرهاب، ومفهوم الحرية على مفهوم الإجرام والتكفير، وهذه الحرب ستكون طويلة وجولاتها متباينة، ولكن نتيجتها محسومة لصالح الحياة والحرية والحق، ولأنها حرب وليست معركة فإن علينا أن نخوضها وفق شروطنا ووفق خياراتنا للزمان والمكان وليس وفق خيارات الإرهابيين، وهذه الإستراتيجية في التحكم بمجريات الحرب هي الإستراتيجية الوحيدة التي ستقضي على الإرهاب بأسرع وقت وبأقل الخسائر.

ومن هذا المنطلق أطلقنا مبادرتنا ((أنبارنا الصامدة))، وكانت محاورها تستند إلى حصر الإرهاب في جيوب محددة وتقوية المواطن العراقي في مناطقه وقراه وعلى أرضه، وأهم ما في المبادرة أنها جاءت كي تسلب من الإرهاب ورقته الراحبة الوحيدة، ألا وهي اختباؤه بين الناس الأبرياء واختياره وقت وساحة المعركة، فعندما تكون هناك مواجهة بين الدولة والإرهاب، فإن الدولة تتصرف كطرف مسؤول بينما الإرهابيون يتصرفون كمجرمين وقتلة يستخدمون الأطفال والنساء دروعاً بشرية، وهذا هو التحدي الأكبر الذي يواجه الدول في حربها مع الإرهاب، ولكي نفوت الفرصة على الإرهابيين كان لا بُدَّ من تحصين الجبهة الداخلية وحصر الإرهابيين والقتلة في جيوب منعزلة ومنفصلة وحماية المدنيين الأبرياء.

وبغض النظر عن الموقف المعلن من المبادرة إلا أن أغلب بنودها قد نُفذت، ولكن للأسف لم تؤدِّ النتيجة المرجوة منها تماما؛ لأنها نُفذت بالتقسيم والتجزئة، ومشاريع الحلول والمبادرات الإستراتيجية يجب أن تُنفذ كحزمة واحدة؛ لأن خطواتها وفقراتها يكمل بعضها البعض الآخر. واليوم نسمع عن مبادرة جديدة أو مبادرات تنطلق من هنا وهناك، وجميعها تتوجه نحو الأحداث الجارية في محافظة الأنبار وضمن معادلة الحرب

على الإرهاب، وجميع هذه المبادرات مهمة بغض النظر عن يطلقها وما تتضمن، ولكن الأهم هو التوقيت، فدائمًا في المعارك يكون التوقيت هو العامل الحاسم بين الانتصار والهزيمة، وبين تحجيم الخسائر أو فداحتها، والإرهاب يعتاش على فداحة الخسائر وخصوصًا بين المواطنين المدنيين الأبرياء، لأن جوهر فكره الأسود إرهاب الناس والمجتمع وليس إرهاب الدولة أو القوات الأمنية فحسب، وقد حاول الإرهاب أن ينال من شعبنا منذ أن اتخذ قرار التخلص من برائن الدكتاتورية، فمنذ ذلك اليوم وإلى الآن ونحن في حرب مفتوحة مع الإرهاب.

وسنقى صفاً واحداً مع شعبنا وقواتنا المسلحة في مواجهة الإرهاب والإرهابيين، لأنها بالنسبة لنا معركة وجود، وسوف نستمر بتقديم المبادرات والحلول التي تساعد الدولة والأجهزة الأمنية في معركتها ضد الإرهاب حتى وإن تم الالتفاف والتشويش عليها، فواجبنا أن نقدم الأفكار والحلول، ومن يتصدى للمسؤولية عليه أن يتعامل معها ويستفيد منها ولو بعد حين، ولكن علينا أن ندرك أن عامل الوقت هو العامل الحاسم في أي مشروع أو مبادرة، وإضاعة الوقت تعني إضاعة الحلول والفرص والسماح للقتلة بالتلاعب بدماء أبناء شعبنا لوقت أطول.

### حتمية انتصار الحياة

ورغم جميع هذه الآهات، ولكننا مؤمنون بحتمية الانتصار، فالعراق سينتغلب بإذن الله على كل من يحاول المساس بحريته وحقه في الحياة، وستجاوز جميع أزماته، والعراقيون سينتصرون على جميع آلامهم وسيقدمون للعالم درسًا كبيرًا يبينون فيه كيف يعيش شعب في أتون النار أكثر من أربعة عقود ويصمد وينهض ويجدد نفسه، فالعراقيون منذ أربعة عقود وهم في حرب أو شبه حرب.

وطوال هذه المدة لم يشعر العراقيون بطعم السلام الكامل والشامل؛ فدائمًا كان سلاما نسبيًا وكل هدوء كان يمثل استراحة قصيرة لحرب طويلة أخرى، وهذه الحروب متنوعة؛ فمنها ما هو عسكري ومنها ما هو إنساني، وأقساها الحروب الإنسانية حينما يحاصر شعب كامل خارجيًا وداخليًا، كما شهدنا ذلك في الحقبة السابقة، فيحاصره العالم خارجيًا ويحاصره الدكتاتور داخليًا ويحارب بلقمة عيشه وكرامته وصحته وقيمه ومبادئه، جميع هذه الحروب وما زال الشعب العراقي كريما وإنسانيا، فهناك شعوب لم تتعرض لهذا الحجم من القسوة ولكنها عبرت عن قسوة كبيرة وعنيفة في سلوكها وفي ردات فعلها، ولكن الشعب العراقي كان مميزًا وسيبقى مميزًا. ومن هنا تأتي حتمية

انتصار العراق والعراقيين، ونحن نرى أن هذا الانتصار أصبح وشيكاً وعلى مرمى حجر.

### القول مع الفعل سياسة منهجية ثابتة

في الملتقى السابق تحدثنا عن إقرار قانون التقاعد الموحد، وكيف أن هذا القانون قد أنصف شريحة كبيرة من الشعب العراقي، ولكننا استنكرنا بشدة الفقرة الخاصة بمنح امتيازات استثنائية للمناصب العليا والدرجات الخاصة، مما يبعدة عن صفة العدالة والإنصاف في التعامل مع فئات الشعب العراقي المختلفة، ونحن في تيار شهيد المحراب وعلى مستوى الهيئة القيادية في المجلس الأعلى قررنا فصل أي عضو من كتلة المواطن صوّت على فقرة الامتيازات الخاصة من قانون التقاعد، ولم نكتفِ بقرار الفصل وإنما منع النائب من الترشح في الانتخابات القادمة، وطلبنا من رئيس الكتلة تشكيل فريق قانوني للطعن بهذه الفقرة في المحكمة الاتحادية حسب السياقات القانونية.

وهنا قد يتساءل المراقب الدقيق عن سبب هذا القرار الحاسم والصارم، على الرغم من أن المتتبع لمنهجنا السياسي كتيار يرى بوضوح أننا تيار هادئ في فعله وقراراتنا مدروسة وليست انفعالية، وهذا انطباع صحيح، فنحن تيار لا نميل إلى الانفعالية في القرارات أو التصريحات، وسياستنا مدروسة بدقة خارجياً وداخلياً، ولكننا في نفس الوقت تيار يحترم نفسه وتاريخه ومنهجه، وجوهر عمله العقيدى والسياسي يستند إلى مصداقيته العالية، ولهذا فإننا لا نسامح ولا نتسامح مع أي إشارة تدل على عدم الالتزام بهذه المنهجية، فعندما نقف بالصد من الامتيازات المبالغ فيها للدرجات الخاصة وهدر المال العام وعدم المساواة والإنصاف بين فئات الخدمة العامة للمجتمع، فإننا نعني ما نقول ونؤمن به قولاً ونمارسه فعلاً وسلوكاً.

إننا نؤكد أننا أبناء المرجعية والمطيعون لتوجيهاتها والملتزمون بإرشاداتها ولا سيّما المرجع الأعلى الإمام السيستاني (دام ظلّه الوارف) ولا نحتكر هذه السمة؛ لأنفسنا ولا نسلبها عمن يريد الالتزام برأي المرجعية، والتزامنا هذا ليس منةً على المرجعية ولا إلزاماً لعموم الناس وإنما هو دين ندين الله به، وقد عبرنا عن هذا الالتزام في مواطن عديدة بكل فخر واعتزاز، واستقالة أختينا فخامة السيد (عادل عبد المهدي) من موقع نيابة رئاسة الجمهورية واحد من هذه المواطن، فإننا نؤمن بهذا المنهج ونلتزم به، ولا ندعي أو نجامل في هذه القضية، ولذلك لا يمكن أن نتخلى عنه أو نتهاون فيه، لا سيّما أننا في الظرف الحساس الذي نعيشه كشعب ودولة ومشروع بأمس الحاجة إلى التمسك

بقوة بصمام الأمان الأول والأساس لهذا الشعب إلا وهو المرجعية الدينية وما تمثله من ثقل عقيدي ومعنوي وتوجيهي، فكيف نقبل بالالتفاف على توجيهات المرجعية العليا من قبل أعضاء في تيار يعلنون عن أنفسهم أنهم تيار مرجعي ويتمسكون بهذا العنوان.

من هذا المنطلق جاء قرارنا الحاسم وقرار هيئة القيادة في المجلس الأعلى بفصل أي عضو من كتلة المواطن يثبت أنه صوت على الفقرات السيئة الصيت.

### منهجنا فوق المعادلات الرقمية

إننا لا نغير اهتماما كبيرا لمسألة الأرقام، فرقم يزداد هنا أو ينقص هناك ليس له قيمة أساسية في معادلاتنا السياسية والعقيدية، فنحن تيار ومنهج ولسنا مجرد فصيل سياسي تتحكم به المعادلات الرقمية، وقد أثبتت التجارب أننا بقيمتنا التيارية والعقيدية، وبالمصادقية التي نحملها قد تفوقنا على الكثير من المعادلات الرقمية، وأن قيمتنا بالعمق الذي نمثله وليس العدد الذي نشغله في مجلس النواب، فنفضل نائبا أو نائبين إذا ما ثبت لدينا أن هذا النائب أو ذلك لم يلتزم بثوابت التيار والتزاماته كتيار مرجعي، ولم يتحمل شرف الأمانة بصدق وإخلاص ويميل إلى مصالحه ومنافعه الشخصية أكثر من ميله لمصالح ومنافع الشعب.

وإن كان السادة النواب في كتلة المواطن رفعوا رؤوسهم ورؤوسنا عاليًا بالتصويت بالضد من الامتيازات كما تشير تحرياتنا الأولية، ونحن بانتظار الخبر اليقين المشفوع بالوثيقة الرسمية من مجلس النواب، والذي يؤسف له أن رئاسة البرلمان المحترمة حتى هذه اللحظة لم تستجب لطلب رئيس كتلة المواطن في البرلمان ولم تكشف عن موقف أعضاء الكتلة في التصويت على هذه الفقرة من قانون التقاعد، وهذا يضع مصداقية مجلس النواب على المحك فهو الجهة التشريعية التي نأتمنها على حقوق الشعب والدفاع عن مصالحه.

ومتى ما فُقدت الشفافية في أروقة مجلس النواب ومتى ما تحول البرلمان إلى ساحة للتعتيم على الحقائق، نطلق جرس الإنذار ونقول إن الديمقراطية في العراق في خطر، وإن الحقوق في العراق أصبحت في العراق، لأن الخيمة الكبيرة لحماية الحقوق هي قبة البرلمان ومتى ما تخلت هذه القبة عن واجبها نفقد من يحمي الحقوق ويدافع عنها في مؤسسات الدولة.

ومن هذا المنبر أطالب الأخ العزيز دولة الرئيس (النجيفي) ونائبه الكريمين بأن

يستجيبوا للطلب رئيس كتلة المواطن ويكشفوا عن موقف النواب في التصويت على فقرة الامتيازات في قانون التقاعد لا سيّما أننا طلبنا كشف أسماء كتلتنا حصرياً ولم نتعرض إلى أسماء الكتل الأخرى؛ لأنها قضية تعنيهم وتعني الجمهور العراقي الذي لديه وسائله في تقييم أداء الجميع .

إننا في تيار شهيد المحراب أصحاب مشروع، ونحن متمسكون بمشروعنا مهما طال الزمن ومهما كبرت التحديات ومهما تعاظمت المسؤولية، فقدردنا أن نكون حملة الراية لهذا المشروع ونحن نتشرف بهذا القدر، وسنبقى متمسكين بمنهجنا الثابت في إقران القول بالفعل، وأن تكون المصادقية التي نتعامل بها مع أنفسنا ومع الآخرين ومع أبناء شعبنا ومع مرجعيتنا وفي مختلف القضايا هي علامتنا البارزة، وهي الصفة الأوضح التي نتصف بها ويتصف بها تيارنا .

## الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٠١٤/٢/١٩

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إختوتي الأكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم .

### النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

مازلنا نتحدث عن عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مالك الأشر، وكان حديثنا عن طبقات المجتمع السبع، ووصلنا إلى المقطع السادس عشر

#### التكامل الطبقي بين الحقوق والواجبات

((فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وَزَيْنُ الْوَلَاةِ وَعِزُّ الدِّينِ وَسُبُلُ الْأَمْنِ))

بعد أن تحدث أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الطبقات السبع وأولها القوات المسلحة، انتقل الأمير عَلَيْهِ السَّلَامُ للحديث عن العلاقة بين هذه الطبقات؛ ما العلاقة بين طبقة وأخرى، وما الذي تقدمه كل طبقة للآخرين، وما الذي تتوقعه من الآخرين في توازن دقيق بين الحقوق والواجبات؟ .

#### أولا : طبقة الجند : أمانة إلهية وواجبات عظيمة

الطبقة الأولى وهي طبقة الجنود، أي القوات العسكرية . . ما هي واجبات الجيش تجاه الطبقات الأخرى، أي تجاه المجتمع؟ . . يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : «الجنود بإذن



الله»، وهذا الجانب مهم يحدد موقع القوة العسكرية في المجتمع، والقوة العسكرية تعني سلطة ونفوذاً، وتعني وجود السلاح وأدوات الهيمنة، إذن، هذه القوة يمكن أن تتحول إلى حالة خطيرة في المجتمع حين تستخدم كل وسائل النفوذ والتأثير والسلطة والهيمنة والسطوة في مجالاتها الخاطئة، لتبشش وتفتك بالشعب، ولا حظنا ما جرى في عهد الديكتاتوريات في هذا البلد كيف وُظفت الأجهزة الأمنية والقوات المسلحة للفتك بالشعب وليس للدفاع عن الشعب وحمايته، لذلك فهذه القوة يجب أن تكون منضبطة ومؤطرة بإطار، وتخضع لمنظومة أخلاقية تحصن هذه القوة من الوقوع في الاعتداء والتجاوز على الآخرين، لتكون أداة أمن واستقرار وحماية وصيانة ودفاع عن الوطن والمواطن، ولا تتخذ جانباً آخر.

لذلك فالحديث عن أن هذه القوة التي مُنحت للجيش هي بإذن الله وبإرادة الله، يجعلها أمانة إلهية، فالقوات المسلحة مؤتمنة على أمانة عظيمة من الله تعالى، فأفراد القوات المسلحة جند بإذن الله، ومن يتحرك بمنطق حفظ الأمانة وبمنطق أنه مؤتمن على قضية أساسية سيقبم كل أداء وممارسة وسلوك، لأن الناس تهاب الجيش وتحترم القوة، فهل هذا يعني أن تستخدم هذه القوة لإرعاب وإخافة وإيذاء الناس وانتهاك الحرمات والإساءة للناس؟.. أو تستخدم هذه القوة بإذن الله تعالى وهي أمانة الله، وهذا ما لاحظناه من قبل أن من يرى القوة المسلحة يشعر بالرعب؛ لأنها قوة تقتل الناس، وفي يوم آخر حينما يرى الناس القوة العسكرية في النظام الديمقراطي يشعرون بالأمان والطمأنينة؛ لأنها قوة تحمي الشعب وتدافع عن مصالحه، وتقف بوجه الأعداء وتواجه الأخطار لتحمي الوطن والمواطن.

لذلك فإن قوله «إذن الله»، يحدد الموقع؛ أيها الجندي، موقعك أن تتحرك على أنك مؤتمن بأمانة إلهية عظيمة عليك أن ترعاها، وعليك أن تهتم بها وتعطيها حقها، فالنزوة والرغبة بالوصول إلى المصالح الخاصة لا تحرك القوة العسكرية المنضبطة والملتزمة، وإنما القيمة المبدئية واستحضار المصالح العامة للوطن وأمن المواطنين وسلامتهم، هذه هي الدوافع الحقيقية التي تحرك القوات المسلحة ورجال الجيش والشرطة.

علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يعطينا أروع الأمثلة وهو القائد العسكري في حينه، ويعطينا الصورة الناصعة للحركة المنضبطة، للحركة الخاضعة لإرادة الله والتعامل بمنطق المؤتمن على مصالح المواطنين، وليس المتشفي حتى بالأعداء والخصوم؛ حينما دعي إلى البراز في واقعة الخندق المعروفة، وحينما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «برز الإيمان كله إلى

الشرك كله»<sup>(١٣)</sup>، لمواجهة عمرو بن عبد ود العامري، وضربه وأسقطه على الأرض وجلس على صدره ليحز رأسه في سبيل الله، ويقتله لعدائه للإنسانية، في تلك اللحظة ارتكب عمرو بن عبد ود حماقة وبصق في وجه علي عليه السلام، فماذا فعل علي؟ . . نهض من على صدره، وتجول في الميدان وأخذ عدة دقائق ثم عاد وجلس على صدره ليقتله، فاستغرب عمرو بن عبد ود من هذه الحركة، قال يا علي لماذا لم تذبحني أول مرة؟ . . لماذا لم تنه المهمة؟ . . قال حينما بصقت في وجهي، وأنا بشر أخذني الغضب، فلو قتلتك في تلك اللحظة، لكنت قتلتك ثأرا لنفسي، وتنفيسا للغضب الذي ألمَّ بي، أسأت لي وأهنتني فتحركت مشاعري ولم أضمن أن هذا القتل في سبيل الله، وانتصار لحرمة الله ودفاع عن عباد الله، لم أكن مطمئنا لهذا الشيء، فأخذت جولة حتى استقرت مشاعري وهذأت نفسي وسيطرت على مشاعري واعصابي، والآن أنا قادم لأقتلك في سبيل الله.

انظروا إلى هذه الصورة الرائعة من العمل في سبيل الله.

إن قواتنا المسلحة يجب أن تعمل انتصارا لمبادئها وقيمها ووطنيتها، ولا تتشفي حتى بالمجرمين، لا ثأر حتى من الظالمين. يتم تداول صور لبعض عناصر الجيش تقتل اربابا داعشيا، ثم تظهر بعض الصور، لا أعرف مدى صدقيتها، لكن لو صحت، فهي ظاهرة غير صحيحة أن يُحرق جثمان حتى لو كان لمجرم سفاح، لكن حرق المثلة ممنوع حتى بالكلب العقور كما عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا يضع حذاءه على قتيل، ماذا يعني الحذاء على رأس قتيل؟ . . هذا الحذاء لا يعني إلا التشفي. لا تشفي في رؤية الإسلام، فالجنود بإذن الله، فحركتهم حركة إلهية رسالية، ولديهم هدف ولا ينجرون إلى الثأر أو التشفي أو قضايا شخصية أو انتقام وما شابه ذلك، وإنما يمارسون مهامهم بمهنية عالية بعيدا عن المشاعر والعواطف، وهذه قمة التميز والتألق في النظرية الإسلامية للقوات المسلحة.

### الجيش والموازين الشرعية

حينما يقول «الجنود بإذن الله»، يعني أن هناك حدودا إلهية، وأن هناك موازين شرعية تجاه من يجب قتله؛ لأنه عدو للإنسان والحياة، ومن يجب الحفاظ عليه ولا يجوز

قتله حتى لو كان مجرماً، لأن جريمته لم تصل إلى حد استهداف الإنسان، فهو بمثابة جرثومة لكنها ليست فتاكة، فيجب أن يقدم إلى القضاء، ونعرف أن القضاء في الإسلام يبدأ من التعزير وصولاً إلى الإعدام وما بينهما الكثير من المحددات.

القوة المسلحة تحركها الموازين الشرعية، وهذه تصبح ثقافة وموازن أخلاقية ووطنية، وحينذاك فإن القائد المباشر حتى لو أصدر تعليمات على خلاف الواقع، كما لو أن دكتاتور مجرم وطاغوت أمر الجيش بقتل الناس كما حصل في الانتفاضة سنة (١٩٩١) وكما حصل في الأنفال وكما حصل في حلبجة؛ أعطيت التعليمات لقادة وضباط طيارين أن اذهبوا واقصفوا المدن الفلانية بالكيمياوي، فهذا الجندي إذا كان قد تربى تربية صحيحة، ويعرف أنه جندي بإذن الله ومؤتمن، وهناك إطار شرعي يتحكم به، فهو غير مستعد لأن يقتل ويرتكب هكذا مجازر ويقتل آلاف الناس، على غير وجه حق. لذلك فهذه الأخلاقية توجد حصانة حتى لو كان لدى ضابط أو مسؤول نفس سلطوي وإجرامي واعتدى وأساء، فإن جنده لا يطيعونه في ما هو خلاف الضوابط الإنسانية والضوابط الشرعية، وحينها سينكسر، فلا أحد يطيعه ويأخذ كلامه، وحينما تصدر أية قيادة عسكرية أوامر بقتل الأبرياء والقوة لا تُنفذ؛ لأن تربيته تربية صحيحة، فهذه هي المبدئية في العقيدة العسكرية، وتربية هؤلاء على أنهم جند بإذن الله، وأنهم مؤتمنون، وهذا يحقق حالة من الانضباط

اليوم نحن في بلادنا نتحدث عن مليون ومئتي ألف عنصر أمني، فهل نعرفهم كلهم؟.. هل نستطيع أن نطمئن لسلوكهم؟.. وقد تكون الأوامر التي تأتي من القيادات العليا لتنفيذ مهام محددة فيها مصالح الوطن والمواطن، ولكن كيف يتم التنفيذ؟.. وهذه القوة عندما تدخل إلى حي سكني كيف تتعامل مع الناس؟، والقائد الأعلى ربما لا يعرف كيف تتعامل، ولعلها تسيء وتتجاوز وتعتدي، ولعلها ترتكب أخطاء، ولعلها حينما تدخل إلى مكان تنتهك حرمت، في بلادنا أو في أي بلد من بلدان العالم، لذلك فإن هذه التربية الصحيحة، على أنهم جند بإذن الله، تحقق الحصانات الكافية في هذا الموضوع.

### التركيز على البعد المعنوي

البعد الآخر المهم في هذه التربية المبدئية والرسالية، هو التأكيد على الحالة المعنوية، فإذا كانوا جندا بإذن الله، فالمهم أن تحقق هذه القوة العسكرية مهماتها

المبدئية وواجباتها الصحيحة، وقد لا تنتصر في المعركة، والله لم يكتب النصر دائماً في جميع الجولات، نعم، النصر في نهاية المطاف أمر حتمي، فقد يخسر الإنسان جولات ولكنه يكسب المعركة، ومعركة أهل الحق مع أهل الباطل محسومة لصالح أهل الحق على الأمد الطويل، ولكن على الأمد القصير قد تحصل في هذه الجولة أو تلك خسائر، ويمكن أن تحدث انكسارات وتراجعات، وهذه قضية طبيعية؛ فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حقق الإنجاز والانتصار العظيم في بدر، وفي أحد كانت تلك الكبوة المعروفة والتراجع الذي حصل، وكذلك في حنين، كما يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾<sup>(٤١)</sup>، وكان عدد المسلمين عشرة آلاف مقاتل في حنين ولكنهم انكسروا، لذلك فإن هذه الانكسارات متصورة، ومن يعمل لله ومن يكن جنداً بإذن الله، فإنه لا يهتم بهذا الانكسار ولا يصاب بالإحباط أو باليأس ولا يتراجع، بل يبقى قوياً ما دام العمل لله وفي سبيل الله ولو أدى ذلك إلى أن يستشهد، فهو يعتبر نفسه منتصراً.

الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قُتِلَ هو وأصحابه وأهل بيته، جميع الرجال قُتِلُوا وبعض النساء أيضاً، ولكنه كان القتل المنتصر، كان الشهيد المنتصر، ومعايير النصر أن تسير هذه القوة العسكرية ضمن أهدافها الرسالية الصحيحة، أما هل يتحقق انتصار مادي أو لا يتحقق، فهذا لا علاقة له بمفهوم النصر، والقوة التي تؤدي واجبها برسالية كبيرة وتعمل بمسؤولياتها وتدافع عن الوطن والمواطن فهي قوة منتصرة قُتِلَتْ أم حققت انتصاراً على الأرض، والقوة التي تسير ضمن نزوات وشهوات وأدوات سلطوية وتريد أن تحقق انتصاراً لنفسها، فهي مثل جنكيز خان أو المغول والتتار وغيرهم من الطغاة، فهؤلاء حتى لو حققوا انتصارات عسكرية على الأرض وفتحوا بلداناً ولكنهم منهزمون وخاسرون، لأنها ليست معركة رسالية وليست معركة قيم ومبادئ، بل معركة سلطة ونفوذ وجاه وشهوات وميول وأخذ أدوار وفرض هيمنة على الناس من دون وجه حق، لذلك فإن معايير الانتصار والهزيمة في هذه الرؤية الإسلامية تختلف عن معايير الانتصار والهزيمة في الرؤية المادية؛ فإذا كانت نيتك صحيحة وسلوكك صحيحاً، فإن قُتِلْتَ فأنت منتصر، وإن حققت إنجازاً عسكرياً على الأرض فأنت منتصر أيضاً، لذلك يقال إحدى الحسينيين «النصر أو الشهادة»، كلاهما حسنى وكلاهما انتصار، ما دام الإنسان يسير في طريق المبدئية.

١٤. سورة التوبة: الآية ٢٥.

الجانب الآخر الذي يشير إليه أمير المؤمنين في هذه العبارة الكريمة ، بعد بيان موقع الجند بين الطبقات الاجتماعية وأنهم جند بإذن الله ومؤتمنون ، يتحدث أمير المؤمنين عن دور الجند بين الطبقات الاجتماعية ، وفي هذا الأمر يشير إلى عدة أوصاف في دور القوات المسلحة .

### أدوار طبقة جند الله

#### أولاً : حصون الرعية :

هم حصون وحماة الرعية ، فمهمة القوات المسلحة أن يحموا الوطن والمواطنين ، والهدف الأساسي لهم هو الأمن والاستقرار الذي يوجدونه في مجتمعاتهم ، إذن هدفهم دفاعي وليس عدوانياً؛ حماية ودفاع عن الوطن والمواطن ، وليس اعتداءً وهجومًا وتسلطاً وهيمنةً وتمددًا وفتحًا للبلدان واعتداء على البلدان الأخرى إلى غير ذلك ، هذا هو التعريف ؛ حصون الرعية ، دفاع وحماية للوطن والمواطن ، والجيش للشعب وليس على الشعب . كانت الجيوش في عهود الظالمين جيوشاً على الشعب ، واليوم يجب أن تكون الجيوش للشعب ولصالحه ودفاعاً عنه ، ويجب أن تكون هوية الجيش إنسانية وأهدافه رسالية ، لكي يسير في الاتجاه الصحيح .

#### ثانياً : زين الولاية

«الجنود حصون الرعية وزين الولاية» ، الولاية يعني الحكام ، والجيش زين للحاكم ، أي هذه القوات المسلحة التي تُدرب تدريباً صحيحاً ، والتي تُربى تربية صحيحة ، ويكون أداؤها أداءً مميزاً ، وتحقق الأمن والاستقرار وتحمي الوطن والمواطن وتُشعر الناس بالطمأنينة والارتياح ، وتُرهب الأعداء وتقلقهم حتى لا يتجرؤوا ولا يُسيئوا للوطن ولا يعتدوا عليه ، عندما تكون القوة العسكرية بهذه المواصفات ، فإن الناس ستدعو بالخير للحاكم الذي ربّى هذا الجيش وسيطر عليه ونظّمه ونظّم إيقاعات سلوكه ووجّهه توجيهها صحيحاً وجعله قوة مفيدة لصالح المجتمع وليس قوة مضرّة بحق المجتمع ، فتتحول القوات المسلحة إلى زين للولاية ومصدر ثقة بين الشعب والمسؤول ، والناس تثق بالمسؤول وتحترمه وتقدره عندما تراه ربّى الجيش تربية صحيحة ووظفه توظيفاً صحيحاً .

## ثالثاً: عز الدين

الجيش فيه عزة للدين، فماذا يعني أن الجيش عزة للدين؟.. هل يكون الدين عزيزاً بالسلاح والقوة؟.. هل يكون الدين عزيزاً بالسطوة والفرص؟.. والحق أنه ليس كذلك، فالدين عزته بذاته وعزته بقوانينه وتشريعاته، عزته بأحكامه وأصوله، وقوة الدين وعزته من نفسه، بما يحمله من برنامج للناس ولا يحتاج إلى فرض عزته بالسلاح، وهذا تعبير فيه شيء من التسامح، فعزة الدين يعني عزة المتدينين، وليس عز الدين، فإن عز المتدينين بهذا الجيش، الجيش الرسالي الذي يدافع عن الناس ويحميهم، والذي يوفر فرصاً لحرريات المواطنين ويدفع الأعداء عنهم، ويتحرك ضمن أسس رسالية بإذن الله، وكما أشرنا، فهذا الجيش يتنفس المؤمنون الصعداء في رحابه، وهو عزة للمتدينين وعزة للتدين، وعزة للقيم والمبادئ، لأنها تنطلق في مثل هذه الأجواء وتؤثر في الشعوب والأمم.

لاحظوا هذه الآية الشريفة في سورة الحج: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾، لولا وجود قوة عسكرية توقف البعض عند حدودهم ولا تسمح لهم بالتعدي، ﴿لَهَدَمْتُ صَوَامِعَ وَبِيَعٍ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدٍ يُدْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾، لولا القوات المسلحة التي تحمي الناس وتدافع عن الشعائر وتوفر فرصة الحريات الدينية، لقام الطغاة والظالمون والمستبدون والمنحرفون بهدم دور العبادة ومنع الناس من إقامة صلواتهم وإحياء شعائرهم، ولاحظنا في عهود الظالمين كيف كانت الشعائر مستهدفة وكيف كان الناس يطاردون لأنهم يمشون على الأقدام لزيارة سيد الشهداء، وكيف كان يمنع الناس حتى من طبخ الطعام وإقامة مجالس العزاء على أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في هذه الديار، لذلك فالقوات المسلحة توفر المناخات الصحيحة حتى ينتشر التدين دون ضغوط ودون موانع وكوابح، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(١٥)</sup>.

## الإرهاب.. والمعركة المفتوحة

تابعنا بأسف شديد مسلسل التفجيرات الدامية في بغداد وبابل والمحافظات الأخرى وسقوط العشرات من الشهداء والجرحى من المواطنين الأبرياء، مما يؤكد أن قوى الظلام والتكفير مصرّة على الاستمرار في قتل الإنسان والحياة في هذا البلد الجريح، وماذا نتوقع من التكفيريين وهم يكفرون ويقتلون من كان معهم وعلى فكرهم ونهجهم

١٥. سورة الحج: الآية ٤٠.

إلى الأمس القريب واختلف معهم على تفاصيل محدودة ترتبط بأولويات المعركة وتوزيع الغنائم وإجراءات العمل؟! .

إن الحرب معهم حرب مفتوحة وطويلة وبلا هوادة، وسنقدم الأرواح رخيصة من أجل حماية أبناء شعبنا والذب عنهم والوقوف بوجه الإرهاب القاعدي والداعشي وكل من يتورط بقتل المواطنين تحت أي عنوان ومسمى، كما أن قواتنا الأمنية تتحمل مسؤوليات وطنية كبرى في ملاحقة هذه المجموعات الظلامية والوقوف بوجهها ضمن خطط ناجعة وأدوات نظيفة وتقنيات حديثة، ولا بُدَّ لنزيف الدم من أن يتوقف وللحرمات أن تحفظ وللحياة أن تستمر، وسيأتي الغد القريب الذي ينقلب فيه السحر على الساحر، وكل من تورط بدماء العراقيين وساند هذه القوى التكفيرية سيجد نفسه هدفًا لها، وسيندم هؤلاء حين لا ينفع الندم، والعزة والكرامة والأمن والسلام هو ما سيجنيه العراقيون الشرفاء مهما طال الزمن.

وهكذا الحال في التفجيرات الإرهابية والإجرامية التي تحصل في لبنان ومصر، والتي يسقط فيها الأبرياء وتبناها هذه المجاميع التكفيرية بكل صلافة، الخزي والعار لهم والرفعة والسمو لأمتنا الإسلامية والعربية. إننا نستنكر وبشدة جميع هذه الممارسات الإرهابية ونتضامن مع عوائل الشهداء والجرحى وسائر ضحايا الإرهاب الأعمى وعلينا أن نقف صفاً واحداً كشعوب ودول لمواجهتها.

#### دعوة إلى السيد مقتدى الصدر

لقد تفاجأنا كما تفاجأ الجميع بقرار سماحة الأخ السيد (مقتدى الصدر) باعتزال العمل السياسي، ونحن على المستوى الشخصي وعلى مستوى تيار شهيد المحراب لنا رأي أخوي في هذا القرار؛ ورأينا يستند إلى قناعتنا بأن المرحلة تستدعي تضافر جهود الجميع من أجل إكمال مشروع بناء العراق، وجميعنا قد طورنا من أدائنا وآلياتنا في سبيل الوصول إلى الهدف المنشود، وجميعنا عانينا من التعقيدات التي رافقت هذه العملية الصعبة، وفي الحاضر السياسي العراقي اليوم، فإن للسيد (مقتدى الصدر) مساهمة مهمة وتمثيلاً مؤثراً على المستوى الجماهيري والتشريعي والتنفيذي، وعليه فإن هذه المساهمة اليوم ستعاني من الفراغ، وموقفنا هو أن مساهمة آل الصدر الكرام سياسياً ومعنوياً لا يشغلها إلا الصدر نفسه، وستبقى هذه المساهمة تعاني من الفراغ ما دام ممثلها الشرعي سماحة السيد مقتدى الصدر بعيداً عنها.

إن التنوع في المجتمع العراقي ميزة أساسية لهذا المجتمع وهذا التنوع الاجتماعي والفكري هو ما ينتج التنوع السياسي الذي أصبح سمة العراق الجديد الذي نحاول جميعاً وبقوة أن نصل به إلى بر الأمان.

إننا نحترم خصوصية قرارات الرجال المصيرية والصعبة، ولكن نطلب بأخوية ومسؤولية من سماحة السيد مقتدى الصدر أن يراجع هذا القرار إذا كان فيه مساحة للمراجعة، لأن الساحة العراقية تحتاج هذا التنوع وتتكامل وتقوى بهذا التنوع والصدر والصدريون جزء مهم من هذا التنوع السياسي في الماضي والحاضر والمستقبل.

ندرك تماماً أن سماحته قد اتخذ قراراً صعباً، وهو يعي حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه تياره وتجاه وطنه وأمته، ولكن القرارات الصعبة ومهما كانت الخلفيات التي دعت إليها تبقى دائماً قيد المراجعة وإعادة التقييم، خصوصاً عندما يكون لها تأثير في مساحة مهمة من الواقع الاجتماعي والسياسي للمجتمع، وفي رسم مستقبل الدولة والوطن.

#### محور الانتخابات وتداعياتها

يفصلنا عن الانتخابات سبعون يوماً فقط، ونحن نؤكد على حقيقتين:

الحقيقة الأولى: أن الانتخابات هي روح الديمقراطية في العراق الجديد، وأي عبث بها هو عبث بهذه الروح وما سينتج عن هذا العبث من تداعيات، فلنحرص جميعاً على الحفاظ على روح الديمقراطية في العراق وتدعيمها وتقويتها وترسيخها في الذهن العراقية السياسية والمجتمعية.

الحقيقة الثانية: أن الممارسات التي ترافق عادة الحملات الانتخابية يجب أن تكون وتبقى ممارسات منضبطة وأخلاقية، لأنها ستعبر عن طبيعة من يمارسها، والتسقيط السياسي والاجتماعي والشخصي لا يعتبر أسلوباً رخيصاً فحسب وإنما هو أسلوب منحرف، فكيف يأتمن الناس على مصيرهم تياراً أو حزباً أو جهة تستخدم أساليب منحرفة للوصول إلى السلطة التشريعية التي تمثل الدرع الأول للدفاع عن الوطن والمواطن وحماية الحقوق وتثبيت الواجبات. إن على الجميع أن يدرك أن الذين يستخدمون الأساليب المنحرفة ويعتمدون التسقيط والتجريح لا يمتلكون مشروعاً ولا يمثلون رؤية ولا يعبرون عن فكر.

نحن نتمسك بمشروعنا ونوضح ونشرح مواقفنا ونتقدم إلى الأمام ونسير بعزم



وثبات، ولا يشيننا تجريح هنا أو تسقيط هناك، وإن الشعب العراقي لن تنطلي عليه مثل هذه المحاولات البائسة وسيتعامل بوعي متزايد تجاه خلط الأوراق، وكذلك نحن نمتلك من الأدوات ما يكفي لرد الإساءات وردع التجاوزات وحماية مشروعنا ووطننا من المرجفين والأدعياء ضمن إطار القانون ومعاييرنا الشرعية والأخلاقية والوطنية.

هذا الوطن باقٍ منذ آلاف السنين، ولا يحفظ في ذاكرته إلا من يستحقون الذكرى من الذين تركوا بصماتهم الواضحة وآثارهم الناصعة على أرضه وبنوا الإنسان وسانوا الكرامات وعمرروا المشاريع، فلا تأخذنا الانتخابات إلى ما هو أبعد منها، ولا تدخلنا في أنفاق مظلمة قد يصعب الخروج منها.

فليتنافس المتنافسون على أساس المشروع والرؤية والطريق نحو المستقبل، وليس على أساس التجريح والتسقيط والابتزاز السياسي وارتهان مقدرات الدولة والوطن والمواطن.

### بناء مؤسسة الجيش

في محور بناء المؤسسات، فإن مؤسسة الجيش هي السور المنيع للدول المتحضرة، وهي الحصن القوي للدول الحرة، وجيش العراق ليس استثناء من هذا التعريف، وعلينا أن نتمسك بوطنية الجيش وأن يكون ملكاً للعراق كله وليس لطائفة أو حزب أو جهة أو شخص، فإذا ما ضاعت هوية الجيش فستضيع معها هوية الدولة والوطن.

إن الماضي القريب يخبرنا عن قصة اختزال الدكتاتور للجيش بشخصه، وكيف كان لهذا الاختزال نتائج كارثية على الجيش وعلى الوطن والمواطن، فيجب تحصين الجيش وحمايته من التدخلات السياسية، وأن تكون هويته الواضحة هي هوية الوطن ككل، لكي يبقى بعيداً عن التسييس والاستغلال الفئوي، إن التهاون في بناء مؤسسة الجيش يعتبر خطيئة لا تغتفر في بناء الدولة وحماية الوطن.

وأناشد الحكومة الموقرة أن تسعى بقوة إلى إعادة رسم السياسة التسليحية والتدريبية للجيش، وأن تحرص على أن يكون مواكباً للتطور الذي تشهده جيوش المنطقة والعالم، ولا سيما أننا في حرب مفتوحة مع الإرهاب، وأن تصاغ عقيدة الجيش بشكل واضح، وأن تحدد بالدفاع عن الوطن وحماية جميع العراقيين والابتعاد عن التدخلات السياسية.

إننا نعتز ونتمسك بجيشنا وبقواتنا المسلحة، ونطمح إلى أن ترتقي من حيث التسليح

والتدريب ، والأهم هو أن ترتقي بفكرها العقيدي الوطني ، وأن تكون مؤسسة قوية وقادرة على العمل والحركة تحت سقف الدستور وبغطاء الشرعية ، وأن تكون مسؤولة عن أداؤها وقراراتها ، وأن تتبعد عن التدخلات السياسية والاستغلال السياسي ، فالسياسة رمال متحركة والجيش مؤسسة ثابتة بثبات الوطن وقوة الدولة ، ويجب ألا ينجر الثابت إلى قوانين المتحرك .

### مبادرة ((أنبارنا الصامدة))

في محور (أنبارنا الصامدة) ، نقول اليوم ومن هذا المنبر؛ لقد انتصرت أنبارنا الصامدة على الإرهاب والتكفير والانحراف والتشويه والتحريف .

عندما قلنا ((أنبارنا الصامدة)) كنا نعي ما نقول ، فللصمود عناوين متعددة وستبقى الأنبار صامدة بكل هذه العناوين ، لقد أرادت داعش أن تختطف الأنبار ، وأراد الإرهاب أن يحولها إلى قاعدة له ، وأراد الانتهازيون أن يتاجروا بها ، ولكنها صمدت وأثبتت عراقيتها وعراقتها وانتصرت لنفسها ولعراقيتها ، فانتصرت أنبارنا الصامدة على جميع المزايدات والتشويه والتحريف واللعب على المتناقضات ، وعلينا أن نكون حريصين وحذرين في التعامل مع الوضع الهش في الأنبار ، من خلال تدعيم الحلول عن طريق تحشيد الجهد الوطني بصورة استثنائية ، ومن هذا المنبر أدعو القيادات العراقية الوطنية والحريصة إلى الاجتماع لتحديد أطر التحشيد الوطني لتدعيم مبادرات وخطط الحل في الأنبار ، فلا أحادية في المواجهة ولا أحادية في الحل .

لقد أثبتت تجارب الماضي وستبقى الوقائع تثبت لنا أن القرارات الفردية ليست إلا وسيلة للتراجع إلى الوراء ، وأن القرارات المشتركة والجماعية هي الوسيلة الوحيدة لضمان التقدم إلى الأمام .

إن حربنا مع الإرهاب حرب مفتوحة وشاملة ، وعليه يجب أن تكون خطواتنا ومواجهتنا وحولنا شاملة أيضاً ، وعقولنا وقلوبنا مفتوحة لجميع ممثلي هذا الوطن كي نتشارك في رسم خارطة الطريق إلى المستقبل ، .

ندعو الله أن تبقى أنبارنا صامدة بوجه الإرهاب والتكفير والفكر المنحرف ، وأن تبقى عراقية خالصة ووفية لهذا الوطن .

الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٠١٤/٢/٢٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ، سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم الأخوات الفاضلات ، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا ، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم .

النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

((فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وَزِينُ الْوَلَاةِ وَعِزُّ الدِّينِ وَسُبُلُ الْأَمْنِ))

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن موضوعة الطبقية في الإسلام ، وذكرنا أن الطبقية في رؤية الإسلام تشكيل مهني إنساني ، وتحدثنا عن العلاقة بين الطبقات ، ووقفنا عند قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ ، «فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاية وعز الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية إلا بهم» ، هنا ذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ موقع القوات المسلحة في المجتمع ، ودور هذه القوات ، فهم جند الله وبإذن الله ، وحركتهم وبوصلتهم وإطار نشاطهم هو الأمانة الإلهية والإذن الإلهي والرعاية الإلهية ، وقلنا إن القوات المسلحة نتيجة السلاح والقوة والسطوة إذا لم تحكمها عقيدة عسكرية صحيحة ، وقيم أخلاقية صحيحة ، وبوصلة صحيحة ، وإطار ومعايير وضوابط ومحددات صحيحة ، فيمكن أن يشذوا عن الطريق ويتحولوا إلى أداة للفتك والإساءة والعدوان والتجاوز وهتك الحرمات وإراقة الدماء إلى غير ذلك مما نجده في جيوش الظلمة والطغاة .

لذلك فالجنود بإذن الله ، وهنا يبين موقع القوة العسكرية وأنه خاضع للمعايير الإلهية وللمعايير والمنظومة الأخلاقية ، ثم ينتقل أمير المؤمنين للحديث عن دور

القوات المسلحة؛ فهم حصون الرعية، فالجند يمثلون الدرع الحصين وسور الوطن والمواطن، وزين الولاية، فإن قوة عسكرية منضبطة تدافع عن الناس وتقيم العدل وتبسط الأمن وتشيع الاستقرار، هذه القوة تدفع بالخير إلى قائدها، فالحاكم الذي يوظف قواته المسلحة توظيفاً صحيحاً في إحلال الأمن والسلام وإشاعة التعايش بين الناس فتتحول إلى ركيزة وعنصر استقرار في المجتمع، هذا الحاكم تحبه الناس وتقدره وتثق به، فيتحول الجيش بحسن أدائه ليكون زينا لأولئك الحكام والولاية؛ «وزين الولاية وعز الدين»، فإن قوة مسلحة منضبطة تعطي فرصة وتوفر مناخا للحريات والتعبير عن الرأي، ولإقامة الشعائر الدينية لجميع الناس على اختلاف مذاهبهم وأديانهم، وكل يمارس طقوسه ويعبر عن عقيدته، فيكون فيها قوة وعز للدين، وقلنا إن عز الدين يراد به عز المتدينين، فالدين قوته ليست بفرض السلاح بل بقوانينه وأحكامه وسننه، فالدين قوته من نفسه وليست بالفرض عن طريق القوة، فعز المتدينين إنما يكون بمثل هذه القوة المسلحة التي تتحرك وتضبط الأمور وتحقق الحريات.

### سبل الأمن

انتهينا إلى هذه الصفة والدور من أدوار القوات المسلحة، والناس بطبيعتها، كظاهرة وليس كأفراد، إذا لم تر قوة تنفلت، واليوم نرى الدول المستقرة المنضبطة الآمنة إذا اختلت أوضاعها الأمنية وحدث انهيار في الجيش، فجأة يظهر سراق ومعتدون، ويظهر أناس يهجمون على المحال التجارية إلى غير ذلك، فالقوات المسلحة هي التي تحفظ الأمن وتنظم المجتمع، وهي طريقة لتحقيق الأمن ويشعر الجميع بالهيبة أمامها وليس بإمكانه أن يُسيء ويعتدي، وإلا في جميع المجتمعات والشعوب هناك نسبة من الناس غير منضبتين ولا تحكّمهم أخلاق ويحتاجون إلى أن يروا القوة لينضبتوا، وإذا زالت القوة تظهر ظواهر السرقة والاعتداء والتجاوز على الآخرين إلى غير ذلك، لذلك فالقوات المسلحة هي الآلية الطبيعية لتحقيق الأمن، ولتحقيق السلم في المجتمع، وإذا ضعفت تظهر التنوّات والشواذ والعصابات والمافيات والمجموعات المسلحة التي تفتك بالناس وتبتش بهم.

### الحرب الاستباقية من وسائل الدفاع

نلاحظ على نحو المثال أن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بعد أن عاد من قتال الخوارج في النهروان كان يرى أن الفتنة قادمة من الجيش (جيش معاوية آنذاك)، فطلب من الناس أن يهبوا لقتال القاسطين ويستعدوا للمنازلة ويقطعوا الطريق على الاعتداءات،

لكن الناس لم تكن مهياًة لهذه الحرب ولم تستجب فحصل ضعف ووهن ، ووصل الخبر إلى جيش الشام أن جيش العراق ، غير مستعد للقتال في هذه المرحلة فوجدوا فيها فرصة وثغرة لينهالوا على العراق وعلى المحافظات الغربية من العراق آنذاك .

فبدأت عملية الغارات ، وبدأت المجموعات المسلحة تغيير على الأنبار ، وما أشبه اليوم بالأمس ، كان جيش الشام يغير على أبناء الأنبار وعلى العشائر الكريمة في الأنبار في تلك المرحلة ، والقوة القتالية كانت محدودة ، فالجيش يتمركز في المركز والأطراف تكون فيها قوات قليلة ، والخطة التي وضعها علي عليه السلام في حرب استباقية يُحصّن فيها البلاد ويضع حدًا للعدوان وتجاوز المتجاوزين والمعتدين ، لم تلق صدى لدى الجيش ، ولم تحظ بالاستجابة ، والناس لم تخرج لتدافع ، فكان أن بدأ جيش الشام بالإغارة على الأنبار والاعتداء عليها .

وكان يقود هذه الفلول والمجموعات (سفيان بن عوف الغامدي) ، وكان قائد الجيش بالأنبار (حسان بن حسان البكري) فقتله سفيان مع عدد من أفراد القوات المسلحة الحاضرة في الأنبار آنذاك ، وبدأ يتعرض إلى العوائل والأسر من المسلمين وغير المسلمين ، ووصل الخبر إلى علي عليه السلام ، أن مجموعات مسلحة تغيير على الأنبار وتعتدي على الناس وتسيء إليهم ، وتعتدي على النساء وتسرق الذهب بالقوة منهنّ ؛ القلادة وغيرها مما تلبسه وتزين به النساء ، فأصيب الإمام عليه السلام بألم شديد ، حتى يقال إن عليا لم يستطع أن يقف على رجليه من شدة الألم ، فكتب خطبة وسلمها لمولاه سعد حتى يلقيها ، لأن علياً عليه السلام لم يكن قادراً على أن يقف على رجليه من شدة الحزن والألم ؛ كيف يمكن أن تكون أمور البلاد بهذه الطريقة ، مجموعات مسلحة تعتدي على الناس وتفتك بهم؟ .

«ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا»

لاحظوا قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة ، هذه المقتطفات : «ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم» ، لا تقولوا لماذا حصلت الغارات ، فأنا طلبت منكم حرباً استباقية ، وطلبت منكم أن نخرج لنواجههم في مقارهم ، لنضربهم في الصحراء حيث معسكراتهم ، وألا سيغيرون ويدخلون إلى مدننا . . إذا لم تقا تل الإرهابين في الصحاري وفي مقارهم وفي معسكراتهم فيجب أن تستعد لأن تقا تلهم في الأزقة والأحياء وفي كل مكان ، هذه هي المعادلة .

«ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً»، بذلت كل جهدي لإقناعكم بقتالهم في مقارهم ومراكزهم، حيثما يتواجدون حتى لا يمتدوا إلى المدن ولا يسيئوا إلى المواطنين، «وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم»، قوموا بمبادرة استباقية، «فو الله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا»، عندما تكون المبادرة بيد الإرهاب وبيد المسلحين وبيد المعتدين، فإنهم سيسيئون إلى الناس في الأحياء والأرقة والشوارع، وفي كل مكان، وهذا يؤدي إلى الشعور بالضعف والذل والمهانة أمام هؤلاء وتكون المبادرة بأيديهم وليست بأيدي الناس، فتصبح المناطق غير آمنة، «فتواكلتم»، كل واحد يرميها على الآخر ويقول ليخرج غيري، «وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات»، حتى وصل الأمر إلى أن المعتدي يتجراً ويدخل مدنكم ويغير عليكم ويسبي إليكم، ويعتدي على نسائكم وأطفالكم وبيوتكم، «وملكت عليكم الأوطان»، الوطن أصبح غير آمن ومُعتدى عليه.

«وهذا أخو غامد»، في إشارة إلى الغامدي الذي كان يقود هذه الغارات من جيش الشام، «وقد وردت خيله الأنبار»، دخل بخيله، وسياراته ومجاميعه، إلى الأنبار، «وقد قتل حسان بن حسان البكري»، قائد الجيش في الأنبار الذي وضعه علي عليه السلام، سبحانه الله، عندما كنت أقرأ هذه الخطبة رأيت كم هو شبه كبير، فداعش تأتي من الشام إلى الأنبار وتقتل قائد الجيش في الأنبار الشهيد (محمد الكروي) وتعتدي على الناس، وما أشبه اليوم بالبارحة وتكرر نفس الصورة ونفس المشهد، «وأزال خيلكم عن مسالحها»، عندما أتوا واحتلوا منافذ الطرق وأزالوكم عنها وصارت الطرق بأيديهم، وصارت المنافذ الحدودية بأيديهم، وصار عددهم أكبر وأكثر تأثيراً، فأصبحوا يدخلون ويخرجون ولا تستطيعون أن تقفوا أمامهم، وتحذوا من حركتهم.

«ولقد بلغني أن الرجل منهم (المعتدين) كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة»، أمير المؤمنين يتألم من الاعتداء على المرأة المعاهدة الزميمة، أي غير المسلمة، كما يتألم من الاعتداء على المرأة المسلمة، فيحزن لما يصيب الإنسان مهما كان دينه، «فينتزع حجلها (خلخالها) وقلبها (سوارها) وقلاندها ورعاثها»، أقراطها ينتزعها من أذنيها.

يا علي؛ هذا ما سمعت به ولم تستطع أن تقف على رجلك، فماذا تفعل لو كنت في زماننا وسمعت بجهاد المناكحة الذي يُعتدى فيه على أعراض المسلمين، وتؤخذ بنات الناس ويُعتدى عليهن تحت هذه العناوين الضالة المضلة؟ . . . ولو رأيت كيف تُقطع أشلاء الناس في قارعة الطريق، كباراً وصغاراً، نساءً ورجالاً وأطفالاً؟ . . . ولو رأيت ما يجري اليوم في الأنبار وفي المحافظات العراقية الأخرى، فما يكون حالك يا علي؟ .

يدخل الجنود المسلحون المعتدون ويأخذون الحجل ويتزعمون السوار والأقراط من النساء، وعلي عَيْبَةَ السَّلَامِ لم يستطع أن يقف على رجليه من شدة الحزن والألم، إنا لله وإنا إليه راجعون، «ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام»، هذه المرأة ليست لديها طريقة لاستعادة حقها إلا أن تبكي وترجو هؤلاء المجرمين أن يعيدوا لها خلخالها وسوارها وما إلى ذلك، «ثم انصرفوا وافرین»، رجعوا بدون أن يتعرضوا إلى أي مواجهة وأي دفاع من الناس بكامل عددهم، سرقوا ونهبوا ورجعوا وافرین بكامل العدد، «ما نال رجلا منهم كلم»، لم ينل أحدا منهم جرح «ولا أريق لهم دم، فلو أن أمراً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً»، لو أن الإنسان الذي يُعتدى على مواطنيه وتُنزع الحلي من نسائه بالقوة ثم يخرج المعتدي ويعود إلى أهله سالماً، هذا الإنسان لو مات أسفاً من هذا، فإنه غير معتوب عليه، فما الحال اليوم والصورة الموجودة اليوم ألف ضعف من السابق، فلو كان الإنسان غير ملوم على موته في السابق، فكيف الحال اليوم؟! . . . «بل كان به عندي جديراً»<sup>(١٦)</sup>، يقال إن هذا كان شريفاً نبيلاً لم يتحمل هذه الظلامة وهذا الاعتداء على شعبه ومات من الألم .

إذن، فالقوات المسلحة توفر سبل الأمن والمناخ الآمن الذي يمكن أن يحقق للناس جميعاً الطمأنينة والسكينة ويوفر لهم فرص العيش الكريم والرغد، «وليس تقوم الرعاية إلا بهم»، وبذلك يتبين أن الرعاية لا تستقر ولا تهدأ ولا تهناً ولا تعيش حياتها إلا بوجود قوة عسكرية مسلحة منضبطة حامية للوطن والمواطن مدافعة عن المواطنين غير معتدية عليهم، تكون شوكة في عيون الأعداء، ولكنها تكون بلسماً على جراح المواطنين ومبعث اطمئنان وراحة لهم، هذه هي السمة التي يرسمها علي عَيْبَةَ السَّلَامِ، وهذا هو الدور الذي تفي به القوات المسلحة، ولا تقوم الرعاية إلا بهم. نسأل الله أن يجعل قواتنا المسلحة بهذا الانضباط والمبدئية، وهذا الاستحضار لمصلحة الوطن والمواطن بكل ما يبذلونه من جهد كريم في هذا السياق .

### المشكلة الأمنية لا تُحل بالنفي والإنكار

تلقينا بألم وأسف شديدين التفجيرات الإرهابية في الكرادة وعدد من المناطق الأخرى في بغداد وديالى وبابل وغيرها، إذ سقط على إثرها العشرات من الشهداء والجرحى، ويستمر مسلسل القتل اليومي للمواطنين الأبرياء على مرأى ومسمع من الجميع .

إننا لا نريد الظهور بمظهر من يؤشر على السلبيات ويتغاضى عن الإيجابيات، إلا أن

الأحداث تفرض نفسها على الجميع ، وتحملهم المسؤولية تجاه ما يواجهه هذا الوطن العزيز من تحديات .

قلنا سابقاً ونكررها اليوم ؛ إن معركتنا مع الإرهاب مستمرة ومفتوحة ولا تهاون أو تقاعس فيها ، وهي معركة ننف فيها جميعاً في خندق واحد ، وإن الإرهاب كأفعى خطيرة ومراوغة تحاول البحث عن كل نقطة ضعف لتنفذ من خلالها إلى داخل البيت العراقي ، وما حدث في قضاء المسيب أخيراً من تسلل إرهابي هو نموذج من المحاذير التي طالما كنا نحذّر من التهاون فيها ، إذ تم التعامل معها بنوع من «الإنكار» ، و«النفى» و«التكذيب» . وصار السؤال هل سيطر إرهابيو داعش على المسيب أو لا ، بدلاً من أن يكون السؤال كيف يمكن تلافي الأخطاء التي قادت إلى سقوط المسيب تحت رحمة داعش؟ ، لا سيّما أننا لا نتحدث عن منطقة نائية في الصحراء ، ولا عن مدينة على الحدود ، بل عن المسيب التي تتوسط المسافة بين بابل وكربلاء ، وتعدّ من المفاصل الأساسية في الربط بين مدن وسط وجنوب العراق .

إن ظهور تنظيم داعش في المسيب بصرف النظر عن طريقة هذا الظهور أو الأسلوب الذي تم فيه ، أو المدة التي تواجد فيها ، يشير إلى أن حزام بغداد ، وهو من المناطق الأمنية الهشة ، يشهد تراخياً أمنياً شجع الإرهابيين على محاولة التمدد بجميع الاتجاهات .

إن تنظيم «داعش» الإرهابي ، يسعى إلى توسيع دائرة المعارك في الأنبار وتحويلها إلى حرب طائفية تشمل مناطق حزام بغداد ومحافظات ديالى وصلاح الدين وكركوك ونينوى ، وهو إذ يستخدم أسلوب المواجهة المباشرة في الأنبار ، فإنه يختار طريقة الكر والفر والمشاغلة في المناطق الأخرى .

إن توسيع قاعدة الأزمة في الأنبار ، والتباطؤ في إطفاء لهيب النار ، وعدم إشراك الجميع في تحمل مسؤولية القضاء على الإرهاب ، ستؤدي إلى منح «داعش» الوقت والإمكانات والظروف الملائمة لتحقيق أهدافه المبيتة بعزل جنوب العراق عن وسطه وشماله بأحزمة نارية ، وأي خلل في توزيع القوات المسلحة ، وخطط انتشار الجيش وحرمة القوى الأمنية ومناطق تمركزها ، سيعني فتح المزيد من الثغرات في الجدار الأمني .

إن قضية الأمن ليست موضع جدل وتنازع واختلاف ، فنحن نعيش في داخل أزمة أمنية مستمرة منذ سنوات ، وشعبنا يتعرض لعملية إبادة جماعية شرسة وممنهجة



تُستخدم فيها أشد الاساليب فتكًا وايداءً. ونواجه تحديات كبيرة لحفظ حياة أبنائنا ومستقبلهم، والدفاع عن حقنا في وطن يعيش الجميع تحت سقفه بأمن ورخاء واستقرار.

ولهذا نضع الملف الأمني في مقدمة الأولويات، ونعتقد بأنه لا أمن من دون مراجعة دقيقة وشاملة لكل مكامن الخلل الأمني، وقد أشرنا إلى رؤيتنا حول بنية وهيكلية وطريقة أداء المؤسسات الأمنية والعسكرية، مما يساعدها على حماية الشعب والقضاء على الإرهاب.

لكن علينا أن نصارح بعضنا ونصارح شعبنا، بأن الأمن في كل بلدان العالم يُبنى على أساس الإستراتيجيات وليس ردود الأفعال، وأن مكافحة الإرهاب والتصدي لتمدده يتمان عبر آليات عمل طويلة المدى وحلول شاملة تحمل أبعادًا اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية وتنموية بالإضافة إلى البعد العسكري والأمني.

#### فرصة لإعادة قراءة المشهد

نتمنى أن تكون أحداث شمال بابل والمسيب وديالى مؤثرًا لتدارك الهفوات والأخطاء، ومناسبة للمراجعة والبدء في التأسيس لإستراتيجية أمنية دائمة تقوم على أسس رصينة، تضع في أولوياتها إشراك الجميع في مهمة الحرب على الإرهاب، وتهيئة المناخ المناسب للتعاقد والتكاتف الاجتماعي والسياسي أمام هذا الخطر الداهم، وترحيل الخلافات والوقوف وقفة فريق واحد في هذه المواجهة.

فلا مساومة أو تراخي أو تهاون في الحرب على الإرهاب، ولكن علينا أن نتذكر أن هذه الحرب لم تبدأ اليوم، وإنما هي مستمرة منذ أكثر من عشر سنوات، ومن الضروري فرز الأطراف التي تقف بوجه الإرهاب، وهي كثيرة وواسعة، عن الأطراف التي تساند الإرهاب وتدعمه، لعزلها وإبعادها. إننا نجدد الإشادة بالدور الكبير والمهم لقواتنا الباسلة في مقارعة الإرهاب والتصدي له.

وقد دعونا في الأسبوع المنصرم القيادات الوطنية العراقية إلى الاجتماع لتحديد أطر التحشيد الوطني لتدعيم مبادرات وخطط الحل في الأنبار، وأكدنا أن طريق الحل ليس أحاديًا وإنما يجب أن يكون ثمرة تكاتف الجميع، وأن مبادرة «أنبارنا الصامدة»، هي كغيرها من المبادرات، بوابات لوضع جميع الجهود في مسار واحد.

واليوم نجدد هذه الدعوة، ونؤكد أن العراق يحتاج إلى وقفة موحدة لدحر الإرهاب،

وأن توحيد الجهود وتجاوز الخلافات مسؤولية وطنية وتاريخية، والأهم أن الفرص ما زالت متاحة لتتوحد جميعاً حول هدف واحد، ومعنا أهلنا في الأنبار والبصرة والموصل والنجف وكرديستان وكل مدن العراق، ليجد الإرهابيون أنفسهم كما هم دائماً بلا جذور في هذه الأرض الطيبة التي لا يمكن لغرس خبيث أن ينبت فيها طويلاً.

إن علينا تحديد الإرهاب بوصفه وصفته، وتجنب التعميم وتوسيع دوائر الاتهام والاستهداف، ومد اليد لكل من يجتمع معنا على مهمة محاربة الإرهاب، وإن كانت لديه تصورات هنا أو مطالب ومثالب هناك. كما تتحمل القوى السياسية مسؤوليتها بشكل واضح وجلي أمام الشعب في تحديد موقفها من الإرهاب والإرهابيين، إذ إن القوى الإرهابية تستهدف المشروع الوطني برمته ولا تميز بين طرف وآخر.

### البطاقة الإلكترونية والانتخابات

منذ مدة بدأ توزيع البطاقة الإلكترونية الانتخابية، وهي خطوة متقدمة في تسجيل المواطنين وتهيئتهم للانتخابات، كما إنها تمثل دخول الانتخابات إلى الفضاء الإلكتروني من حيث سهولة التعرف على الناخب وتقليل حالات التزوير واستخراج معلومات إحصائية متنوعة ومتعددة من خلال التعامل مع البيانات الموجودة في هذه البطاقة.

وعلى كل ناخب عراقي أن يحصل على البطاقة الإلكترونية؛ لأنه بدونها لا يمكنه أن يشارك في الانتخابات، فالبطاقة هي الصوت الانتخابي، وبدونها لا يُسمح للمواطن بالتصويت في الانتخابات، فالواجب أن يقوم الجميع باستلامها، وأن يكون الحرص على الحصول عليها كالحرص على الحصول على إحدى الوثائق الثبوتية كالجنسية وشهادة الجنسية، فمثلما تثبت الجنسية عراقيتك، فالبطاقة الإلكترونية تثبت حقك في التصويت والانتخاب والمشاركة في صنع القرار، وهناك من المواطنين من لا يسعى للمشاركة في الانتخابات تحت أعدار مختلفة وبعضها واهية، مثل «لماذا نشارك، وماذا نستطيع أن نفعل؟» أو «انتخبنا أو لم ننتخب فالنتيجة معروفة» أو «نحن بأي حال لكي ننتخب» أو «كلهم نفس الشيء سواء انتخبنا أو لم نفعل». . . . وغيرها من الأعدار والمبررات التي تصدر من الإنسان السلبي والمستعد للتنازل عن حقه، الذي يكتفي بانتقاد الآخرين وانتقاد الظروف، فيما أن الحقيقة هي انه بغيا به يتسبب بهذه الظروف.

فالبطاقة الإلكترونية هي البوابة التي ندخل منها جميعاً لنكون شركاء في القرار ونحدد

مستقبل أبنائنا ومستقبل وطننا . وهناك مسموعات تتحدث عن قيام البعض بشراء هذه البطاقة من الناس ، وهنا نقول إن الحصول على البطاقة من قبل الجميع سوف يقطع الطريق على المتلاعبين والمزورين والمرشّين ، فما قيمة بضعة آلاف حين يكون الموج الانتخابي مكوناً من ملايين ، ومع ذلك على المفوضية العليا المستقلة للانتخابات أن تراقب وترصد وتتأكد من هذه الحالات ، ويبقى أصل الموضوع هو استلامك للبطاقة الإلكترونية ؛ لأنّها مفتاحك للمشاركة في القرار ، وبعكسها تصبح فاقداً لأهليّة المشاركة في القرار وخارج دائرة القرار .

### قوانين لمعالجة الفقر

لقد تُوجت جهود كتلة المواطن والكتل النيابية الأخرى بإقرار قانونين أساسيين يصبان في مصلحة المواطن البسيط ويوفران الفرصة للابتعاد عن ظاهرة الفقر لجميع المواطنين ؛ هما قانون التقاعد الموحد الذي قدم دعماً مهماً لشريحة المتقاعدين الواسعة ، وسنستمر بجهودنا مع كافة القوى الوطنية الكريمة لمعالجة فقرة الامتيازات الخاصة بالمسؤولين عبر إعادة التصويت عليها في مجلس النواب أو الطعن بها في المحكمة الاتحادية ، والقانون الآخر هو قانون الحماية الاجتماعية الذي شمل قطاعات واسعة من فاقد المعيل والضعفاء من المواطنين ، وعلينا أن نركز على القانون الثالث المتبقي وهو قانون الضمان الاجتماعي الذي سيشمل القطاع الخاص أيضاً ، وإقرار هذه القوانين الثلاثة وتفعيلها يمكن القول إن المواطن العراقي سيغادر مستوى الفقر نهائياً ولا يكون عندنا فقير بحسب المعايير الدولية . لذا نهيب بالسادة والسيدات أعضاء مجلس النواب الذين صوتوا مشكورين على القانونين أن يواصلوا جهودهم في إصلاح قانون التقاعد وإقرار قانون الضمان الاجتماعي ليُسجل هذا الإنجاز الوطني الكبير لصالح هذه الدورة الانتخابية .

### الموازنة .. المشكلة المتجددة

في محور إقرار الموازنة ، فإننا نستغرب هذا التساهل والتجاهل الذي يحدث في عملية شبه سنوية في تأخير إقرار الموازنة الاتحادية ، مما يربك عمل الدولة ويعطل المشاريع ، ففي كل عام لدينا معركة مؤجلة اسمها إقرار الموازنة ، وتقريباً في كل عام نفس المحاور هي ذاتها تكون سبباً في هذه المعركة المالية ، بالإضافة إلى أسباب أخرى تطرأ في حينها ، واليوم نحن على مقربة من الشهر الثالث من العام وما زالت الموازنة لم تر النور .

وهذا الموضوع يثير الاستغراب والشك في نفس الوقت؛ فهل هو أمر مقصود؟ . .  
وإذا كان مقصوداً، ففي مصلحة من يصب هذا التأخير؟ . . وهل هو تعمد سياسي أو  
تقصير إداري أو سوء تخطيط؟ . . أو هو كل هذه الأمور مجتمعة أو غيرها؟ .

من حقنا كعراقيين أن نشير هذه التساؤلات، ومن حقنا أن نتساءل عن النوايا، لأنه ليس  
منطقياً ولا معقولاً أن تتكرر قصة الموازنة سنوياً وبهذا الشكل، وإذا كان هناك اختلاف  
على بعض الفقرات فلماذا لا يتم إقرار الموازنة في النقاط المتفق عليها وهي كثيرة،  
والاستمرار في المداولة والنقاش والمفاوضات بخصوص المواد المختلف عليها؟ .

صحيح أن الميزانية تصرف شهرياً على مبدأ (١٢/١) من موازنة السنة الماضية،  
ولكن هذا الصرف هو لتمشية الأمور التشغيلية والمشاريع المسجلة فعليا، وليس لإقرار  
مشاريع جديدة وهذا يعني أن عدم المصادقة على الموازنة ليس كارثة كما يصورها  
البعض، ولكنه يكشف عن سوء إدارة وتخطيط في عمل الأجهزة المختصة في الدولة،  
كما إن أماننا مشكلة العجز الكبير في الموازنة، وهو ما لم يناقش حتى الآن ولم تُعرف  
أسبابه الموجبة، إذن فالموازنة مليئة بالألغام ولم تُقر حتى الآن وهو شيء مؤسف ويجب  
أن يُحسم بأسرع وقت .

### استعادة دورنا الإقليمي والدولي

في محور العلاقات الدولية، فإن هذا الأسبوع كان عامراً بالأحداث وأهمها زيارة  
وزير الخارجية الروسي والصيني، وهي خطوة مهمة في الاتجاه الصحيح لوضع  
العراق على خارطة العلاقات الدولية الآنية والمستقبلية، وفي محور هذه الزيارة هناك  
اتجاهان مهمان، الاتجاه الأول؛ هو حق العراق في التسليح من أي جهة كانت، لأن  
تقوية الجيش وتسليحه خط أحمر وشأن داخلي وقرار سيادي ولا نقبل التدخل فيه أو  
التقرب منه، فكل دول العالم لديها خطط تسليحية وخطط لتتويع التسليح، إضافة إلى  
أن العراق في حرب مفتوحة مع الإرهاب في الوقت الحاضر، وهذه الحرب تتطلب أن  
يكون مستوى التسليح على درجة عالية من الكفاءة، لا سيما أن المسلحين قد حصلوا  
على أسلحة متطورة من الدول الغربية عندما أرسل السلاح لدعم الجيش السوري الحر  
الذي يقاتل النظام هناك، والأمور الآن في سوريا متداخلة ولا توجد حواجز حقيقية بين  
الجماعات المسلحة، فإن السلاح وصل وبكثرة إلى أيدي المجمع الإرهابية وعلى  
رأسها داعش والقاعدة. إذن فالتسليح الجيد لقواتنا المسلحة ضرورة وواجب، وتنويع

التسليح إستراتيجية يجب أن تُتبع وألا يبقى العراق أسيراً لتسليح محدد بجهة معينة قد تتباطأ أو تضع شروطاً غير مقبولة .

الاتجاه الثاني؛ أن روسيا والصين هما قطبان كبيران في عالمنا اليوم، والتعامل معهما بصورة واسعة وواضحة وعلى قواعد محددة يسمح للعراق بأخذ دوره الإقليمي والدولي، كما يسمح لهذه الدول بالإسهام في إعادة إعمار العراق اقتصادياً وعمراًياً وأمنياً .

إن العلاقات الدولية لا غنى عنها لتدعيم تجربة فنية كالتجربة العراقية، ويجب ألا تكون العلاقة محصورة في جانبها التسليحي، لأن السلاح مهما توافر ومهما تنوع فإنه لن يحل المشاكل بمفرده، فالسلاح يمثل وسيلة ردع واضحة، ولكن المشاكل المتداخلة لا يمكن حلها إلا بالحلول الشاملة والسياسية وليس عبر السلاح والحروب وحدها، وعليه يجب التركيز على بناء قواعد متينة مع روسيا والصين، وتشجيع هذه الدول على أخذ دورها في العراق الجديد ومساعدته في إعادة بناء البنية التحتية وإعادة تأهيل مؤسسات الدولة العراقية، كما يمكن لهذه العلاقات أن تسهم في رسم دور واضح وكبير للعراق إقليمياً، وفتح الباب على مصراعيه لدور دولي أكبر .

## الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٠١٤/٣/١٩

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إختوتي الأكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

### النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

((ثُمَّ لَا قَوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا أَصْلَحَهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وِرَاءِ حَاجَتِهِمْ.

ثُمَّ لَا قَوَامَ لَهُذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعَمَالِ وَالْكَتَّابِ، لِمَا يُحْكُمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمِنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِمَهَا)).

بعد أن تحدثنا عن الطبقة وشرحنا الطبقات التي يستعرضها أمير المؤمنين انتقلنا للحديث عن العلاقة بين الطبقات، وهنا يشرح الأمير عَلَيْهِ السَّلَامُ كيف هي هذه العلاقة التكاملية بين طبقات المجتمع، وبدأ أمير المؤمنين بذكر الطبقة الأولى، وهي طبقة الجند، أي القوات المسلحة، وذكر موقعها ثم ذكر دورها، وتحدثنا عن موقع القوات المسلحة في المجتمع، والآن ننتقل إلى موضوع مهم آخر يتمثل بالإيرادات ومصادر التمويل للقوات المسلحة في رؤية علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

## مصادر تمويل الجنود وموارد صرفها

يقول علي عَيْهَ التَّكَلَّمَ: «ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج»، المصادر المالية للقوات المسلحة هي الخراج، أي الضرائب التي يدفعها المواطنون للدولة، ومن هذه الضرائب يجب أن تُموَّل القوات المسلحة، ثم يشير إلى الموضوع الآخر والمهم وهو موارد الصرف للقوات المسلحة، فهذه الأموال ليست للسطوة وفرض الهيمنة، وليست للانتهازية أو الاستغلال، أو لبناء محاور استقطاب ومرتكزات قوة في داخل المجتمع.

### أولاً: مصادر التمويل

لاحظوا في هذه الرؤية حينما يكون مصدر التمويل هو الضرائب التي يدفعها المواطنون ماذا يعني؛ فإن فيها فائدة للمجتمع وللجيش، فالجيش مصدر تمويله الشعب، ولذلك ينظر الجيش إلى المواطنين، على أنهم ولي نعمته فيتحمل مسؤولية جهاده ويشعر بخفض الجناح تجاه الشعب، ولا يسلط قوته وسلاحه وتأثيره على الشعب، بل لحمايتهم ودفع الأعداء عنهم، وهذه لها تأثيرات نفسية كبيرة ولها أبعاد معنوية في نفسية الجيش حينما ينظر للمواطنين على أنهم مصدر تمويله ورزقه، فيشعر بوجود أن يعمل جاهداً مثل الموظف والعامل والأجير، والجيش يعمل لطمأننة ورضا الشعب وأن يبعث الاستقرار النفسي في نفوس أبناء الشعب.

وهذه فائدة مهمة وعظيمة حتى لا يتجبر الجيش ولا يستعلي ولا يسيء، فالنظرية الإسلامية لا تطلب من الجيش أن يتحمل هو توفير موارده المالية، لأنه قد يسيء استخدام القوة وقد يضغط على الناس حتى يحصل على الأموال وقد يقطع الطريق وقد يأخذ الرشاوى من ذوي الأموال ومن الميسورين وما إلى ذلك، وقد ينتهج نهجا آخر في الوصول إلى المال، وتصبح عنده امبراطورية اقتصادية مع السطوة بحكم السلاح والقوة، فيتحول إلى غول كبير لا يمكن السيطرة عليه، وإذا هو وفر أمواله ماذا تكون علاقته بالشعب؟ سينعزل وينفصل عن الشعب ويشعر بالاستقلالية والاستعلاء، بخلاف ما إذا كان تمويله من الشعب؛ فسيشعر بالمنة والفضل للشعب عليه.

إن هذه الآلية والوسيلة في التمويل واعتبار الشعب هو مصدر التمويل، توفر ضمناً حقيقياً في سلامة الأداء والالتزام بالواجبات المحددة، وتساعد القوات المسلحة على

تحقيق الأهداف المرجوة، وألا يخرجوا عن الطريق، فمصلحة الجيش تبقى مع الشعب وإلى الشعب.

### نجاح العمل مرتبط بتحقيق الأمن

الجانب الآخر إذا أردنا أن ننظر إلى القضية من زاوية الشعب وما هي فائدة الموضوع، فإن الفائدة هي إيجاد هذه الحالة التكاملية، فالمواطن إذا أراد أن يعمل مشروعاً زراعياً أو صناعياً أو تجارياً، وسواء كان يمارس أعمالاً حرة أو يعمل في الدولة، فإن نجاحه في العمل مرتبط بتحقيق الأمن والاستقرار والبيئة الآمنة لكي يستطيع أن يعمل، وإذا لم توجد بيئة آمنة فستوقف الصناعة والزراعة ومجمل القضايا الاقتصادية وجميع مرافق الحياة، فالحركة والنشاط والحيوية والعمل جميعها بحاجة إلى بيئة آمنة ومستقرة، والقوات المسلحة هي التي تصنع الأمن والاستقرار.

إذن، فالقوات المسلحة توفر الأمن لكي أستطيع أنا المواطن أن أعمل، وحينما أعمل عليّ أن أعطي ضرائب وأموال القوات المسلحة ليستمر الأمن واستطيع أن أعمل، والقوات المسلحة لديها دوافع كافية لتحقيق الأمن؛ لأنه بفقدان الأمن لا توجد مصالح وهو يعني أنه لا توجد ضرائب ومصدر تمويل للجنود وعوائلهم، وعليه يصبح نشاط القوات المسلحة قوياً ويجدون في تحقيق واجباتهم، وكلما أصبح الأمن أكثر زاد النشاط وأنتج المجتمع أموالاً إضافية وقدم ضرائب أكثر، وهذه علاقة تكاملية؛ الأمن مقابل العمل، والضرائب مقابل تحقيق الأمن والاستقرار، وهذه تجعل الطبقات الاجتماعية جميعها متماسكة ومتراصة ويحتاج بعضها إلى الآخر، هذا في مصدر التمويل وخلفيته وفلسفته بحسب الرؤية الإسلامية.

### ثانياً: موارد الصرف

المورد الأول/ «يقوون به في جهاد عدوهم»، المال يجب ألا يُصرف بطريقة عشوائية، وليس بطريقة ارتجالية، وليس بطريقة مزاجية، بل يجب أن يصرف في المهمة المحددة وهي تحقيق الأمن والاستقرار والوقوف بوجه الأعداء، فأى صرف وأي إنفاق يتعد عن الهدف يكون في غير محله وتكون هناك مساءلة ومؤاخذه عليه.

وترون في مؤسسات الدولة عندما يُوضع رقم معين في الموازنة لبناء مشروع، فالمسؤول في الحكومة ليس له الحق في أن يرفع هذه الأموال ويبني مشروعاً غيره، فهذا المال أقره مجلس النواب ليُصرف في المكان الفلاني، وأبواب الصرف والمناقلة



لها ضوابطها، والإسلام حدد مواضع الصرف في الواجب القتالي والأمني وما يتطلب، ويجب أن يُنفق المال في تحقيق ذلك، وتقوية بنية القوات المسلحة في مواجهة الأعداء؛ «يقوون به في جهاد عدوهم»، ولذلك فهذا المال لا يذهب إلى كبار الضباط، ولا يذهب إلى قضايا ثانوية ويبقى الجندي في ساحة المعركة متحيراً، فهذا المال يبعث العزيمة ويحقق الاستقرار النفسي لرجال الأمن في جميع مستوياتهم ومراتبهم، فالمال الأكبر يذهب إلى ساحة المعركة والتصدي، ولمن يقف بوجه الأعداء، هذا الذي يخدم وليس من يقف في الساحات الخلفية يبنى القصور.

يجب أن يُنفق المال بما يقوّي البنية الأمنية والدفاعية للقوات المسلحة، وهذا المال يوفر متطلبات المعركة، فلا يجد الجندي في ساحة المعركة نفسه بلا عتاد ولا دعم لوجستي ولا طعام، إذن، أين ذهبت الأموال؟ . . يجب أن تحدد موارد الإنفاق بما يصب بشكل مباشر في الأهداف المرجوة للقوات المسلحة، وتقوية الجندي في مواجهة العدو.

المورد الثاني/ «ويعتمدون عليه في ما يصلحهم»، ما يحتاجون إليه من طعام وميرة، ومن عتاد وسلاح، جميع هذا الدعم اللوجستي يجب أن يكون مورداً مباشراً للإنفاق بحسب المبالغ المرصودة للقوات المسلحة.

المورد الثالث/ «ويكون من وراء حاجتهم»، لا يجوز أن نغفل ونتناسى الحاجة الطبيعية لعنصر الأمن، من مرتباته إلى احتياجاته الأخرى إلى رعايته النفسية ورعاية عائلته، وهذا الذي جرح يجب أن نرعاه ومن استشهد يجب أن نرعى عائلته، وفي اليوم الذي يشعر فيه أبناؤنا في القوات المسلحة بالدعم المادي لهم ولعوائلهم، فسيذهبون إلى ساحة المعركة مطمئنين، ولا يقول أحدهم عندما أسقط في ساحة القتال ستبقى عائلتي بلا معيل، وسيمدون أيديهم للناس.

في النظرية الإسلامية يجب أن يُنفق المال لتوفير الاحتياجات الحقيقية والضرورية لأبناء القوات المسلحة، إذن فالتمويل لأصل المعركة والمهمة، وأدوات النجاح في هذه المعركة، ولأبناء القوات المسلحة في احتياجاتهم الخاصة، هذه هي موارد الصرف للأموال التي تحصل عليها القوات المسلحة من الضرائب التي يدفعها المواطنون.

## تكامل الأدوار في النظرية الإسلامية

«ثم لا قوام لهذين الصنفين»، صنف القوات المسلحة، وصنف المواطنين الذين يدفعون الضرائب، «لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث»، لا يستطيعون وحدهم أن ينجحوا في مهماتهم إلا بوجود الركن الثالث، الطبقة الثالثة، «من القضاة والعمال والكتاب»، ثلاث شرائح وثلاث مهمات، ودورهم مكمل، فوجود قوات مسلحة، ومواطنين يعملون ويوفرون مصالح لأنفسهم ويدفعون ضرائب لا يكفي لكي تنتظم العملية، بل يحتاجون إلى هذه المهمات الثلاث والأساسية.

«لما يحكمون من المعاهد»، القضاة لكي يضبطوا العقود، ويفصلوا في الاختلافات، وحينما تكون هناك التزامات بين المواطنين أو بين المواطن والدولة أو بين الدولة ودولة أخرى، فأين نذهب؟ . . بين الدول هناك محكمة لاهاي، وبين الموظف والدولة هناك المحكمة الإدارية، وهكذا المحكمة الجنائية . . فالقضاء هو الذي يحكم على أساس التعاقد الموجود بين الأطراف، فالقضاة دورهم ما يحكمون من المعاهد؛ أي العقود والالتزامات بين الناس والحكومة وبين حكومة وحكومة إلى غير ذلك.

«ويجمعون من المنافع»، فدور الموظفين العاملين في مؤسسة الجباية الحكومية، أن يتسلموا الضرائب، ويجمعوا المنافع. السياسة النقدية والسياسة المالية والسياسة الاقتصادية، ثلاثة أشياء يجب أن تتكامل حتى تنتظم الأمور العامة في المجتمع؛ كيف تُجَبى الأموال؟ وأين تُصرف؟ وما هي السياسات والآليات التي تكفل وتضمن صحة الصرف والإنفاق في هذه المجالات؟، «ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها»، يؤتمن الكتاب لتسجيل هذه الخواص؛ المفصلات الخاصة، لتوثيق العقود والاتفاقات والمواثيق والالتزامات البينية بين المواطنين، فإذا أراد مواطن أن يتكاتب مع مواطن آخر فهذا الكتاب بلا قيمة إلا إذا ذهب إلى دائرة تُشرف على هذا التعاقد وتضعه ضمن سياقات صحيحة. إذن، صلاح القوات المسلحة وتحقيق أهدافها منوطان بوجود هذه الضمانات لكي تتكامل المفصلات المطلوبة في أداء الواجبات.

## دور القضاء وصفاته

الجهاز القضائي العادل القوي النزيه والمستقل، هو الذي يستطيع أن يحمي القوات المسلحة ويحمي دافعي الضرائب والمواطنين في مهماتهم ويحمي جميع مرافق الحياة، لأن الاختلاف أمر طبيعي ودوماً هناك من ينقض العهود والمواثيق، ولا بُدَّ من

جهة محايدة مستقلة قوية نزيهة مؤتمنة يعود إليها الناس حينما يختلفون، فهي تنظر في القضايا وتتخذ الأحكام والمواقف وتصدر القرارات العادلة التي تضمن حقوق الجميع، وهذه توفر مناخ الاستقرار المعنوي في المجتمع، فالاستقرار الأمني واجب القوات المسلحة، والاستقرار النفسي المعنوي يصنعه الجهاز القضائي العادل، والمواطن يرفع رأسه حتى لو لم ينتم إلى جهة معينة، فيدخل مرفوع الرأس بقوة الحق الذي معه، فإذا كان الجهاز القضائي عادلاً فلا أحد يخاف مهما كان غريمه قوياً طالما كان على حق، فهو قوي بقوة الحق ويستطيع أن يغلب الآخر بالحق الذي يمتلكه، ولذلك نجد التأكيد الكبير في ثقافتنا الإسلامية على موضوعة القضاء ودور القاضي وحياديته وعدم تسييسه، إلى غير ذلك، فهناك تأكيد كبير في هذا المجال.

لاحظوا هذه الرواية الشريفة، عن أنس بن مالك، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لسان القاضي»، الذي ينطق بالحكم ويصدر الحكم، «لسان القاضي بين جمرتين من نار»، اللسان بين جمرتين من نار، «حتى يقضي بين الناس»، في موارد الاختلاف، «فإما إلى الجنة وإما إلى النار»<sup>(١٧)</sup> إذا كان عادلاً ومحايداً وحقانياً، وإذا كان لا يتأثر، ولا ينحاز لأسباب سياسية أو ضغوط مالية أو لأي اعتبارات اجتماعية أو ما شابه ذلك وينتصر للحق، فهذا إلى الجنة هنيئاً له؛ ويدخل الجنة من أوسع أبوابها، وإذا غلب الاعتبارات الأخرى، بحجة أن عليه ضغوطاً، فهذا ليس عذراً، بل هذا إلى النار كما يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

يقول علي عَليهِ السَّلَامُ: «أفضل الخلق أقضاهم بالحق»<sup>(١٨)</sup>، القاضي لا يحتمل أنصاف الصفات؛ إما ملك مقرب أو شيطان مرید، وإما في أعلى عليين أو أسفل السافلين، بقعر جهنم، ليس هناك حل وسط، «أفضل الخلق أقضاهم بالحق»، القاضي حينما يصدر أحكامه ويقضي بالعدل والإنصاف وينتصر للمظلوم ويحق الحق، فهذا أفضل الخلائق، يا قضاةنا الكرام، إذا كنتم على قدر المسؤولية وتقون وتقضون بالحق فهنيئاً لكم، ففي الدنيا والله الحمد لديكم رواتب جيدة أربعة أو خمسة ملايين غير الامتيازات، إما أن تقضي بالحق أو ترمي ورقتك وتخرج، وإذا كانت سلطت عليك ضغوط فاستقل واحفظ دنياك وآخرتك ولا تتورط في ورطة كبيرة، والضغوط ليست عذراً يوم القيامة ولا تشفع لك على الصراط.

١٧. وسائل الشيعة ٢٧: ٢١٤، باب ٢ من أبواب آداب القاضي، ح ٢.

١٨. غرر الحكم ١: ١٨٤، ح ٨٨. عيون الحكم والمواعظ: ١١٩.

## تكافؤ حقوق المواطنة

عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لعمر بن الخطاب: ثلاث إن حفظتهن وعملت بهن كفنك ما سواهن»، أيها الخليفة؛ هناك ثلاثة أشياء إذا عملت بها فلا تحتاج إلى شيء آخر وتستغني بها عما سواها، «وإن تركتهن لم ينفك شيء سواهن»، إذا تركتهن لم يفدك أي شيء آخر، قال الخليفة الثاني: «وما هنّ يا أبا الحسن؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إقامة الحدود على القريب والبعيد»، العقوبة ليست على المواطن البسيط فقط، والقانون يُطبق على الجميع، والعقوبات والحدود والتعزيرات يجب أن تكون لمن هو قريب منك ومن هو بعيد عنك وألا تفرق، «والحكم بكتاب الله في الرضا والسخط»، وليس كما يعجبني، فالآية القرآنية قالت هكذا، وإذا لم تعجبني أصرف النظر، «أَفْتُوْمُنُونَ بِنِعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ»<sup>(١٩)</sup>، في ما ترضاه تلتزم وفي ما لا ترضاه لا تلتزم، ليس القانون جميعه معك، والدستور ليس دائما لمصلحتك؛ لأنه ينظر لمصالح الجميع، ففي هذه لك وفي تلك عليك، فيجب أن تمضي في كل شيء إن كان لك أو عليك، في الرضا والسخط.

«والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود»، لا تفرّق بين الناس، ليحصل تكافؤ في حقوق المواطنة، فهذا أحمر، أي أبيض البشرة، وذاك أسود، وهذا من آل فلان وهذا من حزبي وذاك ليس من جماعتي وهذا من قوميتي وذاك ليس من قوميتي وذاك من مذهبي وهذا من منطقتي وجميع هذه الاعتبارات، دينية أو مذهبية أو سياسية أو مناطقية أو عشائرية، لا تدخلها في ما هو حق المواطنة.

إن كنت تريد أن تدفع من جيبك مساعدة، والأقربون أولى بالمعروف، فأعطها لجارك ولعشيرتك، أما في حق المواطنة فالأمور تخص الشعب وهذه ليست حقوقا للبعض دون البعض الآخر، وليس من الصحيح التمييز؛ أنت من الجماعة الفلانية فخذ التعيين، وأنت تنتخبني فهذه الاستمارة للتعين، وإذا لم تنتخبني فليس لك تعيين. . . هذه إمكانات الدولة ويجب أن تُنفق وتصرف بشكل متكافئ على المواطنين، وحقوق المواطنة يجب أن تكون متساوية، فيا مسؤول في الدولة أينما كنت؛ ليس لك حق أن تسأل المراجع أهو شيعي أم سني، مسلم أم مسيحي، عربي أم كردي، صابئي أم يزدي؟ . . فهذا مواطن يحمل جنسية العراق وله حق كامل في أن تقضي حاجته.

١٩. سورة البقرة: الآية ٨٥.

هذا منهج الإسلام؛ تكافؤ في حقوق المواطنة، قال عمر: «العمرى لقد أوجزت وأبلغت يا أبا الحسن»<sup>(٢٠)</sup>، لخصتها بالفعل، وهذا هو الإسلام؛ عدل ومساواة وإنصاف، ثلاثة أشياء تنظم العلاقة، وتطيب الخواطر، وتقوي النفوس، وتمنح الثقة، وتشعر الجميع بالإنصاف.

لاحظوا أي مشكلة في مجتمعاتنا، تجدوها ناتجة من عدم الأخذ بإحدى هذه التوصيات الثلاث، أن يحكم الإنسان بالعدل، وأن يقسم الحقوق بالعدل، وأن يقيم الحدود بالعدل، هذا هو المدخل الصحيح.

### ذكرى مأساة حلبجة

تمر علينا هذه الأيام الذكرى السادسة والعشرون لمأساة حلبجة، وبالتحديد في السادس عشر من آذار عام (١٩٨٨) قام الدكتاتور بقصف حلبجة بالأسلحة الكيميائية وكان الضحايا من الأبرياء بالآلاف.

إنه لمن المهم أن نتساءل؛ لماذا هذا الاهتمام بمأساة حلبجة، والدكتاتور قد ملاً أرض العراق بالمآسي ولم يخجل على أي جزء من هذا الوطن أو أي مكون من الشعب بجرائمه، ويكفي المقابر الجماعية شاهداً على إجرام ودموية الدكتاتور وأجهزته القمعية؟.

إن الجواب هو كون حلبجة تمثل أفضح فعل على قيام رئيس دولة بقتل أبناء شعبه بأسلوب الإبادة الجماعية، فحلبجة قُصفت بأسلحة كيميائية محرمة دولياً ولم تُقصف بأسلحة عسكرية اعتيادية، ونحن نعرف أن هذا السلاح قاتل وذاك السلاح قاتل، ولكن الفرق أن الأسلحة الكيميائية تقتل حتى البعيدين عن مواقع القصف والقتال، فهي تقتل الأطفال النائمين في أحضان أمهاتهم، وتقتل العوائل الراقدة في سكينه وأمان في بيوتها، ويتسرب تأثيرها القاتل عبر الهواء فيقتل الإنسان والحيوان على حد سواء، ويقتل الطفل والشيخ والرجل والمرأة، والمسلح والأعزل.

إنها إبادة جماعية يقوم بها رئيس دولة ضد شعبه، فأى وحشية وصل إليها ذلك الرئيس وأي هستيريا أوصلته إلى هذا المستوى من الانحدار!، الدكتاتور قد يستطيع تبرير قتل معارضيه ويدعي أنهم مسلحون ويقاومون حكمه، وقد يستطيع إنكار المقابر الجماعية ويدعي أنها ليست من عمله أو أنها مبالغ فيها، ولكن كيف يستطيع أن يبرر إبادة مدينة

٢٠. بحار الأنوار ٧٢: ٣٤٩، ح ٥٣.

بكمالها قصفها بأسلحة كيميائية؟ . . هذه البشاعة هي التي ميزت مأساة حلبجة عما سواها من مآسي الديكتاتور، وستبقى جرائمه جروحًا نازفة في ذاكرة العراق والعراقيين .  
الرحمة لشهداء حلبجة وشهداء العراق جميعا، وإلى مزبلة التاريخ جميع الطغاة الظالمين، وتبقى الشعوب حرة ويرحل الطغاة غير مأسوف عليهم تلاحقهم لعنة الله والتاريخ والشعوب .

### دور الجامعات في نهوض الوطن

في محور آخر، أود الحديث اليوم عن القيمة المعنوية والثقافية للجامعات ودور الطلبة في إنعاش الثقافة المجتمعية والنهوض بالوطن، وقد وردتني احتجاجات من بعض الطلبة على ممارسات في الجامعات تؤشر على تضيق الحريات الفكرية السياسية . ونحن في بلد من المفروض أن يكون ديمقراطيًا، ومؤشر الحريات الديمقراطية هو الجامعات، فإذا ما تم التضيق على الجامعات فهو يعني أن علينا إطلاق جرس الإنذار بخصوص الحريات السياسية .

إن الشعوب الحرة والناهضة تعتمد في انطلاقها على ما تنتجه جامعاتها وعلى ما يتم تداوله في هذه الجامعات من أفكار وأبحاث وتجارب، ولا يمكن لأي بلد أن ينهض وجامعاته مكبلة ومقيدة بممنوعات شخصية ومزاجية وبعيدة عن الممارسات الديمقراطية، وأن يتم منع الطلبة في إحدى كليات العلوم السياسية من تداول الأبحاث السياسية، فهو عملية مؤسفة ويجب تصحيحها .

ننبه الاساتذة والعمداء الذين يتخلون عن المعايير المهنية إلى أن الجامعات هي مستقبل هذا الوطن، وهي الأداة الفاعلة والمؤثرة للتغيير نحو الأفضل، وأن أي قمع للحريات الفكرية والسياسية للطلبة يمثل تجاوزًا على القيم الدستورية التي تحكم هذا البلد والقيم الديمقراطية التي نقاتل على ترسيخها في مجتمعنا وعراقنا الجديد، ويجب الالتزام بها تحت أي ظرف من الظروف .

### القضاء العادل أساس الديمقراطية

وفي محور ثالث، فإننا نؤكد على أهمية القضاء العادل القوي المستقل في دولة ديمقراطية، لأن أساس الديمقراطية والحكم الديمقراطي هو العدل والمساواة بين المواطنين، والوسيلة الأساسية لضمان العدل في الأنظمة الديمقراطية وجود القضاء

النزيه والعاقل والمستقل ، فإذا كنا نقول إن العدل أساس الملك ، فإن القضاء هو المدخل لتحقيق العدل ، ومن هذه البديهية تعمل الشعوب الواعية على تثبيت أنظمتها الدستورية على أساس الفصل بين السلطات واستقلالية القضاء .

لقد عانى العراق كثيرا في تاريخه الطويل من تسييس القضاء ، وعانى القضاء نفسه من تدخل السياسة والسياسيين في إجراءاته وقراراته ، وعلينا جميعا مسؤولية تاريخية تتمثل بالحفاظ على القضاء العراقي بعيداً عن التدخلات والتأثيرات ، وبعيدا عن المعارك السياسية الجانبية .

إن القضاء هو خط الدفاع الأخير لحماية الدولة ومؤسساتها وحماية الشعب ومنجزاته ، وإذا ما تم اختراق هذا الخط فإن جميع المفاصل الأخرى تكون عرضة للانهييار السريع وتصبح الدولة في مهب الريح .

ندعو الله أن يجنب القضاء العراقي المنعطفات الخطيرة ، وألا يُخضعه لتجارب مصيرية ، كما أدعو الجهاز القضائي في العراق ليكون واثقا من نفسه مقدرًا لواجباته ، وأن يعرف أننا جميعا معه وندافع عنه ، مثلما يدافع عنا وعن حقوقنا المشروعة .

وهي فرصة لنعبر فيها عن شكرنا وتقديرنا لجميع القضاة الشرفاء الذين ينتصرون للحقيقة ويدافعون عن الوطن والمواطن ، ويثابرون ويتحملون الأذى والتهديدات المختلفة .

### المواجهة العقلانية لواقع غير منطقي

في محور رابع ، ندرك جميعاً أن الظروف الداخلية والإقليمية هي ظروف أقل ما يقال عنها إنها غير منطقية ، وعندما تكون الظروف غير منطقية فعلى أن نستعد بإجراءات استثنائية ، هذه هي القاعدة التي تحكم العلاقة بين الواقع والاستعداد لحدوث الطوارئ .

فداخليا ، نحن نقرب من موعد انتخابات تكاد تكون مصيرية ، وهذه الانتخابات تأتي في ظروف داخلية غير مريحة ؛ من خلال تشابك العديد من الأزمات مع بعضها ، وفقدان الثقة البينية في مفاصل العملية السياسية ، ودخول الإرهاب على خط الأزمة كعامل ضاغط على الملفات الأخرى ، ومن الناحية الإقليمية فإن المنطقة تمر بمرحلة إعادة تشكيل ، مع وجود بوادر انفجار أزمات جديدة قريبة ؛ مثلما هو الحال في أوكرانيا وتأثيرها في الوضع في منطقتنا .

إذن ، فالواضح والمؤكد أن الظروف غير منطقية ، وعدم منطقيتها بسبب أنها لا

تخضع لحسابات العقل وأنها خارج نطاق التفكير الصحيح والمبرمج ، وعليه فإننا ندعو الجميع لتكون استعداداتنا استثنائية ، ومن هذه الاستثنائية التعامل بدرجة عالية من ضبط النفس في التعاطي مع الحملات الانتخابية ، كي لا تتحول الانتخابات الديمقراطية إلى محطة للتسقيط السياسي والأخلاقي ، وبالتالي نكون قد دخلنا في معركة كسر العظم التي لا ينفع معها أي علاج .

ومن الاستعدادات الاستثنائية ترقب تصعيد الإرهابيين لجرائمهم كي يعيقوا حدوث هذه الانتخابات ، لأنهم يدركون أن كل انتخابات هي تأكيد جديد على شرعية الدولة والعملية السياسية وهم يعادون هذه الشرعية ، فمن الطبيعي أن يكون استهدافهم للانتخابات كبيراً وأن تتوقع ارتفاع درجات الإرهاب والإجرام .

وكذلك ، فإننا قد نرى انهياراً أمنياً على مستوى المنطقة إذا ما حصلت تطورات في الوضع السوري ، أو انعكاسات الوضع في روسيا والأزمة الأوكرانية على الوضع السوري ، أو الوضع الإقليمي كله ، وعودة أجواء الحرب الباردة .

إن هناك الكثير من الأحداث المتوقعة ، ولكن الحدث الأهم والأكبر والمباشر هو الانتخابات البرلمانية التي تأتي بعد عقد من التغيير الشامل ، ودائماً ما تكون الانتخابات بعد عقد من التغيير الشامل مدعاة إلى تغيير نحو الأفضل ، يرسم ملامح المستقبل وخصوصاً للأعوام العشرة المقبلة .

### نحن أصحاب مشروع واضح

المحور الخامس ، هو مفهومنا للمشروع وللصعاب التي نتحملها في سبيل إنجاحه . إننا ووسط هذا التدافع الكبير على التفاصيل نجد أن الكثيرين نسوا أو تناسوا السبب الذي من أجله أصبحنا نعمل في الخدمة العامة من خلال الممارسة السياسية ، ونسوا أو تناسوا مسؤوليتنا الشرعية والأخلاقية والإنسانية في التعامل مع الأولويات المستحقة للوطن والمواطن ، والتزامنا تجاه الحاضر والمستقبل ، ومسؤولياتنا التاريخية .

إننا أصحاب مشروع ، ومشروعنا واضح وصريح ؛ وهو بناء دولة عصرية عادلة ومقتدرة ، وشعب حر وكريم وواع ، ووطن يحتضن أبناءه بعزة وكرامة ، مشروع ينتصر للمظلوم ويحاسب الظالم ، مشروع بناء أمة واعية من خلال بناء دولة مقتدرة وراشدة ، مشروع إنساني كبير من خلال بناء الإنسان واثق من نفسه معتر بدينه ووطنه وقيمه وتاريخه ، هذا هو مشروعنا الذي ضحينا من أجله بالغالي والنفيس ، وقدمنا



قوافل الشهداء وأُريقت في سبيله أنهار من الدماء، وفنيت أجساد خلف القضبان، هذا هو المشروع، فكيف نستغرق اليوم في التفاصيل إلى الدرجة التي تتناسى بها المشروع وكيفية وصولنا إلى ما وصلنا إليه؟.

ومن جهة أخرى؛ فإن الذين يدافعون عن المشروع سيكونون مستهدفين بكل تأكيد، لأن الرياح تعصف بقمم الجبال، والذين يدافعون عن مشروع كبير كهذا لا بُدَّ من أن يكونوا كبارًا بكبر مشروعاتهم، وأن يكونوا في القمة، والصعاب هي ضريبة الإيمان بالمشروع والدفاع عنه وحمايته.

ونحن في تيار شهيد المحراب، سنبقى متمسكين بمشروعنا لبناء الدولة وحماية الأمة وخدمة الوطن والمواطن، لأننا لا نرى لأنفسنا موقعًا في أي معادلة لا يكون فيها المشروع هو الأساس، ولا تكون فيها خدمة الشعب هي الهدف الأكبر وأولى الأولويات.

## الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٦/٣/٢٠١٤

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إختوتي الأكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

### النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

((ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَٰذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقَضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكَتَّابِ، لِمَا يُحْكَمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا، وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَيُقِيمُونَ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفِقِ بِأَيْدِيهِمْ مِمَّا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقٌ غَيْرِهِمْ))

ما زلنا في المقطع السادس عشر من عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مالك الأشر؛ فتحدثنا عن طبيعة العلاقة بين القوات المسلحة والطبقات الأخرى، والعلاقة مع دافعي الضرائب أو الخراج، وانتقلنا للحديث عن الطبقة الثالثة والمهمة الثالثة؛ وذكرنا مقولة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا الصنف: «ثم لا قوام لهذين الصنفين»، القوات المسلحة ودافعي الضرائب، «إلا بالصنف الثالث»، الصنفان يتقومان ويتقويان بالصنف الثالث. . . بطبقة ثالثة، «من القضاة والعمال والكتّاب»، وتحدثنا طويلاً عن القضاة والمؤسسة القضائية، وضرورة القضاء النزيه المستقل القوي الذي ينتصر للحقيقة وينتصر للمظلوم ويقف بوجه الظالم ويعيد الحق إلى أهله، واستعرضنا العديد من النصوص في هذا المجال.

## طبقة العمال.. التعريف والوظيفة

أما العنوان الآخر في هذا الصنف فهم العمال، ويراد بالعمال شبكة الموظفين والمنتسبين الذين يقومون بجباية المال، ويشمل ذلك المنظومة التي تضع السياسات المالية، والشبكة التي تضع السياسات النقدية، كما يشمل الشبكة التي تضع السياسات الاقتصادية والتجارية؛ أي ملف الاقتصاد والمال، وهؤلاء يطلق عليهم العمال.

اليوم شريحة العمال نجدها في العديد من الوزارات؛ كوزارة المالية والتخطيط والبنك المركزي وديوان الرقابة المالية، كل هذه المهام تتكامل في منظومة نطلق عليها العمال، وتحدد واجباتهم بشكل واضح، فلا شك في أن دافع الضريبة مستعد لأن يدفع، وله دوره المهم المؤثر في توفير الإيرادات المطلوبة للخزانة، حتى تستطيع الحكومة أداء واجباتها، لكن من الذي يضع السياسات، ومن الذي يجبي هذه الأموال ويأخذها من المواطن، وما هي المعايير العادلة في جباية الضرائب من الناس، وكيف يشعر الجميع بالعدالة في هذه العملية؟.. هذا ما يقوم به العمال في هذا السياق.

لاحظوا ماذا يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في تحديد مسار هؤلاء: «يجمعون من المنافع»، هؤلاء يقومون بعملية الجمع ووضع المعايير والسياسات والإشراف والرقابة المالية، تنتظم السياسة المالية والسياسة النقدية عبر هذه الشبكة من العمال الذين يقومون بواجباتهم.

## طبقة الكتاب.. المؤتمنون على الحقوق

العنوان الثالث في هذا الصنف هم الكتاب، وهم من يوثق ويدون الاتفاقات والعقود، إن كان بين أبناء المجتمع كشخص أو شركات أو مقاولين ومجموعات تعمل بعضها مع بعض، أو بين المواطنين والدولة أو بين الدول بعضها مع بعض، وهنا نجد أن هذه القضية ستشمل العديد من الوزارات في تركيبها الفعلية، فوزارة الخارجية مكلفة بالعديد من العقود والاتفاقات الدولية هي التي تبرمها، ووزارة العدل تقوم بتوثيق الكثير من العقود والالتزامات بين المواطنين، وهكذا العديد من الالتزامات الأخرى، وطبيعة تعاقداتها مع المواطنين أو مع أطراف خارجية أو ما شابه ذلك، والغرض الأساسي من هذه العملية، «ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها»، هؤلاء مؤتمنون في أن يكتبوا بالعدل ويوثقوا هذه الالتزامات ويحددوا الحقوق لكل طرف، فالمؤسسة القضائية تعتمد على هذه الوثائق التي يبرمها هؤلاء الكتاب في الحكم بين الناس والقضاء لهم

أو عليهم، وهكذا تنتظم أمور المجتمع وعلاقات الناس بعضها مع بعض، وعلاقات المواطنين مع الحكومة، وعلاقات الجهات الحكومية بعضها مع بعض من خلال هذه العملية الدقيقة في توثيق الالتزامات .

إن هذا نهج إسلامي أصيل؛ فإذا أردت أن تدخل في اتفاق مع طرف آخر، فإن الكلام وحده لا يكفي حتى لو كان مصدرًا للثقة وموردًا للاعتماد؛ ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾<sup>(٢١)</sup>، هذا هو قول الله تعالى في القرآن، كتابة الالتزامات من ديون وتعاقدات وتعاهدات وتفاهمات ومصالح مشتركة وشراكات؛ أن تدون الحقوق وتبين بشكل واضح للطرفين والالتزامات والواجبات على الطرفين، فالقضية حينما تكون واضحة ضمن وثيقة لا يمكن الاختلاف عليها، وإن اختلفنا فسنعود إلى النص ونعالج المشكلة من دون أن تحصل مضاعفات معينة، فإن تبادل الكلام والتفاهمات الشفهية يمكن أن تتبدل وتُفهم خطأ أو تُفسر وتُؤول بشكل أو بآخر، فيضيع الحق على أهله .

إن طبقة الكتاب لها دور أساسي، ويعتبرها أمير المؤمنين طبقة مهمة، وهم طبقة القضاة والعمال والكتاب، وإنما جمع بعضهم مع بعض؛ لأنهم يمثلون حلقات متواصلة لإيجاد المناخ المستقر في المجتمع وإيجاد البيئة الآمنة التي تسمح بالحركة والتفاهمات بين الناس بتبادل المصالح من دون أن يشعر أحد بأنه قد يتعرض إلى الغبن أو المظالم .

### طبقة التجار والصناعيين أساس حركة المجتمع

نتقل إلى الطبقة الرابعة، في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا قوام لهم جميعاً»، طبقة القوات المسلحة، وطبقة دافعي الضرائب، وطبقة القضاة والعمال والكتاب، هؤلاء لا يستقيم أمرهم إلا بطبقة رابعة؛ «إلا بالتجار وذوي الصناعات»، لاحظوا أهمية رجال الأعمال والصناعيين في البناء الاجتماعي في رؤية الإسلام، «في ما يجتمعون عليه من مرافقهم»، أي من منافعهم . . ما يجتمع عليه رجال الأعمال والصناعيون، هؤلاء هم الطبقة المنتجة التي تحرك عجلة الاقتصاد، وتنتج فرص عمل ووظائف للناس، وهي الطبقة التي تؤدي إلى استحكام الاقتصاد، ودافع الضريبة لا يستطيع دفعها، إذا لم يكن هناك اقتصاد قوي وليس هناك إيرادات، فيجب أن نجلب له الإيرادات ليدفع، وعندما يدفع الضريبة يجب أن تكون عندنا مؤسسة ونظام قادر على أن يأخذ هذه الأموال بعدالة منه، حتى يمنحها للقوات المسلحة ويتحقق الأمن، فترون هذه العجلة وهذه الحلقات

٢١. سورة البقرة: الآية ٢٨٢ .

المترابطة في المجتمع ، ترتبط بعملية الإنتاج المجتمعي ، وهو ما يقوم به رجال الأعمال والصناعيون .

«في ما يجتمعون عليه من مرافقهم وقيمونه من أسواقهم» ، هم من يوجدون الأسواق ويحركونها ، ويجلبون البضائع ويحركون الاقتصاد وينتجون فرص عمل ومهمات جديدة ومصانع ، وكل مصنع يحتاج إلى آلاف العاملين ، وهذا المصنع لينتج يحتاج إلى مواد أولية ، والمواد الأولية ستحرك عددا كبيرا من الناس ، وهكذا تمثل الصناعة والتجارة الروافد الأساسية في البناء المجتمعي في الرؤية الإسلامية ، «ويكفونهم من الترفق بأيديهم» ، يوفرون فرصا ومنافع في التكسب بأيديهم ، «مما لا يبلغه رفق غيرهم» ، غيرهم لا يستطيع أن ينتج هذا القدر من الفرص والمهن والأعمال والحركة الاقتصادية والإنتاج المجتمعي ، ويحول المجتمع من مجتمع مستهلك إلى مجتمع منتج ، وإلى مجتمع قوي ورصين قادر على أن يقدم الكثير .

إذن ، هذا النص يتحدث عن موقع رجال الأعمال والصناعيين ودورهم ؛ وفي ما يرتبط بالموقع ، نجد أنه يختصر هذا الموقع بقوله «ولا قوام لهم جميعا» ، القوات المسلحة ودفاعي الضرائب ، المساحة الواسعة من الناس والطبقة الوسطى في المجتمع كما عبرنا وشرحناها سابقاً ، والقضاة والكتاب والعمال ، بمعنى الموظفين في تعبيرنا اليوم ، جميع هؤلاء لا قوام لهم إلا برجال الأعمال والصناعة والحرفة ، لذلك فهؤلاء لهم موقع كبير ومهم ومؤثر .

### صفات التاجر والصناعي في الرؤية الإسلامية

في كتاب الكافي الشريف : عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إن الله عز وجل يحب المحترف الأمين»<sup>(٢٢)</sup> ، صاحب الصنعة بشرط الأمانة ، الله يحب الصناعي الأمين ، لأن الأمانة تجلب الجودة ، فالأمين يعطي للصناعة حقها ، فينتج صنائع جيدة ، ومع الأسف الشديد ، فنحن اليوم في بلداننا حين نريد أن نشترى حاجة معينة ، نسأل أين صُنعت ؟ . . فإذا كانت صناعة اليابان أو ألمانيا أو بريطانيا أو أمريكا نسارع إلى شرائها ، ولكن إذا كانت صناعة سورية أو مصرية وغيرهما من البلدان يمكن أن تتردد ونتأكد قبل الشراء ، ولا نندفع بشرائها .

الأمانة تعني الاكتفاء بأرباح معقولة وعدم رفع الأسعار بشكل كبير ، والأمانة تعني

عدم احتكار السلع لتؤثر في الدخل الاقتصادي للمواطنين، والأمانة جودة، وهذا ما يساعد على تحريك العجلة الاقتصادية إلى حد كبير، فالله سبحانه وتعالى يحب المحترف الأمين، وهذا شرط أساسي.

والأمانة تعني الشركات الواقعية والرصينة وليست الشركات الوهمية، والأمانة تعني العقود التي توفر مصالح حقيقية للطرفين، وليس العقود الشكلية التي تُبنى على أساس الانتهازية واستغلال المال العام والسرقة وما إلى ذلك، فالأمانة إنصاف، والأمانة تقدير الموقف، والأمانة استثمار للإمكانات، والواقع التجاري والصناعي يحتاج إلى هذه السمات حتى يكون واقعا رصينا وينهض بالعجلة الاقتصادية لأي بلد من البلدان.

وفي كتاب «من لا يحضره الفقيه»، وهو من الكتب الأربعة المعتبرة للشيخ الصدوق، مجموعة من الروايات التي تتحدث عن هذا الموضوع الحيوي والحساس؛ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ويل لتجار أمتي من لا والله وبلى والله»، إذا سئل، يعني القسم والنفي واستخدام أسماء الله، وهذا التعبير - سبحانه الله - قبل ألف وأربعمائة سنة، هو هو إلى اليوم؛ عملية المماثلة والتسويق والتعطيل للعقود والالتزامات، بهذه العبارات؛ «وويل لصناع أمتي من اليوم والغد»<sup>(٢٣)</sup>، كل يوم غداً؛ كلما سألت متى؟ . . . كان الجواب غدا، هذه عملية المماثلة والتسويق وتضييع الأمور، في حين يجب أن تكون العملية التجارية والصناعية خاضعة للتوقيتات والأسقف الزمنية والالتزامات، فالإنسان يستطيع أن يتخذ جميع الإجراءات المطلوبة على هذا الأساس، واليوم نرى كثيراً من المشاريع تعطل؛ لأنها تُبنى على عقود والتزامات أخرى، وتلك الالتزامات تتأخر وتؤثر في ما بعدها وتتوقف الكثير من الأنشطة المجتمعية.

### فضيلة العمل في الوطن والتواصل الاجتماعي

وفي رواية أخرى عن علي بن الحسين السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن من سعادة المرء أن يكون متجره في بلاده»، هناك من يذهب لدولة بعيدة، لماذا؟ . . . الأقربون أولى بالمعروف، يا عراقيون، يا أربعة ملايين مواطن عراقي في الخارج، تقول التقارير إن رؤوس أموالكم تُعد بعشرات مليارات الدولارات، واليوم العراق بحاجة لكم ولرؤوس أموالكم . . . اخدم شعبك وابن بلدك، وساهم في هذه الظروف الصعبة، ولا تقل إن شاء الله عندما تتحسن الأوضاع سأتي، فهذا ما سيقوله الياباني والكوري، فمن سيقف

٢٣. من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٠، ح ٣٥٨٤.

للوطن إذا لم أفد أنا وأنت في هذا الظرف الصعب؟ . . العراقيون يجب ألا يقولوا ما يقوله الآخرون، لأن الآخر يفكر بالمصلحة فقط، أما العراقي فيفكر بوطنه وشعبه، فلا بُدَّ من أن تعود العقول العراقية والأموال العراقية. يقال إن الضوابط لا تسمح والإجراءات معطلة، طيب، يجب أن نأتي ونقف ونعالج ونصحح ونصرخ، ولكن علينا أن نعود لأن الاستقرار النفسي حينما يتاجر الإنسان، وحينما يبني صناعته وحرفته على أرضه وفي وطنه وبين أهله وعشيرته، فهذه تولد استقرارا نفسيا للتاجر والصناعي، واستقرارا نفسيا للاقتصاد وللناس إلى غير ذلك.

«أن يكون متجره في بلاده»، هذه سعادة المرء، «ويكون خلطاؤه صالحين»<sup>(٢٤)</sup>، تتعامل مع أناس عند كلمتهم وأناس صالحين ونظيفين، وليسوا من أبناء الصدفة، وليسوا ممن امتلكوا الإمكانيات على حين غرة، وليسوا من تجار الحروب، وحصلوا على فرص وثروات نتيجة الدماء ومعاناة المواطنين، وليسوا من تجار الحواسم ومباضي الأموال الذين توسعت ثرواتهم في الظروف الغامضة.

«ويكون خلفاؤه صالحين»، يكون له أولاد يستعين بهم . . يا رجال الأعمال، أيها الصناعيون؛ لا تسمحوا بأن تهتموا بهذا الجانب وأولادكم يذهبون إلى جوانب أخرى، فقوام المجتمع التجارة والصناعة، ويجب على رجال الأعمال والصناعيين أن ينقلوا هذه الحرفة إلى أبنائهم وأقاربهم، هؤلاء مضمونو الأمانة وسيستمررون في هذه العملية ويتوارثون هذه الخبرة والتجربة جيلا بعد جيل، وبالتالي تتكون شرائح اجتماعية ذات اختصاص وذات تجارب عريقة وذات أصالة في الجانب التجاري وفي الجانب الصناعي، وهذا ما كانت عليه سابقاً؛ البو فلان تجار، والبو فلان صناعيون، أناس معروفون وسمعتهم طيبة وخبرتهم كبيرة، أما في الواقع الذي نراه والتغيرات الكبيرة التي تحصل، فكل من امتلك ديناراً صار تاجراً، حينها تضيع المصالح وترتبك الأمور، وهذا ليس أمراً صحيحاً.

وعن عبد الحميد بن عواض الطائي قال، قلت لأبي عبد الله (الصادق) عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إني اتخذت رحاً (للطحن) فيها مجلسي (مع العمل هناك ديوان أجلس فيه) ويجلس إليّ فيها أصحابي من المؤمنين»، يجلسون معي، فأعمل وأجالس أصدقائي، «قال: ذلك رفق الله عز وجل»<sup>(٢٥)</sup>، لطف الله بك.

٢٤. من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٤، ح ٣٥٩٨.

٢٥. من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٤، ح ٣٥٩٩.

يا تجار، يا صناعيون؛ أنتم سعادة بنقودكم، ونسيتم الصداقة والعلاقات الاجتماعية، ولا يراك أحدهم إلا في الشهر مرة بسبب الانشغال بالتجارة.. أعمل وتواصل مع الناس وعش حياتك وواقعك الاجتماعي وابن علاقات، فهذه الحياة مشاعر وعواطف واتصالات وعلاقات، ويجب ألا تضعف ليتحول إلى مجتمع صناعي بالطريقة الغربية؛ مجتمعات تنظر إلى الإنسان كأنه ماكينة؛ فيضغط الزر في الصباح وفي الليل يطفئها، ولا شيء غير العمل، وآخر الأسبوع، لديه يوم أو يومان، ولكنه سيكون منهكاً وليس له مزاج ليرى أحداً، لذلك يعيش أناس في مكان واحد ولكن لا أحد يعرف الثاني، والجار لا يعرف اسم جاره الذي يجاوره منذ خمس عشرة سنة، ولا يعرف ماذا يعمل، وليس له علاقة بوضعه، فهو لا يعرف ولا يهتم، فلا أحد له علاقة بالآخر، مجتمع مفكك، وهذا ليس هو الحل المثالي.

إن المجتمع علاقات واتصالات وتفاهمات وجلسات إلى آخره، مجالسة ومحادثة؛ «تجلسون وتحدثون؟ قالوا: نعم يا ابن رسول الله. قال: إي والله إنني أحب هذه المجالس، أحيوا أمرنا رحم الله من أحيأ أمرنا»<sup>(٢٦)</sup>، هذا توفيق من الله للتجار والصناعيين إذا استطاعوا إلى جانب عملهم أن يوفروا فرص التواصل الاجتماعي مع جلسائهم وخلفائهم.

إن الحفاظ على الروح المعنوية، وعلى الواقع الاجتماعي، قضية أساسية، وهناك العديد من النصوص الأخرى التي تتحدث عن موقع التجارة والصناعة في الرؤية الإسلامية، سنأتي عليها تباعاً.

### القمة العربية وتحديات المستقبل

عُقدت بالأمس القمة العربية الخامسة والعشرون، وهذه القمة تُعقد في ظروف استثنائية جداً تمر بها الأمة العربية، حيث غياب الاستقرار السياسي في أغلب الدول العربية من جهة، ودخول العرب بمحاور وانقسامات داخلية في ما بينهم من جهة أخرى، ولذلك اختير اسم «التضامن والمستقبل» لهذه القمة، لأن الظروف الراهنة تحدد مسارات المستقبل بالنسبة لأغلب الدول العربية.

ونحن في العراق طالما نظرنا لدورنا في مرحلة البناء الديمقراطي الجديد، كمركز لتلاقي الإرادات الإقليمية لا تقاطعها، واعتبرنا أن السياسة الخارجية العراقية يجب أن



تُبنى على أساس حسن الجوار والمصالح المتبادلة، والعلاقات الحسنة مع الجميع. إن أحداث الشرق الأوسط ومتغيراتها كانت كبيرة خلال الأعوام الماضية، والعراق لم يكن بمعزل عن التأثير بارتدادات الكثير من تلك المتغيرات، ودفعنا أثماناً باهظة من الأرواح الغالية، وتعطيل فرص النهوض الاقتصادي والخدمي، وتصدع التوافق السياسي الداخلي، بسبب تلك التأثيرات.

إن منهجنا قائم على أساس بناء العلاقات الطيبة وتضييق مساحات الخلاف مع العالم الخارجي، ولا سيّما الدول العربية والإسلامية في المحيط العراقي، ونعتقد بأن الفرص لم تهدر تماماً لإنتاج توافق إقليمي شامل، يأخذ في الحسبان ما يواجهه العراق من تحديات أمنية، وما يخوضه من حرب يومية مع قوى إرهابية عابرة للحدود. وعلى هذا الأساس ننظر إلى أي ملتقى ومؤتمر عربي أو إقليمي أو دولي، على أنه مناسبة لبناء وحماية المصالح المشتركة بين العراق وهذه البلدان.

نحن نأمل أن يتفهم إخوتنا العرب، فداحة التحديات التي يواجهها العراق، ونتمنى أن يكونوا عامل دعم لمسيرة العراق، وأن توجه سياساتهم العليا نحو التعامل مع العراق كشريك أساسي في هدف مشترك هو مواجهة الإرهاب وإطفاء حرائق المنطقة، ويتحتم علينا تجسيد هذه الرؤية عبر الحوار مع دول الجوار من الأشقاء والأصدقاء، وتدعيم أو أصر الأخوة وإزالة ما علق بها من خلافات وانطباعات خاطئة حول التوجهات العراقية، وتكريس دور العراق كمرکز ثقل ونقطة تلاق وتعاون إقليمي ودولي، لا عنصر تهديد لمصالح أحد.

كما نأمل أن يكون لمكان انعقاد القمة دور كبير في أن تتمخّض عن خطوات فعلية وعملية، وألا تقتصر أعمالها على إلقاء الخطابات، فإن انعقادها في دولة الكويت يمنحها دفعاً كبيراً في التوصل إلى تفاهات مشتركة، إذ إن دولة الكويت تنتهج سياسة معتدلة ومتوازنة مع الجميع وفي مختلف الاتجاهات، كما إن القيادة الكويتية تتميز بالتعامل الهادئ مع الملفات الساخنة.

إن العرب بحاجة ماسة إلى التضامن؛ ليواجهوا معاً التحديات المصيرية التي يعيشونها، ويعملوا على تأمين مستقبل آمن لشعبهم. لقد تغيرت البيئة السياسية للدول العربية بشكل كبير، وتخلصت الكثير منها من الأنظمة الديكتاتورية التي كانت تحكمها،

ولكنها حتى الآن لم تصل إلى الاستقرار الذي تنشده ، وما زالت المجتمعات العربية في مرحلة مخاض عسير لولادة طال انتظارها .

نتمنى أن تكون القمة الحالية قمة (تضامن ومستقبل) قولاً وفعلاً ، ونتمنى أن تستطيع الكويت بسياستها الحكيمة أن تحتوي الجميع وتشجعهم على الخروج بحصيلة واضحة وواقعية من أعمال هذه القمة .

### استشهاد الدكتور (محمد بديوي)

في محور محلي ، فإنني أود أن أتناول قضية استشهاد الصحفي والأكاديمي الدكتور (محمد بديوي) رحمه الله ، والحقيقة أن الحادث كان مؤلماً من جهتين ؛ الأولى أن الموت أصبح يرافق أبناء هذا الوطن في كل مكان وزمان ، وأصبح الوصول للموت أسهل من الوصول للحياة ، وكأنه لا يكفي أن يموت العراقيون على أيدي الإرهاب ، ليأتيهم الموت على أيدي بعض رجال الأجهزة الأمنية التي من المفروض أن تكون لحماية الناس ، وهذا هو المفهوم الخاطئ الذي كنا نحذر منه دائماً ؛ وهو مفهوم دولة المسؤول لا دولة المواطن ، فالحراسات للمسؤول والأخطار للمواطن ، والاحترام للمسؤول والإهانات للمواطن ، والحمايات للمسؤول والموت للمواطن ، هذا المفهوم الخاطئ هو الذي سيعمق الفجوة بين المواطن والمسؤول .

والجهة الثانية هي الخسارة الكبيرة في العقول والإمكانات البشرية ، فكيف نفسر أن يكون الدم رخيصاً لهذه الدرجة ؛ حين يقوم ضابط بقتل رجل أكاديمي و صحفي بهذه الطريقة المؤسفة مهما كانت الأسباب والتبريرات ، وهو يدل على تراجع فكري وإنساني خطير عندما تنتهي المشاجرات باستخدام الرصاص ، كما يدل على سوء اختيار للضباط الذين يقومون بواجبات حساسة ، فهذا الضابط لو كان منضبطاً لما تصرف بهذا الاستهتار ، وعلى الجهات المعنية أن تراجع البنية الأخلاقية والتدريبية للقوات الأمنية ، لأن الثقة إذا فقدت بين المواطن ورجل الأمن ، خسر الوطن الثقة بنفسه وبمستقبله وبكامل منظومة العمل الأمني لديه . ولا بُدَّ من أن ينال هذا الضابط جزاءه العادل ، لنرسخ مفهوم الالتزام بالقانون دون تلاعب أو تسويق .

### تسييس الحق الشخصي

هذا ما يتعلق بالقضية المؤسفة ، ولكننا نستنكر بشدة التدايعيات التي تبعت الحادث ، ومحاولة حرف المسار وتصويره على أنه صراع بين العرب والكرد ، فإن قُتل الدكتور

(البديوي) مغدوراً فلا نسمح لهذه الجريمة بأن تتسبب بقتل الأخوة العربية الكردية، ومتى كانت الأحداث الشخصية تنعكس على القوميات والطوائف؟ .

يجب أن تبقى القضية في إطارها الشخصي وفي حدودها القانونية، دون إفراط أو تفريط، وألا يُدفع بعض البسطاء لارتكاب أخطاء لا يدركون مدى تأثيرها وتبعاتها على هذا الوطن كما حصل في بعض الشعارات العنصرية غير المقبولة التي خُطت على بعض الجدران.. أين العقلاء؟.. أين الحكماء؟.. أين الأخلاق العربية الأصيلة؟.. أين الشيمة والغيرة الوطنية؟.. وإني ومن هذا المنبر أقدر عظيم التقدير الموقف الوطني والإنساني والأخلاقي الذي وقفته عائلة الشهيد وعلى لسان بعض ذويهِ، وهم يعبرون عن رفضهم تسييس قضية الشهيد لتبقى بحدودها الشخصية والقانونية، وإن هذا يدل على أصالة هذه العائلة وعلى سمو أخلاقها وعروبتهها ووطنيتها.

رحم الله الشهيد وألهم ذويهِ وزملاءه وطلابه والأسرة الصحافية الصبر والسلوان، وأنعم على العراق بالسكينة والأمان.

إنها فرصة لنعبر فيها عن دعمنا للقرارات الأخيرة للقيادة العامة للقوات المسلحة، في تصحيح بعض مكامن الخلل في نقاط التفتيش، وتسهيل حركة المواطنين عبر السيطرات، ونحن لا نتعامل مع هذا الخلل باعتباره خللاً «متعمداً» من عموم الجنود والضباط لنحملهم مسؤوليته، فرجل الأمن لا يريد تعطيل الناس في نقاط التفتيش وإرهاقهم بالانتظار، أو تعطيل مصالحهم، وإنما هو محكوم بالأوامر التي ترد إليه، وعندما وردت إليه الأوامر بفتح مسارات نقاط التفتيش وتوسيعها نفذها.. ونحن ندعو إلى وضع إستراتيجية متكاملة تعيد دراسة واقع نقاط التفتيش في العراق على أسس علمية صحيحة، بالتوازي مع رفع الكفاءة الاستخبارية واستخدام الأجهزة الحديثة التي من شأنها تقليص نقاط التفتيش إلى أقل حد ممكن، فكلما كانت المعلومة الأمنية دقيقة وواضحة وتنقل في بيئة أمنية منضبطة ومتكاملة، تقلص الاعتماد على نقاط التفتيش وصولاً إلى رفعها بشكل كامل.

إن الأحداث الأخيرة، لا بُدَّ من أن تقود إلى مراجعة شاملة وتشخيص الأسباب التي تجعل الوطن يخطو على «حافة الهاوية»، ويتحول كل حدث فيه إلى «أزمة» و«تحد» و«كسر عظم»، فلا يجوز أن نرهن مستقبل الوطن بخلافات سياسية وحوادث وأحداث مهما كبر حجمها، وعلينا أن نضع جميعاً كشركاء قاعدة أساسية وصلبة تقف عليها كعراقيين لا كطوائف وقوميات، ويجب أن نؤسس لخطوط حمراء وطنية لا

يجوز تجاوزها من قبل أحد، حتى لا يتحول كل تصريح وكل حدث وكل موقف إلى تهديد، يضرب أسس التعايش الاجتماعي، ويقوّض قواعد العدل والمساواة والمواطنة والقانون.

### استحقاق العملية الانتخابية واستقالة المفوضين

في محور الانتخابات والمفوضية، فإننا قد تفاجأنا بقرار المفوضين بالاستقالة الجماعية، وهذه خطوة لها دلالات خطيرة وفي وقت حرج، لأن مفوضية الانتخابات هي الجهة المسؤولة عن إجراء الانتخابات في العراق، والانتخابات هي الوسيلة الشرعية الوحيدة للتعبير عن إرادة الشعب في اختيار ممثليه في مجلس النواب، والبرلمان هو الجهة التشريعية التي تحدد شكل الحكومة السياسية التي ستحكم العراق للسنوات الأربع القادمة، فماذا تعني استقالة مجلس المفوضين، وماذا يحدث خلف الأبواب المغلقة في المفوضية العليا للانتخابات، وهل هناك فعلاً تدخلات، ومن أين، وكيف؟.. والسؤال الأهم؛ من يحمي المفوضية والمفوضين؟.

عجيب ما يحدث هذه الأيام في العراق؛ فالأحداث تتوالد والأزمات تشطر أفقياً وعمودياً، وقد حذرنا سابقاً من أن الأحداث المتوقعة ستكون غير منطقية، وعلينا أن نهيئ أنفسنا لإجراءات استثنائية، وآخر الأحداث غير المنطقية الآن هي أن يستقيل مجلس المفوضين ونحن على بعد خمسة وثلاثين يوماً من موعد إجراء الانتخابات.

نحن ندعو البرلمان إلى رفض هذه الاستقالة وتوفير الحماية القانونية والتشريعية التي تحتاج إليها المفوضية لأداء عملها باستقلالية ومن دون ضغوط من أي طرف، وأن تتوقف التدخلات بعمل المفوضية ولا تكون ساحة للصراع بين الإرادات السياسية أو السلطات القضائية والتشريعية، فالقضاء يأمر بشيء والسلطة التشريعية تأمر بعكسه، والمفوضية في المنتصف تتعرض للضغوط من هنا وهناك.

المرحلة حساسة وخطيرة جداً، والشعب العراقي يراقب ويستمع ويعي جيداً ما يحدث، ولا بُدَّ من أن تنتهي المنغصات، وأن تجري الانتخابات في موعدها مهما كانت الظروف، فلا يراهن أحد على تأجيلها تحت أي ذريعة، فبدون انتخابات لا شرعية لأحد، وبدون الشرعية يصبح الجميع خارجين عن القانون.

إن الشعوب تشارك في الانتخابات لا لتختار حكامها فحسب، بل لتختار الوطن وتنميه وتشد أركانه، وتكرس إرادتها بحياة حرة كريمة يوظرها التعايش والتسامح.

من حق كل تيار أو حزب سياسي أن يستعرض إنجازاته وأفكاره أمام جمهور الناخبين، ويحثهم على التصويت لصالحه، وتتسابق الأحزاب والقوى السياسية لعرض ما قدمته وما تستطيع أن تقدمه إلى المواطن ليختار بكامل إرادته وقناعته من يجد فيهم المصدقية والانسجام مع طموحاته ويتحمل مسؤولية قراره، هذا هو المشهد الطبيعي للانتخابات، لكن ما هو غير طبيعي أن يتم تخويف المواطن أو ابتزازه أو إهانته بشراء صوته أو تزويره، أو تهديد أمنه، وما هو غير طبيعي التلاعب بمستقبل البلاد وأمنها ووحدتها وسلمها الاجتماعي للحصول على مكاسب انتخابية. فالتنافس بالبرامج لا بالتهديدات والتسقيط.

ورسالتنا لجميع الأطراف هي: ليس مسموحاً ليّ ذراع الشعب أو التلاعب بمشاعره أو مخاوفه، فשבنا ليس رهينة، وإنما هو صاحب الإرادة الكاملة في أن يختار ويقرر، وعلينا جميعاً الرضوخ لهذه الإرادة.

### حملة «المواطن يريد»

في مبادرة «المواطن يريد» حاولنا أن نكون أكثر التصاقاً بمطالب الشعب، وأن نجتمع ونصنف أكبر قدر من آراء المواطنين، ولم تكن تلك المطالب غائبة عنا، فمطالب المواطن العراقي بالأمن والعدالة والخدمات والحياة الكريمة والرعاية الاجتماعية والتعايش الوطني ليست سرّاً، والشعب العراقي يعبر عنها بشكل يومي بكل الوسائل.

إنّ الهدف من حملة «المواطن يريد» هو التأسيس لثقافة «العقد» بين الشعب ومرشحيه. . بين الشعب وسياسيه، وأن يتحول كل توقيع من مواطن عراقي إلى التزام من قبل المرشح، وأن يفهم المرشح قبل كل ذلك كيف يتعاطى مع مسؤوليته باعتباره ناقلاً ومترجماً لإرادة الناس ومدافعاً عنها، فالمرشح ليس صاحب إرادة مستقلة عن إرادة ناخبيه، بل هو وسيلة لإيصال الإرادة الشعبية وتفعيلها وتحويلها إلى برامج عمل وآليات تنفيذ.

أدعو الإخوة والأخوات المرشحين في الانتخابات من كتلة المواطن ومن الكتل الأخرى، إلى أن يحملوا مطالب وشكاوى واحتياجات الناس ديناً في أعناقهم، لا تبرأ ذمتهم منه حتى يسيروا في طريق سداده. لا نريد سياسيين يتحدثون قبل الانتخابات بلهجة مختلفة عن اللهجة بعدها، العراق لن يتحمل بعد اليوم لهجات مختلفة، واحدة للانتخابات وثانية للمناصرين، وثالثة للتفاهات السياسية، ورابعة للحديث مع

الخارج، ونقول لكم؛ إن ما تقولونه وما تعدون به في فترة الدعاية الانتخابية هو التزام ديني ووطني وأخلاقي لا يقل ثقلًا عن الالتزام القانوني.

الحملة الدعائية ليست فرصة لخداع الناس وتضليلهم بالوعود الزائفة، إنما هي مناسبة للاقتراب من الناس والوصول إلى كل محافظة ومدينة وقرية وبيت، وفهم احتياجاتهم والاتصال المباشر بالمواطن والالتزام أمامه. يشكو الناس من فجوة بين السياسيين والمواطن امتدت لأربع سنوات، وهو شيء مؤسف، فإن خارطة الطريق للوطن لا تكتب خلف المكاتب وعبر المؤتمرات الصحافية وبعيدًا عن الشارع، بل في الميدان وبمشاركة المواطن نفسه.

### إعدام جماعي

في المحور الإقليمي، فإننا دائمًا ما ننظر لمصر على أنها الشقيقة العربية الأكبر، ولطالما كان القانون المصري له مكانته وتاريخه، وقد تفاجأنا بالقرار الصادم بإعدام هذا العدد الكبير من السياسيين دفعة واحدة وبمحاكمة قصيرة، وهنا نؤكد موقفنا بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، ولكن من حق الأخ على الأخ أن ينبه ويحذر، فمهما كانت الدوافع ومهما كانت المسببات فإن الحكم بهذه الكيفية قد يسبب تعميق الأزمة السياسية في البلد، نحن في العراق لدينا قتلة وإرهابيون وقد ملؤوا شوارع العراق بالدم، ومع ذلك لم يصدر حتى الآن حكم جماعي بهذا العدد دفعة واحدة. وأحب تذكير الإخوة في مصر بقلقنا من أن مثل هذه القرارات قد تقوّض الحقوق وتضيّعها، فأرجو مراجعة هذا القرار.

### معرض الكتاب

يقام في بغداد المعرض الدولي للكتاب، وما يؤسف له أن أمة (اقرأ) لا تقرأ، فمن المسؤول عن هذا التراجع الثقافي؟. اليوم في بغداد مئات الآلاف من الطلاب الجامعيين، وأكثر منهم من طلاب الإعدادية والمتوسطة، هذا بالإضافة إلى المثقفين والموظفين والأكاديميين، والمفروض أن يكون هناك عشرات آلاف الزوار للمعرض يوميًا، ولكن الحضور متواضع وبسيط، فماذا يحدث؟ ولماذا توقف العراقيون عن القراءة؟. فهل لسبب هو الظروف المعيشية، أو الظروف الأمنية، أو المزاج العام الذي أصبح يميل إلى اللامبالاة؟. أين مصداق المقولة القديمة؛ أن مصر تؤلف، ولبنان تطبع، والعراق يقرأ؟.

علينا ألا نفقد الأمل وأن نواصل المسير، فلا زاد أفضل من زاد العلم، ولا شخصية أفضل من الثقافة، ولا مستقبل بدون العلم والمطالعة.

أرجو من الجميع أن يذهبوا وعوائلهم إلى معرض بغداد للكتاب، وأن يعلموا أطفالهم شراء الكتب، كما يعلمونهم شراء الحلويات والهدايا، فنحن أمة (اقرأ)، ومن المعيب علينا ألا نقرأ.

## الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٧/٨/٢٠١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إختوتي الأكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

### النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

#### دور رجال الأعمال والصناعيين

((وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالْتِّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَاْفِقِهِمْ وَبِقِيْمُونِهِ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفُقِ بِأَيْدِيهِمْ مِمَّا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقٌ غَيْرِهِمْ))

يتمثل دور رجال الأعمال والصناعيين بكونهم جزءاً أساسياً في تحريك العجلة الاقتصادية، فلا اقتصاد بلا رجال أعمال، ولا اقتصاد حقيقياً بلا صناعة، أما الدول التي تعتاش على النفط، فإن صعّدت أسعار النفط كانت في رخاء، وإن هبطت فلن يكون لدينا نقود لنصرف رواتب للموظفين.

واليوم مرت خمسة أشهر والحكومة الاتحادية لم تقدّم رواتب الموظفين في إقليم كردستان، وهم من المواطنين العراقيين، والموظفون هناك لهم من الحقوق ما لغيرهم من أبناء شعبنا، والحديث أن حجم الإشكالات المالية الموجودة قد لا يوفر ضمانات كافية لتقديم الرواتب لكل الموظفين حتى في المناطق العربية، إذا استمرت الأوضاع في



المناطق الأخرى من العراق بهذه الطريقة، فهذا الخلل الكبير حينما يكون اقتصاد البلد اقتصاداً أحادياً مرتبطاً بالنفط، حدث معين يمكن أن يتسبب بصعود أسعاره أو هبوطها.

أما البلدان التي تعتمد على بنية اقتصادية وصناعية قوية، فإن أوضاعهم لا تتغير بحدوث الحروب والأزمات، لأنهم يعتمدون على هذه البنية الحقيقية، وفي رؤية الإسلام يكون الاقتصاد مفتوحاً يعتمد على القطاعات الواسعة لرجال الأعمال والتجار والصناعات والمصانع الكبيرة، ونحن والحمد لله جعلنا وزارة الصناعة من الوزارات الهامشية، إذ تبقى في الأخير، عسى أن يأخذها طرف من الأطراف، فقد أصبحت في الهامش، والحال أنها هي صلب وعمق الواقع المجتمعي والتنمية الحقيقية بحسب الرؤية الإسلامية، وهذه الطبقة من رجال الأعمال والصناعيين توفر الجزء الأساسي من الاحتياجات الاقتصادية للدول وللمجتمعات بشكل عام، كما إنها توفر الاستقرار النفسي في الحياة والمجتمع، حينما تكون في المجتمع بنية اقتصادية وصناعية قوية وفذة.

تناولنا مجموعة من الروايات الواردة في الشأن التجاري والصناعي، ولا بُدَّ من أن نستعرض البعض الآخر من هذه الروايات بقدر ما يسمح الوقت.

### صفات الشريك الصالح

عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تخالطوا ولا تعاملوا إلا من نشأ في الخير»<sup>(٢٧)</sup>، أتريد أن تعقد صفقة اقتصادية تجارية؟ وتريد أن تتاجر مع أحد وتبيع وتشتري مع أحد؟ . . فابحث عن أصحاب النعمة وأهل الخير والذين تملأ النعمة أعينهم وتعامل معهم، أولئك لا يضعفون أمام المال؛ لأنهم أبناء نعمة وأبناء حمولة كما نعب عنهم في زماننا، وهم لا يغدرون بك ولا يضعفون أمام مبالغ من المال ليغدروا ويكيدوا ويسرقوا من أموال الآخر، فالصفقة الناجحة هي الصفقة مع الشريك المطمئن وأهل الخير.

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إياكم ومخالطة السفلة فإنه لا يؤول إلى خير»<sup>(٢٨)</sup>، السافل أجلكم الله لا تخالطه ولا تعامل معه، وقيل: «هو الذي لا يبالي ما قال ولا ما قيل له»<sup>(٢٩)</sup>؛ فينكر ما قاله بالأمس، لأن كلامه لا يساوي شيئاً، ولا يكثر

٢٧. بحار الأنوار ١٠٠: ٨٣، ح ٤.

٢٨. بحار الأنوار ١٠٠: ٨٤، ح ٨.

٢٩. من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٥.

بقول ولا عهد ولا وعد، فيتكلم الآن وبعد دقيقتين ينكرها، ومن ناحية أخرى لا يهتم بما يُقال عنه ولا يكثرث به، فليس لديه كرامة تضيع بكلمة من هنا وهناك، والبعض من هؤلاء يراهم الإنسان في السوق منغمسين في السباب والشتيمة والفحش، وبعضهم لبعض في المزاح تسمع السباب والفحش، فيشتم عرضه، وعندما ينادي أحدهم الآخر يناديه بشتيمة فيضحك ولا يهتم ولا تتحرك له شعرة، هذا هو السافل؛ ليس لديه حرمة ولا كرامة ولا عرض، وليس لديه هيبة ولا قيمة لنفسه، ويقول شيئاً وينكره بعد دقائق.

وفي تعبير آخر أن السافل «من لم يسره الإحسان ولا تسوؤه الإساءة»، فهو من لا يذكر لأحد إحساناً أو كرمًا، والشاعر يقول:

إذا أنت أكرمتَ الكريمَ ملكتهُ      وإن أنت أكرمتَ اللئيمَ تمردا<sup>(٣٠)</sup>

هذا اللئيم هو السافل، وكلما أكرمته أكثر تمرد ولا يؤثر به ذلك أبداً، «ولا تسوؤه الإساءة»، لا تهمه إساءة الناس له ولا يكثرث، فليس عنده حرمة حتى تسقط، وهذا لا يمكن الوثوق به.

«إياكم ومخالطة السفلة فإنه لا يؤول إلى خير»، حينما تتعامل مع السفلة، ومنهم أمراء الحروب وتجار الحواسم وتجار الصدفة؛ بالأمس لم يكن يملك شيئاً، واليوم أصبح مليارديراً، من أين أصبح هكذا؟.. في أي تجارة أو عمل نزيه استطعت أن تحقق تلك الثروة خلال فترة وجيزة؟.. بعض الناس تصبح عنده طفرة في المال بدون وجود تفسير منطقي لما حصل، «فإنه لا يؤول إلى خير»، فإنك لا تحصل على الخير من خلال التعاطي والتعامل مع مثل هؤلاء الناس، وإذا ربحت في لحظة ستخسر في لحظات قادمة.

### الحكومة بين التكليف والتشكيل

إن أحد أهم المواضيع التي تشغل الرأي العام والطبقة السياسية والحريصين على العراق وشعبه واستقراره، هو موضوع تشكيل الحكومة العراقية الجديدة، ونحن ندرك جيداً أن الظروف الراهنة هي ظروف ضاغطة على الجميع، حيث ثلث العراق مستباح من قبل عصابات الإرهاب وأكثر من مليون عراقي مشردون من ديارهم، ونحن أمام قائمة طويلة من الأزمات والمشاكل السياسية بين مختلف الأطياف، إضافة إلى أخطر

المشاكل وأصعبها وهي فقدان الثقة بين أبناء الوطن الواحد، كل هذه العوامل تشكل ظروفاً ضاغطة للإسراع في تشكيل الحكومة قبل انتهاء المدة الدستورية المقررة.

وعليه ومن هذا المنبر، أتوجه بندائي إلى قادة القوى الوطنية العراقية المخلصة وأحثهم على العمل معاً وبروح الفريق المنسجم والمسؤولية العالية، على تجاوز الحساسيات والأزمات والإسراع بتشكيل الحكومة، وإننا ندرك جميعاً أن المشاكل والأزمات التي تراكمت على مدى السنوات السابقة لا يمكن أن تُحل في أيام أو أسابيع، ولكن المؤكد أن إرادة الحل اليوم هي الإرادة الفاعلة لدى الجميع.

إن علينا جميعاً أن نعمل بنظرية سقف الحقوق لا سقف المطالب، فكل حق دستوري وقانوني سيكون مجاباً للعراقيين جميعاً وعلى مختلف أطرافهم وطوائفهم وقومياتهم، وهنا على الجميع أن يتحصن خلف سقف الحقوق التي كفلها القانون والدستور وألا تتصلب المواقف تحت سقف المطالب.

اليوم الجميع مستعد لأن يخطو خطوة كبيرة إلى الأمام وأن يبدأ بداية صحيحة ويتجاوز الماضي بكل أزماته وأخطائه، وإن الضمانة الحقيقية للجميع هي الدستور، وأن تكون الاتفاقات نابعة من اتفاق ائتلافات وكتل لا اتفاق أشخاص ومصالح، ولقد جرب الجميع اتفاقات اللحظة الأخيرة واتفاقات المصالح الخاصة وعود والغرف المغلقة. فماذا كانت النتيجة سوى مزيد من الأزمات والاختناقات والمشاكل، ومزيد من فقدان الثقة؟.

أوجه ندائي إلى إخواني وأحبي قادة الكتل السياسية؛ بأن يكونوا فوق مستوى المسؤولية وليس بمستوى المسؤولية، لأن الوضع في العراق تجاوز في خطورته مستوى المسؤولية الطبيعية، وعلينا أن نكون جميعاً فوق مستوى مسؤولياتنا وأن نضاعف الجهد والعمل والتفاهم المشترك والتنازلات المشتركة، وأن نعمل بعقلية حل الأزمات وتصفيها لا بعقلية خلق الأزمات وتفقيسها، وإن الخطوة الأساسية لوضع العراق على الطريق الصحيح من جديد هي تشكيل حكومة وطنية ذات مقبولية واسعة على مبدأ شراكة الأقوياء التي طالما دعونا لها، وسنبقى ندعو لها، وأن يتحمل الجميع هذه المسؤولية وأن يساعدوا الأخ العزيز الدكتور (حيدر العبادي) المكلف بهذه المهمة، وأن يكونوا عوناً له من الآن، وأن يعملوا معه بروح الفريق المنسجم.

## داعش من العصابة إلى الخلافة

في محور الإرهاب وما يسمى خلافة داعش، فإن علينا أن نكون دقيقين ونسمي الأشياء بأسمائها، ولا نُجَمِّل الواقع أو نحرفه، إن هذه العصابة الإجرامية التكفيرية ما كان لها أن تصل إلى مستوى الجرأة والوقاحة لتعلن خلافتها المنحرفة لولا أنها بلغت مرحلة من الغرور أوصلتها إلى هذا المستوى من الطغيان.

أن تتكون منظمات إرهابية ومنحرفة فكريًا وعقائديًا شيء يحدث في كل زمان وسيحدث في المستقبل، والتأريخ مليء بمثل هذه العصابات والمنظمات التي تحمل أفكارًا منحرفة وإجرامية، ولكن أن تعلن خلافة ويكون لها خليفة، وبما يحمل هذا الاعلان من تحد واضح لجميع الطوائف الإسلامية، وأن تكون في مواجهة مفتوحة مع الجميع، فإن مثل هذا الوضع يجب أن يقاس بحجمه وعمقه، وبدون تهويل أو تهوين.

إننا أمام مرحلة متطورة وخطيرة جدا من الانحراف، ولا أقول من الإرهاب؛ لأن إرهاب هذه العصابة كان دائما متقدما في إجرامه، ولكن انحرافها الآن وصل إلى أقصى مدى يمكن أن يصل إليه، فبعد أن أعلن هذا التنظيم دولة قبل فترة من الزمن، ثم طوّر أطروحاته إلى دمج دولتين، ليصل بعدها إلى مرحلة إعلان الخلافة الإسلامية، فإن داعش لم يعد خطراً على العراق وأهله أو على الشام وأهله فحسب، وإنما هو خطر حقيقي على كل مسلم بل كل إنسان في هذه الأرض، سواء كان في إندونيسيا أو في بريطانيا، وسواء كان في مكة والمدينة أو في النجف وكربلاء؛ لأن هذا الانحراف الإرهابي يضرب بالاتجاهين، سواء في استهداف المسلمين الذين يختلفون معه ويكفروهم، أو المسلمين الذين يغرر بهم ويخدعهم، وفي كلتا الحالتين وكلا الاتجاهين يكون الانحراف الإرهابي قاتلاً ودموياً، لأن الدماء التي تسيل هي دماء المسلمين، كما إنه يقدم خدمة عظيمة في تشويه صورة الإسلام وتسويق الإرهاب على أنه سمة وصفة إسلامية متأصلة عبر قراءة خاطئة ومنحرفة للنصوص الدينية من الكتاب والسنة.

إن أعداء الإسلام لو اجتمعوا بأجمعهم من مغارب الأرض ومشارقها وانفقوا على أن يحوكوا مؤامرة تضر بالإسلام وأهله، فإنهم لن يجدوا أفضل من انحراف داعش وخلافته وإرهابه.

واليوم أمامنا كعراقيين فرصة كبيرة كي نتوحد، ونقدر قيمة العراق الموحد الذي نعيش فيه، فإن الإرهاب ما كان له أن يتمدد إلا بفرقتنا وتنازعنا وانكفائنا خلف طوائفنا ومناطقنا، ولهذا نراه اليوم يضرب الجميع؛ فهو يضرب الشيعة باسم الدفاع عن

السنة، ويضرب السنة لأنهم لا يتفوقون معه ولا يبايعونه، ويضرب الكرد، واغلبهم من السنة، بحجة أنهم أعداء خلافته المزعومة، ويضرب الإيزيديين بتهمة الكفر، ويقتل المسيحيين باسم الإسلام. إنهم لا يجيدون إلا لغة القتل والدم، ولا يفكرون إلا بعقل مريض منحرف.

إننا اليوم كعراقيين علينا أن نوحّد مواقفنا، فجرحنا واحد، وعدونا واحد، وعلينا أن نعيد اللحمة الوطنية ونحمي وطننا من دنس هذه العصابة، لنرمي بخلافتهم المزعومة إلى مزابل التاريخ وخارج أرض العراق الطاهرة.

### سبايكر جريمة ضد الإنسانية

في محور الجرائم التي تُرتكب في هذا الوطن، فإن جريمة سبايكر لن تمر دون عقاب، ولن تمر دون أن تكون درسًا وعبرة لمن يعتبر، فإزهاق أرواح أكثر من (١٧٠٠) شاب في عمر الزهور وعلى خلفية طائفية لأنهم شيعة من أتباع أهل بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لن تكون مجرد جريمة نكراء من جرائم الإرهاب، وانما هي جريمة ضد الإنسانية، وجريمة إبادة جماعية، وستعامل معها على أنها جريمة ضد الإنسانية، وجريمة إبادة جماعية، وسلاحق مرتكبيها أينما كانوا وأيًا كانوا، وسينالون عقابهم الذي يستحقونه.

إن كل الجرائم الوحشية التي تُرتكب في هذا الوطن هي جرائم ضد الإنسانية، ولكن جريمة قاعدة سبايكر لها وقع خاص؛ لأنها مؤامرة اشترك فيها أكثر من طرف، وسينال الجميع عقابهم بإذن الله تعالى، وسيحاسب المسؤولون الذين استخفوا بدماء هؤلاء الشباب أو تأمروا عليهم، وكل من شارك بهذه الجريمة يجب أن يتعامل معه كإرهابي حتى الذين قصّروا بواجبهم، فإن جريمتهم أكبر من مجرد تقصير في عمل. إن الاستهانة بدماء الناس عندما تصل إلى هذا الحد فإنها تصبح أخطر من الإرهاب نفسه، وستكون جريمة سبايكر عارًا في جبين كل من يتحمل المسؤولية من أصغر رتبة إلى أعلى منصب قيادي له علاقة بهذا المعسكر وإدارته.

وستتابع اللجان التحقيقية التي شكّلت بهذا الخصوص، ونعاهد أهالي الضحايا ونقول لهم إن خسارتهم هي خسارتنا، ولن نسمح بتناسي هذه القضية، ولن نتهاون بقطرة دم واحدة، وسنلاحق الجناة والمقصرين والمتآمرين ولو هربوا إلى آخر الدنيا، كما نخاطب العشائر التي تورط أبناؤها بهذه الجريمة أن تتبرأ منهم؛ لأن يد القصاص العادل ستناهم عاجلا أو آجلا، كما ندين وبأشد العبارات جميع الأعمال الإرهابية التي

تطول المكونات العراقية من المسلمين والمسيحيين والإيزيديين والصابئة، ومن الشيعة والسنة، ومن العرب والكرد والتركمان والشبك، ولا سيّما جريمتي مسجد مصعب بن عمير في ديالى، وحسينية الإمام علي في بغداد.

### النازحون.. مأساة أخرى

أيها الإخوة والأخوات؛ إنه لمن المؤسف أن وطننا أصبح مليئاً بالقصص المحزنة والدامية التي يعتصر لها القلب، فمن مذابح سبايكر إلى محنة النازحين، حيث أكثر من مليون عراقي اليوم يهيمون بالعراء، وقد تركوا بيوتهم وأملاكهم وهم الآن يواجهون مصيراً مجهولاً، ونقولها وبأسف؛ إن التعامل الرسمي لم يكن بمستوى الحدث ومستوى الكارثة الإنسانية، ونتمنى أن يتطور هذا الموقف في الأيام القادمة.

إن هذا العدد من النازحين يترتب عليه تغيير ديموغرافي واجتماعي كبير، ومشاكل اجتماعية ونفسية وصحية عظيمة، وإن مئات الآلاف من الأطفال في الوقت الراهن مشردون مع عوائلهم، ونحن في ذروة حر الصيف وانتشار الأمراض والأوبئة. إنها مصيبة كبيرة لا تحتاج إلى بيانات بقدر ما تحتاج إلى مؤتمر دولي تتنادى له كل الدول الحية بالعالم وكل المنظمات الإنسانية، وأن يكون هناك برنامج عمل واضح ودقيق وسريع للتعامل مع هذه الكارثة الإنسانية الكبرى.

وإني أحيي من هذا المنبر أبناءنا وإخوتنا في المواكب الحسينية الذين كانت استجابتهم وتفاعلهم مع أزمة النازحين أفضل بكثير من استجابة وتفاعل المؤسسات الرسمية التي غرقت بالروتين والبيروقراطية، وكانت جعلتها أكثر من طحينها. إن هذه المواكب استنفرت رجالها وإمكاناتها وفتحت أبوابها وحسينياتها بوجه عشرات الآلاف من النازحين، مع قطع النظر عن انتماءاتهم، وقدمت الرعاية والطعام والخدمة المتيسرة لهم، كما أشيد بدور المرجعية الدينية ووكلائها ومعتمديها والعتبات المقدسة وجميع الخيرين والمحسنين الذين أسهموا بدرجة كبيرة في تخفيف معاناة النازحين.

### أمرلي الصامدة

نقف عند مأساة أتباع أهل البيت من التركمان في ناحية أمرلي، هذه الناحية الصامدة المجاهدة البطلة، وأكثر من ستة عشر ألف مواطن من الأطفال والنساء والشيوخ والشباب والرجال محاصرون في هذه الناحية منذ ما يقرب من ثمانين يوماً، ويتلقون السهام والاستهداف الظالم من جميع الأطراف المحيطة بهم وبشكل شبه يومي منذ ذلك

الحين ولغاية يومنا الحاضر، وما زالوا صامدين صابرين، وأصبحوا أسطورة في تاريخ هذا الوطن، وعلينا جميعاً أن نتحمل مسؤولياتنا في الوقوف إلى جانبهم وفي ضرب الإرهاب بيد من حديد لفك الحصار عن هذه الناحية المظلومة، وتوفير ممر آمن لخروج الناس من هذه المنطقة والحفاظ على أرواحهم.

### غزة المقاومة

وليس بعيداً عن نزوح العراقيين وأحزانهم، فإننا نقول لأهلنا المحرومين المحاصرين والصابرين في غزة؛ لقد خُذتُم وبقيتُم وحدكم أمام أفسى احتلال في العصر الحديث، وإن أدياء الخلافة والدين قد انشغلوا عنكم بذبح الشيعة والإيزيديين والكرد والتركمان والشبك والمخالفين لهم من السنة، ولكنهم لم ينصروكم بطلقة واحدة أو موقف، وإنه لشرف لكم أن تكون قضيتكم نقية لا يلوثها هؤلاء المجرمون.

لقد صمدتُم وانتصرتُم بدمائكم، وهذا هو حال الشعوب الحية؛ إذ إنها تبقى تقاتل وحيدة ولكنها في النهاية تنتصر. إننا في العراق وبالرغم من جراحاتنا النازفة ونشعر بمعاناتكم ونتابع بطولاتكم ونفرح بانتصاراتكم، ونعتبر أنفسنا في خندق واحد معكم في الدفاع عن النفس والأرض والعرض والهوية.

## الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٠١٤/٩/٣

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، سادتي الأفاضل إختوتي الأكارم الأخوات الفاضلات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم.

### النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

كان حديثنا في الأسابيع الماضية عن الطبقات الاجتماعية، وكنا نتحدث ونستعرض بعض النصوص والروايات التي تؤكد على طبقة رجال الأعمال والبعد الاقتصادي والتجاري والصناعي، واستعرضنا عددا من النصوص في اللقاء السابق، ونواصل عرض النصوص الأخرى.

### الترغيب في طلب الرزق

في رواية عن الفضيل بن اليسار قال، قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إني قد تركت التجارة»، زهداً أو تعباً أو ثقلاً أو انشغالاً بأمور أخرى، أو تركت التجارة لأنني أملك بعض المال ولا أحتاج إلى العمل كما يقول بعض الناس، ورتبت مشروعاً اقتصادياً معيناً ليدر علي ما يغنيني عن العمل لأتفرغ للتواصل الاجتماعي أو الأمور الدينية والزيارات وغيرها. . . يتخلى عن التجارة لأن لديه ما يكفي، فيترك هذا العمل، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تفعل»، لا تتوقف عن العمل، «افتح بابك وابسط



بساطك واسترزق الله ربك»<sup>(٣١)</sup>، الاسترزاق طلب الرزق من الله والعمل وبذل الجهد، وألا يكون الإنسان عالة على المجتمع ولا يكون مستهلكاً، بل يكون منتجاً ويقوم بدور في تحريك العجلة الاقتصادية، وهذا شيء حسن ومطلوب، فهنا نهي عن ترك التجارة والاسترزاق وترك العمل بصرف الاستغناء وعدم الحاجة.

في رواية أخرى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الله تبارك وتعالى جعل أرزاق المؤمنين من حيث لا يحتسبون»، تأكيد كبير على أن الرزق يجب أن يكون رزقا حرا وغير محدود. يقول بعضهم ابحتوا لي عن تعيين، وهو شاب بعمر الورود متخرج تَوًّا ومليء بالطاقة والإبداع، ويستطيع أن يحفر في الصخر، ولكنه يريد وظيفة لينزوي في دائرة من الدوائر بخمسمئة ألف دينار أو أكثر، فيأتي في الساعة الثامنة ويخرج في الثانية، وبعد شهر أو شهرين تموت تلك المواهب والملكات والطاقات الكامنة، وعينه على الساعة متى ينتهي الوقت، وعلى رأس الشهر متى يأتي الراتب؟ هذه مكنته الناس؛ أي أن تصبح الناس مثل الماكنة؛ تدخل وتخرج في الوقت الفلاني وغير ذلك، وكل الناس تبحث عن تعيين، وليس هناك إبداع ونشاط وحركة، يا شاب؛ انزل إلى المجتمع وتحذ الصعاب وتوكل على الله واسترزق وابحث عن فرص العيش الكريم في بلد مليء بالثروات والفرص.

هذه التربية والثقافة مع الأسف موجودة في مجتمعنا العراقي، وهناك مجتمعات تبحث الحكومة فيها عن مواطن لتوظفه، وتضع سياسات لاجتذابه ولكنه لا يريد أن يتوظف وليست لديه رغبة في الوظيفة الحكومية؛ لأن دخلها محدود، ويريد عملاً حراً، ويقول إن قراري بيدي؛ أخرج في أي ساعة وأتاجر بما أشاء وأوسع عملي، أما الموظف المنزوي في غرفة وتأتيه تعليمات؛ افعل كذا، وليس له إلا نعم سيدي، وهو جالس في الغرفة خمساً وعشرين سنة.. فليس هذا هو المنهج.

### الغنى مع الالتزام خير من الفقر

«إن الله عز وجل جعل أرزاق المؤمنين من حيث لا يحتسبون»، غير معروفة، «وذلك أن العبد إذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعاؤه»<sup>(٣٢)</sup>، بالنسبة للموظف، تأتيه خمسمئة ألف دينار في رأس الشهر، سواء كان يعمل أو لا يعمل، أما إذا كان هناك مجال مفتوح فقد

٣١. من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٥، ح ٣٦٠٦.

٣٢. الكافي ٥: ٨٤، ح ٤.

لا يحصل على شيء، وقد يحصل على عشرة ملايين، ويده ممدودة بالدعاء وطاقاته مسخرة ومجندة وحركته نشيطة ويفكر ويخطط ويعمل ويطور مشروعه التجاري والمهني والحرفي إلى آخره، ويمكن أن يتوسع الإنسان بشكل غير محدود في هذه الخطوة.

في رواية أخرى عن الإمام الصادق أيضاً عَلَيْهِ السَّلَامُ: «غنى يحجزك عن الظلم خير من فقر يحملك عليه»<sup>(٣٣)</sup>، من قال لا تصبح ثرياً، ومن قال إن الثراء شيء مرفوض؟ . . من الجيد أن تكون من ذوي الإمكانيات وذوي الثروات، وأن تتحرك وتحصل على فرصة كبيرة في الحياة، وأن يكون لك طموح، وأن تصبح إنساناً ميسور الحال، هذا شيء جيد وليس من ضرر في ذلك، فالثروة مضرّة إذا أسيء استخدامها وإذا أوقعت الإنسان في الحرام ودفعت الإنسان للانحراف، أما الثروة مع الالتزام ودفع الحق الشرعي والالتزامات تجاه الفقراء والمساكين، فلا مشكلة في أن تعيش بشكل جيد.

إن المشكلة في الفقر الذي يوقع الإنسان في الانحراف، وكان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «لو كان الفقر رجلاً لقتلته»<sup>(٣٤)</sup>، فالفقر هو الذي يدفع الإنسان إلى الهاوية وإلى التعدي والتجاوز أحياناً، ويشعر الإنسان بالغبين وعدم العدالة الاجتماعية فيتحوّل أحياناً إلى مجرم ويعتدي على الآخرين، وهذه العقدة؛ أن تكون مؤمناً فيجب أن تموت من الجوع، من قال هذا؟ . . لأنك مؤمن استمتع بحياتك لكن ضمن الحدود الشرعية؛ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾، يا رسول الله، يُسرّ الحال هو المتعة والحياة الطيبة، ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٣٥)</sup>، لذلك فالثروة المنضبطة والغنى ضمن الحدود الشرعية أمر مطلوب وجيد.

في رواية أخرى عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ «لا خير في من لا يحب جمع المال من حلال»، لديه عقدة نفسية، إذ يأتيه المال فيقول لا أريد، لماذا لا تريد الحلال؟ . . وإذا كنت لا تريد الحرام فهذا إيمانك وتدينك، ولكن كيف لا تريد الحلال؟ . . هذه ظاهرة سلبية، ويجب أن تريد وأن تطلب وتعمل.

«لا خير في من لا يحب جمع المال من حلال فيكف به وجهه»، إذا أصبح عندك مال فلن تحتاج إلى الآخرين وتكف بالمال وجهك، «ويقضي به دينه»، ويدفع الديون،

٣٣. الكافي ٥: ٧٢، ح ١١.

٣٤. روائع نهج البلاغة لجورج جرداق: ٨٤، ٢٣٣.

٣٥. سورة الأعراف: الآية ٣٢

ويصبح إنسانا مرفوع الرأس ولا أحد يطالبه بشيء في المجتمع ، «ويصل به رحمه»<sup>(٣٦)</sup> ، سد رمقك وحل مشكلتك أولاً ، وثانياً سد ديون الآخرين ، وثالثاً عندما تسدد ولديك فائض اعط للآخرين ؛ للرحم والفقراء والنازحين والمجاهدين .

قدم ما يزيد وما يفضل عن حاجتك في حياتك اليومية ، ولا تبق جامعا للأموال من الملايين إلى المليارات ؛ اصرف ما في الجيب بحكمة يأتك ما في الغيب ، وكلما أعطيت أكثر في موضعه وبحكمة فإن الله سيعوضك ويوفر لك الفرص ، وتكون في راحة ، والناس تتراح إليك ، وهذا الحقد يتوجه لمتسوري الحال البخلاء فقط ؛ الذي بيته قصر وإمكاناته كبيرة ولا يعطي ديناراً لأحد ، والناس تنظر إلى الثروات وتساءل من أين أتت؟ ، والإمكانات والثروات ملك المجتمع ونحن شركاء فيها ، لكنه لا يعطي أحداً ، فيصبح هناك حقد ، أما الغني الذي يأكل ويطعم الآخرين ، يعيش برفاه ويساعد الآخرين ، فالناس تريد له الخير وتدعو أن يدوم الخير عليه ليصل إليهم شيء . انظروا إلى التوازن الاقتصادي في الرؤية الإسلامية .

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من المروءة استصلاح المال»<sup>(٣٧)</sup> ، إذا كان عندك عشرة ملايين بالمصرف أو بصندوق في البيت ، لا تبقيها في البيت واستصلحها ونمها وتاجر بها واشتر بها بستانا أو بيتا أو أرضا وتحرك بها وطورها ، فحينما يُستثمر في المجتمع ينمو ويتسع ويتطور ويكبر لصاحبه ويحرك الاقتصاد للآخرين ، فعشرة ملايين في القاصة تبدأ بالتناقص ، واليوم العشرة ملايين قيمتها أقل من مثلتها قبل عشر سنوات ، ويتناقص سعر العملة بشكل مستمر ، لكن العشرة ملايين قبل عشر سنوات لو كان وضعها في الأرض لربح عشرة أضعاف ، فلا ، تدخر العملة وإنما استصلحها .

وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إصلاح المال من الإيمان»<sup>(٣٨)</sup> ، من إيمان المرء أن ينمي أمواله ويصلحها ويستعملها في التجارة وما شابه .

### الإِنْفَاقُ بَيْنَ التَّقْدِيرِ وَالتَّقْتِيرِ

وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً: «لا يصلح المرء المسلم إلا بثلاث» ، صلاح الإنسان المؤمن بثلاث خصال ، «التفقه بالدين» ، يعرف أمور دينه ؛ هذا حلال وذاك حرام ، وهذا يجوز وذلك لا يجوز ، وهذا يستحب وذلك مكروه ، فالطاعة والانقياد لله شيء مهم .

٣٦ . بحار الأنوار ١٠٠ : ٧ ، ح ٣٠ .

٣٧ . بحار الأنوار ١٠٠ : ٤ ، ح ٩ .

٣٨ . الكافي ٥ : ٨٧ ، ح ٣ .

«والتقدير في المعيشة»، تقدير المعيشة أيضاً من صفات وسمات المرء المسلم، تقدير المعيشة يعني تجارة ناجحة ويعني أن تعرف أين تضع مالك، والبعض يبعثر المال، ويضع أمواله في مشاريع وهمية غير ناجحة، فتقدير المعيشة أن تتخذ الوسائل والخطوات الصحيحة في التجارة، وتقدير المعيشة أن تقدر كيف وأين تنفق مالك، فهناك شخص راتبه خمسمئة ألف دينار ويعيش الشهر كله وراتبه يكفي، وحينما تدخل بيته تجد أثاث بيته وأولاده بحال جيد، وهناك من يكون راتبه مليوني دينار وراتبه لا يكفي، وترى ملابسه وبيته بحال سيئ، وطعامه غير مرتب وعائلته متعبة، وهذا يحصل من حسن تقدير المعيشة بالنسبة للأول ومن سوء التقدير للثاني.

إن تقدير المعيشة يوفر الكثير من المال؛ أين تنفق، وكيف وعلى ماذا تنفق، وكم تنفق؟ . . . تحتاج إلى تقدير للأمور، وفرق كبير بين تقدير المعيشة والتقدير في المعيشة؛ فتقدير المعيشة بخل، أما تقدير المعيشة فهو حكمة، والتقدير يعني الشح أي البخل، فحاول أن توسع على عائلتك ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾<sup>(٣٩)</sup>، الخير على مظهرك ومظهر أولادك وبيتك وهذا مطلوب. تقدير المعيشة قضية أساسية ومطلوبة.

«والصبر على النائية»<sup>(٤٠)</sup>، الدنيا دار البلاء والابتلاء، ويجب أن تصبر وتحمل ولا ترتبك، وهناك قول معتاد نقوله للمُعزَى إذا توفي له أحد، إذ نقول إن شاء الله خاتمة السوء، وهذا غير صحيح؛ هذا يعني أن الموت سيئ، والموت قادم لا محالة، فهذا يعني أنك أول من سيموت بعد الميِّت، والصحيح أن نقول أحسن الله لك العزاء وعظم الله لك العزاء، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾<sup>(٤١)</sup>، يا محمد، يا رسول الله، الموت والبلاء حق، صحيح حينما يموت وعمره ثمانون سنة أحسن، ولكن الشاب الذي عمره في العشرينيات واستشهد هنيئاً له، وهذا شرف وعزة وكرامة، وما الحياة سوى موقف في الدنيا وسعادة في الآخرة، لذلك فالصبر على البلاء والنوائب أمر مهم ومطلوب.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ النَّفْسَ إِذَا أَحْرَزَتْ قوتَهَا اسْتَقَرَّتْ»<sup>(٤٢)</sup>، حينما يكون في جيبك مبلغ جيد من المال تستقر وتهذب نفسك، ولكن إذا كان العكس فسوف تكون قلقاً، فالاستقرار الاقتصادي ينتج استقراراً نفسياً، والمجتمع المستقر اقتصادياً

٣٩. سورة الضحى: الآية ١١.

٤٠. من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٦، ح ٣٦١٨.

٤١. سورة الزمر: الآية ٣٠.

٤٢. الكافي ٥: ٨٩، ح ٢.

مستقر نفسياً، والفوضى الاقتصادية والفساد، إرباك نفسي ومشاكل كبيرة يمكن أن تواجه المجتمع . . لاحظوا هذه القواعد الإسلامية في إدارة المجتمع .

عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ضمنت لمن اقتصد ألا يفترق»<sup>(٤٣)</sup>، الاقتصاد في الصرف وليس البخل والتقتير، بل اقتصاد حكمة في ما ينفق الإنسان، وهذا لا يفترق.

### التحذير من الإسراف

روى الأصمغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «للمسرف ثلاث علامات؛ يأكل ما ليس له، ويشترى ما ليس له، ويلبس ما ليس له»<sup>(٤٤)</sup>، يأكل في المطاعم الراقية ويضطر إلى أن يقترض المال ليأكل في المطعم الفلاني الراقى، أو يركب سيارة حديثة الطراز بأموال اقترضها من المصارف أو يشتري أثاثاً بالدين، فهو لا يملك ما يأكله وما يلبسه وما يتمتع به، بل من الاقتراض، هذا هو الإسراف.

وبالطبع، ما ليس له يعني أكثر من حاجته، فهو يأكل أكثر مما يحتاج إليه ولا يتوقف عن الأكل، «كم من أكلة منعت أكالات»<sup>(٤٥)</sup>، والبعض يتسابق في الأكل، وهذا شيء غير صحيح لأنه يولد الأمراض والعلل، ويجب أن يكون هناك اعتدال في مقابل الإسراف. ويلبس ما ليس له بهذا المعنى أيضاً، ويجب لبس الملابس الخاصة بالعمل في العمل، واستخدام الملابس المناسبة في المكان المناسب، وكذلك استخدام الطعام المناسب بالقدر المطلوب في الحياة اليومية، هذا كله اعتدال ووسطية في المنهج، وهو أمر مطلوب.

رواية أخرى عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من الفساد قطع الدرهم والدينار»، العملة الورقية في الغرب تبقى عشر سنين وهي جيدة، وهنا تبقى عشرة أشهر، نعبث بها ونطويها ونكتب عليها إلى غير ذلك، وهذا غير صحيح، فهذه ثروة وطنية، وفي زمن هذه الرواية لم تكن العملة ورقية وإنما نقدية؛ درهم ودينار، ومع ذلك نجد التوصية بها فكيف بالعملة الورقية. يحتاج الإنسان إلى أن يضع العملة بالمحافظة ويحافظ على هذه الأموال؛ لأن الورقة ملك المجتمع وثروة وطنية وندفع الأموال لكي يطبعوها، «وطرح النوى»<sup>(٤٦)</sup>، إذا أكلت التمر فلا ترم النوى بل ازرعها لتخرج نخلة. إن استثمار الطاقات المتاحة منهج اقتصادي مهم، وعدم الإسراف مسألة أساسية.

٤٣ . الكافي ٥ : ٥٣ ، ح ٦٣ .

٤٤ . من لا يحضره الفقيه ٣ : ١٦٧ ، ح ٣٦٢٤ .

٤٥ . نهج البلاغة ٤ : ٤٢ ، الحكمة ١٧١ .

٤٦ . من لا يحضره الفقيه ٣ : ١٦٧ ، ح ٣٦٢٥ .

سُئل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أدنى الإسراف فقال: «ثوب صونك تبتذله»، ثوب صونك يعني ثوب تجملك، هذه الملابس حينما تتوسخ في مكان ما، «وفضل الإناء تريقه»<sup>(٤٧)</sup>، حين تشرب الماء وترمي الباقي هذا شيء غير صحيح، وإذا كان هذا المقدار القليل من الماء لا يسمح الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ برميهِ، فما حال الماء الكثير الذي نهدره هذه الأيام؛ إذا أردنا أن نتوضأ نصرف ماء يعادل وضوء شهر كامل، ونهدر الماء الكثير في غسل السيارة، وهذا غير صحيح، فهذا ماء للشرب فقط وقد صُرفت عليه أموال كثيرة في تصفيته وتحليلته وتطهيره من الميكروبات وما شابه. وكذلك ما يفيض من الطعام، وهذه من العادات الرائجة وغير الصحيحة؛ إذ نرمي كميات هائلة من فائض الطعام، وقد قرأت تقريراً يقول إن الفائض من الطعام في النفايات في بغداد يكفي لإطعام ثلث أهل بغداد، هذا الموضوع يمكن تداركه من خلال الاقتصاد والطبخ حسب الحاجة، والفائض يمكن توزيعه بين الفقراء وسوف لا يبقى فقير في بغداد.

هذه ثقافة، وهذه ليست بخلاً أو تقتيراً، وإنما هي تقدير في الإنفاق وفي التعامل مع القضايا التي تجعل الإنسان يقع في الإسراف من دون أن يعي ويعرف ذلك.

#### سبايكر.. وصمة عار في جبين من خان الأمانة

في بداية ملتقانا اليوم وقفنا دقيقة صمت واعتصام وقراءة الفاتحة دعماً لضحايا سبايكر وعوائلهم، وللحقيقة نقول؛ إن ما حدث في سبايكر سيكون وصمة عار وفضيحة تلاحق كل من تورط بها. وعليهم جميعاً أن يكونوا واثقين من أن أرواح الآلاف من الشباب التي أزهقت ستبقى تطوف في سماء الوطن وتلعن كل من تواطأ بهذه الجريمة والفضيحة مهما كانت طائفته أو ديانتته أو قوميته ومهما كان منصبه، وسيبقى اسم سبايكر وصمة عار في جبين من فرط بالمسؤولية وخان الأمانة، «فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>(٤٨)</sup>.

لقد ذكرنا في الأربعمائة الماضي أنها جريمة ضد الإنسانية، وعلى الجهات المختصة أن تقوم بواجبها وترفع ملفاً للأمم المتحدة وتسجل هذه الجريمة بهذا العنوان، وكذلك على وزارة العدل أن تحرك قنواتها القضائية من أجل اكمال الملفات القضائية وتسجيل شهادات الناجين، أما وزارة الدفاع، فهي أمام فضيحة مدوية، وستسقط فيها الكثير

٤٧. من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٧، ح ٣٦٢٦.

٤٨. بحار الأنوار ٧٢: ٣٨، ح ٣٦٦.

من الرؤوس الفاسدة، والضغط والتهديدات التي يتعرض لها الشهود الناجون، دليل إدانة أخرى على المتورطين وشعورهم بافتضاح أمرهم، وعلى الأجهزة المختصة توفير الحماية الكاملة لهؤلاء الشهود وضمان عدم الضغط عليهم لسحب شهاداتهم.

إن سبايكر قصة عار لن نسمح للفاسدين والفاشليين بأن يلطخونا جميعاً بها، وعلى الجميع أن يعمل على تبرئة نفسه منها، وإن مجرد السكوت عن هذه الجريمة والفضيحة هو تواطؤ بحد ذاته، فكيف يُترك هذا العدد الكبير من الشباب المقاتلين في العراق وهم يواجهون مصيراً محتوماً في حفلة إعدام جماعي على الهوية والطائفة، وكيف يُعقل أن يخرج هذا العدد الكبير من قاعدة عسكرية محصنة لكي يموتوا من دون أي ثمن؟ . . فوالله لو أنهم قاتلوا بالسكاكين والحجارة لكانوا قاوموا أياماً وأسابيع كما قاومت آمرلي البطلة ولباتونوا استشهاداً وهم يدافعون عن حياتهم ووطنهم، ولكنهم تركوا هكذا، يُساقون إلى الموت المحتوم على أيدي أخس خلق الله وأجنهم، فلا نامت أعين الجبناء والفاشليين.

إني أعاهد كل أم احترق قلبها على ولدها، وكل أب تلوع فؤاده على ولده، بأني سأكون آخر من يتوقف عن الصراخ والمطالبة بفضح أركان الجريمة والكشف عن الجناة وتقديمهم للمحاسبة، وستبقى سبايكر جريمة اقترفها إرهاب أسود، وفضيحة تلوث بها من تلحف برداء الفساد والرذيلة، وعاراً على جبين من تحمل مسؤولية هؤلاء الشباب الشهداء.

### الحرب الأمامية على داعش

إن قرار الأمم المتحدة الأخير بتكوين حلف دولي لمحاربة داعش إنما هو خطوة على الطريق الصحيح، وإن جاء متأخراً بعض الشيء، ولكن أن يأتي متأخراً أفضل من ألا يأتي أبداً. لقد تركنا وحيدين في مواجهة الإرهاب منذ أكثر من خمس سنوات، وكنا قد حذرنا الجميع من أن الإرهاب كالجراثيم إذا لم يجد ما يأكله فسيأكل نفسه، ولن تكون دولة أو مجتمع بعيداً أو بمنأى عن الإرهاب وأفكاره المنحرفة، ولكن للأسف؛ أسمعنا لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي . . فلم يستمع لنا أحد ولم يستوعب تحذيرنا أي طرف، وكان أقصى ما قدموه هو كلمات الدعم الخجولة والعامية. إنهم يتكلمون عن أن العالم أصبح قرية صغيرة، وكان الأجدر بهم أن يدركوا أن هذه

القرية قد أصابها فيروس معد، وأن عليهم مكافحته بقوة، وأنه لا أحد سيكون بمنأى عن العدوى، ولكنهم تركوا المرض يستفحل حتى تحول إلى وباء.

واليوم هناك آلاف الشباب الضال الذين انحرفت عقيدتهم يتجولون أحراراً في العالم، وهم قنابل موقوتة وجاهزة للانفجار على أي هدف غير عابئين بالأبرياء من الضحايا، لأن فكرهم المنحرف يقدم لهم الجنة على أشلاء الأبرياء، ويصور لهم النصر بقطع رؤوس الضحايا، واليوم وقد استيقظ العالم على بشاعة هذه العصابة المجرمة، فإننا نناشد العالم ألا تكون معايير مزدوجة في الحرب على داعش الإرهابية، فالخلايا السرطانية لا تكافح في جهة وتُترك في الجهة الأخرى تحت أي ذريعة أو ظرف، فداesh وُلدت في العراق ولكنها نمت في سوريا والآن انتشرت في العالم، ولولا الحاضنة والانفلات في الداخل السوري ما استطاعت أن تتحول إلى هذه الدرجة من التنظيم والجهوزية والخطورة والتمدد، فعلينا أن نسعى إلى حلول جذرية وليس مجرد حلول ترقيعية مرحلية، ولنضرب داعش أينما كانت وكيفما كانت ولتكن الحرب الأممية عليها حرباً تسير بمعيار واحد لا بمعايير مزدوجة.

### أمرلي الصمود والانتصار

بالأمس زُفت لنا أمرلي بشرى الانتصار، هذه المدينة الصغيرة التي سجلت ملحمة كبيرة، في أمرلي الإيمان والعقيدة، حيث التركمان من أتباع أهل البيت، كان الصمود والثبات والصبر وتحمل الأذى فتحقق الانتصار. أمرلي الصغيرة بمساحتها ولكنها الكبيرة بعنوانها، انتصرت بعقيدتها الحسينية وصمدت بروحيتها الزينية.

أرادوها أسيرة ذليلة فتحولت إلى أسطورة في الصمود والمقاومة، وكسر الحصار عن أمرلي وهزيمة الإرهاب الداعشي فيها برهن على مدى تأثير الحشد الشعبي وبسالة الشباب المؤمن الذي اقتحم هذا المعقل الخطير من معازل الإرهاب واستطاع أن يهزمهم ويكسر شوكتهم بالتعاون مع قوات الجيش والبيشمركة، ليتحول هذا الجهد البشري إلى محطة أساسية لتوحيد جميع الطاقات الوطنية في مواجهة الإرهاب. إن أمرلي درس كبير لكل من يراهن على تمزيق هذا الوطن، فالعراق سيصمد أمام هذه الهجمة البربرية كما صمدت أمرلي، وسيدافع عنه الشرفاء من جميع الطوائف والقوميات كما دافعوا عن أمرلي، والآن يبدأ الزحف لتحرير جميع مدن وقرى العراق من دنس الإرهاب والانحراف والإجرام.



إن أقل ما نقدمه إلى أهالي أمرلي هو أن نطلق في كل محافظة اسم أمرلي على أحد الشوارع الرئيسة، كي تكون قصة انتصار تعيش بين الناس وينشأ عليها الأطفال. إن الشعوب تعيش بتضحياتها وتصمد بتاريخها وتتحدى الصعاب بوحدها، واليوم نحن على أبواب ولادة عراق جديد، وأنا واثق من أنه سيكون عراقاً يفتخر به الجميع ويفتخر هو بأبنائه، وسنبقى جميعاً نفتخر بأمرلي وصمودها وانتصارها.

### تشكيل الحكومة والبدائية الصحيحة

نحن على أبواب تشكيل الحكومة الجديدة وجميعنا يتطلع بشغف لتكون بداية جديدة وصحيحة، وإننا نلمس أن الجميع قد استوعب درس المرحلة السابقة وأن سياسة الاقصاء والتهميش والتأزيم لن توصلنا إلا إلى الانهيار والتشطي والفرقة والخصومة، ونحن معنيون جميعاً بتقديم التنازلات المتبادلة وإبداء المرونة ضمن سقف الدستور والقانون والإسراع بتشكيل الحكومة وعدم انتظار الساعات الأخيرة من المدة القانونية وما تحمله من مفاجآت وضغوط للحصول على المزيد من المكاسب دون وجه حق.

في الأيام القليلة الماضية التقيت بأغلب الكتل السياسية، وكان هناك سؤال يُطرح وهو: ما هي الضمانات؟.. وكنت أجيب في كل مرة بنفس الجواب؛ وهو لا توجد ضمانات غيرنا نحن العراقيين، فنحن كفريق عراقي منسجم عندما نعمل ضمن برنامج واحد متفق عليه، سنشكل الضمانة الحقيقية للجميع، نحن القوى السياسية التي تؤمن بسياسة الاعتدال والوسطية وتفكيك الأزمات ومن ثم تصفيرها، نحن نشكل أكبر ضمانات، مع احترامنا وشكرنا وتقديرنا لكل القوى الإقليمية والدولية التي عملت وتعمل بصدق على مساعدة العراق وشعبه في عبور الأزمة، ولكنها حتى لو قدمت أية ضمانات فإنها لن تكون كافية، لأن الضمانة الحقيقية الفاعلة على الأرض هي التي تكون صادرة من أهل هذه الأرض.

إذا لم تكن النوايا صادقة، فمهما تكاتبتنا فستهمل جميع الأوراق ولا ينفذ أي من الوعود، وقد جرب الجميع سياسة اتفاقات اللحظة الأخيرة وسياسة الوعود الكبيرة والكثيرة تحت الطاولة، فماذا كانت النتيجة سوى مزيد من التفكك والانهيارات التي وصلنا إليها؟.. فالدول لا تُبنى بالوعود والأمانى، ولا تُبنى بسياسات الغلبة والتخبط واللف والدوران، وإنما تُبنى بالمصادقية ووضوح المشروع والتخطيط والإستراتيجية والعمل مع الجميع ومن أجل الجميع، كما إن الدول لا تُبنى بالمزاجية وشراء الذمم، ولا بالانفرادية والشخصنة والنرجسية. إن الدول تُولد من رحم آلام شعوبها كي تحقق

لهم الأمان والاستقرار والطمأنينة، وتبنى بعقلية قادتها لا بمزاجيتهم، فتبقى الدول ويرحل القادة وتخلدهم الأجيال ويذكرهم التاريخ ويمجد إنجازاتهم. أتمنى أن يكون الجميع قد استوعب الدرس، لأنه كان قاسياً جداً وقد استهلك منا الكثير من الوقت، وسنكون داعمين كما كنا دائماً لأي مشروع صادق لهذا الوطن، فإن هذا الشعب قد دفع ثمناً غالياً لم يدفعه شعب حر ومستقل آخر، وهو شعب أبي ويستحق أن يعيش حياة كريمة وآمنة، فليكن تشكيل الحكومة الجديدة بداية صحيحة تعوضنا سريعاً عما فاتنا من وقت وفرص.

الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٠١٤/٩/١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ، سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم الأخوات الفاضلات ، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا ، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم .

أبارك لكم الأيام الشريفة الكريمة التي مرت علينا ، بذكرى مولد ثامن الحجج سيدنا ومولانا أبي الحسن علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، هذا الإمام الهمام الذي ترك بصماته بشكل واضح في مسار الأحداث وأصبح نبزاً ومعلماً مهماً من معالم الصلاح والهداية في حركة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي تاريخ المسلمين .

الإمام الرضا .. حكمة الحق ومواجهة التحديات والأطماع

نعلم كيف واجه التحديات الخارجية والتحديات الداخلية ، في داخل البيت وفي خارجه ، وكيف استطاع بحكمته وعقله وعصمته وسعة صدره أن يستوعب هذه التحديات وأن يتجاوزها ويمضي ، ليضع لبنة أخرى ويخطو خطوة إضافية في تعزيز وترسيخ ملامح مدرسة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ . التحدي الخارجي الكبير حينما تناط به ولاية العهد ، وحينما يُضغَط عليه ويُهدد بالقتل إن لم يقبل ولاية العهد ، في محاولة مفضوحة ومكشوفة من أجل جعله في الواجهة ، لكي يستفيد أولئك الطغاة في تحقيق مصالحهم ومآربهم ، وليس لمنحه دوراً حقيقياً يمكنه من أداء واجباته تجاه الأمة ، فكان مضطراً لقبول ولاية العهد .

ولكن كيف استطاع أن يحدد هذه الانطباعات ، وأن يُجهض المشروع الدنيء الذي

أراد للإمام أن يكون في الواجهة من دون أن يأخذ فرصة حقيقية في تحقيق إنجازات أساسية للأمة، وهناك بحث طويل في موضوع ولاية العهد والشروط التي اشترطها الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ والسلوك الذي اعتمده في هذه الفترة، حتى استطاع أن يحول هذا الموقع إلى فرصة مهمة للتواصل مع الأمة، من دون أن يعطي للطغاة ما كانوا يطمحون إليه، واستطاع أن يفرز نفسه عن ذلك البلاط وجميع المظالم والمفاسد التي تجري تحت قبتة، وفي الجانب الآخر، هناك التحدي الكبير الذي واجهه الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ في تثبيت إمامته بعد تلك الادعاءات التي كادت أن تمنع أتباع أهل البيت من الالتحاق بالإمام والإيمان بإمامته والالتزام بتوجيهاته.

لقد واجه الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ دعوى أن الإمام الكاظم لم يُستشهد، وإنما صُعد بروحه إلى السماء وسيعود لاحقاً، كل ذلك استغلالاً من بعض الممثلين للإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذين اجتمعت لديهم أموال طائلة من الحقوق والإيرادات الشرعية نتيجة السنين الطويلة التي قضاهما في السجن، فكانت الأموال تُجبي إلى هؤلاء الممثلين، وكانت فترة انتعاش اقتصادي كبير آنذاك مما أدى إلى اجتماع مال كبير لدى هؤلاء، فكان الإيمان بإمامة الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ يعني أن يسلموا الأموال إلى الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وشق عليهم تسليم المال فخانوا الأمانة وحاولوا أن يهيمنوا على هذه الأموال ويأخذوها من دون وجه حق، ولم تكن هناك حيلة إلا الادعاء أن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ ما زال إماماً وصُعد بروحه إلى السماء وسيعود لاحقاً، فليس هناك إمام من بعده، فكانت المعاناة العظيمة التي تحملها الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ من أجل عدم تصدع واقع أهل البيت في ظل ملاحقة أجهزة السلطة لأتباع أهل البيت.

كان عليه أن يجري عملية جراحية ليبدد هذه المؤامرة ويلتف على هؤلاء الخونة، من دون أن يفرط أو يخاطر بأرواح أتباع أهل البيت بانكشاف قضيتهم، ودائماً تكشف الأزمات والمشاكل الكثير من الأمور، فقد كان هناك تستر على أتباع أهل البيت، وإن اشتداد هذه الخصومة وهذا التنافس والصراع الداخلي في داخل بيت أهل البيت وأتباعهم، كان سيؤدي إلى اكتشاف وافتضاح الكثير من الأمور، وهذا ما كان سيعرض أتباع أهل البيت للمخاطر الجسيمة، فكيف يحافظ على تماسك ولحمة وحفظ البيت الداخلي وأتباع أهل البيت؟، وكيف يكشف زيف هؤلاء المتربصين والخائنين الذين خانوا الأمانة، وخانوا التمثيل الذي أولاهم إياه الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

وفي هذا درس عظيم؛ فمهما كان الإنسان في لحظة ما متألقاً ومهما كان موثوقاً إلى درجة أن يكون ممثلاً لإمام معصوم، بأن يتم اختياره ويكون من كبار الرواد، كما ينقل

في أولئك الذين قاموا بهذه الخيانة العظمى؛ أبي حمزة البطائي وأمثاله من كبار الرواد، ولكن يمكن أن يضعف الإنسان في لحظة أمام مال وإمكانات وامتيازات ووجاهة ودنيا تُقدّم عليه بشكل من الأشكال، فيبيع دينه لندياه نستجير بالله من ذلك، وكان الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ بارِعاً في مواجهة التحدي الخارجي في ولاية العهد، والتحدي الداخلي في الوقت نفسه، لتطويق هذه الأزمة والالتفاف عليها وشد الجمهور من جديد والاستمرار في ممارسة دوره الكبير في إمامة المسلمين، فسلام على إمامنا الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجعلنا الله وإياكم من السائرين على نهجه ومنواله.

### النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

ما زلنا في طبقات المجتمع التي ذكرها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ. ووصلنا إلى الطبقة الرابعة، وهي طبقة رجال الأعمال والصناعيين، واستعرضنا عدداً من النصوص الواردة في هذه الطبقة المهمة والحيوية.

#### آثار الكسل والضجر وتضييع الحقوق

في رواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «ملعون ملعون من ضيع من يعول»<sup>(٤٩)</sup>، الشريحة التي تحتاج إلى الإعالة والرعاية، شريحة المظلومين، عوائل الشهداء، الأرمال والأيتام وفاقدو المعيل، أولئك الذين ليس لهم من يرعاهم، ويتحمل المجتمع مسؤولية رعايتهم، وإذا قصر المجتمع في أداء الأمانة وترك عوائل الشهداء أو تخلى عن الأرمال والأيتام وفاقدو المعيل، هذا المجتمع تصيبه اللعنة، ولا سيما في مجتمعنا؛ إذ هناك جيوش من الأرمال والأيتام والمغييبين، مجتمع يحتاج إلى رعاية واهتمام، ورجال الأعمال ميسورو الحال ومن له قدرة على الإعانة إذا قصر في أداء واجبه فسوف يكون مشمولاً بهذا اللعن الإلهي الذي يتحدث عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

في رواية عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إياك والكسل والضجر»<sup>(٥٠)</sup>، الكسل حالة تحصل في الإنسان وتمنعه من أداء واجباته، والإنسان الكسول لا يعمل ولا يتحرك ولا يقوم بواجبه بالشكل الصحيح أو يتخلف عن أداء الواجب، إياك، تحذير من أن

٤٩. الكافي ٤: ١٢، ح ٩٩.

٥٠. بحار الأنوار ٧٥: ١٧٥، ح ٣١.

يكون الإنسان كسولاً ، فالإنسان يجب أن يكون نشيطاً ، ويجب أن يتحمس في حسن أداء واجباته ، ويجب أن يكون على قدر المسؤولية في المهام التي تناط به .

أيها الموظفون الكرام ؛ حوائج الناس أمانة في أعناقكم ، فلا تؤذوا الناس ولا تؤخروا مصالحتهم بعبارة تعال بعد أسبوع أو بعد يوم ، أتعلم أيها الموظف كم صرف المواطن من وقت ، وكم تحمل من معاناة ، وكم سيطرة عبر ليصل إلى الدائرة ويحل مشكلته؟ . . . وبكل سهولة تقول له تعال غداً ، يجب أن يُحترم وقته ، فحلوا مشاكل الناس ، ولا تعقدوا المعاملات ، ولا تبتزوا الناس ، وهكذا في المهام الأخرى ، أينما كان الإنسان ؛ في مهمة من الأعمال الحرة أو مهمة حكومية أو في حياته الشخصية ، يجب أن يكون جاداً ونشطاً ؛ «رحم الله من عمل عملاً وأتقنه»<sup>(٥١)</sup> ، فالمطلوب هو الاتقان في العمل وحسن الأداء والنشاط والحيوية .

ذهبت إلى كوريا الجنوبية في زيارة رسمية قبل عدة سنوات ، وكتابتهم تشبه الكتابة الصينية ، أشكال لا تفهم ، وقد رأيت شكلاً معيناً موجوداً بمساحة من الشوارع ، وموكبنا يذهب ويأتي في زيارات ولقاءات ، ومن مكان إلى آخر نفس الشكل يتكرر بكل مكان ، فسألت المترجم الذي معنا عن معنى هذه الأشكال والكتابات التي تتكرر ، ماذا تتوقعون معنى هذه الكلمات التي تتكرر في الشوارع في العاصمة سيئول؟ . . . كانت ترجمتها «ابتسم أنت في سيئول» ، يذهب المواطن يميناً وشمالاً ويدخل في هذا الشارع ويخرج من ذلك الحي ، وأينما يذهب يجد «ابتسم أنت في سيئول» ، فبتبسم الناس ، والدنيا لا تساوي شيئاً ، ونصف التعب يزول ونصف المشاكل تُحل والتوتر والعصبية والانفعالات الشديدة تنهياها ابتسامة واحدة .

هل رأيت مثل هذه العبارة الذكية على قصرها ، لكن المغيرة ؛ مغيرة لأحوال الناس التي تركض من أول الصباح إلى منتصف الليل ، ونحن كان لدينا جدول مزدحم ونتحرك من الصباح إلى المساء من مكان إلى آخر ، في لقاءات وبرامج ، وفي جميع هذه الأماكن يجد الإنسان النشاط والحركة ، ويتذكر الإنسان وصية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ التي تقول : «الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم»<sup>(٥٢)</sup> ، لا يأخذ الآخر تعاليم الإسلام ويعمل بها ويتطور ويتقدم ، وأنت المسلم لا تأخذها فتأخر .

«إياك والكسل والضجر» ، الضجر ، حالة الاضطراب والملل التي تصيب الإنسان ،

٥١ . كشف الخفاء للعجلوني ١ : ٤٢٦ .

٥٢ . نهج البلاغة ٣ : ٧٧ ، الكتاب ٤٧ .

فيغضب ويصير عصبيا ويغلق المحل ويذهب ، أتريد أن تنتقم من نفسك والمجتمع؟ . . . موظف يغضب ويغلق الباب ويقرر ألا ينجز المعاملات ، أتعاقب الناس لأنك غاضب؟ . . . هذا ليس منطقيًا صحيحًا ، فالضجر يضيع المصالح ويعقد الأمور ، وكذلك الشيخ ؛ فمن أي بادرة (يزعل) ويغلق الديوان ، فأين سيذهب الناس ، وأين ستحل مشاكلهم ونزاعاتهم ، وأين يستفيدون ويسمعون كلمة طيبة؟ . . . وما دمت أصبحت شيخًا فيجب ألا تغضب ، وما دمت أصبحت مديرًا فليس من حقلك الغضب ، وما دمت صرت وزيرًا فيجب ألا تستقيل ، والحمد لله ، في بلدنا لا توجد استقالة ، ولكن في الأماكن الأخرى هناك أحيانًا استقالة ناتجة عن شعور واعتراف بالتقصير ، وهذه خطوة جيدة ؛ حين يقول قصرت ولا أستطيع ، ليأت غيري ، ومرة (يزعل) ، وهذا لا يجوز فأنت مؤتمن في المهمة ، سواء في عمل معين في مكان ما ، أو في مهمة سياسية أو تنظيمية أو حكومية أو عمل تجاري وهكذا ، فلا الكسل مقبول ولا الضجر مقبول ، انظروا منهج الإسلام في التصدي .

عندما تذهب إلى الشورجة في الساعة التاسعة صباحًا لا تجد الكثير ؛ لأنهم نيام ، لماذا؟ . . . يا تاجر لا تكن كسولًا . . . يجب أن يكون الإنسان في العمل مبكرًا والناس لديهم مصالح ويأتون من المحافظات ليتسوقوا ، فالكسل ظاهرة غير صحيحة والضجر أيضًا .

«فإنهما مفتاح كل سوء» ، الكسل والضجر مفتاح كل مشكلة وبلية ، «إنه من كسل لم يؤدِّ حقًا» ، يضيع الحق ولا يؤدي مهماته ، في بلدنا يقال إن نسبة الوقت المفيد للمواطن في بعض البلدان ثلاث دقائق ، وهذا يعني أن هناك أناسا ، وما أكثرهم ، يمر عليهم أسبوع وليس لديهم دقيقة مفيدة ، وليس هناك عمل إنتاجي حقيقي ، بل كلام ودردشة فقط ، كلام فارغ وتضييع للوقت ، والوقت ليس له حرمة ؛ تتفق معه على موعد واجتماع في الساعة الرابعة ، ويصل الوقت إلى الرابعة والنصف وهو لم يأت ، ثلاثون دقيقة ضائعة ، وفي هذا الاجتماع يجب أن يحضر عشرون شخصًا ، فإذا ضربت عددهم بمدة التأخير تكون النتيجة خمسمائة دقيقة ضائعة ، أليس للوقت حرمة وتسعيرة؟ . . . وقت الإنسان من ذهب ويجب ألا يضيع وهذه مشكلة كبيرة ، فالكسول لا يؤدي الحقوق ، «ومن ضجر لم يصبر على حق»<sup>(٥٣)</sup> ، الحقوق تؤخذ وتُتزع ولا تُمنح ، وإذا زعلت) وذهبت سيضيع الحق ، فالحق يضيع بالضجر والغضب وما إلى ذلك .

## مواجهة الإرهاب بالعلم والمعرفة

في رواية أخرى، عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ ونحن في ضيافته وجواره: «إن الله تعالى ليبغض العبد النّوَام»، النّوَام يستيقظ في الساعة العاشرة أو فوق ذلك. . أن نكون أمة نائمة فهذا شيء خطير. في الساعة الخامسة أو السادسة صباحًا تعج الشوارع بالحركة، والناس تذهب إلى عملها، وفي بعض شعوبنا العربية مع الأسف يمثل النوم من الإشكاليات التي نواجهها، والإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ يحذر من ذلك؛ «إن الله تعالى ليبغض العبد النّوَام، وإن الله تعالى ليبغض العبد الفارغ»<sup>(٥٤)</sup>، ليس لديه علم أو معرفة، وحين تسأله؛ متى أمسكت كتابًا آخر مرة؟. . يقول لا أعلم، عندما ولدت زوجتي رفعت كتابا، ومتى كان ذلك؟، الآن زوجناه. . عجبًا!. . منذ عشرين سنة لم تفتح كتابًا ولم تقرأ صفحة، أين المنطق في هذا، ومن أين تأتي المعرفة؟.

الشعب العراقي في يوم من الأيام كان شعبًا قارئًا بين الدول العربية، ويقال إن الكتاب يُكتب في مصر ويُطبع في لبنان ويقرأ في العراق. في بداية بناء عملية الديمقراطية بعد سقوط الدكتاتور، أصبح الناس يتراكمون إلى معارض الكتاب، وقلنا عاد الشعب للقراءة، ولكن مرت أربع سنوات الآن ومعرض الكتاب السنوي عندما يقام، مع الأسف، تراه خاليًا من الناس، وقلما يذهب أحد ويشترى كتابًا، أسبب الإرهاب؟. . إن القضاء على الإرهاب بالعلم والمعرفة والفكر والثقافة الصحيحة، فإن الثقافة الخاطئة التي تُزرق لعدد من شباننا هي التي تدفعه إلى أن يقتل الآخرين ويتقرب بذلك إلى الله، والإرهاب وليد الفراغ المعرفي، ويجب أن نعالج ونواجه الإرهاب ليس بالسلاح فقط، وإنما بالعلم والمعرفة.

نحتاج إلى المعلومات العامة ويجب أن تكون قوية، وكذلك المعرفة الفقهية والتاريخية والاجتماعية، والثقافة العامة لا تتكون إلا بالقراءة والمتابعة. والتلفزيون الذي هو رافد معرفي مهم، لكن البعض لا يتابع فيه غير الرياضة أو المسلسلات، ولست ضد الرياضة كما تعلمون، فأنا منحاز للرياضة والرياضيين، أما الأفلام والمسلسلات فمعظمها لا يخرج منها شيء مفيد، وليس فيها معرفة وعلم، وقد لا تكون لدى البعض رغبة بالقراءة، ولكن، والحمد لله، أصبح لدينا عشرات القنوات المفيدة، ويستطيع الإنسان أن يتابعها وفيها برامج يستفيد منها في مجالات مختلفة، ويجب أن يخرج الإنسان من حالة الفراغ.

٥٤. من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٩، ح ٣٦٣٩.



## باشر أمورك المهمة بنفسك

في رواية أخرى تشير إلى قاعدة اقتصادية مهمة، عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «باشر كبار أمورك بنفسك»، القضايا المهمة الكبيرة باشرها بنفسك، «وكل ما صغر منها إلى غيرك»، صغائر الأمور أوكلها لأبي فلان، أو إذا كان عندك عمال فأوكلها إليهم، أما كبار الأمور فاعملها بنفسك ولا تكلها لغيرك، «فقليل ضرب أي شيء»، مثل ماذا؟، «فقال ضرب أشرية العقار»<sup>(٥٥)</sup>، أتريد أن تشتري قطعة أرض؟ . . لا ترسل هذا وذاك، فتكون بسعر كبير، ولا تعلم أين قطعة الأرض؛ ليست على الشارع العام أو ليست بمكان مناسب.

في إحدى المحافظات خصصت الحكومة المحلية مبلغاً كبيراً؛ مليارات من الدنانير لبناء مركز كبير لاختبار الأدوية للفرات الأوسط، ولا يوجد في العراق إلا في بغداد وأربيل فقط، وتم بناؤه في مكان كبير وأنفقت عليه المليارات، وقلنا الحمد لله وذهبوا ليقصوا الشريط، وإذا به في الحي الصناعي قرب الميكانيكيين والمصلحين، والأدوية تحتاج إلى بيئة نظيفة ولا يكون ذلك حيث الدهون والزيوت، وليس من المعقول بناء بناية بمليارات الدنانير بلا فائدة، لأن المسؤول أوكل المهمة إلى موظف وبحث عن قطعة أرض دون أن يراها، ولا يعلم إن كانت تنفع أو لا تنفع.

إن مثل هذه القضايا الكبيرة يجب على الإنسان أن يعملها بنفسه، ولا يتكل على الآخرين؛ «ما حك جلدك مثل ظفرك»<sup>(٥٦)</sup>، لا تحول العمل إلى هذا وذاك، فمن يحترق قلبه مثلك، علينا أن نتحمل مسؤولياتنا، ونشمر عن سواعدنا؛ لأنها قضايا تخصنا فلنتابعها بأنفسنا. المدير الناجح هو الذي يتابع تفاصيل مهمته بنفسه، وقد ضاع عدد كبير من المشاريع وُبددت المليارات نتيجة عدم الدخول في التفاصيل والمتابعة، بل وقع وذهب، لأنه يعتقد أنها ستنتهي بالتوقيع. ليست المسؤولية امتيازات ومواكب ومليارات وإيفادات، بل المسؤولية في الميدان لترى المشروع الذي وقعته أين وصل، ونسبة التنفيذ والجداول الزمنية، وإذا لم تنزل وتتابع لا تُبنى الدولة ولا تسير الأمور.

٥٥. من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٩، ح ٣٦٣٨.

٥٦. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ٣٨٢.

## تجنب خزن المال

عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما يخلف الرجل بعده شيئاً أشد عليه من المال الصامت»، المال الصامت هو السيولة النقدية؛ يخزن نقوده في البيت، ماذا تفعل بها هناك؟ . . . سواء كانت عشرة ملايين أو عشرين مليوناً أو مئة مليون، فاليوم تشتري بها قطعة أرض أو بيتاً، وغداً لا يمكنك أن تشتري نصف قطعة، فالمال الصامت هو السيولة النقدية، وهي خسارة فلا تبقيها مخزونة، فإن تضخم اقتصاد الدولة يعني أن تقل قيمة العملة، وهذه تصبح كلها خسارة، «قلت كيف يصنع بأمواله، قال، يضعها في الحائط والبستان والدار»<sup>(٥٧)</sup>، أي اشتر عقاراً، أو تاجر بها، فستحرك الاقتصاد وتوفر فرص عمل، وكذلك تنمو أموالك. إن قطعة أرض تشتريها اليوم بمئة مليون، وبعد عشر سنوات تكون بمليار، إذ يرتفع سعرها، فأنت رابح والناس تستفيد والاقتصاد يتحرك، ولذلك فالمال الصامت والسيولة النقدية بأن نجمع المال ونضعه في البيت، هذه ظاهرة هدامة للاقتصاد العام وهدامة حتى للإنسان نفسه، وترتكب الوضع الاقتصادي للإنسان وتقلل من فرص الاستثمار والأرباح المطلوبة لهذا الإنسان.

## السياسة فن الحلول الممكنة

لقد تم بعون الله تشكيل حكومة الأخ الدكتور (العبادي)، وللتأريخ نقول؛ إنها كانت ولادة صعبة ومررت بمخاضات عسيرة في أكثر من محطة، ولكن إرادة القيادات السياسية الخيرة ودعم الأصدقاء والأصدقاء، ساعد الجميع على تشكيل الحكومة ضمن المدة الدستورية.

إنها انطلاقة جديدة وبداية تصحيحية كبيرة، فقد وقعنا في الكثير من الأخطاء والأزمات في المرحلة السابقة، وكانت مركبة ومعقدة، إن جوهر السياسة هو فن الحلول الممكنة والمسارات الوسطية التي يتوافق عليها الجميع وتطمئن الجميع، لا فن العزف على التناقضات. إن العراق اليوم بلد يقع ثلثه تحت سيطرة الإرهاب ويعمه الإرباك الإداري والفساد وضعف الخدمات، فالمهمة ليست سهلة أمام الحكومة الجديدة ولكنها ليست مستحيلة، ونحن نرى أن هناك إمكانية كبيرة للنجاح لو التزم الجميع بالعمل بروح الفريق القوي المنسجم وروح الجماعة، وروحية الوطن الواحد والمصير الواحد والمستقبل الواحد.

٥٧. من لا يحضره الفقيه ٣: ١٧٠، ح ٣٦٤٢.

إننا بحاجة إلى إجراءات كثيرة في مجالات متعددة، ولكن هناك بعض السياسات الإستراتيجية التي تضمَّنَها البرنامج الحكومي إذا ما تم الالتزام بها فإننا سنختصر الكثير من الوقت، وأهم هذه السياسات هي مبدأ ترسيخ اللامركزية الإدارية بين المركز والمحافظات، إن هذه اللامركزية ستفك الكثير من الاختناقات الحكومية والإدارية، وتسهم بشكل فعال في تسريع مسار الإصلاحات والإعمار والتنمية. فلنعمل منذ انطلاق هذه الحكومة على تطبيق مبدأ اللامركزية، وليتعامل السادة الوزراء بهذه الروحية، فلا يمكن لدولة تعاني من هذا الكم من المشاكل كدولتنا أن تنهض وتستعيد عافيتها وهي مكبلة بقوانين مركزية خانقة ومعطلة.

والجزء الآخر من عملية الإصلاح يتعلق بالتشريع، فهناك أكثر من ثلاثمئة وأربعين مشروع قانون تمثل البنية التحتية للحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية والخدمية والأمنية للعراقيين، ما زالت مكونة على رفوف مجلس النواب، واليوم نطالب برلماننا الجديد بأن يعمل بروحية عالية من أجل تشريع هذه القوانين لتأخذ حيّز التنفيذ بالسرعة الممكنة، فلا إصلاح بدون أرضية قانونية. ونتمنى للفريق الحكومي النجاح في أداء مهامه الجسيمة، ونوصيه بالعراق والعراقيين ونعده بأننا سنكون داعمين ومساندين له، وفي الوقت ذاته سنكون مراقبين ومقومين لأدائه، ولنبدأ منذ هذه اللحظة مسيرة جديدة بروحية جديدة، ولتكن النظرة الإيجابية هي السائدة وعقلية الحل هي الحاكمة، ولنبتعد جميعاً عن عقلية التأزيم والتخوين.

نتمنى من الأخ الدكتور (العبادي) أن يحسم ملف الوزارات الأمنية والوزارات الشاغرة الأخرى، وألا تطول مسألة الوكالة كما وعد الشعب العراقي بالحسم خلال أسبوع، ووعد الحردين، وسيادته حر و ابن أحرار ونحن نثق به، وبعد أن ننهي الوزارات بالوكالة علينا أن نخلص الدولة العراقية من مواقع الوكالة، فهناك مئات المواقع الحساسة التي تدار بالوكالة وهذه سياسة إدارية فاشلة أوصلت البلد إلى الشلل الذي نعيشه.

### الحاجة إلى إستراتيجية في العمل الأمني

إن من أكبر التحديات التي تواجه العراق دولة وشعباً وحكومة هو تحدي الإرهاب عموماً والإجرام الداعشي خصوصاً، وعندما يكون التحدي بهذا الحجم علينا ألا نواجهه عشوائياً وارتجالياً وبسياسة رداد الفعل، وإنما علينا أن نضع إستراتيجية وطنية لمحاربة الإرهاب، فبعد عشر سنوات من التغيير ما زال العراق يفتقر للعمل بتخطيط وإستراتيجية، وقد شاهدنا أن مئات الآلاف من المقاتلين وعشرات مليارات الدولارات

لشراء الأسلحة لم تستطع أن تقضي على الإرهاب وتقف بوجه داعش ، والسبب هو غياب التخطيط والإستراتيجية في العمل الأمني ، واعتماد ردات الفعل والارتجالية ، وتعيين بعض المسؤولين الأمنيين الفاشلين في مواقع حساسة .

إن علينا أن نحدد نوعية التحدي الذي يواجهنا قبل أن نبدأ بوضع إستراتيجيتنا للتعامل معه ، وفي حربنا مع داعش علينا أن نعرف بالضبط ماذا نواجه ، هل هو مجرد إرهاب أو هو مرحلة جديدة يمكن وصفها بـ «ما بعد الإرهاب»؟ . . ما نراه هو أن داعش يمثل سرطاناً في جسد الأمة ، وعلينا أن نبني إستراتيجيتنا على استئصاله وإلا فإنه يستهدف الأمة كلها لا محالة ، وعلى جميع دول المنطقة أن تعي هذه الحقيقة ، وأن هذا السرطان لا يستطيع أحد أن يضبط حركته أو توجهاته ، وعليه فلا يمكن لأحد أن يدعي أنه في مأمن منه أو بعيد عنه وأنه يستطيع احتواءه أو التعايش معه . إنه إرهاب سرطاني جديد يحمل في داخله القدرة على التمدد ويغلف نفسه بأسماء وعناوين براقة .

واليوم حيث يستعد العالم لتشكيل حلف دولي لمحاربه والقضاء عليه ، فإننا نقول للمجتمع الدولي إن الحرب على داعش يجب أن تكون مفتوحة وألا تحدد مساحه جغرافية أو سياسة مرحلية ، فما فائدة ضرب داعش في الموصل وتركه ينمو في الرقة؟ . . إنه المنطق أيها السادة ؛ فعندما تحارب السرطان فإنك تحاربه في كل الجسد لا في جزء منه دون الجزء الآخر ، لأنه سرعان ما يعاود النمو وقد يعود أخطر وأكثر دموية ، وإن كانت دمويته اليوم قد تخطت كل الحدود الإجرامية .

ومن الأساسيات في إستراتيجية محاربة داعش هي أن نعمل بصدق على استعادة الحواضن التي ينمو فيها هذا الإرهاب السرطاني ، فمن دون مشاركة هذه الحواضن في الحرب سيكون النصر صعباً ومكلفاً للجميع ، وهذا يتطلب أن نمد أيدينا للعشائر الأصيلة والشخصيات الوطنية والاجتماعية المحترمة والمخلصة والمعتدلة ، وأن نزل المتطرفين عن بقية المجتمع .

إننا في العراق نحتاج بصورة فورية إلى وضع إستراتيجية شاملة لمحاربة الإرهاب عموماً وداعش خصوصاً ، وأن نشرك أكبر عدد ممكن من الأشقاء والأصدقاء والحلفاء فيها .

## مطالبات أهل البصرة

لقد رافق عملية تشكيل الحكومة بعض اللغط بخصوص وجود ممثلين للبصرة في الحكومة كوزراء، وخصوصا الوزارات التي لها علاقة بالمحافظة، وبالتحديد وزارتا النفط والنقل، كون (٨٠٪) من نفط العراق يُنتج في هذه المحافظة الكريمة، والميناء البحري الوحيد في العراق في البصرة، وهذا الطرح من حيث المبدأ صحيح، ونحن معه تماماً في المضمون حتى إذا عجزنا من تحقيقه في الشكل، واقصد بالشكل أن يكون الوزير المعين من أهل البصرة، ولكن في المضمون سنفعل الكثير بهذا الشأن بإذن الله، وهناك مواقع مفصلية في هاتين الوزارتين سيكون لأهل البصرة القول الفصل فيها، وسنعمل على أن يكون لأهل البصرة وجود في كل مستوى من مستويات الدولة وفي جميع الوزارات، فهناك وكلاء ومساعدو وكلاء ومدراء عامون وسفراء وقناصل وملحقون تجاريون وثقافيون وعسكريون، وجميع هذه المستويات والمواقع يجب أن يكون فيها تمثيل لأهل البصرة وكفاءاتها، مثلما يجب أن يكون لجميع المحافظات حسب تواجدها وحضورها في المشهد السياسي والأكاديمي.

إن مسألة التوزيع تتطلب منا أن نكون واثقين من التزام من نستوزرهم كي نضمن تنفيذ البرنامج الذي قدمناه لشعبنا والمتسق مع البرنامج الحكومي العام، فالوزير موقع سياسي قبل أن يكون موقعاً فنياً، والوزارة تُدار وتعمل بطواقمها من الوكلاء والمدراء العاميين والمستويات الإدارية الأخرى.

وإذا صادف عدم وجود فرصة لنا أو لغيرنا في اختيار وزير من أهل البصرة تتوافر فيه الشروط السياسية التي نضعها، فهذا لا يعني أننا تخلينا عن البصرة أو تجاوزنا على حقوقها، فنحن من رفع شعار البصرة أولاً وطالبنا بالبترو خمسة دولار، ونحن من أطلق مشروع البصرة العاصمة الاقتصادية للعراق، ونحن من طالب بإنشاء سلطة للموانئ العراقية يكون مقرها في البصرة، ونحن من أطلق مشروع البصرة (٢٠٤٠) الذي يتضمن وضع خطة عمرانية وتنموية للبصرة للخمس والعشرين سنة القادمة، والآن أعلن ومن هذا المنبر أنني رسمياً أطلب من وزير النفط والنقل أن يكون هناك تواصل مستمر ومنتظم من قبلهما مع البصرة ليكونا قريبين من مواقع العمل ومن المواطن البصري ومن التحديات التي تواجهها المحافظة عموماً والقطاعات التي يديرونها خصوصاً.

إننا أصحاب مشروع وأصحاب رؤية واضحة نؤمن بها ونعمل على أساسها ولا نتوانى عن الاعتراف بالخطأ إذا أخطأنا ولا نتراجع عن وعد قطعناه أو عهد عاهدنا به،

وإننا نقول للبصرة العزيزة؛ إننا جميعاً أبناءها وسيشهد أهل البصرة انطلاقة كبيرة من الآن بإذن الله تعالى، وسنعمل بشكل تكاملي بين المحافظة والوزارة كي تبدأ البصرة بتلمس خطوات النجاح وتغادر مرحلة النسيان والإهمال.

### فاجعة سبايكر

لقد وعدنا أن نتابع قضية سبايكر حتى تنكشف خيوط الجريمة والمؤامرة، وتُنصف عوائل الضحايا، وكانت هناك جلسة علنية للبرلمان لمناقشة القضية والاستماع للشهادات الحية من الناجين، وكذلك الاستماع للمسؤولين الأمنيين، وكانت الخطوة بحد ذاتها جيدة كونها تعطي القضية بعداً إعلامياً وجماهيرياً، ولكونها قضية فيها بعد مذهبي فإن مناقشتها على حجم مساحة الوطن تؤسس لثقافة المكاشفة والمصارحة، وجعل الشعب بكل طوائفه مطلعاً على الأحداث دون تدليس أو تضليل.

ومن متابعتنا لمجرى الجلسة، فإننا لمسنا، مع الأسف الشديد، ارتباكاً وتخبطاً في المؤسسة الأمنية التي لم تستطع أن تقدم معلومات منطقية ومترابطة عما حدث، فليس هناك مؤسسة أمنية محترمة تجهل مصير أحد عشر ألفاً من أبنائها، هذه وصمة عار في جبين كل من تصدى لمواقع المسؤولية في هذا الملف، وأنا واثق من أننا لن ننال الأمن والاستقرار ما دامت أرواح المغدورين في سبايكر هائمة تبحث عن تحقيق العدالة والإنصاف.

إن هذه شريعة الله؛ فلا راحة لظالم ولا استقرار لمشارك في الظلم ولا دعوة تُرد لمظلوم، واليوم لدينا أحد عشر ألفاً أمّ تدعو على الذين تسببوا بتقصيرهم وفشلهم وفسادهم يازهاق هذه الأرواح الشابة الطاهرة.

كيف يمكن لمسؤول أمني رفيع المستوى أن يقول إننا نجعل مصير أحد عشر ألفاً من أبناء القوات المسلحة، لقد كنا نظن أن المغدورين ألف وسبعمئة، والآن يظهر لنا مسؤول لكي يصدمننا بهذه الفاجعة.

الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٠١٤/٩/١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ، سادتي الأفاضل إخوتي الأكارم الأخوات الفاضلات ، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم حضوركم إلى مجلسكم هذا ، مجلس أهل البيت سلام الله عليهم .

النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة

السادة الأفاضل ، الإخوة الأكارم ، الأخوات الفاضلات ، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب في مجلسكم هذا ، مجلس أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وما زال حديثنا في النظرية الإسلامية في الإدارة والقيادة .

طبقة الفقراء .. مسؤولية الدولة والمجتمع

يشير أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الطبقة الخامسة ، وهي الطبقة المسحوقة من الفقراء والمساكين ، الذين لا تتوافر لديهم موارد مالية أو فرص عمل محددة ، هذه الطبقة لها حق الرعاية ، فالمجتمع يجب أن يراعى ويساعد هذه الطبقة ويعالج مشاكلها ، لأن المجتمع وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة ، فلا يمكن لجزء من المجتمع أن يعيش في رخاء ووثام واستقرار ، فيما يعيش الجانب الآخر تحت وطأة الفقر والحاجة والمادية . إذا أردنا استقراراً اجتماعياً فلا بُدَّ من أن تُرعى جميع أجزاء المجتمع وطبقاته ، بما فيها طبقة المحرومين .

واليوم حين نذهب إلى الغرب نجد أن هناك رعاية اجتماعية لمن لا تتوافر لديه فرص العمل؛ فالحكومة تصرف له راتباً شهرياً، وهذا هو ما يتحدث عنه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في رؤية الإسلام قبل (١٤٠٠) سنة، فإن هؤلاء لهم حق في أن يتم ردهم ومعونتهم ورعايتهم وتكريمهم، هذا حق الفقراء والمستضعفين على المجتمع؛ الرعاية والرفد والاهتمام، والمجتمع الذي يرفع فقراءه يعيش حالة الاستقرار والوئام، وتتحقق المآلات المطلوبة له

لاحظوا هذه الرواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(٥٨)</sup>، في هذه الرواية الشريفة يمثل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المجتمع بالجسد، وقد يقول الإنسان الحمد لله، فأنا لا أشكو من شيء، إلا أسناني التي تؤلمني، ضرس واحد ملتهب يصل الألم إلى جذوره يسلب راحة جسدك كلها، ويأخذ منك الراحة في الحياة، وهذا الضرس جزء من أجزاء هذا الجسد، إذا تعرض إلى مشكلة يستنفر الجسد كله، ويجب أن يكون المجتمع كذلك.

### شروط استقرار المجتمع

لا يمكن أن يعيش البعض في الراحة والدعة والاستقرار والوفرة في الإمكانيات، فيما يُسحق البعض الآخر، وإذا حصل مثل هذا التمييز فسيكون له عواقب وخيمة وردود أفعال معينة؛ إذ تحصل حالة من الشد والشعور بالغبن وغياب العدالة لدى أوساط المجتمع فتتأثر لنفسها وتنقض على الجزء الآخر وترتكب الاستقرار في ذلك المجتمع. إن الشعور بالعدالة الاجتماعية، والفرص الملائمة، والرعاية للطبقة المظلومة والمسحوق والاهتمام بها، شروط أساسية في تحقيق الاستقرار للأغنياء أيضاً، لمن لا يواجهون مشاكل من هذا النوع.

في (الكافي)، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما آمن بي شعبان وجاره جائع»، لا يقل أحد أنا من أتباع رسول الله وهو شعبان وجاره جائع، فهو ليس مؤمناً به، والإيمان برسول الله يعني الرعاية للجار، والرعاية للآخر وتحمل المسؤولية والاهتمام بأبناء المجتمع والتكافل والتضامن الاجتماعي، شرط أساسي وعنوان للإيمان، «وما من أهل



قرية يبست فيهم جائع ينظر الله إليهم يوم القيامة»<sup>(٥٩)</sup>، الله لا ينظر إلى أهل قرية أو حي أو جماعة أو منطقة أو أهل بلد، ينامون وفيهم جائع ويحتاج إلى الرعاية ولا يراعه أحد، والرحمة ستسلب منهم والله لا ينظر إليهم يوم القيامة.

انظروا إلى هذه الروايات بكل ما تحمله من شدة وقسوة على من يفرط ويضيع حقوق الفقراء والمعوزين والمساكين، فهذه الطبقة هي الطبقة المدللة، طبقة المستضعفين هي الطبقة المدللة والمرعية من الطبقات الأربع الأخرى، والذين تتوافر لديهم إمكانات وأموال عليهم أن يتحملوا المسؤولية تجاه بني جلدتهم وأبناء مجتمعهم.

### موقع الفقراء في رؤية الإسلام

لاحظوا بعض الروايات التي سأتلوها على مسامعكم في هذا الصدد؛ أهمية وموقع الفقراء في رؤية الإسلام، ففي (بحار الأنوار)، عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الله عز وجل يلتفت يوم القيامة إلى فقراء المؤمنين شبيها بالمعتذر إليهم»، نظرة اعتذار؛ لأنهم تعرضوا إلى نكبة ومحنة، فالفقر يعصر الإنسان عصرا، «فيقول: وعزتي وجلالي ما أفقرتكم في الدنيا من هوان بكم عليّ»، لم يكن استصغارا لكم وتقليلًا من قيمتكم أو إساءة لكم، «ولتروا ما أصنع بكم اليوم»، انظروا كيف سأجازيكم اليوم أيها الفقراء.

«فمن زود أحدا منكم في دار الدنيا معروفا فخذوا بيده وأدخلوه الجنة»، اخرجوا أيها الفقراء يوم المحشر، وكل من سلم عليكم واحترمكم وتفقدكم وذكركم بشيء وساعدكم بقضية فخذوا بيده وأدخلوه الجنة، أنتم تحكمون يوم القيامة، فارتفعوا رؤوسكم أمام الآخرين، قال: «فيقول رجل منهم: يا ربي إن أهل الدنيا تنافسوا في دنياهم»، أهل الدنيا لديهم الأموال وتنافسوا، «فكحوا النساء»، ولم يقتنعوا بالزوجة والزوجتين.. ما شاء الله، أموال الدرجات الخاصة والملايين التي تدر عليهم.. «ولبسوا الثياب اللينة واللطيفة»، نظر إليهم وقلوبنا تتقطع، فلا نستطيع أن نلبس مثلهم، «وأكلوا الطعام وسكنوا الدور وركبوا المشهور من الدواب»، سيارات من أحدث الطرز، حتى أصبحنا لا نحفظ أسماءها، وقد امتلأت بها الشوارع، «فأعطني مثل ما أعطيتهم».

إلهي؛ قضيت عمري وأنا أنظر إليهم يأكلون ويخرجون بملابسهم وسياراتهم وإمكاناتهم، وأنظر إلى فنادقهم ومطاعمهم وأتحسر، فأعطني يا إلهي مثلهم يوم القيامة، هذا ما يشتهي الفقير، «فيقول تبارك وتعالى: لك ولكل عبد منكم»، كل

شريحة الفقراء، «مثل ما أعطيت أهل الدنيا منذ كانت الدنيا إلى أن انقضت الدنيا سبعين ضعفا»<sup>(٦٠)</sup>، هذه رحمة الله تعالى واهتمامه بهم.

### ثواب الصبر على الفقر

في رواية أخرى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «جاء رجل موسر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقي الثوب فجلس إلى رسول الله، فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذه، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخفت أن يمسك من فقره شيء، قال لا، قال فخفت أن يصيبه من غناك شيء، قال لا، قال فخفت أن يوسخ ثيابك، قال لا، قال فما حملك على ما صنعت، فقال يا رسول الله إن لي قرينا يزين لي كل قبيح»، هذه الطبقية الوضعية المادية المبنية على أساس المال؛ فهذا مليونير وهذا فقير، فكيف يحترمه ويسلم عليه؟. هناك بعض الموسرين ينظرون إلى الفقراء وكأنهم عبيد في هذا المجتمع، بل ليسوا بشراً، وهذا الرجل كان من هذا النوع، لكن تقريع الرسول أثر به، فقال: «إن لي قرينا يزين لي كل قبيح ويقبح لي كل حسن وقد جعلت له نصف مالي»، يا رسول الله نصف ممتلكاتي أعطيتها لهذا الفقير حتى أكفر عن هذا الخطأ وهذه الإهانة التي أهنته بها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمعسر: «أقبل، قال لا، فقال له الرجل الموسر لم، قال أخاف أن يدخلني ما دخلك»<sup>(٦١)</sup>، آخذ نصف أموالك وألبس الحرير وأشعر بأني أحسن من الآخرين، وهذا ما لا أريده.

في رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا معشر المساكين طيبوا أنفساً»، لا تتعبوا من الفقر، وارضوا بالقضاء والقدر وتكيفوا مع الواقع، «وأعطوا الله الرضا من قلوبكم»، استقر واطمئن واقبل بما قدر الله تعالى، «يشبكم الله عز وجل على فقركم». هناك مليونير حينما يسأل عن الحال يقول إن السوق كاسد والاقتصاد منهيار ويتباكى ويتشكى وهو يملك المليارات، وهناك فقير حينما يسأل يقول الحمد لله، ويشكر الله على الخلاص من المقابر الجماعية والديكتاتور وكسب الحرية. . عجيب هذا الفرق بين النظرتين، بين الفقير الشاكر لله والملياردير المتشكي وغير الراضي بنعمة الله الوفيرة، والشكر فيه أجر عظيم.

٦٠. بحار الأنوار ٦٩: ١١، ح ١١.

٦١. الكافي ٢: ٢٦٢، ح ١١.

«يثبكم الله عز وجل على فقركم فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم»<sup>(٦٢)</sup>، حينما يتشكى الفقير فإن الفقر لا يتغير، كما إنه لا يحصل على الأجر والثواب، فالأحرى بالإنسان الرضا بما قدره الله تعالى، ويبقى طامحاً ويعمل ويحسن من حياته وإمكاناته المادية؛ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٦٣)</sup>، ابذل الجهد واترك الكسل والضجر وأعمل لتكون لك إمكانات من المال الحلال وبالطرق الصحيحة.

عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالى منادياً ينادي بين يديه؛ أين الفقراء؟، فيقوم عنق من الناس كثير فيقول الله: عبادي، فيقولون: لبيك ربنا، فيقول: إني لم أفقركم لهوان بكم عليّ ولكني إنما اخترتكم لمثل هذا اليوم». . . إذن فالفقر ابتلاء واختبار ورفعة وسمو بين يدي الله تعالى؛ «تصفحوا وجوه الناس، فمن صنع إليكم معروفاً لم يصنعه إلا فيّ»، وكان معروفه لله، حتى لو كان مبلغاً قليلاً في سبيل الله، فهو له قيمة لأنه لله تعالى، فاصنعوا المعروف لله، سواء عرف من صنعتم له المعروف أو لم يعرف، قدر أو لم يقدر، فليس هناك مشكلة، فالأجر تحصل عليه لأنك تعمل لله تعالى وأنفقت في سبيله، «فكافئوه عني بالجنة»<sup>(٦٤)</sup>، الله يقول للفقراء؛ كل من قدم لكم معروفاً في الله كافئوه بالجنة.

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إذا كان يوم القيامة قام عنق من الناس حتى يأتوا باب الجنة فيضربوا باب الجنة»، الفقراء يأتون مباشرة إلى باب الجنة، والملائكة ينظرون إلى هؤلاء الفقراء وهم يدقون باب الجنة بغير حساب، «فيقال لهم من أنتم، فيقولون نحن الفقراء، فيقال لهم أقبل الحساب، فيقولون ما أعطيتمونا شيئاً تحاسبوننا عليه»، لم تعطوننا في الدنيا إمكانات وجئنا بخفي حنين، «فيقول الله عز وجل صدقوا، ادخلوا الجنة»<sup>(٦٥)</sup>، افتحوا الباب؛ فهم فقراء تحملوا في الدنيا ما تحملوا، فليدخلوا الجنة، هذه في الحقيقة قيمة الفقراء والمنزلة المعنوية لهم، وحاشا لله أن يأخذ شيئاً من الإنسان ثم لا يعطيه شيئاً في قبالة، وسنرى في روايات أخرى نعرضها في الأسبوع القادم إن شاء الله، كيف حال الفقير والغني المؤمنين المتدينين المطيعين لله ولرسوله حينما يقفان في المحشر، كيف حال كل واحد منهما، ونقصد بالمؤمن من

٦٢ . الكافي ٢: ٢٦٣، ح ١٤.

٦٣ . سورة الأعراف: الآية ٣٢.

٦٤ . الكافي ٢: ٢٦٣، ح ١٥.

٦٥ . الكافي ٢: ٢٦٣، ح ١٩.

دفع الأخماس والزكوات وقام بواجبه وارتزق من المال الحلال ولم يسرق ، هذا الغني كيف يكون حاله يوم القيامة ، وكيف يكون حال الفقير يوم القيامة ، حيث يؤتبه الله تعالى أجرًا عظيمًا .

### الحلف الدولي ضد الإرهاب وحماية السيادة

اليوم نرى العالم يجتمع لحرب داعش والإرهاب ، وقد قلنا من هذا المنبر إن داعش سرطان لا بُدَّ من أن يتحد الجميع لمحاربتة واقتلاعه من جذوره ؛ لأنه لا يستثني أحدًا ولن يكون أي أحد بمنأى عن إرهابه ووحشيته . وبما أن الإرهاب اليوم يسيطر على ثلث مساحة الوطن ، فإن العالم يجتمع تحت عنوان مساعدة العراق في حربه ضد داعش والإرهاب ، والعراق يرحب دائما بأي مساعدة في حربه الضروس والطويلة مع الإرهاب والتكفير والانحراف حتى لو جاءت متأخرة ، ولكن المساعدة يجب أن تلي احتياجات العراق وشعبه أولا ، قبل أن تلي أي احتياجات أخرى ، فنحن مع المساعدة التي لا تنتهك السيادة ، ونحن مع المساعدة التي لا تُملي الشروط ، ونحن مع المساعدة التي لا تفرض على العراق شروطا في اختيار أصدقائه وحلفائه في هذه الحرب .

نحن واقعيون وموضوعيون وندرك جيدا أننا بحاجة للمساعدة الدولية في هذه الحرب الشرسة التي لا تخضع لأي قانون ؛ لأننا نحارب عصابات إجرامية متعطشة للدماء ، ولكن علينا أن نحدد نوع المساعدة والأولويات في هذه المساعدة ، فالعراق لا يحتاج إلى رجال تقاتل بالنيابة عنه ، ولكنه يحتاج إلى السلاح والتعاون الأمني والاستخباري وإلى التقنيات الحديثة التي تساعده على تعقب الإرهابيين والقضاء عليهم ، وحتى اللحظة لم تصل شحنات السلاح التي اشتراها العراق بأمواله الخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية ، فهناك أكثر من ثلاثة مليارات دولار قيمة أسلحة لم تُسلم إلى العراق حتى الآن ، وعلى من يرفع شعار دعم العراق في مواجهة الإرهاب أن يثبت حرصه على العراق من خلال تسليحه كأولوية قصوى ، واليوم لم يعد هناك أي عائق أو عذر أو حجة .

وعلى الجميع أن يساعد العراق في الحفاظ على سيادته ، وألا يوغل في انتهاك هذه السيادة المنهكة حاليًا من الإرهاب الدموي الأعمى ، وعلى المجتمع الدولي أن يساعد العراق في حماية حدوده من خلال إيقاف تدفق الإرهابيين عبر الجهد الاستخباري

المشترك لدول الجوار، فهؤلاء الداعشيون لا ينزلون من السماء ولا يخرجون من باطن الأرض، وإنما يسافرون من دولة إلى دولة ويتنقلون من مطار إلى مطار ويعبرون الحدود، فكيف تنهون بعض الدول وتسمح لنفسها بأن تكون ممراً للإرهابيين ونقطة تجمع وعبور إلى العراق، وهنا يُعرف الصديق من غيره ويُعرف المخلص والجاد في مساعدة العراق من الأعداء وأصحاب الأجندة الخاصة.

نعم، الإرهاب عدو شرس ودموي، ونحتاج إلى مساعدة الجميع في القضاء عليه، ولكن لن نسمح بانتهاك السيادة العراقية تحت أي ذريعة وغطاء، والأصدقاء الحقيقيون عليهم أن يحترموا حدود السيادة العراقية، وإذا قال قائل إن السيادة الآن مخترقة من قبل الإرهاب، نقول له نعم، إنها مخترقة من قبل الإرهاب، فهل هذا يعني أن تُخترق من قبل الأصدقاء أو من قبل من يأتي للمساعدة أيضاً؟ . . هذا منطوق أعوج نرفضه بتاتا.

إن أبطال الحشد الشعبي يقفون كالأسود اليوم إلى جنب جيشنا الباسل وقواتنا الأمنية البطلية دفاعاً عن وطنهم، وأبطال العشائر يخوضون معارك العزة والشرف في مناطقهم، وأبطال البيشمركة يدافعون عن كردستان ومناطق أخرى من الوطن، وهؤلاء قد حققوا إنجازات مهمة ونوعية في دحر الداعشين وكسر شوكتهم، وسيحققون المزيد من الانتصارات وصولاً إلى تطهير العراق كله من هذه العصابات الإجرامية.

العراق اليوم كله يقاتل، شيعة وسنة، عرباً وكرداً وتركماناً وشبكاً، مسلمين ومسيحيين وصابئة وإيزيديين، فهذه حرب الشعب العراقي كله وليست حرب طائفة أو قومية دون غيرها، وقد وحدنا الإرهاب ووحدنا التحدي، وعلى الأصدقاء أن يدعموا هذه الوحدة تحت سماء عراق واحد موحد ذي سيادة كاملة.

### الحرب على الإرهاب والتسييس

هناك محور آخر في التحالف الدولي لمحاربة داعش والإرهاب، وهو محور تسييس هذا التحالف وإدخاله في نفق المحاور، وهذا يُضعف التحالف ويقلل فاعليته ولا يساعد على بناء الثقة بين دول المنطقة، وكان المفروض أن تُدعى جميع الدول المهمة بهذا الشأن إلى مؤتمر باريس من دون تمييز، ففي السياسة دائماً هناك خلافات بل تقاطعات، ولكن عندما نواجه خطراً واحداً، فعلينا أن نعمل معاً لمواجهةته وألا ندع خلافاتنا تتحول إلى عائق للعمل المشترك بيننا.

إن استبعاد الجمهورية الإسلامية الإيرانية خطوة غير موفقة، فهي تقف في مواجهة

الإرهاب، وهي دولة مهمة ومحورية في المنطقة، ولكي نتصر في معركتنا علينا أن نحشد جميع الطاقات، لا سيما أننا نحارب مجاميع إرهابية ولا نخوض حرباً تقليدية، ففي حربنا مع الإرهاب نحتاج إلى كل مساحة ممكنة وكل تنسيق يمكن أن نوفره.

هناك من يقول إنه لن يسمح لإيران بأن تشارك في الحلف الدولي للحرب على داعش، ونحن نقول لن يتخلى العراق عن أصدقائه وإخوته وحلفائه، ولن يقبل العراق أن تُفرض عليه شروط ممن يقبل المساعدة أو ممن يرفضها، وإيران لديها حدود مشتركة مع العراق تمتد لـ (١٣٥٠) كيلومتراً، ولديهما تاريخ مشترك وتداخل اجتماعي وجغرافي واقتصادي كبير، فكيف يمكن للحرب على الإرهاب أن تنتصر من دون أن يكون للجهد الإيراني مساحة مهمة فيها؟. . هذا كلام يخالف المنطق ويخالف مبدأ التحالف من أجل عدو مشترك.

يخبرنا التاريخ أنه في الحرب العالمية الثانية وعندما اجتاحت النازية أوروبا، دخل الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت في حلف مع الولايات المتحدة ضد ألمانيا النازية الهتلرية رغم جميع الخلافات الأيديولوجية والسياسية والمنهجية بينهما، ولكنهما كانا في حلف واحد ضد عدو واحد، فمن المهم أن نستفيد من دروس التاريخ للقياس عليها، ومن هذه الدروس أن نتعاون ضد العدو المشترك وألا نجعل التقاطعات والخلافات تقف عائقاً أمام هذا التعاون، وعلى الجميع أن يعي أن أحد أهم أسباب وجود داعش وأخواتها هو هذا التقاطع العنيف في العمل السياسي، وسياسة المحاور البعيدة عن أي منطق.

نقول لجميع الأشقاء والأصدقاء؛ إن القرارات يجب أن تكون مدروسة وتخضع للحسابات الواقعية لا لحسابات المحاور الضيقة، وأمام الجميع حرب مفتوحة نحتاج فيها إلى الجهد الإقليمي والدولي، وإيران دولة محورية إقليمياً ودولياً، وهي أيضاً دولة جارة متداخلة مع العراق، والإرهاب لا يبعد عن حدودها سوى عشرات الكيلو مترات.

#### نداء إلى أبناء المحافظات المستباحة

أوجه ندائي إلى أبناء شعبنا في المحافظات الغربية المستباحة وأقول؛ إنها مرحلة تاريخية سيكون ما بعدها يختلف عما قبلها، وسيكون لكم فيها الكلمة العليا، فلا يحرق الأرض إلا أهلها ولا يدافع عن الشرف إلا أهله، وإنكم اليوم تواجهون طاعونا أسود

يقتلكم باسم الدفاع عنكم ، ويستبيح أرضكم بحجة تحريركم ، ويغرر بأبنائكم بغطاء هدايتهم ويقتلهم باسم جهاد داعشي بعيد عن جهاد الإسلام المحمدي الأصيل .

فهذا يومكم وهذه ساعاتكم ، وليشهد العالم أنكم قلتم «كلا» واضحة وصريحة للإرهاب والإرهابيين والقتلة الداعشيين ، وليعرف العالم أجمع أنكم لا تحتاجون إلى من يحرركم وإنما تحتاجون إلى من يدعمكم بالسلاح والغطاء ، أما الأرض فهي أرضكم وأنتم أعرف بها من غيركم ، وأنتم قادرون على تحريرها ، وقد قلنا لكم سابقا من هذا المنبر ، إننا سنزرعها رجالا من الفاو إلى زاخو ، وسنصول معكم كصولة عمنا العباس ، وإن حربنا ضد الإرهاب لا هواده فيها ، فهي معركة وجود ومعركة حياة أو موت ، وقد أوغلوأ بدمائنا واتهكوا الأعراض والمحرمات ، ألا لعنة الله على القوم الظالمين .

فيا أبناء الأنبار ونيوى وصلاح الدين وديالى ، إنه تاريخكم وحاضركم ومستقبلكم ، فدافعوا عنه جميعا واحموه من دنس الإرهابيين المنحرفين ، وإنها أرضكم وأرض أجدادكم ، فلا تسمحوا للغرباء وشذاذ الآفاق وحثالة المجتمعات المريضة بأن تستوطن أرضكم ، فأنتم أصحاب الحق ، وأنتم من سيحقق النصر ، وأنتم أبناء العراق .

### الضلوعية مثال الثبات

بالأمس القريب افتخرنا بصمود وانتصار أمرلي ، واليوم نفتخر بشجاعة وثبات الضلوعية ، هذا هو العراق الذي نعرفه ؛ رجال ونساء شجعان وشعب واحد وموقف واحد ، من أمرلي إلى الضلوعية ، تختصر حكاية النصر العراقي القادم من دون أدنى شك بإذن الله . في الضلوعية اختلط الدم الشيعي بالدم السني كي يقول لإرهابيي داعش إننا موحدون في وطننا ، وإنكم الغرباء المطرودون ولا مكان لكم .

وفي الضلوعية وقفت العشائر البطلة كي تسطر أروع معاني النخوة والشجاعة ، فكانت عشائر الجبور مثالا ناصعا للعشائر العراقية الأصيلة ، وستثبت الأيام أننا في العراق سنروي كل يوم حكاية انتصار جديد ، فالمؤمنون بهذا الوطن أكثر بكثير من الذين يطعنونه في الظهر ، والمخلصون لهذا الوطن أكثر بكثير من الذين ينحازون لأنفسهم ومصالحهم فقط ، وها هي الضلوعية تثبت أن العراق يقول «كلا» للإرهاب والتكفير والظلام ، وهذه الضلوعية تقدم مثالا آخر على صبر العراقيين وشجاعتهم ونخوتهم .

## البرلمان الجديد خطوة مبشرة

بالأسف شاهدنا البرلمان الجديد وهو يمتنع عن التصويت لبعض المرشحين للمناصب الوزارية، وبعيدا عن شخصنة الموضوع، فإنها إشارة صحية للعمل البرلماني والديمقراطي، فليس عمل البرلمان أن يقول نعم وحسب، وإنما عمله أن يقيّم ويناقش ويصحح ويقدم بدائل إن أمكن. لقد قال البعض سقط البرلمان بعدم التصويت على المرشحين، وقال البعض أخفق البرلمان في التصويت، ونحن نقول لقد أخفق المرشحون في كسب ثقة البرلمان، وخرج البرلمان مرفوع الرأس حين عمل بواجبه وأدى مسؤوليته.

إننا بحاجة إلى برلمان واع إذا أردنا بناء مجتمع واع ودولة ناجحة، وإن قرارات البرلمان تعكس التفاهات التي تجري بين الكتل السياسية، وعندما لا تتفق الكتل على قضية فهذا سيؤدي بالتأكيد إلى عدم إقرارها في البرلمان، وهذا هو جوهر العملية الديمقراطية البرلمانية، حيث التفاهات بين التيارات السياسية تتجسد في موقف ممثليها في البرلمان سلبيًا أو إيجابيًا، وعلينا جميعًا أن ندرك أن سياسة التفاهات تجنبنا الأزمات والاختناقات وتزيد من جرعات الثقة عند الجميع، وتدفع الجميع إلى التعاون والتكامل، وأن سياسة فرض الأمر الواقع لن تجدي نفعًا.

نتمنى دائما أن نرى برلمانا واعيا وواثقا من نفسه، يضع مصلحة العراق نصب عينيه، ويكون متفقا ومتفاهما في إطار التفاهات والاتفاقات الأساسية بين الكتل السياسية الرئيسة في البلاد.





الأمسيات الرمضانية







الأمسية الأولى بتاريخ ٢٩ / ٦ / ٢٠١٤



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾<sup>(٦٦)</sup> . صدق الله العلي العظيم

بداية أرحب بكم جميعاً، وأبارك لكم هذا الشهر الفضيل، شهر رمضان، شهر الطاعة والمغفرة والرضوان، شهر دُعينا فيه إلى ضيافة الله وجُعِلنا فيه من أهل كرامة الله، ربيع القرآن، شهر فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وهنئنا لنا جميعاً ونحن في ضيافة الله تعالى .

هذه الليلة الشريفة، ليلة الأول من شهر رمضان، نستعد فيها للوفادة على الله تعالى، ونتهيأ فيها لنعيش أجواء الضيافة الإلهية، بالاستعداد الروحي والمعنوي والقلبي، والانصياع لإرادة الله ونحن في ضيافته، هذا الاستعداد والتهيؤ مسألة في غاية الأهمية، نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً ممن يحسن آداب هذه الضيافة، وممن يستثمر فيوفات وبركات هذه الضيافة الإلهية .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا في السنوات السابقة، عن رسالة الحقوق لزين العابدين وسيد الساجدين، إمامنا علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكرنا أن من أهم عناصر القوة في أي مجتمع هو تماسك هذا المجتمع وتلاحمه وترابطه، والسؤال الكبير؛ كيف نحصل

٦٦ . سورة البقرة: الآية ١٨٥ .

على هذا الترابط وكيف نحقق هذه اللحمة وهذا التماسك بين أبناء المجتمع الواحد؟ . . . المجتمع فيه طوائف وتعدديات وقبائل وعشائر ومناطق، فكيف نوحده ونربط بعضه ببعض وكيف يتماسك؟ .

قلنا إن التماسك الحقيقي إنما يحصل في المجتمع من خلال الحفاظ على حقوق أبنائه، فأبناء المجتمع حينما يحصلون على حقوقهم يرتبط بعضهم ببعض، ومفتاح الترابط الاجتماعي والوحدة الوطنية إنما هو الحقوق الواضحة والمتبادلة بين أبناء هذا المجتمع، وحق كل فرد أو جماعة أو طائفة أو قومية أو حزب أو قبيلة يعني التزاما على الآخرين تجاه هذه الجماعة، فالحق في جانب يعني الالتزام على الجانب الآخر، وحينما نتحدث عن نظام الحقوق في الرؤية الإسلامية يقابله نظام الواجبات والالتزامات المتبادلة بين أبناء هذا المجتمع، فالحق هو مجموعة من القواعد والأصول والسياقات التي تنظم العلاقة بين أبناء المجتمع الواحد، وبين أبناء المجتمعات بعضها مع بعض، هذه القواعد نسميها حقوقاً؛ كيف تنظم الحقوق طبيعة التزامك تجاهي والتزامي تجاهك والتزام الجميع تجاه بعضهم البعض، هذه الالتزامات نسميها الحقوق .

#### أسس نظام الحقوق في الرؤية الإسلامية

نظام الحقوق في الرؤية الإسلامية ينظم العلاقة بين أبناء المجتمع على أسس أربعة :  
أولاً : الكرامة الإنسانية : نظام الحقوق لا يمنح الكرامة للبعض ويسلبها من البعض الآخر، فالحق يجب أن يقترن بالكرامة الإنسانية للجميع .

ثانياً : العقيدة الصحيحة : الحق لا يتقاطع مع العقيدة، فالحقوق متسقة ومنسجمة مع العقيدة الصحيحة .

ثالثاً : القيم النبيلة : لا توجد لدينا حريات غير منضبطة، ولا نسجل لأنفسنا حقوقاً تتجاوز على قيم الآخرين، فالحقوق لا بُدَّ من أن تخضع للقيم النبيلة .

رابعاً : السلوك المستقيم : يجب الانضباط في التعامل، وأن يكون الإنسان سوياً في سلوكه وتعاملاته مع الآخر .

ولذلك ذكرنا أن رسالة الحقوق لسيدنا زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ تحدد ملامح الرؤية الإسلامية في هذه العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والآخرين، في ثلاثة محاور، ويستعرض الإمام أكثر من خمسين حقاً في هذه الرسالة الجليلة .

تحدثنا في السنوات السابقة عن ستة من هذه الحقوق؛ أولاً حق الله، وثانياً حق النفس، وثالثاً حق اللسان، ورابعاً حق السمع، وخامساً حق البصر، وسادساً حق الرجل، هذا ما تحدثنا به سابقاً.

### الحق السابع: حق اليد

((وَأَمَّا حَقُّ يَدِكَ فَإِنَّ لَا تَبْسُطَهَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ فَتَنَالَ بِمَا تَبْسُطُهَا إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ الْعُقُوبَةَ فِي الْآجِلِ، وَمَنْ النَّاسُ بِلِسَانِ اللَّائِمَةِ فِي الْعَاجِلِ، وَلَا تَقْبِضُهَا مِمَّا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَلَكِنْ تَوَقَّرْهَا بِقَبْضِهَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَحِلُّ لَهَا وَبَسْطُهَا إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ عُقِلَتْ وَشُرِّفَتْ فِي الْعَاجِلِ وَجَبَ لَهَا حُسْنُ الثَّوَابِ فِي الْآجِلِ)).

في هذا الشهر الفضيل نستكمل حديثنا عن رسالة الحقوق في الحق السابع الذي ابتدأنا به، ولكن لم يتسع الوقت في السنة الماضية لأن نكمل وهو حق اليد.

أولاً: يقول الإمام عليه السلام: "وأما حق يدك فإن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك"، لا تمد يدك إلى الحرام، "فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الآجل"، إذا مدت يدك إلى الحرام فستنال العقوبة في يوم القيامة، "ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل"، وفي هذه الدنيا تنال ملامة الناس؛ لسان الناس لن يرحمك، فالناس تنتقد بشدة من يقوم بسلوك غير مستقيم.

ثانياً: "ولا تقبضها مما افترض الله عليها"، كما يحرم عليك بسط يدك إلى الحرام، فيجب عليك ألا تقبضها وتسحبها من مكان يجب أن تمدها وتنصر.

ثالثاً: "ولكن توقرها بقبضها عن كثير مما يحل لها"، هناك أشياء من الحلال، ولكن يحد لك أن تقبض يدك عنها في موارد الشبهة، لا تمد يدك إلى موارد الشبهة، وهي ليست حراماً ولكنها مكروهة، فلا تمد يدك إلى مكروه.

رابعاً: "وتبسطها إلى كثير مما ليس عليها"، تمد يدك إلى أشياء كثيرة بالرغم من أنها غير واجبة عليك، ولكن يُستحب أن تمد يدك.

إذن هناك محرم يجب أن تمتنع عنه، وهناك واجب يجب أن تمد يدك إليه، وهناك مكروه لا تقترب منه، وهناك مستحب وليس واجبا، ولكن يُستحب أن تمد يدك إليه.

"فإذا هي قد عُقِلَتْ وَشُرِّفَتْ فِي الْعَاجِلِ"، هذه اليد المسؤولة المنضبطة، التي تتحدد حركتها بالحكم الشرعي؛ هذا واجب تعمله وهذا حرام تمتنع عنه، هذه اليد المسؤولة

تحظى بالشرف لشرف صاحبها، هذا الإنسان الذي يتحكم بيده ويستخدمها ضمن ما أراد الله، وجوباً وحرمةً واستحباباً وكراهةً، كما إن هذا الإنسان هو شريف؛ لأنه يلتزم بالحكم الشرعي، فإن يده تكتسب الشرف لشرفه أيضاً، هذا في العاجل، في الدنيا، تكون مقدرة محترمة شريفة، ويقال أصحاب الأيدي البيضاء والناس تشيد بهم، "وجب لها حسن الثواب في الأجل"<sup>(٦٧)</sup>، في الدنيا السمعة الطيبة والشرف وفي الآخرة الثواب من الله تعالى، إذن هذا هو حق اليد.

### معاني اليد في كلام الإمام

قال علماء الأخلاق، إن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَام حينما يقول حق اليد، فهو يشير إلى ثلاثة معان:

المعنى الأول: هو المعنى الحقيقي وهي اليد نفسها، أن تكون هناك أشياء تفعلها وأشياء لا تفعلها، وأشياء يُستحب أن تفعلها وأشياء يُستحب أن تمتنع عنها.

المعنى الثاني: المعنى المجازي؛ فلا يقصد اليد نفسها، وإنما الآثار المترتبة على اليد، فالسرقة تكون بهذه اليد، فهي أثر يترتب على هذه اليد، والسرقة عمل محرم، والانتصار للمظلوم أثر مترتب على اليد، فيقال اليد ويراد الآثار المترتبة على اليد.

المعنى الثالث: المعنى الكنائي لليد؛ القدرة المدخلية، فيقال هذا له يد في القضية، وهذا لا يعني أن يده داخلة في القضية، وإنما الرجل متورط بالقضية سلباً أو إيجاباً، وله مدخلية فيها، أي له يد في فعل شيء أو ترك شيء.

ولابد لنا من أن نقف عند هذه المعاني الثلاثة:

### أولاً: المعنى الحقيقي لليد

يكون ذلك في الجانب السلبي والإيجابي، وفي السنة الماضية تحدثنا عن البعد السلبي لليد وقلنا:

- ١ - بسط اليد إلى الخيانة، وهذا من المعاني السلبية لليد بمعناها الحقيقي.
- ٢ - بسط اليد إلى الذنب، فالإنسان بهذه اليد يعتدي ويسيء إلى أحد ما ويرتكب إثماً معيناً.

٦٧. بحار الأنوار ٧١: ١١، ح ٢.

٣ - مد اليد إلى الظلم .

٤ - بسط اليد لخروج نور النبوة من يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ .

٥ - التصفيق في غير محله ، كما ورد في قوله تعالى من سورة الأنفال : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾<sup>(٦٨)</sup> ، هؤلاء كانوا في الجاهلية يدخلون بيت الله الحرام ، وكانت صلاتهم تصفيقاً وتصفيراً . هذا بيت الله الحرام ، فاستفد من هذه الفرصة بالتعبد ، لماذا هذا التصفير والتصفيق وتضييع هذه الفرصة ؟ .

في شهر رمضان الآن ، لو نزلت هذه الآية من جديد لقاتل ؛ وما كان صلاتهم في شهر رمضان إلا مسلسلات في عشرات الفضائيات ؛ المسلسل التركي وغيره . . هل فيها علم أو معرفة ، هل تقرب الإنسان إلى الله أو تبعده ؟! . . هذه المسلسلات تثقف بثقافات بعيدة عن ثقافتنا العربية والإسلامية ، وليس فيها حرمان ، فارحمونا في شهر رمضان ودعوا الشباب يتوجهوا إلى الله تعالى ، لكنهم منذ بداية شهر رجب يبدؤون بالإعلانات لكي يشدوا الناس إليها ، فأين مجالس الذكر والموعظة ؟ ، لكن الناس منشغلة بشيء آخر . "وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديَةً" ، وهذا أيضاً من الاستخدام السلبي لليد .

### البعد الإيجابي ..

أولاً : مد اليد بالبيعة ، اليد تباع بها البيعة الشرعية ، في سورة الفتح : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ ، البيعة الشرعية الصحيحة هي بيعة مع الله تعالى ، ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾<sup>(٦٩)</sup> ، وفي موضع آخر ، ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾<sup>(٧٠)</sup> ، هذه اليد التي تباع تمثل جانباً إيجابياً في المعنى الحقيقي لليد .

ثانياً : مد اليد والمسح بها للشفاء ، استخدام اليد في الشفاء هذا أيضاً من الاستخدام الإيجابي ، وذكرنا بعض النصوص في العام الماضي ، ونذكر اليوم أيضاً الرواية الثانية في بحار الأنوار : عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : " كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَسَلَ أَوْ أَصَابَتْهُ عَيْنٌ أَوْ صَدَاعٌ بَسَطَ يَدَيْهِ فَقَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ فَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُ " <sup>(٧١)</sup> .

٦٨ . سورة الأنفال : الآية ٣٥ .

٦٩ . سورة الفتح : الآية ١٠ .

٧٠ . سورة الفتح : الآية ١٨ .

٧١ . بحار الأنوار ٩٢ : ٥٩ ، ح ٢٨ .

ثالثًا: بسط اليد للبركة، كأن تضع يدك على الكعبة تتبرك بها، وهذا أيضًا من الاستخدام الإيجابي، في بحار الأنوار: عن سعدان بن مسلم قال: "رأيت أبا الحسن موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ استلم الحجر (الأسود) ثم طاف حتى إذا كان أسبوعًا، طاف سبعة أشواط، "التزم يده وسط البيت وبسط يده على الكعبة فمكث ما شاء الله ثم مضى إلى الحجر فاستلمه وصلى خلف مقام إبراهيم ثم عاد إلى الحجر فاستلمه ثم مضى حتى إذا بلغ الملتزم في آخر أسبوع التزم وسط البيت وبسط يده ثم استلم الحجر من جديد وصلى ركعتين خلف مقام إبراهيم ثم استلم الحجر من جديد، يتبرك بالكعبة الشريفة ويدعو ثم يستلم الحجر ثم يصلي ثم يستلم الحجر، وهذا كله استخدام اليد للتبرك، "ثم عاد فاستلم ما بين الحجر إلى الباب ثم مكث ما شاء الله"، في هذا المكان المقدس بين الحجر وباب الكعبة، وهي مسافة قصيرة جدًا، "ثم أتى الحجر فصلى ثماني ركعات فكان آخر عهده بالبيت تحت الميزاب، وبسط يده ودعا، ثم مكث ما شاء الله وهو يدعو ثم خرج من باب الحناطين حتى أتى ذا طوى وكان وجهه إلى المدينة" (٧٢)، هذه كانت السلوكية التي يعتمدها الإمام الكاظم قبل أن يتوجه إلى المدينة، وهكذا كان يتبرك بالكعبة الشريفة.

رابعًا: بسط اليد بالدعاء، من المعاني الإيجابية لبسط اليد، لاحظوا ما روي عن أبي سلمة قال: "أصابنا عطش في الحديبية فجهشنا إلى النبي فبسط يديه بالدعاء فتألق السحاب وجاء الغيث فروينا منه" (٧٣).

وفي بحار الأنوار: في أدعية تعقيب صلاة العصر: "اللهم إلى رحمتك رفعت بصري"، ليس لي حول ولا قوة إلا رحمة الله، "وإلى جودك بسطت كفي"، أرفع يدي وأطلب منك بجودك وكرمك، "أن تمن علي وتكرم علي". . أن تتفضل علينا، نحن في ظروف صعبة، ظروف أمنية وسياسية ومعيشية صعبة، في العراق والمنطقة هناك الكثير من الصعوبات وهناك ضيق، وشهر رمضان شهر الدعاء والإنابة، فلنبسط أيدينا ونرفعها ونبتهل إلى الله تعالى أن يتكرم علينا بمنه "فلا تحرمني وأنا أسألك ولا تعذبني وأنا أستغفرك"، عبدك يستغفرك ويعترف بذنبه وحاشا لله أن يعذب المستغفرين ولا سيما في هذا الشهر الفضيل، اللهم اجعلنا في هذا الشهر من المرحومين ولا تجعلنا من المحرومين، "اللهم فاغفر لي فإنك بي عالم"، إلهي أنت تعرف الخفايا، "ولا تعذبني

٧٢. بحار الأنوار ٩٦: ١٩٤، ح ١.

٧٣. بحار الأنوار ١٨: ٥، ح ٣.



فإنك علي قادر<sup>(٧٤)</sup>، بيدك كل شيء وأنت القادر على كل شيء، فلا تعذبني يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين، فهذا بسط اليد بالدعاء.

وفي بحار الأنوار أيضاً: في الأدعية الواردة في صلاة الليل، أسأل الله ألا يحرمننا من إقامة صلاة الليل والتنفل في الليل. . هذا الدعاء عن الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: "اللهم إن استغفاري إياك وأنا مصر على ما نهيت قلة حياء"، إلهي أقول استغفر الله ولكنني أعود وأكتسب المعصية، وهكذا مرة ثانية وثالثة، انظر إلى الحرام وأقول استغفر الله وأتوب إليك، وفي أقرب فرصة أيضاً أنظر إلى الحرام فأعود وأقول استغفر الله وهكذا، وهذا قلة حياء، "وترك الاستغفار مع علمي بسعة حلمك تضييع لحق الرجاء"، إذا لم أستغفر وأنت حلمك واسع وأنا أعرف ذلك، فإني أضيع حقاً من حقوقي.

"اللهم إن ذنوبي تؤيسني أن أرجوك، وإن علمي بسعة رحمتك يؤمنني أن أخشاك"، رحمتك واسعة وأرى نفسي في مأمن، "فصل على محمد وآل محمد وحقق رجائي لك"، إلهي رجاؤنا فيك كبير أن تغفر لنا وتصفح عنا وتنزل رحمتك علينا وتخفف عنا وطء الزمان وتمنحنا الأمن والأمان، إن رجاءنا فيك عظيم يا الله، "وحقق رجائي لك وكذب خوفي منك وكن لي عند أحسن ظني بك يا أكرم الأكرمين وأيدني بالعصمة وأنطق لساني بالحكمة واجعلني ممن يندم على ما ضيعه في أمسه"<sup>(٧٥)</sup>، هذا أدب الدعاء نتعلمه من أئمتنا الأطهار عَلَيْهِ السَّلَامُ، في إشارة واضحة لبسط اليد بالدعاء.

وللحديث بقية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٧٤. بحار الأنوار ٨٣: ٨٧، ح ١١.

٧٥. بحار الأنوار ٨٤: ٢٨٥، ح ٧٧.



## الأمسية الثانية بتاريخ ٢٠١٤ / ٦ / ٣٠



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين. تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم، في آناء الليل وأطراف النهار، وهنيئا لكم هذه الضيافة الإلهية في شهر رمضان المبارك.

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

#### حق اليد ومعانيها

كان حديثنا عن البعد الإيجابي لليد، وذكرنا مد اليد للبيعة، ومد اليد والمسح بها للشفاء، وبسط اليد للبركة، واستعرضنا مجموعة من النصوص في هذا الموضوع.

#### بسط اليد للدعاء والتضرع

والنقطة الرابعة بسط اليد للدعاء، حينما يمد الإنسان يده داعياً الله سبحانه وتعالى طالبا من الله حاجته، وكنا نذكر بعض الروايات والنصوص في هذا الموضوع؛ ففي بحار الأنوار، في الأدعية الواردة في يوم الجمعة، وردت في الدعاء هذه العبارات: "يقول فإذا سجدت فابسط يديك كطالب حاجة"، في أثناء السجود مد يديك، وطبعا ليس في السجود الواجب، بل في أثناء الدعاء في أعمال يوم الجمعة، "وقل سبحان ربي الأعلى وبحمده ربي هذه يداي مبسوطتان بين يديك"، إذن نحن نبسط اليد للدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، "هذه جوامع بدني خاضعة بفنائك"، إلهي هذه أعضائي كلها خاضعة بين يديك.

في العبادة يُستحب أن يكون الإنسان خاضعاً خاشعاً، والخضوع للأعضاء والجوارح أن تكون هيئة الإنسان متواضعة بين يدي الله، الخشوع والعمل الجوانحي والقلبي؛ أن يكون القلب منكسراً بين يدي الله (سبحانه وتعالى)، ويجب أن يتصف الإنسان بخضوع الجوارح وخشوع الجوانح، وهذه أسباب مجتمعة لعبادتك. إلهي بكل طاقتي وقدراتي أقف بين يديك متعبداً ذليلاً خاضعاً خاشعاً لعلك ترحمني، "لا أدري بأي نعمائك أقبل"، عن أي نعمة من نعمائك أتحدث وماذا أقول في نعمك يا الله؟. . . أتحدث عن نعمة البصر؟، انظروا إلى حال الذين يفتقدون هذه النعمة، أتحدث عن نعمة السمع؟، انظروا إلى حال من يفتقدها، وعن نعمة اللسان والنطق والصحة ونعمة الأمان ونعمة الأقارب والأصدقاء والأحبة، ونعمة الإيمان، عن أي نعمة أتحدث يا إلهي، "ولأيها أقصد لعبادتك، ألمسألتك أم الرغبة إليك"، إلهي بأي طريقة وبأي دافع أعبدك.

نحن نصلي لأن الله أمرنا أن نصلي، ونقرأ القرآن لأن الله قال يُستحب أن نقرأ، ولكن هل نقوم بهذه العبادة لأن الله طلب منا أن ذلك أم بدافع الرغبة إليه؟. . . لأن فيها لذة أن أتواصل وأناجي ربي، ومناجاة ربي لذة ما بعدها لذة، سواء أوجب أو لم يوجب، فأنا أتلذذ بالعبادة ومناجاة الله سبحانه وتعالى. يقول لك شخص إن الوزير الفلاني معك على الهاتف، فتعدل صوتك وتمسك التلفون بيد ترتجف، وتستعمل عبارات التبجيل؛ معالي الوزير. . . جنابك. . . حضرتك. . . نعم أنا فلان، وأنت مرتبك وتتكلم عن عملك وما تريد وتخشى أن يغلق التلفون أو أن يكون مشغولاً، وتذهب تتفاخر بها؛ لقد تكلمت اليوم مع معالي الوزير الفلاني، والله (سبحانه وتعالى) أعطاك خطأ ساخناً ومفتوحاً لتتكلم معه، تتلو القرآن والله يكلمك، وتصلي وتكلم الله، كيفما تريد، ارفع يدك بالدعاء وتكلم والله يسمع ويستجيب.

هناك من يقوم بالعبادة لأن الله طلب ذلك من عباده، ومع طلب الله ومع الوجوب والحرمة هناك من لا يمثل ولا يكثرث، فرحم الله من يلتزم، ولكن هناك من يقوم بما وراء ذلك، ولا يقوم بالعبادة لأن الله طلب ذلك، بل يقوم بها رغبة في مناجاة الله وأنساً بها، "فاملاً قلبي خشية منك"، وما أجمل أن يعيش الإنسان حالة الخشية من الله، وقلبه يخشع مخافة الله، وإذا أراد أن ينظر يريد أن يعرف هل يرضى الله بهذه النظرة؟. . . وإذا أراد أن يذهب إلى مكان يسأل هل يرضى الله بهذا وهل يجوز؟، أيقبل الله أو لا يقبل؟.

## جعل الأعمال كلها لله

"واجعلني في كل حالاتي لك قصدي"، في جميع الأحوال والظروف اجعل نيتي لك، واجعل قصدي إليك، فحين أذهب لزيارة أحد من أقربائي وأصدقائي من المؤمنين، أنويها قربة إلى الله، إلهي؛ أريد أن أصل الرحم قربة إلى وجهك الكريم.. تجلس مع أخيك المؤمن وتحصل على عبادة مع اللذة، وحين أنام أقصد بهذا العمل أن أتقوى على طاعتك، حتى النوم يصبح عبادة، والطعام كذلك؛ إلهي آكل حتى أتقوى على عبادتك.. أذهب في سفرة ترويحية وأقول؛ إلهي أريد أن أرتاح لكي تنفج أساريري وأتقوى على طاعتك، والسفرة الترويحية تصبح عبادة، وحينها تصبح أعمالك كلها عبادة، حتى الراحة والاستجمام والطعام.

"أنت سيدي في كل مكان وإن حجبت عنك أعين الناظرين إليك"، إلهي؛ لا أراك بعيني، ولكنك أنت سيدي وأنت الحاضر والناظر وأنت الشاهد، "أسألك بك"، أقسم عليك بذاتك الشريفة، "إذ جعلت في طمعا فيك لعفوك"، أنت جعلتني أطمع يا الله بعفوك وصفحك ورضوانك، "أن تصلي علي محمد وآل محمد وترحم من يسألك"، إلهي كل من يرفع يده بالدعاء، اللهم فاستجب له، إلهي؛ لا تستجب لي فقط، بل كل من يرفع يده بالدعاء فاستجب له، اطلب الخير ليس لنفسك وحدك، بل اطلب الخير للجميع وأنت منهم، "وهو من علمت بكمال عيوبه وذنوبه"، إلهي تعرف كم ارتكبنا من المعاصي والآثام، فإن فينا أخطاء ومعاصي وارتكبنا الكثير من الأمور وأنت أعرف بها، "لم ييسط إليك يده إلا ثقة بك"، إلهي مع كل هذه الذنوب، لكننا اليوم نمد أيدينا إليك لأننا نثق بسعة رحمتك، وأنت تصفح عنا وتغفر لنا.

"ولا لسانه إلا فرحاً بك"، إلهي؛ ألسنتنا طويلة وندعو ونطلب أن ترزقنا كذا وتحل لنا كذا، لأننا فرحون بك، ونحن عبيدك وأنت ربنا وإلهنا، وأين يولي العبد وجهه إلا إلى مولاه، وليس لدينا غيرك يا إلهي نتوجه إليه. "فارحم من كثر ذنبه على قلبه"، هذا الإنسان ما قيمته أمام الكون والمجرات؟.. جرمه صغير وقليل، ولكنه يرتكب الذنوب الكبيرة والعظيمة، "وقلت ذنوبه في سعة عفوك"، لكن ذنوبه الكبيرة نسبة إلى قدره، هي قليلة وصغيرة نسبة إلى عفوك الواسع، "وجرأني جرمي وذنبي بما جعلت من طمع إذا يسس الغرور الجهول من فضلك"<sup>(٧٦)</sup>، إلهي، الذنب العظيم يجعل الإنسان يقنط من

رحمة الله؛ كم ارتكب من معاص وقاتل الناس وارتكب المحرمات والفواحش والعياذ بالله، لكن الأعظم منه اليأس من رحمة الله .

### عدم القنوط من رحمة الله

دخل وقت الصلاة والإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في المسجد الحرام، فرأى شخصاً لا يصلي، فقال له يا فلان لماذا لا تصلي؟، فقال له يا زين العابدين، أنا لا أصلي لأن الصلاة لن تفيدني؛ فقد ارتكبت معصية عظيمة لو صليت الدهر كله لما أفادني، قال وما هي؟، قال ارتكبت ذنباً عظيماً؛ أنا متورط بدم الحسين فقد شاركت في قتله، فأبى صلاة تفيدني، تركت الصلاة لأن قضيتي عظيمة ولا تفيد معها صلاة ولا صوم، فأجاب الإمام السجاد: "هل تعلم أن قنوطك من رحمة الله أعظم من الذنب الذي ارتكبته"<sup>(٧٧)</sup>، حالة اليأس أعظم من أي ذنب، فيجب ألا نياس ولا نقنط، فمهما عملنا فإن رحمة الله (سبحانه وتعالى) أعظم مما نذنب ونرتكب .

"أن تصلي على محمد وآل محمد وأسألك لإخواني فيك"، الأخوة في الله، إخواني فيك، ليس فقط لإخواني في النسب، بل إخواني فيك، الأخوة الإيمانية، "وأسألك لإخواني فيك العفو العفو". . . لقد ورد في رواية: "ادعوا الله بلسان لم تذبوا فيه"، قال يا ابن رسول الله، أين هذا اللسان، كلنا مذنبون وكلنا صدرت منا المعصية، فأين اللسان الذي لم نذنب فيه، قال: "الدعاء بلسان المؤمن"<sup>(٧٨)</sup>، فأنت تذب بلسانك، لكنك لا تذب بلسان أخيك، فإذا دعوت لأخيك، وأخوك يدعو لك، فقد دعوتما بلسان لم تذبوا فيه .

لاحظوا في دعاء اليوم السادس من كل شهر من أشهر السنة القمرية، نقول في بسط اليد: "اللهم إن رقابنا لك بالتوبة خاضعة"، كم هو جميل هذا التعبير؛ رقابنا خاضعة، كمن يريدون إجراء الحد عليه ويقولون له قدم راسك، ويضع الرقبة فيأتي السيف فيقطعها، التشبيه والاستعارة، وهذا كمال الانصياع، "اللهم إن رقابنا لك بالتوبة خاضعة وأيدينا بالرغبة مبسوطة"، بسط اليد رغبة في دعائك، ورغبة في رحمتك، "ولا عذر لنا فنعتر"، ارتكبتنا المعصية ونحن نعلم وليس جهلاً، فليس لدينا عذر، فقد أمسك غيرنا عن الحرام وكنا نملك القدرة، لذلك ليس لنا عذر .

٧٧ . ورد في معناه في بحار الأنوار ٤٦ : ١٣٢ ، ح ٢٢ .

٧٨ . بحار الأنوار ٩٠ : ٣٩٠ ، ح ٢٢ .

"ولا قوة لنا فنصبر، اللهم صلِّ على محمد وال محمد وأعدنا أن تخيب آمالنا"، إلهي وضعنا آمالنا فيك ونعوذ بك أن تخيب آمالنا، كمن يركض على قضية ولديه حاجة، فيطرق الأبواب ويتفاجأ أن ذلك الشخص يقول له لا يستطيع أن أقضي لك حاجتك . . إلهي أنت المنان الجواد الحنان، بيدك كل شيء وجمنا إليك نطلب حاجتنا، فلا تخيب آمالنا، ولا ترجعنا من بابك خائبين، "وتحبط أنفسنا"، إلهي؛ جمنا إليك ببضاعة مزجاة وأنفسنا بسيطة . . مثلا، هناك طالب يخرج فرحا بالشهادة ويربها للناس، وهناك من يخفيها، ويسأله أهله أين الشهادة، ألم تذهب إلى المدرسة لتجلب الشهادة؟، فيقول جلبتها، فيقال له لماذا لا ترينا إياها؟، ويلحون عليه، لكنه يخفيها لأنه لا يستطيع أن يرفع رأسه بهذه الشهادة وهذه الدرجات . . إلهي إن أنفسنا كحالة الطالب الكسول ولا تُفرح أحدا، وليس بيدنا شيء كبير لنرفع رؤوسنا به بين يديك، ولكن تقبَّل منا ولا تحبط أنفسنا .

"اللهم جد بحلمك على جهلنا"، نحن جهولون، نقوم بأعمال غبية وخطوات غير صحيحة، وحين يسألنا الآخرون لماذا تعملون هذا ألا تعرفون؟ . . نقول نعرف ولكننا مع الأسف ضعفنا، لكن أنت بحلمك جد علينا وأكرمنا وتقبل منا، فإذا أردت أن تجعل الأمور في مصافها وفي معاييرها الصحيحة فنحن لن نحصل على شيء، "وبغناك على فقرنا"، نحن فقراء إليك يا الله، فجد علينا بغناك وتفضل علينا، "واعف عنا وعافنا وتفضل علينا وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وصل اللهم على النبي المختار" (٧٩).

### الاعتراف بالذنب والإلحاح بالدعاء

شاهد آخر، في الدعاء الوارد عند حلول شهر رمضان، في هذه الليالي الشريفة، جاء في هذا الدعاء: "ها أنا ذا بين يديك معترف بذنوبي"، الاعتراف بالذنب مسألة مهمة جدا، ليس أمام الآخرين، بل بينك وبين الله، اختل مع نفسك وقل إلهي؛ أنا الذي أذنبت وأسرفت، وهذه ثقافة أهل البيت، اعترف بذنوبك واطلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى، "مقر بالإساءة والظلم على نفسي"، لقد أذنبت، ولكن أتعتقد بأنك ظلمت الله؟ . . كلا، فالله لا يزيده شيء ولا ينقصه شيء، فذنوبنا لا تنقص من الله شيئا، بل نحن نظلم أنفسنا .

أنت تسيء إلى نفسك حينما ترتكب المعصية، والله (سبحانه وتعالى) أراد لهذه النفس أن تكون كريمة وعزيزة؛ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(٨٠)</sup>، لماذا تصغر هذه النفس وتحقرها بالذنب والمعصية وهي مكرمة؟ . . الإنسان في أثناء المعصية في حالة من الهزال والضعف . . لماذا تحقر نفسك؟ . . أنت عزيز وكريم فلا تقبل لنفسك حقارة السلوك، "من أنا يا ربي فتقصد لعذابي"، ما قيمتي لتقصدي بالعذاب .

في قضايانا الدنيوية يضع أحدنا رأسه برأس آخر أكبر وأعظم، فنقول له لماذا تضع رأسك برأسه؟، انظروا ثقافة الدعاء، "من أنا يا ربي فتقصد لعذابي"، ما قيمتي في هذا الكون يا إلهي، "أم من يدخل في مساءلتك إن أنت رحمتني"، السجنان إذا فتح باب السجن وأخرج السجناء فسوف يعاقبونه ويقال من قال لك أن تفتح الباب وتهرب السجناء، والقاضي في المحكمة بعد ثبوت الجريمة إذا برأ المجرم يؤتى بالقاضي ويقال له من أعطاك الحق بتبرئة المجرمين، فأنت هنا لتعطي كل ذي حق حقه، فكيف تعفو عن المجرم، لكن الله (سبحانه وتعالى) إذا أراد أن يعفو عن المجرمين فممن يسأله كيف فعلت ذلك؟ . . لا أحد يسأله، فمن يدخل في مساءلتك يا الله إن أنت رحمتني وعفوت عني، ومن يستطيع أن يسأل الله إن أصدر عفوا؟، فاعف عني .

"اللهم إني أسألك من الدنيا ما أسد به لساني"، إلهي أعطني من الدنيا بحدود حاجتي، "ما أسد به لساني"، لا اضطر إلى أن أذهب وأريق ماء وجهي، أعطني ما يكفيني ويغنيني ويسد حاجتي، "وأحصن به فرجي"، إلهي أريد امرأة لأحفظ ديني، كثير من شبابنا اليوم يريد أن يتزوج ولا يملك، إلهي أعطني ما أحصن به فرجي، "وأؤدي به عني أمانتي"، عندي أمانات وديون والتزامات، فأعطني ما أسدد به هذه الديون، "وأصل به رحمي"، ربي أغنيتني وأنا أريد أكثر؛ أريد أن أنفق على أقربائي وأساعدهم، وأريد أن أصل الرحم، وهذا درس؛ فإذا كان لديك من المال ما يفيض عن حاجتك بعد تسديد الديون فانظر إلى أرحامك من يحتاج منهم وقدم له، "وأتجر به لآخرتي"، بعد الرحم، أريد أن أتاجر للآخرة، وأعمل فعل المعروف .

أيها الميسورون، يا من يمتلك من المال الحلال ما يزيد عن حاجته، اليوم لدينا مليوناً مواطن عراقي نازحون في بلادهم، من تلغف من الموصل ومن الأنبار ومن مناطق التركمان في صلاح الدين وكركوك والطوز وتازة والبشير، وغيرها من المناطق، هناك نازحون يحتاجون إلى رعاية، فتاجروا مع الله بمساعدتهم وقفوا مع النازحين،

فالحكومة وحدها لا تستطيع، والشرخ كبير والحاجة كبيرة ونحتاج إلى تضامن وتعاون وتضافر في الجهود.

"ويكون لي عوناً على الحج والعمرة"، إلهي أريد أن أذهب للحج والعمرة كل سنة وأزور وأتقرب إليك، فزدني رزقي يا الله، لأكمل حاجاتي وأصل رحمي وأسعد الفقراء وأتاجر مع الله وأذهب للزيارة، إلهي؛ نريد الحج والعمرة، ونريد زيارة الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، "فإنه لا حول ولا قوة إلا بك"، من يحل هذه المشاكل إلا أنت يا الله، وحوّلنا وقوتنا بك يا الله، "وعزتك يا كريم لألحّنّ عليك"، الإنسان عندما يطلب من الآخر فإن نفسه عزيزة ولا يلح، ولكن مع الله يُستحب الإلحاح في الطلب، ففي آداب الدعاء يستحب ذلك في الطلب؛ اطلب من الله وكرر، وليس عيباً فهو الله ربك، "لألحّنّ عليك ولأطلبنّ إليك"، منك أطلب يا الله، ولأطلبنّ بإلحاح، "ولأتضرعنّ إليك"، هنا الشاهد، "ولأبسطنّها إليك مع ما اقترفنا من الآثام"، مع جميع الذنوب لكنني أمد يدي إليك وأطلب منك، وأنت من تغفر وتصفح وتعطي وتمنح.

"يا سيدي فبمن أعود وبمن ألوذ، كل من أتيت في حاجة وسألته فائدة فإليك يرشدني"، كل من سألته قال لي: يعطيك الله، كما نقول للفقير حين يطلب منا في الشارع، إذ نقول: الله يغنيك ويعطيك. . فما دورك إذن في العملية، ولماذا لا تكون من جند الله ويد الله التي تعطي للعبد؟. من أسأله إليك يرشدني، "وعليك يدلني وفي ما عندك يرغبني"، عندك الحل يا الله، "فأسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة القائم بالحق عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبالشان الذي لهم عندك"، انظروا إلى آداب الدعاء، أقسم على الله بأوليائه؛ برسوله وأهل البيت، واحداً واحداً، هذا في أدب الدعاء وأحكام الدعاء، عندما تأتي بأسمائهم واحداً بعد الآخر وتقسم على الله بالمعصومين الأربعة عشر، فإن دعاءك مستجاب.

"وبالشان الذي لهم عندك"، إلهي أسألك بمقامهم عندك، فهؤلاء وسيلتنا غليك و طريقنا إليك؛ رسولك الكريم وأهل بيته، "فإن لهم عندك شأناً من الشأن أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تفعل بي كذا وكذا وتطلب حاجتك"<sup>(٨١)</sup>، هذه آداب الدعاء، كيف تبسط يدك بالدعاء وتطلب من الله سبحانه وتعالى، إذن واحد من المعاني الحقيقية لبيد في بعدها الإيجابي هو بسط اليد بالدعاء.



## بسط اليد بالمعروف

المعنى الآخر بسط اليد بالمعروف، وقد ورد في بحار الأنوار: عن أبي عبد الله الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "قال أمير المؤمنين: لن يرغب المرء عن عشيرته وإن كان ذا مال وولد"، مهما كان عند أحد من الأولد والأموال فلا يخرج عن عشيرته ويحتاج إلى سند وإلى ظهير، فعشيرتك ظهيرك وأبناء الوطن الواحد ظهير بعضهم للبعض الآخر، وليس لك إلا إخوانك وأهلك وأهل وطنك، مهما كان عندك من المال والولد، فالإنسان لا يستغني عن العشيرة وعن مودتهم. الإنسان مشاعر ولحم ودم وعواطف، ويحتاج إلى هذه المشاعر، ومن يقدم له المودة ويكرمه غير عشيرته، والمثل العربي يقول: من لا يعرفك لا يقدرك، والإنسان عزيز في قومه فهم يعرفونه ويعرفون قيمته.

"ودفاعهم بأيديهم وألسنتهم"، أبناء عشيرتك يمسكون ظهرك بلسانهم وأيديهم ويدافعون عنك عندما تتعرض إلى مشكلة، "وهم أشد الناس حيلة من ورائه وأعطفهم عليه"، لا يستطيع أحدان يذكرك بسوء حتى لو كنت غير موجود، فتكون عندك حصانة كبيرة عندما تلوذ بعشيرتك وترتبط بقومك، "وآلمهم لشعته"، أي ابتلائه ومحنته، فأكثر الناس ألماً للابتلاء هم أهلك وعشيرتك، "إن أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الأمور"، عندما تصاب بمصيبة لا قدر الله، أو لم تسر أمور الدنيا بشكل صحيح، فالعشيرة تحل مشاكلك وتدافع عنك، "ومن يقبض يده عن عشيرته"، من يزهّد بعشيرته، "فإنه إنما يقبض عنهم يداً واحدة"، هم ألف وأنت واحد، وسيفقدون واحداً فقط، "وتقبض عنه أيد كثيرة"، إذا كانوا ألفاً وتركتهم فقدوا واحداً وفقدت (٩٩٩)، فمن يزهّد بقومه وأهله هو الخاسر.

نحن كعراقيين ليس لنا إلا بعضنا، وبعضنا يناصر الآخر ويقف مع الآخر، وإذا زهد بعضنا بالآخر فنحن الخاسرون، "ومن يلن حاشيته يعرف صديقه منه المودة"، تظهر المودة لصاحبك وأهلك والآخرين عندما تتعامل بلين ورفق وتواضع، والمتكبر المتعجرف لا يعطي رسائل إيجابية، وإذا أردت عشيرتك وقومك ووطنك فيجب أن تتواضع لهم، ويجب أن تشعرهم بالمحبة واللين والحنان، وهنا الشاهد، "ومن بسط يده بالمعروف إذا وجده يخلف الله ما أنفق في دنياه"، عندما يأتيك المعروف والرزق وإمكانات في شيء ما، مالية أو وجاهة أو كنت مديراً أو مسؤولاً تستطيع أن تحل مشكلة، "من بسط يده بالمعروف"، إذا لم تقصر عندما أتى إليك المعروف وبذلته للآخرين، "يخلف الله له ما أنفق في دنياه"، كل ما تصرفه من مال وجاه وماء وجه في

الدنيا، فالله يعطيك إياها مباشرة، "ويضاعف له في آخرته"<sup>(٨٢)</sup>، فوق ما يعطيك في الدنيا يضاعف لك في الآخرة ما تقدم، هكذا هو شأن الله (سبحانه وتعالى)، فيا أيها الإنسان لا تقصر في المعروف، وإذا كان لديك أموال فابذل، وإذا كان لديك جاه فساعد، وإذا كان عندك تأثير فاستخدمه لمنفعة الناس، وإذا كنت لا تملك مالاً ولا جاهاً فابتسم للناس وأسمعهم كلاماً طيباً، فهذا معروف وهو أضعف الإيمان، ابتسامه وكلام طيب ودعاء للناس بالفرج وطلب الخير.

عندما كنا في المنفى كان شهيد المحراب (قدس سره) يلقي محاضرة، وكان يعبئ الناس ضد الدكتاتور، كما يحدث الآن؛ إذ يعبئ السيد السيستاني الناس ضد الدواعش، فشهد المحراب كان يعبئ الناس ويقول إن هذه مسؤولية الجميع والتكليف لا يسقط حتى عن المرأة المقعدة التي لم تدرس في قرية نائية من العراق، وكنت جالساً وسمعت هذا الكلام وتعجبت؛ امرأة عجوز أمية لا تقرأ ولا تكتب، ومُقعدة لا تستطيع السير، في قرية نائية من العراق، فماذا تستطيع فعله للدكتاتور؟ وماذا بيدها هذه المسكينة؟، وحين أنهى السيد محاضرتة وخرجنا، سرنا مع السيد شهيد المحراب وقلت سيدنا عندي سؤال؛ قلت سماحتكم الآن في الخطاب إن التكليف لا يسقط حتى عن العجوز الأمية المقعدة في قرية نائية، فماذا تستطيع هذه المسكينة أن تفعل وماذا بيدها؟. . نظر اليّ وقال: ألا تستطيع أن تقول اللهم انصرنا على الظالمين؟، قلت نعم، قال هذا واجبها فقط، وهي جالسة بمكانها ترفع يدها وتدعو على الظالم بأن ينتقم الله سبحانه وتعالى منه، وهذا معروف فلا تقصر بما تستطيع.

اليوم هناك شباب أبطال لبوا نداء المرجعية ووقفوا مساندين وداعمين للأجهزة الأمنية، يذبون عن حياض الوطن، شيعة وسنة، ولا يقل أحد إن فتوى المرجعية فتوى طائفية، حاشا للمرجعية أن تتعامل بنفس طائفي، فالمرجعية العليا دعت العراقيين جميعاً أن يهبوا ويتحملوا مسؤولياتهم، وهنيتنا لنا بهؤلاء الشباب، وأنا شخصياً في هذه الأيام كلما نظرت إلى الشاشات والشباب الذين يتدافعون على مراكز التطوع تدمع عيني وأرفع يدي بالدعاء وأقول: اللهم أشكرك أن منحتنا مثل هذا الشعب، وفتخر بالانتماء إليه وبهذه الروحانية، وفتخر بهذا الحماس، وفتخر بملايين يفدون الوطن بأرواحهم تلبية لنداء المرجعية.

هنيتنا لنا بكم يا شعب العراق ويا شباب العراق، وهنيتنا لشباب العراق هذه الطاعة

لله وحب الوطن والدفاع عنه والوقفة التاريخية وهذا من المعروف ، والإنسان موقف ، والحياة موقف ، أتى أناس وذهبوا ، ومن منا سيبقى إلى أبد الأبد ، فعلينا أن نسجل موقفاً ونحيا بشرف ونموت بشرف دفاعاً عن الوطن والمقدسات والأعراض ، وقفة بوجه الظالمين والطغاة الدواعش ، وهؤلاء فواحش وليسوا دواعش ، اعتدوا على الأعراض والممتلكات وقتلوا النفس البريئة واختلقوا لأنفسهم معاني غريبة وعجيبة في فهمهم الأعوج والظلامي للإسلام . الإسلام دين السلام والمحبة والرفقة ، دين التعايش والتسامح والتضامن ، دين يتحمل الآخر كما في ثقافة القرآن للكافر: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٨٣)</sup> ، دعنا نتحاور ونتفاهم ، هذا الإسلام وهذا هو قرآننا .

هؤلاء لا يرحمون حتى من يعمل معهم ، والأخبار تقول إن من الداعشين من صلبوا لأنهم اختلفوا على غنائم ، فكفروا بعضهم وصلبواهم ، ما هذا المنطق؟ ، يكفرون الناس ويقتلونهم على الظن والتهمة ، ويتهموننا بالرفض ويسموننا روافض ، رفض ماذا؟ . . رفض الظلم؟ . . والله إن هذا شرف لنا أن نكون ممن يرفض الظلم والباطل ، وممن يرفض الظلام ويدافع عن حرمانه ومقدساته وعقيدته ودينه وشعبه ، لذلك علينا ألا نقصر بتحمل مسؤولياتنا وأن نثبت ونقف ونصمد ونتحمل ، واعلموا أيها الأحبة ، أنه في هذه التحديات تُبنى الأمم والشعوب ، وفي هذه المنعطفات تتحقق الإنجازات الكبيرة والعظيمة .

نسأل الله أن يحقق الآمال ، وللحديث صلة تأتي تباعاً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



## الأمسية الثالثة بتاريخ ٢٠١٤/٧/١



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين  
وصحبه المنتجبين الميامين .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

ما زلنا في الحديث عن المعاني الإيجابية للبد، ووصلنا إلى بسط اليد بالمعروف

#### فعل المعروف يضاعف النعم

في بحار الأنوار: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن لله عبادةً اختصهم بالنعم"،  
ربما يعطيك الله مالاً أو جاهاً أو تأثيراً أو قدرةً على بناء علاقات مع الآخرين، أو قدرة  
على إنجاز أعمال معينة بأن يعطيك مهارات لا يعطيها لغيرك، فيختصك الله بهذه النعم  
دون غيرك، وهكذا كل منا حينما ينظر للمجتمع يرى مهارات وقدرات عند البعض غير  
موجودة عنده، وبالعكس ربما توجد عنده قدرات ومهارات ولكنها غير موجودة عند  
الآخرين، هذه النعم يختص الله بها عباده، فهذا عنده حرفة أو مهنة معينة، وهذا طيب  
حاذق وذاك مهندس بارع وهكذا، كل منا أعطاه الله أشياء .

عندما تصبح لدينا هذه المواهب نكون أمام خيارين؛ خيار أن يصبح لدينا العجب  
فتكون مدعاة لأن ينعزل الإنسان عن الآخرين ويتكبر ويتعالى عليهم، لأنه يتميز عنهم  
بعلم أو مال أو مؤهلات أو قدرة أو حرفة أو مهنة أو أي شيء آخر، والحالة الثانية أن  
الإنسان يجد هذه الخصوصيات نعمة من نعم الله فيزداد تواضعاً ويوظفها في مكانها  
الصحيح؛ إلهي أعطيتني مالا ولم تعطه لآخر، فهذا المال يجب أن أصرفه في مورده

الصحيح ، وأعطيتني علماً أو بياناً أو تأثيراً ، فكيف أوظف هذه النعمة في خدمة عباد الله وفي نصرة دين الله وفي الأهداف التي يحبها ويريدها الله تعالى ، وهذه قضية مهمة جداً .

"إن لله عبادا اختصهم بالنعم يقرها فيهم ما بذلوهما للناس" ، ما دامت هذه النعمة في نظر هؤلاء أمانة من الله يصرفونها في موضعها في خدمة الناس فالله يبقئها عندهم ، وحين تحدث عندهم حالة عجب وتكبر وأناية وتعال ويريدونها لهم وهدم ولا ينفقونها على الناس ولا يخدمون الناس من خلالها يأخذها منهم ، " يقرها فيهم ما بذلوهما للناس" ، ما داموا يبذلونها للناس فالله يبقئها عندهم ويكثرها ؛ "زكاة العلم نشره" (٨٤) ، وكلما أعطيت من هذا العلم نما عندك ، وكلما تصدقت على الناس عوضك الله بأكثر منه ، وكلما خدمت الناس أعطاك الله تعالى سمعة أكثر ، وكلما أرقت ماء وجهك في خدمة الناس أعطاك الله وجاهة أكثر ؛ ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ (٨٥) ، كلما خدمت وأعطيت فإنني أعوضك بعشرة أضعاف ، الله يقول هذا .

"فإذا منعوها حولها منهم إلى غيرهم" ، لكن إذا منعوها عن الناس حولها الله وأخذها منهم وأعطاهم إلى غيرهم ، "وكان كسرى قد فتح بابه" ، هذه تسجل في تاريخ كسرى ، يبنينا رسول الله أنه كان خدوماً وكان بابه مفتوحاً وكان يستمع إلى الناس ويحل مشاكلهم ، كسرى الكافر أعطاه الله تعالى دوام الملك لعدله ، إذ كان عادلاً في تعاطيه مع الناس ، يقول رسول الله : "وكان كسرى قد فتح بابه وسهّل جنابه" ، ليس صعباً ، "ورفع حجابيه وبسط إذنه لكل واصل إليه" ، ليس هناك فلترات قبل أن يصل الإنسان إلى كسرى .

"فقال له رسول ملك الروم" ، كانت الإمبراطورية الرومانية مختلفة ، فالإمبراطور ما من أحد يراه ، وهناك الحجب والمناطق الخضراء البعيدة عن الناس والوسائل الكثيرة التي تفصل بين المسؤول والناس ، كانت هذه السياقات ، لا أحد يرى المسؤول في الإمبراطورية الرومانية ، هذا الإمبراطور سمع أن ملك كسرى فاتح بابه فخاف من الفتنة فأرسل له رسولا وقال له : "لقد أقدرت عليك عدوك بفتحك الباب" ، يريد أن يخوّفه ، أعداؤك سوف يتمكنون ويدخلون إلى القصور ويعرفون المداخل والمخارج وسوف يتعرفون على طريقة حياتك وهذا خطر داهم عليك ، فسد الباب ولا تسمح للمواطن بأن يدخل عليك ، فهؤلاء عبيد وأنت ملك ، "لقد أقدرت عليك عدوك بفتحك الباب ورفعك الحجاب" ، ماذا تفعل وكيف فتحت الباب وأزلت المحددات والقيود ، والناس

٨٤ . عيون الحكم والمواعظ : ٢٧٦ .

٨٥ . سورة الأنعام : الآية ١٦٠ .

تدخل ببساطة وتحدث إليك؟، ولكن كسرى أجابه: "إنما أتحصن من عدوي بعدلي" (٨٦)، لا أمكن عدوي حين أفتح بابي وإنما أحصن بلادي من الأعداء حينما أفتح بابي، فحين يكون الشعب معك فالدنيا لا تقدر عليك، ولكن حين لا يكون الشعب معك فلا أحد يستطيع أن يحميك. أيها المسؤول، أكبر حصانة لك أن يكون شعبك معك، أن تخدم شعبك وتتواضع له وتلبي مطالبه.

### خدمة الناس أقصر الطرق إلى الله

اليوم عُقد مجلس النواب، وكانت الأنظار شاخصة لعلّ المجلس ينتخب رئيساً ونائبه ويحل القضية، يعمل البرلمان وبعدها ينتخب رئيس جمهورية ونائبه وبعدها رئيس وزراء وحكومة، والأنفاس محبوسة والناس مترقبة ماذا سيحصل، ولكن بعد قراءة القرآن والنشيد الوطني أدوا القسم وانتهت القضية!.. خرجوا يتشاورون ولكنهم لم يعودوا.

أيها المسؤولون، أيها الفريق الجديد، يا من وُضعت الثقة بكم، وبالطبع أنا لا ألوم السادة والسيدات النواب، فهذه تحتاج إلى اتفاقات بين القيادات، هذا ليس شغل الشعب وليس شغل النواب وحدهم، وإنما يحتاج إلى اتفاقات؛ من هو رئيس الجمهورية ومن هو رئيس مجلس النواب ومن هو رئيس الحكومة؟، وكلنا يتحمل المسؤولية فلا يفهم أحد أنني ألقى المسؤولية على هذا أو ذاك، فكلنا مسؤولون وكلنا نتحمل المسؤولية، وعلينا أن نكون على قدر المسؤولية، وبذلنا جهوداً مضيئة في الأيام الماضية لكي نجد بسمه على شفاه العراقيين بانتخاب رئيس ونائبين لمجلس النواب في هذا اليوم، ولكن: ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

أيها الفريق الجديد، تباروا وتنافسوا وتسبقوا على خدمة الناس، خدمة الوطن والمواطن، فهذا هو الطريق الذي يجعلكم محترمين ومقدرين في أنظار الناس، والأهم من ذلك يجعلكم أعزاء بين يدي الله تعالى، فأقرب الطرق إلى الله وأقصرها خدمة عباد الله، فإن كسرى المجوسي حين خدم عباد الله أعطاه الله دوام الملك، فما بالك بالمؤمن الصائم المصلي، "إنما أتحصن من عدوي بعدلي"، حكمة قالها كسرى المجوسي، لكن رسولنا يقول: "انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال" (٨٧)، المضمون رفيع وعالٍ؛

٨٦. بحار الأنوار ٧٥: ٣٥٢، ح ٦٢.

٨٧. عيون الحكم والمواعظ: ٥١٧.

بالعدل أتحصن من الأعداء، " وإنما أنصبت هذا المنصب وجلست هذا المجلس"، طاق كسرى هنا في بغداد وهنا محل الحكم، هكذا كان يتعامل، " وجلست هذا المجلس لقضاء الحاجات"، أنا صرت ملكاً حتى أخدم الناس، "ودفع الظلامات فإذا لم تتصل الرعية إلي فمتى أقضي حاجتها؟"، إذا لم تدخل الناس ديواني ولم تكلمني ولم تقل لي مشاكلها فمتى أحل مشاكلها وأعرف من المعتدى عليه ومن المعتدي؟، ومن ظلم هؤلاء الناس وقصر بحقهم، وأي مسؤول لم يؤد واجبه بشكل صحيح؟ . . المسؤول الأعلى يجب أن يجلس مع الناس حتى يعرف طريقة تعامل فريقه الحاكم معهم، فهذا منهج بسط اليد بالمعروف، وهو درس مهم.

### حفظ اليد واللسان

وفي بحار الأنوار: قال أسود بن أصرم: "قلت: يا رسول الله أوصني، قال رسول الله: أتملك يدك؟"، هل أنت مسيطر على يدك؟، سؤال عميق وخطير ومفتاح مهم من مفاتيح النجاح، هل ترى ما يراه عقلك وتغمض عما يقول عقلك وشرعك ألا تراه؟، هل أنت مسيطر على عينك وأذنك ولسانك ويدك، هذه أسئلة الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، "أتملك يدك؟"، قلت: نعم، قال: أتملك لسانك؟"، يدك ولسانك، "قلت: نعم، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: فلا تبسط يدك إلا إلى خير"، إذا كنت تملك يدك فلا تمدّها إلا إلى فعل الخير، "ولا تقل بلسانك إلا معروفاً"<sup>(٨٨)</sup>، ولا تتحدث بلسانك بحديث بذيء سيئ، بل تحدث بالمعروف، وتكلم بما يرضي الله تعالى وما يعزز المشاعر والعواطف ويقوي العلاقة بين الناس، كن عنصر تواصل واجعل لسانك سبباً في إشاعة التسامح والتعايش والمحبة والوثام والثقة. هذه مسألة مهمة جداً.

هناك من يخرج على الشاشات اليوم ويتحدث بحديث كله بغضاء وشحناء ويحرض الناس بعضهم على بعض ويضرب الناس بعضهم ببعض، ويؤجج المشاعر الطائفية والقومية، فتراق الدماء ويتدافع الناس مع بعضهم ويسيء الناس أحياناً بعضهم للبعض الآخر، ومن يتحمل هذه المسؤولية طبعاً هو ذلك الذي يجلس في المكان المريح ويتحدث كيفما يشاء بدون رقيب، بكلام غير مسؤول ولا يدرس تبعات هذا الكلام ماذا يحدث، وهو جالس في راحة والناس تتقاتل، وكل قطرة دم تراق نتيجة كلمة غير مسؤولة يتحمل من قالها مسؤولية هذه الدماء.

## يداً بيد في مواجهة داعش

سمعنا جميعاً في الجمعة الماضية بيان المرجعية الدينية العليا حينما طالبت بالتهذبة واحترام بعضنا لبعض الآخر وعدم التخوين والإساءة. نحن العراقيين، كلنا شركاء في هذا الوطن، بطوائفنا وقومياتنا وتوجهاتنا ومناطقنا وعشائرننا، نحن أبناء هذا الوطن وليس لنا إلا بعضنا، وداعش الفواحش خطر علينا جميعاً ويجب أن نقف بوجهها شيعة وسنة، عرباً وكرداً وتركماناً وشبكاً، مسلمين ومسيحيين وصابئة وإيزيديين، كلنا نقف بوجه داعش؛ لأنها عدوة للإنسانية، فعدونا هو داعش، والشيعي ليس العدو والسني ليس العدو والعربي ليس العدو والكردي ليس العدو، بل العدو هو داعش، فالعدو من يعتدي على الجميع ويظلم الجميع.

في المعركة دائماً يجب أن تعرف من العدو ومن الصديق، وإذا خلطت بينهم ضعت وفشلت، نحن بحاجة إلى موقف مسؤول وإلى كلمة مسؤولة وإلى تحرك مسؤول، وإلى إشاعة المحبة والوئام وتخفيف الحساسيات والصراعات وتجنب التخوين والاتهامات المتبادلة. نريد أن ننتخب رئيساً للبرلمان ونوابه ورئيساً للجمهورية ورئيساً لمجلس الوزراء ونشكل حكومة، نريد أن نرى فريقاً يخدم الشعب ويقف بوجه الإرهاب ويقدم رؤية سياسية وأمنية واضحة لينتشل العراق مما هو فيه. . . بالخصومات والصدمات لا يمكن حل المشكلة، بل نحتاج إلى الوئام والمحبة.

لندرس التاريخ حتى لا نكون عبرة من عبر التاريخ، فالناس التي تقالتت بينها عشرين أو ثلاثين أو أربعين سنة ماذا حدث لها، هل انتهت الناس؟ . . إذا كان قتالاً مذهبياً فالمذاهب لم تنته، وإذا كان القتال قومياً فالقوميات لم تنته، وإذا كان القتال دينياً فالأديان لم تنته، ورجعوا بعد عشرات السنين وجلسوا إلى طاولة الحوار وتفاهموا وتعانقوا ورجعوا إخوة يتعايشون، فإذا لم يكن في آخر النفق إلا الحوار والتفاهم، فلماذا نذهب إلى قتال ودماء وبعدها نجلس بعد أن يكون لنا جيوش من الأرامل والأيتام وبعد خراب البلد؟، لماذا لا نتحاور من البداية؛ نجلس وتفاهم مع بعضنا ونثق ببعضنا حتى نمضي على بركة الله، هذه الحكم العظيمة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

سادساً: الإعجاز باليد: اليد حققت معاجز؛ في سورة القصص في خطاب الله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَام: "اسلك يدك في جيبك"، اسلك يعني أدخل، يا موسى أدخل يدك في جيبك، والجيب في اللغة العربية الفتحة التي في الصدر، يا موسى أدخل يدك في جيبك، "تخرج بيضاء"، هذه كانت معجزة من معاجز موسى عَلَيْهِ السَّلَام، إذ يدخل يده في



جيبه ويخرجها بيضاء تشع ، ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾<sup>(٨٩)</sup> ، هناك أمراض جلدية تكون اليد فيها أيضاً بيضاء ، ولكن من المرض ، وهناك يد بيضاء من النور واستخدام اليد للإعجاز .

سابعاً : استخدام اليد للعقوبة : في الآيات الشريفة من سورة ص : ﴿وَأذْكَرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ ، هذه شهادة عظيمة من الله ؛ إذ يقول هذا عبدي ، أي أنه جسد العبودية الخالصة لله ، فإن أيوب مقامه عظيم وأسطورة للإنسانية كلها ، ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ نَبْصُوبٍ وَعَذَابٍ﴾<sup>(٩٠)</sup> ، إلهي ، إن الشيطان أتعبني وآلمني ، وهنا أسرد لكم قصة أيوب حتى تعرفوا ماذا عمل له الشيطان .

### قصة النبي أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أعطاه الله الخير والبركة ، من أموال طائلة ومزارع خلاصة وأولاد كثير وأغنام ومواش إلى ما شاء الله ، نعمة وفيرة ، والرواية ينقلها تفسير نور الثقلين ، عن أبي بصير عن أبي عبد الله الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قال : "سألته (الإمام الصادق) عن بلية أيوب التي ابتلي بها في الدنيا لأي علة كانت" ، البلاء يطهر الإنسان من الذنوب ، فما سر البلاء الذي تعرض له أيوب وهو نبي معصوم ، فلا يمكن أن نقول أذنب والله تعالى أراد أن يطهره بهذا البلاء ، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : "لنعمة أنعم الله عز وجل بها في الدنيا وأدى شكرها" ، كل هذه الأموال والأولاد والمزارع والخيرات ، كان فيها عبداً شاكراً لأنعم الله ، "وكان في ذلك الزمان لا يحجب إبليس دون العرش فلما صعد ورأى شكر نعمة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ" ، رأى أيوب من الشاكرين ، "حسده إبليس فقال يا رب إن أيوب لم يؤد إليك شكر هذه النعمة إلا بما أعطيته من الدنيا" ، يا إلهي يشكرك أيوب لأنك منعم عليه بالنعمة الوفيرة ، لذلك هو شاكر ولكنك إذا أخذتها منه فسوف يتغير ، "ولو حرمته دنياه ما أدى إليك شكر نعمة أبداً" ، بفضل هذه النعمة يشكرك ، "فسلطني على دنياه حتى تعلم أنه لم يؤد إليك شكر نعمة أبداً فقيل له قد سلطتك على ماله وولده" .

أنت مخول في أمواله وأولاده ، وإبليس لا يخرج منه خير ، فضاعت الأموال وأولاده كلهم مرضوا وماتوا ، ويقال كان عنده ثمانية عشر ولداً ، "قال فانحدر إبليس فلم يبق له مالا ولا ولداً إلا أعطبه" ، أهلكه ، "فازداد أيوب لله شكراً وحمداً" ، أيوب كان جبلاً ، ذهبت أمواله ومات ولده ولكنه زاد شكراً ، "قال فسلطني على زرعه يا رب قال قد فعلت

٨٩ . سورة القصص : الآية ٣٢ .

٩٠ . سورة ص : الآية ٤١ .

فجاء مع شياطينه فنفخ فيه فاحترق فازداد أيوب لله شكراً وحمداً، فقال يا رب سلطني على غنمه فسلطه على غنمه فأهلكها فازداد أيوب لله شكراً وحمداً، فقال يا رب سلطني على بدنه"، المرض إذا فتك به ماذا يعمل، "فسلطه على بدنه ما خلا عقله وعينه فنفخ فيه إبليس فصار قرحة واحدة من قرنه إلى قدمه"، كل جسمه قروح وجروح. . ذهب المال والأولاد والمزارع والأغنام والآن أصبح جسمه قرحة نازفة، "فبقي في ذلك دهرًا طويلاً"، في روايات ثمانية عشر عاما والجروح والقروح في كل جسده، "يحمد الله ويشكره"، بقي جبلاً، يشكر ويحمد الله.

كانت زوجته سالحة، وهي بنت نبي الله يوسف، وقد وقفت معه في المحنة، وفي يوم من الأيام قالت له أنت نبي، فارفع يدك في الدعاء واطلب الشفاء من الله، فقال لها إن كل بلائي مدته ثمانية عشر عاماً، وعمري كذا وكذا وطوال هذه السنين كانت النعمة موجودة، والآن أرفع يدي وأطلب من الله الشفاء، إنها كبيرة عليّ أن أفهم بين يدي الله وأطلب الشفاء، "حتى وقع في بدنه الدود فكانت تخرج من بدنه فيردها ويقول لها ارجعي إلى موضعك الذي خلقك الله منه وتنت"، نتيجة القروح والجروح والديدان صارت رائحة أيوب نتنة، "حتى أخرجه أهل القرية من القرية وألقوه في المزبلة، وكانت امرأته رحمة بنت يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ تتصدق من الناس وتأنيه بما تجده، قال فلما طال عليه البلاء ورأى إبليس صبره أتى أصحابا لأيوب كانوا رهباناً في الجبال وقال لهم مروا بنا إلى هذا العبد المبتلى فنبتليه في بليتة"، نخبره في هذا البلاء.

"فركبوا بغالاً شهباً وجاؤوا، فلما دنوا منه نفرت بغالهم من تنن ريحه فنظر بعضهم إلى بعض ثم مشوا إليه، وكان فيهم شاب حديث السن فقعدوا إليه فقالوا يا أيوب لو أخبرتنا بذنبك لعلّ الله كان يهلكنا إذا سألناه، وما نرى ابتلاك بهذا البلاء الذي لم يُبتل أحد به إلا من أمر كنت تستره، فقال أيوب وعزة ربي إنه ليعلم أنني ما أكلت طعاماً إلا وبيتم أو ضعيف يأكل معي، وما عرض لي أمران كلاهما طاعة لله إلا أخذت بأشدهما على بدني، فقال الشاب سوءة لكم؛ غيرتم نبي الله حتى أظهر من عبادة ربه ما كان يسترها، فقال أيوب يا ربي لو جلست مجلس الحكم منك لأدليت بحجتي"، لو كنا نتحاكم وتبارى لكان عندي حجة قوية عليك يا ربي، "فبعث الله إليه غمامة فقال يا أيوب ادلّ بحجتك فقد أقعدتك مقعد الحكم، وها أنا ذا قريب ولم أزل، فقال يا رب

إنك لتعلم أنه لم يعرض لي أمران قط كلاهما طاعة إلا أخذت بأشدهما على نفسي"، ألم أحمدك، ألم أشكرك، ألم أسبحك، متى قصرت حتى أتعرض إلى هذا البلاء؟ .

"قال فنودي من الغمامة بعشرة آلاف لسان يا أيوب من صيرك تعبد الله والناس عنه غافلون؟"، الناس كلها في وادٍ آخر، ومن أعطاك هذه النعمة أن تكون عابدا لله؟، "وتحمده وتسبحه وتكبره والناس عنه غافلون، أتمن على الله بما لله فيه المنة عليك"، تسيحك وتكبيرك وحمدك واختيارك لأشق الأمور بفضل مني، أن تحسن العبودية حتى تتكامل وترقى، "قال فأخذ التراب فوضعه في فيه"، ندامة وعذراً من الله أنه قال هذا الكلام، "ثم قال لك العتبي فرضي عنه . . فأنزل الله (عز وجل) ملكاً فركض برجله فخرج الماء فغسله بذلك الماء فعاد أحسن مما كان وأطرى"<sup>(٩١)</sup>، يقال إن زوجته كانت تبحث له عن طعام فلما عادت رأت رجلاً جالساً جميلاً لطيف المنظر وإلى جانبه ملك، فوقفت حائرة فسألها يا أمة الله ماذا تريدين، قالت تركت مريضاً في هذا المكان ولو كان صحيحاً لكان يشبهك، قال لها يا رحمة أنا أيوب، قالت له كيف حصل ذلك وعدت كما أنت؟، وأعاد الله تعالى إليه كل ما كان قد أخذه منه في هذا الابتلاء .

في هذا السفر والابتلاء الطويل، في يوم من الأيام غضب على زوجته، والروايات مختلفة في السبب؛ فرواية تقول إنها بعد ما تعبت ورأت أيوب يتألم بهذا الشكل ظهر لها الشيطان بصورة الإنسان وقال لها عندي علاج أيوب واستطيع أن أعالجه فطلبت منه المساعدة في العلاج، فقال لها عندي شرط واحد؛ وهو أن يقول لي حينما أعالجه يا طبيب أنت الشافي والمعالج وليس الله، فذهبت تنقع أيوب بالقضية والشرط المطلوب منه، بأن يقول له أنت الشافي، فغضب عليها فحلف أن يعاقبها بمئة سوط، وحينما شفي وكانت امرأة صابرة ووقفت معه وهي بنت نبي، أراد الله تعالى أن يرفع عنها هذا القسم لأيوب، أراد الله تعالى أن يخفف عنها<sup>(٩٢)</sup>.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ كُرَّ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَلَيْ مَا سَنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَدَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾، أعطيناها أولاداً بعدد أولاده وهو الكبير في العمر، ﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأَوْلِي الْأَبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾، الضغث حزمة من الحشيش، ما دمت حلفت أن تعاقب زوجتك فلا تتخلف عن اليمين، ولكن

٩١ . بحار الأنوار ١٢ : ٣٤١ - ٣٤٤ ، ح ٣ .

٩٢ . انظر : بحار الأنوار ١٢ : ٣٨ ، ح ١٢ .

خذ هذا الحشيش واضربها بالحشيش فهو ليس فيه ألم، ولكن فيه امتثالاً لحرمة اليمين الذي أديته ورفقاً بهذه الزوجة الصالحة التي وقفت معك، إذن اليد تستخدم للعقوبة، ﴿وَحُذِّبِيكَ ضِعْثًا فَاضْرِبِي بِهِ وَلَا تَحْنُثِي إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٩٣).

نسأل الله أن يرزقنا صبر أيوب ويحملنا مسؤولياتنا، ونكون عباداً أو ابين نعود لله تعالى في شؤوننا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الأمسية الرابعة بتاريخ ٢٠١٤/٧/٢



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين، تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، وجعلنا الله في هذه الأيام الشريفة ولياليها من المرحومين وألا نكون من المحرومين ونحن في ضيافة الله سبحانه وتعالى.

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

#### المصاديق الإيجابية في المعنى الحقيقي لليد

كنا نتحدث عن المصاديق الإيجابية في المعنى الحقيقي لليد، ووصلنا إلى المصادق الثامن

ثامناً: شهادة اليد: اليد تشهد وتنطق؛ إذ نقرأ في سورة النور: "إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات"، يرمون المحصنات، أي يقذفون ويتهمون، والمحصنات: العفيفات، ومن أعظم الأشياء وأخطرها أن يتساهل الإنسان ويتهم امرأة صالحة عفيفة، يتهمها في عرضها أو في شيء ما، وقد تكون رأيتها في حالة معينة، ولكن لقطعة واحدة لا تستطيع أن تفسر الموقف، ولا يمكن أن تسرع إلى الاتهام، فهذه قضية خطيرة جداً، أن تتهم أعراض المحصنات العفيفات الغافلات، أي الغافلات عن الفاحشة، ممن لهن نوايا سليمة، إذ يمكن أن تبسم امرأة في لحظة ما أو تقول كلمة، ولكن ببراءة تامة، ومن كان ذهنه أعوج ويريد أن يفسر كل حركة وكلمة بطريقة خاطئة فهذه مشكلته، فهو مريض ويجب أن يعالج نفسه قبل أن يتهم بنات الناس.

"إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات"، الغافلات تمامًا عن الفاحشة، وقلوبهن طاهرة ونواياهن سليمة، وسلوكهن بريء تمامًا، ولديهن إيمان بالله (سبحانه وتعالى)، والذين يتهمون مثل هؤلاء النسوة بهذه المواصفات لعنوا، واللعنة من الله تعني الإبعاد عن رحمة الله. فهو يقول كلمات عن امرأة مؤمنة، لأنه فهم الأمور بطريقة خاطئة، والمرأة عنصر ضعيف خاصة في مجتمعاتنا، فالرجل حتى لو ضعفت نفسه وسجلت عليه مؤاخذه معينة، فإنها يتم تجاهلها وتذهب، لكن المرأة تسجل شبهة عليها وتظل إلى آخر عمرها تلاحقها، وهذا أمر خطير.

أيها الناس، يا من تسمعون كلامي، اتقوا الله في اتهامكم للنساء، للمؤمنات، ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، يبعدهم الله في الدنيا والآخرة عن رحمته، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، لست أنا من أقول عظيم، بل الله يقول عظيم، وما هو عظيم عند الله العظيم كم هو حجمه، يعني هذه من الأمور التي تحتم توبيخًا شديدًا عليها، والشاهد هو، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٩٤)</sup>، مثل هؤلاء الناس لا يرعون حرمة لأحد، ويتهمون هذا وذاك ولديهم اتهامات ناجزة، ويسقطون ويشوشون الناس، ويتبعون مبدأ التسقيط على الظن والتهمة والاحتمال؛ سمعت أن فلانًا كذا وكذا، وقد تكون أسقطته وهو بريء ولم يفعل، فلا تبني على الكلام وما يقال، فهذا أمر خطير، أتبني على ما قالوا وتتهم شخصًا باسمه وتسقطه، بطريقة أقول لك ولا تنقل لأحد؟!، والحمد لله، في مجتمعنا إذا أردت لشيء أن ينتشر فقل هذا سر وهو فقط لك، وسوف ينتشر في وقت قصير، ويقال في دوائر الدولة، إذا أردت أن تخفي كتابًا فلا تكتب عليه شيئًا، وإذا كتبت عليه "سري للغاية" فسيظهر على شكل خبر عاجل في الفضائيات، وكلما ازدادت سرية سهل انتشاره.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾، اللسان يشهد، ﴿وَأَيْدِيهِمْ﴾، اليد تشهد عليهم، "وأرجلهم بما كانوا يعملون"، اللسان واليد والرجل كلها تشهد على الإنسان ولا يستطيع أن يكذب، والإنسان في حياته الدنيوية، يكون اللسان بيده ويكذب والعياذ بالله، ولكن يوم القيامة تشهد اليد والرجل عليه، واللسان يشهد بما نطق والعين تشهد بما رأت وكل الجوارح تشهد، شهادة اليد من المعاني الحقيقية ليد أيضًا. في سورة يس: ﴿النَّيْمُ نَحْنُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾، نمنعها من النطق، فالفم لا يستطيع أن ينطق، "وتكلمنا أيديهم"،

اليد تتكلم، ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٩٥)</sup>، والرجل تشهد بما كان يقوم به الإنسان، فشهادة اليد هذه أيضاً معنى من المعاني الحقيقية .

تاسعاً: كتابة الوحي: اليد تكتب، تكتب الوحي والأمور المفيدة، لاحظوا في سورة عبس: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾، هذه الصحف كريمة عند الله سبحانه وتعالى، ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾، لها منزلة رفيعة طاهرة نقية، ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾، هنا الشاهد، يكتب هذا الوحي بأيدي سفرة؛ سفراء بين الله وأنبيائه، أي الملائكة، يكتب الوحي بأيدي هؤلاء الملائكة، ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾<sup>(٩٦)</sup>، هؤلاء أتقياء مكرمون .

عاشراً: الاختبار عبر اليد: الله يختبر الإنسان من خلال يده؛ لاحظوا في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ﴾، الله يختبركم، والخطاب موجه لحجاج بيته الحرام، ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾، الحاج عليه مجموعة من المحرمات وهو مُحْرَم، ومن محرمات الإحرام الصيد، فمن لبس إحرامه فلا يستطيع أن يصيد، ولكن يأتي الصيد الثمين أمامه والرمح معه وهو مالك ليد، فالله يختبرهم، ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾، الله يريد أن يختبركم تغلبون أمر الله سبحانه وتعالى في الغيب حينما لا أحد يرى، ولا أحد يعرف . . هل تفضلون ما يريده الله سبحانه وتعالى وتتجنبون المعاصي، أو لا تتجنبون؟ . فاليد تكون مورد الاختبار، ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٩٧)</sup>، من يتجاوز حدود الله فله عذاب أليم .

الحادي عشر: التضحية باليد: ويكون ذلك من أجل الحق . . من أجل الثبات على الموقف الصحيح، فالإنسان يضحي بيده في ساحة القتال، والقرآن الكريم يحدثنا عن السحرة الذين جاء بهم فرعون حتى يهزموا موسى وكانوا يظنونهم ساحراً مثلهم، فألقوا بحالهم وعصيهم وتحولت إلى أفاع وثعابين، ثم ألقى موسى، وهم سحرة ويعرفون حقيقة السحر، فرأوا أن هذا ليس ثعبان ساحر، فابتلع كل ثعابينهم وأفاعيهم، وعرفوا أن هذه بيعة صادقة وانصاعوا إلى الحق وما كانوا معاندين ولم تأخذهم العزة بالإثم بل كانوا حقانيين، وآمنوا بالله (سبحانه وتعالى) وبهذه المعجزة .

انظر إلى القرآن الكريم يحدثنا في سورة الأعراف: ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾، عندما رأى السحرة البيعة ومعجزة موسى سجدوا لله (سبحانه وتعالى)، ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ

٩٥ . سورة يس: الآية ٦٥ .

٩٦ . سورة عبس: الآية ١٣ - ١٦ .

٩٧ . سورة المائدة: الآية ٩٤ .

الْعَالَمِينَ﴾، هذا مهم للإنسان؛ عندما يرى الحق يقبل به ولا يعاند، لي رأي وناقشته معك وقلت لي أنت مخطئ وسقت إليّ دليلاً ووجدت نفسي مخطئاً، إذن عليّ أن أغير رأيي فوراً وأقول أنت صاحب الحق، والبعض منا إذا التزم برأي معين أو موقف معين، فإنه حتى لو تبين له أنه خاطئ لا يملك شجاعة الاعتراف بالخطأ.

الاعتراف بالخطأ فضيلة، وكثير منا لا يستطيع أن يعترف ويبقى يبرر ويأتي بمئة دليل حتى يبرر موقفاً خاطئاً، لكي لا يقول أنا أخطأت، لكن السحرة ليسوا من هذا النوع وكانوا حقانيين و﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾، وفرعون الطاغوت الظالم عندما رأى هؤلاء ثابتين على الحق، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾، قررت من تلقاء أنفسكم، هذه العوائق أمام الالتزام بالحق والعراقل التي تمنع الإنسان من التمسك بالحق، أتغلب عليها أم هي التي تتغلب عليك؟، تغلبها أم تغلبك؟، تقهرها أم تقهرك؟ . . أنت قرر .

كنت أتابع اليوم تقريراً في وسائل الإعلام عن المجاهدين في سبيل الله، أبناء قواتنا المسلحة وهم في ساحات المعارك والقتال، وكانوا صائمين، فقلت الحمد لله رب العالمين؛ ما دمنا نملك مثل هؤلاء الشباب المخلصين في ساحة المعركة، الذين لا يتركون صيامهم بالرغم من الحر اللاهب ولا يؤخرون صلاتهم، والله سبحانه وتعالى ينزل رحمته على هكذا شعب، والله سبحانه وتعالى ينصر هكذا أمة، تتمسك بقيمتها ومبادئها، وتقف وتدافع وتذب عن أعراضها وكرامتها، هنيئاً لكم يا عراقيون .

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾، أراد أن يغير قناعاتهم، "إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة"، الظالم لا يقبل أن يأخذ الحق مأخذه في الناس . . فرعون قال إن هذه مؤامرة وخديعة، وأنتم متواطئون مع موسى، حتى تأخذوا المدينة من طاعتي إلى طاعة الله، هذه مؤامرة!، كلا يا فرعون أنت المتآمر، أنت إلى الآن تبعد الناس عن عبادة الله (سبحانه وتعالى)، وقلت لهم أنا ربكم الأعلى، انظروا كيف تقلب الحقائق؛ فالظالم يتهم المظلوم بالتآمر، أهل الباطل يتهمون أهل الحق بالتآمر، انتم أهل الباطل ومتآمرون، والناس يجب أن تتوجه نحو الله (سبحانه وتعالى)، وعندما منعتهم من ذلك فأنتم متآمرون ومتواطئون، ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُتُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، ماذا لدى الظالم غير الحديد والنار؟ . . لا يملك شيئاً آخر، فبدأ يلوح بما سيفعله، ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾، أي أقطع يدك اليمنى ورجلك اليسرى، واليد اليسرى ورجلك اليمنى، وهي تخل التوازن بشكل كامل .



## التأريخ يعيد نفسه

"لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبكم أجمعين"، بعد أن أقطع أيديكم وأرجلكم بهذه الطريقة، أعذبكم بالصلب حتى الموت، لأنكم خرجتم عن طوعي، لكنهم قالوا عندما وجبت التضحية باليد والرجل، وبالحياء، ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾، لقد وجدنا الطريق وعرّفنا الموقف الصحيح، وصار لدينا انقلاب نحو الله وتوجهه، ونحن راجعون إلى الله، اقطع أيدينا وأرجلنا وأرسل إلينا مفخخات وأحزمة ناسفة، فنحن وجدنا الطريق، هذه الأشياء لا تخيفنا بعد الآن.

عندما كنا متزلزلين حينما كنا على باطل كانت هذه الأشياء تخيفنا، لكن الآن عندما عرفنا الحق ومشينا في طريق الحق فهذه الأشياء لم تعد تخيفنا، ﴿وَمَا تَنْقُمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾، ما ذنبنا وما مؤاخذتك علينا وما جرمننا؟، لقد آمننا بالله وآيات الله عندما رأيناها، رأينا المعجزة أمام أعيننا تبين لنا الحق وآمننا بها وتمسكنا بها، فما مؤاخذتك علينا وما ذنبنا؟ . . أأنتم روافض، ما ذنبنا؟ . . أنتم متمسكون بالوطن وتريدون أن تعيشوا في بلدكم ولا تعطوه للإرهاب إلا أن نذبحكم، أنعطيك الوطن وأنت شيشاني أو تونسي أو من أي مكان؟، لماذا نسلمك العراق ومن سَمَّاك دولة إسلامية ومن أعطاك هذا الحق وبأي إسلام تتكلم؟، وهل سيضعف هذا الشعب العراقي أمامك ووراءه سبعة آلاف سنة من الحضارة؟.

تسمي نفسك دولة إسلامية، على من تضحك بهذا الكلام؟، كلا، سنتكسرون وستهزمون شر هزيمة على يد هذا الشعب بإذن الله تعالى، لنا صولات مع داعش ستستمر حتى لا يبقى لهم موطئ قدم في هذا البلد، ونحن شعب نقف صفا واحدا، شيعة وسنة، عرباً وكردًا وتركمانًا، مسلمين ومسيحيين وإيزيديين وصابئة، فهؤلاء لا يرحمون؛ فقد قتلوا أئمة مساجد في الموصل لأنهم لم يبايعوا الظالم، وهذا منطلق فرعون نفسه؛ "آمنتتم به قبل أن أذن لكم"، أين تذهبون، يجب أن تؤمنوا بي، اثنا عشر إماما في الموصل قتلوا لأنهم لم يبايعوا داعش والظالم الذي يقود هذه المجموعة الإرهابية، ونساء راهبات كبيرات السن أخذن من الكنيسة، فلا مسيحي يسلم ولا سني ولا شيعي ولا كردي ولا عربي ولا شبكي، لا أحد يسلم منهم والكل مستهدفون، فما ذنبنا؟، نحن عراقيون متمسكون بوطنا، متمسكون بعقيدتنا، متمسكون بمبادئنا، متمسكون بوحدتنا، ﴿وَمَا تَنْقُمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّئْنَا مُسْلِمِينَ﴾<sup>(٩٨)</sup>، توفنا

٩٨. سورة الأعراف: الآية ١٢٠ - ١٢٦.

يا الله مستسلمين لحكمك وقضائك، وتوفنا مسلمين يعني توفنا مستسلمين لقضائك وقدرك وحكمك، فالتمسك بالحق والتضحية باليد من أجل الحق، هذا أيضًا مورد.

ثاني عشر وثالث عشر: غسل اليد ومسح اليد: غسل اليد في الوضوء ومسح اليد في التيمم؛ في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾، وأنتم لستم على طهارة، ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾، اغسلوا أيديكم، "فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق"، في تفسيرها مع المرافق، لأن المرفق لا يسمى يداً، واليد ما دون المرفق، اغسلها مع المرفق، ولذلك نضع الماء من أعلى المرفق، وفي تمة الآية، ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا﴾، تراباً، ﴿طَيِّبًا﴾، طاهراً، تيمم بتراب طاهر، ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾، مسح اليد وغسل اليد، هذه أيضًا استخدامات للمعنى الحقيقي لليد.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾، عندما يقول توضؤوا يريد طهارتكم، الطهارة الظاهرية والباطنية، ﴿وَلِيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٩٩)</sup>، الله (سبحانه وتعالى) يتم نعمته على عباده حينما يكون الإنسان على طهارة، والطهارة بالوضوء هي طهارة ظاهرية ولكن تؤدي إلى طهارة معنوية، وتعطي بركة للإنسان، والبعض منا لا يتوضأ إلا للصلاة، والبعض الآخر دائماً يكون على طهارة وليس فقط للصلاة، أنت اليوم جئت في شهر رمضان إلى مجلس الذكر ومجلس فيه معارف أهل البيت وفيه رؤية الإسلام، وأنت تمارس عملاً عبادياً، تتوضأ وتأتي، وتخرج إلى عملك وأنت على وضوء وطهارة، وأن يكون الإنسان دائماً على طهارة هذا شيء كبير ويعطي للإنسان روحانية في العمل.

الرابع عشر: كسر الأصنام ومواجهة الانحراف باليد: كما في إبراهيم، إذ يحدثنا القرآن الكريم في سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾، من شيعته يعني من أهل دينه وأهل مذهبه وأهل عقيدته، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾، وما كان أباه بل عمه ربه فيسميه أبي لكنه عمه، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾، كانوا كفاراً، فالذي ربه كان غير موحد وكافراً، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾، يسألهم النبي إبراهيم ماذا تعبدون؟، أيها الإنسان، لقد أعطاك الله العقل والمنطق، وأنت متمسك بصخرة تعبدها، ﴿أَفَبُكَ كَذَبًا وِبَاطِلًا﴾، ﴿إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾، تتمسك بالصخرة وتترك رب العالمين وتعبد صنماً، ﴿فَرَاغَ﴾ مال خفية وخلصه ﴿إِلَى آلِهِتِهِمْ﴾ ذهب خلسة إلى آلهتهم ﴿تَقَالَ﴾ للآلهة من الأوثان

المصنوعة من الصخر، وهي قطعاً لا تفقه، ولكن ليقيم الحجة ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ جلبت معي طعاماً فلماذا لا تأكلون ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ لماذا لا يصدر منكم صوت ﴿فَرَاغٌ﴾ مال عليهم خلصة دون أن يعرف أحد ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾<sup>(١٠٠)</sup>، وكسر هذه الأوثان ليعبد الناس الله (سبحانه وتعالى) وحده، إذن اليد لكسر الأصنام ومواجهة الانحراف. هذه مجموعة الآيات الشريفة والموارد المتعددة التي تُستخدم فيها اليد استخداماً إيجابياً بمعناها الحقيقي.

### المعنى المجازي لليد

المعنى الآخر هو المعنى المجازي لليد، أي الآثار المترتبة على اليد، ومن أهم هذه الآثار هو تجاوز الحدود، فالإنسان يحرك اليد ويعمل بها، فهي إشارة إلى التعدي والتجاوز على الآخرين والإساءة إليهم، وهو ما يعبر عنه بالقرآن الكريم بالظلم. القرآن يستخدم مفردة الظلم ومفردة البغي ومفردة العدوان، في إشارة إلى المعنى المجازي لليد والاعتداء والتجاوز على الآخرين، هذا هو المعنى المجازي، يقابله العدل والقسط.

### المعنى المجازي لليد في البعد السلبي

#### الظلم والبغي والعدوان

علينا أن نقف عند معنى الظلم، وهو المعنى المجازي في بعده السلبي لليد، نقرأ في سورة البقرة: "ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت"، الآية تخاطب اليهود، إذ جاء الأمر الإلهي لليهود بمنع العمل يوم السبت، وتفرغوا للعبادة يوم السبت، وبعض هؤلاء اليهود كانوا يسكنون إلى جانب البحر وهناك سمك في البحر، فالأمر الإلهي أن الصيد ممنوع في السبت، وليختبرهم الله بمشيئته بدأ السمك يخرج ويطفح في ذلك البحر، فرأوا السمك الكثير وهم ممنوعون من الصيد، في اختبار إلهي، وكان أحدهم في باقي الأيام يذهب ويرمي الشبكة و ينتظر نصف نهار ليخرج شيء أو لا يخرج، وإذا بسطح البحر أصبح مملوءاً بالسمك، اختبار إلهي، فنزل الجميع للبحر واصطاد من السمك وكسروا الأمر الإلهي واعتدوا على حكم الله وتجاوزوا على إرادة الله.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾، وما إن رأوا السمك حتى نسوا حكم

١٠٠. سورة الصافات: الآية ٨٣ - ٩٣.

الله وتجاوزوا عليه واعتدوا وذهبوا واصطادوا، ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيِينَ﴾، الأمر الإلهي نزل في حقهم بمسخهم على شكل قردة خاسئين مطرودين ومنبوذين من رحمة الله (سبحانه وتعالى)، وشمل العذاب القوم الذين عصوا واعتدوا وتجاوزوا وظلموا من خلال الاعتداء على حكم الله، ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾، عبرة لمن اعتبر، ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾، الذين رأوهم وعاشوهم، ولو حدثت في زماننا مثل هذه الحالة لانتشرت وأصبحت عبرة لمن يتجاوز حدود الله، ﴿وَمَا خَلَقَهَا﴾، العبرة لا تخصهم وحدهم ولا تخص القوم الذين عاشوهم، بل للأقوام القادمة ولنا، واليوم عندما نقرأ القرآن الكريم ونستذكر ما جرى على أولئك يكون ذلك عبرة لنا، أن التجاوز على حدود الله والعدوان وارتكاب الآثام فيها نتائج وعذاب أليم من الله (سبحانه وتعالى).

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١٠١)</sup>، لكن المتقين يتعظون ويستفيدون من تجارب الحياة، وهم من يتعلمون من هذه العبر، والذي لا يعتبر من وقائع التاريخ يكون هو عبرة من عبر التاريخ، اقرؤوا التاريخ وتعرفوا على الأمم السابقة لكي لا تقع في ما وقعوا فيه، فالله أراد أن يجعلهم عبرة ونكالا ومسوخهم إلى قروود والعياذ بالله.

في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، العصيان بمخالفة أوامر الله ورسوله، ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾، يتعدى حدود الله ورسوله، وهذه في الميراث ولكنها تشمل غير الميراث أيضًا، ﴿يُدْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾<sup>(١٠٢)</sup>، الله يعذبه عذابًا فيه مهانة وتحقير وإذلال لهذا الإنسان، فيا أيها الإنسان يا من أراد الله (سبحانه وتعالى) لك أن تكون كريمًا وعزيزًا وأن تكون شريفًا، لم تقبل لنفسك المهانة والإذلال والعذاب الأليم، بتعدي حدود الله والتجاوز؟ . . . يحذ للإنسان أن يعمل ضمن الإطار المسموح به، مثل القانون الوضعي، فحين تكون إشارة المرور حمراء يجب أن يقف، ومن لا يحترم نفسه ويعبر فإن شرطي المرور سيغرمه، فدائما التزم بالقانون، وإذا كنا نلتزم بالقانون الوضعي فقانون السماء وما يريده الله أجدر أن نلتزم به؛ فهذا حرام لا نعمله وهذا واجب نلتزم به وهذا مستحب نحاول أن نعمله وهذا مكروه نحاول أن نتجنبه، هكذا لا يعتدي الإنسان ولا يظلم كما في هذه الآية الشريفة. وللحديث صلة تأتي تبعًا إن شاء الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٠١. سورة البقرة: الآية ٦٥ - ٦٦.

١٠٢. سورة النساء: الآية ١٤.



الأمسية السادسة بتاريخ ٢٠١٤/٧/٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطاهرين  
وصحبه المنتجبين .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

بارك الله صيامكم وقيامكم في هذا الشهر الفضيل ، شهر رمضان المبارك . .

#### الظلم والبغي والعدوان

انتهينا في الحديث عن منظومة الحقوق في الرؤية الإسلامية ، من المعنى الحقيقي  
لليد ثم انتقلنا للحديث عن المعنى المجازي ، وقلنا إن من أهم الآثار المترتبة على  
اليد في بعدها السلبي حالة الاعتداء ، حالة العدوان ، الذي يعبر عنه القرآن الكريم  
بالظلم ، وأحياناً التعبير بالبغي وأحياناً أخرى يعبر القرآن الكريم عن ذلك بالعدوان ،  
وكلها تشير إلى حقيقة واحدة هي التعدي على الحقوق وتجاوز الآخرين والتمدد على  
حقوق الآخرين وهذه من الظواهر السلبية ، ومما يؤسف له في تطبيقاتها الخارجية هذه  
الظاهرة . ظاهرة العدوان والظلم هي ظاهرة متفشية في مجتمعنا ، وكثيراً ما نرتكب هذا  
الظلم ، وأحياناً نعرف أننا نرتكب الظلم ، وأحياناً أخرى نجهل ذلك ، ولكنه ظلم يقع  
منا لذلك علينا أن نقف وقفة طويلة لمعالجة هذه الظاهرة وهذه المعضلة الإنسانية التي  
نعيشها في مجتمعاتنا .

استعرضنا عدداً من الآيات الشريفة في لقائنا السابق ونستكمل آيات أخرى في هذا  
الموضوع .

في سورة الأعراف: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾، الفاحشة هي الذنب الكبير، إن كان ذنباً في القول أو كان ذنباً في الفعل؛ الأكذوبة الكبيرة تسمى فاحشة، والإساءة البليغة في سلوك الإنسان تسمى فاحشة، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾، الفاحشة محرمة يا رسول الله، قل لعبادي إن الفاحشة يجب ألا تصدر ويجب ألا نغطي عليها ولا نتساهل فيها، ولا نبررها، وليس القول إن هذا الشاب يرتكب فاحشة لأنه شاب، وإن الوضع الاقتصادي صعب ولا يستطيع أن يتزوج وتغمض عينك، كلا، يجب أن نعالج هذه الأزمات، وهذه المشاكل الروحية والأخلاقية لها آثار وضعية في مجتمعاتنا، إذ تترك أثراً سلبياً بليغاً يوقع الناس في كثير من المشاكل، وجزء مهم من أزماتنا الأمنية والسياسية والاجتماعية والخدمية إلى غير ذلك هي وليدة للتساهل في جوانب معنوية لها آثار وضعية.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾، الفاحشة محرمة إن كانت ظاهرة وبينة للعيان، أو كانت مستورة عن العيان، فلا يختلف في سوء هذه الفاحشة وفي أنها فاحشة كونها ظاهرة أو مبطنة ومستورة، نعم، الفاحشة الظاهرة والتجاهر بالفسق والفجور هذا فيه سبب إضافي وإساءة إضافية، فالبعض لا يرتكب المعصية فقط، ولكنه يرتكبها أمام الملاء ويتجرأ على الله سبحانه وتعالى، وهذا فيه سيئة أكبر، ولكنها تبقى سيئة على كل حال.

﴿وَالْإِثْمَ﴾، ربي حرم الإثم، والشاهد هنا، ﴿وَالْبَغْيَ﴾، الله حرم البغي وهو الظلم والعدوان الذي نتحدث عنه، ﴿وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، بالطبع إذا كان حقلك لا يسمى ظلماً ولا يسمى بغياً، حينما يكون بغير وجه حق وحينما يكون اعتداء على حقوق الآخرين في ذلك الوقت يكون بغياً، ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾، الشرك بالله من الذنوب العظيمة التي يجب أن نتجنبها، ﴿مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا﴾<sup>(١٠٣)</sup>، السلطان الحجة والبرهان، ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾<sup>(١٠٤)</sup>، الله (سبحانه وتعالى) يقيم للإنسان الحجة والبرهان حتى يعرف الحق، لأن الإنسان إذا كان جاهلاً بالحق فهو معذور لجهله، لكن الله يوفر له فرص التعرف على الحق وحينذاك يكون من واجبه أن يلتزم بهذا الحق، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١٠٥)</sup>، نسبة الأمور إلى الله؛ تقول إن الله قال كذلك، فهل أنت متأكد، كيف تنسب شيئاً دون أن تتأكد؟.

١٠٣. سورة الأعراف: الآية ٣٣.

١٠٤. سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

١٠٥. سورة الأعراف: الآية ٣٣.

نحن شعب قليل منا يقول لا أعلم، وحين تسأل أحداً عن قضية يأتيك فوراً بجواب، سواء كان صحيحاً أو خطأ، فالمهم أن يقول، ولذلك بعض هذه الفضائيات تعمل برامج للتندر، إذ يطرحون سؤالاً غريباً على كثير من الناس، ولا أحد يقول لا أعلم، وكل واحد منهم يعطي جواباً، فحينما يسألون عن معنى كلمة معينة، فهذا يقول مادة غذائية أو أكلة مثلاً وذلك يقول جزيرة، ولا يقول لا أعلم.

علمونا عندما كنا ندرس الشريعة، أول ما بدؤوا يعلموننا أن "لا أدري نصف العلم"، فإذا كنت عالماً بكل شيء فلن تتعلم، فقل لا أدري حتى تسأل وتتعلم، ولكن حين ننزل إلى الشارع اليوم ونسأل ما حكم المسألة الفلانية، فقلما يقول أحد لا أعلم، ويجب أن يقول شيئاً حتى لو كان أي شيء، وهذه غير صحيحة، ومن الذنوب العظيمة أن يُنسب الإنسان إلى الله شيئاً وهو غير متأكد منه ويظهر خلاف الواقع.

### السلطة أكبر موارد الظلم

الآية الأخرى في سورة الشورى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾، العقاب الإلهي، والذي يظلم الناس ويعتدي عليهم يتحمل العقاب والإثم العظيم، ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، يبغى ويتجبر ويتجاوز ويفسد؛ السلطة آفة، والنفوذ آفة، آفة عظيمة وخطر بليغ، والذي يكون غير مسيطر على مشاعره وأعصابه والذي لم يرب نفسه تربية صحيحة ويحصل على الجاه والمكان، كأن يصبح مثلاً مديراً عاماً، فمن حينها تنقلب حياته مئة وثمانين درجة، وأمة من الناس تُبتلى ببليّة عظيمة بسبب ذلك، ولأن فلاناً أصبح مديراً أصبح يتساءل؛ لماذا لم يقف لي فلان ولم يخرج لي فلان ولم يسلم عليّ فلان، وهذا لماذا لم يتسم بوجهي؟ ولماذا لم يقيم لي احتراماً، وهذا وهذا...؟، ويرى نفسه أمام سلسلة من المشاكل ويبدأ بظلم الآخرين؛ فهذا ينتقم منه وذلك يثار لنفسه منه وهذا يشمت به... وهذه نتيجة الغرور والاعتداد بالذات بسبب الموقع والسلطان والسلطة والسطوة بأي مستوى من المستويات.

هناك من تراه أميراً أو رئيساً أو ملكاً، لكنه يسيطر على نفسه ولا تتغير أخلاقه، وهناك من تراه عندما تعطيه مسؤولية بسيطة يفعل ما يفعل.

أيام حكم الظالمين، حيث كان المؤمنون يُزجون في السجون بشكل واسع، يخبر بعض هؤلاء السجناء السياسيين أنذاك يقولون في تلك الأماكن كان السجناء يأتون ويختارون بعضنا أو أحداً، ليكون مسؤولاً عن هذا القسم، وهو سجين كما ذكرت،

ولكن هذا يُسمح له بأن يخرج من الزنانة إلى الممر ليشرف ويتابع مهامه التي كلف بها، ومع أنه سجين، لكنه ما إن يصبح مسؤولاً عن عشرة سجناء، حتى يبدأ يكتب التقارير ويشي بهذا وذاك، وهو من نفس السجناء ويأكل من نفس الطعام ويذل كما يذل السجناء، لكنه ما إن يخرج من الزنانة ليسيّر في الممر حتى يقول للسجان كذا وكذا، من أجل هذا المقدار من السلطة هو مستعد لأن يكسر رقاباً ويذهب بأناس إلى حبل المشنقة حتى لو كان افتراءً ليبقى مسؤولاً، وهذه مصيبة، ولذلك فالقرآن يقول بحقهم: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١٠٦)</sup>، لمن يستغل السلطة والنفوذ ويعتدي ويظلم الناس ويبغي في الأرض بغير الحق.

### الانحراف من مصاديق الظلم

وفي سورة القلم: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ وَدُّوا﴾، لا تطع المنحرفين الكذابين والمشركين، لا تطعمهم يا رسول الله ولا تسر معهم ولا تخدع بهم، فالبعض ظاهره لطيف وحديثه لطيف ومظهره لطيف ويجذب الناس بكلامه، ولكن لا تخدع به يا رسول الله، ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ وَدُّوا﴾، تمنوا، ﴿لَوْ تَدَهَّنُ فَيَدُهْنُونَ﴾<sup>(١٠٧)</sup>، الدهن معروف عندنا، أنه يصنع حالة من المرونة واللين، ويدهن يعني يلين في موقفه، وهو استخدام مجازي، إذ يقول البعض؛ يا رسول الله إن الأمر صعب علينا؛ هذا حرام وهذا واجب، كيف نقوم الصبح لنصلي؟، يا رسول الله كيف نتحمل الصيام في هذا الحر اللاهب؟، وكيف نستطيع أن نلتزم بهذه الأمور؛ فهذا لا تنظر إليه، وهذا لا تتكلم به، وهذا لا تسمعه؟، لقد صعبتها علينا يا رسول الله، فلو تدهن فتخفف عنا يا رسول الله، كن مرنا معنا، نريد منك موقفاً لينا، فلا تتشدد معنا في الأحكام ورخص لنا في بعضها.

يا رسول الله، لماذا تتشدد معنا؟، تساهل معنا وتعامل معنا بلين. . رسالة وعقيدة، ما لنا وهذه القصص؟، ونحن نتساهل معك أيضاً يا رسول الله، فنعطيك المال الوفير، ونزوجك أجمل بناتنا، ونجعلك أميراً علينا، لكن خلصنا من الله والسماء والعقيدة، فهذه لا نتحملها ولا نريدها، فاترك المبادئ والقيم لنعطيك أي شيء ونتساهل معك، فكان جواب رسول الله: "والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته"<sup>(١٠٨)</sup>.

١٠٦. سورة الشورى: الآية ٤٢.

١٠٧. سورة القلم: الآية ٨ - ٩.

١٠٨. بحار الأنوار ٢٥: ٨٧، ح ٣.



لقد كان رسول الله شديداً في عقيدته ومبديته، وهذه مسألة مهمة جداً، وهناك من يقبل بالمبدأ ما دام هذا المبدأ لا يتعارض مع مصالحه، وعند تعارضه يبطل المبدأ ويتمسك بالمصلحة وعنده المصلحة أهم، وحينذاك حتى هذا المبدأ لا يتمسك به إلا لحبه لمصالحه. العلامة الشهيد المطهري (قدس سره) يقول: البعض منا يدافع عن إسلام يكون هو حجة الإسلام فيه، هكذا إسلام جيد، إذا كنت أنا حجة الإسلام فيه، والناس تصلي ورائي وتقدرني، أما إذا ذهب الناس خلف المرجع الأعلى وتركوني فهذا لا يفيد، إذن أنا لا أبحث عن الإسلام بل أبحث عن مصلحتي؛ أريد دكاناً وأجمع الناس باسم الإسلام، والآخر يجمعهم باسم آخر.

"ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع" نهي شديد لرسول الله، لا تصاحب ولا تسمع من عدد من الناس، فمن هم؟.. "ولا تطع كل حلاف مهين" الذي يحلف بالكذب، وهي من الظواهر السلبيّة عند البعض، فحين تسأله هل شربت ماء يقول لا والله لم أشرب، قل كلا ولا تقل لا والله.. ويسأل هل قلت أمس القضية الفلانية، فيقول لا والله، فالله على طرف لساننا على الماء والخبز؛ أي والله لا والله.. لماذا هذا الحلف على أي شيء، وإذا كان على خلاف الحقيقة، "حلاف مهين" شخص ضعيف الرأي، ضعيف الشخصية، ويكون هكذا لأنه تنقصه الثقة بنفسه، فالحلف يعني أنك ليست لديك ثقة بنفسك وتحلف بالله لترضي الآخر، فلا يحلف بالكذب إلا الإنسان ضعيف الشخصية، منحرف في سلوكه، فيا رسول الله، "ولا تطع كل حلاف مهين هماز"، المغتاب الذي يذكر الناس بسوء في غيابهم، وهذه ليست مروءة، فإذا كنت تملك كلاماً فقله بوجهه، ولا تتكلم خلفه، أين الرجولة والمروءة والإنسانية والكرامة، لم تذكره بسوء بغيابه؟ اذهب وقلها بوجهه وقل أنا لذي ملاحظات عليك.

يا رسول الله، لا تطع الهمازين المغتابين، "مشاء بنميم"، هذا الذي يسير بعثرات الناس وفي عيوب الناس ويفشي ويفسد ويوقع الناس بعضهم ببعض، وهذا مرض نفسي غريب، إذ يذهب إلى هذا ويقول له أسمعت ما قال فلان بحقك؟.. قال كذا وكذا، ويحس بالراحة حين يوقع الناس بعضهم ببعض ليصارعوا مثل الديوك، لماذا؟.. بدلاً من أن تكون ساعياً للخير، وهذه من الموارد التي يجوز فيها الكذب، والكذب عظيم، لكنه جائز في الإصلاح بين الناس، فقد يكون عصبياً وتكلم، والشعب العراقي في أصله شعب حار المزاج، وخصوصاً هذه الأيام ومع هذا الصيف، والنهار ست عشرة ساعة، وقد يكون مدخنا، فتعال في السادسة مساءً وتناقش معه، فأول شيء سيستعمله هو العصا!، وأحياناً سيارة تسبق أخرى، وهي قضية بسيطة، فينشب الصراخ والشجار..

فقد يكون تكلم بكلام في لحظة انفعال وذكرك، فلماذا تأخذها وتركض بها للآخر الذي تكلم عنه، وتقول له قال كذا وكذا، وبعنوان أمانة النقل؟!، هذا إذا لم تضخمها وتمنحها حجماً أكبر، خذها وخففها وأوصل الفكرة بطريقة مهذبة وهادئة لتربط بين الناس، لكن المشاء مريض حينما يوقع الناس بعضهم ببعض.

يا رسول الله، "ولا تطع كل حلاف مهين. هماز مشاء بنميم. مناع للخير"، هناك من لا يخرج منه الخير أصلاً ولا يسمح لخير الآخرين أن يصل، فلا يرحم ولا يدع رحمة الله تشمل البشر، فإذا أراد أحدان يعطي بعض النقود لعائلة فقيرة، يذهب ليحفر له ويمنع المحسن ويثبته لكي لا يدفع لهذا، لماذا؟، أنت لا تملك ولا تريد أن تعطي هذا برغبتك، فلا تسد باب الخير ولا تمنع الخير عن الناس، هذا مرض أيضاً وهذه عقد وأمر اض نفسية، والمفروض حين ترى الآخر في نعمة أن تفرح له، مثلاً، تمر سيارة حديثة في الشارع، فيراها شخص ويتمنى الخير لصاحبها وأن يبارك الله له بها، ويدعو الله أن يرزقه مثلها، وهذا جيد، ولكن هناك من يرى ذلك ويتمنى أن تتعطل الفرامل بأقرب فرصة وتتحطم السيارة، وأحياناً إذا كانت متوقفة يمسك شيئاً معدنياً ويخدشها، ماذا يفيدك ذلك وماذا يزيدك؟. . يريد أن ينتقم فقط، لأن هذا يملك سيارة حديثة وهو لا يملك مثلها، وهؤلاء نقمة على الخلق والبشر، لماذا لا تفرح له؟، ادعُ الله أن يبارك له بها واطلب لنفسك، وهذا شيء معقول.

### المعتدي ظالم أئيم يجب عزله

﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾، وهنا الشاهد، ﴿مُعْتَدٍ أَئِيمٍ﴾، من يعتدي ويتجاوز يا رسول الله فلا تطعه، ولا تتقرب إليه. . أهل العدوان والظلم أبعدهم، لنبعد الظالم ونجعله في عزلة، فلا يقدره أحد ولا يحترمه أحد، لعله يرجع إلى رشده ويصحح سلوكه، ويتعامل بشكل صحيح، ﴿عُتِّلٌ﴾، انتبه يا رسول الله من الأشخاص الوقحين الذين يتصفون بالفضاضة في التعامل والغلظة والشدة في الباطن، أولئك لا تطعهم يا رسول الله ولا تسر معهم، هذه حالة الكبرياء والغرور التي تصيب البعض في تعامله مع الناس ويرى نفسه أعلى من الآخرين. . الله خلقك من تراب وخلق الناس من تراب فما فرقك عنهم؟. . هل لأنك تملك الأموال، ثم ماذا؟، هل لأنك فلان بن فلان، ثم ماذا؟، أنت بشر مثل باقي الناس، فما هذه الحالة من العنجهية؟، ﴿عُتِّلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيوُ﴾، زعيم هو هذا الذي يلصق نفسه، أي مجهول النسب، فينسب نفسه إلى قوم عاش معهم وأخذ اسمهم، ولا أحد يدري من أين هو، مجهول النسب، وحين يُسأل ما اسمك يقول فلان البغدادي،

لكن بغداد مدينة كبيرة فممن أنت؟، يقول أنا بغدادي، أنا البصري أنا النجفي . . .  
أعطني اسمك وعشيرتك ونسبك، فزنيماً يعني مجهول النسب.

﴿عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾، يعني كل هذه الصفات السيئة في جانب والعتل، أي حالة العنجهية، حالة الغلظة والشدة والوقاحة مع مجهولية النسب، في جانب، وهي أسوأ من البقية، فهو فوق تلك الصفات، ﴿عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾، يعني وفوق ذلك عتل وزنيماً، أولئك يا رسول الله لا تقترب منهم ولا تطعمهم. المفسرون يشيرون إلى أن الزنيماً قد يكون إشارة إلى الوليد بن المغيرة، وهذا من أقطاب الجاهلية، صاحب مال ووجاهة عظيمة، ولكن كان لديه عداوة غريبة مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتفنن في إيذاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو خير البشر، فهذا الزنيماً ما هو وصفه؟، ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ﴾، تتكلم معه بالدرر وآيات الله ويقول هذا كلام عجائز وقصص الأزمان السالفة، ويستهزئ وينكر ويقلل من قيمة الكلام، وهذا مرض غريب وظاهرة غريبة نعيشها في حياتنا؛ تطرح فكرة ورؤية مهمة، فيجيب بابتسامة باردة صفراء وبنبرة صوت مصطنعة وتغيير في تقاسيم الوجه، مثلاً: هذه هي؟ . . . فيحطم الفكرة كلها، والناس انتبهت للفكرة الصحيحة وتنوي الاستفادة منها، والناس تستفيد من عمل الخير وفيه تأثيرات إيجابية، ويقاطع شخصاً بقضية ويحطم الفكرة ويشكك ويستهزئ ويثبط، وهذه حالة سلبية جداً.

كان الوليد بن المغيرة الذي يستهزئ بآيات الله يعمل جاهداً على إيذاء رسول الله، وهو صاحب وجاهة، والله (سبحانه وتعالى) يمهل ولا يهمل، وأراد أن يجعله عبرة لمن اعتبر؛ فالوليد الذي يرى نفسه فوق الآخرين ويكذب رسول الله وآيات الله ويؤذي الرسول، انظر ماذا يفعل به، لنجعله عبرة لمن اعتبر، انظر العذاب الإلهي، ﴿سَنَسِيئُهُ عَلَىٰ الْخُرُطُومِ﴾<sup>(١٠٩)</sup>، الخرطوم يعني الأنف، نضع علامة على أنفه، ونشوه صورته وشكله، فمن لديه تشوه بيده يخفيه، وإذا بأذنه يلبس شيئاً ليخفيها، لكن الأنف ماذا تعمل له وكيف تخفيه؟، هذه عاهة ستبقى معه إلى آخر العمر، والشيء المملكت في هذه الآية، أن الله سبحانه وتعالى لا يقول أنف، بل "سنسمه على الخرطوم"، الخرطوم هو أنف الغيل وأنف الخنزير (أجلكم الله)، وهذه أول ضربة قوية؛ فلا يقول أنف بل يقول خرطوم بحق الوليد بن المغيرة، والأمر الآخر، أن الأنف مظهر الكبرياء والعزة، إذ يقال هذا له أنفة، من الأنف، يعني هذا عنده ثقة بنفسه كثيراً واحترام لنفسه، والعرب منذ

١٠٩. سورة القلم: الآية ١٢-١٦.

القدم عندما يريدون أن يذلوا أحدًا يقولون "مرغوا أنفه بالتراب"، لأن أعلى شيء عند الإنسان هو أنفه، والله (سبحانه وتعالى) أراد أن يلقن الوليد بن المغيرة درسًا ليكون عبرة لكل البشر، فهذا الوشم وهذا التشوه نضعه على أنفه، وهو أهم مكان في بدنه، والأنف أسماء الخرطوم، أي هذا حيوان".

عندما نقرأ ما قاله زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطبته المعروفة في الشام كما يرويها صاحب (البحار) يقول: "أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا إله إلا الله" (١١٠)، يعني هذا الأمر الإلهي (التشويه) صار بسيف علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

### ثلاثة أنواع من الظلم

إذا أردنا أن نقف عند الروايات الواردة في هذا الأمر أيضًا فهي روايات عديدة نقرأ البعض منها، ففي كتاب الكافي الشريف: عن أبي جعفر الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "الظلم ثلاثة (ثلاثة أنواع من الظلم) ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله"، الله لا يتركه، ثلاثة أنواع، "فأما الظلم الذي لا يغفره فالشرك"، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١١١)، المشرك لا يغفر له الله ذلك إلا أن يعود إلى التوحيد، «وأما الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه»، في ما بينه وبين الله، شخص يسيء لنفسه ويرتكب ذنبا من الذنوب الخاصة به في السر بينه وبين الله ثم يتوب والله يغفر له ذلك.

«وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد» (١١٢)، الظلم الذي لا يتركه الله هو حق الناس والمداينة بين العباد، فإذا أسأت لأحد أو تداينت من أحد أو اعتديت على أحد، فلا يكفي الاستغفار لله، بل يجب أن تُرضي الذي ظلمته وتقتنه، وإلا يبقى الذنب وهو حق الناس.

وفي رواية أخرى عن شيخ من النخع قال قلت لأبي جعفر الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إني لم أزل واليا منذ زمن الحجاج إلى يومي هذا فهل لي من توبة»، الذي بقي واليًا طوال هذه الفترة والظلمة قبلوا به وجعلوه واليًا، ومن كان واليًا في عهد الظلمة ما هو حاله وما هي المظالم التي ارتكبتها؟، والظلمة لا يقون من أدواتهم الكثير؛ إذ يستعملون أدواتهم كورقة وحين ينتهي دورها يرمونها إلى المزابل، ويأتون بشخص آخر، وضعيف النفس

١١٠. بحار الأنوار ٤٥ : ٣٨ .

١١١. سورة لقمان : الآية ١٣ .

١١٢. الكافي ٢ : ٣٣٠ ، ح ١ .

بيع دينه لدنيا غيره، فهناك من يبيع دينه لديناه، أما أعوان الظلمة فيبيعون دينهم لدنيا غيرهم لكي يبقى الظالم مرتاحاً وتقوى قبضته، هناك أناس يركضون ليل نهار ويظلمون الناس ليرتاح غيرهم، هكذا هم أعوان الظلمة، فالبعض منهم ملكيون أكثر من الملك، فالظالم يقول له شيئاً وهو يفعل أكثر ليظهر بعنوان أنه موال للظالم أكثر.

«قال فسكت»، انظر إلى أدب الإمام، فلم يقل له كلا، «ثم أعدت عليه»، ألح عليه، سيدي هل هناك طريق للتوبة؟ . . «فقال: لا حتى تؤدي إلى كل ذي حق حقه»<sup>(١١٣)</sup>، أنت منذ عشرين سنة تأخذ أموالاً بالحرام من الناس، وقد ظلمت الناس وأسأت إليهم، والآن تقول استغفر الله وتذهب، انظر من أخذت من ماله بالباطل فأرجعها، ومن أسأت إليه فأرضه، ومن اعتديت عليه فأقنعه ليصفح الله (سبحانه وتعالى) عنك ويتوب عليك.

وفي رواية أخرى عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «لما حضرت علي بن الحسين الوفاة ضمنى إلى صدره»، يقول الإمام الباقر إن والده زين العابدين عند الوفاة ضمه إلى صدره، «ثم قال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة»، يقول له سأوصيك بوصية أوصاني بها أبي الإمام الحسين قبل وفاته، وقبل الوفاة كان الإمام الحسين في صحراء كربلاء، وفي تلك الظروف القاهرة والصعبة أوصى الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الوصية، قال: «يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله»<sup>(١١٤)</sup>، المؤلف بيننا أننا نخشى الذي وراء حزب وجماعة يؤازرونه ولا تتورط معه، وإذا كان ممن ليس له أحد فلا نخشاه، فنظلم الضعيف ومن لا يملك أحداً وليس له ظهر يسنده، ومن له ظهر تقدره ونحترمه، والمعادلة الصحيحة هي بالعكس؛ من له ظهر لا يحتاج إلى سند؛ لأنه يلجأ إلى حزبه وتنتهي مشاكله، أما هذا الذي لا يملك أحداً فأين يتوجه؟ . . يتوجه إلى الله (سبحانه وتعالى)، والله هو الأقدر على عقوبة الظالم، وعقوبة البشر كيفما تكون تأتي وتذهب، ولكن أين تهرب من عقوبة الله؟، فالعمل بالعكس.

كلما كان الإنسان منقطعاً ليس له أحد فاخشوه أكثر؛ لأن دعاءه مسموع، فإن طبعنا البشرية أننا ما دمنا نملك الظهر وعند أي مشكلة، يلجأ أحدنا إلى أقربائه أو معارفه في الدائرة الفلانية، وآخر شيء يفكر به هو اللجوء إلى الله، ففي البدء نبحث عن أسبابنا الطبيعية، وبعد ذلك عندما تنقطع الأسباب ولا تنتج حلاً، نلجأ إلى الله، فالمریض

١١٣ . الكافي ٢ : ٣٣١ ، ح ٣ .

١١٤ . الكافي ٢ : ٣٣١ ، ح ٥ .

نركض به إلى الأطباء ونذهب به إلى الهند، وعند اليأس من أولئك نتذكر أن الشافي هو الله (سبحانه وتعالى)، فنقول يا الله شافه، هكذا نتعامل، لذلك فالوصية التي يوصي بها الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ ابنه الإمام الباقر هي: «يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله»، وللحديث صلة تأتي تباعًا. والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأمسية السابعة بتاريخ ٢٠١٤/٧/٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين  
وصحبه المنتجبين الميامين .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

#### المعنى المجازي لليد في البعد السلبي

كان حديثنا عن المعنى المجازي لليد، وقلنا إن من أهم الآثار المترتبة على اليد في بعدها السلبي، هي حالة العدوان والتجاوز على حقوق الآخرين، وهو ما يعبر عنه القرآن الكريم بالظلم أو البغي أو العدوان، هذه هي المصطلحات القرآنية للتعاطي مع مفهوم التجاوز والاعتداء على حقوق الآخرين .

وذكرنا مجموعة من الآيات الشريفة في باب الظلم وحرمة والآثار العظيمة المترتبة عليه، ونذكر في هذه الليلة روايات أخرى .

#### مصاديق الظلم وآثاره

في رواية عن أبي عبدالله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: "من أصبح لا ينوي ظلم أحد"، وهذه مهمة جدا أن يعقد الإنسان العزم والنية على ألا يظلم أحداً ولا يكون في نيته أن يعتدي على أحد، الإنسان معرض للخطأ، وقد يتجاوز أحياناً دون أن يشعر أو يقصد، فهذا محتمل، ولكن المهم ألا يكون ناوياً أو قاصداً أو تحرك بهذا الاتجاه، "من أصبح لا

ينوي ظلم أحد غفر الله له ما أذنب ذلك اليوم<sup>(١١٥)</sup>، حتى لو حصلت بعض التجاوزات غير المقصودة، فإن الله تعالى يتجاوز عنها، "ما لم يسفك دمًا أو يأكل مال يتيم حرامًا"، قتل النفس المحترمة وإراقة الدماء، هذه القابلية التي نراها عند القوى المتطرفة، فأبسط شيء عندهم أن يقتل الإنسان، وما إن يختلف معهم الإنسان حتى يصدروا عليه حكما بالإعدام بكل بساطة، إراقة الدماء ذنب عظيم، وأيضًا أكل مال اليتيم بالباطل، فاليتيم ضعيف، وأكل ماله دون استطاعته الدفاع عنه ذنب عظيم، وهناك تأكيد كبير على هذه القضية.

في رواية أخرى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة"<sup>(١١٦)</sup>، الظلم ظلمة في يوم القيامة، يعني تجسيد هذا العمل السيئ في يوم القيامة بشكل ظلمات، فيعيش الإنسان في حالة من الظلمات إذا ما ظلم في هذه الدنيا.

في رواية أخرى عن أبي عبد الله الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: "العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم"، البعض يقول أنا لم أظلم وفلان هو الذي ضرب، ولكنك ساعدته واستدرجت الضحية ووفرت مناخ الظلم، أنت ساعدت الظالم فأنت شريكه، فمن رضي بالظلم كان شريك الظالم، ومن أعان الظالم فهو ظالم، فلاحظوا المنهج الإسلامي في إيجاد الرادع والمانع والحاجز النفسي بين المجتمع والظلم والظلمة، فلا يكفي أنك لا تظلم ولا يكفي أنك لا تساعد الظلمة بل يجب ألا تقبل ولا ترضى ولا ترتاح بفعل الظلم، أن يكون لك موقف تجاه الظلم، هذا هو المطلوب.

رواية أخرى عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "من عذر ظالما بظلمه"، يعني برر للظالم ظلمه بالعصبية مثلاً، والظالم دائماً صاحب سطوة ويرى نفسه مقتدراً على الظلم فيظلم الناس، فالظالم دائماً في موقع قوة في مجال ما؛ في قومه وعشيرته، أو في دائرة أو موقع أممي معين، ومن يكن في موقع قوة يجد دائماً من يحيط به من الناس ممن يصفقون له ويتملقونه ويحسنون قبيح فعله، يظلم ولكنهم يشجعونه بالكلمات المثنية عليه، ومع أنه في قلبه غير راض عن فعل الظالم، ولكنه يبرر للظالم فعله ويغطي له لكي يعيش، وهذا خطأ، أن تكون بوقاً للظالم وتبرر له أخطاه.

١١٥. الكافي ٢: ٣٣٢، ح ٧.

١١٦. الكافي ٢: ٣٣٢، ح ١٠.



يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: "من عذر ظالماً بظلمه"، من برر لظالم ظلمه، "سلط الله عليه من يظلمه فإن دعا"، المظلوم دائماً يرفع يده للدعاء؛ إلهي أقمنا، "فإن دعا لم يُستجب له"، لأنه برر لظالم لا يستجاب دعائه حينما يكون مظلوماً، "ولم يؤجره الله على ظلامته" (١١٧)، الإنسان المظلوم يؤجره الله ويثيبه ويحسن إليه، الأجر لتحمله المظلومية، وإذا دعا لم يُستجب له، ودعاء المظلوم مستجاب، فالذي يبرر للظالم يبتليه الله بأن يكون هو فريسة للظالم، فالذي يقف مع الظالم في قضية غير حقه، يبتليه الله ويرى نفسه وقد أصبح ضحية لذلك الظالم، ويدعو فلا يُستجاب له، وحتى هذا العبء نتيجة الظلم لا أجز له، لأنه هو جرّاً الظالم على ظلمه من خلال تبريره ودفاعه وتملقه، جرّاً الظالم فتجاوز على الناس أكثر وأكثر.

وعن أبي بصير قال: "دخل رجلان على أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في مداراة"، بينهما معاملة، شريكان اختلفا بينهما، أيها الشريك ضيّب أمورك مع شريكك حتى لا يقع الاختلاف بينكما، دخلتما شراكة على محبة ولكنكما تخرجان خصمين وعدوين. دخل الرجلان على الإمام الصادق لأنهما اختلفا في معاملة: "فلما أن سمع كلامهما قال: أما إنه ما ظفر أحد بخير من ظفر بالظلم"، حينما أريد أن أحكم بينكما لا أحكم بالواقع بل أحكم بالدليل والوثيقة، وربما هناك مظلوم ليس عنده دليل، وظالم مزور له دليل، وبالتالي يرى القاضي الدليل مع الظالم ويحكم لصالحه، أما المظلوم فليس عنده دليل فيخرج محكوماً عليه، فالحكم والقضاء يرتبطان بالوثائق والأدلة وليس بالحقيقة، وربما تكون الحقيقة خلاف ذلك، لكن الإمام الصادق يستخدم الرادع الأخلاقي.

"أما إنه ما ظفر أحد بخير من ظفر بالظلم"، الآن بناءً على الوثائق سأحكم بينكما، وهذا الذي سأحكم له لو كان ظالماً وليس مظلوماً، والحق ليس له ماذا سيربح؟، سيربح معاملة!، ولكن ما فاته من الخير وما حصل عليه من الإثم في الظلم والاعتداء على الآخر أعظم بكثير من الخير الذي حصل عليه، "أما إن المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم"، بالغلبة والوثائق والتزوير والوساطات أخذت يا ظالم من الآخر، ولكن المظلوم سوف يأخذ من دينك أكثر مما أخذت من ماله.

البعض منا يقول إن المحكمة حكمت لي، ولكنك تعرف حقيقة الأمر، وأن الحق ليس معك، لكن المحكمة حكمت على ضوء أدلة توافرت، والحقيقة أنك لست صاحب حق، وحكم المحكمة لا يعني شيئاً، فلا يجوز لك أن تعتدي على الآخرين حتى لو كان

حكم المحكمة لصالحك، لأنك تعرف أنك لست محقاً في هذه القضية، "ثم قال: من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فعل به"، لا تمر بسلام، إذا حكمت المحكمة لصالحك وأخذت المال، هل انتهى كل شيء؟! لا، فالله تعالى سيتليك ويجب أن تدفع الضريبة لأنك تجاوزت على حق الناس، حتى لو لم يعرف أحد بالحقيقة، فلا تظن وأنت تفعل الشر أن الشر لا يأتيك غداً أيضاً.

"أما إنه إنما يحصد ابن آدم ما يزرعه"، حين تزرع حنطة تحصد حنطة طبعاً، فأنت تحصد ما تزرع، هذه سنة الحياة؛ كيف تتعامل فالآخرون يتعاملون معك بنفس الطريقة، "وليس يحصد أحد من المرحلو، ولا من الحلومراً"<sup>(١١٨)</sup>، ارحم تُرحم، واطلم تُظلم، هذه هي القاعدة، لو كل واحد منا قبل أن يرتكب أي مخالفة أو قضية يسأل نفسه؛ إذا عمل الآخرون في هذا الشيء فهل أقبل؟، قطعاً لا أقبل، وحينما أريد أن أقسو على أحد في موقف ما أقول لنفسي؛ لو أن الآخري يقسو عليّ هل أقبل؟، وكل قول وفعل وموقف نرتكبه أو نتخذه تجاه الآخرين فنسأل أنفسنا؛ إذا كان الآخر اتخذ هذا الموقف تجاهي هل أَرْضَى بذلك؟، وإذا لم أرض فلا أفعله، وحينما قال لهما الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا الكلام الأخلاقي اصطلاح الرجالن قبل أن يقوما ولم تصل إلى القضاء.

نحن اليوم في مضايقتنا وعشائرتنا لدى وجهائنا وأكابرنا، تختلف الناس فتذهب وتراجع المضايقتنا، فيتراضون بلا محاكم ولا قضاء، فإذا تعامل الإنسان بمرونة وكان حقانياً، فإنه يستطيع حل مشاكله مع الآخرين دون الحاجة للرجوع إلى القضاء.

### اقتصاص المظلوم من الظالم يوم القيامة

في الكافي: عن ثوير بن أبي فاختة، قال سمعت علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يحدث في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قال: "حدثني أبي الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه سمع أباه علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ يحدث الناس قال: إذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى الناس من حفرهم عزلاً بهما"، عزلاً جمع أعزل، يعني بدون سلاح، الله تعالى حينما ينشر الناس من قبورهم يوم القيامة يأتون إلى ساحة المحشر بدون سلاح، "جرداً"، ليس عندهم ملابس، "مرداً"، ليس عندهم لحى، اليوم أصبحت الشياكة عن طريق حلق اللحية تماماً، ولكن الشارب نهتم به ونتعب عليه، وإذا أردنا الحلف فإن

الحلف يكون بالشارب!، وقديما كان الاهتمام بالحلية والشارب معا، الله تعالى أراد للرجل أن تكون اللحية زينة له، ونحن اخترنا زينة أخرى على خلاف ما أراد الله تعالى. "عزلا بهما جردا مردا"، لا سلاح ولا ملابس ولا لحي لديهم، "في صعيد واحد"، الكل في ساحة المحشر متجمعون بحال واحدة، في الحج يرى الإنسان نفسه في حال واحدة مع الحجاج بالإحرامات، ويوم القيامة الحالة أسوأ، "يسوقهم النور"، نور الإيمان والشرية، "وتجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عقبة المحشر"، يصلون للسيطرة، "فيركب بعضهم بعضاً"، يوم القيامة في هذه الحالة، والجميع واقفون عند السيطرة ولا يسمحون لهم بالدخول، والناس مزدحمون وفي حالة من التدافع ويلتصق بعضهم ببعض نتيجة الازدحام، "ويزدحمون دونها"، دون هذه السيطرة، أي دون المدخل، "فيمنعون من المضي"، يوقف الناس وراء الباب، "في هذا الوضع الشديد".

"فتشتد أنفاسهم ويكثر عرقهم وتضيق بهم أمورهم ويشتد ضجيجهم وترتفع أصواتهم، قال وهو أول هول من أهوال يوم القيامة"، هذه أول بوابة يصيحون فيها الغوث ويتعرقون وتضيق أنفاسهم ويصرخون، "قال فيشرف الجبار تبارك وتعالى عليهم من فوق عرشه"، يشرف تعبير مجازي، بمعنى يتوجه الله لهؤلاء من فوق عرشه، "في ظلال من الملائكة فيأمر ملكا من الملائكة فينادي فيهم يا معشر الخلائق أنصتوا واستمعوا منادي الجبار"، أنصتوا للمنادي المخول من الله ماذا يتكلم معكم، "قال فيسمع آخرهم كما يسمع أولهم قال فتنكسر أصواتهم عند ذلك وتخشع أبصارهم وتضطرب فرائصهم وتفزع قلوبهم ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت مهطعين إلى الداعي"، يسكتون ويرفعون رؤوسهم وعيونهم يريدون أن يعرفوا ما هو البيان الذي سيصدر وما هي التعليمات وما هو مصيرهم؟.

"قال فعند ذلك يقول الكافر (هذا يوم عسر)"، الكافر هنا يشعر بالخيبة، ويقول هذا يوم عسر، في إشارة إلى الآية الشريفة الثامنة من سورة القمر، هذه أول بوابة، وماذا بعدها إذن؟، "قال ويشرف الجبار عز وجل الحكم العدل عليهم فيقول أنا الله لا إله إلا أنا الحكم العدل الذي لا يجور"، أنا الله العادل، لا أظلم أحدا، "اليوم أحكم بينكم بعدي وقسطي"، في الدنيا هناك من يظلم الآخر، وهناك ظالم يفلت من العقاب وغير ذلك، ولكن في ساحة المحشر لا يكون إلا العدل، ولا يكون إلا القسط، ولا أحد يفلت من العدل، "لا يُظلم اليوم عندي أحد، اليوم أخذ للضعيف من القوي بحقه ولصاحب المظلمة بالمظلمة بالقصاص من الحسنات والسيئات"، اليوم أنا أقتص من الحسنات

ومن السيئات، وأعطي للمظلوم، وأخذ من الظالم، "وأثيب على الهبات"، والذي يتعاون بالمرونة ويصفح عن الآخرين سوف أثيبه على ذلك.

"ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم ولأحد عنده مظلمة"، إذا لم يؤد حق صاحبه فلا يعبر من هنا، "إلا مظلمة يهبها صاحبها وأثيبه عليها"، إلا إذا عفا المظلوم عن ظالمه وأنا أثيبه على صفحه هذا، "وأخذ له بها عند الحساب"، وحينما يأتي الحساب أخذ له حقه، "فتلازموا أيها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا"، قبل أن تعبروا السيطرة، كل واحد يقف مع من ظلمه وتتفاهمون بينكم، فإذا استطعتم أن تحلوها فستعبرون السيطرة، وإذا كنتم مصرين فأنا أخذ حقكم، "وأنا شاهد عليها"، الله يقول أنا العليم بكل شيء وأعرف من الظالم، "وكفى بي شهيداً"، هنا لا تحتاج إلى وثائق أو دليل، "قال فيتعارفون ويتلازمون"، كل واحد يمسك الظالم ويأتي به للاستعلامات والمحاكمة، "فلا يبقى أحد له عند أحد مظلمة أو حق إلا لزمه بها"، كل من كان عنده قضية مع أحد يمسكه ويأتي به.

"قال فيمكثون ما شاء الله"، كل واحد قد أمسك ظالمه وهم واقفون ينتظرون فترة طويلة، "فيشتد حالهم ويكثر عرقهم ويشتد غمهم وترتفع أصواتهم بضجيج شديد فيتمنون المخلص منه بترك مظالمهم لأهلها"، تصل الحالة إلى أن يرفعوا اليد عن الظالم حتى يعبروا هذه السيطرة، "قال ويطلع الله عز وجل على جهدهم"، على مشقتهم وعنائهم، "فينادي مناد من عند الله تبارك وتعالى يسمع آخرهم كما يسمع أولهم، يا معشر الخلائق أنصتوا لداعي الله تبارك وتعالى واسمعوا، إن الله تبارك وتعالى يقول لكم أنا الوهاب"، من يتنازل عن حقه ويهبه ويرفع اليد ويتسامح فأنا أجيزه وأثيبه، "إن أحببتم أن تواهبوا فتواهبوا"، إذا أردتم أن يتنازل بعضكم عن بعض ويبرئ ذمته فافعلوا، "وإذا لم تواهبوا أخذت لكم بمظالمكم"، إذا بقيتم مصرين فسوف أخذ لكم حقكم من الظالمين.

"فيفرحون بذلك لشدة جهدهم وضيق مسلكهم وتزاحمهم، قال فيهب بعضهم مظالمهم رجاء أن يتخلصوا مما هم فيه ويبقى بعضهم فيقول يا رب مظالمنا أعظم من أن نهبها، قال فينادي مناد من تلقاء العرش أين رضوان خازن الجنان، جنان الفردوس، قال فيأمره الله عز وجل أن يطلع من الفردوس قصرًا من فضة بما فيه من الأبنية والخدم"، الله يأمر رضوان أن يري قصرًا بما فيه من الأبنية والخدم والحشم والجواري للناس لعلمهم بهذا يتنازلون بعضهم لبعض، لاحظوا عظم كرم الله تعالى وكل هذا الترغيب حتى يعفو الناس بعضهم عن بعض، "قال فيطلعه عليهم في حفاة القصر"، جوانب

القصر، "الوصائف والخدم"، يعني الجوارى والغلمان، "قال فينادي مناد من عند الله تبارك وتعالى يا معشر الخلائق ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى هذا القصر"، والناس ترفع رؤوسها وتنظر إلى هذا القصر الجميل، "قال فيرفعون رؤوسهم فكلهم يتمناه، قال فينادي مناد من عند الله تعالى يا معشر الخلائق هذا لكل من عفا عن مؤمن"، أي مؤمن ظلمكم وتعفون عنه فسنعطيكم قصرا مثل هذا، من يعفو عن إخوته المؤمنين، "قال فيعفون كلهم إلا القليل".

في الدنيا توزيع أراض على ورقة غير معروفة قضيتها بالضبط، وترى الناس تركض حتى تأخذ قطعة ورق وليس قطعة الأرض، لعلها تصبح في يوم من الأيام قطعة أرض، أما قصر كبير وجميل وخدم وحشم وجوار فشيء كبير، فيتصالحون ويعفو بعضهم عن بعض حتى يحصلوا على هذه القصور، "إلا القليل"، هؤلاء لا يقبلون بالعفو ويطالبون بالقصاص من الظالم، "فيقول الله عز وجل لا يجوز إلى جنتي اليوم ظالم"، لا أحد يعبر وهو ظالم، "ولا يجوز إلى ناري اليوم ظالم ولأحد من المسلمين عنده مظلمة حتى يأخذها منه عند الحساب"، الظالم يتمنى أن يذهب إلى النار ليتجاوز هذا الموقف، ولكن الله تعالى يقول لا تصل إلى النار حتى ترى الحساب العسير.

"أيها الخلائق استعدوا للحساب، قال ثم يخلى سبيلهم"، بعد ذلك تفتح البوابة والناس تعبر، "فيطلقون إلى العقبة يكرد بعضهم بعضاً"، ينطلقون للعبور من هذه السيطرة وينتقلون إلى العقبة الأخرى، "حتى ينتهوا إلى العرصة"، عرصة يوم القيامة، "والجبار تبارك وتعالى على العرش، قد نشرت الدواوين ونصبت الموازين وأحضر النبيون والشهداء وهم الأئمة يشهد كل إمام على أهل عالمه بأنه قد قام فيهم بأمر الله عز وجل ودعاهم إلى سبيل الله، قال فقال له رجل من قريش يا ابن رسول الله، إذا كان للرجل المؤمن عند الرجل الكافر مظلمة، أي شيء يأخذه من الكافر وهو من أهل النار"، إذا كان المظلوم مؤمناً والظالم كافراً، فماذا سيأخذ المؤمن من الكافر وهو ذاهب إلى النار؟، "فقال له علي بن الحسين يطرح عن المسلم من سيئاته بقدر ما له على الكافر"، يا كافر أعطه حقه، فيقول الكافر ليس عندي شيء وأنا ذاهب إلى النار، فيقال للمسلم خذ من سيئاتك وضعها على سيئات الكافر بقدر الإساءة، وبهذه الطريقة يخفف من سيئات المؤمن، "بقدر ما له على الكافر فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره عذابا بقدر ما للمسلم قبله من مظلمة".

المظلوم يأخذ حقه من الكافر بأن يخفف من سيئاته وترمى على ذلك الكافر، "فقال له القرشي فإذا كانت المظلمة للمسلم عند المسلم كيف تؤخذ مظلمته من المسلم، قال

يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حق المظلوم"، يؤخذ من الظالم حسنات بقدر ظلمه وتُعطى للمسلم المظلوم، "فتزاد على حسنات المظلوم، قال، فقال له القرشي، فإن لم يكن للظالم حسنات"، مسلم ولكن ليس له حسنات وهو ظالم، والمظلوم يطالب بحقه ولا يريد أن يصفح عنه، "قال إن لم يكن للظالم حسنات فإن للمظلوم سيئات، يؤخذ من سيئات المظلوم فتزاد على سيئات الظالم"<sup>(١١٩)</sup>، حتى يخفف عن المظلوم.

إذن لاحظوا الظلم وتأثيره يوم القيامة؛ فلا أحد يعبر ويخرج منها سالمًا، فإما أن يصفح المظلوم عن الظالم والله يشيبه، أو يصبر فيأخذ حقه من حسنات الظالم إن كانت لديه حسنات، إذ تؤخذ منه وتُعطى للمظلوم، وإذا لم يكن عنده حسنات يؤخذ من سيئات المظلوم لتوضع في ذمة الظالم ويخفف عن المظلوم، وللحديث صلة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه  
المنتجبين الميامين .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا في المعنى المجازي لليد، وذكرنا في المعنى المجازي أن واحداً من أهم  
تجليات هذا المعنى هو العدوان والتجاوز على حقوق الآخرين، وهو ما يعبر عنه القرآن  
الكريم بالظلم، والبغي، والعدوان، وذكرنا مجموعة من الآيات الشريفة في هذا الأمر،  
وعددًا من الروايات الواردة عن رسولنا الكريم وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

#### الركون إلى الدنيا يفضي إلى الظلم

نواصل اليوم تلاوة بعض هذه الروايات والنصوص في هذا الموضوع المهم، ففي  
كتاب (الكافي) الشريف، عن ابن أبي يعفور قال، سمعت أبا عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ  
يقول: "فيما ناجى الله عز وجل به موسى"، ينقل لنا الإمام الصادق بعض ما ورد في  
المناجاة بين الله (سبحانه وتعالى) وعبده ونبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، "يا موسى لا تركز إلى  
الدنيا ركون الظالمين"، يا موسى هذه الدنيا مغرية وجاذبة، فيها شهوات وميول، فلا  
تركن إليها ولا تظمئن لها ولا تعتمد عليها ولا تركز إليها ركون الظالمين، فالظالم  
يعتقد بأن الدنيا له وليس هناك غيره، ويعيش حياته كما لو كان مؤبداً، وليس هناك نهاية  
لحياته، فيظلم ويسيء ويعتدي ويهدم الجسور بينه وبين الناس، فالمهم نفسه وذاته،  
والمهم مصلحته وشهواته، هكذا يفكر الظالم .

"يا موسى لا تركز إلى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها أباً وأماً"، لا تركز إلى هذه الدنيا ركون من يجد في هذه الدنيا أمه وأباه وكل شيء ولا يفكر بغير الدنيا .

في دورة برلمانية سابقة حدثت مشكلة في المقعد التعويضي ، ونقل إليّ عن أحد النواب ، وهو نائب سابق ، أنه قال : لا أتنافس مع فلان فقط ، بل حتى لو كان أبي فسوف أتنافس معه ! ، ولن أقبل إلا أن يكون المقعد لي . . يا أخي كنت نائبا وأعطيت ما تستطيع عليه ، فدع غيرك يجرب ودع وجهًا جديدًا يدخل ، لكنه لا يقبل إلا بنفسه ، لا تنظر إلى الدنيا هكذا نظرة مجردة ، "ركون من اتخذها أباً وأماً ، يا موسى لو وكلتك إلى نفسك لتنظر لها ، إذن لغلّب عليك حب الدنيا وزهرتها" ، إذا تركتك أنت ونفسك فستأخذك زهرة الدنيا وجاذبيتها وتكهربك ومغناطيس الشهوات سيسحبك باتجاهه .

"يا موسى نافس في الخير أهله" ، تنافس بالخير مع الآخرين . . في شهر رمضان ، ربيع القرآن ، إذا كان أخي يقرأ جزءاً من القرآن فأنا أقرأ جزأين ، وأتنافس معه ، وهذا يتنفل بعشر ركعات ، فأنا أريد أن أتنفل بعشرين ، وهذا تصدق بكذا فأنا أتصدق أكثر ، وهذا فطر خمسة من الصائمين فأنا أريد أن أفطر عشرة . . تنافس في الخير مع أهل الخير ، "نافس في الخير أهله واستبقهم إليه" ، استبقوا الخيرات وتنافسوا على فعل الخير ، وهذا جيد خصوصاً أنه يراد منه الخير بنية خالصة لله (سبحانه وتعالى) ، وليس لكي يراه أبو فلان وغيره ، "فإن الخير كاسمه" كلما زدت منه ازددت خيراً .

"واترك من الدنيا ما بك الغنى عنه" ، خذ من الدنيا بقدر حاجتك والشيء الذي يمكن ان تستغني عنه اتركه ، واترك حالة الجشع والانكباب على الدنيا واقنع بما هو مطلوب ، بقدر الحاجة . البعض منا عنده حالة الجشع في كل شيء ، وإذا كنا صائمين وجلسنا على الإفطار ، ونحن بشر لدينا قدرة استيعابية محددة ، يريد السفره وما عليها ويجور على نفسه ليأكل أكثر ، وتراه من الليل إلى الصباح يريد أن يأكل كل شيء ، فلأنه يصوم يتجاوز على نفسه وطاقته ويؤذي نفسه ، من هذا الطعام البسيط إلى تعامله الآخر في الدنيا ، ففي كل شيء يريد أن يأخذ منها أكثر من حاجته ، وهذه عادة غير صحية ولا تساعد على بناء الذات ، "ولا تنظر عينك إلى كل مفتون بها وموكل إلى نفسه" ، لا تبق عينك تلاحق كل شيء ، عندما تنظر ويعجبك شيء تشتهي ، وعندما تشتهي تريد أن تحصل عليه وليس لديك ثمنه ، فتبدأ بالاستدانة وقد تتساهل بالمال الحرام إلى آخره ، لا عين رأت ولا قلب اشتهى ، انظر بمقدار حاجتك ولا تتفحص الأشياء التي لا تحصل عليها .



جزء من المشاكل العائلية، أن الإنسان يترصد الآخرين، والمرأة التي تخرج إلى الشارع أو في دائرة أو في مكان ما، وهي مهينة نفسها ومرتبة على أن تكون في موقع وفي ظرف لائق لتستقبل الآخرين وتتعامل معهم، ولكنها عندما ترجع إلى الوضع الطبيعي الإنساني إلى بيتها فإن شكلها يفزع أحيانا، فهي تتزين في العمل فقط ولكن عندما ترجع إلى البيت متعبة انظر إلى حالها، وهذه الممثلة تظهر بأفضل حال، ولكن ليست هذه حياتها الحقيقية بل هو تمثيل وقد وضعوا لها التزيينات لتظهر هكذا، ولكنها في حياتها امرأة عادية حالها كحال أي من نساتنا، الإنسان حينما يفتح عينه على أعراض الناس يبدأ شيئا فشيئا يرى من البيت لا يشفي غليله ولا ينافس هذه الصور التي يراها والناس التي يراها، ويتجاهل أنه يرى مقطعا من حياة هؤلاء الناس ولا يرى حياتهم كلها، فإن حياتهم لا يختلفون فيها عن غيرهم، وعندما تبقى تترصد وتنظر، ستطلب احتياجات جديدة لا تستطيع تلبيتها إلا بالحرام وبوسائل غير مشروعة وهكذا.

"واعلم أن كل فتنة بدوها حب الدنيا"، حب الدنيا أساس كل خطيئة، وإذا كهربتك الدنيا ستبدأ بمحاولة الحصول على الأشياء، وتبدأ قائمة طويلة لها أول وليس لها آخر، "ولا تغبط أحدا بكثرة المال"، لا تحسد أحدا بكثرة ماله باعتباره بصرف على بيته ولديه سيارة وأموال، "فإن مع كثرة المال تكثر الذنوب"، من جهة الواجبات والحقوق، فمع كل دينار إضافي يصبح عليك حق إضافي يجب أن تلتزم به، "في حلاله حساب وفي حرامه عقاب"، وقلما تجد ممن يكون عنده الأموال الكثيرة من يضبط أموره بشكل صحيح ويعطي التزاماته الصحيحة.

"ولا تغبطن أحدا برضا الناس عنه"، إذا رأيت أحدا محبوبا ونجما، والناس تركض وراءه لتحصل على توقيع منه، "حتى تعلم أن الله راض عنه"، ليس المهم أن ترضى الناس عنه، والشباب يقصون شعرهم مثل عرف الديك كاللاعب الفلاني والممثل الفلاني؛ لأنه يقص شعره هكذا، هل هو نبي لتقلده في كل تفاصيله، وهل هذا مظهر حسن؟، لقد شبهت نفسك بالديك وأنت الإنسان، "ولقد كرنا بني آدم"، وأنت تركت إنسانيتك وركضت وراء الديك، فليس المهم أن تكون الناس راضية عنه وعنده سمعه طيبة، بل المهم هل الله راض عنه؟، فإذا كان الله راضيا عنه والناس راضية عنه فالحمد لله وهنيئا له، لكن رضا الناس إذا كان الله غير راض لا يعني شيئا.

"ولا تغبطن مخلوقا بطاعة الناس له"، إذا رأيت الناس تركض وراءه وتقول له نعم سيدي وتسمع له وتطيعه فلا تهتم به، "فإن طاعة الناس له واتباعهم إياه على غير الحق

هالك له ولمن اتبعه" (١٢٠)، الطاعة في سبيل الله وفي طريق الله وفي الضوابط الصحيحة، هذه الطاعة جيدة، ولكن طاعة أحد بالباطل قد تقوده إلى الغرور فيصدر تعليمات ظالمة إضافية والناس تساعدته وتعينه على ظلمه، فالمأمور الذي يطيعه وقع في الباطل وفي المحذور، ومن يصدر الأوامر والتعليمات الباطلة أيضًا وقع في المحذور، والمهم هو رضا الله وطاعة الله، وهذا هو الأساس؛ فمن أصلح أموره مع الله فأغبطه على ذلك، هذا هو المعيار الأساسي الذي يجب أن ينظر إليه.

### ترك الظلم شرط الأخوة الإيمانية

في رواية أخرى أيضًا في سياق الظلم، عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: "المسلم أخو المسلم"، المسلمون إخوة، "لا يظلمه"، استحقاقات الأخوة ألا يظلمه، وأول شيء؛ يا مسلم لا تظلم أخاك المسلم، ويا إنسان لا تظلم شريكك في البشرية والإنسانية، "ولا يغشه"، لا تخدعه وتغشه، الصدق والوضوح في التعامل بين المسلمين شيء مهم، هذه ليست شطارة إذا غلبته بل أنت ستكون الخاسر؛ فقد أخذت من ماله مبلغًا لكنه أخذ من دينك بمقداره.

أمس قرأنا رواية أنه يؤخذ من حسنات الظالم وتُعطى للمظلوم، وإذا لم يكن عنده حسنات فسوف يرفعون من سيئات المظلوم ويضعونها على الظالم، فإذا أخذت من ماله فإنك ستعطيه من دينك ورأس مالك الحقيقي، إذن أنت الخاسر وليس هو، "ولا يخذله"، النصر والعون والنخوة، فننتفض إذا كان هناك شخص لديه مشكلة، ومنتفض إذا تعرض البلد إلى مشكله، ومنتفض بوجوه الإرهابيين الذين يريدون سلب الحياة منا، وندافع عن وجودنا ووطننا وحریتنا وكرامتنا، وندافع عن أعراضنا وأموالنا، ضد الإرهاب الذي يريد أن يسرق الوطن، وهل يُعقل أن يسرق الوطن ومحافظاتنا يُعتدى عليها وأعراضنا تُنتهك وحرائرنا تُغتصب تحت عناوين جهاد النكاح وأمثالها ونحن جالسون، كلا، سنهب ونستنفر كل طاقاتنا وشعبنا، وهذا ما فعله العراقيون، وجزاهم الله خير الجزاء ولبوا نداء المرجعية ووقفوا ودافعوا عن حريمهم ومقدساتهم وأعراضهم، وهذا ما يجب أن يكون ويجب أن نتحمل مسؤولياتنا.

"ولا يخذله ولا يغتابه"، لا تذكر أخاك بسوء في غيبته، وإذا كانت لديك ملاحظة

فقل له ، أما أن تذكره بسوء وهو غائب ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه فهذه ليست رجولة ولا مروءة ، "ولا يخونهُ" ، المسلم إذا كان وراءه مسلم يسند ظهره لا يخشى طعنة من الخلف ، فصفة الغدر والخيانة ليست من شيمنا ، "ولا يحرمه"<sup>(١٢١)</sup> ، اطلب له ما تطلبه لنفسك وتمنَّ له ما تتمنى لنفسك لتتعزز الإخوة ويشيع المعروف وينتشر الإحسان بين الناس ، وهذه قضية مهمة جداً علينا أن نلتزم بها .

في رواية أخرى ، عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال ، قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : "شيعتنا" ، التشيع يعني الانتماء لرسول الله ولأهل بيته ، "شيعتنا المتبازلون في ولايتنا" ، يتبازلون في ولاية أهل البيت ويتمسكون بهذه الولاية ويلتزمون بها ويعملون على أساسها ، "المتحابون في مودتنا" ، أحدهم يحب الآخر حباً لأهل البيت ، وهذه محبة إيمانية ، "إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا" ، أقرب الناس لإبراهيم ليس ابنه بل أتباعه ، فالعلاقة بين المؤمنين مقدمة على العلاقة النسبية بين الأخ وأخيه ، "المتزاورون في إحياء أمرنا" ، الذين يتواصلون بعضهم مع بعض وليس قصصاً وكلاماً و(محييس) ، بل يتزاورون في إحياء أمرنا ويتواصلون حتى يزدادوا علماً ومعرفةً ويحيوا ذكر أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

"الذين إن غضبوا" ، هنا الشاهد "لم يظلموا" ، وهذه حالة مهمة ، البعض منا يحب ويتكلم ويكره ويتكلم ؛ عندما يحب شخصاً يوصله إلى السماء ، وحين تقول له إنه ليس نبياً يقول إنك لا تعرفه ، ويربر حتى الأخطاء الواضحة له ، وعندما يتشاجر معه يبدأ يراقب حتى صلاته ويعيها ويتكلم حتى في الحسنة والعبادة والذكر ، فإذا غضب الإنسان عليه أن يراقب نفسه كيف يتعامل في لحظة الغضب ، "إن غضبوا لم يظلموا وإن رضوا لم يسرفوا" ، في لحظة الغضب لا يعتدون ولا يسيئون ، وهذا شيء مهم جداً ، فحقيقة الإنسان تظهر في حالة غضبه ، هل يمسك أعصابه ؛ "والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين"<sup>(١٢٢)</sup> ، فعند الرضا لا يسرفون ، وعند الغضب لا يعتدون ولا يظلمون ، هذه سمة شيعتنا .

"بركة على من جاوروا" ، هناك من يكون له جار يضطره إلى بيع الدار بنصف السعر ليهرب منه ، وهناك من يكون له جار ينزل الرحمة على المنطقة بسلوكه وتواصله

١٢١ . الكافي ٢ : ١٦٧ ، ح ١١ .

١٢٢ . سورة آل عمران : الآية ١٤٣

واحترامه ، وعينه قصيرة وأولاده تربوا بشكل صحيح وتشيع المحبة في المنطقة حينما يدخل هذا الإنسان ، فشيئتنا من هذا النوع ، "بركة على من جاوروا سلم لمن خالطوا" (١٢٣) ، الذين يخالطونهم ويجلسون معهم لا يخافون منهم ويكتمون أسرار الناس ولا يفضحونهم ، لا يأتي أحدهم ليصطاد معلومة ويركض بها إلى الآخر ويضعف موقفك ويسيء إليك بتعامل من هذا النوع .

في رواية أخرى ، عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : "من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم" ، عند تعامله مع الناس يتعامل بلا ظلم ولا تعدُّ وعندما يكلمهم ويحدثهم لا كذب ، "ووعدهم فلم يخلفهم" ، وهو عند كلمته ، وإذا قال فعل وإذا وعد وفى ، وإذا كان الشخص بهذه الصفات بالتعامل ؛ لا يظلم ولا يكذب في حديثه وفي بوعده ولا يخلف ، "كان ممن حرمت غيبته" ، غيبته حرام ، "وكملت مروءته" ، يعني كامل المروءة ، "وظهر عدله ووجبت أخوته" (١٢٤) ، ابحثوا عن مثل هؤلاء ، وهم كالكبيريت الأحمر ، وإذا وجدت واحدا منهم فتمسك به فلن تجد أفضل منه وهذا هو الأخ الصادق معك ولا يتجاوز الحدود ولا يخون ولا يغدر وفي بالعهود والالتزامات والمواثيق ، هذا تمسك به فقد وجبت أخوته .

في رواية أخرى ، عن الزهري قال : "سألت علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عن العصبية" ، حالة العصبية والتصلب والجمود على شيء ما والعناد ، وأن تأخذ العصبية والعزة بالإثم ، "فقال : العصبية التي يَأْتُم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين" ، لأنهم من جماعته وعشيرته وحزبه وجماعته يرى شرارهم خيرا من خيار الآخرين ويفضلهم عليهم ، هذه هي العصبية . . في جماعتك ، إن شاء الله ، هناك طيبون كثر وقد يكون هناك سيئون ، ولا نغطي لمسيء ولا يشرفنا أن يكون فينا شخص يعتدي على الآخرين ، وإذا كان منا مسيء نؤدبه ونصلحه ولا ندافع عنه ونبرر أخطاءه أبداً .

إذا وصل الإنسان إلى أن يبرر أخطاء الآخرين ويقدم المسيء من جماعته على المحسن من الآخرين فهذه هي العصبية ، "وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه" ، فالإنسان يعتز بعشيرته وقومه ومدينته ووطنه وهذه ليست عصبية ، والشاهد ، "ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم" (١٢٥) ، يقول أنا مع جماعتي ظالمين أو مظلومين ، وهذا خطأ ، فإذا كانوا ظالمين فيجب أن تنصح لهم وتصبح خصماً ولا تقبل منهم الظلم ، وإذا

١٢٣ . الكافي ٢ : ٢٣٧ ، ح ٢٤ .

١٢٤ . الكافي ٢ : ٢٣٩ ، ح ٢٨ .

١٢٥ . الكافي ٢ : ٣٠٨ ، ح ٧ .

كانوا مظلومين تنصرهم وتقف معهم، وهذه عصبية أن يكون الإنسان مع قومه حتى بالباطل والعياذ بالله، وهذا شيء غير صحيح ويجب ألا يكون.

### الآثار الوضعية للظلم والتعدي

وفي رواية أخرى، عن أبي حمزة عن أبي جعفر الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "وجدنا في كتاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، يخبرنا الإمام الباقر عن كتاب رسول الله، "إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة"، إذا تم تجاوز الحدود الشرعية في العلاقات مع الآخرين وشاع التساهل في هذه الأمور والاعتداء على الأعراض، فالآثر الوضعي هو أن يكثر موت الفجأة، يموت الشباب بالسكتة القلبية، وهذه لم تكن موجودة لدى الشباب وهي ظاهرة غريبة، هذا الأثر لعدم الدقة في التعامل مع الأعراض، "وإذا طُفّف المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص"، إذا شاع التساهل بالميزان وأخذ أموال الناس فالنتائج أن يحل القحط وتشح النعمة وتقل المواد الغذائية وترتفع الأسعار، معناه ليس هناك دقة في البيع والشراء وتعاملاتنا.

نحن نشتكى أحيانا من بعض الآثار، ولكن نحن السبب فيها، وأنت إذا لم تلبس في الشتاء ملابس كافية فستمرض، وليس من حَقِّك أن تشتكى من الإنفلونزا فأنت عرضت نفسك للبرد، وعرضت نفسك لبيئة غير صحية وملوثة فأصبحت بأعراض معينة، وفي الحالة المعنوية كذلك هناك أمور إذا عرضنا أنفسنا إليها يجب أن نتحمل تبعاتها وليس من حَقِّنا أن نشتكى. "وإذا منعوا الزكاة"، بلدنا فيه زرع وفيه مواش، ولكن كم منا يدفع الزكاة، "وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها"، يأتي دوباس ويطيح بالزرع ويأتي جفاف ويطيح بالزرع وتأتي مشاكل وتضيق جهد الإنسان والأرض تمنع بركاتها من الزرع والثمار والمعادن كلها.

يقال إن البركة الموجودة قديما عجيبة، والخير منتشر والزراعة مريحة، لكن زراعنا الآن أصبحت غير مريحة والمشكلة بنا؛ فنحن لا ندفع الزكاة والله أخذ البركة، فدفع الزكاة يعود بالبركة، "وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان"، عندما يكون جور في الأحكام وهناك أحكام تعسفية وتعامل تعسفي وقرارات تعسفية بحق الناس، يصبح هناك تعاون على الظلم والعدوان، فعندما ترى بعض الأوساط تتفاعل وتعاون على الظلم، فهذه نتيجة التعسف والإساءة للمواطنين.

"وإذا نقضوا العهد سلط الله عليهم عدوهم"، نقض العهد والميثاق نتيجته أن يسלט

الله الأعداء علينا، فيجب الوفاء والالتزام بالعهود والمواثيق وأن تكون الكلمة مسؤولة، فإذا باع التزم حتى لو جاء خبر أن البضاعة ارتفع سعرها إلى الضعف، لكنه عند كلمته لأنه باع وقال لقد بعت وانتهى الأمر، وهذه مهمة ومؤثرة، "وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار"<sup>(١٢٦)</sup>، عندما تقطع الرحم ولا تتواصل مع رحمك فالنتيجة أن الأشرار يتسلطون، فصلة الرحم تجعل المناخ آمناً، ومن يتسلط عليك من الناس المنصفين، وصله الرحم مهمة أيها الأحبة، أحياناً يرى الإنسان في مجتمعاتنا الإيمانية أحياناً لا يكلم أخاه عشر سنوات، لماذا؟.. لأن زوجته قالت كذا لزوجتي قبل عشر سنوات، ثم ماذا؟.. عشر سنوات لا تتكلم مع أخيك مقابل قضية في الدنيا لا تساوي شيئاً؟.

هذا شهر رمضان، شهر بركة ومغفرة ورحمة، ارحم تُرحم، وإذا أردت أن يرحمك الله فتساهل حتى لو اعتدي عليك، فالتكبر على المتكبر عبادة، ولكن ليس على المؤمن، فهذا أخوك أو ابن عمك أو ابن خالتك فاذهب إليه وبادر، وقل له هذا شهر رمضان وأريد أن أزورك حتى لو كان مقاطعاً لك، وجبل الجليد والعقد النفسية والحساسيات تنهار بزيارة وابتسامة وكلمة وحسنة ومعروف وهدية وخطوة، ولن تخسر شيئاً وتكبر ولا تصغر، ولا تظن أنك إذا ذهبت ستصغر، كلا، بل ستكبر؛ فأنت لم تذهب إليه محتاجاً بل ذهبت انتصاراً لمبدئيتك وترسيخاً لقيمك، وطلباً للرحمة من ربك، إذن أنت لم تخسر بل ربحت، فصلوا أرحامكم في شهر رمضان.

"وإذا لم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي سلط الله عليهم شرارهم"، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع الأخيار عندما لا تحدث، حينذاك يسلط الله عليهم شرارهم، "فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم"، ثم يدعو المؤمنون والصالحون منهم فلا يستجاب الدعاء، لأن الموقف تجاوز حدوده.

### إغراءات السلطة والظلم

في رواية أخرى، عن داود بن زربي قال أخبرني مولى لعلي بن الحسين، أي أحد العاملين معه، قال: "كنت بالكوفة فقدم أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ الحيرة"، جاء إلى الحيرة، "فأتيته فقلت له: جعلت فداك لو كلمت داود بن علي أو بعض هؤلاء (كان والي الكوفة) فأدخل في بعض هذه الولايات"، إمارة الكوفة فيها ولايات، الحيرة وغيرها، فسأل

١٢٦. الكافي ٢: ٣٧٤، ح ٢.

الرجل أبا عبد الله أن يتوسط له عند والي الكوفة، ليجعله واليا على إحدى هذه المناطق، أي يصبح مسؤولاً أو محافظاً بحسب تعبيراتنا اليوم، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: "ما كنت لأفعل"، يعني لا أطلب لك الموقع، "فقال: فانصرفت إلى منزلي"، لأفكر لماذا لم يقبل الإمام أن يساعدني بهذا ويرشحي ويدعمني حتى أصبح محافظاً ومسؤولاً في المنطقة الفلانية، "فتفكرت فقلت: ما أحسبه منعني إلا مخافة أن أظلم أو أجور"، بررت له ذلك، "والله لآتينه"، فإذا كانت هذه هي المشكلة أضمن له ألا اظلم الناس، "لآتينه ولأعطينه الطلاق والعتاق والإيمان المغلظة ألا أظلم أحداً ولا أجور ولأعدلن"، إذا كان الإمام قد خشي أن أظلم، أذهب إليه وأربط طلاق زوجتي أو زوجاتي بالظلم، وما أملكه من العبيد حينئذ يُعتقون، وأقدم له أيما مغلظة أن أكون عادلاً ولا أظلم كي يرشحي ويتكلم مع الوالي لأكون على هذا المكان أو ذاك.

"قال: فأتيته فقلت: جُعلت فداك إني فكرت في إباءك عليّ"، ذهبت وفكرت لماذا لم تقبل ترشيحي، "فظننت أنك إنما منعتني وكرهت ذلك مخافة أن أجور أو أظلم"، فأريت بالتحليل أنك تحبني وأنت خفت عليّ أن أقع في الظلم، وأريد أن أطمئنك يا سيدي، "وإن كل امرأة لي طالق وكل مملوك لي حر عليّ وإن ظلمت أحداً أو جرت عليه وإن لم أعدل"، وأنا ضامن وأحلف لك سيدي أنني سأكون عادلاً ولا أظلم أحداً، "قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: كيف قلت؟"، ماذا قلت أعدها علي، "قال: فأعدت عليه الإيمان"، حلفت له مرة ثانية، "فرفع رأسه إلى السماء فقال: تناول السماء أيسر عليك من ذلك" (١٢٧)، ماذا تقول، هل جربت ورأيت الحكم، هل جربت المسؤولية والإغراءات؟.. هذه السماء إمساكها أيسر، وهذا شيء مستحيل أن تصل يدك إلى السماء، أيسر عليك مما تقول، أن تصير مسؤولاً وتحكم بالعدل والإنصاف ولا تجور ولا تعتدي ولا تضعف نفسك ولا تكون هناك زائدة ولا ناقصة، فهذا أمر لا يناله إلا ذو حظ عظيم.

يا مسؤول يا من تتصدى لمواقع معينة وتكون مقدرات الناس بين يديك، اعلم أن القضية صعبة، وأن المسؤولية ثقيلة وأن المهمة عسيرة، يا من يهرول ليأخذ هذا الموقع أو ذاك، أنظر هل أنت مسيطر على نفسك وأعصابك، وقادر على أن تدير الأمور بشكل صحيح، وتتحمل مسؤولية الخدمة العامة وتكون مسؤولاً عن ملايين من الناس؟.. إن أي خلل في إدارتك سيسبب الأذى للناس وإزاء كل مواطن يشعر بالأذى عليك عقوبة. لو علم الناس ما يترتب على مواقع المسؤولية لتخلى كثير منهم عنها، وسيتوسلون

بهم ولا يقبلون، ولكن كثيراً من هؤلاء لا يعرفون، وينظرون إلى إيجابيات الموضوع، فإن فيها خدمات وامتيازات، وفيها إمكانيات وحمايات وسيارات ومكاتب فارهة واحترامات ووجاهات وفيها الكثير، وهذه واحدة من مشاكلنا في العراق؛ فالمسؤول لديه من الامتيازات الشيء الكثير، وتتابع رئيس الوزراء في الدولة الفلانية فنراه يأتي إلى محل عمله راكبا دراجة، ورئيس الجمهورية في الدولة الفلانية باب قصره مفتوح ويأتي الناس ليروه في مكتبه، وراتبه معروف وإمكاناته محدودة معروفة، وترك الموقع سهل عليه، أما نحن فإذا صار أحدنا وزيراً فسيصبح إمبراطوراً، كم لديه من المصفحات والسيارات والخدم والحشم والأماكن، وآلاف الموظفين كلهم تحت إمرته، وكأنهم عبيد بين يديه، فإذا قرر الوزير أن يغير مسار الوزارة، داروا (١٨٠) درجة وكل المشاريع تعطلت وأصبحت شكلاً آخر، ويأتي الوزير الجديد ويقرر أن يعيد الأمور إلى السابق ولا نعرف من الموضوع شيئاً، ولا نعرف الدولة أين تتجه.

امتيازات المسؤول في العراق شيء مخيف ومرعب، فالذي يصعد ويحصل على الامتيازات لا يستطيع أن يتخلى عنها بسهولة ويصبح هناك صراع على المواقع والفرص، وليت أحدنا يمتلك الشجاعة ويقول أريدها وأحبها وأريد الدنيا، بل كل واحد منا يتكلم بالمسؤولية الشرعية، وأن تكليفي الشرعي أن أكون وزيراً بالمكان الفلاني!.. من أنت؟، ومن جعل التكليف الشرعي بيدك لتكون الوزير وتشخص أنه لا يوجد وزير في العراق يصلح لهذه الوزارة، وهذه الدولة ذات الثلاثين مليون نسمة لا يوجد فيها أحد إلا أنت، من أنت، عبقرى؟!، في أي جامعة من جامعات العالم درست هذا الاختصاص؟.. يا من يقول تكليفي الشرعي، أنت لست مختصاً بهذه الوزارة، فهذه الوزارة باختصاص وأنت باختصاص بعيد تماماً، وإذا كنت تملك اختصاصاً لا علاقة له بالوزارة، فكيف أصبح التكليف الشرعي أن تكون فيها؟.

يجب ألا نوظف الدين حتى نغطي رغباتنا ونزواتنا الشخصية، وكل واحد يتكلم بالتكليف ويتمسك بالمكان الذي هو فيه، وهذا غير صحيح ونستجير بالله من ذلك، ونسأل الله أن يعيننا على أنفسنا.. اللهم أعنا على أنفسنا بما تعين به الصالحين على أنفسهم، وللحديث صلة تأتي تباعاً.. والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين  
وصحبه المنتجبين الميامين .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

المعنى المجازي لبيد.. المصاديق السلبية

أولاً : الظلم في الأسواق

لاحظوا في كتاب (تهذيب الأحكام) للشيخ الطوسي (قدس): عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "إذا دخلت سوقك فقل اللهم إني أسألك من خيرها وخير أهلها وأعوذ بك من شرها وشر أهلها"، حينما يكون التجار جشعين لا يكتفون بالأرباح المعقولة، ويتحول السوق إلى محطة ابتزاز للمواطن، فقل "اللهم إني أعوذ بك أن أظلم"، قد يكون بائعاً أو مشترياً في هذا السوق، فالبائع قد يكون ظالماً وقد يكون المشتري متعسفاً "اللهم إني أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أبغى أو يُبغى عليّ"، الإنسان لماذا يكون باغياً، ولماذا يقبل أن يبغى عليه؟، الأمر أن غير محبذين، "أو أعتدي أو يُعتدي عليّ"، اللهم إني أعوذ بك من شر إبليس وجنوده وشر فسقة العرب والعجم وحسبي الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم"<sup>(١٢٨)</sup>، يجب ألا يكون الإنسان ظالماً ولا مظلوماً، ولا باغياً ولا مبعغياً عليه ولا معتدياً ولا معتدى عليه، هذه هي الثقافة في التعاطي مع شؤون الحياة.

١٢٨ . تهذيب الأحكام ٧ : ٩ .

## ثانياً : الظلم دليل ضعف ونقص

في كتاب (من لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق ، يذكر هناك الأدعية الواردة في ركعة الوتر من صلاة الليل ، وجاء فيها هذا الدعاء : "اللهم إن رفعتني فمن ذا الذي يضعني" ، الله يرفع من يشاء ويضع من يشاء وليس أمراً آخر ، "وإن وضعنتي فمن ذا الذي يرفعني" ، وإذا أنت قدرت لي أن أكون وضيعاً فمن يقدر علي أن يرفعني؟ . . . فالمال والوجاهات الشكلية التي تأتي بأمر ديواني بشكل سريع وتنتهي بأمر ديواني بشكل سريع أيضاً لا تأتي برفعة حقيقية ، فاليوم فلان وزير أو مدير والناس تحترمه وفي اليوم الثاني نزل ولا أحد يرد السلام عليه! ، لأنهم يقومون للمقام وليس لشخصه ، ولكن هذا الذي قيمته في وجوده وورعه وخدمته للناس ، هذا سواء كان مسؤولاً أو خرج من المسؤولية لا تختلف القضية ، لأنهم يحترمونه لشخصه وليس لموقعه .

"وإن أهلكنتي" ، أردت هلاكي ، "فمن ذا الذي يحول بينك وبينني" ، إذا قدرت أن أتعرض إلى مكروه فمن يقدر علي أن يدفع عني المكروه ، "أو يتعرض في شيء من أمري" ، من يستطيع أن يعترض يا إلهي على حكمك وقرارك وقضائك وقدرك ، والقضاء والقدر من الله تعالى ، "وقد علمت أن ليس في حكمك ظلم" ، وهنا الشاهد؛ يا إلهي أنت لا تحكم بظلم وإذا حكمت عليّ فأنا استحق هذا الحكم الصعب مهما كان ، "ولا في نعمتك عجلة" ، حتى حينما تغضب علي أحد من عبادك لا تستعجل . الله يمهّل ولا يهمل ، ويعطي للظالم فرصة لكن الظالم إذا أساء استخدام هذا الأمر وتمادى ، فسيأتي الوقت الذي يرد الله الصاع صاعين ويعاقبه .

"إنما يعجل من يخاف الفوت" ، إنما يستعجل من يخاف ضياع الفرصة ، ونحن بيدك وتحت قبضتك ، "وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف" ، تحليل نفسي مهم يقدمه الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فالقوي لا يظلم ، وإنما يظلم الإنسان ويسيء ويبطش حينما يشعر بالضعف ، والغني الحقيقي لا يحتاج إلى أن يمد يده على أموال الناس ، وقد يكون هناك الإنسان فقير في أمواله ولكنه غني في روحه ولا يمد يده إلى الناس ، وهو أكبر من أن تدفعه نفسه للتطاول على أموال الناس ، وهناك من عنده (٩٩) نعجة وعينه على نعجة أخيه كما يحدثنا القرآن الكريم ، فالقضية ليست لها علاقة بحجم الإمكانيات ، بل بغنى النفس وفقرها ، فهناك ملياردير بخيل عينه على الفلوس ، وهو في عناء وعائلته في عناء ، وهناك فقير ولكنه موسع على أهله ضمن ما قدر الله .

"إنما يحتاج إلى الظلم الضعيف" ، اليوم قرأت في الصحيفة أن رجلاً طاعناً في السن

مات في كوخ من الطين ، وبعد ذلك تبين أن عنده مليون دولار ، لماذا تسكن في كوخ ولمن أبقيت المليون؟! ، البخيل يزيل الله منه البركة ، ولكن الكريم يعطي والله يعوض . الله تعالى أخذ على نفسه أن يوفر مؤونة العباد ، هناك من مؤونته نفسه والله يعطيه ذلك ، وهناك من مؤونته أهله وأقرباؤه وأصدقاؤه ويقضي حوائج الناس ، فتكون مؤونته عشرة أضعاف ، والله تعالى يعطيه بقدر مؤونته . هناك فرق بين الإسراف والكرم ورعاية الفقراء والناس ، فالإسراف ممنوع ، ولكن عليك رعاية الناس وأن تهتم بأولي القربى والجيران وتذكر الفقراء وتقضي حوائجهم ، وكلما اهتمت أكثر أعطاك الله تعالى أكثر .

"إنما يحتاج إلى الظلم الضعيف ، وقد تعاليت عن ذلك يا إلهي فلا تجعلني للبلاء غرضاً" ، إلهي لا تجعلني هدفاً لبلائك ، إذا لم تعاقبني لم ينقصك ولكن إذا عاقبتني فسأتعرض إلى ضرر كبير ، بجودك يا إلهي وكرمك اصفح عنا واغفر لنا وتجاوز عن سيئاتنا وارحمننا برحمتك ، "ولا لنقمتك نصباً" ، لا تجعلني هدفاً ووجهة لنقمتك ، "ومهلني ونهني وأقلني عثرتي" ، إلهي حينما أسقط أو أخطئ نهني يا الله وخذ بيدي إلى الطريق الصواب حتى لا أقع في الغفلة أو أسيء إلى نفسي بمعصيتك والإساءة إليك ، "ولا تتبعني ببلاء على أثر بلاء" ، إلهي لا يتراكم البلاء عليّ فلا أتحمل كثرة المشاكل ، وحينما تتراكم المشاكل على الإنسان يشعر بالعجز . إلهي انظر إلى حالي ووضعي وإلى قلة طاقتي في هذه الأمور ، "فقد ترى ضعفي وقلة حيلتي ، أستعيز بك الليلة فأعزني" ، إلهي بك ألوذ وبك أعوذ جئتك يا الله ، "وأستجير بك من النار فأجرني وأسألك الجنة فلا تحرمني" <sup>(١٢٩)</sup> ، هذه ثقافة الدعاء والتأكيد على أن الله تعالى لا يظلم عباده .

### ثالثاً : إعطاء المال في غير حقه

في بحار الأنوار: من كلام لعلي عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء ، فإن أمير المؤمنين عليه السلام حينما تصدى لخلافة المسلمين ساوى بين الناس في العطاء ، السابقون كانوا يفاضلون في العطاء وكانوا يعطون القرشي الضعف ، وهكذا يمايزون بين طبقات المجتمع ، وحينما وليها علي عليه السلام أعطى الجميع نفس المقدار فعوتب من أصحاب المصالح الذين كانوا يأخذون ضعف غيرهم وأصبحوا يأخذون نصف الراتب فلم يقبلوا . . لما عوتب على التسوية في العطاء قال أمير المؤمنين : "أأمروني أن أطلب النصر بالجور في من وليت عليه" ، كان أصحاب الوجاهات والتأثير وأصحاب

١٢٩ . من لا يحضره الفقيه ١ : ٤٩٠ ، ح ١٤٠٩ .

الأقلام والألسنة الطويلة، كانوا يُعطون الضعف، وهؤلاء يخلقون حالة معينة ودعاية للحاكم، وأمير المؤمنين يقول أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟، لكي أنتصر والناس كلها تمدحني ولكن بالجور على الضعفاء، فأعطيهم أقل وأدفع من حقهم لأصحاب الأقلام والوجاهات والميسورين!، "لو كان المال لي لسويت بينهم"، لو كان المال مالي لكنت ساويت بين الناس، "فكيف وإن المال مال الله وهم عباد الله"، هذا المال ليس لي، والناس سواسية.

"ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف"، حينما أعطي أكثر من مال المسلمين فهذا إسراف وتبذير وإنفاق في غير محله، "وهو يرفع صاحبه في الدنيا"، خصوصاً من خزينة المسلمين، فيصبح له صيت ويصبح محبوباً، "ويضعه في الآخرة"، وفي الآخرة يجب أن يدفع الحساب كل من أخذ المال وتنعم به في الدنيا، ولكن وزره على المسؤول ومن أعطاه بغير وجه حق ودفعه من خزينة المسلمين وصرفه بهذه الطريقة، "ويكرمه في الناس ويهيئه عند الله"، أمام الناس يعطيه نوعاً من الاحترام والتقدير، أما بين يدي الله فهذه إساءة أن ينفق المال بهذه الطريقة، "ولم يضع أمرؤ ماله في غير حقه وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم"، من ينفق المال بغير وجه حق الله تعالى يسلبه شكر هؤلاء الناس له، فالآخرة ضاعت منه وفي الدنيا يرتد سوء فعله عليه، فالذي يعطي بغير وجه حق لا تشكره الناس وترتد عليه، هكذا قدر الله؛ لأنه بغير وجه حق.

"حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم" (١٣٠)، محبتهم تصبح لغيره. في هذه المدينة بغداد وقف الإمام موسى بن جعفر أمام هارون الرشيد وقال له: "أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم" (١٣١)، أنت بسطوتك وجيوشك تمسك أجسام الناس ولكن لا تستطيع حبس قلوبهم لصالحك، وأنت تدفع الأموال وتغري الناس وتصرف من المال العام هنا وهناك، ولكنك مسيطر على أجسام الناس، أما قلوبهم فأنت غير مسيطر عليها؛ لأن قلوبهم مع الحق. هناك من ينفق وهناك من يجند وسائل إعلام وغيرها، ونرى مراجعنا العظام لا يصرفون في وسائل الإعلام ولا يعملون دعاية لأنفسهم، ولكن المحبة الحقيقية لهم، فالناس تحبهم وتطيعهم وتسمع لهم، ولا حظتم مؤخرًا فتوى وبيان المرجع الأعلى، وكيف هبت مئات الآلاف من الناس، لذلك فالمحبة الحقيقية تكون لأهل الحق، فيا من تبحث عن المحبة والمودة لا تعمل بالباطل.

١٣٠. نهج البلاغة ٢: ٦، الخطبة ١٢٦.

١٣١. الاتحاف بحب الأشراف: ٥٥.

## رابعاً : الظلم ذلٌ وخسارة والعدل عز وهيبة

"روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : "من ولي شيئاً من أمور أمّتي فحسنت سريره لهم"، إذا صار مسؤولاً في شأن من شؤون المسلمين في أي مكان، فأحسن التعامل معهم، وحمل في قلبه نوايا طيبة تجاه الناس، "رزقه الله تعالى الهيبة في قلوبهم"، المسؤول الذي ينظر برحمة ولين في قلبه تجاه الناس، فالناس تنظر له بهيبة ووقار، إذ يجعل الله له هيبة في قلوب الناس، "ومن بسط كفه لهم بالمعروف رزق المحبة منهم"، الله تعالى يودع محبته في قلوبهم، "ومن كف عن أموالهم وفر الله عز وجل ماله"، الله يعوضه، معادلة جميلة؛ فحين تأخذ بالظلم لا تهناً به، والله تعالى والناس لا يرضون عنك، أما إذا لم تأخذ بالظلم فالناس تحبك والله تعالى يعوضك عن هذا المال بمال يغنيك .

أيها المسؤول، أيها الإنسان لا تعتد على الناس وسوف يعوضك الله والناس تحبك ويوم القيامة أجرك وثوابك على الله، "ومن أخذ إلى المظلوم من الظالم كان معي إلى الجنة مصاحباً"، إذا كنت تستطيع أن تضغط على الظالم حتى يعطي حق المظلوم بكلمة أو تشجعه أو عن طريق المحاكم بطريقة تأخذ بها حق المظلوم، إذا استطعت ذلك، فأنت مصاحب لرسول الله في الجنة، "ومن كثر عفوهُ مُد في عمره"، الذي يصفح ويعفو يمد الله في عمره، فلا تقف عند هذه الصغائر وتسامح وتساهل، فمن يتساهل فالله تعالى يعطيك طول العمر، "ومن عم عدله نصر على عدوه"، كن عادلاً، فالله ينصرك على أعدائك ويحقق لك الغلبة، أي إذا انتكسنا في يوم من الأيام فهذا يعني أننا لمن نكن عادلين ولم نعمل بشكل صحيح، وإذا تعاملنا بشكل صحيح فالله تعالى ينصرننا على أعدائنا .

الانتصار على الأعداء يحتاج إلى مراجعة ذاتية وإلى تصحيح للأخطاء وإلى تعديل للمسارات وإلى نظرة موضوعية بعيدة عن التبرير، فالشيطان عصى الله تعالى ووقف يبرر؛ "خلقتني من نار وخلقته من طين"<sup>(١٣٢)</sup>، وهذا تبرير، ليس هناك من خطأ بدون تبرير، لذلك نحتاج إلى عدل وإنصاف في التعاطي، ونحتاج إلى استقامة ومراجعة للأخطاء وتقييم موضوعي وصحيح، وأن نلاحظ أخطاءنا؛ أين هي أخطاؤنا الأمنية والسياسية والاجتماعية والخدمية؟، وأين هي أخطاؤنا في التعامل مع شعبنا، والاعتراف بالخطأ فضيلة، وأي مسؤول يعترف بخطئه أمام شعبه ويعتذر فسوف يكبر في عيونهم والناس

١٣٢ . سورة الأعراف : الآية ١٢ .

تصفح عنه ، ولكن إذا بقينا نكابر ونصر على أخطائنا ونتهم الآخرين ونخونهم ونبحث عن شماعة نعلق عليها أخطاءنا وتقصيرنا ، فإن الأمور ستسير مساراً آخر .

"ومن خرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة" ، المعصية ذل وهوان ، أما الطاعة فهي عز وكرامة ورفعة ، والطاعة لله تعالى . . يا إنسان يا مؤمن ، لا تصغر نفسك وتقلل من قيمتك بالمعصية ، وكن عزيزاً وكرماً بعز الطاعة لله تعالى ، "ومن خرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة أنسه الله (عز وجل) بغير أنيس" ، الله يؤانسك من غير أنيس . هناك من يملك الأموال والناس حوله ، ولكنه في كآبة شديدة ، وهناك من يكون في زنازة انفرادية وهو يقول أنا مرتاح بين يدي الله تعالى ، أناجي ربي وأصلي وأقرأ القرآن .

لقد سمعت من شهيد المحراب (قدس) أيام السجن ، إذ قضى في السجن سنتين وأربعة أشهر ، أن بدايات السجن كانت صعبة في زنازة ضيقة ، وهناك نزلاء آخرون ومن توجهات مختلفة تماماً وعالم آخر ، ربما أرادوا أن يعذبوه بهذه الطريقة ، لكنه حفظ القرآن في هذه الفترة ، وكان كثير التنفل والصلاة في هذه الفترة إلى أن انقلب هذا النزول الآخر ، وكان بتوجه آخر ، انقلب وتغير وأصبح مؤمناً ، وقصص أخرى كثيرة في تلك الزنازة ، "أنسه الله عز وجل بغير أنيس" ، الله يلقي في نفسه الطمأنينة والارتياح ، "وأعانه بغير مال" (١٣٣) ، البعض يتصور أن الدنيا كلها مال ؛ فمن كانت عنده أموال فكل شيء محلول وبالعكس ، وليس الأمر كذلك ، فالمال ليس كل شيء في هذه الدنيا ، وما أكثر من عنده المال وعنده مشاكل عويصة ، وهناك من ليس عنده المال ولكنه مرتاح مع أهله وعشيرته وفي عمله .

### المعنى المجازي لليد .. المصايد الإيجابية

#### أولاً : العدل في كل حال

لاحظوا في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ ، أي كونوا قائمين لله بالطاعة ، يعني مطيعين لله ، ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ ، كونوا شاهدين بالعدل ، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ ، لا تبغض أحداً ولا تعتد عليه . . غضبك من الآخرين يجب ألا يجعلك تظلم أحداً ، ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ، إذا كنت عادلاً فستكون قريباً من

التقوى ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(١٣٤)</sup> ، العدل مسألة مهمة .

### ثانياً : الإصلاح بين المؤمنين

في سورة الحجرات : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ ، حاول أن تصلح ولا تجعل الناس تتضارب بعضها مع بعض ، وأي مصلحة في أن تتقاتل الناس بعضها مع البعض الآخر ، وأي مصلحة في أن تتقاتل طوائف المسلمين مع بعضها؟ . لماذا هذا القتال؟ ، لماذا نحمل السلاح بوجه بعضنا؟ ، لماذا لا نكون يداً واحدة بوجه التطرف والتشدد والإرهاب ، ونضع يدا بيد متحابين متسامحين متعايشين مع بعضنا؟ ، أي حرب طائفية استطاعت أن تحقق نتاجاً وتحسم المعركة لصالح أحد الطرفين حتى نكون نحن نسخة ثانية من هذه المعركة؟ ، فالصراعات التي تمتد على خلفيات طائفية ليس فيها غالب ومغلوب ، وكذلك الصراعات القومية ليس فيها غالب ومغلوب . إن الصراعات التي أساسها الحق والباطل ينتصر فيها الحق على الباطل ، أما معركة الطوائف والقوميات فليست معركة حق . إن معركة الشعوب بوجه الإرهاب هي المعركة الحقة ، فلا بُدَّ من أن نشخص في هذه المعركة الصديق من العدو حتى لا نسيء ولا نخطئ ولا نستهدف الصديق ونتجاهل العدو .

اليوم هناك من يضع يده بيد داعش ، نقول له لماذا ، ألا تعرف عصابة داعش؟ . . يقول أعرفها وهي إرهاب ، هل هؤلاء يحققون مصالح للشعوب؟ ، يقول لا يحققون ، إذن لماذا وضعت يدك في أيديهم؟ ، يقول هذا تحالف تكتيكي مرحلي ؛ أضع يدي بيد الشيطان وأعبر مرحلة ومن ثم أصارع الشيطان ، وضاعت القضية ، هل تستغل داعش مرحلياً أو داعش تستخدمك مرحلياً وتعبر بك مرحلة وتجعلك غطاءً أمام الآخرين؟ ، وحينما تحصل ما تريد تضربك بك عرض الجدار .

حينما سقطت الموصل قيل هناك اتفاق وإن داعش ستخرج ومجموعات مسلحة أخرى تمسك المدينة ، ولكن بعد أيام عادت داعش وطردتهم ومسكت الأرض ، وكل من لا يبايع فلاناً فإن حياته في خطر . إننا على وضوح كامل أن المتشددين ، هم من سيستغلون هذه الفرصة وسيحصلون على الغنائم ثم سينقضون على الآخرين بدافع المنافسة ويطردونهم من الساحة ، وهذا الآخر كسر مع شعبه وكسر مع العملية السياسية

١٣٤ . سورة المائدة : الآية ٨ - ٩ .

ولم يتحقق الهدف المرحلي له، ويضيق الهدف الإستراتيجي، وهو شراكتنا في هذا الوطن .

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ أَحَدُهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾، إذا أبت وتجاوزت، إذا أرادت أن تدخل بغداد . . وإذا أرادت أن تخل بالسلم الاجتماعي . . إذا أرادت أن تستهدف الشراكة في الوطن الواحد، ﴿فَقَاتِلُوا اللَّيَّ تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾، حتى ترجع إلى رشدها وتعرف حدودها، ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾، إذا كانت هناك مطالب مشروعة فإنها على الرأس ضمن سياق الدستور ونحن ملتزمون، أما المطالب غير المشروعة والاستحواذ على العملية السياسية والانقضاض على المواطنين في هذا البلد المتعاش، فهذا شيء آخر، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(١٣٥)</sup>، الذين يعدلون في أحكامهم وفي خطواتهم، نسأل الله أن يجعلنا من المقسطين والعادلين والمنصفين في تعاملاتنا مع الآخر، ونسأل الله أن يحقق الآمال . . وللحديث صلة تأتي في الأيام القادمة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





الأمسية العاشرة بتاريخ ٢٠١٤/٧/٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين . تقبل الله صيامكم وقيامكم في هذا الشهر الكريم .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

ما زلنا نتحدث عن البعد الإيجابي في المعنى المجازي للبد، واستعرضنا بعض الآيات الشريفة في معنى العدل .

#### العدل رسالة الأنبياء

آية أخرى في هذا السياق هي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ، لم نرسل النبي ليأتي ويقول أنا نبي وأنا رسول من الله ، والناس تتحير ولا تعرف هل هو صادق أو هو من ادعاء النبوة ، بل أرسلنا النبي بالبينات والحجج والمعجزات ، حتى يقدم للناس ما يطمئنهم بأنه نبي ، وما يؤكد لهم صدق ادعائه بالنبوة ، ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ ، الرسل الذين أرسلناهم مع المعجزات ، أرسلنا معهم الكتب السماوية من خلال الوحي ، وهنا الشاهد ، "وأنزلنا معهم الكتاب والميزان" ، وهو برنامج الحياة ، وأنزلنا الميزان أي العدل ، وجاء الأنبياء بالعدل ، إذن لديهم معجزة وكتاب وبرنامج ولديهم العدل بين الناس ، ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ ، أنزلنا معهم العدل ليتعامل الناس في ما بينهم على أساس القسط والعدل ، ولا يظلم بعضهم بعضا ، ويعدلوا في علاقاتهم وتعاملاتهم مع بعضهم .

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾، أي هيأناه أو أوجدناه؛ لأنه لم ينزل من السماء، ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، الحديد فيه قوة، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾، الله سبحانه وتعالى بعد أن أقام الحجة على عباده وبعد أن أرسل الرسل جاء معهم بمعاجز لهؤلاء وأنزل معهم الكتب السماوية وأنزل معهم العدل والميزان حتى يميز بين الناس ويفرز بينهم، والله يعلم بكل شيء، ولكن لنعلم نحن، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾، ليجد من الذي يقف ويستجيب لنداء الحق وينتصر للحق ويدافع عن الحق ويتمسك بالحق، فله الحجة البالغة، ولك على الله أن يقيم لك الحجة وأن يوضح لك الطريق، وألا تكون جاهلاً بالطريق، فلا يجوز إذا كنت لا تعلم أن يحاسبك الله على ما لا تعلم به، بل يوفر الله لك الفرصة وقيم لك الدليل والبرهان من خلال إرسال الرسل ومن خلال المعاجز والكتب السماوية حتى يتبين الطريق، فإذا تبين يختبرك، ليعلم من الذي ينصره ورسله بالغيب ويلتزم. ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(١٣٦)</sup>، إذن، العدل والقسط هو ما تؤكد عليه الآيات القرآنية الشريفة.

### إنصاف الناس

نقرأ بعض الروايات في هذا المجال؛ في كتاب الكافي الشريف، عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال: "كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في آخر خطبته"، ينهي خطبته بهذا الكلام، "طوبى لمن طاب خلقه"، هنيئاً لمن تكون أخلاقه حسنة وطيبة، الإنسان عبد الإحسان، وكلمة رقيقة وطيبة وتعامل طيب ومرونة مع الآخرين وأدب في مخاطبة الآخرين وإشعار الآخر بالاحترام، تمثل المدخل الذي يجعل الإنسان مؤثراً في مجتمعه، "طوبى لمن طاب خلقه"، تكون أخلاقه طيبة، إذ يمكن أن يتأزم موقف فتحل المشكلة بالأخلاق، ومن أبسط الأمور إلى أصعبها، الأخلاق لها دور كبير.

إذا أردت أن تركب سيارة إلى المجلس، وتدافعت مع الناس، ودفعت أحدهم وقلت له يجب أن أصعد قبلك، قد تتأزم القضية ولا يدعك تصعد ويسحبك ويصعد قبلك، ومرة تقول لن أصعد قبلك تفضل اصعد، وسيقف ويجعلك تصعد قبله، فإن نفس الشخص إذا قلت له يجب أن أصعد قبلك فستصعب القضية، وتكون معكوسة إذا قلت له تفضل لن أصعد قبلك، ومن هذه الأمور البسيطة إلى القضايا الحساسة والخطيرة؛

١٣٦. سورة الحديد: الآية ٢٥.

فلدينا أزمات سياسية كبيرة في هذا البلد، ونحتاج إلى معالجات أخلاقية في الوصول إلى حل الأزمات السياسية.

من خلال كسر الشركاء وتخوينهم لا نستطيع أن نعالج الأزمات السياسية، بل نحتاج إلى أخلاق، "طوبى لمن طاب خلقه وطهرت سجيته"، ملكاته تكون طاهرة؛ سجيته وطبعه وطبيعته، أي يكون ذا طبع طيب وطاهر، "وصلحت سريرته"، لا يحمل في سريرته ونواياه ودوافعه، سوءاً ولا حقداً ولا ثارات، ولا يريد أن يتشفى بالناس، وسريرته طيبة صالحة "وحسنت علانيته"، وفي علانيته وتعامله مع الآخرين وفي سلوكه الخارجي أيضاً يكون مستقيماً وحسناً. انظروا هنا إلى وصف هذا الإنسان السعيد، الذي يقول عنه رسول الله "طوبى" له وبشرى له.

هنا حالة التوأمة بين الدوافع والنزوات والنوايا، والسلوك الخارجي، والإنسان السوي يجب أن يفعل الخير ليس تصنعاً وبدون تمثيل على الناس، بل يفعل الخير بسجيته وطبعه، وينوي الخير ويفعله، ولا يعيش حالة من الازدواجية يعبر عنها بالنفاق ويكون له وجهان، ففي الواقع عنده مشكله معك وفي الظاهر شيء آخر، وأحياناً نرى في المجتمع مثل هؤلاء الناس، إذ يقول أهلاً وسهلاً حياكم الله ونحن مشتاقون لكم، وبعد عبوره وقبل الخروج، يسبه ويشتمه، عجباً!.. قبل قليل كان عزيزك وكنت مشتاقاً إليه، أو يتكلم أحدهم بالهاتف والناس جالسة بقربه؛ أهلاً وسهلاً وقبل أن يغلق الهاتف، يقول كذا وكذا منه، حالة محيرة، أيهما الصدق؟، وهذه حالة نفاق وازدواجية في شخصية الإنسان.

أيها الإنسان، إذا أردت أن تكون سعيداً ومشمولاً بقول رسول الله "طوبى" لك، حاول أن تكون سريرتك مع علانيتك، وسجيتك ونواياك ودوافعك مع سلوكك الخارجي، فتكون متوائمة وليس عندك فصام وازدواجية في الشخصية، بل هناك وجه واحد كله خير، باطنه خير وظاهره خير، وهذا شيء مهم جداً.

"وأنفق الفضل من ماله"، حاجتك تأخذها ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾<sup>(١٣٧)</sup>، تأخذ معيشتك ومعيشة عائلتك وما يزيد تنفقه على الآخرين، ولا يجوز أن نكون أنانيين ولا نفكر إلا بأنفسنا، بل يجب أن نفكر بالآخر القريب، والآخر الجار والصديق، والآخر المؤمن، والذي نعرفه في المجتمع، والفائض من المال عن حاجتنا قد نقول لندخرها لأننا قد نحتاج إليه في يوم ما، أليس لديك ثقة بالله، فالיום ما دمت

تملك فائضاً فأنفق والله يعطيك ما هو أكثر منه ، واليوم الذي تخاف منه يقبض الله لك من يقف معك .

"وأمسك الفضل من قوله" ، أترك الحديث الزائد ، وإذا كان كلامك من فضة فسكوتك من ذهب ، وأي كلمة إضافية فيها مسؤولية ؛ ماذا قلت والناس ماذا فهمت ، وقد يكون بها تعريض وإساءة وتضعيف لأحد وغدر بأحد ، أو تقلل من قيمة أحد . . ومائة مشكلة ، الباب الذي يأتي منه الريح أغلقه واسترح ، فما دام الكلام يمكن أن يوقع الإنسان في مئة مشكلة ، فلا يتكلم إلا الضروري ، فكثرة الحديث في اللغة تسمى ثرثرة ، والإنسان الثرثار الذي يكثر الحديث ، و"من كثر حديثه كثرت زلته" ، فلماذا يوقع الإنسان نفسه في هكذا إحراجات ، "وأمسك الفضل من قوله" ، وهنا الشاهد ، "وأ نصف الناس من نفسه" (١٣٨) ، الإنصاف أحبتي إخوتي وأخواتي ، شيء مهم ، أن تنصف الآخر ، ولا تقل لماذا لم يقم لي ، فأنت لم تقم للآخر ، فأ نصف الناس ولا تتوقع من الآخرين أموراً أنت لم تلتزم بها ، فلماذا تتوقع من الآخر ما ليس فيك؟ .

#### أربع خصال تضمن دخول الجنة

في رواية أخرى عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : "من يضمن لي أربعة ، بأربعة أبيات في الجنة" ، أربعة أشياء من يضمن لي إياها ، أضمن له أربعة قصور في الجنة ، مقابل هذه الأربعة ، ما هي سيدي يا أبا عبد الله الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ .

أولاً : «أنفق ولا تخف فقراً» ، ، إذا كان لديك مال خذ حاجتك وما يزيد عنها ساعد به الآخرين ، واليوم نحن في لحظة استنفار قصوى ، والنازحون بمئات الآلاف ، وهناك الأمراض الشديدة والمعاناة في هذا الحر اللاهب ولا يملكون قوت يومهم ، ولا يقل أحد إنهم مئات الآلاف وأنا ليس عندي غير ألفين ، بقم من أضعها؟ ، فأنا عندي ألفان وأنت عندك ألفان والثالث والرابع والعشرون والمائة والألف ، مثل قطرات المطر ، فمن قطرة إثر قطرة يتشكل سيل ، وإذا كان كل واحد منا يفكر بأنه لا يملك إلا القليل وهذا القليل لا يكفي ولا يسد الحاجة كلها ، فكيف تسد الحاجة إذا لم يُجمع القليل ويتحول إلى كثير؟ . إذن هذا هو الأمر الأول ، «أنفق ولا تخف فقراً» .

ثانياً : «وافش السلام في العالم» ، الذي تعرفه سلم عليه ، والذي لا تعرفه سلم عليه أيضاً ، الكبير سلم عليه وكذلك الصغير ، فإن السلام يحوي تأثيراً كبيراً ، أنظر

إلى شخص وقل له (السلام عليكم)، والذي تعرفه سلامه يكون ضمن البروتوكول والسيارات الحديثة، حتى أننا أحيانا لا نلتفت إلى من نسلم عليه، وطبعا من يسلم . . السلام الجديد (هلو ومرحبا) لماذا؟، تحية الإسلام هي السلام عليكم، فلماذا لا نلتزم بها، لماذا (هلو)؟ . . السلام عليكم ألطف وهي تحية إسلامية، وهذه عندما تقولها أقصدها لأحد بعينه، (السلام عليكم)، أظهر أنك احترمته وقدرته، وقد ترى شخصا في الشارع لا يعرفك وصارت عينك بعينه، فقل (سلام عليكم)، وهناك من يستغرب ويقول لماذا يسلم؟، أريد مساعدة أو عنده عريضة؟، لا يا أخي، ليس عندي عريضة ولست طالب مساعدة، أريد أن أسلم، وحينما يدخل الإنسان إلى مكان ويلتقي بأناس عليه أن يسلم .

كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كلما انتقلوا من حالة إلى أخرى سلموا، فحين يكون جالسا مع جماعته، ويذهب إلى مكان معين ويرجع، يقول (السلام عليكم)، مع أنه كان معهم قبل قليل، وإشاعة السلام ليست صعبة، ولا يُراد لها مال مثلا أو جهد، أتخاف أن تتعب؟، ليس فيها تعب وهي بسيطة، لكنها مفتاح سحري كبير للعلاقة مع الآخرين، وكل منكم لي تجربها ويسلم على كل من يراه . وفي رواية أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يبتدئ الناس بالسلام، والبعض منا ينتظر أن يسلم الآخر ولا يناسبه وليس من شأنه أن يسلم، بل ينتظر الآخر أن يسلم عليه ليرد عليه . . رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يبتدئ الجميع بالسلام، وهناك شخص من المسلمين كان كلما قدم وأراد أن يسلم يسبقه الرسول، والذي يسلم أجره تسع وستون حسنة، ومن يرد السلام حسنة واحدة، فقال في المرة القادمة يجب أن آخذ التسعة والستين حسنة من رسول الله، فاختمني وراء جدار ورأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قادمًا من بعيد وحاول أن يباغت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويحصل على التسعة والستين حسنة من تحية رسول الله، لكن رسول الله قبل أن يصل قال: "يا فلان السلام عليكم"، أراد أن يمازح الرسول ورسول الله مازحه، فأشاعة السلام مهمة جدا .

ثالثًا: "وأترك المرء وإن كنت محقا"، هناك من يناقش في كل شيء، والآخر يجيب وهو يناقشه ويجيبه ويناقش مرة ثالثة، افترض أنك على حق ولا يريد أن يسمع منك فماذا تفعل؟، هل المهم أن تكسره أو المهم أن توصل المعلومة، أيهما المهم؟ . . لقد بينت وجهة نظرك وشرحتها ودافعت عنها، وهو يريد أن يكابر ويريد أن يمكر، مع أنه رآها فكرة صحيحة ولكن يصعب عليه أن يتقبلها ويتراجع عن كلامه، فأعطه فرصة ألا

يكسر، وليتصور أنه محق، أو دعه يظهر وكأنه محق وتحمل هذا الشيء، أما أنت فقد بينت رأيك، وهذه الجدل والنقاش والمماحكة والمرء أمر غير محبب.

رابعاً: "وأ نصف الناس من نفسك"<sup>(١٣٩)</sup>، هنا الشاهد، الإنصاف، تعامل مع الآخرين بالإنصاف، ولا تجر على الناس ولا تظلمهم ولا تعتد عليهم، وهذا شيء مهم.

### منهج كامل في أربع كلمات

في رواية أخرى عن أبي عبد الله الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "أوحى الله (عز وجل) إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: أني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات"، يا آدم، ألخص لك كل الشريعة والدنيا بأربع كلمات، الله يريد أن يلخصها لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا نعلم ما المطلوب، والله ماذا يريد، يا آدم، أريد أن أعطيك إياها جاهزة بيدك:

"قال يا ربي وما هن؟، قال: واحدة لي"، واحدة لله، "وواحدة لك وواحدة في ما بيني وبينك، وواحدة في ما بينك وبين الناس"، أربعة أشياء فقط، "قال يا ربي بينهن لي حتى أعلمهن"، ما هي الأشياء الأربعة التي تلخص بها كل شؤون هذه الدنيا وسعادتنا؟.

أولاً: "قال: أما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئاً"، عبادة الله وتوحيد الله والتوكل على الله والثقة بالله، هو الرب ونحن المرربوبون، هو المولى ونحن العبيد، فاحفظ هذه القضية، الطاعة لله ويجب أن يكون حاضرًا في حياتنا، وحق الله محفوظًا في سلوكنا.

ثانياً: "وأما التي لك فأجزيك بعملك أحوج ما تكون إليه"، هذا العمل الذي تقوم به أجزيك وأثيبك في لحظة تكون بأمس الحاجة إلى ذلك. الجو بارد وبعد الفطور أخذت كفايتك من الطعام والشراب ثم يأتي أحد ويقدم لك قدحًا من الماء وأنت لا تشتهي الماء الآن فقبل قليل أكلت وشربت، ولكن في الحر اللاهب وفي لحظة حرجة، وأنت في حالة من العطش الشديد، ويرفع شخص قدح ماء بارد ويعطيك إياه في ذروة الحاجة، فهذا القدح يساوي كثيرًا في تلك اللحظة، وهذه القنينة من الماء في مثل هذه الظروف تساوي كثيرًا. أو يعطيك شخص هدية خمسين ألف دينار وأنت وضعك المادي جيد، فهذه زيادة خير، ومرة عندك دين والمدين يقف بباب الدار ولا تعرف ماذا تفعل، أو عندك مريض وليس لديك أموال للعلاج وظرفك حرج، ويعطيك شخص مبلغًا من المال، فإنه سيفيد كثيرًا، وعندما تفعل العمل الصالح يأتي الجزاء في وقت أنت بأمس الحاجة إلى هذا الجزاء وهذا العطاء الإلهي.

١٣٩. الكافي ٢: ١٤٤، ح ٢.

ثالثاً: "وأما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعليّ الإجابة"، يا عبدي اطلب مني، ونحن أحياناً لا نملك ثقافة الدعاء والطلب، وعندما تحدث مشكلة أراجع ذاكرتي؛ في أي دائرة هذه المشكلة ومن لدينا في هذه الدائرة من معارفنا، وأسأل أصدقائي إن كانوا يعرفون أحداً هناك لعلّ أحدهم يتوسط لي، والله ليس له دور هنا، وإذا لم نجد أحداً، قلبناها يميناً ويساراً ولم نجد أحداً، فماذا نعمل؟.. لنذهب إلى الله ما دام ليس هناك أحد، وإذا كان هناك أحد يتوسط لنا فإننا لا نذكر الله، وإذا لم نجد أحداً نرجع إلى الله، فالله آخر المقصودين، والدعاء والطلب من الله آخر الأشياء، وهذا خطأ، فيما يجب أن يكون الطلب من الله أولاً، حتى لو كان هناك أسباب طبيعية، تطلب من الله، فهذا الدواء لماذا استعمله فلان وشفاه واستعملته ولم يشفني؟، لأن الله يجعل الدواء مؤثراً ويلقي في روع الطبيب أن يشخص تشخيصاً صحيحاً ويعطي العلاج المناسب.

البعض منا لا يعتقد بـ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾<sup>(١٤٠)</sup>، بل إذا مرضت فإن دكتور فلان يشفيني، هكذا يعتقد الإنسان ولا يطلب من الله، فلا يأتي الشفاء ويتأجل ويتعطل ويتعب الإنسان، أو يأتي الشفاء ولكن أنت طلبته من غير الله. إن ثقافة الدعاء والإيمان أن الله (سبحانه وتعالى) قادر على أن يعيننا ويستجيب لمطالبنا، مهمة جداً.

رابعاً: "وأما التي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك"، تسأل لماذا فعل فلان هذا؟.. أولاً انظر لنفسك؛ هل تقبل أن تفعله، أو تقبل للآخر أن يفعله ولا تقبل لنفسك أن تفعله؟.. وطبق كل شيء على نفسك أولاً، ما ترضاه لنفسك فيجب أن ترضاه للناس، وما لا ترضاه لنفسك لا ترضه للآخر، "وتكره لهم ما تكره لنفسك"<sup>(١٤١)</sup> هذه أربعة أشياء إذا فعلتها يا آدم فالسعادة مضمونة، وهي أمور بسيطة وليست صعبة، ولكن الالتزام بها يحتاج إلى إرادة قوية وحقيقية.

### خصال المؤمن الثلاث

في رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: "العدل أحلى من الشهد وألين من الزبد وأطيب ريحاً من المسك"<sup>(١٤٢)</sup>، العدل جميل ومريح، أن يكون الإنسان عادلاً ومنصفاً مع الآخرين، وعن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "قال رسول الله

١٤٠. سورة الشعراء: الآية ٨٠.

١٤١. الكافي ٢: ١٤٦، ح ١٣.

١٤٢. الكافي ٢: ١٤٧، ح ١٥.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ثلاث خصال من كنّ فيه أو واحدة منها، إذا استطاع أن يحققها في نفسه، "كان في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله"، ما هي هذه الثلاث:

أولاً: "رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم"، ما يطلب من الناس وما يتوقع منهم، يقدم للناس هذا الأمر. البعض يسأل؛ لماذا لا تقوم لي؟، قم للناس وتوقع أن يقوموا لك، وأكرم الناس وتوقع منهم أن يكرموك، وأي شيء تتوقعه من الناس فقم به تجاههم.

ثانياً: "ورجل لم يقدم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم أن ذلك لله رضا"، إذا كان الله يقبل فسأفعله، وإذا كان لا يقبل فلا أفعله؛ فالبوصلة والمعيار هو الله، فما يريد التزم به، وما لا يقبل ولا يرضى به الله سبحانه وتعالى لا أفعله، هذا المعيار؛ ضع الله أمامك، وكل شيء يقبل به الله أفعله وإذا لم يقبل به لا أفعله.

ثالثاً: "ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه"<sup>(١٤٣)</sup>، أي شيء يريد أن يعيب به الآخرين، فعليه أن ينفيه عن نفسه؛ فلا يقول ماذا فعل أبو فلان، بل يقول هل عملت ذلك؟، ويجب أن أصلح نفسي أولاً، يقال أرأيت فلاناً كيف كذب؟، لأسأل نفسي هل أكذب أو لا، لئلا أكون أنا أكذب والعياذ بالله، لا يمكن أن أفرض قدرتي على الناس، ولا بدُّ من أن أبدأ بنفسي أولاً، ثم إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعطينا قاعدة مهمة؛ يقول: "فإنه لا ينفي منها (من نفسه) عيباً إلا بدا له عيب"<sup>(١٤٤)</sup>، هذه قاعدة؛ إذا أردت أن تصلح نفسك، فما إن تصلح عيباً من العيوب حتى يأتي أمامك عيب آخر، وحين تصلح العيب الآخر يأتي إليك عيب ثالث، والله (سبحانه وتعالى) يكرم عبده حينما يصاب بعيب أو يرتكب خطأ، إذا كان عنده شجاعة أن يعالج خطأه، فإن الخطأ الذي بعده يأتي إلى السطح أمامه، فمن كان من عادته أن ينشغل بعيوبه ودائماً تأتي عيوبه واحداً بعد الآخر أمامه ويصلحها ويمسحها، فالذي تصبح عنده ثقافة إصلاح عيوبه ليس لديه وقت للنظر إلى عيوب الناس، ويقول هذا طويل وذاك قصير، كلا، بل ينشغل بعيبه.

في رواية أخرى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»<sup>(١٤٥)</sup>، هنئياً لذلك الإنسان؛ فبدلاً من أن تقع عينه على الآخرين؛ هذا قال وذاك

١٤٣. الكافي ٢: ١٤٧، ح ١٦٦.

١٤٤. الكافي ٢: ١٤٧، ح ١٦٦.

١٤٥. نهج البلاغة ٣: ٩٦، الخطبة ١٧٦.



تكلم وذاك قصير وهذا طويل وذاك فعل ، يكون مشغولاً بعيوب نفسه ويعالج عيوبه ، «فإنه لا ينفي منها عيباً إلا بدا له عيب ، وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس» ، يكفي الإنسان أن يشغل بعيوبه عن ذكر عيوب الآخرين وبيانها .

### تلخيص شريعة الله

في كتاب بحار الأنوار هناك مجموعة من الروايات في هذا الصدد :

عن أبي مالك قال : "قلت لعلي بن الحسين زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبرني بجميع شرائع الدين" ، يعني أريد أن تلخص لي شريعة الدين يا سيدي يا زين العابدين . . لا تقل لي اقرأ وانظر في الكتب والموسوعات وتفسير القرآن ، مثلاً (للعلامة الطباطبائي من عشرين مجلداً) ، لا أستطيع قراءتها ، فأعطني إياها جاهزة ، فقال ثلاثة أشياء بسيطة تعملها هي الحل ، قال : "قول الحق" ، قل الحق ولا تكذب ، سواء كان لك أو عليك وكن حقانياً ، ومن الصعب أن يكون الإنسان حقانياً ، البعض منا يدافع عن إسلام يكون هو حجة الإسلام فيه . . يدافع عن الحق عندما يكون الحق معه ، ولكن الحق إذا كان مع الآخر ، عليه وليس له ، يسكت عن الحق وكثيراً منا هكذا حالهم .

"قول الحق والحكم بالعدل والإنصاف والوفاء بالعهد"<sup>(١٤٦)</sup> ، الكلمة إذا أعطيناها يجب أن نلتزم بها مهما يكن ، وترون أن جوهر الدين هو التعامل مع الآخر والصدق والوفاء والحقانية ، وهذا هو الإسلام ، وكل تفاصيل أخرى تأتي إضافة . . جوهر الإنسان ما هو؟ . . ذلك الهيكل العظمي ، وقلب ورثة وكبد إلى آخره . . والهيكل العظمي الذي يمسك الإنسان ، وعندما تراها في الأشعة تتعجب وتقول هل هو هذا؟ ، هذه حقيقتك وهذا هو الأصل ، ويأتي بعده لحم وجلد وشعر . . وغيرها ، وهي إضافات لطيفة تجعل من الإنسان بهذه الصورة الحسنة ، لكن حقيقة الإنسان وجوهره ذلك الهيكل العظمي وقلبه وورثته وكبده إلى آخره من هذه الأعضاء التي هي مؤشرات الحياة في وجوده .

حقيقة الإسلام هي الأشياء الثلاثة : "قول الحق والحكم بالعدل والوفاء بالعهد" ، في ما أوصى به أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عند وفاته قال : "أوصيك بالعدل في الرضا والغضب"<sup>(١٤٧)</sup> ، الإنسان عندما يرتاح يعدل وعندما يغضب ويكون عصياً يخرج عن العدل في كثير من الحالات ، وأمير المؤمنين يوصي أن نكون ملتزمين في كل الأحوال بالعدل .

١٤٦ . بحار الأنوار ٧٢ : ٢٦ ، ح ١٠ .

١٤٧ . بحار الأنوار ٧٢ : ٢٧ ، ح ١٢ .

## استكمال خصال الإيمان

عن أبي حمزة قال سمعت فاطمة بنت الحسين عَلَيْهَا السَّلَامُ تقول: "قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ثلاث خصال من كن فيه استكمل خصال الإيمان"، ثلاثة أشياء فيها حقيقة الإيمان، "الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل"، عندما يرضى لا يدفعه رضاه إلى الباطل، هناك من إذا أتاه المال توجه مباشرة إلى ارتكاب الموبقات والذنوب والعياذ بالله، كلا، إذا رضي في حالات الرخاء لا يندفع إلى المعصية، "وإذا غضب لم يخرج غضبه من الحق"، عند الغضب يبقى حقانياً، وليس عندما يفعل لا تعرف ما يخرج من فمه.

أحياناً في بعض ظواهرنا الاجتماعية السيئة، في حالة العصبية حتى الله لا يسلم منه، والعياذ بالله، وقد سمعنا كلنا ذلك في التعبيرات السوقية كثيراً، لقد اختلفت على سعر الطماطم فما دخل الله في ذلك؟ . . لا يسلم الله منك ومن لسانك، شتيمة وعبارات بذيئة وكفر، لماذا؟، هذا لا يليق، إذا غضب لا تستطيع الإمساك به ولسانه، ولا تعرف ماذا يقول في لحظة الغضب. "وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له" <sup>(١٤٨)</sup>، إذا صارت عنده سطوة وسلطة وقدرة ومكنة، هذه القدرة لا يوظفها توظيفاً خاطئاً ولا يعتدي على الناس.

معروفة تلك القصة والحالة عن ذاك الشخص الذي كلف بالمغاسل، وإذا لم تكن هناك (إسالة للماء) وقتها كانوا يستخدمون الأباريق في المغاسل العامة أو المرافق الصحية، ووضعوا عشرين إبريقاً، ولكي لا تُسرق وضعوا شخصاً مسؤولاً عنها، وقيل له أنت مسؤول عن هذه الأباريق لثلاث تُسرق، وفجأة تصور نفسه أنه المدير العام لشؤون الأباريق في الشرق الأوسط، وحين يأتي شخص مسكين ليأخذ إبريقاً ليتوضأ أو يقضي حاجته، يقول له لا تأخذ الإبريق الأخضر وخذ الأحمر، ولا يبالي بالشخص إذا كان على عجلة من أمره، سلطة على الأباريق!

إن القضية ليست مستوى السلطة، بل المسألة كم أنت مسيطر على أعصابك، فقد تكون المسؤولية بسيطة والناس في عناء؛ مقدم الشاي في الدائرة إذا لم تسلم عليه قد تتوقف معاملتك، ولا يفيد الاعتذار لأنك لم تنتبه لمقدم الشاي، ويستخدم كل نفوذه ليوقف المعاملة، وهناك من يسيطر على أعصابه مع أن لديه مسؤولية كبيرة ولكنه لم يتغير، وهذا شيء مهم، فالإنسان يجب ألا يوظف السلطة والنفوذ توظيفاً خاطئاً في

الاعتداء على الناس والتجاوز عليهم، هذه هي الأمور الثلاثة التي تذكرها السيدة فاطمة بنت الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ . وللحديث صلة تأتي تباعاً، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأمسية الحادية عشرة ٢٠١٤/٧/٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين  
وصحبه المنتجبين الميامين .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

تحدثنا عن الآثار المترتبة على اليد في البعد السلبي ، حالة التجاوز والاعتداء على  
حقوق الآخرين ، وهي ما يعبر عنها القرآن الكريم بالظلم والبغي والعدوان ، ووقفنا عند  
ظاهرة الظلم والعدوان ، واستعرضنا عددًا من الآيات القرآنية والروايات الواردة عن أئمة  
أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في خطورة الظلم والتأثيرات المدمرة المترتبة عليه .

### الظلم والعقوبة الإلهية

يشير عدد من الآيات القرآنية إلى أن وقوع الظلم بوعي وإصرار هو الذي يدعو إلى  
العقوبة الإلهية؛ فالإنسان قد يعتدي على حق ولكن من دون أن يقصد أو يعرف ، وهذه  
ليس عليها عقوبة الظلم ، لكن إذا ارتكب الظلم مع سبق الإصرار والوعي الكامل ومع  
إدراك أن هذا حق الناس ، لكنه يذهب ويعتدي على هذا الحق ، فهذا الأثر الذي تترتب  
عليه كل العقوبات التي تحدثنا عنها في الليالي الماضية .

في سورة الأنعام: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ  
آيَاتِي﴾ ، هذا السؤال يأتي يوم القيامة حينما يقف الجميع أمام الله تعالى يسألون؛ أرسلت  
لكم أنبياءً ورسلاً يقيمون عليكم الحجّة ، ألم تعرفوا أن هذا ظلم وإثم ومعصية؟ ، ﴿أَلَمْ  
يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ ، يتلون عليكم آياتي ، ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ

يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، في يوم القيامة لا يستطيع الإنسان أن يكذب، لأن اليد تشهد، واللسان يشهد، والرجل تشهد، البدن بكل أعضائه يشهد وينطق ولا مجال للكذب، فتتكشف الحقائق في ذلك الوقت .

﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾، نرفع أيدينا بالتسليم ونعترف، ذكرنا وشرحنا وأندروا ولكن المشكلة فينا، فالله تعالى أقام الحجة علينا، وحينما نخطئ ونحرف والعياذ بالله ليس لقصور في المعلومة، لأننا نعلم الصحيح من الخطأ والمسموح من الممنوع . . . البعض يقول إن إرادتي ضعيفة وجاذبية الدنيا وحلاوة الشهوة والنزوة تأخذني! . . . أعرف الحلال من الحرام لكن نفسي تطمح إلى أن أرى وأسمع الحرام وأذهب إلى المكان المحرم، ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾، لماذا تقوم بهذا العمل وأنت تعرف أنه خطأ؟، "وغرتهم الحياة الدنيا"، الدنيا خدعتهم بحلاوتها وجذبتهم .

﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾، أقرروا واعترفوا بأنهم كانوا كافرين، ليس لقصور في الحجة، وليس لغياب أو ضمور في الأدلة والبراهين، ولكن الدنيا غرتهم، ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾<sup>(١٤٩)</sup>، لأن الله تعالى لا يظلم الناس ولا يعاقبهم على ظلم اقترفوه وهم لا يدرون ولا يعرفون أن هذا ظلم . إذا كنت لا تعرف وكنت تستطيع أن تعرف ولكن لم ترد أن تتعلم، تواجه بسؤال؛ لماذا لم تذهب؟ . . لماذا لم تسأل، اليوم أصبحت معرفة الحكم الشرعي ممكنة وسهلة، اليوم وأنت جالس في البيت وفي السيارة يمكن إرسال رسالة عن طريق الإيميل إلى المرجع والسؤال عن أية قضية شرعية، وسيأتيك الجواب سريعاً، ليست هناك صعوبة، الله لا يعاقب الإنسان على تجاوز غير مقصود وعن غفلة وليس عن وعي وإصرار ودراية .

### الآثار المترتبة على الظلم

النقطة الأخرى، هي الآثار السلبية العظيمة المترتبة على الظلم، ففي سورة الأنفال: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾، اتقوا بلاءً وعذاباً، ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾، احذروا من البلاء والعذاب الذي لا يختص بالظالمين بل يحرق الأخضر واليابس والكل يشملون بالبلاء . . هناك أنواع من العذاب إذا جاءت لا تختص بالظالم، في إشارة إلى المصائب

١٤٩ . سورة الأنعام: الآية ١٣٠ - ١٣١ .

والفتن الاجتماعية، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(١٥٠)</sup>، هذه الآية تشير إلى أن الشؤون الاجتماعية شؤون تضامنية مترابطة.

في القضايا الاجتماعية هناك مسؤوليتان، الأولى أداء مسؤولياتك والعمل بتكليفك، وكل منا يتحمل جانباً من المسؤولية، وكل واحد منا في عمل، ومسؤوليتك الأولى أن تؤدي واجبك على أفضل وجه.

المسؤولية الثانية أن تراقب أداء الآخرين في أن يؤديوا واجباتهم بشكل صحيح، مثل السفينة؛ فإذا قمت بواجبك ولكن الآخر لم يرقم به بشكل صحيح فالسفينة ستغرق، والكل سيغرق سواءً من أدى واجبه أو الآخر الذي لم يؤدِّ واجبه، كلهم على حد سواء. وفي الجيش، تكون عندي المهمة الفلانية، وأنا إداري ناجح، أما بقية مفاصل الجيش فماذا عنهم؟، فحين ينكسر الجيش تقول إن إدارياً ناجحاً لا يكفي، بل يجب أن يكون الكل ناجحين والكل يجب أن يتحملوا مسؤولياتهم والواجب المكلفين به في حماية الوطن والمواطن.

المهمة والمسؤولية الاجتماعية من هذا النوع تضامنية، وهي حالة واحدة، فنحن نستنشق هواءً واحداً، وإذا كنت صالحاً ولكن ظواهر الفساد تعج بالمجتمع، فإن فيروس الفساد يمتد إلى بيتك ولا يمكن أن تكون صالحاً في مجتمع فاسد؛ فإن ابنك يذهب للمدرسة ويحتك بالآخرين ويأخذ الميكروب ويأتي بالثقافة الدخيلة، ومهما تربيته فإنه حينما يخرج من البيت لا يكون في يدك، وتفاحة فاسدة نضعها في صندوق سوف تفسد التفاح كله، وكذلك في المجتمع؛ أي خلل اجتماعي سيمتد إلى المساحات الأخرى، فكما يجب عليك أن تصلح أمرك فعليك أن تراقب الآخرين وتتأكد من صلاحهم، بهذا المنطق نعرف لماذا يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم"<sup>(١٥١)</sup>، افتح عينك على المسلمين الآخرين، يجب أن تراقب المجتمع وتعرف صلاحه، سوف نعرف لماذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب من الواجبات الشرعية، "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة"، لا تختص بالظالمين منكم والمسيئين، بل تشمل وتعم الجميع على حد سواء.

في رواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة"، هذا في السلوك الشخصي، "حتى يروا المنكر"، يصبح المنكر ظاهرة

١٥٠. سورة الأنفال: الآية ٢٥.

١٥١. الكافي ٢: ١٦٣، ح ١.

اجتماعية، حينما يكون هناك تجاهر بالفسق والفجور وحينما تتحول من قضية شخصية إلى ظاهرة اجتماعية، فمن لا يصوم ويأكل ويشرب في البيت فهذا ذنب يتحملة وحده، لكن التجاهر بالإفطار يصبح ظاهرة اجتماعية وإذا لم نصلحها ونهئ عن المنكر هنا كلنا نتحمل الوزر والعقوبة تأتي علينا كلنا، هذا الفرق بين المخالفة الشخصية، والمخالفة الاجتماعية حينما تتحول الحالة إلى ظاهرة في المجتمع .

"حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه"، مرة لا يستطيع أن ينكر الإنسان خوفا من العقوبة التي تقع عليه من الظالم، ولكن في مرة أخرى إذا تكلم وانتقد المنكر فلا شيء عليه؛ فالصوم فيه فائدة لنا نحن البشر وليس لله تعالى، حاشا لله أن يحتاج لصومنا، فنحن تكامل ونقوى ونكبر ونتقرب إلى الله تعالى ونحصل على الإرادة الصلبة من خلال الصوم والإمساك عن الطعام والشراب، ومع ذلك، ما هو فائدة لنا جعله الله طاعة والتزاما، ولكن نأتي ونعتدي على الله بالجهر بالإفطار . . يجب حفظ حرمة شهر رمضان لا سيّما من المريض والمسافر، "وهم قادرون على أن ينكروه"، من خلال النصيحة والحديث يمكن أن يوقفوا المنكر ولكنهم يسكتون ويرضون به، "فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة"<sup>(١٥٢)</sup>، أنت صائم وذاك مفطر، ولكنك تعذب أيضا لأن الإفطار تحول إلى تجاهر وإلى هتك حرمة شهر رمضان وإلى تجاوز على الله، لذلك فالظواهر الاجتماعية كلنا مسؤولون عنها وآثارها مدمرة في الجميع حينما لا نصلح ولا نصحح المسار.

### غزة.. مثال لتفرض المجتمع الإسلامي

اليوم عالمنا الإسلامي مليار ومئتا مليون مسلم، فهل تحول هذا الرقم إلى حقيقة على الأرض وإلى موقف؟، تمشي في الشارع وترى مجموعة من الأشخاص، خمسة أو ستة، وتخاف أن تتحرش بهم أو تسيء إليهم؛ لأنهم عدد كبير وإذا انهالوا عليك بالضرب يؤذونك، ودائماً الوحدة تؤدي إلى القوة، وحدة المسلمين تجعل الآخرين يحسبون مئة حساب قبل أن يتعرضوا لهم ويسبوا لهم، كيان صهيوني غاصب يتجرأ على قتل الأطفال والنساء في غزة في شهر رمضان، والتفجيرات مستمرة والاعتداء مستمر، ولو كان يعرف أن مليارا ومئتي مليون مسلم في العالم الإسلامي سيهبون حينما يُعتدى على بعضهم فهل يستطيع الكيان الصهيوني أن يعتدي هذا الاعتداء ويقتل الكبار والصغار والنساء؟ . . لا يجروء، لكن تفرقنا هو الذي يطمع أعداءنا بنا وهو الذي يجري

أعداءنا علينا فيحصل ما يحصل من هذا الاعتداء الغاشم على الشعب الفلسطيني وعلى المسلمين المظلومين في غزة في هذه الأيام.

إن ما يجري يعبر عن هذه الفرقة التي نعيشها في العالم الإسلامي حتى أصبحنا لا نُهاب ولا يخشى منا، ونكتفي بوضع تصريحات رسمية معينة من حكومات وتنتهي القضية، ومن أمن العقوبة أساء الأدب، واليوم أعداؤنا أمنوا عقوبتنا، ودول عربية ترى هذا الشعب العربي الشقيق يتعرض إلى هذه المحنة وهي غير مستعدة لأن تجمد علاقاتها مع الكيان الصهيوني اعتراضا واحتجاجا على قتل الناس بهذه الطريقة.

إنه عدوان سافر بحق شعب عربي مسلم نحن ندينه ونستنكره بأوضح العبارات، وندعو المجتمع الدولي لأن يتحمل مسؤولياته كاملة تجاه هذا الشعب الأعزل في هذه الظروف، وندعو لفك الحصار عن الشعب الفلسطيني وعن غزة، فالكيان الصهيوني يقصف ونحن دول عربية ومسلمة ونحاصر غزة وفلسطين، فنحن أيضاً نعاقب الشعب الفلسطيني وهذا شيء مؤسف ومؤلم، وهذه من الظواهر الاجتماعية التي سيعم فيها البلاء، "من حلقت لحية جاره فليسكب الماء على لحيته"، وإذا ما اعتدي على الشعب الفلسطيني وسكتنا فسيُعتدى على أي من البلدان الإسلامية الأخرى، ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾<sup>(١٥٣)</sup>، سيعم البلاء الجميع وعلينا أن نقف ونتحمل مسؤولياتنا، إننا ندعو المجتمع الدولي إلى أن يتحمل مسؤولياته وندعو الدول العربية والإسلامية إلى موقف متضامن في نصره الشعب الفلسطيني حتى نوقف نزيف الدم وندافع عن هذا الشعب الأعزل.

نتيجة لفرقتنا نما المتشددون وقووا فينا، وبالأمس تم الاعتداء على بعض مساجد أتباع أهل البيت في إسطنبول بتركيا، إذ أحرقت مساجد المسلمين من أتباع أهل البيت، وقبل شهر أحرقت بعض المساجد أيضاً، لماذا يُحرق بيت الله على خلفيات طائفية ومذهبية، وأين الأجهزة الحكومية في الدفاع عن مواطنيها في هذه البلدان وحرقاتهم الدينية والمذهبية وشعائرهم؟. إننا نستنكر مثل هذه الاعتداءات التي يتعرض لها المسلمون من أتباع أهل البيت في تركيا وتُحرق مساجدهم في وضح النهار، ونطالب الحكومة التركية الموقرة بأن تتحمل مسؤولياتها في ملاحقة المعتدين وفي حماية مواطنيها ودور العبادة في هذا البلد الكريم.



## المواجهة المنضبطة للإرهاب

حينما تعم الأخطاء الاجتماعية فكلنا يتحمل المسؤولية، ونحن اليوم في العراق نواجه الإرهاب بأبشع صورته وأشكاله ونتحمل مسؤولية الاستنفار لتلبية نداء المرجعية في الذب عن الوطن وفي الدفاع عن العقيدة، وهذا حق وواجب وطني وشرعي على كل العراقيين بكل طوائفهم وتوجهاتهم وانتماءاتهم، ولكن مواجهة الإرهاب يجب أن تكون بطريقة منضبطة وبمعايير أخلاقية، هي تلك المعايير الدينية والمثل والقيم والمبادئ التي نلتزم بها. مكافحة الإرهاب يجب أن نفرز الأبرياء من المواطنين فتحميهم وتحافظ على أعراضهم وممتلكاتهم وأرواحهم، عن الإرهابي الذي يستهدف الناس، ويُسلم إلى القضاء لينال جزاءه العادل، وأخشى ما أخشاه أن يتحول هذا العمل المقدس في مكافحة الإرهاب إلى حالة واسعة تمتد لسلوكيات خاطئة، يمكن أن يساء فيها إلى بعض الناس ويُظلم فيها بعض الأبرياء على خلفية مذهبية أو قومية. . إلخ.

يجب أن تبقى عملية مكافحة الإرهاب عملية نقية بعيدة عن كل شائبة، بأن نوجه فوهات السلاح نحو الإرهاب ونجنب الأبرياء أية مضاعفات من هذا الأمر، حتى لو كانت بعض المناطق ساخنة نستهدف الإرهاب وليس المواطنين، نستهدف الإرهاب وليس ممتلكات المواطنين، ويجب أن يشعر المواطن بكل انتماءاته ومذاهبه وقوميته وتوجهاته، المواطن البريء، يشعر بالثقة والاطمئنان أن من يتصدى لمواجهة الإرهاب يحميه، حتى نوحّد الشعب في مواجهة الإرهاب ونبقى متماسكين ونتجنب أية سلوكيات يمكن أن تثير النعرات الطائفية.

نحن نتحمل هذه المسؤولية بشكل أكبر، فإن داعش تقتل الناس ولكنها منظمة إرهابية، ولا أقارن نفسي بداعش ولا أتعامل بسلوك داعش، داعش منظمة إرهابية لا تعرف إلا القتل؛ تقتل الشيعة على خلفية طائفية وتقتل بعض السنة ممن يختلفون معها في الرأي ولا يؤيدونها، ولكننا نحن أبناء العراق، أبناء الإسلام، وهناك قيم ومبادئ ومثل يجب أن تكون حاضرة في عملية مكافحة الإرهاب حتى لا نسيء لأي مواطن بريء، ونوجه فوهات سلاحنا صوب الإرهابيين الذين يستحقون الوقفة الشديدة والحازمة بوجوههم وقتالهم وملاحقتهم.

## تنزيه الله وأنبياؤه وأوليائه من الظلم

القرآن الكريم يحدثنا عن اتهامات ووجهت للأنبياء بالظلم، لاحظوا الآيتين من سورة الأنبياء، وقد وردت في حق إبراهيم: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، من كسر أصنامنا وتجاوز على آلهتنا ظالم، أي إن إبراهيم ظالم؛ لأنه كسر الأوثان ودعا الناس لعبادة الله تعالى، لاحظوا القيم كيف تتبدل والمعايير كيف تختلف ليكون الظالم مظلوما والمظلوم ظالما، وهذا أخطر شيء حينما تتبدل المفاهيم، من يكسر الأوثان في منطق الظالم يكون هو الظالم، في حين هو مظلوم وأراد أن يربط الناس بالله تعالى، فكما لهم ورفعتهم بطاعة الله تعالى، ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾<sup>(١٥٤)</sup>، يذكرهم يعني يذكرهم بسوء، وهذا معناه أنه هو من كسر الأصنام.

وفي سورة القصص: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾، وردت في موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما خرج خائفا يترقب ورأى أحد جنود فرعون يحاول الاعتداء على أحد المواطنين من بني إسرائيل، وهذا المواطن حينما رأى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ استغاثته لينصره فجاء موسى لينصره، ورفع سيفه وتوجه نحو هذا الفرعوني حتى يمنعه من ظلم ذلك المواطن من بني إسرائيل، فقال الفرعوني: ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾، فبالأمس كان هذا الشخص من بني إسرائيل معرضا للقتل على يد فرعوني آخر، فقتل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك الفرعوني وأنقذ هذا الشخص، وفي اليوم الثاني وجد نفس ذلك الشخص في خلاف مع جندي فرعوني آخر، فهذا الفرعوني يقول لموسى: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾.

عجيب!.. كيف يكون من يريد أن ينقذ بريئا ويقف بوجه الظالم، كيف يكون ظالما؟ بل هو المظلوم، ونصرة المظلوم منقبة، والوقوف مع المعتدى عليه فضيلة، ولكن في المنطق الفرعوني يكون كل من يقف بوجه الظالم هو الجبار والظالم، ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾<sup>(١٥٥)</sup>، هذا اعتراف من الفرعوني بأن موسى مصلح، يعني الانطباع عند الفراعنة أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الحق، فلماذا لا تتبعونه وتسمعون كلامه، ولماذا لا تلتزمون منهجه؟.. يعرف أن الحق مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لكنه يكابر، ولذلك فالقرآن الكريم يحدثنا عن تنزيه الله تعالى وأنبياؤه والأئمة الأطهار من الظلم.

١٥٤. سورة الأنبياء: الآية ٥٩ - ٦٠.

١٥٥. سورة القصص: الآية ١٩.

في سورة آل عمران: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا  
لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١٥٦)</sup>، الله ليس ظالماً لعباده ومنزه عن الظلم.

وفي سورة البقرة: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾، الله اختبره بمجموعة من  
التعليمات، ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾، عمل إبراهيم بها، ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، ما دمت  
ملتزماً ومطيعاً فسأجعلك للناس إماماً وقدوةً، ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي  
الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١٥٧)</sup>، الظالم لا يكون إماماً، والظالم لا يكون نبياً، فالنبي والإمام منزهان  
عن الظلم ولا يرتكبانه. . وللحديث صلة في هذا الموضوع المهم تأتي تباعاً، والسلام  
عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

١٥٦. سورة آل عمران: الآية ١٠٨ .

١٥٧. سورة البقرة: الآية ١٢٤ .



الأمسية الثانية عشرة ٢٠١٤/٧/١٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين  
وصحبه المنتجبين الميامين .

السادة الأفاضل، الإخوة الأعزاء، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم  
وصيامكم وقيامكم في هذا الشهر الفضيل، شهر رمضان المبارك .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

تحدثنا عن تنزيه الله (سبحانه وتعالى) أنبيائه ورسله والأئمة الأطهار من الظلم  
بحسب بعض الآيات التي تلونها في لقاءنا السابقة، وانتهينا إلى موضوع مهم آخر  
وهو موانع الظلم؛ ما هي الحصانات والكوابح . . ما هي الأمور التي تمنع الإنسان من  
الوقوع في الظلم في رؤية القرآن الكريم؟، وما هي السمات التي لو أوجدناها في أنفسنا  
ابتعدنا عن الظلم وخرجنا من خندق الظالمين إلى الخندق الآخر؟ . . وهناك مجموعة  
من الأمور يشير إليها القرآن على أنها موانع ومصدات لا يقع معها الإنسان في الظلم .

### موانع الظلم في الرؤية القرآنية

#### الأول والثاني : الإيمان والعمل الصالح

إن الإيمان والعمل الصالح سلاحان فتاكان مهمان يقفان بوجه الظلم ويمنعان  
الإنسان من الوقوع فيه . . ففي سورة ص: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾، الذين يختلطون  
في العلاقات، والناس القريبون بعضهم من بعض والجيران والأصدقاء والشركاء في

عمل ما، هم خلطاء، والخليط الذي يختلط بالآخر بشكل مستمر وعنده تواصل واحتكاك مع الآخر، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، سبحانه الله، الإنسان يقول نحن نحذر من الأعداء ومن الغريب أو البعيد، لكن القرآن يقول: ﴿كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ﴾، أقرب الناس إليك يطعنونك من الخلف ويتجاوزون عليك ويظلمونك ويعتدون عليك. من الخلطاء؛ أي شريك يعتدي على شريك، وجار يسيء إلى جاره، وصديق يظلم صديقه، وهم كثير، فهي ليست ظاهرة بسيطة أو حالة استثنائية وليست حالة طارئة.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، المؤمن والذي يعمل العمل الصالح أولئك لا يظلمون، إذن فالإيمان والعمل الصالح مصدر أمام الوقوع في الظلم، وبدون الإيمان والعمل الصالح يقع كثير من الخلطاء في الظلم، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾<sup>(١٥٨)</sup>، يعني هم قليل، و(ما) زائدة، فقليل من الخلطاء لا يظلم شريكه ولا يظلم جاره ولا يظلم صديقه ولا يظلم حليفه، ومن أجل بيان شدة القلة، فبدلاً من أن تقول الآية هم قليل، قالت: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾، بتقديم كلمة (قليل) على الضمير (هم)، وتقديم القليل إشارة إلى شدة قلة من يتمتع بالإيمان والعمل الصالح والمبدئية والتعاطي المسؤول مع الخلطاء ومع الشركاء.

هذه الآية الشريفة تشير إلى أن العلاقات الاجتماعية الرصينة والصحيحة والتي يتجنب فيها الظلم، إنما هي علاقات تُبنى على أساس الإيمان والعمل الصالح، ولذلك حينما تغيب هذه القيم من مجتمعنا يظهر ما نراه اليوم على الشاشات؛ اتهامات وتراشقات وتخوين وتصعيد وتفرق، حتى بات المواطن لا يعرف ما هو الصواب وما هو الخطأ.

### نتائج غياب القيم والاستقامة في العلاقات

أصبح المواطن لا يعرف ما هو الصدق وما هو الكذب؛ فهذا يخون ذاك وذاك يتهم هذا والناس في حيرة من أمرها، والمرجعية العليا الحريضة على العراقيين تدعو السياسيين إلى تهدئة الساحة، فالبلد يحترق والأعداء يتمكنون من مساحات واسعة من بلادنا والظروف السياسية ملتهبة، وعلينا أن نشكل برلماناً وحكومة، وهذه كلها تحتاج إلى مشاورات ومداومات وتفاعلات وحوارات، والخطر القاتل الذي يخاطر بكل هذه المسارات هو حالة الشد والتأزيم والصراعات والخصومات والصراخ والاتهامات

١٥٨. سورة ص: الآية ٢٤.

المتبادلة . . كيف نتفاهم وهذا يتهم ذاك ، وذاك يتهم هذا؟ ، وعلى أي قاعدة نتحاور إذا كان الشريك يتهم شريكه في الوطنية وفي الأمانة وما شابه ذلك؟ ، وكيف نخرج من هذا المأزق ونعالج هذه الأزمات؟ ، وكيف نستشرف المستقبل وكيف نظمئن جمهورنا؟ . . هل قدر العراقيين أن يخرجوا من حفرة ويقعوا في بئر؟ . . المواطن العراقي يقول نريد أن نعيش كما تعيش بقية الشعوب في بلدانها؛ تعمل وتعيش وتتعبد وتذهب وتأتي وتمارس حياتها بشكل طبيعي .

متى يستطيع العراقي أن يعيش كما يعيش الناس في بلدانهم؟ . . لماذا هذه الأزمات المستمرة؟ . . لماذا هذا الشد والانفعال المستمر؟ . . كيف نستطيع أن نبني دولة وحكومة تحقق الرفاه والعزة والكرامة للعراقيين من دون أن نثق بالشريك ومن دون أن نتعاون مع الآخر ، وإن كانت من أخطاء فلا بُدَّ من أن تناقش بعيداً عن الأضواء وتناقش في الأروقة الخاصة ، وإذا أردنا أن نكون موضوعيين فلا بُدَّ من أن نسمع لمخاوف كل الأطراف وليس لطرف واحد؛ أنا عندي ملاحظات على زيد ، ولكن أليس لزيد ملاحظات عليّ؟ . . لأسمع من الآخر ماذا يقول ، لنجلس إلى طاولة الحوار ، وأضع مخاوفي والآخر يضع مخاوفه ، وأعاتبه وهو يعاتبني ، وأطرح ملاحظاتي عليه ، وهو يطرح ملاحظاته عليّ ، فهذا هو الدستور وهذه هي المحبة ونحن أبناء وطن واحد ، والذي لك نعطيك إياه حتى لو كان على خلاف قناعتنا ، والذي لنا أعطنا إياها حتى لو كان على خلاف قناعتك ، "تعالوا إلى كلمة سواء" ، تعالوا لتفاهم .

عندنا دستور وقانون وعندنا اتفاقات وتفاهمات ، وعندنا شراكة دماء وتضحيات وتاريخ ، وعندنا مستقبل وعندنا شعب وضع الثقة فينا ، وعلمنا أن نكون على قدر المسؤولية ، أين الخلل في هذه الفكرة وفي هذه الرؤية؟ . . نحتاج إلى أن نتفاهم ، وإذا كنت سلفاً قلت إن الكل غير وطنيين وغير شرفاء وغير جادين وغير مسؤولين ولا يستحقون الشراكة ، فهل أنا جيد والبقية كلهم غير جيدين ، من قال لك؟ وأين الدليل؟ . . كيف أستطيع أن أقنع الشعب بأكملهم بأنهم كلهم مخطئون وأنا فقط المصيب؟ . . هذا غير ممكن ، وإذا كانت هناك أخطاء فقدردنا أن نتعايش معاً ولا نملك خياراً آخر ، هل نقسم العراق وكل يذهب في شأنه؟ ، هذا البلد الكبير المحوري بحضارته وتاريخه وثرواته وإمكاناته ، وقد عاش أهله متآخين ومتحابين في ظروف الدكتاتورية ، ألا يستطيعون العيش معاً في ظروف الديمقراطية والحرية؟ ، هل ما يجري كله تآمر؟ ، هل تنقصنا الحيلة في أن نتعاون مع بعضنا ونضع يداً بيد ونقف بوجه أعدائنا؟ .

لقد أصبح الشعب والمسؤولون يشتكون معاً؛ أن هذا تآمر علينا ، وذاك تآمر

علينا . . . ، ألا نستطيع أن نتعامل بشكل صحيح ونجمع هؤلاء ونجعل من ديمقراطيتنا مصلحة للآخرين، نجعل من تعايشنا مصلحة للآخرين؟، وأريد أن أقولها بصراحة؛ إن التقسيم ليس حلاً، فالتقسيم لا ينهي المشكلة، بل سيفاقم المشاكل أضعافاً مضاعفة عما هي عليه الآن، فاليوم كلنا في عراق واحد، وهذه المنطقة من يجلس فيها ومن يحميها وبأي قوة، ضمن العراق الواحد، وغداً إذا صارت دولاً، لا قدر الله ذلك، فعلى كل شبر هناك حروب وصراعات، ومن يتنازل للآخر؟، إذا لم نتنازل في العراق الواحد ونضع الأمور في سياقها الصحيح، إذن لا أحد يرفع يده عن شبر من الأراضي التي وضع يده عليها وهذا سيعني حروباً دامية، فمن سيستفيد؟، هل يستفيد العراقيون؟ . . . أبداً، لا عربهم ولا كردهم ولا تركمانهم ولا شيعتهم ولا سُنتهم ولا مسيحيوهم، فهل ستستفيد المنطقة؟ . . . كلا، إذا تشظى العراق لا قدر الله، فلن يقف الأمر عند حدود العراق بل سيستمر هذا التشظي وتسقط المنطقة برمتها كقطع الدومينو.

إن هذا لعب بالنار ويجب أن نكون حذرين منه جميعاً، ولذلك فالطبقة السياسية معنية اليوم بأن تقف وتستحضر مبدئيتها وتستحضر الشراكة التاريخية والمعاناة المشتركة في عهود الظلام والدكتاتورية، وأن نشيع أجواء المحبة والوئام والتفاهم والتسامح، وتعاون بعضنا مع بعض ولا نكون من الخلطاء الذين يظلم بعضهم بعضاً، ويجب ألا نكون من الكثير الذي أشارت إليه الآية الشريفة؛ "وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض"<sup>(١٥٩)</sup>، لا نكن من هؤلاء ولنرسم واقعاً يفخر به شعبنا ويعتز بمن وضع الثقة فيهم في الانتخابات الأخيرة، ويشعر أنه وضع الثقة في قوى مسؤولة، تبذل جهودها من أجل الحفاظ على وحدة البلد، وهذه مسألة مهمة جداً أتمنى من الجميع أن يلتفت إليها. ما يجمعنا مع بعضنا أكثر بكثير مما نختلف فيه، والمشاركات أعظم وأكبر، ويجب أن نحكم هذه المشاركات ونغلبها على موارد الاختلاف حتى ننتقل في بناء وطننا ومشروعنا.

### الثالث: التقوى

المانع الثالث هو التقوى والوقوف عند الحرام؛ فقبل أن أخطو خطوة أنظر هل هذا حلال أو حرام، يجوز أو لا يجوز، هذه حالة التقوى، وفي سورة مريم: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، كلكم تدخلون نار جهنم، ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾، الله قضى أن الجميع يدخلون نار جهنم، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أما المتقي فننجيه وننقذه، ﴿وَنَذَرُ

الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا»<sup>(١٦٠)</sup>، أما الظالم فيبقى جاثيا في النار، فالتقوى في قبال الظلم، والمتقي نجيته والظالم يبقى في النار، وهنا اختلف المفسرون في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، ما معنى واردها، هل الصالح والمتقون يدخلون النار؟، بعض المفسرين قال هذا الورود بمعنى الإشراف وبمعنى الإحاطة، أي كل الناس برهم وفاجرهم، صالحهم وطالحهم، يشرفون على النار، لكن الصالح يعبر والطالح يقع، فالإنسان المستقيم يعبر بسلام، والإنسان الظالم يقع في النار، فواردها يعني أنه محيط بها ومشرف عليها.

البعض الآخر من المفسرين قالوا كلا، فالمراد بها المعنى الحقيقي، والكل يدخل ويرد النار ولكن المتقي والصالح تكون النار عليه بردًا وسلامًا، فلا يحترق بهذه النار ولكن يراها، وقد يقول قائل ما الحكمة في أن يدخل الصالح النار ويرى لهيبتها حتى لو لم يحترق بها، ما الفائدة من ذلك؟. فيردون أن الأشياء تُعرف بأضدادها، فيجب أن يرى النار ولهيبتها حتى لو لم تحرقه، لكي يعرف عظمة النعمة التي أعطاها الله له عندما يدخل الجنة، فهذه زيادة في الأجر والثواب والعرفان بما منحه الله (سبحانه وتعالى) لصالح أوليائه، فحين تنظر إلى النار تعرف قيمة الجنة أكثر.

عن أبي سمية قال: "اختلفنا في الورود"، ناقشنا هذه الآية الشريفة واختلفنا في معنى الورود؛ هل هو الإشراف والإحاطة أو هو المعنى الحقيقي؟، "فقال قوم لا يدخلها مؤمن"، البعض قال لا يدخل المؤمنون النار، فهذه معناها الإحاطة، "وقال آخرون يدخلونها جميعاً"، حتى المؤمن، ثم ينجي الله الذين اتقوا، هذا الراوي يقول: "فلقيت جابر بن عبد الله الأنصاري"، هذا الصحابي الجليل من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، "فسألته"، عن هذا الموضوع، "فأوى بإصبعيه إلى أذنيه"، أشر بإصبعيه إلى أذنيه، "وقال: صُمَّتَا"، أي الأذنان، "صُمَّتَا إن لم أكن سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: الورود الدخول"، أي ليس الإحاطة، وليس الإشراف، وليس الوقوف والنظر إلى نار جهنم، بل الورود هو الدخول، فالجميع يدخلون النار، البر والفاجر، "فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا"، المؤمن في راحة، بردًا وسلامًا لا تحرقه النار، لكنه يراها ويقرب منها ويرى الآخرين كيف يكتون بنارها ويحترقون بلهيبتها، ليرى ويعرف عمق المحنة للمذنبين والعصاة في هذه النار، "فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا، كما كانت على إبراهيم"، في إشارة إلى ما حصل لإبراهيم؛ "يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم"<sup>(١٦١)</sup>.

١٦٠. سورة مريم: الآية ٧١ - ٧٢.

١٦١. سورة الأنبياء: الآية ٦٩.



"حتى أن للنار أو قال لجهنم"، جابر يشك بالنص عن الرسول؛ هل قال النار أو جهنم، "حتى أن للنار أو لجهنم ضجيجا من بردها" (١٦٢)، تضحج النار من هذه البرودة التي تحيط بالصالحين، "ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا"، يتركهم فيها جاثين.

وفي رواية أخرى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تقول النار للمؤمن يوم القيامة جُزٍ أي اعبر بسرعة يا مؤمن، "فقد أطفأ نورك لهبي" (١٦٣)، نورك يا مؤمن، أطفأ لهيب هذه النار فاعبر بسرعة، فالنار وظيفتها أن تستعر وتحرق أعداء الله، فيا مؤمن لقد غطى نورك على لهيب النار فاعبر بسرعة، نسأل الله أن نكون ممن يحمل هذا النور وممن يغطي على لهيب جهنم.

في رواية أخرى عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أخبرني الروح الأمين أن الله لا إله غيره إذا وقف الخلائق وجميع الأولين والآخرين أتى بجهنم ثم يوضع عليها صراط"، جسر على جهنم، "أدق من الشعرة"، كم سمك الشعرة ليكون أدق منها؟. في الألعاب البهلوانية يضع البهلوان حبلاً ويمسك عصاً ويسير على الحبل، والصراط الذي يوضع أدق من الشعرة، فانظر إلى الصراط كيف هي دقته، "وأحد من السيف"، حاد جداً ورقيق، والناس يجب أن تعبر عليه، "فيكلفون المرور عليه" (١٦٤)، يطلب منهم أن يعبروا على هذا الصراط ليصلوا إلى الجنة، فكل واحد بحسب أعماله، فإذا كانت أعماله لا تسعفه لا سمح الله فسوف يقع.

### عبور الصراط مرهون بأعمال العباد

رأيت في إحدى الروايات وصفاً تفصيلياً، إذ يقال إن هناك أناساً يركضون في العبور، وآخرين يسرون ببطء وهناك من يسير ويقع ويتمسك بصعوبة، ويصعد بمشقة على الصراط ويسير خطوة ويقع مرة أخرى، ولهيب النار يأخذ منه مأخذاً، فحتى يعبر هذا الجسر (١٦٥)، الله أعلم كم يأخذ من الوقت والجهد ويعذب حتى يطهر ثم يعبر، فكل واحد حسب أعماله يتجاوز الصراط.

وفي رواية أخرى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "يرد الناس النار"، يدخلون

١٦٢. بحار الأنوار ٨: ٢٤٩.

١٦٣. بحار الأنوار ٨: ٢٤٩.

١٦٤. الكافي ٨: ٣١٢، ح ٤٨٦.

١٦٥. انظر: بحار الأنوار ٨: ٦٤، ح ١.

النار، "ثم يصدرون بأعمالهم"، يدخلون كل بعمله، "فأولهم كلمح البرق"، البعض منهم يعبر كالبرق، لأن أعماله كاملة وصالحة، وقد استفاد من الدنيا فائدة جيدة، وحقق حضوراً حقيقياً والتزاماً وإيماناً وعملاً صالحاً وتقوى، والضوء أسرع الأمور، ولذلك تحسب المجرات بالسنة الضوئية، بسرعة الضوء لسرعة حركتها، فالبعض يعبر بسرعة الضوء، "ثم كمر الريح"، البعض الآخر أقل من ذلك، لكنه بسرعة الريح. . يقال هبت عاصفة بسرعة (١٠٠) كم أو (١٢٠) كم في الساعة، في العواصف الشديدة، وهذا يعبر بهذه السرعة، "ثم كحضر الفرس"، الفرس حينما تسرع، فهو أقل من السابق، يعني (٨٠) أو (٩٠) كم، بحساباتنا المادية، "ثم كالراكب"، البعض الآخر عنده حساب، لكن وضعه جيد أيضاً، فهو كراكب ولكن الفرس يسير ولا يركض، "ثم كشد الرجل"، مثل رجل يسير بسرعة، "ثم كمشيهِ"<sup>(١٦٦)</sup>، تصبح مشية عادية، والنار تحته ولهبها يتصاعد وهو يعبر ولا يستطيع أن يركض، كل بحسب عمله، وفي رواية أخرى كان كما ذكرت لكم أقل من هذا، فالبعض قد يسقط ويصعد من جديد ثم يسقط ويصعد من جديد وهكذا، حتى يتجاوز الصراط، فكل الإنسان بحسب عمله، وهذه نتائج التقوى.

الرابع : مخافة الله

#### الإخلاص في العمل وصدق النية

مخافة الله (سبحانه وتعالى) في هذه الدنيا مانع من موانع الظلم والاعتداء والتجاوز على الآخرين، في سورة المائدة: "واتل عليهم"، يا رسول الله قصص على المسلمين هذه القصة، وهذا الأسلوب القصصي في إيصال المفاهيم والتربية والتنشئة والإعداد، والمنهج القصصي في القرآن الكريم منهج مهم، فمن أول القرآن إلى آخره ترون الكثير من القصص التي يقصها القرآن الكريم عن تجارب الأمم السابقة، لا سيما أن القواعد والسنن التي تحكم هذه الدنيا هي سنن واحدة ومعادلة واحدة، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾<sup>(١٦٧)</sup>، السنة نفسها، فالأسماء والأزمنة والأمكنة تتغير، ولكن القواعد والقوالب هي نفسها، معادلة رياضية (٢+٢) تساوي أربعة، وأياً كان هذا الشيء الذي تحسبه فالنتيجة نفسها، فالقواعد والقوالب الاجتماعية قوالب ثابتة، فإذا رأيت ما جرى على الأمم السابقة من ظلم وماذا جرى على الظالمين ومن أساء

١٦٦ . بحار الأنوار ٨ : ٢٤٩ .

١٦٧ . سورة فاطر : الآية ٤٣

إلى الآخرين، ومن أحسن وعمل عملاً صالحاً ماذا كانت نتيجته، فهي نفسها ستمر علينا وعلى الأقوام والأمم الأخرى.

"واتل عليهم"، يا رسول الله قص عليهم، "نبأ ابني آدم"، قص عليهم قصة ابني آدم، والقرآن لم يذكر اسمهما في أي موضع من مواضعه، ولكن ذكر في الروايات أنهما هاييل وقابيل، وهاييل كان صالحاً وشهماً وشجاعاً ومن أهل الخير والصلاح، وقابيل حقود حسود، في قلبه غل وبغضاء وقلبه أسود، سبحانه الله، وهما أخوان من أب واحد وأم واحدة، وابنا نبي، ومن رحم واحدة، بتربية وتنشئة واحدة، وليس هناك فضائيات أفسدت هذا حين شاهدهما، والآخر لم ير الفضائيات، وهما هاييل وقابيل فقط، أحدهما يصبح مظهرًا للخير والآخر يصبح مظهرًا للشر، فانظروا إلى النزعات، فلا ينفك ابن من أنت، ومن أنت وماذا أنت، فقابيل ابن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وابن نوح أين أصبح؟ . . ليس المهم الانتساب، مع أن الانتساب للأنبياء ولرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شرف، ولكن المهم العمل ومخافة الله.

"واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق"، حدثهم يا رسول الله بحقيقة ما جرى وليس الخرافات التي تذكر هنا وهناك، والناس تسمع قصصا كثيرة وكلاما كثيرا، ولا تعرف الغث من السمين، يا رسول الله اذكر لهم حقيقة الأمر وماذا جرى لهاييل وقابيل، "إذ قربا قرباناً"، الله (سبحانه وتعالى) أراد منهما قربانا يتقربان به إلى الله، ويقال إن هاييل كان يرعى الغنم، أي عنده غنم، فعندما طلب منه أن يقدم قرباناً قال هذا لله (سبحانه وتعالى)، وبحث عن أفضل شاة عنده وأسمنهن وأكبرهن وأفضلهن، وقال حينما أقدم بين يدي الله قرباناً أتقرب به إلى الله يجب أن أقدم الأفضل، فرفع الكبش الكبير وقدمه قرباناً بين يدي الله، أما قابيل فكان فلاحاً، وقال أنا أتعب والزرع ثمين، لأرفع التالف والرديء من أنواع الزرع، ونحن نعطي الأثواب العتيقة للفقير . . فهاييل قدم أفضل ما عنده قرباناً وقابيل قدم أردأ شيء .

"فُتِّبَلْ من أحدهما ولم يُتَقَبَلْ من الآخر"، الله قبل القربان من هاييل ولم يتقبل من قابيل، كيف عرفا ذلك؟ . . البعض يقول إنهما رفعا القرايين ووضعاهما على جبل، فجاءت صاعقة إلى قربان هاييل وأحرقته، بمعنى قبوله من الله سبحانه وتعالى، أما قربان قابيل فترك في مكانه، أي لم يقبله الله، وبعض المفسرين قالوا إن آدم نبي من كبار أنبياء الله، والله وأوحى إليه أنه تقبل من هاييل ولم يتقبل من قابيل، أي صار واضحاً أن الله قبل القربان من هاييل ولم يقبله من قابيل، كيف كان رد فعل قابيل؟، "قال لأقتلنك"، انظروا إلى الحسد والغيط والقلب الأسود؛ هذا أخوك، من أمك وأبيك، وقد قدم قرباناً

والله تقبل منه ولم يتقبل منك ، فلماذا تريد قتله؟ . أنت طالب في الجامعة وذاك نجح وأنت لم تنجح ، لماذا تقتله ، وهل هذه مشكلتك أو مشكلته؟ . وانظروا إلى الإنسان الفاشل ؛ بدلاً من معالجة مشكلته يتهم الآخرين ويبحث عن شخص ليرمي المشاكل عليه ، يا قابيل أنت عمك غير صالح ، ونيك غير نظيفة ، غير خالصة لله ، والله لم يقبل منك فاذهب وأصلح نيتك وطهر قلبك وصحح مساراتك ، لماذا تتهم هاويل وتريد تقتله؟ .

لماذا نبحث عن شماعات نعلق عليها أخطاءنا وفشلنا؟ . لماذا لا تكون لدينا جرأة لنعالج مشاكلنا؟ ، لذلك قالوا إن الاعتراف بالخطأ فضيلة ، كل واحد يستطيع عمل هذه الفضيلة ، ويراد لها شجاعة بأن يقف أمام الشعب ويقول ؛ أيها الشعب العراقي لقد أخطأت ولم أستطع وفشلت ، أرجو المعذرة وهذه الأمانة أسلمها لكم ، فأنتم عملتم مني نائباً وأميراً . أنا لست على مقاسها ولا أستطيع ، وهذه الأمانة ، وأعتذر منكم وقصرت بحقكم ، والناس ستقبل وتقول إن عنده شجاعة ووقف وقال لا أستطيع .

قابيل ليس عنده هذه الجرأة ، ﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ ، يا هاويل ، كيف تقبل الله منك ولم يتقبل مني؟ ، ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، رد عليه هاويل بأن المشكلة ليست بي ، بل التقوى والنية الصالحة والعمل الصحيح ، هي التي تحقق النتائج . . عالج نفسك ولا تتهم الآخر ، ﴿ لَبِئْسَ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي ﴾ إذا مددت يدك لتقتلني لأن الله تقبل مني ولم يتقبل منك ، ﴿ مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ ، حتى لو أردت مد يدك لتقتلني فأنا لا أرتكب الظلم والاعتداء ولا أمد يدي واقتلك ، لماذا؟ ، ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، إذن مخافة الله تمنع من وقوع الظلم ، ومخافة الله لا تسمح لي بأن أعتدي عليك واقتلك حتى لو بسطت يدك لتقتلني ، ﴿ مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، هذا الشاهد ، ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي ﴾ ، أريد أن ترجع إلى الله سبحانه وتعالى ويدك ملطخة بدمي وبمعصية قتلي ، ﴿ وَإِثْمِكَ ﴾ ، إضافة إلى الذنوب التي أنت مبتلى بها ومنعت من قبول قربانك من الله (سبحانه وتعالى) .

لو لم تكن مأثوماً ومذنباً لتقبل الله منك ، وما دام لم يتقبل إذن هناك إثم عليك يجب أن تحاسب عليه ، وإذا أردت أن تمد يدك وتقتلني فسيكون هذا إثماً تحاسب عليه ، فضلاً عن الإثم الذي ارتكبته والذي منع من قبول قربانك من الله سبحانه وتعالى . ﴿ فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ ، والعياذ بالله ، ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ <sup>(١٦٨)</sup> ، من يتخلف عن مخافة

الله ، ومن يتخلف عن التقوى ، والذي يبتلى بالحسد والغيرة والبغضاء والشحناء ويكون قلبه مظلمًا ، ومن لا يستطيع أن يرى الخير للآخرين ، ومن لا يستطيع أن يرى النجاحات للآخرين ، فهو من أصحاب النار والله (سبحانه وتعالى) يعاقبه على ذلك . نسأل الله أن يدفع عنا وأن يجعلنا من المتقين وممن يخاف الله (سبحانه وتعالى) ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأمسية الثالثة عشرة ١١/٧/٢٠١٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين  
وصحبه المنتجبين الميامين .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأسأل الله تعالى لكم صالح الأعمال في هذا الشهر  
الفضيل .

تحدثنا في عدة نقاط عن الظلم وعن موانع الظلم التي تمنع الإنسان من الوقوع فيه .

#### موانع الظلم:

المانع الأول: الإيمان

المانع الثاني: العمل الصالح

المانع الثالث: التقوى

المانع الرابع: مخافة الله

المانع الخامس: الالتفات إلى نصر الله وتسديده

حينما يلتفت الإنسان إلى أن الله تعالى ناصره، وأن الله يسدده في عمله وأدائه، فهذا  
يمنعه من الوقوع في الظلم؛ لاحظوا في سورة الإسراء، هذه الآيات الشريفة التي تشير  
إلى ستة أحكام مهمة، والشاهد هو في أحد هذه الأحكام، ولكن لأهمية هذه الأحكام  
نستعرضها كاملة .

### الحكم الأول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً إِمْلَاقٍ﴾، أيها الناس؛ لا تقتلوا أبناءكم وبناتكم خوفا من الفقر والفاقة، وظاهرة قتل الأبناء والبنات هذه كانت قائمة في الجاهلية، فالبعض منهم كان يدفن بناته وهنّ على قيد الحياة، ومن أسباب وأد البنات أنهم كانوا يرون في البنت مصدر شؤم؛ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُسْئِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(١٦٩)</sup>، فهي شؤم بنظرهم، والبعض الآخر يخشى العار؛ فالجاهلية كانت مليئة بالحروب والاعتداءات، وحينما تغزو جماعة أخرى، يقتلون الرجال ويأسرون النساء، ولكي لا يبتلى الرجل بهذه القضية ولا تكون هناك وصمة في عرضه، فإنه يقوم بقتل البنت.

والسبب الثالث هو الفقر، وهذا السبب مشترك بين البنات والبنين، فكان الرجل يقتل ابنه أو بنته خوفا من الفقر، والله تعالى أنزل هذا الحكم في هذه الآية: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً إِمْلَاقٍ﴾، لا تخافوا على رزقهم ولا تقلقوا من الفقر وتقتلوا هؤلاء بهذه الطريقة. اليوم في عالمنا المتحضر هناك إجهاض، فهناك من يأخذ زوجته ويطلب من المستشفى إسقاط الجنين، لماذا؟. يقول إن عندي اثنين أو ثلاثة، وهذا يؤدي إلى نمو في السكان والدنيا تضيق بأهلها، وحتى نقلل من النسل فلا بدّ من أن تكون هناك قيود، وإذا فلت وأصبح من دون قصد نسقطه، وهذا الكلام كله يدينه الله تعالى وينكره وينهى عنه: "ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم"، لولا التسديد الإلهي ولولا رزق الله، فأنت نفسك لا تستطيع العيش، وكما أن رزقك على رب العالمين فإن رزق هذا المولود على الله أيضًا، فلا تقلق، ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾<sup>(١٧٠)</sup>، جنين في رحم أمه أو ولد للتو، حاله كحالك، فلا يجوز قتل الناس.

### الحكم الثاني: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا﴾

هذا الذنب المهلك الفتاك الذي يربك صفو العلاقة الاجتماعية بين الناس؛ الاعتداء على الأعضاء وعلى نوااميس الآخرين، "ولا تقربوا الزنا"، تلاحظون في هذه الآية الشريفة أن الله تعالى لم يقل ولا تزنوا، وإنما "ولا تقربوا الزنا"، ليس فقط لا تزنوا وإنما كل المقدمات التي تقربكم من الزنا لا تعملوها ولا تقربوها. الزنا فعل يمثل نتيجة،

١٦٩. سورة النحل: الآية ٥٨ - ٥٩

١٧٠. سورة الإسراء: الآية ٣١.

ولكن هناك مقدمات؛ ابتسامة ومشاعر محرمة مع جنس آخر وبيئة منحرفة وتجمعات مشبوهة وتحلل خلقي وملابس فاضحة ومثيرة، كلها تقرب سلوكيات غير منضبطة، وكذلك أفلام غير أخلاقية ومواقع في التواصل الاجتماعي غير مناسبة، كتبت فيها مضامين غير لائقة وغير أخلاقية تحت غطاء الأدب والقصص، ولكنها تثير المشاعر لدى الشباب، فضلاً عن غياب الرقابة على الشباب المراهقين، وصديق السوء يأخذ الإنسان ويفتح عينه على الحرام.

ومن ذلك تأخير الزواج، ففي الجامعة شباب وشابات وقد يضعف الإنسان، وكلما تأخر الزواج فإن هذا ليس في صالح الشاب، ويبدأ الإنسان بالتشاغل وقد لا يضبط أعصابه، ويفتح عينه على علاقات غير مشروعة فيلوث، هذه حقائق يجب أن نتحدث بها، ومن تلوث مع نساء هذا عملهن، فسوف يرى من تلك النساء ما لا يراه من بنت الحلال النجبية، وحين يأتي إلى بيته وهذه لا تعرف الكثير من الأشياء، فيرى أن بنت الحلال لا تستطيع أن تلبى له هذه الرغبات، "ولا تقربوا الزنا"، يجب أن تكون بيئتنا الاجتماعية بيئة صحية وعلاقاتنا علاقات صحية، وحركة المجتمع تفرض نوعاً من الاختلاط في المؤسسات التعليمية وفي الدوائر الحكومية، فكيف يمكن أن نقنن هذا الاختلاط ونضع إطاراً وأدباً معينة للتعامل بين الجنسين حتى نحافظ على الجميع ونصون المجتمع، فهذه العفة والنجاسة والحدود الشرعية والحياة مفاهيم وقيم أخلاقية عظيمة تبني المجتمع بناءات صحيحة، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاخِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>(١٧١)</sup>، إنه بنس الطريق والمسلك، لأنه يكون مقدمة للكثير من الانحرافات التي تلي ذلك فلا بُدَّ من تجنب هذا الأمر.

عن علي عليه السلام: "في الزنا ست خصال؛ ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفناء، وأما اللواتي في الآخرة فغضب الرب وسوء الحساب والدخول في النار أو الخلود في النار"<sup>(١٧٢)</sup>، هذه هي الآثار المؤلمة للزنا.

### الحكم الثالث: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

الدم له حرمة، والنفس البريئة عظيمة عند الله تعالى، فكيف نحافظ عليها وندقق في مسألة الدماء؟.. البعض يقتل وكأن الإنسان حشرة.. بأي حكم شرعي وبأي موقف وبأي دين تدعي الإيمان به تقتل الناس؟، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ

١٧١. سورة الإسراء: الآية ٣٢.

١٧٢. بحار الأنوار ٧٦: ٢٢، ح ١٥٢.



إِلَّا بِالْحَقِّ» (١٧٣)، القرآن يعتبر من يقتل نفسا واحدة كأنما قتل الناس جميعا، كما في سورة المائدة: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا يَغْيِرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» (١٧٤)، لأن من يقتل إنسانا بريئا فسوف يقتل الثاني والثالث، وقد استهدف قواعد هذه الحياة وهو الوثام، لذلك هذا ذنب عظيم.

في آية أخرى اعتبر الخلود في النار من الآثار الحصرية للكفر، والله لا يعطي للقاتل توفيق الإيمان، في سورة النساء: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا» (١٧٥).

عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»، الإسلام بهاتين الشهادتين، والمسلم لا يجوز الاعتداء عليه، «إلا لإحدى الثلاث؛ النفس بالنفس»، كما يقول الله تعالى: «وَأَكْمُرُ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» (١٧٦)، فمن يقتل يقتل حتى يصبح عبرة لمن اعتبر، «والزاني المحصن»، الذي يزني وهو محصن، أي هو رجل عنده زوجة أو امرأة عندها زوج، فهما محصنان وهذان يُقتلان بالرجم، ولكن الشخص الذي ليس عنده زوجة أو المرأة التي ليس عندها زوج لا يكونان محصنين، فهناك حد ولكنه ليس القتل، «والتارك لدينه المفارق للجماعة» (١٧٧)، أي المرتد، وهذه مفارقة غريبة؛ فمن ناحية لا إكراه في الدين، «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ» (١٧٨)، أنت غير مجبور على أن تصبح مسلما، ويجب أن تقرر وتعتنق الإسلام عن قناعة، وإذا كنت لا تريد فأنت مخير، ولكن إذا اقتنعت بالرؤية الإسلامية واعتنقت الإسلام وأصبحت مسلما وأردت أن تكسر شوكة المسلمين وتربك النظام وتضعف المسلمين بارتدادك وانسحابك، فهنا الأمر ليس قصة عقيدة وإنما أصبحت القضية فيها أبعاد اجتماعية وسياسية، إذ تريد إضعاف شوكة المسلمين وهذا لا يسمح به.

حكم القتل على المرتد كما يبدو ويذكر العديد من الفقهاء هو حكم اجتماعي سياسي أكثر من كونه حكما عقديا، لأن العقيدة بمفردها لا إكراه فيها، هناك حوار مع الكافر والمشارك ومع أهل الكتب، ولا أحد يُرغم على الإسلام، ولكن المرتد فيه

١٧٣. سورة الإسراء: الآية ٣٣.

١٧٤. سورة المائدة: الآية ٣٢.

١٧٥. سورة النساء: الآية ٩٣.

١٧٦. سورة البقرة: الآية ١٧٩.

١٧٧. مسند أحمد ١: ٤٤٤.

١٧٨. سورة الكافرون: الآية ٦.

بعد اجتماعي وبعد سياسي؛ إذ بارتداده يكسر شوكة المسلمين ويجب أن يكون هناك موقف شديد تجاهه، "ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل"، هنا الشاهد، فمن قُتل فإن لولي الدم أن يقتل القاتل ويقتص منه، أما إذا قال إن من يقتل واحدا من عشيرتنا ومن طائفتنا ومن قوميتنا ومن جماعتنا فسنقتل ألفاً من الآخر، أي يكون الواحد بألف!، فهذا إسراف في القتل، فالقاتل هو من يأخذ جزاءه، والذي لم يقتل ولم يتورط بالإساءة، لماذا تقتله وما هو المبرر لهذا الظلم؟، ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾<sup>(١٧٩)</sup>، الله تعالى ينصر ويسدد من لا يسرف في القتل، إذن فإن نصره الله وتسديده يمنعان الإنسان من الظلم، فما دام عادلا وملتزما بالحكم الشرعي، فهو منصور من قبل الله تعالى، وهذه النصره تمنعه من الوقوع في الظلم وإراقة دماء المسلمين. هذه الحالة مع الأسف موجودة في عشائرتنا وفي مجتمعاتنا؛ فإذا قتل شخص يقتص أحيانا من أشخاص وتصبح مشكلة عشائرية يقتل فيها عدد من الناس. القاتل يجب أن يعاقب ولا تعاقب العشيرة أو الطائفة أو المنطقة بأكملها، فهذا لا يصح.

هناك من يقتل الناس على الهوية الطائفية من هذا الطرف ومن ذاك الطرف، فيقتل إنسان بريء لأنه من طائفة فيها مسيء، وهذا لا يجوز؛ لأنه إسراف في القتل.

### العدوان الإسرائيلي

هناك من يعاقب شعبا؛ جندي اسرائيلي قُتل بطلقة، فقتلوا الناس في غزة بالطائرات والمدافع، لماذا وما هو ذنب الناس؟، يقولون إن المنطقة التي تأتي منها طلقة نبيدها، أي منطلق هذا؟.. هذا ظلم، والشعب الفلسطيني يتعرض إلى ظلم كبير في هذه الأيام؛ فهناك أطفال ونساء وشيوخ يتعرضون إلى استهداف إسرائيلي.

اليوم كان معالي وزير الخارجية المصري في زيارة لنا، وتحدثنا معه وتوقعنا من الشقيقة مصر أن تفتح المنافذ الحدودية على غزة وتكسر الحصار عليها، لنوصل المساعدات الإنسانية إلى غزة ونُخلي الجرحى ونقدم الدعم للشعب الفلسطيني في هذه الظروف الصعبة، والرجل وعد بذلك، ونحن بحاجة اليوم إلى أن نقف وقفة حقيقية، مجلس الأمن لا يتخذ مواقف صارمة، والكيان الإسرائيلي يقف في مجلس الأمن ويقول هذا حقنا؛ إذا خرجت طلقة فسنبئد الناس، بأي منطق وبأي حق؟.

لاحظوا عظمة القرآن: "فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً". في وصية علي

١٧٩. سورة الإسراء: الآية ٣٣.

عَلَيْهِ السَّلَامُ لولديه الحسن والحسين: "يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً تقولون قُتل أمير المؤمنين"، هذا أمير المؤمنين وليس إنساناً عادياً، يا بني عبد المطلب لا تقولوا قُتل أمير المؤمنين وسنحرقها على من فيها ونبيدها إبادة عامة، "ألا لا تقتلنَّ بي إلا قاتلي"، من قتلني من حاكم أن تقتصوا منه ولا تسرفوا في القتل، "انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة"، ضربني ضربة فاضربوه ضربة أيضاً، واقتصوا من قاتلي وليس غيره، "ولا تمثلوا بالرجل" (١٨٠)، ضربة واحدة وكفى، والتمثيل بالجثامين لا يجوز، فالمثلة ممنوعة حتى بالكلب العقور كما عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ . . التمثيل بالجثامين شماتة، وهذه ثارات نحن في غنى عنها، نحن حتى حينما نقتل المعتدي والقاتل نقتله تنفيذاً لحكم الله وليس شماتة، ونحن لا نشمت بأحد فنحن أكبر من ذلك، تربينا في أحضان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الكرام، وهذه كلها ظواهر خوارجية نجدها اليوم لدى القوى المتطرفة الداعشية وأمثالها، فيقتلون ويمثلون بالجثامين ويسيتون، وهذه المجازر التي يرتكبونها كلها تدخل في عنوان الإسراف في القتل الذي ورد في هذه الآية الشريفة .

#### الحكم الرابع: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾

في هذه الآية أيضاً لا يقول لا تأكلوا مال اليتيم، فإن مال اليتيم له حرمة، فليس فقط لا تأكلوا مال اليتيم، بل لا تقتربوا منه، "ولا تقربوا مال اليتيم"، احفظوا حرمة اليتيم، لا تستسيغوا أن تمدوا يديكم إلى أمواله، "إلا بالتي هي أحسن"، إلا إذا كان اليتيم غير قادر على حماية أمواله والحفاظ عليها فتقتربون منها لمصلحة اليتيم لتحفظوها له حتى لا تهدر ولا تسرق ولا تضيع، هذا القرب لا بأس به، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (١٨١)، حتى يصل إلى لحظة البلوغ والرشد، وبلوغ الرشد يعني البلوغ الفكري والاقتصادي فيعرف قيمة المال وكيف يحفظه وكيف ينفقه، هذا البلوغ الفكري والاقتصادي ليس له عمر، فقد يكون هناك صغير في العمر ولكنه يراعي هذه الأمور ويدقق، وبالعكس هناك كبير ولكنه سفيه ولا يعرف كيف يحفظ المال في جيبه وليس عنده حكمة في الإنفاق .

١٨٠ . نهج البلاغة ٣ : ٧٧ ، كتاب ٤٧ .

١٨١ . سورة الإسراء : الآية ٣٤ .

### الحكم الخامس: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (١٨٢)

يجب الالتزام بالعهد والوعد ومراعاة الالتزامات البينية في مسائل اقتصادية أو سياسية أو علاقات اجتماعية، فيقال هذا عند كلمته، وإذا قال فعل، التزام بالعهد والمواثيق. في الجانب الاقتصادي هذا الالتزام يوفر حالة من الاستقرار بالسوق، وفي الشأن الاجتماعي حينما تكون هناك قضية اجتماعية وقال شخص كلمة يجب أن يقف عند كلمته ولا يغيرها، وهذه توفر استقرارا اجتماعيا، والناس تثق ببعضها وتقرب من بعضها، وتكون الكلمة مسموعة وكل فرد مسؤول عن كلامه، وفي الشأن السياسي نفس الشيء؛ تفاهات واتفاقات سياسية من غير خديعة أو مكر أو التفافات، وليس هناك صفقات مشبوهة ولعب تحت الطاولة، بل شفافية ووضوح وصدقية وقوى مسؤولة عن كلامها، وإذا قالت فعلت والتزمت، ونحن بحاجة إلى الالتزام بالعهد والمواثيق في الشأن السياسي أيضا، هذا الالتزام بالعهد يوجد حالة من الثقة والتماسك في المجتمع، وبخلافه تكون حالة من الخلخلة وأزمة الثقة، ولا أحد يثق بالثاني.

العهد والالتزام بالعهد له معنى واسع؛ بدءاً من العهود ذات الطابع الشخصي، وهناك التزام بالعهد على مستوى الأمم والشعوب، وهذه نسميها حقوق وواجبات المواطنة، المواطن في البلد عنده حقوق وعليه واجبات والتزامات والكل يلتزم؛ فهذا مسموح وذاك غير مسموح، وهناك عهود والتزامات بين الأمم وبين الحكومات والدول، وهناك التزامات بين الأمم وولاتها، ومع الله تعالى ومع الأنبياء والأوصياء والأئمة الأطهار، هذا الالتزام بين الإنسان وربّه عهد يجب أن يُحفظ ويرعى.

لاحظوا في هذه الآية الشريفة من سورة النحل: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (١٨٣)، عن سلمان المحمدي قال: "تهلك هذه الأمة بنقض مواثيقها" (١٨٤)، الكلمة ليس لها قيمة فتهلك مثل هذه الأمة وتنهار وتصبح هناك أزمة ثقة كبيرة ولا أحد يصدق الثاني. . جزء من المعاناة التي نعانينا اليوم في بلادنا وجزء من أزمة الثقة القائمة اليوم بين العراقيين إنما هي وليدة عدم الالتزام بالعهد والمواثيق والاتفاقات والالتزامات، بدءاً من الدستور وصولاً إلى الاتفاقات السياسية التي اتفق السياسيون عليها، هذه ولدت أزمة ثقة كبيرة

١٨٢. سورة الإسراء: الآية ٣٤.

١٨٣. سورة النحل: الآية ٩١.

١٨٤. تفسير مجمع البيان ٦: ١٩٥، تفسير الآية ٩٤ من سورة النحل.

أدت إلى التشظي في العلاقة وإلى مساعي كل طرف إلى أن يذهب وشأنه ولا يهتم بالشريك وأصبحت لدينا أزمة في لملمة الوضع في هذا البلد .

### الحكم السادس : ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾

دققوا في الميزان ولا تنقصوا فيه ، كما يجب ألا تغش في البضاعة وتجعل الفاسدة تحت البضاعة الجيدة ، وراع حقوق الناس وكن عادلاً مع الناس ولا تحتكر ولا تتلاعب بالأسعار ولا تستغل الظروف الصعبة للناس لتبحث عن مصالحك الخاصة والشخصية . . هناك ضغوط إرهابية ووضع البلد اليوم غير مستقر وبعض منافذنا الحدودية ما باتت تعمل وأجرة النقل زادت ، فلا تستغل هذه الظروف وتحتكر البضاعة أو تبيعها بأسعار غالية ، هذا خطأ ، الاحتكار من المحرمات الكبيرة ، ليس محرماً عقيدياً فقط ، فإن فيه تأثيرات سياسية واقتصادية وإساءة للمواطنين ويجب أن نفق بوجهه .

استغلال الظروف بحثاً عن مصالح شخصية ، والثراء الفاحش على أشلاء الناس الفقراء هذا لا يجوز ، واليوم نحن في شهر رمضان والناس تحتاج إلى مواد غذائية وهناك من يتعامل بجشع ، وغداً العيد والناس تشتري ملابس جديدة لأبنائها ويجب عدم رفع الأسعار واستغلال الظروف ، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ ، القسط يعني العدل وطاس يعني كفة الميزان ، أي زنوا بالوزن الكامل الصحيح ، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(١٨٥)</sup> ، خيركم في دفع البضاعة الصحيحة والكاملة والجيدة ، ومن يلعب بالسعر والجودة لا يوفقه الله ، أعط بالعدل والكمال والله يعطي الخير والنماء والوفرة في رزقك ، أن تعطي حقوق الناس فهو الربح كله ، "وأحسن تأويلاً" ، وأفضل عاقبة ومستقبلاً لك أن تكون عادلاً في هذا الأمر .

قد يسأل البعض ؛ إذا لم يكن هناك عدل في هذا الأمر فما العمل ؟ . . التوبة مطلوبة ، ولكن يجب أن تعوض هؤلاء الناس ، كل من نقصت من بضاعته وإذا لم تعرفهم يجب أن تتصدق على الفقراء نيابة عنهم بمقدار ما أخذته وأكلته من أموالهم . هذه الآية الشريفة تشير إلى قاعدة عامة ؛ أن الحق والعدل والنظام ودقة الحساب يجب أن تكون هي الأساس في الحساب ، كل شيء يجب أن يكون بدقة ، في الميزان وذهابك ومجيئك كله بحساب ، ودوامك التزام ، التزام بالمواعيد والأوقات والتعاملات ، فالدقة والحساب والضوابط في حياة الإنسان مسألة أساسية يجب أن تلحظ ، ولذلك فظاهرة الغش في

١٨٥ . سورة الإسراء : الآية ٣٥ .

البضاعة والتلاعب بالميزان يمكن أن نعممها لتشمل كل قصور في أداء الواجب وليس فقط البضاعة؛ عامل البناء لا يعمل بشكل صحيح ويسرق من وقت العمل فهذا أيضًا مثل الذي يسرق البضاعة، والموظف في دائرته في وقت الدوام يجب أن يعطي كل وقته لخدمة الناس والبلد، والعسكري الذي يقف في ساحات الجهاد يجب أن يعطي المسؤولية كامل حقها ويدافع عن البلد ويمسك الثغور ولا يتخلى ويتراجع، وأي تقصير في أداء الواجب هو تقليل وبخس في الميزان وقد يكون مشمولاً في هذه الآية.

إتقان العمل قضية أساسية تشير إليها أيضًا الآيتان الشريفتان من سورة الرحمن: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾، الله أمر بالعدل، ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾<sup>(١٨٦)</sup>، لا تتجاوزوا على الحق والعدل وكونوا عدولاً وحقانيين في إتقان عملكم وفي إعطاء المسؤوليات حقها. وفي سورة المطففين: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، المطفف هو الذي ينقص الميزان، وهو الذي لا يتقن العمل، وهو الذي يقصر في أداء واجباته، ﴿الَّذِينَ إِذَا كُتِلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾، حينما يشترون من الناس يأخذون كامل حقهم، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، لكن حينما يبيع للناس ينقص منها، وحينما يجلب عامل بناء إلى بيته يريد منه أن يشتغل بصورة كاملة ولكنه في المقابل حينما يذهب إلى دائرته لا يعمل بشكل كامل أو صحيح، هؤلاء هم المطففون، ﴿أَلَّا يَظُنُّ أَوْلَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١٨٧)</sup>، سوف يأتي ذلك اليوم، نسأل الله ألا نكون من المطففين، وبذلك تشير هذه الآية بوضوح إلى أن النصر الإلهي هو الذي يقف بوجه الظلم ويمنع الإنسان من أن يرتكب الظلم. نسأل الله أن يدفع عنا شر الأشرار وظلم الظالمين، وألا نكون ممن يظلم نفسه أو يظلم الآخرين. . وللحديث صلة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٨٦. سورة الرحمن: الآية ٧ - ٨.

١٨٧. سورة المطففين: الآية ١ - ٦.



الأمسية الرابعة عشرة ٢٠١٤/٧/١٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين  
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين  
وصحبه المنتجبين الميامين .

السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم  
وصيامكم وقيامكم في هذا الشهر الفضيل .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

انتبهنا إلى موانع الظلم، أي الأمور التي تمنح الإنسان حصانة من الوقوع في الظلم،  
الكوابح والمصدات التي تمنع الإنسان من الوقوع في الظلم .

وقد ذكرنا خمسة من هذه الموانع في الليالي الماضية هي الإيمان: العمل الصالح:  
التقوى: مخافة الله: الالتفات إلى نصر الله وتسديده، واستعرضنا الآيات والروايات  
الواردة فيها .

المانع السادس: الالتفات إلى علو الله

عندما يلتفت الإنسان إلى علو الله (سبحانه وتعالى) وقدرته وسطوته، ويجد الله  
رقيباً عالياً قادراً، فهذا يمنعه من الوقوع في الظلم ويشكل حصانة من أن يعتدي الإنسان  
ويتجاوز على الآخرين .

لاحظوا هذه الآية الشريفة من سورة النساء التي فيها شاهد على هذا المانع من موانع الظلم، هذه الآية الشريفة تشير إلى نظام الإدارة في الأسرة، وتحدد كيفية إدارتها، وهي من الآيات المهمة التي تشير إلى موضوع أساسي وحيوي. الكثير من المشاكل الاجتماعية تبدأ وتنشأ من الأسرة، والكثير من المشاكل الأسرية ناتجة من عدم وجود إدارة صحيحة وتوزيع صحيح للأدوار، وجود نظام إداري ناجح ومؤثر في الأسرة، يقي الأسرة من التشطي والتفكك والانهايار، والأسرة هي اللبنة الاجتماعية الأولى وهي مجتمع مصغر، والمجتمع أسرة كبيرة، وتبدأ المنظومة الاجتماعية بالأسرة ثم تتسع للعشيرة والمنطقة والمجتمع بشكل عام، هكذا تتسع هذه الدوائر ولكن السياقات واحدة، وضوابط الإدارة ضوابط مشتركة.

### الحاجة إلى الإدارة الناجحة

تقول الآية الشريفة: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾<sup>(١٨٨)</sup>، الرجال لهم القيمومية، أي الرجال يتحملون مسؤولية الإدارة والخدمة للأسرة، والأسرة لما كانت منظمة اجتماعية مصغرة ينطبق عليها ما ينطبق على المجتمع من أحكام، هل يمكن تسير أمور المجتمع بدون إدارة وبلا نظام وبلا مسؤول؟، الناس تخرج للانتخابات وتصوت وتختار من يدير شؤونها؛ لأن المجتمع لا يمكن أن تستقر أموره بلا إدارة، فلا بُدَّ من مدير ولا بُدَّ من مسؤول، ولذلك فالناس تخرج وتنتخب، وحينما تنتخب تبقى أنظارها شاحصة إلى هؤلاء المسؤولين الذين انتخبتهم كيف سيتحملون مسؤولياتهم ويحسنون إدارة شؤونهم، فلذلك تجدون هناك توقعاً شعبياً اليوم في تجربتنا؛ خرجنا للانتخابات وواجهنا الإرهاب، وتحملنا كل المشاكل والصعوبات حتى ننجح الانتخابات ونقول للعالم إننا معتزون بديمقراطيتنا. . إننا معتزون بحريتنا. . إننا معتزون بإرادتنا التي تدفع البعض لأن يكونوا في مواقع الصدارة والإدارة لهذا البلد، قمنا بما علينا، واليوم توقعنا من المسؤولين أن يقوموا بما عليهم تجاهنا.

أولاً أن يسرعوا في تنظيم شؤونهم، فمن غير المعقول أن مجلس النواب بعد هذه الأشهر ما زال لم يلتم، وما زال مجلس النواب لم ينتخب رئيساً ونائبين، وما زال لم ينتخب رئيساً للجمهورية، ولم تُشكل حكومة، في ظل هذه الأوضاع الأمنية الصعبة، وفي ظل هذا الضعف الخدمي والتنموي في مساعدة الناس وخدمتهم. . أيها المسؤولون يا من انتخبناكم، نحن قمنا بما علينا بأحسن وجه، (٦٢٪) نسبة

١٨٨ . سورة النساء: الآية ٣٤ .



المشاركة بالانتخابات، وهذه نسبة كبيرة لا نجد مثلها في التجارب الأخرى في المنطقة وفي العالم أيضاً؛ فإن انتخابات في دول عريقة بالديمقراطية تكون نسبة المشاركة فيها (٣٠٪) أو (٤٠٪)، ونسبة (٦٣٪) نسبة عظيمة. . أيها المسؤولون، قمنا بما علينا وعليكم أن تقوموا بواجباتكم تجاهنا، الأنفاس تُحسب والأنظار متوجهة وشاخصة إلى مجلس النواب؛ هل يتعقد غدا؟ . هل سينجح في انتخاب رئيس ونائبين، هل ستتحرك العملية؟ هذا ما نتمناه .

منذ أيام ونحن في مشاورات حثيثة واتصالات مستمرة مع كافة الأطراف لحثهم وتشجيعهم على أن ينتجوا مرشحين يتوافقون عليهم، وأن نذهب معا إلى مجلس النواب ونختار هؤلاء المسؤولين لتنتقل العملية السياسية. إن عملية سياسية مطمئنة لجميع العراقيين ستساعد على تخفيف الضغوط والوطأة الأمنية، مسك الأرض بقوة من الناحية الأمنية والوقوف بوجه الإرهاب سيساعدان على تسريع المسار السياسي، لذلك فنحن نعتقد بأننا يجب أن نسير بشكل متوازن في مسك الملف الأمني ومتابعة شؤونه والوقوف بوجه الإرهاب بقوة، ولاحظنا كيف هب الناس تلبية لنداء المرجعية العليا وتدافعوا إلى معسكرات التطوع، وقدموا أنفسهم من أجل العقيدة والإسلام والعراق، وهنئنا لنا بهذا الشعب وهذا المسار الأمني .

لكن المسار السياسي مسار مهم أيضاً ويجب أن نمضي فيه بعزم وقوة، ويجب أن نسرع في تشكيل الحكومة، وتجدر أن المرجعية العليا في نداءاتها المتلاحقة في أكثر من أسبوع في صلوات الجمعة تنادي وتناشد المسؤولين والطبقة السياسية والكتل النيابية للإسراع بترشيح الرئاسات وتشكيل البرلمان والحكومة، حتى تبدأ هذه الحكومة بواجباتها وتقدم الخدمة للمواطنين وتسيطر على الأوضاع الأمنية والسياسية والخدمية في البلد، لذلك حينما نقول إن الرجال قوامون على النساء، فيقصد من ذلك أن هذه الأسرة وهي منظومة اجتماعية مصغرة تحتاج إلى مسؤول ومدير يديرها، والرجل في منطق القرآن وفي الرؤية الإسلامية، هو المدير، والزوج هو المدير والزوجة تكون مساعدة ومعانة ونائبة تقف إلى جانب الزوج وتعينه وتدعمه وتساعد على تحقيق المهام المطلوبة في هذه الأسرة، فهذه الأسرة فيها مسؤول هو الزوج وفيها إسناد من قبل الزوجة في تحقيق الواجبات والمهام، ولكن في الوقت الذي يطرح فيه القرآن الكريم الرجل على أنه قيّم ومدير وأنه المسؤول الخادم في هذه الأسرة، يضع معايير ومحددات .

## معايير إدارة الرجل للأسرة

إن مسؤولية الرجل لا تعني الاستبداد والظلم والاجحاف والتعسف في الأسرة، وإذا كنت قيماً فلا يعني ذلك التعسف؛ قوموا واقعدوا وناموا، واليوم نأكل كذا ونفعل كذا ولا يتنفس أحد، فأنت مسؤول حتى تحسن إدارة هذه الأسرة وليس لاستغلالها، مثل أنظمة الحكم في المجتمع، وهو أسرة كبيرة، فأحيانا تفرز دكتاتوريات. . . وضعناك مديرا لتدير شؤوننا وأخذت الموقع ووظيفته لتفرض إرادتك على الناس وترغمهم على ما تريد، والدكتاتوريات في العالم تتشكل من الاستغلال وسوء الاستفادة من موقع الإدارة، وكما أن الأسرة الكبيرة، أي المجتمع، تفرز دكتاتورية، فالأسرة الصغيرة أحيانا تفرز دكتاتوريات واستغلالاً بشعاً لهذا الموقع؛ فهناك أسر تتنفس فقط عندما يخرج رب البيت، والجميع يحمد الله على خروجه من البيت، وإذا طرق الباب وجاء الأب فالكل يرجف، وحين تسأله لماذا تتعامل بهذه الطريقة ولم هذه الإساءة؟، يقول أنا الزوج وأنا القيم والله قال الرجال قوامون. . . الله قال إنك مدير وخادم في هذه الأسرة تدير شؤونها ومسؤول عنها، لا أن تكون ظالما لحقها، وهناك فرق كبير بين هذا وذاك، فالمسؤولية لا تعني التعسف، وإنما المسؤولية تعني إدارة صحيحة للأمور ضمن المهام المحددة.

هناك مدير عام يتدخل في شؤون الموظفين؛ ما أنت ولماذا تزوجت وكم عدد أولادك ولماذا تسكن المنطقة الفلانية؟. . . ما علاقتك بهذه القصص؟، أنت مديري في الدائرة في إطار عملي، وإذا كانت عندك ملاحظة فهذا من حقك، أما أين أسكن وزواجي ونشاطي وعلاقتي فهذه خارج الدائرة ولا حق لك في أن تتدخل فيها ولا علاقة لك بها، وأنا لست عبدا بل موظف، وكذلك الوزير في مساحة اختصاصه، فقيمومية الرجل أيضاً لا تعني تحويل أعضاء هذه الأسرة إلى عبيد بيد هذا القيم، فهو يدير شؤون الأسرة ولكن كل واحد من أعضاء الأسرة له مساحاته، التي هي من حقه أن يتحرك فيها، فالزوجة تملك مالها، وهي حرة به، ولا يسأل لماذا صرفت من مالها، فلو كان من ماله فمن حقه أن يتدخل، ولكن إذا كان من مالها الشخصي، من إرث وورثته أو غيره، فهي حرة أن تنفق مالها كما تريد وليس لك حق في أن تضغط عليها.

إذن القيمومية هي إدارة صحيحة، ضمن المهمات المحددة لهذا القيم والمسؤول والمدير للأسرة، وعليه من أجل أن يحسن هذه الإدارة أن يقوم بالاستشارات، واليوم هناك في النظام الإداري موقع اسمه المستشار، فالوزير لديه مستشارون والوكيل لديه

مستشارون والمدير العام لديه مستشار يستشيرهُ حتى يتخذ قرارات صحيحة وناضجة، فيا رب الأسرة، أيها الرجل، صحيح أنك قيّم، لكن عليك أن تجري مشاورات داخل هذه المنظومة الصغيرة، الأسرة؛ استشر زوجتك وأولادك؛ أين نسافر إذا أردنا أن نسافر، وماذا نعمل في القضية الفلانية. . إلى آخره، استشرهم واجلس معهم وناقشهم ليشعروا أنهم شركاء في إدارة العمل والأسرة، ويرتبطوا بالأسرة ويتفاعلوا أكثر، وتكون العلاقة داخل الأسرة علاقة دافئة وفيها محبة وتعاون، وهذا شيء مهم جدًا لإنجاح إدارة هذه الأسرة.

### أسباب اختيار الرجل

السؤال الذي يطرح نفسه؛ لماذا جعل الله الرجل قيّمًا وليس المرأة؛ "الرجال قوامون على النساء"، وأسباب هذا الأمر:

السبب الأول: الرجل بطبيعته، تكون الحالة العقلانية والجدية أوضح عنده من الحالة العاطفية، والمرأة بحكم مهام الأمومة والرعاية والتربية، فالحالة العاطفية والمشاعرية أوضح لديها وتكون بارزة فيها، وبما أن الإدارة تحتاج إلى حزم وتحتاج إلى مواقف تُغلب فيها العقلانية على العاطفة والمشاعر، فالرجل تتوافر فيه هذه الحالة بشكل أوضح، ولذلك يكلف الرجل بالإدارة.

السبب الثاني: اللياقات البدنية والقدرات، أي المؤهلات، فالأسرة أمامها تحديات وتحتاج إلى من يكد من أجلها ويأتي بالرزق، وتحتاج إلى من يدافع عنها ويحميها، والرجل بطبيعته عنده هذه القدرات أكثر من المرأة، والرجل يشعر بالنشوة حينما يكون راعيا لآخرين، والمرأة تشعر بالاطمئنان حينما تشعر أن هناك خيمة على رأسها ترعاها، لذلك يعبر عن الزوج بالخيمة وإذا فقدت المرأة زوجها تشعر بأنها فقدت هذه الخيمة الخاصة بها، هكذا يُعبر عن الزوج، فالمرأة تشعر بالارتياح وتشعر بالاطمئنان والاستقرار النفسي حينما تُرعى، والرجل يشعر بالاطمئنان والاستقرار حينما يرعى، فهناك راع وهناك مرعى، هذه إشارة إلى اللياقات الطبيعية البدنية والقدرات والمؤهلات التي وُضعت في الرجل لتمكنه من أن يدير الأسرة.

السبب الثالث: الالتزام بالدعم المالي وتوفير الإيرادات المطلوبة لإدارة الأسرة، والرجل هو من يوفر ذلك وهو المسؤول عن هذا الأمر، فمن يوفر الإنفاق والرعاية للأسرة يكون مسؤولاً عن هذا المسار وعن هذه المنظومة الأسرية. ولكن هذه المسؤولية وهذه

القيومية للرجل على المرأة، لا تعني بوجه من الوجوه أفضلية الرجل على المرأة في الشخصية الإنسانية، وليس لأن الرجال قوامون فالرجال إذن أفضل من النساء، من قال ذلك؟ . . هذه ليست أفضلية، فالقيومية إدارة، فنحن نضع مديرًا في مكان هو الأنسب للإدارة، ولكنه ليس بالضرورة أفضل من موظفيه في جوانب أخرى، ففي إدارة هذا العمل هذا أفضل، ولكن في المؤهلات الشخصية قد يكون الآخرون من الموظفين تحت إدارته وإمرته أفضل منه، وفي الأسرة كذلك، مقومات الإدارة تتوافر في الرجل، ولكن لا يعني ذلك أن شخصية الرجل أفضل من شخصية المرأة، ولا يعني أن الرجل أفضل من المرأة في الدار الآخرة، فالأفضلية الأخرى يرتبط معيارها بالتقوى؛ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(١٨٩)</sup>، فإذا كان الرجل أتقى فهو أفضل، وإذا كانت المرأة أتقى فهي أفضل، فلذلك هذه قيومية في الإدارة وليست أفضلية في الشخصية الإنسانية أو في الدار الآخرة وما شابه ذلك .

قد يقال أن بعض النساء لديهن قدرات ولياقات أكثر من الرجال، وأحياناً يرى الإنسان امرأة لديها تدبير وحكمة وحزم وقدرة على اتخاذ القرار أكثر من زوجها، وأحياناً تكون الزوجة بقدرات بدنية أكثر من زوجها، وأحياناً المرأة تعمل والزوج عاطل عن العمل وهي توفر الإيرادات المالية للأسرة، فإذا كانت هذه الأمور الثلاثة هي السبب في القيومية، فقد تحصل أحياناً حالات تكون فيها المرأة هي من يملك هذه المعايير، فلماذا لا تكون المرأة قيمة في تلك الحالات؟ . . الجواب: إن الإسلام يضع قواعد وضوابط عامة، وفي القوانين والقواعد العامة يُلاحظ نوع الأمور؛ يقال إن الرجل بطبيعته عنده قدرات بدنية وقدرة على الإدارة أكثر من المرأة، أي نوع الرجل، وقد يكون هذا الرجل ضعيف الشخصية وهذه استثناءات، ولكن كحالة عامة فالرجل أقدر، والرجل هو الذي يوفر الإيراد المالي للأسرة، وهذا هو الشكل الطبيعي ونوع الحالة هكذا، وفي حالة ما فقد الرجل وظيفته وزوجته حصلت على فرصة للعمل، وقد تكون ميسورة الحال، وهذه تبقى كلها حالات استثنائية وحالات محدودة، والظاهرة العامة، والنوع البشري، أن الرجل يقوم بهذه الأمور، ولذلك تُتخذ مثل هذا الإجراء وجعل الرجل قيماً على المرأة، "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض"، هذه القيومية ناتجة من المؤهلات التي وضعها الله؛ بما مكن البعض وهم الرجال على بعض، أي النساء، فالله مكن الرجال ووضع في مؤهلاتهم القدرة على الإدارة أكثر من المرأة، لذلك أصبح الرجل هو القيم وهو المدير .

١٨٩ . سورة الحجرات: الآية ١٣ .

## الفرق بين الرجل والمرأة

ترون هنا أن المسألة مسألة مؤهلات، إذن فالقضية ليست تمييزاً وتفضيلاً للرجل على المرأة، والمسألة تمايز وتوزيع أدوار، إذا سألك أحدهم هل الدكتور أفضل أو المهندس، أيهما الأهم؟، فمن الصعب القول أيهم الأهم، فنحن نحتاج إلى الطبيب حتى يعالجنا عندما نمرض، أجاركم الله من المرض، ونحتاج إلى المهندس لبناء بيت وقاعة وأبنية أخرى، فهناك مهام اجتماعية لا تستطيع أن تقول إن هذا أفضل من الثاني، فهذا يقوم بدور وذاك يقوم بدور، وفي الأسرة أيهما الأفضل، الرجل أم المرأة؟ . . . لولا المرأة لما كان هناك إنجاب، ولولا المرأة لما كانت هناك حياة أسرية دافئة، وبدون المرأة ليست هناك تربية ورعاية للأطفال، وليست هناك خدمة مناسبة في البيت، والمرأة بلا رجل أيضاً، فالأرامل والنساء الفاقات للمعيل يعرفن حجم المعاناة حينما يغيب الرجل عن الأسرة والدار، ليس هناك طرف أفضل من الثاني، فهذا لديه مهام وهذه لديها مهام، وتتكامل الواجبات والمهام ضمن الأسرة.

﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>(١٩٠)</sup>، مكن الرجل من أن يقوم بهذه الأدوار، وهناك شيء في علم الإدارة يسمى الوصف الوظيفي، ففي الدائرة أو الشركة أو أي مكان يقال نحتاج إلى مدير تسويق، وتحدد له المهام التي يقوم بها، والشروط التي يجب أن تتوافر فيه لينجح بالمهمة؛ يجب أن تكون لديه شهادة كذا وخبرة وبضعة شروط، وهذا هو الوصف الوظيفي، فعندما نأتي بشخص تتوافر فيه هذه المواصفات ليكون مدير تسويق، فهذا يعني أنه الأفضل بالتسويق، ولكن ليس الأفضل في كل شيء، بل أفضل في التسويق، وفي الأسرة كذلك؛ ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، بالوصف الوظيفي، فمن يدير يجب أن يكون لديه حزم وأن تطنى الحالة العقلانية على الحالة العاطفية لديه، هذا الوصف الوظيفي للمدير في الأسرة، وهذا يتوافر في الرجل وليس في المرأة، ويجب أن توجد لديه قدرات بدنية حتى يدافع عن الأسرة ويحفظها، وهي موجودة عند الرجل، ويجب أن تكون عنده قدرة على أن يوفر الإيرادات المالية والرزق للعائلة، وهذا أيضاً موجود لدى الرجل، ففي الوصف الوظيفي يُعين شخص بهذه الوظيفة، وتعيينه لا يعني أنه أفضل الموجودين وأن الآخرين أقل منه في الفضل.

١٩٠ . سورة النساء: الآية ٣٤ .

## صفات الزوجة الصالحة

الرجل قيم ويجب أن يدير، وهو يتحمل المسؤولية لهذه المبررات، وهنا يدير من؟ . . . يدير الزوجة، والزوجة أمام احتمالين؛ الأول أن تلتزم بالتعليمات وبنظام الأسرة، كما في أي دائرة، فهناك موظفون يلتزمون بالقانون ويأتون في الساعة الثامنة وينجزون واجباتهم، وهناك من يتخلفون، وفي الأسرة كذلك، عندما صار الرجل مديراً، فالزوجة إما أن تلتزم وتستجيب أو تعارض وتشاكس وتأخذ طريقاً آخر، والقرآن الكريم يضع تصوراً لكلتا الحالتين، ففي هذه الآية: "فالصالحات"، أي الزوجات الصالحات اللاتي يلتزمن ويبحثن عن الصلاح ويلتزمن بالإطار العام للأسرة ويطعن أزواجهن، "قانتات"، الزوجة الصالحة قانتة بمعنى خاضعة ومطبعة لله ولزوجها، في مساحة صلاحياته في الأمر والنهي، ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾<sup>(١٩١)</sup>، هذه الزوجة الصالحة تحفظ زوجها في غيبته كما تحفظه في حضوره.

الزوجة الصالحة إذا كان الرجل موجوداً تسير وتلتزم بشكل صحيح، وإذا غاب الزوج لا يغير من الواقع شيئاً وتبقى ملتزمة، ولا تخونه في ماله، فالمرأة الصالحة بخيلة في مال زوجها، عندما تكون أموالها الشخصية تعرف تكليفها وتكون كريمة في مالها وبخيلة في مال زوجها، وصلاح المرأة أن تكون بخيلة في مال زوجها؛ لأنها مؤتمنة على هذا المال وتبحث عن السعر الأفضل، فهذا ضروري تشتريه وذلك غير ضروري لا تشتريه، وتستأذن زوجها في شراء ما تريد شراءه، فهي أمينة على ماله، وهناك من النساء من يصرفن المال بلا وجع قلب ولا تعرف كم بذل الزوج من جهد إلى أن جاء بهذه الأموال، فتأخذها وتبذرها وتشتري أشياء غير مفيدة أو بما يحلو لها وتخرج الزوج.

وهناك الأمانة في العرض، فالرجل يخرج إلى العمل وتبقى الزوجة في البيت، فكيف تتعاطى مع الآخرين؟، وعندما تخرج من البيت بأي هيئة تخرج؟، وهناك زوجة مهملة ولا تعتني بنفسها، وحين يدخل الزوج لا يشتهي أن ينظر إلى زوجته، ولكنها عندما تريد أن تخرج تزين نفسها وتتعطر وتلبس أفضل الملابس، فهي أنيقة في عيون الأجانب، في عيون الناس الآخرين، والرجال الآخرون يطمعون بها وينظرون إليها، فأناققتها للآخر، ولكنها تهمل نفسها في البيت ولا تهتم ولا تراعي مشاعر الزوج وتظهر بالمظهر اللائق أمامه.

---

١٩١. سورة النساء: الآية ٣٤.

ويؤسفنا أن نقول إنه حتى في الوسط الإيماني اليوم هناك التبرج واستخدام وسائل التزيين، فالمرأة تزين نفسها بوسائل التزيين قبل أن تخرج، وكذلك استخدام الجورب الشفاف الذي يظهر لون البشرة، وهذه حالة شائعة حتى في أوساط المؤمنين، وهذا حرام، فالعفة والحجاب والستر قضايا أساسية، فيا أيها الزوجة، أنت لست ملك نفسك وحدك، فأنت زوجة وأنت مؤتمنة وأنت عرض للزوج، فيجب أن تراعي هذه الأمانة، أمانة المال وأمانة العرض.

والأولاد أمانة بيدك، فكوني أمينة في ذلك، تربيتهم وتنشئتهم ووضعهم الصحي وملبسهم ونظافتهم ودينهم، كل هذه الأمور تكون الأم مسؤولة عنها، وهي مع الأولاد والأطفال على الدوام، وهناك زوجة تهمل طفلها، فتراه بلا رعاية لنظافته وملبسه ومشربه وصحته، وهذا خلاف الأمانة، وفي قبالها الأمانة في التعاطي، وهذه أيضاً داخلة في حفظ الزوج.

المرأة الصالحة القاننة بمعنى الخاضعة للزوج، ترعى زوجها، فحين يأتي يجد البيت مرتباً، وقبل أن يدخل الزوج، تزين نفسها وتتعطر وتتهيأ لاستقبال الزوج، وتهيئ له الأكل الذي يحبه وتوفر له الأجواء المريحة والبيئة الطيبة، وعند ذلك ما إن ينهي الزوج عمله حتى يرى راحته النفسية في بيته فيسرع إلى البيت، وهناك من لا يحضر إلى البيت ويقضي معظم وقته خارج البيت، وجزء من المشكلة يرتبط بالزوج نفسه، وجزء من المشكلة يرتبط بالزوجة، وعليها أن توفر بيئة استقطاب، فعندما يكون البيت مريحاً ولطيفاً وهادئاً، وتراعى فيه مشاعر الزوج في يحب أن يراه أمامه وفي ما يكرهه إلى آخره. . كل ذلك يساعد الزوج على أن يأتي ويتواجد في البيت بشكل أكبر.

وكذلك الحفاظ على أسرار الأسرة، فهناك من النساء من لا تحفظ أي شيء يحدث في البيت، والمنطقة كلها تتكلم به، سواء كانت علاقتها بالزوج أو أي شيء. . هذا سر والبيت يجب أن يكون كالصندوق الأسود للطائرات، والزوجة يجب ألا تنقل أسرار البيت حتى إلى أهلها وصديقاتها وأقرب الناس إليها، فهذه خصوصية البيت وكل إنسان لديه خصوصياته وظروفه وأوضاعه، ولا يجوز أن تنشر هذه الأخبار وتخرجها من دائرة البيت فتكون على ألسنة الناس، والنساء بعضهن يسجل عليهن كثرة الحديث؛ يقال إن هناك عددا من السجينات محكومات بالسجن عشرين سنة، وبعد انتهاء العشرين سنة أطلقوا سراجهن فوقفن يتكلمن بباب السجن، فسألهن حراس السجن ما القصة، لماذا لا تذهبن؟، فقلن لم نكمل حديثنا! .

والمرأة كطبع وليس حالة عامة، لكن بشكل واسع، تحب الحديث، ومتى تتحدث يجر الحديث إلى أسرار البيت، ويتم تداول مثل هذه المعلومات، وهذا كله خلاف الصلاح المطلوب من حفظ الأسرار والأمانة، فالصالحات قانتات حافظات للغيب. المرأة الصالحة حافظة لزوجها في غيبته، في ماله وعرضه وولده وأسراره، في كل هذه الأمور والشؤون، "بما حفظ الله"، في قبال الحقوق التي جعلها الله (سبحانه وتعالى) لهذه الزوجة في الأسرة، وألزم الزوج بمراعاة هذه الحقوق والحفاظ عليها، تكون شاكرة لله بأن تلتزم بهذه المعايير، هذه الزوجة الصالحة القانتة الحافظة لزوجها في غيبته، هذه الزوجة يجب أن تُحترم وتُقدر وتُكرم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنها قامت بما عليها من واجبات، وعلى الزوج تويرها.

أيها الأزواج، يا من لديكم زوجات من هذا النوع؛ صالحات قانتات حافظات للغيب، ارفعوهن على رؤوسكم، فمثل هذه الزوجة الصالحة التي تراعي وتهتم وتلتزم، هذه نعمة من نعم الله عليكم، فراعوهن وتشاوروا معهن واهتموا بهن ووقروهن، هذه المرأة نعمة من نعم الله، حينما تكون بهذه المواصفات والمعايير.

ثم تنتقل الآية الشريفة للحديث عن الصنف الثاني من الزوجات، اللواتي يتصفن بالنشوز والعصيان والتمرد، وهذا ما سنتحدث عنه في الليلة القادمة؛ ما هي أحكامها وكيف تتم معالجة الأمور معها، لنقف عند الشاهد القرآني الذي تحدثنا عنه، كيف أن علو الله سبحانه وتعالى يكون مانعاً من الظلم كما يأتي في ذيل هذه الآية الشريفة، وهو ما سنتعرض له في الليالي القادمة بإذن الله تعالى، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





## الأمسية السادسة عشرة ٢٠١٤/٧/١٤



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين. السادة الأفاضل، الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وبارك لكم في صيامكم وقيامكم في هذا الشهر الفضيل.

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

انتبهنا إلى موانع الظلم، أي الأمور التي تمنع الإنسان من الوقوع في الظلم، وتحدثنا عن ستة موانع هي الإيمان، والعمل الصالح، والتقوى، ومخافة الله، والالتفات إلى نصر الله وتسديده، والالتفات إلى علو الله. هذه الأمور الستة التي ذكرناها موانع للظلم، واستشهدنا بالآيات القرآنية الواردة في هذه الأمور.

### الالتفات إلى علو الله

وكان حديثنا في الأمر السادس، وهو الالتفات إلى علو الله وقدرته، فإذا عرفت أن الله قادر، عالٍ، مسيطر، مهيم، فهذا سيجعل تتردد في انتهاك الحرمات وفي الإساءة للآخرين.

في بعض المدن والبلدان يضعون كاميرات لمراقبة حركة العجلات، ونرى يافطة مكتوبا فيها أن الطريق مراقب بالكاميرات، فالناس ترى الكاميرات وعندما تصل إلى يافطة تقلل من السرعة، وإذا كانت أكثر من المقدار المسموح به تسجل الكاميرات ذلك وتأتي الغرامة إلى الباب مباشرة، وحتى لا يغرم الإنسان يقلل من السرعة، وهذا

يعني أن الالتفات إلى الرقيب يترك أثراً مباشراً، والإنسان كلما عرف أن الله قادر وحاضر وعال ومشرف انتظم إيقاعه وتجنب الظلم، وقلنا إن واحداً من مصاديق هذا الموضوع هو الآية الشريفة من سورة النساء التي تتحدث عن نظام الإدارة في الأسرة، وجاء في هذه الآية: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾، وقلنا إن القيمومة هنا تعني الإدارة والخدمة وليست السطوة والاستبداد والتعسف بحق الأسرة، فالرجل قيّم أي هو خادم ومدير ومسؤول عن هؤلاء كيف يراعاهم وليس كيف يبطش بهم ويفتك بهم.

﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>(١٩٢)</sup>، هذه المهمة جاءت من مؤهلات ومواصفات وضعها الله سبحانه وتعالى في الرجل، ووضع مؤهلات ومواصفات أخرى في المرأة، ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، فالرجل لديه مواهب ومؤهلات لا توجد لدى المرأة، والمرأة لديها مؤهلات لا توجد عند الرجل، والمرأة كلها عاطفة ومشاعر فكلفت بمهمة التربية، والرجل لا يمتلك هذا القدر من العاطفة وسعة الصدر والصبر على تربية الأطفال، والرجل فيه من الحالة العقلانية والحزم ما يساعده على حل المشاكل وإدارة هذه الأسرة، إذن هي عملية تمايز وليست عملية تمييز، فليس الرجل أفضل من المرأة لذلك أصبح مديراً للأسرة، فالإدارة خاضعة لمعايير الوصف الوظيفي للمدير، وهذا الوصف ينطبق على الرجل وليس معناه أن المرأة مفضولة والرجل أفضل، فليس هناك أفضلية في الإنسانية، وليس هناك أفضلية عند الله نتيجة هذه القيمومية، فالتمييز بحث آخر؛ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(١٩٣)</sup>، فقد يكون الرجل أتقى وقد تكون المرأة أتقى، فنحن لا نتحدث عن أفضلية، ولا نتحدث عن من هو الأكمل، بل نتحدث عن مدير، ومواصفات الإدارة في الرجل أكثر من المرأة، فجعل الرجل مديراً لهذه الأسرة، وقلنا إن الزوجة يمكن أن تكون من أحد صنفين:

### الصنف الأول: الزوجة الصالحة

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾<sup>(١٩٤)</sup>، وهناك الزوجات الصالحات القانتات أي المطيعات الخاضعات للزوج الملتزمات بقانون الأسرة، كالموظف حين يقول له المسؤول شيئاً يسمع، فمسؤول الإدارة يعني تنظيم الأمور ووضع ضوابط

١٩٢. سورة النساء: الآية ٣٤.

١٩٣. سورة الحجرات: الآية ١٣.

١٩٤. سورة النساء: الآية ٣٤.

وإجراءات لتحقيق الأهداف المرجوة، والزوج أيضاً يضع معايير وضوابط لإدارة هذه الأسرة حتى يسعدها وينميها ويربيها ويحقق طموحاتها إلى غير ذلك .

والزوجة الصالحة مطيعة لزوجها فيما هو مهمة الإدارة وليس بالشؤون الأخرى، لا قيمومية للرجل على زوجته في كل شؤون حياتها، بل فيما يخص الحياة الزوجية، وليس من حقه التدخل في أموالها الخاصة ولا يفرض ولا يمنع، فهذا خلاف الواجبات، وقلنا مثل الموظف في دائرة، والمسؤول قراراته نافذة على هذا الموظف في مساحة الوظيفة، أما أن يقول، مثلاً، لماذا لا تنامون مبكرين؟، سأعاقبك بسبب ذلك، فلك أن تقول له ليس من حقه أن تعاقبني، فأنت مديري في الدائرة وفي ما يخص العمل من المعايير والضوابط والإجراءات وساعات الدوام وتفصيل أخرى، وأنا مستعد لأن التزم، أما ماذا أفعل في بيتي فليس من حقه التدخل فيه، فأنا لست عبداً لك بل موظف لديك، أما متى أنام وأين أذهب خارج الدوام فليس لك قيمومية عليّ في ذلك .

الزوج أيضاً قيّم على الزوجة في ما يخص الأسرة وإدارة شؤونها، لكن هذا لا يحوّل الزوجة إلى (أمة) بيد هذا الزوج يتحكم بكل حياتها وممتلكاتها كيفما يريد، وهذه محددة في الفقه؛ ما هي مهام الزوج وصلحياته التي يجب على الزوجة أن تطيعه فيها، "فالصالحات قانتات حافظات للغيب"، الزوجة تحفظ زوجها في غيبته وفي غيابها، تحفظه في ماله وعرضه وفي نفسها، فلا تعرض نفسها بطريقة غير ملائمة أمام الآخرين ليطمع بها الرجال الآخرون، وتحفظه في ولده وتحفظه في رعايته، وتحفظه في حفظ أسرار الأسرة وعدم البوح بما يدور في داخل الأسرة، إلى غير ذلك، "حافظات للغيب بما حفظ الله"، الله جعل لها حقوقاً وجعل عليها التزامات، وكرمها وحفظ موقعها داخل الأسرة، في قبال ذلك عليها أن تكون هي أيضاً حافظة لزوجها في غيبته، وإذا كانت الزوجة صالحة قانتة حافظة للغيب فالزوج عليه أن يكرمها ويحترمها ويقدرها .

### الصف الثاني : الزوجة العاصية

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ﴾<sup>(١٩٥)</sup>، أما المرأة العاصية الناشز المتمردة، تريد أخذ أكثر من دور الرجل في البيت، وتأمّر وتنهى وتتصرف بغير ضوابط، وتبذر الأموال كما تشاء وكما تريد، وتترك البيت والأطفال من غير رعاية، والبيت في حالة يرثى لها، وكل يوم عند فلانة وأم فلانة، تخرج وتذهب وتأتي تاركة البيت والأسرة متفرقة، ولا تطيع، أي

١٩٥ . سورة النساء: الآية ٣٤ .

ناشز، فما الحل وكيف نتعامل معها؟، ﴿وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾، عصيانهن، خرجن عن الطاعة، فلا يطعن ولا يسمعن، وهنا توجد عملية تدرجية في المعالجة، والقرآن الكريم يضع حلولاً ومراتب، تبدأ بالمرتبة الأولى فإذا لم تنفع تنتقل إلى المرحلة الثانية وإذا لم تنفع تنتقل إلى المرحلة الثالثة، ومراتب معالجة المرأة الناشز هي:

أولاً: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: بالكلمة الطيبة والموعظة، ونصحها أن هذه الطريقة في الحياة لا تجوز، وعليها أن تكون مسؤولة وتحمل مسؤوليتها، وتنبهها على أنها اليوم زوجة وعندها أولاد وأسرة، تتوقع منها ألا تتصرف بهذا الشكل وألا يكون البيت غير نظيف ولا يتأخر الطعام، والأولاد يتربون بشكل صحيح وتحفظ أسرتها وبيتها، وإذا كان هناك وقت زائد فلا مشكلة في أن تزور صديقاتها أو يزورها، وهذا معقول، لا أن تصير حياتها كلها بين خروج ودخول، ويذكرها زوجها أن دخله محدود وهذه إمكانياته، وبوده أن يشتري لها الكثير وأن يكرمها، لكن هذا هو واقعه، وعليها أن تفهم وضعه وأن هناك أولويات في الحياة، إلى غير ذلك من كلمات، وهذا في النظام الإداري يسمى إلفات نظر، فإذا بدأ الموظف يتخلف يعطوه إلفات نظر لكي يلتفت إلى المشكلة ويعالجها، وإذا تمت الفائدة منها فقد حُلت المشكلة والحمد لله، وهذه امرأة تسمع وتعي وتلتزم، ولكن إذا لم تفد هذه المرتبة من مراتب التقويم والإصلاح، وهي العظة، ينتقل القرآن إلى مرحلة ثانية أكثر تطوراً.

ثانياً: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾: إذا لم تفد الموعظة معها، فصعدوا الضغط عليها قليلاً، "واهجروهن في المضاجع"، لا تناموا معهن على فراش الزوجية، هي دائماً تنام على فراشك، فاذهب إلى غرفة أخرى لإظهار عدم الارتياح والانزعاج، ليكن وجهك ثقيلًا عليها وتعامل ببرود، وهذه المرتبة أيضًا فيها مستويات، فيبدأ الإنسان بأن يكون وجهه ثقيلًا أمامها، والحر تكفيه الإشارة، إذا كان وجهك ثقيلًا قليلاً فسوف تلتقط الرسالة، وحين تسأل عن المشكلة، تجيبها بأن هذا لا يجوز؛ أن أعود فلا أجد الطعام حاضرًا وأنت خارج البيت، وقد تحل المشكلة فوراً.

وهناك زوجة لا تكفيه الإشارة؛ "والعبد يقرع بالعصا!"، وتحتاج إلى رسائل أقوى، "واهجروهن في المضاجع"، قم من فراش الزوجية ونم في مكان آخر، اغضب عليها ولا تتكلم معها، حتى تلتفت إلى أن هناك مشكلة حقيقية لمعالجها، فإذا أفاد ذلك فرجت والحمد لله، ورجعت إلى رشدتها والتزمت بواجباتها وعاد الدفء إلى الأسرة وإلى العلاقة الزوجية بينهما، لكن إذا لم يفد هذا أيضًا، لا الموعظة أفادت ولا المقاطعة

أفادت، أصبحت الأسرة مهددة بالضياع والانفراط ووصلت إلى آخر حدودها، فما الحل؟.. آخر الدواء الكي كما يُقال في المثل.

ثالثاً: "واضربوهنَّ": الحالة الأخيرة إذا لم تفد الموعظة معها والغضب لم يقد أيضاً، فلا بُدَّ من عقوبة، ولكن هذه العقوبة يجب أن تكون خفيفة كما في الفقه، فلا تترك أثراً في جسدها، وألا يعرضها إلى خطر، وألا يكون فيه تعنيف، بل هو تأديب وليس تعنيفاً وانتقاماً، بمقدار ما يشعر هذه الزوجة أن القضية وصلت إلى حالة الانفجار، وعليها أن تتدارك الموقف وتراجع نفسها، وتعيد النظر في سلوكها وتحمل مسؤولياتها.

### العقوبة أولى من انفراط الأسرة

ورب قائل يقول؛ أليس هذا انتهاكاً لحقوق الإنسان؟.. زوج يصل إلى حالة أن يعاقب زوجته بالضرب، وهذه مشكلة، نقول نعم هي مشكلة وهي ليست حالة مستساغة، وليست حالة مطلوبة وليست حالة طبيعية، لكن إذا دار الأمر بين انفراط الأسرة وتفرقها، وهذه الزوجة ستضيع ولا تعلم إلى أين تذهب، والبنت عزيزة وكريمة ما دامت في بيت أهلها، وعندما تخرج إلى بيت زوجها تعود بشكل آخر إلى بيتها، فحتى لو عادت إلى بيت أهلها تصبح شيئاً آخر، ولكي تُحفظ والزوج يُحفظ والأولاد يُحفظون، كل ذلك يتطلب موقفاً، حتى يحافظ على هذا الأمر، إذن فالمسألة تدور بين محذورين، محذور عقوبة توجه للمرأة، فيقبالها محذور أن تضيع الأسرة.

يقال آخر الدواء الكي، إذا كان هذا مفيداً في إعطائها رسالة قوية، فالمرضى يصل أحياناً في لحظات من الخطر يكاد يفارق فيها الحياة، في تلك اللحظة يضعون عليه جهازاً موصولاً إلى تيار كهربائي كي يتحرك القلب، والبدن يتنفس مرة ومرتين وثلاثاً، وقد يتحرك القلب والحمد لله، وحين تقول له هذا خلاف حقوق الإنسان، كيف تصعقه بالكهرباء، أأنت طبيباً؟، يقول صحيح أن التيار الكهربائي مؤلم وله عوارض، ولكن الموت أشد منها، فحتى أنقذه من الموت اضطرت إلى أن أعطيه صعقة كهربائية.

الحفاظ على الأسرة أمر عظيم وخطير، وإذا وصلت القضية إلى أن تكون الأسرة معرضة للانهايار، فإن تجرب صعقة كهربائية شيء مقبول للحفاظ على الأسرة، وهذه موجودة أيضاً في النظام الإداري الحديث؛ "فعظوهن": إلفات نظر، "واهجروهن في المضاجع": قطع راتب وإنذار وما شابه ذلك، "واضربوهن": نظام العقوبات، وفي النظام الإداري هناك نظام عقوبات، والمخالفات تختلف وتصل إلى حد الإعدام حسب

المخالفات التي يرتكبها المواطن في حياته، فهذه أمور واردة في النظام الحديث وهي عند الضرورة .

قد يقال إن المرأة إذا نشزت وتمردت يكون العلاج بأن تعظوهن وتهجروهن وتضربوهن، ولكن ماذا عن الزوج إذا نشز وتخلف؟ . . فهذا لا يقال له على عينك حاجب!، هذا رجل ولا أحد يقول له شيئاً وهذا ظلم . . والجواب كلا؛ فالزوج أيضاً إذا تخلف عن واجباته يبدأ معه بالموعظة ثم بعد ذلك يتطور الموقف وصولاً إلى التعزير .

المرأة لا تقوى على عقاب الرجل ولم تُكلف بهذا الأمر، وكلف الزوج أن يقود هذه الإجراءات التراتبية والتدرجية تجاه زوجته، لكن الزوجة تذهب للحاكم الشرعي، والقاضي، وتشتكي وتقول له هذا زوجي ترك البيت ولا يعطينا نفقة ويتعسف في البيت ويسيء إلينا والحاكم الشرعي ينصحه، وإذا لم يفد يأخذ احترازا وإجراءات اتجاهاه وصولاً إلى التعزير أي الضرب، فهو نفس الكلام أيضاً، ولا فرق بين الزوج والزوجة، وغايتها أن الجهة التنفيذية تختلف بين الزوجة والزوج، ففي الزوجة يقوم الزوج بهذا العمل، وفي الزوج تشتكي الزوجة إلى الحاكم والقاضي هو من ينفذ ويعزر، وفي قصة معروفة، أن امرأة اشتكت لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ تعسف زوجها، فهدده بالسيف وقال له سأقطع رقبتك إذا وصلت إلى هناك حتى يثنيه ويقومه، ليتحمل مسؤولياته الزوجية .

"فإن أظعنكم"، الشاهد في البحث في هذه الآية هذا المقطع، "فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً"، لكن إذا رجعن إلى الطاعة، بالموعظة أو الغضب أو الهجر في المضاجع، أو في مرحلة العقوبة، في أي من المراحل إذا رجعت المرأة إلى رشدتها وإلى الطاعة والالتزام، "فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً"، لا تظلموهن ولا تعتدوا عليهن ولا تستمروا في أدواتكم التعسفية وارجعوا إلى الاحترام والتقدير والتبجيل، حتى ترى أنها عندما تسير بشكل صحيح فإن الزوج يحترمها ويقدرها ويكرمها ويعطيها موقعها اللائق في الأسرة، وعندما تخرج عن السياقات وتتمرد فالزوج يبدأ بالموعظة وما بعدها من المراحل المطلوبة .

القضية ليست قضية انتقام وليست قضية تعسف، وليست قضية شماتة، وليست قضية تشف، بل مسألة إصلاح وحفاظ على الأسرة وعلى هذه العلاقة المقدسة بين الزوج والزوجة، العلاقة الأسرية، ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾<sup>(١٩٦)</sup>، حينما يلتفتن إلى أن الله عليّ كبير حاضر وشاهد، فلا تبغوا عليهن سبيلاً ولا تظلموهن،

إذن، فإن إدراك علو الله وقدرته سبحانه وتعالى، يمنع من وقوع الظلم، هذا المانع السادس من موانع الظلم.

### المانع السابع: الالتفات إلى علم الله سبحانه وتعالى

الالتفات إلى أن الله يعلم ويرى رادع، ومن المعروف في آدابنا وعوائلنا، عندما يكون هناك كبير في الأسرة، فحتى الذي يريد أن يدخل لا يستطيع أن يدخل أمام الكبير، بل يخرج إلى الخارج ولا يدخل أمام الكبار ويرى أن هذا عيب، وأشياء يعملها الإنسان، لا يعملها أمام الآخرين وبعلمهم، يعني خلف الستار، فالالتفات إلى أن الله يرى، يمنعك من أن تظلم بعد ذلك؛ لأنه يرى هذا الظلم والعدوان وسيسجله، فالظالم يظلم وهو غافل عن أن الله سبحانه وتعالى رقيب وشاهد على فعله وعلى ظلمه وتجاوزه.

لاحظوا الشاهد على ذلك في القرآن الكريم، ونأتي بآية واحدة في هذا الموضوع من سورة فاطر، وهي تشير إلى ظروف الإنسان المنحرف والعياذ بالله في الدار الآخرة، المذنب والمعاصي في الدنيا، يسير بلا رقيب وبلا هوادة، ولكن في الدار الآخرة ما هو حاله؟.. هذا المقطع القرآني يتحدث عن ظرف هذا الإنسان المتمرد على نعم الله سبحانه وتعالى، وما هو حاله في الآخرة.

### جزاء الكافر بأنعم الله

تقول الآية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي كفروا بأنعم الله، وكفروا برسله، وكفروا بكتبه السماوية، كفروا بالنعم التي منحها الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان، وكان يمكن أن يحولوها إلى مدخل لسعادتهم.. الله أعطاك لساناً، فلو تكلمت بالمفيد ونصحت للناس ووظفت هذا اللسان توظيفاً صحيحاً فالله يثيبك على ذلك وتدخل الجنة جزاء فعل هذا اللسان، والله أعطاك قدرة كتابية جيدة، فلو كنت ألفت كتباً مفيدة بهذه القدرة والناس تقرأ كتبك وتستفيد وتهتدي، فستدخل الجنة جزاء ما كتبت، وأي نعمة أعطاك الله إياها، إذا وظفتها توظيفاً صحيحاً تصبح مدخلك ومفتاحك إلى الجنة، وهناك من يكفر بأنعم الله.. فالله يعطيه العين فينظر بها إلى ما حرم الله، ويعطيه الأذن فيسمع بها ما حرم الله، ويعطيه لساناً فيتكلم به بما حرم الله، هذا اللسان ليس للغيبة والنميمة والكذب وليس لهذه الذنوب والمعاصي، بأن يتجرأ فيه فيصبح سبباً وطريقاً إلى النار، بل وظفوه ليكون طريقاً للجنة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، لم يستثمروا نعم الله في وجودهم.. وجودك نعمة، وفي كل

يوم من حياتك يمكن أن تقوم بخطوة سالحة وحسنة وتستثمر ذلك في قربك من الله (سبحانه وتعالى) وفي وجودك وفكرك وعملك وسلوكك، وكل هذه الأمور يمكن أن تكون مداخل ومفاتيح توصل الإنسان إلى السعادة الأبدية وتدخله الجنة، لكن هناك من لا يستثمر هذه الأمور كلها، ويوظف ويستغل كل هذه النعم بالاتجاه الخاطيء، "والذين كفروا لهم نار جهنم"، هذا الذي لا يستثمر هذه النعم، له نار جهنم وليس له غير ذلك.

﴿لَا يُفْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾، الله لا يصدر حكم الإعدام في الجنة ليموتوا، ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾<sup>(١٩٧)</sup>، انظروا إلى التعبير القرآني الرائع؛ الإنسان إذا كان به مرض شديد يصل إلى لحظة يدعو الله فيها أن يشفيه أو يميته ويخلصه، ومن العجيب أن يكون الموت أحياناً خلاصاً، وأحياناً يقول ذوو المريض إلهي إما أن تشافيه أو تريحه، فلا نتحمل أن نراه هكذا وقلوبنا تتقطع لما يعانیه من الألم والمعاناة، فيصل إلى لحظة يتمنى معها المحبون له الموت أو الشفاء، وهذا الذي في جهنم، بسبب شدة العذاب القاسي يقول إلهي اقتلني، فعلى الأقل سأنتهي، ولكن ﴿كُلَّمَا نَضَّجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾<sup>(١٩٨)</sup>، يبقى حيا ويحترق وهو حي، فيقول إلهي؛ إما أن تحكم عليّ بالإعدام وتخلصني، أو تخفف عني العذاب، إما هذه أو تلك، لأن الإنسان يبقى حيا وهو يتألم ويتعذب، فلا العذاب يخف عنه، ولا هو يموت، فيبقى معذبا وهذه مشكلة.

### كفر النعمة من الطغيان

﴿لَا يُفْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾، لا يُحكم عليهم بالإعدام ولا يموتون بأمر الله، ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾، ولا العذاب يُخفف عنهم، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾<sup>(١٩٩)</sup>، هذا جزاء من يكفر بأنعم الله، والقرآن يستخدم لفظة ﴿كَفُورٍ﴾ وهي صيغة مبالغة، يعني حالة أعمق من الكفر، حالة الطغيان، هذا الذي يغلق جميع أبواب الرحمة الإلهية في وجهه، فليس له عمل صالح وخير، بل هو جرثومة متحركة والعياذ بالله، شخص عمره ستون أو سبعون سنة نقلوا لي عنه أنه يتبجح أمام الناس قائلاً؛ لم أصم طوال عمري إلا يوماً واحداً، وهذا اليوم وقف أبي على رأسي وقال يجب أن تصوم، وأبشركم فقد زوجت في هذا اليوم أيضاً وكنت أشرب الماء عندما يذهب ليصلي، وكان أهله فرحين به، وهو يتبجح أنه لم يصل ركعة واحدة.

١٩٧. سورة فاطر: الآية ٣٦.

١٩٨. سورة النساء: الآية ٥٦.

١٩٩. سورة فاطر: الآية ٣٦.



لا تصلِّ ولا تصمِّ، فالله لا ينقص منه شيء إذا لم تصم ولم تصلِّ، فأنت من سبَّلتى البلاء العظيم وترى العذاب، والله لا يزيده شيء من صلاتك ولا من صومك كما لا ينقصه تركهما، بل أنت تستفيد وأنت تتضرر. . كفور والعياذ بالله، فالكافر في قبال المؤمن، والكفور يُراد بها كفران النعمة، هذا الذي يكفر بأنعم الله، وكل النعم الإلهية يتجاوزها ويعتدي عليها، ما هو حاله هنا؟، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا﴾، يصرخ ويستغيث وهو في النار، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾<sup>(٢٠٠)</sup>، إلهي أعطنا فرصة فقط، وأخرجنا وأرجعنا للعالم وسرى كيف نعمل عملاً صالحاً ونطيعك. . لم نكن نعلم أنها هكذا، ولكننا الآن فهمنا فأرجعنا يا ربنا.

﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، نعمل فعل مضارع، ويعني الاستمرار، أي كنا دائمي الإساءة، إساءتنا مستمرة، فأرجعنا ربنا ليكون عملنا صالحاً وعملاً مستمراً، والآية تقول: "ربنا أخرجنا نعمل صالحاً"، ولفظة (صالحاً) هنا نكرة، وهذا يعني أننا ليس لدينا أي عمل صالح في الدنيا، بمعنى أن العذاب الشديد الذي نتحدث عنه الآية يقع على الناس الذين كان عملهم كله سيئاً، فهو كله عصيان وكفر بأنعم الله، ولم يخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، أولئك الذين ساروا في الاتجاه الخاطئ المنحرف في كل سلوكياتهم، فالآية تشمل وتخص هؤلاء، "ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل"، لا يقولون غير الأخطاء والمعاصي، بل غير الذي كنا نعمل، يعني ربنا؛ إن الذي كنا نعمل به ظنناه عملاً صالحاً واعتقدنا أننا نسير بشكل صحيح، وتبين أننا سائرون بطريق آخر، والآن عرفنا فأرجعنا حتى نعمل العمل الصالح الذي تريده.

وهذه في الحقيقة إشارة لطيفة من القرآن الكريم للتدرج في الانحراف والحالات التي تمر بالإنسان، الفطرة تجنح إلى الطاعة، وكل شيء فيه معصية وتمرد هو خروج عن الفطرة الإنسانية، فالإنسان عندما يرتكب معصية بفطرته يقلق ويتألم ويندم؛ لماذا فعلت ذلك، ولماذا نظرت إلى الحرام، ولماذا تكلمت بالحرام، ولماذا ذهبت إلى المكان الحرام، ولماذا انفعلت بهذا الشكل وتكلمت بهذا الكلام مع الآخر، ولماذا لماذا؟. . فيندم وهذه الخطوة الأولى، وعندما يواظب على الإساءات يزول قبورها قليلاً، ففي المرة الأولى يندم، وفي المرة العاشرة أو العشرين تصبح طبيعية، فلا يرى قبورها، ويهون عليه فعل المعصية ويألف فعلها، وهذه الخطوة الثانية، ويستمر أكثر وبالتدرج يصبح هذا هو الصحيح.

هناك تجمعات من الناس إذا قال أحد أنا لا أشرب الخمر سخروا منه؛ فحين يضعون أمامهم المشروبات الكحولية ويقول أحد لا أشرب إلا ببسي يضحكون ويقولون هذا متخلف، إذ يصبح الحرام هو الشيء الجيد وهو دليل التحضر والعصرنة والتطور والتقدم، والذي يسير في الطريق الصحيح رجعي ومتخلف ولا يفقه شيئاً، ويصل الانحراف إلى أن يرى الإنسان السيئات صالحات وعملاً جيداً فيحدث تغير وتبدل قيمي في سلوك الإنسان، فيبدأ يرى العمل الطالح صالحاً، والمعصية يراها حسنة وتقدما وخطوة صحيحة؛ فيرى هذا الشخص معقداً، لأنه ليس له علاقات مع الجنس الآخر، لنرسله لطبيب نفسي، وفي الحقيقة أنت المعقد الذي ترك زوجته وذهب وراء العلاقات غير المشروعة والمحرمة، فأنت المعقد وليس هذا الذي يحافظ على آداب العلاقة وسياقاتها.

هذه الآية الشريفة تشير إلى هذا المعنى اللطيف، فالشيطان يصل في وسوسته إلى لحظة يزين فيها للإنسان انحرافاته وباطله، لاحظوا في سورة التوبة: ﴿زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ﴾<sup>(٢٠١)</sup>، عمل سيئ يزين له فيراه هو الشيء الصحيح وهو الموقف المطلوب، ويبرر لنفسه ويتبجح بفعل المعصية، ويقرع الآخرين لأنهم يطيعون الله ولا يعصونه، وفي سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾، ليس الخاسرين بل بالأخسرين أعمالاً، ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ذهب جهودهم في الدنيا هباءً منثوراً، فكلها معاص وذنوب، ﴿وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(٢٠٢)</sup>، ويعتقدون بأنهم سيدخلون الجنة من أوسع أبوابها.

هذه المطربة الفلانية التي تدخل الناس بسبب الاستماع إليها حالة الهيجان غير المشروع الذي يحصل للإنسان نتيجة متابعة هذا الأمر، تقول في مقابلة معها: الله وفقني، وكانت أغنية متطورة ومؤثرة، والناس اشتريت أقراص أغنيتي. هذا ليس توفيقاً، وكل واحد يسمع وينحرف ويرتكب معصية فأنت شريكة معه، فإذا اشتروا مليون قرص، فسوف تتمنين أنهم لم يشتروا شيئاً، أو قالوا إنها ليست جيدة ولم يسمعها أحد. . سيأتي يوم وتقول ليتهم لم يسمعوها ولم يشتروها وليت صوتي لم يصلح للغناء ولم أدخل في هذه القصة، هكذا تصير الأمور، "وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا"، ثم يأتي الجواب القرآني، وتركه إلى لقاء الغد بإذن الله تعالى، ونكتفي بهذا المقدار. أستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٠١. سورة التوبة: الآية ٣٧.

٢٠٢. سورة الكهف: الآية ١٠٣ - ١٠٤.



الأمسية السابعة عشرة ٢٠١٤/٧/١٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين  
وصحبه المنتجبين الميامين .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

استعرضنا العديد من الآيات والروايات في موضوع الاعتداء الذي يعبر عنه قرآنيا  
بالظلم والبغي والعدوان ، وانتهينا في حديثنا إلى موانع الظلم ، أي الأمور التي تمنع  
الإنسان من ارتكاب الظلم ، وذكرنا سبعة موانع في الليالي الماضية :

أولاً : الإيمان

ثانياً : العمل الصالح

ثالثاً : التقوى

رابعاً : مخافة الله

خامساً : الالتفات إلى نصر الله وتسديده

سادساً : الالتفات إلى علو الله وقدرته

سابعاً : الالتفات إلى علم الله

انتهينا في الليلة الماضية إلى الأمر السابع وهو الالتفات إلى علم الله . . إلى أن الله  
يرى ويعلم ، الأمر الذي يجعل الإنسان يتوقف عن الظلم ، وكنا نستعرض الشاهد  
القرآني على هذا المانع من موانع الظلم ، واستشهدنا بالآيات الشريفة من سورة فاطر :  
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ ، من يكفر بنعم الله وأنبيائه ورسوله له نار جهنم ، الكافر

جزاؤه جهنم، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾<sup>(٢٠٣)</sup>، يكتبون بنارها فلا العذاب يخفف عنهم ولا النار تحرقهم وتميتهم ليتخلصوا، وذكرنا أن الإنسان من الشدة والمرض في الدنيا يقول يا إلهي إما أن تشافيني أو تميتني، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا﴾، يصرخون وينادون من داخل النار، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، إلهي؛ أخرجنا من النار وأرجعنا إلى الدنيا وسوف نصبح أناسا صالحين ولا نرتكب المعاصي والآثام، هكذا يطلبون ويصرخون ويتمنون من الله تعالى أن يخرجهم ويعيدهم إلى الدنيا حتى يصلحوا من أوضاعهم، فما هو الجواب لهذا النداء؟.

﴿أَوَلَمْ نَعْمِرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾، ألم نعظكم عمراً طويلاً بمقدار يكفيكم لأن تتذكروا وتعتبروا وتلتفتوا؟، هل أتتكم على حين غرة أو أن الله تعالى أعطاكم العمر وأخذتم فرصتكم؟. في الامتحانات أحياناً يكون الوقت مفتوحاً، وأحياناً ساعة محددة، وأحياناً في السؤال الأخير يسحبون ورقة الجواب، مضى وقت طويل ولم تعرف الجواب، فيا أيها الذين تقولون أرجعنا يا إلهنا إلى الدنيا لنعمل صالحاً، هل كان لديكم قصور في الوقت؟! ألم نعظكم من العمر ما يكفي لأن تتذكروا وتعتبروا لو كنتم أهلاً للاعتبار؟. . أعطيناكم وقتاً وعمراً طويلاً ولم تستثمروه.

﴿وَجَاءَكُمْ التَّذِيرُ﴾<sup>(٢٠٤)</sup>، هل كان هناك قصور في إيصال البينة والندر اليكم؟، ألم يأتكم أنبياء ورسل ومراجع وعلماء يذكرونكم بمسؤولياتكم؟. . الجواب نعم، كانوا موجودين وقالوا وتحدثوا وشرحوا وأوضحوا ولم يقصروا؛ أمامكم وقائع تذكركم بالآخرة، ألم يمت أقارب لكم بين أيديكم، بلى ماتوا، هل كنتم تجهلون أن الإنسان يكبر ويصل إلى مرحلة العجز؟، ألم تروا مرضى وأناسا تقطعت أشلاؤهم على قارعة الطريق في عمر الورود؟، ومنهم من يريد أن يعمل ويبنى مستقبلاً ويدرس، وإذا بحزام ناسف وينتهي كل شيء، قالوا نعم رأينا كل ذلك، إذن أين المشكلة؟، كان عندك وقت ومعرفة في الأمور وموارد الاعتبار كلها موجودة، فما الشيء الذي كان ينقصك؟، ﴿وَجَاءَكُمْ التَّذِيرُ﴾، أرسلنا لك الرسائل الواضحة للاعتبار، فلم تعتبر ولم تستفد من هذه الرسائل.

٢٠٣ . سورة فاطر: الآية ٣٦.

٢٠٤ . سورة فاطر: الآية ٣٧.

## مهلة العمر والتوبة النصوح

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "من عمّرهُ الله ستين سنة فقد أعذر إليه" (٢٠٥)، أعطاك فرصة كافية لأن تعمل عملاً صالحاً وتتوب عن المعاصي، الله أكمل العذر إليك. . في المسابقات في التلفزيون حين لا يعرف المتسابق الإجابة، تكون هناك استعانة بصديق أو اتصال أو سؤال الجمهور وهكذا.

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "إذا كان يوم القيامة نودي أين أبناء الستين وهو العمر الذي قال الله فيه: (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر)" (٢٠٦)، رسول الله يطبق هذه الآية على عمر الستين، وفي روايات أخرى ثمانية عشر عاماً، يعني الحد الأقصى والحد الأدنى، إذن فالمدة الزمنية كافية والبينة والبرهان والدليل وموارد الاعتبار متوافرة وإذا لم تستفد منها فهذه مشكلتك، ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٢٠٧)، فذوقوا العذاب في هذه النار فليس هناك من ينصركم وينقذكم من عذاب الله، وليس هناك رجعة.

هذه مرحلة تكاملية في حياة الإنسان، وعقارب الساعة لن تعود للوراء والأمس لا يعود. . طفل يولد ويقول ليتني أرجع للرحم فقد كنت مرتاحاً في عالم آخر، ولكن ليس هناك رجوع. . فاكهة تُقَطَّع من الشجرة ولا يمكن إرجاعها إلى الشجرة، فالموت انتقال من حياة ونشأة إلى أخرى، وما فائدة الرجعة؟، فسترجع أيضاً إلى ما كنت عليه، والدليل هو واقعنا؛ فإننا نصبح في ضيق أو في مرض أو في أزمة مالية أو مشكلة فنرفع أيدينا إلى الله ونقول ربنا ليس لنا غيرك، أخرجنا من هذا المأزق وسوف نعمل العمل الصالح. . يرسلونه للمشفقة وهو يدعو الله أن يخلصه من هذه الأزمة، وحين أنزلوه وخففوا الحكم عليه أو جاء عفو عام، رجع إلى ما كان عليه. هناك أناس يمرون بظروف خاصة وضغوط شديدة فيتخذون قراراً أن يغيروا المسار، ويغيرون بالفعل يوماً أو يومين أو أسبوعاً أو أسبوعين، ثم يعودون كما كانوا، هذه طبيعة الإنسان.

هذه السيجارة مرض، والعجيب الغريب حين يمر المدخن بعارض صحي يقول سوف أترك التدخين، ولكن بعد يوم أو يومين أو أسبوع يرجع إلى التدخين مرة أخرى، ولذلك عندنا شيء اسمه توبة، وهناك شيء اسمه توبة نصوح، يعني القرار الذي لا رجعة فيه، القرار الذي نمضي فيه حتى النهاية، قليل من التائبين توبتهم توبة نصوح،

٢٠٥. بحار الأنوار ١٢ : ٢٨٥.

٢٠٦. السنن الكبرى للبيهقي ٣ : ٣٣٧٠.

٢٠٧. سورة فاطر: الآية ٣٧.

وفي أول تحدٍّ ترجع نفس المشكلة، وهذه الحقيقة التي تشير إليها الآية الكريمة من سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾، يرجعون إلى نفس الأعمال، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٢٠٨)</sup>، الآن يكتوي في النار ويقول هذا الكلام، وحين يرجع إلى الدنيا سوف يرجع إلى وضعه السابق.

في سورة الأعراف: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾، في أثناء العذاب، ألا يوجد أحد ينقذنا أو يشفع لنا؟، ﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، أرجعونا حتى نصلح أنفسنا ولا نعود للمعاصي، فيأتي الجواب القرآني: ﴿قَدْ حَسَبُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾<sup>(٢٠٩)</sup>، بطل كذبهم؛ كانوا يقولون إن آلهتنا هي التي تشفع لنا وتركوا الله تعالى وعبدوا آلهتهم.

لقد كان الناس على بساطتهم يضعون صنما ويعبدونه، أما الآن فقد تطورت الحياة، والصنم الآن أصبح جهاز موبايل حديث من النوع الفلاني، وسيارة من النوع الحديث، وفيلا ضخمة، ومن أجل هذا الصنم يكون الإنسان مستعدا لأن يظلم ويسيء ويعتدي على المال العام حتى يحصل على المال الحرام ويشترى فيلا أو سيارة محترمة، وكل واحد حسب مكانته وحجمه، فهناك من يبيع آخرته حتى يحصل على موبايل، وهناك من يبيع آخرته حتى يحصل على سيارة أو شقة أو وزارة أو إمارة، كل حسب مستواه وظروفه، هكذا يبيع آخرته لدنياه، نستجير بالله من ذلك.

#### بادر قبل فوات الأوان

في سورة المؤمنون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ قَالَ احْسَبُوا فِيهَا، اجلسوا صاغرين أذلاء، كل يوم تقول استغفر الله ونغفر لك، وهكذا مرة بعد أخرى، ولو كنت تريد أن تغير لغيرت، ﴿قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾<sup>(٢١٠)</sup>، أعطيناك ما يكفي من الفرص ولم تستفد منها، وهذه كلها تأكيد أن الفرصة ما دامت في أيدينا فيجب أن نستفيد منها.

يُنقل في أحوال أحد العلماء أنه حفر حفرة أشبه ما تكون بالقبر في داره، وفي كل ليلة جمعة ينزل فيها ويتصور أنه مات ويتذكر أعماله، ويتصور أن منكرًا ونكيرًا يحاسبانه،

٢٠٨. سورة الأنعام: الآية ٢٨.

٢٠٩. سورة الأعراف: الآية ٥٣.

٢١٠. سورة المؤمنون: الآية ١٠٧-١٠٨.

والإنسان أحيانا يذهب إلى المقبرة في وادي السلام ويرى كيف يُدفن الميت، ويرى الحفرة فيجلس ويفكر أنه سيأتي اليوم الذي ينزل فيه هو في هذه الحفرة، فما هو حاله وما هي أعماله؟، والإنسان الفطن الذكي هو الذي يتخذ القرار الصحيح، واليوم فرصتنا ما دام هناك وقت، فلماذا بعد ذلك نتوسل ونقول ربنا أرجعنا ولا أحد يقبل بهذا التوسل؟.. الآن يجب أن نستفيد من هذه الفرصة ونراجع أنفسنا وأقوالنا ومواقفنا، لنرى إن كان هناك ما يستحق فيها لأن نظوره ونغيره، والآن وقت الإصلاح فلا تضيع الفرصة.

إذا لم نستطع أن نصلح الآن فإن توسلنا يوم القيامة لا يسمعه أحد، ولا نستطيع أن نصلح أنفسنا، ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، الالتفات إلى أن الله عالم بكل شيء يمنعك من الظلم ومن الوقوع في حالة الاعتداء على الآخرين، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>(٢١١)</sup>، الله يعلم ما في القلوب لأنه يعلم كل شيء.

يتكرر هذا التعبير في القرآن الكريم أكثر من عشر مرات، في النصين: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>(٢١٢)</sup> و﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>(٢١٣)</sup>، إن (ذات) تعني صاحب، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>(٢١٤)</sup> يعني بصاحب القلب، وصاحب القلب كفاية لطيفة؛ من هو صاحب القلب؟.. الفكرة والرؤية التي تحملها والعقيدة، تتمكن من قلبك وتسيطر عليه وتملكه، فالقلب أسير لأفكاره، وأسير للمعتقدات، وأسير للخبرات القلبية والأفكار التي يحملها الإنسان، فالله يعلم ماذا تفكر وما هي نواياك ودوافعك، ﴿بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾<sup>(٢١٥)</sup>، ربما أقدم لك عذراً فقبل مني، لكن الله تعالى يعلم نيتك ودوافعك ولماذا قلت وماذا قلت وماذا قصدت وماذا أردت أن تقول وتفعل، إن الله عليم بذات الصدور. وهذا المانع السابع.

### المانع الثامن: معرفة الظالم أن للمظلوم حق الانتقام

توجس الظالم الخيفة من انتقام المظلوم منه ولو بعد حين يجعله لا يظلم. في مجتمعاتنا اليوم هناك إنسان بسيط وهناك شخص له اتباع وقوي فلا أحد يتعرض له؛

٢١١. سورة فاطر: الآية ٣٧ - ٣٨.

٢١٢. انظر: سورة آل عمران: الآية ١١٩، سورة المائدة: الآية ٧، سورة لقمان: الآية ٢٣.

٢١٣. انظر: سورة الأنفال: الآية ٤٣، سورة هود: الآية ٥، سورة فاطر: الآية ٣٨، سورة الزمر: الآية ٧، سورة الشورى: الآية ٢٤، سورة الملك: الآية ١٣.

٢١٤. سورة آل عمران: الآية ١٥٤، سورة التغابن: الآية ٤.

٢١٥. سورة القيامة: الآية ١٤ - ١٥.

لأنه سوف ينتقم ويقتص ممن يعتدي عليه، وإذا علمنا أن المظلوم قيض الله تعالى له الانتقام من الظالم، والظالم حينما يعرف هذه الحقيقة لا يظلم.

في سورة الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾<sup>(٢١٦)</sup>، يقول بعض المفسرين إن هذه أول آية نزلت في الجهاد وأعطت الإذن في القتال. كان المسلمون ضعافاً في ذلك المجتمع الجاهلي وكانوا يسيئون للمسلمين في ذلك المجتمع، فيأتي المسلمون إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويظهرون مظلوميتهم والأذى الذي يتعرضون له من قبل المشركين؛ هل تسمح لنا بالدفاع عن أنفسنا؟، إلى متى نبقى نُستهدف ونقتل وتقطع أشلاؤنا ويُعتدى على عقيدتنا ونحن ساكتون يا رسول الله؟. . نريد أن ننتقم من هؤلاء وندافع عن أنفسنا، ورسول الله يقول لهم صبراً لم يأت الإذن من الله تعالى بعد، حتى نزلت هذه الآية الشريفة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾، أذن الله لكم، أنتم من يُعتدى عليكم وعلى أموالكم وأعراضكم ومقدساتكم وأوطانكم، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾، مسموح لهم بالدفاع عن أنفسهم. . داعش تريد أن تهجم. . إرهابيون يحملون السلاح ويريدون أن ينتزعوا هذا الوطن منا، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾، حينما تقول المرجعية العليا يجب الدفاع عن الوطن والمقدسات وجوباً كفاً استناداً إلى هذا الأمر الإلهي، فلذلك تؤكد الآية الشريفة أن السبب في الجهاد هو لدفع الظلم والاعتداء.

### معنى الجهاد وأهدافه

الجهاد ليس ثأراً، وليس انتقاماً شخصياً، وليس تشفيماً، وإنما هو دفاع عن المبدأ والعقيدة والعرض والمال، الجهاد مهمة رسالية وعمل مقدس، وهذا ما نجده في أكثر من موضع في القرآن الكريم: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٢١٧)</sup>، الهدف يجب أن يكون الله تعالى، فالقتال في سبيل الله، لا في سبيل السلطة أو الموقع أو احتلال أوطان الآخرين والاعتداء عليهم أو الانتقام الشخصي والثارات الشخصية من هذا وذاك أو الحصول على الغنائم والمكتسبات، القتال في سبيل الله وفي سبيل إحقاق الحق والعدل وترسيخ معالم التوحيد لله تعالى وشد الناس إلى الله (عز وجل)، وفي سبيل إزالة الظلم والفساد والانحراف الذي يصيب المجتمع، ولإعادة تقويم المجتمع وتصحيح مساراته، هذا هو الهدف من القتال بحسب الفهم القرآني.

٢١٦. سورة الحج: الآية ٣٩.

٢١٧. سورة البقرة: الآية ١٩٠.



الجهاد دفاع عن النفس والعرض والمال والوطن والمقدسات، ولذلك فالجهاد يقدر بمقدار الضرورة، ونفهم من هذه الآية الشريفة ألا نبتدئ ولا نعتدي ولا نتجاوز ولا يكون لدينا إسراف في الاعتداء على الآخرين، وإنما ندافع عن أنفسنا، فالجهاد يقدر الدفاع وليس الإساءة للآخر.

عن علي عليه السلام: "لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم"<sup>(٢١٨)</sup>، والإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء يقول: "أكره أن أبدأهم بقتال"<sup>(٢١٩)</sup>، لا أريد أن أقاتلهم ولكن إذا قاتلوا فقد ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾<sup>(٢٢٠)</sup>، "فإنكم بحمد الله على حجة"، أنتم على الحق، والحجة والحق معكم، "وترككم إياهم حجة أخرى لكم"<sup>(٢٢١)</sup>، وحينما لا تبتدئ الآخر ولا تعتدي عليه يكون ذلك حجةً ودليلاً آخر لصالحك ولصالح الحق الذي تتبناه.

### آليات الجهاد في سبيل الله

- تحديد وتصويب فوهات السلاح نحو العدو وليس شيئاً آخر، العدو الحقيقي وليس العدو المشكوك فيه والمظلوم.
- لا يجوز القتل على الشبهة، ولا تجوز الإساءة على أساس الظن والتهمة.
- لا يجوز الاستهداف على أساس الانتماءات المذهبية والدينية والقومية وما شابه كما يفعل أعداؤنا في القتل على الهوية.
- يجب تجنب المدنيين الذين هم ليسوا طرفاً في القتال.
- من فقد القدرة على القتال، أي كان يقاتل وجرح مثلاً، ولم تعد له القدرة على القتال، فلا يجوز قتله.
- من فقد القدرة على القتال، كبار السن والنساء كبيرات السن إذا لم يقاتلوا، ولكن إذا قاتل يُقتل.
- تجنب الاعتداء على الطبيعة، لاحظوا كيف أن للانتماءات حرمة والطبيعة لها حرمة في منهج الإسلام.

٢١٨. نهج البلاغة ٣: ١٤، الوصية ١٤.

٢١٩. بحار الأنوار ٥٤: ٥.

٢٢٠. سورة الحج: الآية ٣٩.

٢٢١. نهج البلاغة ٣: ١٤، الوصية ١٤.

-لا تقلع شجرة، إلا إذا كانت هناك ضرورة. . لا تعتد على الطبيعة، كما يجب عدم تسميم مياه الشرب. . فلا يجوز أن تحرم الإنسان فرص الحياة حتى لو كان عدواً، فالإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان في كربلاء حينما جاء الحر بن يزيد الرياحي في اليوم الثالث من محرم، وكان الماء بيد الإمام الحسين والحر وجيشه عطاشاً، فسأهم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ الماء، وحين قالوا له إن هذا عدو وسوف يستقوي علينا، قال هذا حق الحياة ولا يمكن أن نسلبه حق الحياة. إذن فالجهاد ليس بربرية ولا همجية ولا تعسفاً، بل هو القتال الملتزم والمنضبط والمبدئي، فالجهاد في سبيل الله عملية منظمة فيها انضباط وقيم ومبدئية والحركة فيها بقدر الضرورة.

يقول الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: "إذا كانت الهزيمة"، انهزم العدو، "فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء بأذى"، لا تسيئوا للنساء ولا تلحقوا بهن الأذى، "وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم" (٢٢٢)، علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لجماعته، حتى لو شتمني أنا علي بن أبي طالب أميركم، فلا يجوز أن تقتل المرأة، لاحظوا مستوى الالتزام والانضباط في منهج الإسلام. الآية فيها تكملة نكملها الليلة القادمة إن شاء الله، والحمد لله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأمسية الثامنة عشرة ٢٠١٤/٧/١٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السادة الأفاضل، الشيوخ الأكارم، الإخوة الأعزاء، الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في هذا الشهر الفضيل، ولا سيما أننا نقرب من ليالي القدر الشريفة المباركة، نسأل الله أن يجعلنا في هذا الشهر من المرحومين وألا نكون من المحرومين .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

انتبهنا للحديث عن موانع الظلم، أي الأمور التي تمنع الإنسان من الوقوع في الظلم؛ الكوابح التي تمنع الإنسان من أن يعتدي على الآخرين ويسيء إليهم، ذكرنا ثمانية موانع في الليالي الماضية وهي، الإيمان، والعمل الصالح، والتقوى، ومخافة الله، والالتفات إلى نصر الله وتسديده، والالتفات إلى علو الله وقدرته، والالتفات إلى علم الله، وحق المظلوم في الانتقام من الظالم . . هذه ثماني نقاط تداولناها في الليالي الماضية، وكان حديثنا عن المانع الثامن، وهو انتقام المظلوم من الظالم .

### حق المظلوم في الانتقام من الظالم

إن الإنسان عندما يشعر أنه إذا ظلم الآخر فإن للآخر حقاً في أن يقتص منه ويرد الصاع صاعين ويدافع عن نفسه، فهذا الشعور، أن هناك رد فعل، بحد ذاته كايح ومانع من

وقوع الإنسان في الظلم، وكنا نستعرض شاهدا قرآنيا على هذا الأمر، هو قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾، قلنا إن هذه قد تكون أول آية نزلت بحق الجهاد بعد الأذى الشديد الذي كان يتعرض له المسلمون، وكان رسول الله يوصيهم بالصبر حتى يأتي أمر الله، فنزلت الآية على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تأذن لهم بالدفاع عن أنفسهم، بقتال من يعتدي عليهم.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾، لأنهم تعرضوا إلى الظلم، ولأنهم يُستهدفون. . لأنهم تُقطع أشلاؤهم، ولأنهم يُعتدى على وطنهم، ولأنهم يُعتدى على أعراضهم ومدنهم وأرواحهم وكراماتهم، يحق لهم أن يقاتلوا أولئك المعتدين ويدافعوا عن النفس والمال والعرض والوطن والكرامة والمقدسات.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾<sup>(٢٢٣)</sup>، لأنك مظلوم من ححك أن تقاتل الظالم وتقتص منه، والله قادر على نصرك، إذن فالنصر الإلهي يتحقق حينما ينتفض المظلوم بوجه الظالم، وحينما يدافع الإنسان عن حياته وكرامته وأرضه ووطنه وعقيدته، فالله سبحانه وتعالى ينصر ويسدد، وهذا إذن كابح آخر؛ يا ظالم، إذا ظلمت فسينتفض المظلوم بوجهك والله قد أعطاه سلفا وعدا بأن يُنصر؛ "وإن الله على نصرهم لقدير"، لم تقل الآية إن الله ناصركم، ولم تقل الله ينصركم، بل تقول إن الله يقدر على أن ينصركم، فليس المعنى أن تنام في بيتك والله ينصرك، ولكن حينما يقول "وإن الله على نصرهم لقدير"، معناه أن تتحرك وتقوم بواجباتك والله يجعل البركة في هذه الحركة، ويجعل هذا الجهد منتجا، فالوعد بالنصر الإلهي للمظلومين لا يعني ان المظلوم يلزم داره ويتخلى عن واجباته، وأن يتنصل المجتمع من مسؤولياته في عملية الإصلاح وفي عملية الوقوف بوجه الظالم والدفاع عن النفس والعرض والمال والوطن، كلنا تتحمل مسؤولية الدفاع عن أرواحنا وأوطاننا وعقيدتنا وأموالنا وأعراضنا، فإذا قمنا بواجباتنا وتحملنا هذه المسؤولية، فالله سبحانه وتعالى قادر على أن ينصرنا ويجعل هذه الجهود مثمرة ويكفل هذه الجهود بالنجاح والنصر والتوفيق.

أيها المظلوم؛ لا تظن أن عليك أن تلزم دارك لأنك مظلوم، والله سبحانه وتعالى يأخذ ححك، كلا، فحكك تأخذه بيدك وتنتصر لوطنك وعرضك ونفسك ومالك وكرامتك، والله سبحانه وتعالى ينصر ويسدد، انظروا كم هي مهمة هذه التوصيات القرآنية أيها المظلومون، يا من تتعرضون إلى الإرهاب واستهداف الإرهابيين، عليكم

٢٢٣. سورة الحج: الآية ٣٩.

أن تستنفدوا كل الوسائل المتاحة المشروعة في الدفاع عن أنفسكم، وفي الدفاع عن أوطانكم، وحينذاك ترقبوا التسديد الإلهي، والله يجعل جهودكم منتجة ويحقق لكم الأمن والأمان والاستقرار.

من هؤلاء الذين يعدهم الله بالنصر وأن النصر قريب منهم؟ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، هؤلاء الذين طردوهم وأرادوا اغتصاب أوطانهم ومدنهم والاعتداء عليهم.. ما هي مشكلتكم معنا أيها الداعشيون؟، أيها الإرهابيون ما هي مشكلتكم معنا؟، ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾<sup>(٢٢٤)</sup>، أخرجوا من ديارهم بغير حق وبدون ذنب.. لم يرتكبوا ذنبا ولم يعتدوا على أحد، ذنبهم أن يقولوا ربنا الله، ذنبهم أن يلوذوا بالله سبحانه وتعالى ويعتمدوا على الله ويرتبطوا بالله ويتمسكوا بإيمانهم بالله سبحانه وتعالى، هذا كان ذنبهم، فأخرجوا من ديارهم بغير حق، كيف أسلمتم؟.. هكذا قال الجاهليون في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولا حقوقا للمسلمين؛ لماذا أسلمتم وتركتم آلهتنا وأمتهم بالله؟، ذنبهم أن يقولوا ربنا الله.

لقاتل أن يقول، وهل الإيمان بالله ذنب حتى تقول الآية إن ذنبهم أن يقولوا ربنا الله؟، فهذا ليس ذنبا بل منقبة وكرامة، وهذه خطوة صحيحة أن يكون الإنسان مؤمنا بالله (سبحانه وتعالى) وتمسكا بالله، ولكن هذا استخدام لطيف للتقريع؛ مثلاً تخدم شخصاً وبيادلك الحسنة بالسيئة، تخدمه وتقف معه أو تساعد أو تحل مشاكله، وإذا به يعطيك الصفحة ويغدر بك ويخونك، فماذا تقول له؟.. تقول إن هذا ليس ذنبك إنما ذنبي أنا إن ساعدتك وخدمتك، وليست المساعدة ذنبا، لكنك تريد أن تقرعه فتستخدم هذا الأسلوب، والقرآن أيضاً يقول لا ذنب لهم إلا هذا الذنب، وهو أن يقولوا ربنا الله، وهذا ليس ذنبا، يعني يا من تعتدي عليهم لأنهم على صواب، اعلم أنك مخطئ ومنحرف وأنت ظالم، لأنهم يسرون في طريق الصواب.

### فلسفة الجهاد في الرؤية الإسلامية

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾، هنا تبدأ الآية القرآنية تتحدث عن فلسفة الجهاد؛ لماذا يتصدى ويلتزم المسلمون بالجهاد وبالذِّفَاع عن وطنهم وأنفسهم؟، الجهاد بمعناه الصحيح في رؤية الإسلام وليس الجهاد بالمعنى المغلوط الخاطئ الذي يتداوله أولئك المتشددون المتطرفون. شرحنا بالأمس أن الجهاد للدِّفَاع وليس

للاعتداء، والدفاع عند الضرورة فقط وليس ما سوى تلك الضرورة، وحينما تحين الضرورة تتحرك، وإذا رأيت شخصا جرح بالمعركة ولا يقاتل فلا تلاحقه، وإذا فر من المعركة اتركه، والجهد ليس شماتة وثأرا وانتقاما وإنما إيقاف المعتدي عن الاعتداء، فمتى ما تخلى عن اعتدائه سقط الواجب وانتهت المسألة، فلا تقتلوا الناس، ولا تنتهكوا الأموال، وحتى الطبيعة يجب أن تحافظوا عليها، فلا تقطعوا شجرة أو نخلة أو غرسا، حافظوا على الطبيعة ولا تسمموا ماء للشرب.

انظروا إلى الإسلام كم هو دقيق في هذه العملية؛ بمقدار الضرورة في الدفاع عن النفس والمال والعرض والوطن، وهنا يذكر الفيلسفة، فلسفة الجهاد، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾، لولا أن الله سبحانه وتعالى يدافع عن المؤمنين بتشريع الجهاد، حتى يمكن بعضهم، المعتدى عليه، من أن يدافع البعض الآخر، المعتدي، لولا هذا التشريع الجهادي، ولولا ما أحل الله لمن يعتدى عليه، للمظلوم، أن يقف ويدافع بوجه الظالم، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمْتُ صَوَامِعَ﴾، لولا وقفة المظلوم ودفاعه لهدمت صوامع: جمع صومعة، المكان الذي يذهب إليه الرهبان وينقطعون ويعتزلون الدنيا وينشغلون بالعبادة لله (سبحانه وتعالى)، فالصومعة مكان للعبادة عند المسيحيين للعزلة والانقطاع إلى الله، ﴿وَبَيْعَ﴾، كنائس، ﴿وَصَلَوَاتُ﴾، دار العبادة لليهود تسمى صلوات ومفردها صلاة، وفي لغتها العبرية يسمونها (صلواتا)، دار عبادة اليهود، ﴿وَمَسَاجِدُ﴾، تهدم دور العبادة، صوامع وبيع وصلوات ومساجد، دور عبادة المسيحيين واليهود والمسلمين. . أيها المظلوم؛ إذا لم تقف بوجه الظالم والمعتدي ستهدم دور العبادة.

﴿وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾<sup>(٢٢٥)</sup>، يقال يذكر فيها اسم الله كثيرا، وهذا قيد للمساجد وليس لكل دور العبادة، لأن المسلمين وحدهم بحسب شعائرهم وطقوسهم الدينية يصلون في اليوم الواحد خمس مرات، أما الآخرون فلديهم الصلوات والدعاء يوم في الأسبوع، وفي المناسبات الخاصة، لذلك فإن حجم التردد على دور العبادة وحجم الممارسة العبادية لدى المسلمين يفوق الآخرين، لذلك حينما يقول "مساجد" يردفها بـ "يذكر فيها اسم الله كثيرا"، يذكر في هذه المساجد، يقول إذا لم يقف أهل الإيمان بوجه الظالمين ولم يدافعوا ستهدم دور العبادة. لماذا يستهدف الظالم دور العبادة؟ . . لأنها

محطة للوعي والمعرفة والتعرف على الحقوق والواجبات والمسؤوليات، دار العبادة، المسجد والكنيسة وأي دار للعبادة، والأديان السماوية جاءت لتعرف الناس بواجباتها.

### الوعد الإلهي المشروط

عليك أن تتحمل مسؤولياتك ولا يجوز أن تكون لا مبالياً في المجتمع، ولا يجوز أن تكون محايداً، بل يجب أن يكون لك موقف واضح بوجه الاعتداء والظلم، وأن تدافع وتصلح وتقوم، ودور العبادة محطات للوعي، وما دام هناك وعي فهناك أمة ستعبأ بوجه الظالمين، والظالم لا يستطيع أن يحقق أهدافه، فيبدأ بهدم الكنيسة والمسجد والصلوات وهكذا، "ولينصرن الله من ينصره"، تأكيد آخر أن النصر الإلهي قادم. . أيها الناس، تحملوا مسؤولياتكم وقفوا بوجه الإرهاب والدواعش ودافعوا عن أوطانكم، "ولينصرن الله من ينصره"، الله ينزل نصره عليكم ويجعل جهودكم ثمرة ومواقفكم وأدواركم في الانتصار لوطنكم يجعلها مؤثرة، فيتحقق الأمن والأمان. إذا تحملت مسؤولياتك ووقفت بوجه الظالمين والمعتدين حينذاك، إذا نصرت الله، فالله سبحانه وتعالى سينصرك، ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٢٢٦).

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢٢٧)، هذا الوعد الإلهي، وهو قادر على تحقيقه وعندما يقول الله أنصركم، فالله قادر على نصرنا؛ لأنه قادر وعزيز ولديه القوة والقدرة على تحقيق ما يعد، وفي بوعده لعباده، لذلك هذا التأكيد، فالله قادر وهو معك، الله يقول ذلك؛ أيها الناس نحن معكم فامضوا وأنا ناصركم، حتى لا تشعر أنك وحيد، وأخطر الأشياء في المعارك الانهزام الروحي والنفسي، والجيش إذا هُزم نفسياً فحتى لو أتتته بالأسلحة المتطورة في العالم فلن يستطيع القتال، ولو أتت بملايين الجيوش، إذا هُزمت نفسياً فلن تستطيع شيئاً، ولكن إذا كانت الجماعة لديها ثقة بالله والنفس وإرادة ووضوح وإصرار في الدفاع عن نفسها ووطنها، هذه الجماعة مهما كانت صغيرة فهي قادرة على أن تدافع على أكمل وجه.

لذلك، فمعالجة الهزيمة النفسية ومواجهة الحرب النفسية وحرب الشائعات مسألة مهمة جداً، ونحن في الكبوة الأخيرة التي حدثت، صاحوا جاءكم داعش. . اهربوا،

٢٢٦. سورة محمد: الآية ٧.

٢٢٧. سورة الحج: الآية ٤٠.

فضعنا، ولكن لماذا نضيع ونحن ملايين وهم بضع مئات من الغرباء أو لنقل إنهم آلاف من الغرباء، ونحن أصحاب الأرض والتاريخ ونحن أصحاب الحق ونحن الأمة.. نحن في هذه الأرض منذ آلاف السنين، ثم يأتي الدخيل والغريب ببضعة آلاف، فهل يطردون ملايين، ما هذا الكلام والضعف؟، ما هذا الانكسار النفسي، من يكون داعش، من يكون الإرهاب أمام إرادة الشعوب والأمم؟.

استخدموا الحرب النفسية وحرب الشائعات؛ الليلة سيدخلون أو غدا، انتبهوا يا أهل بغداد.. تقدموا إلى المكان الفلاني.. وهذه حرب نفسية، فمن يدخل بغداد ومن يستطيع أن يقترب من مدنا؟، ومن يتجرأ على أن يتجاوز على حرماننا ومقدساتنا؟، لا أحد يستطيع، ويجب أن نحذر ونستعد، ونعد العدة، وثق بالله وبأنفسنا، ونقف وقفة شجاعة ولا نسمح للهزيمة النفسية بأن تستحوذ علينا، وللخوف بأن يدب في نفوسنا وقلوبنا.. الله سبحانه وتعالى كان يعالج المسلمين بهذا الخطاب القرآني في ذلك الوقت، "إن الله لقوي عزيز"، الله القوي معكم إذا نصرتموه وتحملتكم مسؤولياتكم، معالجة البعد النفسي للمعركة قضية في غاية الأهمية.

### شكر المتمكين.. الارتباط بالله وخدمة الناس

"والذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور"، مكناهم في الأرض.. قاتلتم ونصرتم الله والله نصركم على الدكتاتور، وعدكم بالنصر وتحقق النصر وسقط الدكتاتور ورجع الوطن لأهله، للعراقيين، وعبر صناديق الاقتراع ينتخبون حكاهم، والآن بعد تحقق النصر وسقوط الدكتاتور كيف تتعاملون؟، أتبقون على علاقتكم بالله؟، أتبقون خدومين لشعبكم أيها المسؤولون؟، فإذا كنتم تتحملون واجباتكم وتنفذون شعاراتكم، فأهلاً وسهلاً، وهذا هو المطلوب، ولكن أن تتصلوا من الشعارات التي أطلقتتموها قبل الانتخابات، وما أكثرها، وبعد أن تنتهي الانتخابات، ينتهي كل شيء وترجع الأمور كما كانت، فهذا غير مقبول.

"الذين إن مكناهم في الأرض"، بعد الانتصار يجب أن ننظر كيف تتعاملون، يقال إن الثورات تحرق رجالها، قسم منها تأكل رجالها، يعني الرعيل الأول يأتي ويقاوم سنين إلى أن يتحقق النصر وبعد ذلك تنتهي قدرته البدنية والحركة وما شابه ذلك ويذهب الجيل القديم والرعيل الأول ويأتي جيل جديد، ولكنها تأكل رجالها أحياناً؛ فمن يتصدى لمواقع المسؤولية ويجلس على هذا الكرسي ويحوز هذا الموقع يغيره ويغير



من سلوكه ويصبح ليس ذلك المجاهد في سبيل الله، والمدافع عن شعب وقضية حقة، ويتحول إلى إنسان يبحث عن مصالحه الخاصة، ويدافع عن مصالحه الحزبية والفتوية والطائفية والقومية، ولا يبقى كما كان حامل قضية، بأبعادها الواسعة. . قضيته لا تصبح قضية شعب وتصبح قضية أنانية وشخصية، تصبح صراع كراسي وصراع مواقع. . أين الخطابات السابقة عندما كنت في الهور وفي ساحات الوغى والجهاد بوجه الدكتاتور؟، تختلف خطاباتك في ذلك اليوم عن اليوم وكان عملك لله، وحين صرت مديراً ووزيراً وهنا وهناك تغيرت .

البعض يقول إن السلطة تغير الناس، فعندما أصبح مديراً تغير، ولكن يبدو إن الموقع الصحيح لا يغير الناس، فالسلطة تعري البعض وتخرجه على حقيقته؛ فالبعض منا دكتاتور صغير، ولكن على من يفرض قدرته؟ . دكتاتور على زوجته أو أولاده، ولكن عندما يكون مسؤولاً في مكان في شركة أو عمل وتحت يده عشرة أشخاص يكون عليهم دكتاتوراً، وإذا صار وزيراً صار دكتاتور على ألف من الموظفين، فهذا طبع لم يستطع التعبير عنه ولكن عندما تأتيه الفرصة يعبر عنه، عندما يجلس على الكرسي ويأتيه الموقع، الموقع سلطة وسطوة، فبجرة قلم يرفع هذا وذاك يخفضه وذاك يخرج وهكذا، وعندما صارت عنده سلطة القرارات تبين واقعه ما هو، فالسلطة تعري وتوضح حقيقة الإنسان، ولا تغيره لأنه هو هو، فإذا كان هناك خطيب بارع، وأتيته بأناس ووضعت له سماعة فسيخطب فيهم، ولكن إذا بقي في زنزانة انفرادية فلمن يخطب، وهذا الذي عرّته السلطة كذلك .

"الذين إن مكناهم في الأرض"، حين يتحقق الانتصار لا يذهبون وراء الشهوات والهوى والذات والأنانيات والامتيازات والقضايا الشخصية، فماذا يفعلون؟، "أقاموا الصلاة"، إشارة إلى علاقة هذا المسؤول بالله، ويوظف هذا الانتصار وهذا التوفيق لخدمة الناس ولإعمار البلاد، وللتواضع لهذا الشعب وهذه الأمة، هكذا يكون، يوظف إمكانات الدولة لخدمة الناس، "وآتوا الزكاة"، إشارة إلى علاقة المسؤول بالناس، إلى العطاء والخدمة، فقد خدمهم وساعدهم ورعاهم، وفي المنطق الإسلامي يسمى الحاكم (الراعي) والشعب (الرعية)، فهو خادم يخدم هذا الشعب وراع يرعى ويهتم ويدلل هذا الشعب .

نحن نريد مسؤولين يرعون الشعب ويخدمونهم ويدلونهم ويحلون مشاكلهم ويأتون بالكهرباء والماء والخدمات ويوفرون فرص العمل وينعشون الاقتصاد ويوفرون الأمن ويدفعون الأعداء ويعززون اللحمة والتماسك. نريد أن يفتح المواطن عينه على

بلد يعيش فيه حياة عادية مريحة ، فيها أمان واستقرار ومودة ومحبة وتواصل بين الناس ، وفيها ثقة وتعاون على البر والتقوى ، بين أبناء الوطن الواحد حتى لو تعددت طوائفهم وقومياتهم وأديانهم وتوجهاتهم وأقوامهم وعشائره ومناطقهم ، فنحن عراقيون ، وفي البلدان الأخرى هناك أطياف وألوان يجب أن يتعايشوا ويتحابوا ويندمجوا ويتعاونوا ، الناس على دين ملوكهم ، فالحاكم يستطيع أن يحقق هذا الشيء وطبقة المسؤولين تستطيع .

بالأمس كانت البشارة لأبناء شعبنا الذين كانت عيونهم مسمرة على التلفزيون؛ هل تُحل المشكلة ويصبح لدينا رئيس ونائبان لمجلس النواب وبرلمان يعمل؟ ، والحمد لله ، وهذا بفضل دعائكم أيها الصائمون ، حقق الله سبحانه وتعالى هذا الإنجاز ، واليوم صار عندنا مجلس نواب . أيها السادة والسيدات يا أعضاء مجلس النواب الكرام ، نظامنا في العراق نظام برلماني وأنتم المؤسسة الأم في هذا النظام ، وتقع عليكم الأعباء العظيمة ، والصورة التي أخذت عن مجلس النواب لم تكن صورة إيجابية في المراحل السابقة ، ولا أريد أن أتحدث عن هذا الانطباع ، هل هو بحق أو بغير وجه حق ، أو هو بين هذا وذاك ، وشخصيا اعتقد بأنه كانت هناك سياسات ممنهجة لتخريب مجلس النواب وتشويه صورته لدى الرأي العام ، وهل هو كل المشكلة أو جزء منها ، هذا بحث آخر ، ولكننا اليوم في مرحلة جديدة ، أيها الأحبة يا أعضاء مجلس النواب إخوة وأخوات ، قدموا صورة تطمئن الشارع العراقي وأظهروا جدية وحضوراً واسعاً في جلسات مجلس النواب وأمضوا في تشريع القوانين التي تخدم الشعب وراقبوا أداء المسؤولين في الحكومة القادمة وتابعوا مظالم الناس ، ليكن دوركم الإشرافي الرقابي والتشريعي دوراً مميزاً . خذوا دوركم ومساعدتكم . نريد بناء مؤسسات قوية وفاعلة في هذا البلد ، ليتحقق الوثام والتفاهم والثقة وحتى يخدم الشعب ؛ لأنه يستحق أن يُخدم .

"وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر" ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هذه ترمز إلى الأعمال الصالحة ، أن على الإنسان ألا يكون غير مبال تجاه المجتمع وأي ظاهرة خاطئة . . حاول وانصح وتكلم وبيّن وشرح ووضح وأعرض ، وعليك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يرمز إلى الأعمال الصالحة ، إذن ، فإن إقامة الصلاة ترمز إلى العلاقة مع الله وإيتاء الزكاة يرمز إلى العلاقة بالناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يرمز إلى الأعمال الصالحة ، وهذا الذي يجب أن يشيع في المجتمع ، ويتحرك المجتمع على أساسه ، ثم تختم الآية

الشريفة، ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٢٢٨)</sup>، العاقبة: النهاية، لله سبحانه وتعالى، البداية لله والنهاية لله، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾<sup>(٢٢٩)</sup>، نبدأ منه تعالى وننتهي إليه تعالى، ومن كانت حياته بدايتها ونهايتها لله فهنيئاً له، وكيف كانت البداية، فإنها توصل إلى نفس النهاية إلى الله، إذن يجب أن تكون البداية والنهاية خطاً مستقيماً دائماً نحو الله.

أيها الأحبة، ليالي شهر رمضان ليال مباركة، ويجب أن نستحضر الله سبحانه وتعالى في نفوسنا وقلوبنا، هذه الليالي نتضرع فيها إلى الله ونقول له؛ ربنا وإلهنا، أنت تعلم ذنوبنا وإسرافنا في حق أنفسنا، أسأنا لأنفسنا وصدرت إساءات منا تجاه الآخرين، وقصرنا في عبادتك وفي طاعتك، ولكن جئناك تائبين مستغفرين منيبين، فتجاوز عنا يا الله واغفر لنا واصفح عنا، وأنزل رحمتك علينا، وتفضل علينا بالأمن والأمان والاستقرار والرفاه والرخاء والمحبة والوئام لتعيش مع بعضنا، "ولله عاقبة الأمور"، النتيجة والعاقبة إنما تكون لله (سبحانه وتعالى)، ولا بُدَّ من أن نكون إلهيين وربانيين ونضع الله (سبحانه وتعالى) نصب أعيننا في كل خطوة وحركة وسكنة. . نسأل الله أن يجعلنا كذلك، وأن نكون من المرحومين في هذا الشهر الفضيل. وللحديث صلة تأتي تباعاً، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٢٨. سورة الحج: الآية ٤١.

٢٢٩. سورة البقرة: الآية ١٥٦.



الأمسية التاسعة عشرة ١٧/٧/٢٠١٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين  
وصحبه المنتجبين الميامين .

ذكرى شهادة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ

### تجسيد الإنسان الكامل

إخوتي الكرام أخواتي الفاضلات ، تقبل الله أعمالكم وعظم الله لكم الأجر بذكرى  
استشهاد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين علي بن  
أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ليلة عظيمة ، ليلة كريمة هي أولى ليالي القدر ، وهي الليلة التي  
جُرح فيها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وإنه اقتران عظيم ، هذا الاقتران بين ليلة القدر واستهداف علي  
واستشهاده ، علي وليد الكعبة ، ولد في الكعبة الشريفة ، وكانت حياته حافلة بطاعة الله  
ودعوة الناس إلى الله تعالى ، وكان مشوارا رساليا ، مشوارا إلهيا ، وكانت النتيجة في  
بيت الله أيضًا ، البداية من بيت الله والنهاية في بيت الله ، وما بينهما خط متصل في طاعة  
الله والعمل من أجله ، فكان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ تجسيدا للإنسان الكامل ؛ فقد كان يجسد  
العبودية الخالصة لله تعالى ويعبر عن الإنسان حينما يفني وجوده من أجل الله ومن أجل  
المشروع الرسالي على الأرض .

علي عَلَيْهِ السَّلَامُ جامع للخصال التي لا تجتمع في رجل واحد ، ولذلك فالقرآن الكريم  
كلما تحدث عن علي استخدم صيغة الجمع وليس صيغة المفرد ، وكأنه يشير إلى أن عليًا  
ليس فردا وإنما أمة ؛ «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٢٣٠﴾ ، ولاية علي تمثل حزب الله وتيار المؤمنين بالله المنتصرين لدين الله المتمسكين بحبل الله ، "فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ" ، الغلبة والنصرة إنما هي باتباع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فهو يمثل منهجاً ومشروعاً وإطاراً في الأمة ، ولا يمثل شخصاً مهماً كان عظيماً ، فإن علياً يمثل أمة .

وكذلك في قول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿٢٣١﴾ ، مهما كانت الاصطفافات ومهما بلغ حجم الأعداء ومهما اتسعت رقعة التآمر ، فإن الشعور بالثقة والقوة والعزة أكبر من ذلك ، فالعزة لله تعالى ، للارتباط بالله ، "حسبنا الله ونعم الوكيل" ، فإذا وضعت نصرته الله تعالى وتسديده في كفة الميزان وفي الكفة الأخرى ما تريد فنحن رابحون .

### رجل المواقف الصعبة والفضائي الأول

هكذا كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، رجل المواقف الصعبة ؛ "ضربة علي يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين" (٢٣٢) ، عبادة الأنس والجن في كفة وليس عبادة علي في كفة وإنما ضربة علي يوم الخندق ، لاحظوا هذا المنهج الإسلامي الأصيل ؛ لا تقاس الأمور كلها بالأعداد والأرقام ، فالعدد ليس كل شيء وإنما النوع والتأثير ؛ كلمة حق عند سلطان جائر تساوي ألف محاضرة للجالسين ، والحياة موقف ، فحينما هرب الآخرون وتصلبوا وساد الرعب والخوف لدى الآخرين ، وقف علي الفتى آنذاك وقال أنا يا رسول الله أقف بوجه عمرو بن عبد ود العامري ، وهذا من شجعان العرب وصناديدهم وعلي فتى صغير ، لكنه قال أنا له يا رسول الله ، رجل المواقف الصعبة .

وفي ليلة المبيت ، يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنا يا رسول الله أنا في مكانك وأنت اخرج حتى نضمن ابتعادك عن الخطر ، ليكون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمان ، فدى رسول الله بنفسه ووجوده في كل هذا المشوار الرسالي الطويل . . أحد أساتذتنا يقول لقد أجريت تتبعاً في الروايات والنصوص لأرى هل تحدث علي في مجلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول ، من خلال تتبعي لم أعثر على مكان حضره رسول الله وعلي

٢٣٠ . سورة المائدة : الآية ٥٥ - ٥٦ .

٢٣١ . سورة آل عمران : الآية ١٧٣ .

٢٣٢ . بحار الأنوار : ٣٩ : ٢ ، المستدرک علی الصحیحین : ٣٤ : ٣٢ .

يتحدث، إلا أن يسأل فيجيب، هكذا كان لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقدم وأسهم وأعطى كل وجوده، ولكن هناك سؤالاً طالما يطرح نفسه؛ علي بن أبي طالب الشجاع العالم المعصوم بمواهبه وملكاتة وخبراته وقدراته وفهمه العميق، حينما تصدى لإدارة الأمور، لخلافة المسلمين، استمرت خلافته أربع سنوات وبضعة أشهر، أخذ ولاية واحدة بمقاسات اليوم، ولكن هذه السنوات كانت مليئة بالأزمات والحروب والمشاكل، وفي بعض هذه الحروب من الناحية العسكرية لم ينتصر علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانت طول النصر تدق في الجبهة الأخرى، لماذا، ما تفسير ذلك؟. . شخص بعلم وشجاعة وقدرة ومؤهلات علي، لم يستطع أن يعبئ هذه الأمة ويأخذها إلى حيث الانتصارات الكبرى المباشرة.

حينما نريد أن نتحدث اليوم بعد مرور ألف وبضع مئات من السنين على زمن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، اليوم من المنتصر، علي أم خصومه؟. . لا شك في أن علياً هو المنتصر، ومشروع علي وخط علي والتشيع لعلي، كل ذلك أصبح اليوم تياراً في الأمة، وإذا كانت الروايات تشير إلى ارتداد الناس بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلا ثلاثة أو أربعة أو سبعة أو عشرة أو ثلاثين على أكثر تقدير، وهنا يراد الارتداد عن الولاء لعلي وليس عن الإسلام، فإن شيعة علي عدد محدود، أما اليوم فكم مئة مليون، وما هي مساحاتهم وتأثيرهم وحضور علمائهم ومؤلفيهم وسياسيهم وتجارهم؟، إنهم مؤمنون وصلحاء وطيبون، لقد أصبحوا تياراً كبيراً في الأمة، فاعلاً ومؤثراً في التوازنات الإقليمية والدولية، هذا هو النجاح بعينه، النجاح على المستوى الإستراتيجي الطويل الأمد، علي عَلَيْهِ السَّلَامُ حقق أكبر انتصار في فترة قصيرة، ربع قرن وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحاشية، مهمش في الزاوية، وفي أربع سنوات تصدى فيها لخلافة المسلمين بنى هذا التيار الكبير في الأمة، وإلى اليوم ينمو ويتوسع يوماً بعد آخر.

لا أتحدث عن الانتصارات الإستراتيجية لعلي، فهذه قضية محروزة، وإنما أتحدث عما يسمى في الاصطلاح السياسي الإخفاقات السياسية والعسكرية المباشرة التكتيكية في فترة حكم علي، لماذا وما هي المشكلة؟، لماذا لم يتحقق الانتصار الكاسح في الجمل وفي صفين وفي النهروان؟، أين كانت المشكلة؟. . وإذا ما عرفنا أن هذه السنن الإلهية تتجدد في كل زمان ومكان، "فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً"<sup>(٢٣٣)</sup>، إذا عرفنا الجواب، فيمكن أن نطبق ذلك على زماننا وعلى كل زمان،

وعلى تجربتنا وعلى كل تجربة، لنعرف كيف تدار الأمور، وما هي التركيبة المجتمعية التي انطلق منها علي، وما هي التيارات السياسية التي كانت في عهد علي، وما هي طبيعة النزوات والطموحات الشخصية والحزبية والفئوية التي كانت في عهد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما هي الصراعات والأزمات التي كانت في عهد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وما خلفياتها؟.. هذه أسئلة مهمة.

### التيارات السياسية في عهد أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ

#### أولاً: الخط الانتهازي

هناك تيار سياسي مهم نعبّر عنه بخط الانتهاز، الخط الانتهازي، وهم أناس أصحاب مصالح يبحثون عن مصالحهم، ولا يفكرون بالناس إلى خير أم إلى مشاكل، وكل ما يفكر به مصلحته الشخصية، وفي هذا التيار الانتهازي أناس يحسنون الحديث وينظرون تنظيرات رائعة جداً، وحينما تسمعه تنبهر به حتى تقول إن هذا هو الحق، وقدراتهم التأثيرية عالية وعندهم إمكانيات مالية، وتجمعهم مع الآخر المصلحة الخاصة ليس إلا، وليس عندهم حدود في مد المصالح والجسور مع الآخرين، وليس هناك قيم أو مبادئ أو أطر أو خطوط حمراء، بل الشيء الوحيد هو المصلحة، وفي إطار المصلحة هو مستعد لأن يتحالف مع الشيطان، فليس عنده حدود، ومساحة حركته واسعة جداً ولديه مرونة كبيرة وقدرات في الفكر والبيان والتنظير والمال والإعلام والرأي العام واسعة جداً، يبدو كبيراً ومؤثراً فيستغل مشاعر الناس.

في حرب صفين كان عند عمرو بن العاص بعض الحسابات مع معاوية؛ فجاء إلى جيش معاوية وقال لهم من تقاتلون؟، قالوا نقاتل علي بن أبي طالب، قال لهم ألا ترون عمار بن ياسر الآن سقط شهيداً؟، قالوا وما المشكلة، قال ألم تسمعوا قول رسول الله أن عمار تقتله الفئة الباغية<sup>(٢٣٤)</sup>؟، قالوا بلى سمعنا، قال أنتم قتلتموه، يعني أنتم الفئة الباغية، فانهاروا وانتشرت هذه الكلمة كالنار في الهشيم، فأدرك معاوية الخطر فالحرب النفسية خطيرة، وإذا انهارت المعنويات فالسلاح لا يكفي وحده، وجيش معاوية انهار، ووصل الخبر إلى معاوية أن عمرو بن العاص أشار إلى أن جيش معاوية هو الفئة الباغية بعد قتلهم عمار بن ياسر، فأرسل معاوية إلى عمرو بن العاص وقال له ما تريد؟، قال خراج مصر، قال إنه لك، فعاد إلى جبهة معاوية وقال للجيش من جديد لستم أنتم من

٢٣٤. بحار الأنوار ٣٣: ١٤، مسند أحمد ٤: ١٩٩.

قتل عمار بن ياسر، وإنما قتله من جاء به إلى الجبهة، يقصد علياً عليه السلام، فالباغي هو الذي جاء بعمار إلى ساحة المعركة.

الانتهازي يتلاعب بالمقدسات والقيم، فليست عنده قيم، بل يبحث عن مصلحته، فإذا كانت هناك حرب يحتاج فيها الناس إلى سلاح، يصبح تاجر سلاح، وإذا أراد الناس طعاماً احتكر الطعام وأصبح تاجر طعام، ولا يعنيه مصير الشعب، ولا تعنيه أرواح المواطنين ولا يعنيه الوطن، فكل ما يعنيه مصلحته، وحسب مصلحه كيف موافقه، وبما أن المصالح متحركة فالمواقف تكون متحركة أيضاً. . في تخطيط القلب، ترى القلب السليم يصعد وينزل، ولكن عندما يقف قلبه يظهر الخط مستقيماً في جهاز التخطيط، وسلوك الانتهازي في الدنيا مثل هذا؛ يصعد وينزل، وكل يوم هو في شأن؛ ساعة مع هذا وساعة مع ذلك، ويسمع كل واحد الكلام الذي يعجبه فمصلحته هي الأساس، هذا خط الانتهاز، الذي كان خطأ قوياً وفاعلاً في عهد علي عليه السلام، وهو خط مؤثر في كل زمان ومكان، الانتهازيون يعيشون في المجتمع ويستغلون الفرص ويشاغلون الناس ويستغلون تقاطع المصالح والاختلافات بين الناس، حتى يستفيدوا ويصعدوا في كل قضية، وكل ما يفكرون فيه هو أين مصلحتهم، هذا خط الانتهاز الذي واجهه علي عليه السلام.

### ثانياً: تيار المنافقين

تيار النفاق والعقد النفسية والاحقاد والضغائن والثارات والقلوب السوداء، الناس الذين لديهم فصام في الشخصية ولهم وجهان؛

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب<sup>(٢٣٥)</sup>

فظاهره شيء وباطنه شيء آخر نستجير بالله، وهذه هي الازدواجية، ليس هناك صفاء ولا نقاء ولا شفافية في العلاقات، وليس هناك وضوح، بل تعقيد ولف ودوران ومكيدة ونفاق، هذه كانت ظاهرة متجذرة جدا في الصدر الأول للإسلام، وفي القرآن أكثر من ستة آلاف آية وردت في النفاق؛ صفات النفاق وأحوال المنافقين وظروفهم وشروطهم وعقابهم. . الخ، القرآن الكريم كتاب للمعالجة، يعطي برنامجاً لبناء مجتمع ويعالج المشاكل والأمراض، وحينما تختص ١٠٪ من آياته بظاهرة النفاق فهذا يعني عمق

٢٣٥. ديوان علي بن أبي طالب ٢: ٥٦.



وتجذر هذا المرض في ذلك المجتمع، فحالة النفاق هذه كانت حالة مؤلمة ومعرقة ومعطلة، وأصحاب الوجهين في كل مكان لهم كلمة.

في تجربتنا العراقية اليوم، نسبة كبيرة من مشاكلنا من هذه الأمور؛ فترى هذا المسؤول متحملاً على المسؤول الآخر وبالعكس، لأنه يسمع كلام المنافقين، فهذا يحرض وذاك يحرض، فيغضب هذا الطرف السياسي من ذلك الطرف، ولا أحد يصارح الآخر، وتبدأ المشكلة تكبر ويكون هناك فريق موتور، والمجتمع في أي لحظة يمكن أن ينفجر، جراء ظاهرة النفاق هذه، وهذا كان تياراً مهماً ومؤثراً في الأمة، ينخر من الداخل، ومشكلة النفاق أن ظاهره صديق، فالعدو تعرف أنه عدو، داعش تعرف أنه عدو وتقف بوجهه وتقاتله، أما مشكلتك فمن هذا الذي يظهر لك بمظهر الصديق ولكنه ليس صديقاً، فهذا ينخر المجتمع من الداخل وخطره أعظم ومعالجته أصعب، والعدو حينما يدخل ويجد حاضنة ويجلس في وسطها فكيف تستهدفه، أما العدو الذي عنده معسكرات بالصحراء فستقصفه بالطائرات وتنتهي منه، فدائماً يكون العدو بمظهر الصديق أخطر من العدو الواضح، والمنافق عدو؛ ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾<sup>(٢٣٦)</sup>، أعداء لكنهم يخفون أنفسهم في الوسط، ظاهرهم أصدقاء وباطنهم أعداء وخصوم خطرون جداً، هذا التيار الثاني كان أيضاً ينخر في المجتمع ويثبط الناس ويسبب مشاكل ومتاعب كبيرة لعللي عَلَيْهِ السَّلَامُ في تعبئة الأمة.

### ثالثاً: أهل الحديث

تيار أهل الحديث، وهم الناس الذين ظاهرهم تدين، ولكن ليس لهم تعمق في الدين، فأحدهم يتصور أن الدين مجموعة طقوس وعبادات، سمع كلمة وتمسك بها ولا يعرف ما هي القصة، هذا حلال وهذا حرام وهذا يجوز وهذا لا يجوز وهذا شرك وهذا كفر، وانتهى.. فهو لا يتفاهم، ويفهم القضية بطريقته الخاصة؛ يريد أن يتوضأ فتراه يقف نصف ساعة على المغسلة ويهدر الماء، وحين يصلي يقضي دقائق في الركعة الواحدة، ويعيد الآية خمس مرات، وحينما تراه تقول أي متعب هذا؟!.. ولكنه نتيجة لقراءته الخاطئة يدخل المجتمع كله في أزمة كبيرة تحت غطاء التدين والقداسة والخوف من الإقدام وما إلى ذلك.

أبو موسى الأشعري واحد من هؤلاء؛ يصعد المنبر والناس تراه جالساً على السجادة وأصابه مملوءة بالخواتم ولسانه لا يتوقف عن التسييح، فمظهره مظهر عابد، صعد

٢٣٦. سورة المنافقون: الآية ٤.

المنبر وقال أيها الناس سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول ستأتي على أمتي فتن ، القاعد فيها خير من القائم والنائم خير من الجالس ، واليوم نحن في فتنة ، نحن لا نقاتل المشركين والكفار وإنما نقاتل المسلمين وهذه فتنة ، فليذهب كل واحد إلى بيته ، هكذا يقول رسول الله ، وثبط الناس وجعلهم يتركون القتال ، وكل واحد يقول إذا كان رسول الله يقول هذا فلماذا نحارب ، والحرب أساساً لا أحد يحبها ، فكيف بالحرب مع المسلمين ، وتأتي الفتوى من رجل لحيته طويلة ويلبس خواتم كثيرة! وهو جالس على سجاده في أغلب اليوم! ، انهار الجيش . . الإسلام سوف يضيع والوطن سوف يضيع والأعداء سوف يدخلون وأنت تشكك الناس ، فهذا تيار مزعج ظاهره إسلام وتدين وقداسة ، ولكن واقعه جمود على النص وعدم قدرة على تحليل المواقف وعدم تطبيق الحكم الشرعي بشكل صحيح على الواقع المجتمعي الذي نعيشه ، هؤلاء أيضاً كانوا سكين خاصرة ويمثلون عبئاً كبيراً على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ورأيتم في واقعة التحكيم وما قام به أبو موسى الأشعري وأدى إلى انهيار كل العملية نتيجة موقفه الساذج ، فعقله هكذا ، يقحم نفسه في ما لا يستطيع أن يعالجه ، ويتصور نفسه يعرف كل شيء ، وهو عنده فهم ناقص ومغلوط .

اليوم هناك قراءات إسلامية معينة أيضاً تحاول أن تحتكر الإسلام في قراءتها؛ فهذا شرك وهذا كفر ولا أحد يتكلم ، طيب ، هذا شرك في رأيك وأنت حر ، ولكن في رأيي ليس شركاً وأنا أتقرب إلى الله ، ليس لك حق في أن تصادر عقيدتي وترغمني على شيء ، وليس لك حق في أن تكفرني لأنني أحمل عقيدة غير عقيدتك . . أنت لا تزور الأضرحة وأنت حر ، أما أن تقول أنت مشرك وأنا أستند إلى الكتاب والسنة في زيارة هذه المقامات العالية وأتقرب بهم إلى الله تعالى استناداً إلى قراءة إسلامية عميقة ، فليس لك حق في أن تصادرني ، لك حق في أن تخطئني كما نحن نخطئك ، ولكن أن تقول لي أنت مشرك فليس هذا من حَقِّك ، وليس لك حق في أن تمنعني وتفجر المقامات ، فمن أعطاك هذا الحق؟ . . هذا تيار آخر .

#### رابعاً: الخوارج

من التيارات آنذاك تيار الخوارج ، وهو تيار الشدة والغلظة ، تيار قطع الرؤوس ، تيار العقل المتحجر الذي لا يريد أن يفهم أو يعي . . كل من ليس على رأيه يقطع رأسه ، هكذا الدم بسيط ليس له حرمة . . كانوا متعبدين لهم دوي في آناء الليل ، فصلاة الليل لا تُترك لديهم ، ويتصورون أنهم يطيعون الله بهذه الخطوات ، وأنهم يتقربون إلى الله

بتفجير أنفسهم . . هم كأفراد حينما يأتون ، فهذا من تونس وهذا من المغرب وهذا من الشيشان ، وقد ترك أهله ليقاتل ويقتل ، فما هي مصالحه المباشرة؟ . . يتصور أن هذه هي المبدئية ، وهو يرى أن البشرية كلهم أعداء الله ويجب التخلص منهم ، هكذا يرى الأمور ، وهذا هو التيار الخارجي ، وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ تحملهم رغم السب والهتك إلى أن حملوا السلاح وقطعوا الطريق واعتدوا على الناس ، فدخل معهم في معركة طاحنة في النهروان ، وقال : "لا تقتلوا الخوارج من بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه" <sup>(٢٣٧)</sup> ، هؤلاء التبت عليهم الأمور ولا يريدون أن يفهموا ولا يقبلون أن يسمعو ، فتضطر إلى أن تقاتلهم حتى توقف هذا الأمر ، هذا تيار آخر .

التيار الخامس : تيار المخلصين الطيبين المطيعين لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الذين وقفوا واستبسلا تحت لواء علي ، ولكنهم كانوا أقلية عديدة ، أما التيار الكبير فهو تيار أولئك .

التيار السادس : عموم الناس البسطاء الذين تضيع عليهم الأمور حينما يرون الصراعات والنداءات وأسماء ومسميات ، فلا يدري أين الحق ، وكل واحد يقول شيئا ، فتضيع القضية عليهم ، هؤلاء تيار الأمة من البسطاء الذين يضيعون بين الانتهازين وكلامهم المنمق ، والمنافقين وكلامهم المغري ، وأهل الحديث وشكلهم الجذاب ، فيذهبون للصلاة خلفهم وهم لا يدرون أنهم لا يعرفون الأمور على حقيقتها ، وبين أناس متشددين يمتنون القتل والذبح ، فهذا المواطن البسيط يتحير ، وهناك أهل الحق يتكلمون ويدعون أيضاً ، وتضيع القضية ويضيع الحق على الناس البسطاء ، وتلتبس عليهم الأمور وتختلط فلا يعرفون أين هو الحق .

### مبدئية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ

لذلك كانت عند علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أزمة تعبئة جماهيرية مع كل هذه العناصر التي تتحرك ، فهو لا يعمل مثل الآخرين ؛ يرشي هذا ويشترى هذا ، أو يمارس مناورة سياسية وغيرها من الأساليب الملتوية ، فإن مبدئية علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لا تسمح له بأن يقوم بمثل هذه التكتيكات والإجراءات ، لأنه يراها لا تنسجم مع الموازين الشرعية ومع الحالة القيمية التي يمتلكها ، فيده قصيرة في هذه التكتيكات والمناورات وهو يعرفها ويعيها جيداً ، وقد قالها : "والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر" <sup>(٢٣٨)</sup> ، يتحرك بدون قيود وبدون

٢٣٧ . نهج البلاغة ١ : ١٠٨ ، الخطبة ٦١ .

٢٣٨ . نهج البلاغة ٢ : ١٨٠ ، الكلام ٢٠٠ .

حدود، ولكن علي له حدود ومحددات في حركته، وربما يغلبه في لحظة نتيجة الحرية في الحركة لعدم وجود مبدئية في هذا المسار، ولكن هذه التكتيكات تنجح مرة أو مرتين أو عشرا، ولكن من حضر بئراً لأخيه وقع فيها، ﴿وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (٢٣٩)، المكر السيئ والنوايا السيئة والشريرة والمواقف الخاطئة تترد على أصحابها، وهذه النار تحرق بلهيبها من أشعلها ولا تبقى الأمور بهذا الشكل، إذا لم يكن ذلك في نفس اللحظة، فبعد لحظات أو خطوات ولكنها تحرق، فمن يزرع الشر ومن يعمل الشر يحصده ولو بعد حين، سنن الحياة هكذا تقول.

هذه صورة وإلمامة عن تركيبة المجتمع في عهد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذه التيارات القوية الفاعلة المتناحرة التي أربكت إلى حد كبير ذلك المجتمع، وكانت عائقا أمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في أن يحقق انتصارات كبيرة، واليوم حينما نقارن أنفسنا مع كل المشاغبات، لدينا مرجعية عليا تقول كلمتها وكلمتها مسموعة والناس منسجمة مع مراجعها بالرغم من المشاغبات والمشاغلة والاتهامات، ولكن هذا التيار أصبح تياراً قوياً. أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان غريباً ووحيداً، والإشاعات تدب في المجتمع، فحينما استشهد علي وانتشر الخبر أن علياً قُتل في محراب صلته، قال الناس في الشام هل كان علي يصلي حتي يُقتل في محراب صلته؟! . . بهذا الشكل كان أمير المؤمنين مظلوماً، وبهذه الطريقة أريد عزله وبقي يكافح ويؤسس لمشروع ومنهج نحن اليوم نعيش على مائدته ونستفيد من ثمار هذا المنهج. ونسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى أن نكون من المتمسكين بولاية علي عَلَيْهِ السَّلَامُ. . وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الأمسية العشرون ٢٠١٤/٧/١٨



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين. ثم الصلاة والسلام على سيد الوصيين وإمام المتقين ويعسوب الدين وقائد الغر المحجلين، علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، إخوتي المؤمنين أخواتي المؤمنات، تقبل الله أعمالكم وعظم الله أجوركم بذكرى استشهاد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

### ذكرى شهادة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ

#### مرحلة ملتبسة وأحداث جسام

كان حديثنا في الليلة الماضية عن طبيعة التحديات والتعقيدات التي واجهت أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في مرحلة خلافته، وقلنا إن السؤال الذي يطرح نفسه؛ كيف لم يستطع شخص بحجم علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلم علي وتجربة علي وشجاعة علي وقدرات ومؤهلات علي، أن يحقق انتصارات كبيرة في الحروب التي خاضها، انتصارات عسكرية مباشرة؟.. لأننا حينما نقف عند مرحلة خلافة أمير المؤمنين وحكمه التي امتدت أربع سنوات وبضعة أشهر، نجد أنها مرحلة مليئة بالأزمات والمشاكل والحروب، وكانت الانتصارات العسكرية تسجل أحيانا للآخرين، للأعداء وليس لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لقد حللنا المجتمع الإسلامي آنذاك، وقلنا كان فيه تيار الانتهازيين وهو تيار مهم

ومؤثر، وتيار النفاق أصحاب الوجوه المتلونة والمتعددة، وأصحاب الأحقاد والثارات، وفيه تيار أهل الحديث، أصحاب القداسة الظاهرية دون مضمون حقيقي، مما يؤدي إلى الجمود على النص وأخذ بعض المواقف الحادة، وكسر الإمام المعصوم والحجة الشرعية تحت يافطة الحكم الشرعي، لأنهم لم يفقهوا عمق هذا الحكم وأخذوا بعض قشوره وظواهره، وقلنا هناك تيار الرفض والخارج، أناس يرون في أنفسهم الصدقية ويعملون بجهد لتحقيق أهداف يعتقدون بأنها حقّة ولكنها ليست كذلك، فيسرفون بالظلم والاعتداء ولكن بنية قد تكون طيبة.

وهناك تيار المخلصين الصالحين الطيبين من أتباع علي، أولئك الأبطال الأفاضال الذين وقفوا مع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فضلاً عن المجتمع من الناس البسطاء، الذين تشبه عليهم الأمور وتلتبس عليهم نتيجة هذه التيارات والنداءات والتصريحات والمواقف، فمن هو المخلص ومن هو الانتهازي ومن هو المنافق ومن هو الخارجي ومن هو ظاهر القداسة ومن المقدس الحقيقي؟. فتختلط الأمور على الناس، فينشطر المجتمع وتنقسم الأمة، وتكثر الدكاكين والرايات؛ أبو فلان، وسيد فلان، وشيخ فلان، وكل واحد منهم خلفه مجموعة ويعتقد بأنه الحق، ولذلك ورد في الرواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه"<sup>(٢٤٠)</sup>، العالم عليه أن يوضح ويشرح ويبين، حتى لا يقع الناس في حيرة ولا تلتبس عليهم الأمور وحتى لا يسمعوا للبعض الذي يخرج على الشاشات ويتكلم بشكل جميل منسق ويستغفر المشاعر ويدفع الناس إلى خلاف مصالحها، والناس المساكين لا يعلمون ويركضون وراءه ويصوتون له وقد لا تكون مصالحهم معه، مع هذا التجيش الطائفي والقومي وضرب الناس بعضهم ببعض، والوصول إلى هذا الانقسام الحاد في المجتمع.

الشعب واحد، وقد كنا بطوائف وقوميات متعددة على طول التاريخ متعايشين متحابين متفاهمين، وفي العشيرة الواحدة من عشائرننا لا ترى لونا واحدا، فنحن الشعب الملون، شعب الفسيفساء وشعب التنوع، العشيرة الواحدة فيها من هذا المذهب ومن ذاك، شعب متماسك، لكن هذه الكلمة وهذا التصريح، وهذا الحزب يقول وذاك يتكلم، وهذا ما هي أهدافه وذاك ما نواياه، وهل هذا مخلص أو انتهازي أو منافق أو خارجي أو يدعي القداسة والشرعية وهو بعيد كل البعد عن الموقف الشرعي وبيحث عن مصالح خاصة، فتلتبس الأمور على الناس وتضيع عليهم الحقيقة، فالعالم يجب أن يظهر علمه ويبين.

## الحق مع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ

هذه كانت معاناة علي بن أبي طالب وهذه محنة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، تيارات وكل يدعي وصلا بليلي كما يقال، والكل يدعي أنه مع الحق والحق معه، ولكن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الوحيد الذي قال في حقه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "علي مع الحق والحق مع علي"، وهذا التعبير الثاني تعبير مهم جداً، فمن المهم جداً أن يكون مع الحق، ولكن يمكن أن نجد كثيرين يصطفون إلى جانب الحق ويكونون مع الحق، لكن "والحق مع علي"، الحق يركض وراء علي ابن أبي طالب ويلتزم علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن تتخذ موقفاً حقائياً شيء جيد ومهم ويحصل، ولكن أن تكون دائماً مع الحق بحيث يتبعك الحق في إشارة إلى الملازمة والتلازم المستمر، فهذه حالة نادرة وحالة لا تحصل، "والحق مع علي يدور معه حيثما دار"<sup>(٢٤١)</sup>، أي يدور الحق مع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإذا كان الحق هو المسطرة التي نضعها حتى يكون الخط مستقيماً، فإن علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ مسطرة المسطرة، وبوصلة الحق.

هكذا وصل علي بن أبي طالب، وهكذا كانت أسطورة وصدقية علي وتميز علي، لكن هؤلاء الناس المساكين التبتت عليهم الأمور، واليوم بعد ألف وأربعمئة سنة عندما ننظر إلى الوراء نجد علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا الحجم الكبير، وكثير منا إلى اليوم لا يعرف حق علي ومنزلة علي ومكانة علي، لا نعرفها، لكن الذي يريد أن يدقق يرى. لقد عايش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أعلى مرتبة من علي، وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل الطعام ويسير في الأسواق، وهذه الصورة ينقلها القرآن في السمة الإنسانية لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ «قَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ»<sup>(٢٤٢)</sup>، لا يُعرف من هو رسول الله، كان الغريب يدخل إلى مسجد الرسول ويسأل أين رسول الله فيقال في تلك الحلقة، وينظر إلى الوجوه فيرى الملبس نفس الملبس والجلسة دائرية وليس هناك صدر للمجلس، فيتحير ويقول أيكم رسول الله؟ فيقال له هذا رسول الله، بمعنى لا شيء يميز الرسول لا في مجلسه ولا في مشربه ولا مأكله ولا ملبسه، هكذا كان، وهذا التواضع وهذه الحالة الإنسانية العادية التي يظهر فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمير المؤمنين، كانت تجعل من الصعب على الناس أحياناً أن يعوا ويقدرُوا مكانة وحقانية علي، وتفرقت الناس.

٢٤١. بحار الأنوار ٣٣: ٣٧٦، ح ٦٠٦.

٢٤٢. سورة الفرقان: الآية ٧.

## مبدئية علي عليه السلام والسياسة الدنيوية

عندما تصدى أمير المؤمنين للخلافة رأى الانحراف قد بلغ مبلغاً ومستوى يحتاج تقويمه وتصحيحه إلى معالجات جذرية، ويحتاج إلى تغييرات كبيرة ويحتاج إلى هزة عنيفة في المجتمع، والمجتمع غير مهياً لهذه الهزة، فكان أمام خيارين، إما أن يقتحم المجتمع ويوجد فيه هذه الهزة التي لا يتحملها وينفرط العقد، أو أن يجامل ويدهن ويعمل صفقات تحت الطاولة ويبيع ويشترى بالمواقع ويعطي امتيازات، حتى يشترى الضمائر ويمسك الأمور، لكن مبدئية علي بن أبي طالب لم تكن تسمح له بذلك، فلا يستطيع أن يكسر ولا يستطيع أن يتعامل بمنطق السياسة الدنيوية والمكر والخداع والتلاعب بالمال العام وما إلى ذلك، وكلا الخيارين مرفوض عند علي عليه السلام، ولذلك اتخذ قراراً ألا يكون هدفه إنجاح الحكم، بقدر ما يكون هدفه إعطاء الصورة الحقيقية لطبيعة الحكم في الإسلام، أن يعطي النموذج، والمصمم المحترف يضع تصميمًا جميلاً قد لا يستطيع المفاوض أن ينفذ منه إلا (٥٠)٪ أو أقل، لكن التصميم راق وإذا كان هذا لا يستطيع فالثاني يطور عليه، ومفاوض آخر كذلك، وشيئاً فشيئاً تتطور الخبرات حتى يقترب المنفذون من هذا التصميم، ولكن هناك تصميم ومعياري، وعلي عليه السلام أراد أن يكون المعيار العملي لكيفية الحكم والإدارة، أن يقدم صورة ناصعة وجلية عن الحكم في رؤية الإسلام، ولذلك اعتمد علي عليه السلام على ثلاث ركائز أساسية، بيانه الوزاري ومشروعه في فترة حكمه، وقلنا إن علياً حكم أربع سنوات، أي ولاية واحدة بمعايير الزمن الحاضر، وفي هذه الولاية الواحدة وضع معايير ومرتكزات أساسية، ومن أراد أن يحكم وينجح، فلا يجوز أن يدير الأمور بالارتجال والانفعال والقرارات السريعة والمتعجلة، بل يجب أن يضع إطاراً لنفسه وبرنامجاً ويسير في ضوء هذا البرنامج، وعلي عليه السلام وضع برنامجاً يركز على ثلاثة مرتكزات أساسية.

## مرتكزات الحكم لدى أمير المؤمنين عليه السلام

المرتكز الأول: الحفاظ على الإسلام بهذا العنوان العريض؛ الإسلام كيف يحفظه وكيف يقويه، وكيف يتمدد في عمق المجتمع، وعندما نقول الإسلام نعني العقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي في قبال الانحرافات؛ المدارس المنحرفة والأفكار المنحرفة التي تعطي للإسلام صورة خاطئة وتقرأ الإسلام قراءة خاطئة، والإسلام دين السلام ودين التسامح ودين المحبة ودين التعايش ودين التعامل مع



الآخرين؛ "الدين المعاملة" (٢٤٣)، والعقيدة الصحيحة، والفكر الإسلامي الصحيح والنقي، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (٢٤٤)، الفكر الإسلامي فكر وسطي اعتدالي، وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ دافع عن الإسلام كعقيدة ودافع عن الإسلام ككيان ونظام، وفي مصطلحاتنا اليوم؛ كيف يحافظ على العملية السياسية التي أوجدها في مدينة الرسول، وفي هذه العملية كلام وملاحظات، والتصحيح أمر مقبول، ولكن التغيير الشامل والتنصل غير مقبول.

اليوم هناك من يقول لدينا اعتراضات، أهلاً وسهلاً، ما هو اعتراضك وملاحظاتك؟، هذه ديمقراطية وحرية فاطرح لنا وقل ما هي ملاحظاتك، والذي ينسجم مع الدستور والقانون وما هو حقلك على رؤوسنا، أما ألا تقبل بها كلها وتنقضها وتغيرها فهذا ليس قرارك وليس بيدك، فالكيان يجب الحفاظ عليه ونصلح فيه ونطوره، لكن الاعتراف بالكيان والنظام والعملية السياسية شرط أساسي للتفاوض، وغير ممكن أن نجلس مع من لا يرتضينا ولا يرضى بدستورنا، ودائماً نتفاوض مع من نجتمع معه على مشتركات محددة، وإذا لم تكن هناك مشتركات على ماذا نتفاوض؟.

لا نستطيع أن نتفاوض مع من لا نجتمع معه على مشتركات الوطن والدستور والعملية السياسية والحقوق المتبادلة والاعتراف بالآخر، وإذا لم تكن كلها موجودة ويقول تعال نتفاوض وأنت غير عراقي وصفوي، ومن هذه الكلمات التي نسمعها هذه الأيام؛ أنت لا تملك شرعية، وأنت جئت على دبابات الاحتلال، أين دبابات الاحتلال؟.. فلا نستطيع أن نتفاوض مع من ليس بيننا وبينه مشتركات. أمير المؤمنين دافع عن الإسلام ككيان أيضاً، ودافع عن الإسلام كمجتمع، دافع عن تماسك المجتمع ولحمته وحقوقه، ورعاية المجتمع وخدمته، وهذه كلها مسائل مهمة، كيف نحافظ على الإسلام، والمجتمع الذي يعيش فيه المسلمون آنذاك متفكك ومتهرئ، والحقوق ضائعة؟.. هذا غير ممكن، فلذلك جعل الركنة الأولى الحفاظ على الإسلام؛ الإسلام العقيدة والكيان، والإسلام المجتمع، كيف يحفظه ويضع المعايير الصحيحة للدفاع عن المجتمع والإسلام بكل تفرعاته، هذه ركنة أساسية من ركائز حكم علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢٤٣. عجائب الآثار للجبرتي ٣: ١٠٣.

٢٤٤. سورة البقرة: الآية ١٤٣.

الركيزة الثانية: العدالة الاجتماعية، حقوق المواطنة كما نعبّر عنها في أديباتنا اليوم، عدم التمييز وعدم التفاصل بين الناس، وفي المجتمع الإسلامي آنذاك يفاضلون بين الناس ويميزون، يعطون للقرشي ما لا يعطونه لغيره من العرب، ويعطون للعربي ما لا يعطونه لغيره من المسلمين من غير العرب، ويعطون للصحابي الذي صاحب رسول الله وراه ما لا يعطونه لغير الصحابي من التابعين وغيرهم، فتشقت الأمة، وصارت هناك امتيازات ودرجات خاصة، والناس تنظر وتتساءل؛ أنا مواطن وهذا مواطن، لكنه يأخذ أربعة أضعاف وخمسة، لماذا؟. أنا موظف في الوزارة الفلانية، وراتبي أربعمئة ألف، وهناك موظف مثلي وتخرجنا معا وجاءته فرصة وتعين في الرئاسة الفلانية، وراتبه مليونان، وهذا أمر عجيب، فكلانا بالعمر نفسه والتجربة نفسها والشهادة نفسها والبلد نفسه والحكومة نفسها. ولكنني أتقاضى أربعمئة ألف وهو يأخذ مليونين، لماذا؟، أين العدل والإنصاف وأين المعايير الواحدة بين المواطنين؟.

أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أخذ على نفسه أن يحقق العدالة الاجتماعية، ألا يميز بين المواطنين، وقصة عقيل معروفة عندكم ولا أريد أن أطيل في هذه التفاصيل؛ حينما جاء لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو بصورة رثة وأولاده يتضورون من الجوع، وكان لا يرى وهو أخو علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو أمير المؤمنين، أنت أخي وبيت المال بيدك والجوع ينخر بنا، فما كان يريد أموالاً لبيذرها، بل هو جائع وعائلته في حالة يرثى لها، يا علي أنا أخوك، قليلاً من رنات الدراهم وحالنا كحال جميع الناس زد لنا. أمير المؤمنين وضع حديدة في النار وقربها من يد عقيل، فصاح من الألم وانفعل؛ يا علي، جئت أطلب منك مساعدة وأنت أمير المؤمنين وأخي وتعلم بحالنا ووضعنا، وأنت تعاقبني، قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أكانت مؤلمة؟، قال نعم مؤلمة محرقة، فقال حديدة وضعتها لفترة قصيرة على النار هكذا أحرقتك، ولا يخاف علي من النار، في هذا المضمون. لا أريد أن أميزك عن الآخرين فتحمل واصبر<sup>(٢٤٥)</sup>.

قدم صورة ناصعة ومميزة في المساواة وفي حقوق المواطنة مع الجميع، وكان أقلهم في سلوكه وفي طريقته؛ فكان يوزع على الناس "البر" وهو أفضل أنواع الحنطة، والناس تأكل الحنطة الجيدة وهو يأكل في داره الحنطة الرديئة، وكان يوزع بين الناس اللحم، فيأكلون اللحم مع الخبز الجيد، وكان يأكل الخبز الشعير والحنطة الرديئة أحياناً مع الملح، وكان هذا إدامه<sup>(٢٤٦)</sup>، أقل من الآخرين، يقول كيف أكون حاكماً وأتعامل

٢٤٥. نهج البلاغة ٢: ٢١٦، الخطبة ٢٢٤.

٢٤٦. بحار الأنوار ٤٠: ١٠٨.



بهذه المرتكزات الثلاثة استطاع أن يقدم صورة متطورة عن الحكم في رؤية الإسلام، واستطاع أن يقرب الناس ويردم الفجوة بين الطبقات المجتمعية. استطاع أن يشيع حالة من الشعور بالارتياح في التعبير عن الرأي من دون ملاحقة ومطاردة من السلطات، وأشعر المواطنين بالكرامة والمساواة وتكافؤ الفرص وحقوق المواطنة، وهذه كانت إنجازات مهمة، حتى أنه ذهب مع ذلك اليهودي حين اختلفا على سيف ودخلا على القاضي يترافعان، والقاضي ارتبك، فقد جاء الحاكم (أمير المؤمنين)، وقام وسلم واهتم بأمير المؤمنين وتجاهل الآخر، فاعترض علي عليه السلام، وقال حتى في النظرة يجب أن تساوي بيني وبين ذلك اليهودي، أنا لا أقف أمامك اليوم حاكماً بل أترافع عندك، فيجب أن يكون الشاكي والمشكومنه، المدعي والمدعى عليه، يجب أن يكونا سواسية. ما هو الانطباع الذي سيكون عند اليهودي عندما يرى حاكم المسلمين وقاضي المسلمين وهذا الاهتمام؟. . سيقول إن حقي ضاع حتى لو كان الحكم عادلاً، ولن يقولوا حكمت لصالح الحق بل لصالح الحاكم، فيجب أن تكون عادلاً.

#### أسد في الحروب وقائد محنك وراهب في العبادة

مال على نفسه وجار عليها حتى يؤسس هذا المنهج في الحكم والإدارة، وفي تعامله مع المجتمع. كان شديداً في ساحات الوغى وفي قتال أعداء الله وكان يعيى الأمة بهذا الاتجاه، في وقت كان يشهد أعلى حالات الزهد بالدنيا والتواضع، وهذه حالات لا تجتمع؛ أن تكون حازماً في ساحات الوغى ورؤوفاً رقيقاً مع الأيتام والبسطاء والفقراء والمعوزين، هذه الشرائح الضعيفة في المجتمع. . أن تكون ذا سطوة ومؤثراً في ساحات القتال وفي الوقت نفسه تكون متواضعاً وخافض الجناح ورقيق القلب بين يدي الله سبحانه وتعالى.

كان علي عليه السلام في ساحات القتال يمثل أشد الناس بطولة وفتكاً بالأعداء، وفي ساحات العبادة كان من أشد الناس تواضعاً وانحناءً وخشوعاً وخضوعاً بين يدي الله (سبحانه وتعالى)، أن تكون في القمة في تلك الساحة وفي القمة في هذه الساحة فهذا أمر من الصعب أن يجتمع ولكنه اجتمع في علي. لنقرأ في هذه الليلة صورة عن شدة علي، وفي الليلة القادمة صورة عن الجانب الآخر والملمح الآخر في شخصية علي عليه السلام.

انظروا حينما كان يقيم دورة تدريبية ويلقي محاضرات تدريبية على المقاتلين قبل أن يدخلوا إلى ساحات القتال، ماذا كان يقول لهم؟، وعلى ماذا كان يدرّبهم وما

الصورة التي يشجعهم عليها؟، هذه واحدة من خطبه قبل أن يدخلوا إلى حرب صفين، هذه الحرب الطاحنة الضروس، فقد خطب فيهم قائلاً: "معاشر المسلمين استشعروا الخشية": استحضروا الخشية من الله والنية الصالحة والعمل القربي لله (سبحانه وتعالى). . أن يدخل الإنسان إلى ساحة المعركة ليجاهد في سبيل الله، وليس لأهداف أخرى، "وتجلببوا السكينة": لا تأخذكم حالة الرعب والخوف والاضطراب والقلق، كلا، ادخل إلى المعركة بسكينة وطمأنينة ووقار، وعدوك عندما يراك بهذه الثقة بالنفس وبهذه الطمأنينة سوف ينهار نفسياً، "وعضوا على النواجذ": النواجذ نسميها الآن سن العقل، أربع أضراس في آخر الأسنان، عندما تريد أن تدخل المعركة عض على النواجذ، يعني اضغط على سن العقل، والإنسان عندما يضغط بشعر بالقوة ويركز ويتمكن تماماً من الهجوم، ففي حالات التركيز الشديد يضغط الإنسان على أسنان العقل.

"فإنه أنبى للسيوف عن الهام": هذا التركيز يجعل السيوف تبتعد عن رأسك ولا تصل إليه، فعندما تضغط على أسنانك يكون لديك تركيز، وعند التركيز لا يأخذك العدو على حين غرة ويعتدي عليك ويرديك، والآن ليس هناك سيوف بل قناص، والتركيز مهم أيضاً عندما يحدث إطلاق النار، فواحدة من مشاكلنا في الجيش العراقي أنه إذا جاءت رصاصة ولا أحد يعرف من أين أتت رموا كل العتاد؛ هاونات ومدافع وبي كي سي وبعدها يقول نفذ العتاد، على من رميت والعدو لم يصل؟، قناص رمى رصاصة فعلى ماذا رميت؟. . المطلوب هو التركيز والدقة، هكذا يقول علي عليه السلام، "وأكملوا اللامة": أكملوا معدات القتال. . لا تدخل المعركة قبل أن تكمل معداتها وتلبس الدرع وتهيئ مقومات القتال والعتاد الكافي، فيجب الاستعداد للمعركة والتهيؤ لها وتوفير مستلزماتها، نحن لسنا ذاهبين إلى حالة فداية لنقتل بل لنتنصر بأقل الخسائر، فيجب أن نعد العدة ونستعد للمعركة.

"وقلقلوا السيوف في أعمادها"، حرك السيف في مكانه وأمسك القبضة لتتعود عليها وتعرف وزنه، وعندما تخرجه تكون على أهبة الاستعداد. . في زماننا ليس من سيف، ولكن خذ السلاح وافتح الأمان وهيئه واستعد للرمي وانظر موضع سلاحك، "وقلقلوا السيوف في أعمادها قبل سلها"، قبل أن تخرجه وليس بعد أن تخرجه ويظهر أنه ثقيل، استعد في كيفية استخدام السلاح ليكون مؤثراً ومنتجاً، "والحظوا الخزر"، وانظروا بحدة إلى العدو ليرى خزرتك ويرتعد، كن جادا مع العدو؛ "أشداء على الكفار رحماء بينهم"، يجب أن يرى العدو منك الشدة وعلامة الغضب، "ونافحوا بالضبا"، أي ضاربوا بحد السيف واضرب بقوة فليس من مجال للتردد وأنت في ساحة المعركة، انظر إلى

المنهج في الشدة والقوة والصلابة والوضوح والإقدام حينما يكون الإنسان في مواجهة مع الأعداء .

"وصلوا السيوف بالخطى" ، لا تعط فرصة للعدو ، وفي أي خطوة يخطوها يرى سيفك حاضرا بالميدان ، تلاحق الأعداء خطوة بخطوة ، ليس فقط عند تراجعهم نقول الحمد لله نكمل غدا ، بل عندما تنهار جبهة العدو لا تعطوه فرصة ولاحقوه خطوة بخطوة ، حتى يحصل الانهيار الكامل للعدو ، "واعلموا أنكم بعين الله" ، هذا واجبك فأعمل ما عليك واستعد استعداداً كاملاً وقم بواجباتك في المعركة وقاتل ببسالة ، واعلم أن عين الله تحميك وترعاك ، فإن معك التسديد الإلهي ، والله يجعل حالة الخوف والرعب في قلوب الأعداء ، ويجعل رميتك مسددة ؛ "اللهم سد رميته" ، هكذا الدعاء الذي كان .

"واعلموا أنكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله" ، أنتم مع الحق ، تقاتلون مع ابن عم رسول الله ، مع الوصي ومع أمير المؤمنين ، لا تسوا هذا . . حقانية الهدف ومشروعية المعركة تعطيك قوة وزخماً كبيراً في تحقيق الانتصار ، "فاعودوا الكرة" ، لا تتبعوا واستمروا في الهجوم على أعداء الله ، عاودوا الهجوم وكرروه مرة تلو الأخرى ، "واستحيوا من الفر" ، اخجلوا من أن تفروا من المعركة .

أولئك الضباط الذين كانت الموصل بأيديهم ، تسعون ألف عنصر أمني في الموصل مقابل أربع مئة إرهابي ، لكنهم تركوا سلاحهم وهربوا ، فلو يدفنون أنفسهم في التراب فهي قليلة بحقهم ، فهم جنباء ، فروا من الزحف بهذه الطريقة وسلموا البلد وخانوه بهذه الطريقة .

"واستحيوا من الفر فإنه عار في الأعقاب" ، عار عليكم جيلاً بعد جيل يا من تخليتم وفرتم بأنفسكم ، ومن يفر فليس له الذل والهوان في حياته ، بل يكون ملعنة للأجيال القادمة والأعقاب ، ويقال هؤلاء أجدادنا هكذا سلموا البلد وانهزموا وكانوا جنباء ومتأمرين . أبناءؤهم لن يرحمهم والأجيال القادمة ستلعنهم ، "ونار يوم الحساب" ، لهم في الدنيا لعنة الأجيال القادمة وفي الآخرة النار والعذاب الإلهي ، لهؤلاء الذين خانوا وغدروا ، "وطيبوا عن أنفسكم نفساً" ، كونوا من الشجعان ولتكن كرامتكم وإقدامكم أساساً "وامشوا إلى الموت مشياً سجعاً" <sup>(٢٤٩)</sup> ، وسيروا إلى الموت السير السهل والمشية الواثقة ، "أ بالموت تخوفني" <sup>(٢٥٠)</sup> ، هذه الكلمة التي كنا نسمعها دائماً من الأبطال ، نحن

٢٤٩ . نهج البلاغة ١ : ١١٤ ، الخطبة ٦٦ .

٢٥٠ . بحار الأنوار ٤٢ : ٢٣٣ .

قوم لا نخشى أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا ، لا نذهب لنموت ولكننا لا نخاف من الموت .

استعد وتهيأ واستطلع وتجهز وركز وانزل إلى الأعداء واهجم عليهم هجمة قوية ولا تعطهم فرصة ، هذه كلها موجودة ، استعدادات كاملة ، ولكن لا نخشى الموت ، فإذا أتى فأهلاً به ؛ "القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة"<sup>(٢٥١)</sup> ، الموت لا نطلبه ولكن لا نخشى منه ، ونحن نطلب الحياة ونقاتل لنعيش ونقاتل لندفع الأعداء ، لأننا أبناء هذا الوطن ، ولكن إذا جاء الموت فهو وسام شرف وعز لا نتخلف عنه . . إلى آخر كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هذا الموضوع المهم والحيوي .

إذن هذا هو علي وهذه شخصية علي ، وهو يزأر في الميدان ويحضر ببسالة ويطلب من أتباعه أن يكونوا أبطالاً يحسب لهم الأعداء ألف حساب حينما يندفعون إلى ساحات المعارك .

نسأل الله بحق هذه الليلة الشريفة وصاحبها أمير المؤمنين أن يرزقنا العزة والشجاعة والبسالة وأن نكون على قدر المسؤولية في أداء واجباتنا . . وللحديث صلة تأتي تباعاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأمسية الحادية والعشرون ٢٠١٤/٧/١٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين  
وصحبه المنتجبين الميامين .

### ذكرى استشهاد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ

عظم الله أجورنا وأجوركم بهذا المصاب الجلل ، ليلة عظيمة نجتمع فيها ، فهي ليلة  
القدر الثانية ، وهي ليلة استشهاد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ونسأل الله بحق  
هذه الليالي الشريفة والمناسبات العظيمة أن ينزل رحمته علينا ، وأن يتقبل منا صالح  
الأعمال وأن يرزقنا نصره وفتحه المبين .

كان حديثنا في الليالي الماضية عن إحياءات هذه المناسبة العظيمة ، واستعرضنا  
طبيعة التركيبة المجتمعية والتيارات السياسية التي كانت تنمو وتتحرك في المجتمع  
الإسلامي في عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وشرحنا هذه التيارات وتوجهاتها وطبيعة  
التركيبة المعقدة التي تصدى أمير المؤمنين في رحابها لخلافة المسلمين ، ولعلَّ الأمير  
نفسه يشير في نهج البلاغة في الخطبة الثانية والثلاثين إلى هذه التركيبة المعقدة وإلى  
التيارات الخمسة التي كانت تنمو وتتحرك في المجتمع الإسلامي آنذاك ، ثم انتقلنا  
للحديث عن أولويات الحكم لدى أمير المؤمنين ، هذه الأولويات التي التزم بها في مدة  
حكمه عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وهي :

الأولوية الأولى : الحفاظ على الإسلام عقيدة وكياناً وأمة ومجتمعاً .

الأولوية الثانية : العدالة الاجتماعية وحقوق المواطنة المتكافئة والمساواة في العطاء  
بين الناس .



الأولوية الثالثة: الحريات السياسية التي منحها علي بشكل واضح . وقد شرحنا هذه الأولويات الثلاث .

شواهد من كلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ

### مبدئية الحاكم

في نهج البلاغة، الخطبة الرابعة والعشرين بعد المئتين، يشير أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مجموعة من الحقائق نراجعها على وجه السرعة: "والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً"، الحسك هو الشوك، والسعدان نبتة مليئة بالأشواك، لو نمت على مكان مليء بالأشواك، والإنسان لا يستطيع أن يرقد ويستريح في مكان من هذا النوع، والناس تبحث عن المكان المريح، "أو أجر في الأغلال مصفداً"، يجروني وأنا مقيد بالأصفاد والسلاسل . . أن أبيت على الأشواك أو أجر بالسلاسل مقيداً، "أحب إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد"، لاحظوا مدى تحسس أمير المؤمنين من الظلم والاعتداء والتجاوز على المواطنين، "وغاصباً لشيء من الحطام"، أو بحكم موقعي كحاكم في الدولة، أمد يدي واعتدي على بعض ممتلكات المواطنين، "وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى أفولها"، كيف يمكن أن ارتكب كل هذه التجاوزات ونفسي راجعة إلى الموت عن قريب، ونعرف جيداً أنه لا خلود لنا في هذه الدنيا، "ويطول في الثرى حلولها"، ويطول مكثها في التراب، هذا الإنسان الذي سيعود إلى الله تعالى وتنتهي حياته ويُدس في التراب، هذه هي النهاية الحتمية للجميع، كيف يمكن لمثل هذا الإنسان أن يقبل لنفسه بالتجاوز والاعتداء على الآخرين .

"والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق"، يشير أمير المؤمنين إلى أخيه عقيل وكان في فقر شديد، "حتى استماحني من بركم صاعاً"، طلب مني أن أعطيه من الحنطة العائدة إلى بيت مال المسلمين صاعاً واحداً، "ورأيت صبيانه شعث الشعور"، من شدة الفقر والفاقة شعورهم مجعدة متربة، ليس عندهم إمكانية أن يغسلوا بالماء، "غبر الألوان"، ألوانهم شاحبة من الجوع، فليس لديهم مال ليشتروا طعاماً ليأكلوا ويشربوا، "كأنما سوّدت وجوههم بالعظم"، العظم مادة سوداء تسوّد بها الأشياء مثل الصبغ الأسود، فعقيل لم يطلب المال حتى يوسّع على عياله أو يوسع داره أو ليعيش برفاهية، إنما كان في حالة من الفقر المدقع وطلب صاعاً من الحنطة حتى يطعم أبناءه الجياع، "وعادني مؤكداً"، طلب مني أكثر من مرة المساعدة، "وكرر علي القول مردداً"، وكررها لمرات، "فأصغيت

له سمعي فظن أني أبيع ديني" ، حينما رأني استمع لحديثه ولم أعرض عنه ظن أني سأبيع له ديني ، هذا ظن عقيل ؛ أني سأعطيه صاعا من الطعام أكثر من حصته المقررة .

"وأتبع قياده مفارقا طريقتي" ، وأفضله على الآخرين وأخالف مبدئي في العدالة الاجتماعية ، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من ألمها" ، ضج ضجيج المرضى من الألم ، "وكاد أن يحترق من نسمة" ، من حرارتها ، "فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه" ، حديدة يتلاعب بها إنسان بسيط ويضعها على النار فتصبح حامية ، "وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه" ، إنسان بإمكانات بسيطة يتلاعب بالحديدة ويضعها على النار فتصبح بهذه الحرارة الشديدة ، فما بالك بالنار التي سعرها الجبار غضبا وأراد لها أن تكون محرقة ، "أتئن من الأذى ولا أتئن من لظى" ، أنت تتئن من أذى الحديدة ، ولا تريدني أن أتئن من نار جهنم ، حتى لو كان هذا المواطن أخاه ، ومع ذلك كان علي عليه السلام يلتزم ولا يميز ولا يفضل أحدا على آخر .

ثم يطرح أمير المؤمنين شاهدا آخر هو محل ابتلائنا كثيرا ، "وأعجب من ذلك" ، من قصة أولاد عقيل الجياح وطلب الحنطة ورفض الأمير عليه السلام إعطائه . . الأشد عجا من ذلك ، "طارق طرقنا بملفوفة" ، ويقال إن هذا الشخص الذي جاء بعلبة فيها حلوى ، رشوة بعبارة أخرى ، يقال هو الأشعث ابن قيس ، جاء بعلبة مغلقة فيها حلوى ، "في وعائها ومعجونة شنائها" كرهتها حينما رأيتها ، "كأنما عجنت بريق حية أو قيئها" ، وكأن أحدا عجن هذه الحلوى بلعاب الحية أو بسمها وما تقيؤه من السموم ، هكذا بدت لي هذه الحلوى ، لذلك كرهتها ، وأمير المؤمنين ينظر بعين الله وتتكشف له الحقائق ، وعرف نية هذا الرجل .

"فقلت أصلة أم زكاة فذلك محرم علينا أهل البيت" ، الصدقات حرام علينا ، "قال لا ذا ولا ذاك" ، في زماننا يسمى البعض الرشوة هدية ، لتُنجز معاملته ! ، "فقلت هبلتك الهبول" ، الهبول المرأة التي لا تلد ، "أعن دين الله أتيتني لتخدعني أمخبط" ، أمختل عقليا أنت ؟ . . فهذا علي بن أبي طالب ، "أم ذو جنة" ، أم الشيطان مسك ، "أم تهجر" ، أم عندك هذيان ، "والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها" ، السموات السبع والأرضين السبع ، "على أن أعصي الله في نملة" ، أعصي الله بظلم نملة ، "أسلبها جلب شعيرة" ، أخذ من فمها قشر شعيرة ، "ما فعلته" ، لو أعطيت الدنيا وما فيها لما فعلت ذلك ، "وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها" ، الدنيا وما فيها عندي أقل من مقدار ما تأكله هذه الجرادة وتقضمه في فمها من ورقة شجر ساقطة على الأرض ، الدنيا لا

تعني شيئاً بالنسبة لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، "ما لعلي ولنعم يفنى"، ماذا يصنع علي بهذه الأمور التي تنتهي، "ولذة لا تبقى"، علي يبحث عن اللذة المعنوية الباقية، "نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل"، حالة السقوط في الانحراف، "وبه نستعين" (٢٥٢).

### الوسطية في سياسة الرعية

في موطن آخر ترد هذه الكلمات لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ مجموعة من الرسائل القصيرة التي أرسلها إلى بعض ولاياته (المحافظين)، كان نظام الإدارة نظام ولايات وأمير المؤمنين بوصفه الخليفة كان يرسل رسائل إلى هؤلاء الولاة ويتابعهم، لاحظوا كيف كان يراقبهم ويحاسبهم.

في نهج البلاغة: "أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك"، دهاقين يعني الإقطاعيين والزعماء، "شكوا منك غلظة وقسوة"، قالوا إنك قاس معهم، "واحتقارا وجفوة"، قالوا إنه يحتقرنا ولا يتسم بوجهنا، أي أن هذا الوالي متشدد مع الإقطاعيين، "ونظرت فلم أرىهم أهلا لأن يدنوا لشركهم"، علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول للوالي في الرسالة؛ حينما قلبتهم رأيت أنهم لا يستحقون أن تقربهم، لأنهم مشركون وأصحاب مصالح وانتهازيون، "ولا أن يقصوا ويجفوا لعهدهم"، لكنهم في بلاد المسلمين، ولم أجد من الصحيح أن تقصيهم وتجفوهم وتتعامل بقسوة معهم رغم أنهم مشركون، حسنا فعلت حينما لم تقربهم ولكن أن تقسو عليهم وتهمشهم وتبعدهم حتى لو كانوا مشركين، فهذا موقف غير صحيح.

"فالبس لهم جلبابا من اللين تشويه بطرف من الشدة"، تعامل معهم بلين ولكن على ألا تتراخى معهم، تعامل بين الشدة واللين. . لين مع شدة، "وداؤ لهم بين القسوة والرأفة"، تعامل معهم بوسطية، "وامزج لهم بين التقريب والإثناء والإبعاد والإقصاء" (٢٥٣)، قربهم في شيء وأبعدهم في شيء، حتى تكون وفيت بحقهم دون أن يطمعوا فيك لأنهم أناس لهم مصالح معينة وإقطاعيون ومشركون، ولكن حتى هذا المشرك يجب ألا يُظلم في بلاد المسلمين.

هذا هو منهج الإسلام العظيم، منهج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهذا مشرك، ومع ذلك يقول أريد ألا تقصيه أو تجفوه أو تتعامل معه بقسوة، ولكن نرى اليوم أن هناك من يدعي الإسلام ولكنه يتخذ مواقف شديدة تجاه التركمان والشبك من أتباع أهل البيت والمسيحيين

٢٥٢. نهج البلاغة ٢: ٢١٦، الخطبة ٢٢٤.

٢٥٣. نهج البلاغة ٣: ١٨، كتاب ١٩.

ويطلب منهم أن يغادروا الموصل وغيرها، أي إسلام هذا الذي يلاحق الناس في أوطانهم، التركمان في تلعفر وتازة والطوز وأمرلي وفي البشير وكركوك وغيرها، عاشوا فيها مئات السنين وليسوا أناسا دخلاء في هذه المناطق، بل هم مواطنون أصلاء كانوا جزءا أساسيا من التركيبة السكانية في هذه المناطق منذ أمد بعيد، والمسيحيون في سهل نينوى وفي غيرها من المواقع كانوا في هذه الديار منذ مئات السنين، فهؤلاء السكان أصليون في هذه الديار، ثم تأتي عصابات ومجموعات تستهدف هؤلاء الناس وتطلب منهم إما أن يغادروا أو يُقتلوا، أي منطق هذا وأي إسلام هذا الذي يتحدثون عنه؟.. الإسلام بريء منهم ومن مواقفهم.

### هموم الوطن.. مناقشة لجميع الشركاء

إنني أوجه ندائي لإخوتي وأحبتي في هذا الوطن من التركمان والشبك والمسيحيين ومن كل هذه المجموعات والمكونات التي تتعرض اليوم إلى إبادة شاملة، ويراد إيجاد تغييرات ديموغرافية كبيرة في هذه المناطق، أناشدهم أن يلتزموا أرضهم ووطنهم وبلدهم ومناطقهم ولا يتخلوا عنها ويدافعوا ويذبوا عن هذه المناطق، ونحن معهم وفي خدمتهم، وكل العراقيين الشرفاء معهم وإلى جانبهم، كما أحيي الشخصيات السنية الكريمة التي أصدرت بيانات وتحديث وأدانت مثل هذه المواقف، ونتمنى أن تتعالى مثل هذه الأصوات وتتسع.

كما أتمنى من رؤساء العشائر والقبائل ومن النخب من أبناء المناطق الغربية الكريمة وقفة حقيقية وطنية، وهم أهل لها ليرهنوا للعالم كله أن العراق بلد التعايش والتسامح والوثام، ولا يمكن أن يرتضي العراقيون مثل هذه المحاولات البائسة للتفريق بينهم، وليعلم أبناء الموصل الكرام أن وجود التركمان والشبك من أتباع أهل البيت ووجود المسيحيين وهذه المكونات الكريمة في بلادهم عنصر إثراء وإضافة نوعية للتركيبة الديموغرافية في الموصل، وعليهم أن يكونوا حريصين على الاحتفاظ بهذا التنوع المهم الذي جعل الموصل تارخيًّا تمثل العراق المصغر بهذا التنوع الطيب والكريم.

وصية لأبناء الموصل؛ أن يقفوا ويدافعوا عن شركائهم في هذه الأرض من التركمان والشبك والمسيحيين وغيرهم، ووصية لهذه المجموعات والمكونات المعتدى عليها؛ مهما كانت ظروف الحياة صعبة، لكن عليكم أن تلتزموا أرضكم وتحافظوا عليها وتمسكوا بها وتبقوا حاضرين فيها وتدافعوا عن أنفسكم وأعراضكم وكراماتكم ومدنكم ومناطقكم، وألا تمنحوها إلى الإرهابيين وتنسحبوا.

وأجدد بهذه المناسبة النداء للحكومة العراقية، وهي المسؤولة بالدرجة الأساسية، لتقديم الرعاية والدعم لهؤلاء النازحين الذين أصبحوا بمئات الألوف. . أن يقفوا إلى جانب هؤلاء المواطنين ويشعروهم بالرعاية والاهتمام والحرص الشديد على إبقاء هذا التنوع المهم في كل هذه المحافظات الكريمة، وعدم التخلي عن هؤلاء المواطنين. . حمايتهم أمنياً وإسنادهم إغاثياً، هذه مهمة أساسية تتحملها الحكومة العراقية، ولكن أوجه ندائي أيضاً لأصحاب الخير وللمحسنين الذين وقفوا وقفة مشرفة تستحق الإشادة والشكر والتقدير في دعمهم وإسنادهم للنازحين.

ولا بُدَّ لنا من أن نقف وقفة أجلال وإكبار للمرجعية الدينية العليا والمراجع العظام ومؤسسات المرجعية والعتبات المقدسة التي قدمت الكثير لهؤلاء النازحين، ولكن أملنا أن يكون الدعم ليس للنازحين الذين يتركون مناطقهم وينتقلون إلى محافظات أخرى فحسب، وإنما أن يكون التركيز على تقديم الدعم والإسناد لأولئك النازحين الذي ما زالوا مرابطين في مناطقهم، وإن كانوا قد خرجوا من مدنهم ولكنهم ما زالوا في نفس المحافظة ونفس المنطقة، وعلينا أن نساعدهم على التمسك بالأرض.

### صيانة المال العام

في كتاب آخر إلى زياد بن أبيه وكان والياً على البصرة يقول له: "وإني أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً، من خراج المسلمين. . من إيرادات الدولة، لو بلغني أنك مددت يدك عليها وتجاوزت عليها، حتى لو مددت يدك على القليل من أموال الناس وضرائبهم، "الأشدنّ عليك شدة تدعك قليل الوفر"، أضيق عليك وأعصرك عصرة تجعلك قليل المال، "ثقل الظهر"، متحيراً كيف تعيل عائلتك. لاحظوا المنهج التربوي في الإدارة، منهج الإدارة في رؤية الإسلام، المراقبة الحثيثة والدقيقة لأداء المسؤولين، ومن يمتلك الصلاحيات والمال من المسؤولين يجب أن يشعر أن هناك من يراقب. أمير المؤمنين هكذا يكتب في هذه الوثائق التاريخية، "ضئيل الأمر" (٢٥٤)، وأجعلك مكسوراً وحقيراً أمام الناس.

يا هيئة النزاهة؛ كم من ملف حقيقي لديكم، ليس من الملفات السياسية، بل الملفات الحقيقية التي فيها السرقات الكبيرة! . . فلماذا لا تفعلوها، أتخافون أن يغضب الحزب

الفلاني أو الشخص الفلاني؟، اسمعوا النهج الإسلام؛ يقول أعصرك عصرًا، وأجعلك مكسورًا أمام الناس الذين تحت مسؤوليتك اليوم، هكذا يقول علي عليه السلام.

أحد الخبراء الاقتصاديين الموثوق بهم الذي يتحدث عن دراية وبينة يقول؛ في السنة الواحدة هناك فساد مالي في العراق يصل إلى خمسة عشر مليار دولار، تذهب إلى جيوب مختلف الأوساط ممن لهم سطوة أو سلطة على القرار وعلى المال في هذا البلد، وكان يقول؛ بنفس المقدار، يعني خمسة عشر مليار دولار أخرى، تضيع لسوء الإدارة، فالمشروع التي كلفته مليار تصبح مليارين، يعني أن خمسة عشر مليار دولار تذهب إلى الجيوب وخمسة عشر مليارا أخرى لسوء الإدارة، وهذا يعني أن ثلاثين مليار دولار حجم الفساد المالي في العراق كما يقول هذا الخبير والعهدة عليه، لكن الانطباعات العامة لدى الناس أنه بالفعل هناك مشكلة كبيرة وعويصة في هذا البلد، وهذه أرقام مخيفة لو صدقت وصحت، وهؤلاء خبراء يتحدثون بها.

### الاقتصاد في الإنفاق

في رسالة أخرى يقول لأحد ولاته: "فدع الإسراف مقتصدا"، لا تسرف ولا تنفق المال على غير وجه حق، واحسب مئة حساب عندما تريد أن تنفق . . في زماننا اليوم هناك مثلا الإنفاقات الحكومية على العجلات والمكاتب الفارهة والأثاث الذي يُغيّر، ونحن الآن مقبلون على دورة جديدة وأي وزير يأتي يشتري أثاثًا جديدًا، لماذا؟، وزير تغير، ولكن لماذا يتغير الأثاث؟ . . مليارات تصرف في هذه الوزارات لأن الوزير الفلاني لا يعجبه ديكور المكتب، وذاك المسؤول يريد كذا، إنفاقات هائلة تُصرف، "فدع الإسراف مقتصداً واذكر في اليوم غداً"، في يوم القيامة تقول "رب ارجعون لعلي أعمل صالحًا"، ولا يفيدك هذا، فالآن ما دامت القضية بيدك اذكر الآخرة، "وأمسك من المال بقدر ضرورتك"، مقدار الضرورة من المال العام استفد منه، بل حتى من مالك الشخصي بقدر الضرورة، "وقدم الفضل ليوم حاجتك"، أما ما يزيد على حاجتك حتى لو كان راتبك، وأنت مسؤول وراتبك بالملايين، وهو راتب ثقيل، وربما لا تحتاج إلى كل هذا المبلغ، فخذ مقدار حاجتك وما يزيد على حاجتك أنفقه ليوم الحاجة الحقيقية، يوم القيامة، من الآن أنفق ليوم القيامة وحضر نفسك ليوم القيامة.

"أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين"، الله تعالى يعطي أجر المتواضعين للمتواضعين، لكن المتكبر لا يُعطى أجر المتواضع، حاشا لله أن يتعامل بهذه الطريقة، "وتطمع وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة أن يوجب لك

ثواب المتصدقين" ، مجتمع مليء بالأرامل والأيتام ولقمة العيش غير متوفرة عندهم ، وأنت متنعم بالرفاه والنعيم وتريد أن يعطيك الله أجر المتصدقين ، أي منطق هذا؟ . . الله يعطي أجر المتصدقين لمن يعطي من ماله للآخر ، ولمن لا يهدأ له بال وهو يجد الأرامل والأيتام وأبناء الشهداء يملؤون مجتمعاتنا .

"وإنما المرء مجزي بما أسلف" ، الله يجازي كل إنسان بما قدم ، "وقادم على ما قدم" (٢٥٥) ، والإنسان مقبل إلى يوم القيامة ليجد أمامه ما قدمه سلفا ، أي عمل صالح يقوم به الإنسان فهذا في الحقيقة يكون رأس مال يوضع في حسابه المصرفي في يوم القيامة . . أي عمل صالح تقوم به ترسله في ملف أعمالك وتجده أمامك هناك يوم القيامة إذا لم تفسده لاحقا بالرياء والعجب وما إلى ذلك ، لذلك فاليوم يوم العمل ، ونحن في ليلة القدر حيث تُقدر فيها الأعمال لسنة كاملة ، اللهم ماذا ستقدر لنا في هذه الليالي الشريفة . . نسألك يا الله أن تقدر لنا الخير والتوفيق . . أن تقدر لنا الرحمة والأمن والأمان . . أن تقدر لنا الرفاه والرخاء والصلاح ، وأن نسير في طريق العبودية لك يا الله ، هذا ما نطلبه من الله . اللهم نسألك خير الدنيا والآخرة ، نسألك أن ترحمنا في هذه الليالي الشريفة . . أن تجعلنا من المرحومين لا من المحرومين . نسأل الله أن يحقق هذه الأعمال ، ولكن الدعاء يجب أن يقترن بالعمل ، ونسأل الله أن يجعلنا جميعا من العاملين . والحمد لله رب العالمين . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأمسية الثانية والعشرون ٢٠١٤/٧/٢٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين  
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين  
وصحبه المنتجبين الميامين.

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

إخوتي الكرام الأخوات الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وبارك الله لكم في صيامكم  
وقيامكم في هذه الليالي الشريفة من شهر رمضان المبارك.

كان حديثنا في الليالي الماضية عن رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين وسيد  
الساجدين الإمام علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَام.

وكنا نتحدث عن الحق السابع من هذه الحقوق وهو حق اليد، وقلنا إن واحدا من  
أوضح المصايدق في المعنى المجازي لليد في بعدها السلبي هي حالة التجاوز على  
حقوق الآخرين والاعتداء عليهم، وهو ما يعبر عنه القرآن الكريم بالظلم والبغي  
والعدوان، واستعرضنا العديد من المواضيع في محور الظلم وانتهينا للحديث عن موانع  
الظلم بحسب القرآن الكريم، أي الأمور والمصداقات التي تمنع الإنسان من الوقوع في  
الظلم.

### المانع التاسع: القضاء بالعدل

انتهينا إلى المانع التاسع من هذه الموانع وهي القضاء بالحق والعدل، فما دام هناك  
حكم وما دام هناك قضاء عادل، فهذا يجعل الإنسان يحسب ألف حساب قبل أن يرتكب



الظلم، لأنه سيعرف أن ظلمه لا يمكن أن يمر وعدوانه على الآخرين لا يبقى بلا عقوبة، وإنما هناك حكم عادل وقضاء نزيه سينظر وسيعطي الحق للمظلوم وسيقتص من الظالم، وجود هذا القضاء العادل والمحق هو مانع آخر من موانع الظلم.

### قصة داود والمتخاصمين

لاحظوا هذه الآيات الشريفة في سورة (ص) قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُضُمِ﴾، هذه الآية وردت في النبي داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكرت قصة الأخوين اللذين جاءا وتحاكما عنده، ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُضُمِ﴾، هل عرفت بقصة المتخاصمين اللذين اختلفا وتشاجرا بينهما وجاءا إلى داود حتى يفصل بينهما؟، ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾<sup>(٢٥٦)</sup>، تسلقوا المحراب، والمحراب صدر المجلس، وهو الطابق العلوي كالغرف التي تكون في مكان عال في الطابق الثاني مثلا، واستخدم اسم المحراب في الصلاة، وأخذ من الحرب؛ بمعنى المكان الذي يحارب فيه الإنسان الشيطان في الجهاد الأكبر؛ جهاد النفس ومحاربة الشيطان، فحينما يقف الإنسان للصلاة يقف محاربا نفسه وهواه ومحاربا الشيطان فسمي محرابا، ولكن المحراب هو المكان المرتفع إما معنويا؛ صدر المجلس، أو ماديا؛ الطابق الثاني.

قام المتخاصمان بتسلق المحراب إلى الطابق الثاني، الذي كان فيه مكان استراحة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وداود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان لديه جهاز أمني وحميات، والناس الذين يدخلون إلى مكانه يدخلون من خلال المدخل الطبيعي، أي الطابق الأرضي، ولكن هؤلاء التفوا على الحماية وقاموا بما نسميه اليوم إنزالا عسكريا. . . لنفترض أن هناك نافذة في الطابق الثاني حيث يجلس النبي داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفجأة انفتح الشباك ودخل إليه اثنان بشكل غير اعتيادي وليس من مدخل الباب الأمامي، وإنما من خلال الشباك.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾، فاستغرب؛ ما الموضوع وأين الحماية وكيف دخلوا، وهل سيسيئون إليه، وما الهدف من دخولهم، ولماذا يدخلون بهذه الطريقة متسلقين وليس من الباب الرئيسية؟. . . ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾، طمأناه؛ لم نأت للإساءة إليك ولا الاعتداء عليك، أنت رجل أهل حكمة وأهل عدل في القضاء، ونحن مختلفان بيننا وجئنا لنطرح مشكلتنا ونشتكي لتفصل بيننا، فنحن لم نأت بسوء، وأتمثل الحالة بلسان الحال: لم ندخل لأننا خفنا ألا تسمح لنا الحماية بالدخول، ويقال لنا انتهى الدوام وجاء

٢٥٦. سورة ص: الآية ٢١.

وقت الاستراحة وما إلى ذلك، فقلنا ليس لنا إلا أن نتجاوز هذه السياقات ونلتف ونتسور المحراب ونصعد إليك، ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾: بعضنا ظلم الآخر وهناك عملية اعتداء، فجننا نطرح هذه القضية حتى نترافع عندك، ﴿فَاحْكُمْ﴾، هنا الشاهد، ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾<sup>(٢٥٧)</sup>، يا داود نريد أن تحكم بيننا بما هو الحق والعدل ولا تشطط: لا تظلم، ولا تسرف في حكمك، إذن إذا كان الحكم بالعدل والحق، ليس فيه إسراف وظلم واعتداء، فهذا يمنع من وقوع الاعتداء.

نريد أن تحكم بيننا بالحق والعدل، وألا تظلم أحداً، ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾: نريد الصراط المستقيم والحل الواقعي، العدل الذي لا يظلم فيه أحد. فبدأ الشاكي بالكلام، ودائماً أول من يتكلم هو المعترض والشاكي فتحدث الأخ الشاكي، قال: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾، مشكلتي مع أخي، خصام بين الأخوين، وفي هذا درس عظيم، كيف أن الإنسان أحياناً نتيجة مواقف وسلوكه وطريقة تعامله، يتقاطع مع أقرب الناس إليه، هذا الذي لا يستطيع أن يفاهم مع أخيه، فإذا تخاصم أخوان وترافعا في المحكمة، إذن ماذا يفعل الغرباء؟. إذا لم تكن قادرين على حل مشكلة مع الأخ والأب والابن، ومع الزوجة والأم، ومع ابن العم والعشيرة، فكيف نستطيع أن نعالج المشاكل التي تتجاوز ذلك وتكون مع الغرباء؟.

يجب أن أتعامل وأحسن التعامل مع أهلي وعشيرتي وناسي، حتى أستطيع أن أتعامل وأحسن التعامل مع الآخرين من الغرباء، ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، عنده تسع وتسعون نعجة وأنا أملك نعجة واحدة، ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾<sup>(٢٥٨)</sup>، لم تملأ عينه تسع وتسعون نعجة، وعينه على النعجة يريد أن يمتلكها، ويقول أكفلنيها، أي أعطني إياها، رقم (١٠٠) جميل وأريد أن يكون لي (١٠٠)، هي واحدة وأنت تستكثرها على أخيك، ويتناسى أنه يملك تسعا وتسعين نعجة.

انظروا إلى الجشع والأنانية، وانظروا إلى نزعة الاستحواذ، هذه الملكات الخبيثة حينما تعشش في الإنسان، لا يتحمل أن يكون لدى أخيه نعجة واحدة ويريد كل شيء لنفسه، ولا يعطي شيئاً للآخر، وهذه حالة مدانة، فالإنسان يجب أن يحب للآخرين ما يحب لنفسه، ويتساهل مع الآخرين كما يتوقع أن يتساهل الآخرون معه، فلا يجوز أن

٢٥٧. سورة ص: الآية ٢٢.

٢٥٨. سورة ص: الآية ٢٣.

تكون هناك باء تجر وباء لا تجر، والإنصاف أن تضع نفسك في موضع الآخر، وتقول لو كنت في مكانه ما توقعاتي؟، فتفعل ما يتوقعه الآخرون منك، هذا مقتضى الإنصاف، فالجشع والأنانية والاستحواذ على كل شيء، واستبعاد وإقصاء الآخر، والابتعاد عن ملاحظة طموحات الآخرين، كل هذه أمور مدانة.

﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾، حاول أن يغلبني في المحاججة، وأن يقدم لي العبارات المنمقة اللطيفة ليلين قلبي وأعطيه النعجة الوحيدة التي امتلكها، وقلت له إن هذا غير معقول، فالمفروض أن تعطيني من نعاجك التسع والتسعين، وأنت ترى أنني أملك واحدة، أو تبقى التسع والتسعون لك والواحدة لي، ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾، قدم الشكوى وعرض حاله، يا داود أحكم بيننا.

على الحاكم قبل أن يحكم أن يلتفت إلى المشكو منه أو المدعى عليه، ويقول له إن هذا ادعى عليك، فما تقول؟ لكن داود رأى أن القضية واضحة، فأصدر الحكم مباشرة، قبل أن يستمع لحديث المدعى عليه، فقال بعد أن سمع المشتكي: "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه"<sup>(٢٥٩)</sup>، هذا ظالم حينما يطلب منك أن تعطيه النعجة الوحيدة، والمفروض ألا يكون هذا، ولا يستحوذ على ممتلكاتك، وقد تكون أنت الأخ الصغير، ولكن يجب أن يحترم ممتلكاتك وخصوصيتك وظروفك، فهو قد ظلمك حينما طلب هذا الطلب، وأصدر الحكم القاطع، دون أن ينتظر للاستماع إلى حديث المدعى عليه، الأخ الثاني.

لعل داود رأى الثاني يسمع وهو أتى بإرادته ورآه غير معترض على الكلام، فلم يقل هذا مشتبته وليست القضية هكذا، أو هو باعها لي وبعد ذلك ألغى الاتفاق مثلاً، بل رآه ساكناً، ولعل سكوت المدعى عليه هو الذي أدى إلى أن يعطي انطبعا أن القضية ليس فيها شيء جديد، فهذا يشكو وذاك ساكت، فهو قد قبل ما في هذه الشكوى؛ أن أحدهما عنده تسع وتسعون نعجة والآخر لديه نعجة واحدة، وهذا يريد أن يأخذها منه، إذن أصدر الحكم وقال إن هذا ظالم، لكن داود الذي كان عنده ملكة الحكم والقضاء وكان مشهوراً بهذه الملكة التفت إلى نفسه، وقال صحيح أن الظواهر أنه لو كان هذا المدعى عليه عنده كلمة لقالها، وإذا لم يقل شيئاً فمعناه أنه ليس لديه شيء وقبل هذه الشكوى، ولكنني تسرعت، وكان يفترض ألا أعطيه الفرصة ليقول كلمته وأسأله إن كان لديه كلام

وهل تؤيد هذه الصورة التي نقلها المشتكي . . هل عندك رؤية أخرى ، ما هي أفكارك وما هي وجهة نظرك؟ . . أنا تسرعت .

### التسرع مظنة الوقوع في الخطأ

هناك داء اسمه التسرع والاستعجال والقرارات المتعجلة ، إذ تأتي قرارات انفعالية غير مدروسة ، فحين تسمع قضية معينة ، كأن يقال لك إن فلاناً قال عنك كذا ، تصدر الحكم فوراً ، قال أم لم يقل ، والمطلوب أن تتحقق ، فربما لم يقل ، أو أنه قال ولكن ليس بهذا الشكل ، أو أنه قال بهذا الشكل ولكن هناك خلفية معينة تخفى عليك ، فكيف تصدر الحكم المتعجل ، وتطلق طلقة الرحمة على المودة بينك وبين الأخ المؤمن بسبب كلمة ، والمسموعات والمنقولات كثيرة ، وما شاء الله ، في مجتمعنا في هذا الزمان ، يتكلم أحدهم كيفما يريد ويكتب أنه نقل عن مصدر مطلع ، وترون في الفضائيات والصحف ووكالات الأنباء ؛ قال مصدر مطلع ، ويتكلم بما يريد ، فمن المطلع ومن هذا المصدر؟ ، والناس تتداول القضية وترسلها إرسال المسلمات والقضية منتهية ، وفلان قال كذلك ، ويظل المسكين يحلف بالله سبحانه وتعالى ويقدم أيماً مغلظة ، أنه أصلاً لم يقل ذلك ، ووكالة الأنباء هذه التي نقلت عنه لم يرها ولم تره ، والصحيفة الفلانية التي قالت في مقابلة أجرتها معه لم يعمل مقابلة معها أصلاً ، هذا التساهل والتسرع والتعجل في قبول الأشياء .

التسرع في إصدار الأحكام وتكوين انطباعات معينة ، وفي انفعالات غير مدروسة وتصريحات نارية ، التسرع خطر عظيم ، فهذا نبي من الأنبياء التفت إلى ذلك ، مع العلم أن القضية واضحة والمشكلة بين أخوين ، وقد جاء بإرادتهما واحدهما طرح القضية والثاني لم يعترض ، ومع ذلك التفت داود أنه ارتكب عملية ترك الأولى ، وطبعاً ليست معصية ولم يرتكب مخالفة ، ولكن كان الأولى منه أن يستمع إلى المدعى عليه ثم يصدر الحكم . إصدار الحكم قبل الاستماع لأحد المتخاصمين اعتبره تسرعاً ، وندم على ذلك ، فحسنت الأبرار سيئات المقربين ، وما هو أمر طبيعي عند الناس ، فإن النبي إذا كان هناك شيء أولى أن يعمل وتركه فإنه يتوب إلى الله ، ويستغفر الله لأنه ترك الأولى .

﴿وَوَظَّنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ ، قال هذا اختبار إلهي ، إذ كان يجب أن أستريح في غرفتي ، وفجأة يفتح الشباك ويدخل الاثنان ، فمن الذي أرسلهما إليّ ومن هما ، وما هو موضوعهما؟ ، قد يكون هذا اختباراً إلهياً لي وأنا فشلت في الاختبار ولم أعط الفرصة الكافية للمتخاصمين أن يقولوا كلمتهما قبل أن أصدر الحكم ، وحكمت قبل أن أستمع

لأحد المتخاصمين . . هذه فتنة من الله سبحانه وتعالى وأنا تعجلت ، ﴿فَاسْتَعْفَرَ رَبَّهُ﴾ ، رفع يده بالاستغفار ، ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ ، ساجدا لله سبحانه وتعالى ، ﴿وَأَنَابَ﴾<sup>(٢٦٠)</sup> ، وعاد إلى الله مستغفراً مما ارتكبه واقترفه من ترك الأولى ، ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾<sup>(٢٦١)</sup> ، عندما رأينا أن داود تنبه غفرنا له ، والله سبحانه وتعالى هو الغفور الرحيم ؛ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾<sup>(٢٦٢)</sup> .

### استثمار ليالي القدر بالاستغفار

ليال شريفة ، وليالي قدر مباركة ، وعلينا أن نقف بين يدي الله سبحانه وتعالى مستغفرين منيبين ؛ يا إلهنا وربنا ، لسنا معصومين ، إننا مذنبون وإننا مخطئون ، نقترف ذنوبا وأخطاء وعيوننا تنظر إلى ما لا ترتضيه يا الله ، وآذاننا تسمع الحرام ، وألسنتنا تنطق بالحرام . . أنتم أجل من ذلك ، أنا أتكلم عن نفسي . . جوارحنا ترتكب المحرمات ، وجوانحنا ومشاعرنا وقلوبنا وأفكارنا وعقولنا تفكر بالحرام ، ولكن يا الله لسنا متمردين ، نخطئ في ما ارتكبه من ذنوب ومعاص ، ونتوب إليك ونستغفرك ونلوذ بك ، في هذه الليالي ، ليالي القدر ، يجب أن تجلس وتتكلم مع الله ، لأن الطريق مفتوح .

الوصول إلى السادة المسؤولين صعب ؛ لأن مشاغلهم كبيرة وظروفهم معقدة ، ولو قيل لأحدنا إن عندك فرصة اتصال بالوزير الفلاني ، فخامة نائب رئيس الجمهورية ، وهو معنا في المجلس ، فالإنسان يهيئ نفسه ماذا سيقول ، ولكن الخط مع الله مفتوح وساخن ، ومتى ما أردت افتح الخط واجلس مستقبلا القبلة وتوجه نحو الله وخاطب الله ، أينما كنت ، وإذا لم تستقبل القبلة ، فتوجه وأنت مستلق أو وأنت جالس ومستدبر القبلة ، ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾<sup>(٢٦٣)</sup> .

يجب أن يتعلم الواحد منا كيف يتكلم مع الله ربه . . يعترف بالأخطاء ويقرب بين يدي الله ، إخواني أخواتي أحبتي ، في ليالي القدر يجب أن يجلس الإنسان ويعترف بين يدي الله سبحانه وتعالى ؛ أنا الذي أذنبت ، أنا الذي أسرفت ، أنا الذي أخطأت . . هذه ثقافة الدعاء وثقافة أهل البيت ، أجلس بغرفة وحدك وأغلق الباب أو أخرج بالعراء في أي مكان وحدك ، وقل له إلهي جئت إليك اليوم لأتكلم معك ، لم أرد أن أقرأ دعاء لا أعرف

٢٦٠ . سورة ص : الآية ٢٤ .

٢٦١ . سورة ص : الآية ٢٥ .

٢٦٢ . سورة الزمر : الآية ٥٣ .

٢٦٣ . سورة البقرة : الآية ١١٥ .

بعض مفرداته ، بل أريد فقط الكلام معك ، والله يقبل منك ، قل له إلهي أفف بين يديك أريد أن أحصي ذنوبي ؛ أنا عملت كذا وارتكبت كذا ، قلهن ، واعترف بهن ، اجعل قلبك يرق وعينك تدمع ، ويصبح لديك توجه ، تنقلب نحو الله سبحانه وتعالى ؛ ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾<sup>(٢٦٤)</sup> ، حالة الانقلاب وحالة التوجه نحو الله ، حالة انكسار القلب والخشوع والخضوع بين يدي الله سبحانه وتعالى .

انظروا إلى داود ؛ ففي قضية بسيطة ، أنه ترك الأولى ، لكنه مباشرة ، "فاستغفر ربه وخر راكعاً وأتاب" ، لم يجعل النقطة السوداء تكون نقطتين ، وهي ليست سوداء ، بل هي ترك الأولى فقط ، فما بالكم بأنفسنا ، كم لدينا من أخطاء ونقاط سوداء ، وهذه النقاط السوداء عندما تكثر تصبح حجاباً على القلب ، والقلب عندما ينقطع عنه نور الله سبحانه وتعالى يقسو ، ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾<sup>(٢٦٥)</sup> ، حالة القسوة وحالة الجفاء ، إلهي عندما نمسك المصحف الشريف لنقرأ ، وفي ليالي القدر عندما نفتح كتاب الزيارة والدعاء ، نقرأ ولا نتفاعل ، والقلب لا ينكسر ، والعين لا تدمع ، وحينما نقف بين يديك للصلاة يأخذنا النعاس ، نريد أن نحبي ليلة القدر ولكن لا نستطيع وليس لدينا توجه ، فهناك إدبار وهذا معناه أن قلوبنا بدأت تقسو . إلهي خلصنا من قساوة القلب ، إلهي انظر لنا نظرة رحيمة ، اجعلنا في موضع الاستفادة من بركات هذه الليالي الشريفة ، وهذا مهم جداً .

### العدل أساس شرعية الحاكم

"فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى" ، داود له زلفى عند الله ومقام ومنزلة رفيعة ، له مكانة كبيرة عند الله (سبحانه وتعالى) ، "وحسن مآب" ، وسيعود إلينا ليجد حسن المآب ، أي حسن المرجع ، وهو الجنة ، "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق" ، إذن فالحكم بين الناس يكون بالحق والعدل ، "فاحكم" ، الفاء فاء التفريع ، فهذا مترتب على خلافة الله ، "إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق" ، الذي يكون في موقع المسؤولية ، إذا أراد أن يكون في هذا الموقع بشكل شرعي وحقيقي ، يجب أن يكون عادلاً في التعامل مع الناس وأن يحكم بين الناس بالحق ، .

"ولا تتبع الهوى" ، الهوى هو الخطر الأكبر والخطر الهدام على من يتصدى لمواقع

٢٦٤ . سورة الأعراف: الآية ١٢٥ .

٢٦٥ . سورة الزمر: الآية ٢٢ .

الخدمة العامة والمسؤولية، والمسؤولية الاجتماعية فيها تقدير وتوقير واحترام وتكريم، ولذلك فالإنسان يجب أن يكون مسيطراً على أعصابه بشكل كبير، وحين يرى الناس تحبه وتحترمه وتقدره وتقبل يده يجب ألا يضعف أمام هذه الأمور وينخرط في الهوى وحب الشهوات والميول والدنيا والنزوات، فهذا خطر عظيم.

"ولا تتبع الهوى"، سيطر على أعصابك، ويجب أن تكون نفسك بيدك ولا تكون أسيراً بيد الهوى والنفس؛ فهذا يجوز وهذا لا يجوز.. هذا يريد الله وذاك لا يريد، فهناك الله، وهو شاهد وراقب، وهذا الالتفات مهم جداً، إلى أن كل خطوة نخطوها، هل هي مرضية لله سبحانه وتعالى أو ليست كذلك، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٢٦٦)</sup>، يبعده عن طريق الحق، وأينما كان هناك ضلال وأينما كان هناك انحراف، فهذا يعني أن هناك هوى، والشهوات والهوى والميول أخذت مأخذها من الإنسان.

### الضلال في الهوى وطول الأمل

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾<sup>(٢٦٧)</sup>، إذن نسيان يوم الحساب هو الذي يؤدي إلى الضلال، ضلوا بما نسوا، إذن النسيان هو السبب، فتذكروا الآخرة، تذكروا الموت وتذكروا الساعات الحرجة التي تمر على الإنسان وليس منها مفر، وكلنا سنصل إلى هذه اللحظة، لحظة الوحشة، لحظة الغربة، لحظة الوحدة، لحظة العزلة، ونحن وأنفسنا وليس هناك شيء آخر، كيف تكون أنفسنا، ماذا نقدم بين يدي الله سبحانه وتعالى؟.. نسأل الله أن يكون رأسمانا كبيراً ومتاعنا عظيماً حين نقف بين يدي الله سبحانه وتعالى.

في رواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم"، لا يقول ما أخشاه عليكم، بل أخوف ما أخاف، أخطر شيء عليكم، "إثنان اتباع الهوى وطول الأمل"، اتباع الهوى؛ شهواتك وميولك ورغباتك ونزواتك وطموحاتك غير المشروعة والعياذ بالله، وطول الأمل؛ إن شاء الله بعد خمسين سنة يصبح عندي كذا وهذا كذا، آمال طويلة يبنها الإنسان وينسى كم سيعمر، الخطوة التي وضعتها لا تنفذ بألف سنة، إلى أين أنت ذاهب؟، على مهلك، فكم سنة بقيت لك في الحياة الطبيعية، عشرون أم ثلاثون أم أربعون؟، وكم عمرك الآن؟.. هل تتذكر عندما

٢٦٦. سورة ص: الآية ٢٦٦.

٢٦٧. سورة ص: الآية ٢٦٧.

كانوا يعطونك الحلوى؟، إذا كنت تتذكر أيام الطفولة ستعرف أنها لم تكن بعيدة، وقبل أيام كما يقال سقط صدام، وإذا بها إحدى عشرة سنة، وقبل أيام صار الشيء الفلاني وهي ثلاثون سنة.

كل واحد منكم ليراجع نفسه وذكرياته عن الطفولة، وكم المسافة بين الذكرى واللحظة التي هو فيها الآن، وسيرى كم هي قصيرة.

"فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق"، ما دمت تملك نزوات وهوى وميولا وشهوات وطموحات غير مشروعة، فلن تستطيع أن ترى الحق، وستظل متمسكا بمصلحتك ورؤيتك الخاصة وطموحاتك الخاصة ولا تستطيع أن تقدر وتفهم شيئا آخر، "وأما طول الأمل فينسي الآخرة"<sup>(٢٦٨)</sup>، من يملك الآمال الطويلة لا يتذكر الآخرة ويركز على هذه الآمال؛ ماذا أعمل لهذا المشروع وهذا الموضوع وهكذا، فينسى الآخرة، وأخطر شيء أن يأتي ملك الموت ويطلق أبوابنا ونحن غير مستعدين. . اللهم لا تخرجنا من الدنيا حتى ترضى عنا، أن يصل الإنسان إلى لحظة الرضا من الله سبحانه وتعالى ثم ينتقل إلى الآخرة.

### ثلاث من المهلكات

عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: "ثلاث موبقات"، مهلكات، "شح مطاع"، حالة البخل، نستجير بالله منه، عندك أموال أين تخزنها، وكم بقي من عمرك؟. . قبل أيام كنت أقرأ في الصحيفة عن متسول مات في حالة رثة في العراق وليس له أحد ولا ورثة، فجاءت السلطات لتنقله فوجدت تحت الفراش أكثر من مليار دينار. . أنت بحالة رثة إلى لحظة الموت، وليس لك أحد ولا وريث، وتعيش في ضنك، والمليار وضعته تحتك، فماذا ستفعل به؟، كان عليك أن ترتب وضعك وتعيش بمكان مرتب وتأتي بأحد لخدمك أو تتصدق على الفقراء والمساكين.

حالة البخل حالة سلبية كما أن الإسراف والتبذير حالة مدانة، استمتع في الدنيا بما هو حلال، وبما هو طيب من الرزق، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾، قل يا رسول الله، ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٢٦٩)</sup>، الطيبات للمؤمنين، ما دامت مشروعة، عش وارتح ومتع عائلتك وأقاربك ومن

٢٦٨. نهج البلاغة ١: ٩٢، الخطبة ٩٢.

٢٦٩. سورة الأعراف: الآية ٣٢.



جاورك وأنفق على الآخرين، ولا تعش في تقدير وشدة وأهلك والناس لا ترى منك خيرا، وأموالك أكداس لا تعرف ماذا تفعل بها، فأنفقها.

"شح مطاع"، هذا من المهلكات، "وهوى متبع"، حينما يتبع الإنسان الهوى لا يقف عند حد، فيسير خطوة ويأتي بالخطوة الثانية والعاشرية. . يقال عن ذلك الطفل الذي أرادوا أن يعلموه فقالوا له قل (ألف)، فامتنع عن القول، وهم يريدون أن يعلموه الكتابة في الصف الأول، لكنه لا يقبل أن يتكلم، فضربوه ولم يتكلم، فقال له زملاؤه قل (ألف) وتخلص من الموقف، فقال لو كانت (ألف) فقط لقلتها ولكن حين أقول (ألف) سيقولون قل (باء وجيم) وتركيب الحروف والكلمات وبعد ذلك أسماء وأفعال وماض ومضارع وأمر، فالمشكلة إذا بدأت بألف لن تنتهي، فدعني أتحمّل الضرب ليقولوا هذا لا يفهم ويرفعوا أيديهم عني، وهذا أفضل لي.

في قضية الهوى، يجب أن نلاحظها الآن بالفعل؛ النظرة الأولى حلال، ساعة لنفسك وساعة لربك، لا تصعبوها علينا، الله غفور رحيم، هذه المرة فقط، وهذه الكلمة وهذه الجلسة فقط، وفجأة يرى الإنسان نفسه غارقاً في الوحل، ويحاول أن يخرج ولا يستطيع ويغرق أكثر ولا يستطيع الخروج من الوحل، لذلك منذ البداية تخلّوا عن النظرة البسيطة وتجنبوا الشبهات، والورع أكثر من التقوى، وعلى الإنسان أن يبتعد عن موارد الشبهة، فهذا حرام يجب ألا أفعله وهذا لا أعرفه فلا أعمله أيضاً، وهذا واجب يجب أن أعمله، وهذا لا أعلم ولكنه جيد فأعمله للاحتياط، ويجب الوقوف عند الشبهات، وحتى الألف لا تقلها في طاعة الهوى واتباع الهوى، فإذا قلت الألف فستأتيك الباء والجيم وتسير حتى الآخر.

"وإعجاب المرء بنفسه" (٢٧٠)، هذه أيضاً من المهلكات، الاعتداد بالذات والرأي والفكرة والطريقة، يعتقد بأنه أفضل الناس، وما يدريك حتى لو كنت علامة؟، وقد تجعل الحكمة على لسان طفل وأنت العلامة لا تعلم بها، حالة العجب عندما تتمكن من الإنسان تعميمه عن رؤية الأشياء الأخرى، ويجب أن يبقى الإنسان منفتحاً على الفكر الآخر وعلى الرؤية الأخرى، ويسمع ويتعلم من الآخرين، ويعترف بخطئه والاعتراف بالخطأ فضيلة، لأن الإنسان الذي يعجب بنفسه لا يعترف ولا يملك الجرأة والشجاعة ليعترف بخطئه، لكن الإنسان الذي ليس لديه حالة العجب، إن أخطأ يتوقف مباشرة، ليستدير ويعود ويقول أعتذر.

يجب ألا تكون هذه ثقيلة علينا حين نقولها، ومراجعة المواقف والتدقيق في ما يقوله الآخرون والمصادقية في الطرح وعدم التعنت وعدم الإصرار على الرأي، هذه كلها مفاتيح ومدخل مهمة جدا تبعد الإنسان عن حالة الإعجاب بنفسه، وتمكن الإنسان دائما من أن يطور نفسه وقابلياته ويتعلم من الآخرين ويكون مرنا، وليس منقبة أن يكون الإنسان متحجرا على كلامه . . إذا كان حقا فاثبت عليه، وإذا لم يكن فلا تثبت عليه، انظر وابقَ منفتحاً على الرأي الآخر والفكر الآخر، ومن ينقذك استمع إلى النقد، فربما يكون صحيحاً، وخذ ما هو صحيح، فهذا الإعجاب يمثل أيضاً إحدى المهلكات .

نسأل الله أن يجيرنا من ذلك، وللحديث صلة تأتي في الليالي القادمة . والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



## الأمسية الثالثة والعشرون ٢٠١٤/٧/٢١



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين  
وصحبه المنتجبين الميامين .

#### في رحاب ليلة القدر الكبرى

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ  
الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ  
هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾<sup>(٢٧١)</sup> صدق الله العلي العظيم .

تقبل الله أعمالكم وبارك الله في صيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار . .  
هذه ليلة عظيمة ، ليلة كريمة ، هي ليلة القدر الكبرى ، هي الليلة التي تقدر فيها أنفسنا  
لسنة كاملة ، من سراء وضراء وتحديات وتطلعات وآمال وطموحات ومخاوف ، ما  
سيمر علينا من هذه الليلة حتى ليلة القدر من جديد بعد عام كامل ، وما سيحدث لنا وما  
سيصيبنا من خير ومن سوء ومن إنجاز ومن إخفاق ومن تقدم ومن تراجع ومن انتصارات  
ومن كبوات ، في السلب أو الإيجاب ، في هذه الليلة تقدر هذه الأمور . . موافقنا  
الشخصية والمجتمعية ، وواقع بلادنا وظروفنا تقدر في ليلة القدر . ليلة عظيمة وهنيئا  
لمن يستثمرها ويعرف قيمتها ومقدارها ، هنيئا لمن يعطيها حقها ، هنيئا لمن يسجل في  
هذه الليلة ممن أحيائها واستثمرها استثمارا صحيحا واستفاد من أجوائها .

نحن أمام كم هائل من النصوص الواردة في هذه الليلة الشريفة ؛ هناك آيات قرآنية  
وفي مقدمتها سورة القدر ، وهناك الآيات من سورة الدخان وآيات أخرى جاءت تؤكد  
هذه الحقيقة .

٢٧١ . سورة القدر : الآية ١ - ٥ .

## ليلة القدر في القرآن والسنة

### ليلة التقدير

في هذه الرواية عن فضيل وزرارة ومحمد بن مسلم كلهم عن حمران بن أعين أخي زرارة، وهو من كبار الرواة، أنه سأل الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قول الله عز وجل: "إنا أنزلناه في ليلة مباركة"<sup>(٢٧٢)</sup>، في إشارة إلى ليلة القدر، "قال نعم ليلة القدر"، هي الليلة المباركة التي فيها البركة والسعة وفيها قضاء الحوائج وانفراج الهموم وكشف الغموم، "وهي في كل سنة من شهر رمضان في العشر الأواخر"، تتجدد ليلة القدر في كل سنة، "فلم ينزل القرآن إلا في ليلة القدر"، "إنا أنزلناه في ليلة القدر"، أي القرآن، في ليلة التقدير، في الليلة التي تُكتب فيها أعمال الإنسان نزل القرآن الكريم، ماذا يعني هذا الاقتران بين القرآن والتقدير؟، هذا يعني أن هناك ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بين القرآن ومستقبل الإنسان وما تؤول إليه أموره، هناك ارتباط وثيق بين مآلات الإنسان، مستقبل ومصير الإنسان، ومضمون القرآن الكريم، هذه هي العلاقة الوثيقة.

"إنا أنزلناه في ليلة القدر"، هذا يعني أن القرآن الكريم كما له مدخلية في الجانب الأخرى للإنسان، فله مدخلية أيضاً في الجانب الدنيوي للإنسان، في ليلة القدر يقدر لك خلال سنة سعادتك أو لا قدر الله شقاؤك، نجاحك أو لا قدر الله إخفاقك، فحينما يكون نزول القرآن في ليلة القدر فهذا يعني أن إنجازاتنا وانتصاراتنا وحرمتنا وكرامتنا وإعمار بلادنا والأمن والاستقرار في بلادنا والصحة والعافية وكل ما نطمح إليه أن يقدر لنا في ليلة القدر مفتاحه ومدخله القرآن الكريم، فالقرآن له مدخلية في حياتنا الأخرى وله مدخلية في حياتنا الدنيوية. . القرآن البرنامج الإلهي ورؤية السماء، القرآن يعني البرنامج الإلهي في السعادة والشقاء؛ كيف تسعد وتشعر بالراحة وكيف تحقق إنجازاتك وانتصاراتك، القرآن يعطيك برنامج الحياة، فما يقدر في ليلة القدر مدخله القرآن الكريم.

"قال الله عز وجل: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾"<sup>(٢٧٣)</sup>، هذه الآية الشريفة من سورة الدخان، "يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل"، إلى السنة القادمة في هذه الليلة، يقدر كل الأمور في هذه الليلة، "خير وشر وطاعة ومعصية

٢٧٢ . سورة الدخان: الآية ٤

٢٧٣ . سورة الدخان: الآية ٤ .

ومولود وأجل ورزق" ، ما يصيبك من خير وشر يقدر في ليلة القدر ، وما ستتحرك فيه من طاعة الله أو معصية يقدر في ليلة القدر ، فارع يدك بالدعاء واطلب لنفسك الذرية الصالحة ، "وأجل" ، قلنا في السنة الماضية هل سندرك ليلة القدر السنة القادمة؟ ، والحمد لله لم نزل موجودين ، واليوم أيضاً نقول ؛ هل تقدر لنا الحياة إلى السنة القادمة؟ . . اللهم ارزقنا عمراً في طاعتك ونصرة دينك وخدمة عبادك والعمل بواجباتنا ، اللهم لا تخرجنا من الدنيا حتى ترضى عنا ، "ورزق" ، إلهي ، كانت السنة الحالية وفيرة فكيف ستكون السنة القادمة؟ ، إلهي ، كانت السنة الحالية شحيحة فكيف ستكون السنة القادمة؟ . . إن كانت وفيرة حتى يقدر لك الوفرة من جديد في هذه الليلة ، وإذا كانت شحيحة في هذه الليلة يقدر يتغير أو فرصة معينة تأتيك فتقلب حياتك رأساً على عقب وتحل مشاكلك الاقتصادية والاجتماعية .

من لديه مشكلة في الأسرة أو مشكلة اجتماعية أو مالية ، فالليلة يكون حلها ، إلهي ربنا ، نمر بظروف صعبة في هذا البلد الكريم ؛ الأعداء يحيطون بنا ويكيدون بشعبنا ووطننا والاختلافات السياسية تعصف بنا والواقع الخدمي متلكئ في بلادنا ، اللهم قدر لنا في ليلة القدر زوال هذه الغمة ، اللهم فرج عنا وسهل أمرنا ووسع علينا وعلى شعبنا . . في هذه الليلة يأتي التقدير الإلهي .

### ثواب ألف شهر

"فما قدر في تلك السنة وقضي فهو المحتوم والله (عز وجل) فيه المشيئة" ، الله يشاء ويقدر في ليلة القدر ما ستؤول إليه أمورنا إلى سنة قادمة ، "قال : قلت ليلة القدر خير من ألف شهر" ، ألف شهر يعني أكثر من ثمانين سنة ، وهي حياة طبيعية الإنسان ، فالعمل الصالح في هذه الليلة يعادل في أجره وثوابه وتقديراته أجر عبادة الإنسان كامل حياته ، ثمانين سنة ليس فيها ليلة القدر ، وهذه إشارة إلى أهمية هذه الليلة ، وإشارة إلى نوعية العبادة في هذه الليلة ، الصلاة في كل ليلة ويوم محبة ، ولكن الصلاة في ليلة القدر شيء آخر ، وكذلك الطاعة والعبادة في كل ليلة مطلوبة ، ولكنها في ليلة القدر تعادل ألف شهر ، مثل التاجر حين يبيع بضاعة ويربح فيها مبلغاً معيناً ، يقولون له إن الأسعار في موسم معين ترتفع إلى ألف ضعف ، ففي موسم الحج مثلاً وفي البلدان السياحية تصبح تذكرة الطائرة وأجور الفنادق ونفقات المبيعات ، ضعف الأسعار السابقة ، والله تعالى جعل الأجر والثواب في ليلة القدر يعادل ألف شهر عما هو في غيرها .

"ليلة القدر خير من ألف شهر، أي شيء عنى بذلك"، يسأل الإمام، فقال: "العمل الصالح فيها، من الصلاة والزكاة وأنواع الخير، خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر"، يجب ألا تضيع منا ليلة القدر، وإذا سئنا ما هي أفضل الأعمال في أفضل الليالي؟، صلاة أم تلاوة القرآن أم صلة الرحم أم فعل الخير؟. . يأتي الجواب أن أفضل الأعمال في أفضل الليالي هو طلب العلم، العلم النافع المفيد الذي يقربك إلى الله تعالى، يحبذ للإنسان أن يطلب في جزء منها العلم، وفي جزء آخر أن يتلو الأدعية والمناجاة ويصلي النوافل ويقضي هذه الليلة حتى مطلع الفجر، "ولولا ما يضاعف الله تبارك وتعالى للمؤمنين ما بلغوا ولكن الله يضاعف لهم الحسنات" (٢٧٤)، الله يزيد في فضل الإنسان وثوابه وأجره بمقدار ألف شهر في هذه الليلة الشريفة.

### نزول الملائكة والكتابة

في رواية أخرى عن محمد بن مسلم عن أحدهما، أي عن الإمام الباقر أو الإمام الصادق، قال: "سألته عن علامة ليلة القدر، فقال علامتها أن يطيب ريحها"، حالة نشوة يستشعرها الإنسان ليلة القدر ولها آثار وضعية، فتطيب ريحها، "وأن كانت في برد دفئت"، اعلّموا أن شهر رمضان يجوب كل فصول السنة كل ثلاث وثلاثين سنة، فإذا كان شهر رمضان في عز الشتاء، فإن الجو يكون ليلة القدر دافئًا، أي يكسر الجو، "وإن كانت في حر"، مثل هذه الأيام، "بردت فطابت"، يكون الجو ألطف، علامة ليلة القدر أن يتغير المناخ في برد وحر.

"قال: وسئل عن ليلة القدر فقال تنزل فيها الملائكة. . . «تنزل الملائكة والروح فيها»، تنزل يعني تنزل، وتنزل فعل مضارع يدل على الاستمرار، «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر»، يعني على الدوام في كل سنة في ليلة القدر تنزل الملائكة إلى سماء الدنيا فتستنزل الرحمة الإلهية، "تنزل فيها الملائكة والكتابة إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون في أمر السنة وما يصيب العباد، وأمره عنده موقوف له وفيه المشيئة فيقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء"، وهذا هو البداء؛ أي يقدر الله الأمور، ثم يقدر أن يقدمها أو يؤخرها، "ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب" (٢٧٥)، هذه من الأمور المهمة والحقائق القرآنية.

٢٧٤. بحار الأنوار ٩٤: ١٩، ح ٤١.

٢٧٥. الكافي ٤: ١٥٧، ح ٣.

## حقيقة التقدير الإلهي

رب سائل يسأل؛ إذا قدر الله تعالى لنا سنة كاملة من خير أو شر، من تقدم ومن تراجع، وكل شيء، فأين اختيارنا وأين دورنا؟ . هذا يعني أننا ليس لنا أي اختيار!، فهذا من أصحاب الجنة وذلك من أصحاب النار، وهذا فعل فعلاً حسناً وذلك فعل فعلاً قبيحاً، فإذا كان الله يقدر لنا ما يشاء فأين اختيارنا نحن إذن؟ . لا بُدَّ من أن يكون هناك اختيار حتى نعاقب أو نجازى ونكافأ على أساس هذا الاختيار، وإذا لم يكن هناك اختيار فالعقوبة غير صحيحة، إذا كان الله مقدرًا لي هذا الشقاء فلماذا يلومني على الشقاء وهو قدره لي؟، فالتقدير يسلب الاختيار، فكيف نعاقب على شيء نحن مكرهون ومجبورون عليه؟.

هذا الإشكال لا يرد لأن الله يقدر، ولكن هل يقدر جزأً واعتباطاً؟ . حاشا لله أن يتعامل بالاعتباط، تقدير الله لكل شخص ناشئ من مؤهلاته ولياقاته وتقواه وإيمانه وخلوص نيته، الله تعالى يعلم واقعنا ولياقاتنا ويعلم مؤهلاتنا واختياراتنا، فالإنسان الذي تكون سريرته طاهرة فالله يعلم أنه سيختار الاختيار الصحيح ويقدر له ذلك، أما الإنسان الذي يكون هناك سوء في سريرته وليس عنده تقوى فينحرف ويشط ويشذ عن الطريق، والله تعالى يعلم ذلك فيقدر له الانحراف والضلال، إذن التقدير الإلهي يرتبط بنا وليس شيئاً منفصلاً عنا، فعلى أساس أنفسنا وسلوكنا ونوايانا وسريرتنا وتوجهنا يقدر لنا الله، فالإنسان بسلكه ونيته ودوافعه، وهو الذي يحقق المناخ للتقدير الإلهي، والله يقدر على ضوء ذلك، فتقدير الأمور في ليلة القدر يؤكد اختيار الإنسان، لأن التقدير يأتي منسجماً مع كل الإنسان ودوافعه ونواياه وطريقته في الحياة.

## تعيين ليلة القدر وضرورة إحيائها

في رواية أخرى عن أبي حمزة الثمالي . . وإن مناجاة أبي حمزة الثمالي في أسحار شهر رمضان فيها مضامين عالية جداً، وإذا لم نقرأها في ليلة القدر، أتمنى أن نخصص وقتاً ونقرأ هذه المناجاة العظيمة، وكان من خيرة أصحاب الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . . قال: "كنت عند أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له أبو بصير: جعلت فداك، الليلة التي يرجى فيها ما يرجى، فقال: في ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، قال: فإن لم أقوَ على كليهما، فقال: ما أيسر ليلتين في ما تطلب"، إذا أردت أن تحسم حياتك ومسيرتك ونجاحاتك وانتصاراتك وإنجازاتك ورزقك وذريتك وصحتك وأمانك،

فعليك أن تقضي هاتين الليلتين في العبادة حتى تدرك ليلة القدر وتحصل على هذا الشيء العظيم، فهل عبادة ليلتين كثيرة على تقدير أمورك لسنة كاملة؟ . . ليس كثيرًا.

"قال، قلت: فربما رأينا الهلال عندنا وجاءنا من يخبرنا بخلاف ذلك من أرض أخرى"، سيدي يا أبا عبد الله، أحيانا يحدث اختلاف في رؤية هلال شهر رمضان، كما في هذه السنة؛ السيد السيستاني (دام ظله) ثبت عنده الهلال ليلة متأخرة، والبعض ثبت عنده ليلة متقدمة، فلا نعرف أي ليلة هي ليلة القدر، "فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما أيسر أربع ليال تطلبها فيها"، أربع ليال أحيها إلى الصبح، مقابل ما تحصل عليه من فضل ليلة القدر، "قلت: جعلت فداك، ليلة ثلاث وعشرين ليلة الجهني؟".

الجهني كان راعيًا في الصحراء، وقد جاء إلى رسول الله وسأله متى ليلة القدر، فقال له ليلة تسع عشرة أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، فقال له إن أهلي في الصحراء ولا أستطيع المجيء في غير هذه الليلة، وأريد أن أقدم في نفس الليلة إلى مسجد النبي تحت منبرك واستفيد من نصائحك وأصلي في هذا المسجد، فإن معي أهلي وأبلي وأغنامي ولا أستطيع أن أقدم وأبقى عدة أيام، فقال له رسول الله تعال ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين، فقال له يا رسول الله لا أستطيع أن أبقى ثلاث ليال، فقال له رسول الله أريد أن أهمس في أذنك، فهمس في أذنه والمسلمون ينظرون، فأخذ المسلمون ينظرون متى يأتي هذا الجهني، فكان كل سنة يأتي ليلة ثلاث وعشرين من رمضان.

فلذلك يريد أبو حمزة الثمالي هنا أن يعرف ليلة القدر بالضبط، "فقال إن ذلك يقال"، لا يريد الإمام أن يعطي جوابًا مباشرًا، "قلت جعلت فداك، إن سليمان بن خالد روى في تسع عشرة يكتب وفد الحاج"، هذا الراوي يروي أنه في ليلة تسع عشرة يكتب للناس الذين يقدر لهم الحج في هذه السنة، "فقال لي: يا أبا محمد وفد الحاج يكتب في ليلة القدر"، ولم يقل له أي ليلة، "والمنايا"، الموت، "والبلايا"، المشاكل والتحديات، "والأرزاق وما يكون إلى مثلها"، إلى ليلة القدر، "من قابل"، من السنة القادمة، تُكتب في ليلة القدر أيضًا، "فاطلبها في ليلة إحدى وعشرين أو ليلة ثلاث وعشرين وصل في كل واحدة منهما مئة ركعة وأحيهما إن استطعت إلى النور"، إلى طلوع الفجر.

### سبب إخفائها

من الآداب إحياء هذه الليلة، والسيدة الزهراء عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت تقلل من الطعام لأبنائها في ليلة القدر، وحينما كانت تأتيهم الغفوة في البيت ترش الماء على وجوههم حتى



يبقوا مستيقظين حتى الصباح ، "وأحيهما إن استطعت إلى النور واغتسل فيهما ، قال ، قلت : فإن لم أقدر على ذلك وأنا قائم ، قال : فصل وأنت جالس" ، الصلاة المستحبة لا يجب فيها القيام كما في الصلاة الواجبة ، "قلت : فإن لم استطع ، قال : فعلى فراشك" ، استلق باتجاه القبلة وصل وأنت مستلق ، إن كنت قادراً على القيام فصل واقفاً ، وإن لم تستطع فمن جلوس وإن لم تستطع فمستلقياً ، "قلت : فإن لم أستطع ، قال : لا عليك أن تكتحل أول الليل بشيء من النوم" ، خذ قليلاً من النوم في بداية الليل ، "إن أبواب السماء تُفتح في رمضان وتُصفد الشياطين وتُقبل أعمال المؤمنين ، نعم الشهر رمضان ، كان يسمى على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المرزوق" (٢٧٦) .

قد يسأل سائل ؛ لماذا ليلة القدر مستورة بين عدة ليال ، لماذا لم يأت أن ليلة القدر في ليلة محددة ، وبقيت مستورة بين ثلاثة خيارات ؛ إما ليلة تسع عشرة أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين ؟ . . . الله تعالى أخفى ليلة القدر بين عدة ليال حتى نحبي هذه الليالي ، وحتى يكون لنا من الأجر الشيء العظيم بتعدد الإحياء في هذه الليالي الشريفة ، ليهتم الناس بكل هذه الليالي ، وفي بعض الروايات يقال إذا كان الشخص يعرف أن هذه هي ليلة القدر ، وارتكب فيها معصية وذنبا وموبقة فسوف يكون معاديا لله تعالى ، والله أخفاها رحمة للناس ، ليكون مرتكب الذنب أو المعصية غير عارف أنه ارتكب الذنب في ليلة القدر ، لأنه لو أذنب مع علمه بليلة القدر ، فإن الذنب يكون عظيمًا ، أعظم منه في بقية الليالي .

### الإخفاء منهج سماوي

منهج الإخفاء منهج سماوي ، فالله تعالى أخفى رضاه في عباداته وطاعته حتى يأتي الناس بكل هذه الطاعات ليدرخوا رضا الله ، والله تعالى لم يقل إن رضاه بهذه العبادة أو تلك ، وحينها تتمسك الناس بهذه العبادة وتترك العبادات الأخرى ، وأخفى غضبه بين معاصيه حتى تتجنب الناس كل المعاصي ، ولو أن الله تعالى قال إنها كلها محرمة ولكن غضبي في المحرم الفلاني ، لتركت الناس هذه المعصية وتمسكت ببقية المعاصي ، والله أخفى أوليائه بين عبادته ، وهؤلاء عندهم حصانة إلهية ، الولي من أولياء الله ليس عنده ميزة تميزه عن الآخرين ، وحتى لا تسيء لولي من أولياء الله ويأتيك العذاب ، عليك أن تحترم كل الناس حتى تضمن احترام هذا الولي بينهم ، فهذا طريق للتعاطي الصحيح مع كافة الناس ، والله أخفى الإجابة في أدعيته حتى يدعوا الناس بكل هذه الأدعية طمعا في

استجابة الدعاء من الله تعالى ، والله أخفى اسمه الأعظم بين أسمائه ولم يحدده ، حتى نعظم كل أسماء الله (جل جلاله) حفظاً لذلك الاسم الأعظم .

والله تعالى أخفى وقت الموت وموفاة الأجل ، ولو كان الإنسان يدري وقت وفاته لأسرف في ارتكاب المعاصي ، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾<sup>(٢٧٧)</sup> ، أين أموت وكيف لا أحد يدري ، والله أخفى الأجل لنبقي دائماً نعمل جاهدين ونتهيأ للموت ونستعد له بأنفسنا بشكل عام .

### مراحل التقدير

في رواية أخرى عن أبي عبد الله الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: "في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان التقدير وفي ليلة إحدى وعشرين القضاء - القرار - وفي ليلة ثلاث وعشرين إبرام ما يكون في السنة إلى مثلها"<sup>(٢٧٨)</sup> ، المصادقة ، اليوم في شؤوننا الدنيوية هناك لجنة مختصة تدرس الموضوع وتقدم توصيات وهذه مهمة التقدير - ليلة تسع عشرة - وعلى ضوء هذه التوصيات يصدر القرار - ليلة إحدى وعشرين - وهذا القرار يجب أن يصادق عليه من الجهة العليا حتى يكون نافذا ولا رجعة فيه - ليلة ثلاث وعشرين - وبالتالي فهذه الليالي هناك مراحل تحصل فيها ويكون البت فيها في ليلة ثلاث وعشرين . نسأل الله أن تكون المصادقة والبت والإبرام لسعادتنا وانتصاراتنا وإنجازاتنا في هذه الدنيا وفي النشأة الأخرى .

في رواية أخرى عن الإمام الجواد محمد بن علي بن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "قال أبي محمد الباقر: "من أحيا ليلة القدر غفرت له ذنوبه ولو كانت عدد نجوم السماء ومثاقيل الجبال ومكاييل البحار"<sup>(٢٧٩)</sup> ، لذلك فهي ليلة دعاء وإنابة وتضرع فاحرصوا على أن يقضي أبناؤكم ومن في البيت هذه الليلة مستيقظين لإحياء هذه الليلة ، والدعاء الجماعي مهم في ليالي القدر في البيت الواحد وبين المؤمنين وهي ثقافة صحيحة وطيبة ، ونسأل الله تعالى في هذه الليلة وفي هذا الشهر الشريف أن نكون من المرحومين لا من المحرومين والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢٧٧ . سورة لقمان : الآية ٣٤ .

٢٧٨ . الكافي ٤ : ١٦٠ ، ح ١٢ .

٢٧٩ . بحار الأنوار ٩٥ : ١٦٨ .



الأمسية الرابعة والعشرون ٢٠١٤/٧/٢٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين  
حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين  
وصحبه المنتجبين الميامين .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

إخوتي الكرام أخواتي الفاضلات، تقبل الله أعمالكم وصيامكم، ونسأل الله أن  
يتقبل منكم ويبارك لكم هذه الليالي الشريفة الكريمة من العشر الأواخر من شهر رمضان  
المبارك، ونسأل الله أن يتمه علينا بأفضل حال وأن يجعلنا فيه من المرحومين وألا نكون  
من المحرومين .

كان حديثنا في الليالي الماضية عن رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين  
وسيد الساجدين علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وكنا نتحدث عن الحق السابع من الحقوق  
المذكورة في هذه الرسالة، وهو حق اليد، تحدثنا في العديد من العناوين تحت محور  
الظلم، وانتبهنا من موانع الظلم، أي الأمور التي تمنع الإنسان من الوقوع في الظلم،  
الآن ننتقل إلى عنوان جديد وهو موجبات الظلم .

### موجبات الظلم

موجبات الظلم هي الأمور التي تتسبب بالظلم وتؤدي إلى الظلم وتوجب الظلم  
والاعتداء . فما الأمور التي تحفز الإنسان على الوقوع في الظلم والاعتداء على الآخرين  
بحسب القرآن الكريم؟ .

## الأمر الأول: وساوس إبليس

إبليس أخذ على نفسه أن يضل الإنسان ويحرفه ويدفعه نحو الظلم والتجاوز على الآخرين، وتأخذ بعض الأمثلة القرآنية في هذا الأمر؛ ففي قوله تعالى: "و يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة"، جاء الأمر الإلهي؛ يا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، يعني لم يكونوا في الجنة، والآن سينتقلون إليها ويسكنون فيها. بعض المفسرين قال إن هذه الجنة ليست تلك الجنة التي إن شاء الله نطمح إليها جميعا في الدار الآخرة، فبعد أن بعث الله الروح في آدم انتقل من تلك النشأة المعنوية إلى النشأة المادية في الدنيا، فأدخله الله في جنة الدنيا، والدنيا فيها أماكن أشبه ما تكون بالجنان؛ شلالات وأماكن جميلة وخضرة، فواكه ونعم وراحة ورفاه، فلعلها جنة مادية دخلها آدم وحواء.

"فكلا من حيث شئتما"، يا آدم في هذه الجنة والبساتين فواكه ونعم وفيرة، وكل ما تريد أن تأكل منه فهو مستساغ وجائز لكما، فكلا ما شئتما في هذا المكان وكل ما فيه لكما، "ولا تقربا هذه الشجرة"، في هذه الجنة الكبيرة لا تقربا هذه الشجرة فقط، لا تأكلا منها، "فتكونا من الظالمين"، تظلمان نفسيكما أنت وحواء إذا أكلتما من هذه الشجرة، وما عدا هذه الشجرة فهو مستساغ، ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾، بدأت وساوس الشيطان، والوسواس له دوره في جعل الإنسان يرتكب الظلم. . الآية تقول: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾، بأن دخل لهما من مدخل الناصح والمشفق، ولم يدخل لهما من مدخل العدو، فالعدو تعرفه وتأخذ موقفا منه بسرعة، ومشكلتك هذا الذي يظهر بمظهر الصديق، ولكن يتعامل تعامل الأعداء،

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويسروغ منك كما يسروغ الثعلب

هذا الخطر الكبير وهو خطر الشيطان، إذ يدخل من مدخل مرن وناعم، وعندما تسمعه وتراه تتراح لكلامه، ولكنه لا يريد بك خيرا.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِيمَا﴾، بهذه الوسوسة والأكل من هذه الشجرة الممنوعة تترتب آثار؛ أن الستر المعنوي والحجاب المعنوي الذي كان يستر بدني آدم وحواء، فهما لم يكونا عريانين بل كانا مستورين بستر معنوي، برداء العفة. . برداء الحجب، هذا الحجاب ينهار ويسقط، وإذا جرد الإنسان من ملابسه فستظهر عورته، وكان يريد أن يضعهما في موقف محرج، بأن يجردهما من رداء العفة، ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾، ليظهر لهما، ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾، ما ستر عنهما، ﴿مِنْ سَوَاتِيمَا﴾، من عوراتهما، فتظهر عوراتهما، ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾

إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٨٠﴾، إن الله لم يمنعكما من الشجرة لأن فيها ضرا، بل الذي يأكل من هذه الشجرة يكون خالدًا ولا يموت، أو يكون ملكًا، يحصل على منزلة معنوية رفيعة .

يا آدم، إن منع الأكل من ثمرة هذه الشجرة ليس لأنها مضرّة، بل هي نافعة وتعطيكما الخلود، أراد أن يحرك رغبة آدم نحو الكمال، والكمال في الخلود، والكمال في بلوغ المراتب العالية بأن تكون ملكًا . . إذا أردت الكمال فالكمال في أن تأكل من هذه الشجرة، فدخل من مدخل آخر، وحاول أن يغير صورة المعصية ولا يجعلها معصية، فلا يقول له يا آدم هذه معصية فاهرب واعص وهذه مخالفة فاهرب وخالف، أو هذا شيء مضر فأوقع نفسك في الضرر، بل قدم الأمور بصورة مختلفة، وهذه من أخطر وسائل الشيطان .

### تزيين الباطل

﴿لَا زَيْنَ لَهُمْ﴾ (٢٨١)، هذا القسم الذي قطعه الشيطان على نفسه الذي حدثنا القرآن عنه، والشيطان يزين الأمور ولا يظهرها على واقعها، ولذلك ترون أن أشد الجرائم تُرتكب وحين يُسأل الجاني لماذا سرقت، ، ليس هناك أوضح من السرقة، السرقة اعتداء على مال الناس، لماذا سرقت؟، يقول هل هي نقودهم؟، هم سرقوها من المال العام وهذا إثراء غير مشروع وأنا استنقذت جزءا من حقي، وهذا حق الشعب هم أكلوه، انظروا تخريجات السرقة، لنفترض أن هذا سُرق من المال العام، تذهب وتسرق منه هل هذا هو الحل؟، ومن قال لك إن النقود التي سرقها هي ملكك من الثروة العامة الوطنية ومن أعطاك الحق في ذلك؟، من قسّم هذه الثروة وقال لك إن هذا المبلغ والمصوغات الذهبية وما سرقتة هو ملكك من الثروة الوطنية؟، إذا كان قد سرق وقد لا يكون سرق، ولو كان سرق وارتكب خطيئة فأنت أيضًا ارتكبت خطيئة بهذه السرقة، فلا تبرر لنفسك .

الإنسان يرتكب الحرام، وحين يُسأل لماذا تفعل ذلك، يقول ساعة لنفسك وساعة لربك، ولم نزل شبابا وبعد الخمسين سنتوب . . بعد الستين سنتوب، وعند الخمسين يقول بعد الستين، ثم يصل إلى السبعين، أو لا يصل ويأتي موت الفجأة وتضيع الفرصة . . وهذا هو التزيين؛ أن يظهر الخطأ والذنب والمعصية والتجاوز بمظهر مقبول، وهذه

٢٨٠ . سورة الأعراف: الآية ٢٠ .

٢٨١ . سورة الحجر: الآية ٣٩ .

مشكلة الشيطان وأسلوبه الخطير والفتاك ، ولذلك فالاعتراف بالخطأ فضيلة . . فضيلة عظيمة أن تعترف بالخطأ وأن تصلح ولا تبرر ، وأن تكون واضحاً ومباشراً ؛ فهذا صحيح وذاك خطأ ، والخطأ يعني أن تعتذر .

لنمسك مسبحة ونردد مئة مرة في اليوم: أعتذر ، ونعلم أنفسنا ونكسر كبرياءنا حتى لا تأخذنا العزة بالإثم ولا نكابر ولا نصر على الخطأ . . الإنسان يخطئ ، وبنو آدم خطأؤون ، وليس معيياً أن نخطئ ولكن من المعيب أن نكرر الأخطاء ، وأن نصر على الأخطاء ، وأن نبرر الأخطاء ، هذا هو الشيء المعيب ؛ أن يخطئ الإنسان ولا يقول أنا أخطأت ، وهذا منهج خطير .

لقد وسوس الشيطان لآدم؛ ستحصل الخلود إذا أكلت من هذه الثمرة، وسيكون مقامكم مقام الملك، كما في الآية الشريفة التي أشارت إلى هذا الأمر من سورة طه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾، تروي نفس الحادث، ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾<sup>(٢٨٢)</sup>، ملك لا يفنى . . نعطيك رئاسة .

#### الشان السياسي.. تشكيل الحكومة

نحن في العراق، يُفترض أن ننتخب غداً رئيساً للجمهورية، ونتمنى على مجلس النواب أن يلتزم غداً وتتمنى على السادة والسيدات أعضاء مجلس النواب أن يجتمعوا غداً بكثافة وحضور كبير وأن يتحملوا مسؤولياتهم في اختيار رئيس لهذا البلد، وهذه مسألة مهمة. انتخبوا مشكورين رئيساً ونائبين لمجلس النواب، وأصبحنا الآن أمام هيئة رئاسة لمجلس النواب وهذه خطوة مهمة، وغدا على مجلس النواب أن يلتزم لينتخب رئيساً لجمهورية العراق ونكون قد خطونا الخطوة الثانية، ثم الخطوة الثالثة؛ تشكيل الحكومة، ليرى الشعب العراقي الذي خرج إلى الانتخابات في هذه الظروف الصعبة واليوم يواجه التحديات الأمنية والسياسية والخدمية والواقع الصعب الذي يمر على العراقيين، يرى فريقاً قوياً منسجماً قادراً على أن ينهض بواقع البلاد ويأخذ بها إلى بر الأمان .

هذه مسؤولية أعضاء مجلس النواب الكرام، أن يتحملوا مسؤولياتهم، وبلغنا أن هناك عشرات ممن رشح نفسه لرئاسة الجمهورية تجاوزوا مئة شخص، وهو مقعد واحد ولدينا مئة طامح لهذا المقعد، وكل خطوة في إطار الدستور مقبولة ومشروعة، ومن

٢٨٢ . سورة طه: الآية ١٢٠ .

حق كل مواطن عراقي أن يرشح نفسه ليكون رئيسًا للجمهورية، لأن الدستور يعطيه هذا الحق، ولكن ظروف البلد استثنائية والتحديات التي تعصف بالبلاد تحديات خطيرة والمنزقات كبيرة، والحساسيات التي نشهدها في هذه المرحلة حساسيات كبيرة، ونريد لهذه الخطوة أن تكون خطوة في إطار التثام ولحمة المواطنين العراقيين بعضهم إلى جانب بعض.

بناء العملية السياسية في هذه الظروف الصعبة يجب أن يكون بناءً قادرًا على أن يطمئن جميع العراقيين، وأن يهدئ النفوس ويسحب فتيل الأزمة ويطيب الخواطر ويقربنا بعضنا إلى بعض، فلا خيار لنا إلا العراق الواحد الموحد، وإذا أردنا أن نكون موحدين، فلا بُدَّ من أن نكون متحدين ومتوائمين، متعاضدين متكاتفين متحابين، ولا بُدَّ من أن يطمئن بعضنا بعضا، ومسألة التطمين مهمة للغاية، وفي عملية التطمين لا بُدَّ من أن يرى المواطن العراقي بكل اتجاهاته القومية والمذهبية من يمثله في الصف الأول من الرئاسات، وانتخبنا رئيسًا لمجلس النواب، وهو ينتمي إلى الطائفة السنية الكريمة، لتطمئن المنطقة الغربية أن هناك من يمثلها في الرئاسات، ورئيس مجلس الوزراء ترشحه الكتلة الأكبر، وبالتالي ستطمئن المناطق الجنوبية، بغداد وجنوب بغداد، ونحتاج إلى رئيس الجمهورية ليطمئن إقليم كردستان والمكون الكردي الكريم.

لذلك أدعو مخلصا جميع الأحبة الذين رشحوا من غير الكرد، مع تقديرنا الكامل لحقهم بحسب الدستور، ولكن نظرًا للظرف الاستثنائي الذي يعيشه البلد، أدعوهم إلى أن يسحبوا ترشيحهم حتى لا نشهد غدا بعثرة للأصوات، ولا نشهد مفاجآت تثير القلق والمخاوف لدى أي مكون من مكوناتنا العراقية الكريمة، وأن تسير العملية بانسيابية ونشهد رئيسًا للجمهورية من المكون الكردي الكريم، حتى يطمئن كل العراقيين بعد أن اطمأنت المكونات الأخرى عبر رئاسة مجلس النواب ورئاسة مجلس الوزراء، ونكون قادرين على أن نخرج من هذه الأزمة ونحن أقوى وأكثر انسجامًا مع بعضنا.

أدعو الأحبة الذين رشحوا، مع تقديري لحقهم الدستوري في الترشيح، إلا أنني أدعوهم إلى أن يسحبوا ترشيحهم حتى نكون أمام مرشح محدد ترشحه الكتلة الكردستانية لهذا الموقع، ونذهب ونصوت عليه حتى نحقق حالة الوحدة الإجماع والتماسك الوطني، أتمنى أن يتحقق ذلك.

المرحلة لا تتحمل تكتيكات ولا تتحمل مناورات ولا تتحمل إطلاق رسائل سياسية عبر هذه الخطوات، نحن في لحظة حاسمة ومصيرية، والعراق يمر بظروف بالغة

الحساسية، نتمنى من الجميع أن يكونوا على قدر المسؤولية، وأن نعبر هذه المرحلة بأقل الخسائر بإذن الله تعالى.

### لا سلطة لإبليس على الإنسان

الشیطان دخل من هذا المدخل؛ يا آدم، إذا أكلت من هذه الثمرة فستحصل على الخلود، وستكون في موقع الملك. . أغراه ودفعه إلى أن يأكل، ووسوس له بمنطق الناصح، وبالطبع فإن وساوس الشيطان ليست ملزمة للإنسان، والإنسان هو من يقرر أن يسمع أو لا يسمع، أن يقع في الفخ أو لا يقع ويكون حذرا، هذا شأن الإنسان.

في سورة إبراهيم تنقل لنا هذه الآيات الشريفة الحوار في جهنم بين أهل النار الذين دخلوها نتيجة إضلال الشيطان، وترون أنه عندما تكون هناك مشكلة فكل طرف يرميها على الثاني، وهناك في جهنم نفس المشكلة؛ يقول يا إلهي، نحن ليس لنا علاقة، بل ورتنا إبليس، فاقتص من إبليس، فقد ضحك علينا وورطنا ودفعنا إلى البلاء، فيجيهم إبليس، ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾، لم يكن لي سلطة عليكم، ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي﴾<sup>(٢٨٣)</sup>، قلت تعالوا من هنا وانتم جئتم راكضين، فهذه مشكلتكم، لماذا سمعتم؟، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾<sup>(٢٨٤)</sup>، ألم يأتكم أنبياء؟، ألم تأتكم شرائع سماوية؟، ألم تعرفوا الحق؟، ألا تشخصون الصحيح من الخطأ؟، إذن هذه مشكلتكم، لماذا سمعتم ورأيتم الخطأ وذهبتهم في طريقه؟.

يقال إن أحدهم تمثل له الشيطان بصورة الإنسان عنده حبال وسلاسل، فقال لإبليس ما هذه؟، قال له هذه الحبال التي أجز بها الناس؛ فهناك من أسحبه بخيط، وهناك من أسحبه بالحبل ولا ينفعه الخيط، والثالث أسحبه بسلسلة من حديد، وهكذا حسب طبيعة البشر، فقال لإبليس ألا تريني بأبيها تجرني؟، فقال له أنت لا تحتاج حتى للخيط بل أنت قدمت مهرولا. . بعض الناس هو يركض وراء الشيطان ولا يحتاج الشيطان ليكيده، والبعض حسب مستواه الإيماني، وهنا يتدخل الشيطان بمكره ووساوسه، حتى يغره ويأخذ به إلى الهاوية.

٢٨٣ . سورة إبراهيم : الآية ٢٢ .

٢٨٤ . سورة الملك : الآية ٨ .



في سورة الحجر: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾<sup>(٢٨٥)</sup>، في هذه الآية تأكيد على هذه الحقيقة والمبدأ أيضاً، لا سلطان لإبليس ولا هيمنة على الناس، بل الإنسان الغاوي والمنحرف هو الذي يستجيب ويتقبل هذا الأمر ويقع تحت تأثير الشيطان، "وقاسمهما"، الشيطان قاسم آدم وحواء، "إني لكما لمن الناصحين"، أنا ناصح لكما، وأريد الخير لكما، وبلغت النصح دفعهما للأكل من تلك الشجرة الممنوعة، "فدلاهما بغرور"، خدعهما وغرر بهما نتيجة هذه الكلمات والقسم.

آدم نبي من الأنبياء، فلم يخطر له أن أحداً يمكن أن يقسم بالله كذباً، فوقع عَلَيْهِ السَّلَامُ تحت تأثير هذه الدعوة. الشجرة الممنوعة ذُكرت في القرآن الكريم في ستة مواضع من القرآن، وهناك تفسير مادي وتفسير معنوي لهذه الشجرة، "لا تقربا"، لا تأكلاً من الشجرة، والبعض قال إن هذه شجرة مادية ويعنى بها الحنطة، وقد يقول قائل إن الحنطة ليست شجرة، ولكن القرآن الكريم يستخدم لفظ الشجرة حتى للنبته، ففي سورة الصافات: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾<sup>(٢٨٦)</sup>، فاليقطين يسميه شجرة مع أنه نبته، فالقرآن يستخدم لفظ الشجرة على الأمرين، فيقال إن الشجرة التي مُنع آدم وحواء من أن يأكلا منها كانت الحنطة.

### الأمر الإرشادي

وهناك تفسير معنوي للشجرة، وهو أن المراد بها هو شجرة الحسد والغيرة. . عدم تحمل أن تكون للآخرين منزلة ودور ومكانة. قيل إن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما أكل من هذه الشجرة، وهي الحنطة، تراءت له حقيقة معينة وعرف أن هناك من أولاده من هو أفضل منه، وهو رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فتناقل من ذلك نفسياً؛ أن يكون من أبنائه من هو أكثر منه فضلاً، نتيجة الأكل من هذه الشجرة. الحسد داء غريب وبلاء عظيم، ينخر وجود الإنسان نخراً، وبالطبع فإن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى هذه الحالة تناقل ولم يصل إلى مرحلة الحسد المحرم، ولم يتخذ أي إجراء وأي خطوة في اتجاهات خاطئة، واقتصر على أنه شعور نفسي بالتناقل أن يكون من أبنائه من هو أفضل منه.

الأنبياء معصومون وآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ منهم، فليس وارداً أن يرتكب المعصية والذنب، وحتى هذا الأمر الإلهي "ولا تقربا هذه الشجرة"، يذكر المفسرون أن هذا النهي ليس

٢٨٥. سورة الحجر: الآية ٤٢.

٢٨٦. سورة الصافات: الآية ١٤٦.

نهياً مولوياً بل هذا نهى إرشادي ، وهناك نهى وأمر مولوي ، والله يقول افعل ولا تفعل ، فإذا خالف الإنسان فإنه يكون قد ارتكب محرماً وإثمًا ، وهناك نهى إرشادي يمثلونه بالطبيب عندما تذهب إليه وأنت مريض ويقول لك إذا أردت أن تشفى ، والشفاء من الله تعالى ، لكن هذه الوصفة والأدوية إذا استخدمتها فإنك ستشفى إن شاء الله ، فيخرج شخص ويقول إنني لا أحب هذا الطبيب ، وسأكسر أفه ، وهذه الوصفة سأمزقها وأرميها في الشارع . . الطبيب يضحك ويقول لقد أخذت الأجرة المطلوبة للفحص ، وسواء استعملت الدواء أو لم تستعمله فهذه مشكلتك ، فإذا استعملته ستشفى وإذا لم تستعمله فلن تشفى ، وأنت لا تهينني بتمزيق وصفة الدواء ، ولا تضرنني شيئاً لأنني قبضت الأجرة .

من لا يستعمل وصفة الطبيب لا يهين الطبيب بل يسيء لنفسه ، ويتفاهم عنده المرض ويكون العلاج أصعب ، والطبيب لا يفرض على المريض الدواء ويقول له يجب أن تستعمل هذا الدواء قسراً ، ولا يصدر الطبيب أوامر للمواطنين ، بل يقدم توصيات ويرشد ويقول إذا أردت أن تشفى فاستعمل هذا الدواء ، والأكلات الفلانية لا تأكلها الآن ما دام المرض موجوداً ، وتجنب كذا وافعل كذا حتى تشفى ، وإذا لم ترد أن تشفى فيأرادتك .

الله (سبحانه وتعالى) أيضاً تارة يأمر وينهى ، (افعل ولا تفعل) ، فإذا خالفت فقد ارتكبت معصية ، ومرة يقول له إذا أردت أن تبقى في الجنة يا آدم فلا تأكل من الحنطة ، وإذا أردت أن تعيش كبقية الناس فكل منها ، هكذا يكون الأمر ، "لا تقربا" ، لأنني حريص على أن تبقى في الجنة ، مثل مدرسة للموهوبين ؛ يقال للطالب إذا جئت بدرجة تسعين تخرج ، فهذه مدرسة لأصحاب المعدلات العالية ، فنصحك أن تجتهد حتى تحافظ على المعدل لتبقى في مدرسة الموهوبين ، وإذا لم يفعل فسيخرج ويبتلى ويتعرض إلى استحقاقات وتبعات الخطوة التي قام بها ، هكذا قالوا ، فالنهى ليس نهياً مولوياً ولا يُتصور أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو نبي معصوم يخالف أمر الله ونهيه ، فهذا النهي ليس نهياً مولوياً إنما نهى إرشادي كما يذكر .

### معنى الشجرة في القرآن

القرآن استخدم الشجرة في الجانب المادي وفي الجانب المعنوي ؛ استخدم الشجرة في اليقطين ، وكذلك استخدم الشجرة في سورة المؤمنون : " وشجرة تخرج من طور سيناء " ، الجبل الذي كان موسى يناجي ربه فيه ، ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ ، يراد بها شجرة الزيتون

التي يستخرج من ثمرها زيت الزيتون، ﴿وَصَبِغٌ لِّلْأَكْلِينَ﴾<sup>(٢٨٧)</sup>، إدام يأكله الناس . . يستخدم الزيت كإدام، وهنا استخدمت الشجرة المادية .

وفي سورة الإسراء: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾<sup>(٢٨٨)</sup>، قيل أنها إشارة إلى المشركين وبعض اليهود، وقيل إنها إشارة إلى الأمم المتعدية، وكيفما كان، فهو مدلول معنوي للشجرة، ويمكن أن يكون آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أكل من الحنطة وقد أصابته حالة من الثاقل النفسي والشعور النفسي بالغضاضة لأن من أبنائه من هو خير منه، وهو رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾، أكلًا من ثمرها، ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾، تكشفتهما سوءاتهما وسقط الحجاب المعنوي الذي كان يسترهما، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾، شرعا يضعان من أوراق الجنة ويغطيان بدنيهما . . أصبحا عاريين فحجلا من بعضهما، فحاولا أن يسترنا نفسيهما بورق الشجر .

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾، هنا تبدأ الآية تتحدث بصيغة العتاب؛ ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفَّاءٌ لَّكُمَا وَعَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، العتاب نتيجة الأكل من الشجرة، فأبعد آدم عن الجنة، والخطاب هنا اختلف؛ إذ يقول "ناداهما"، والنداء للبعيد، فخطاب البعيد مناداة، لم يكن قريبا بل أصبح بعيدا، "تلكما الشجرة"، (تلكما) إشارة إلى البعيد، وفي بداية الآية قال "هذه الشجرة" للقريب، إذن كان قريبا من الشجرة في الجنة وأصبح بعيدا، ﴿تِلْكَ الشَّجَرَةُ﴾<sup>(٢٨٩)</sup>، أبعدا عن الجنة . وجاء التقرير والعتاب الإلهي لتركه الأولى، لأنه لم يترك الأكل من هذه الشجرة ولم يأخذ بهذه النصيحة، فتعرض إلى تبعاتها من دون أن يكون قد وقع في المعصية، إذن وساوس الشيطان دفعت بآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وحواء إلى أن يخرجوا من الجنة، وأن يتعرضا إلى كل تلك التبعات التي تعرضا لها، فهذه من موجبات الظلم، وهي وساوس الشيطان .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يقينا ويبعدنا عن هذه الوسواس . وللحديث صلة تأتي في الليالي القادمة . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢٨٧ . سورة المؤمنون : الآية ٢٠ .

٢٨٨ . سورة الإسراء : الآية ٦٠ .

٢٨٩ . سورة الأعراف : الآية ٢٢ .



الأمسية الخامسة والعشرون ٢٠١٤/٧/٢٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين  
وصحبه المنتجبين الميامين .

### منظومة الحقوق في النظرية الإسلامية

كان حديثنا في الليالي الماضية عن رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا زين العابدين  
الإمام علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكنا نتحدث عن الحق السابع وهو حق اليد، وانتهينا  
في الحديث إلى موجبات الظلم، وهي الأمور التي تدفع الإنسان لارتكاب الظلم . .  
تشجع وتحرض وتحفز الإنسان للقيام بالظلم والتجاوز على الآخرين .

وساوس الشيطان . . شاهد قرآني

### كسر النعمة الإلهية

قلنا إن الموجب الأول للظلم هو إبليس ووساوسه، وهو يعمل جاهداً ليضل الناس  
ويوقعهم في الظلم والعدوان، ﴿لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٢٩٠)</sup>، أقسم بين يدي الله أن يضل  
الناس ويحرفهم، ومن الشواهد القرآنية على دور ووساوس الشيطان في دفع الناس إلى  
الظلم والعدوان ما ورد في سورة سبأ، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا  
فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً﴾<sup>(٢٩١)</sup>، قوم سبأ قوم لهم حضارة عريقة، وأسسوا دولة عصرية متطورة

٢٩٠ . سورة الحجر: الآية ٣٩ .

٢٩١ . سورة سبأ: الآية ١٨ .

في ذلك الوقت، وكانوا يقطنون جنوب الجزيرة العربية في ما نسميه اليوم اليمن، إمبراطورية وحكم متجذر ونظام متطور ودولة غنية فيها إمكانات ونعم وثروات، فقوم سبأ كانوا قومًا ميسوري الحال ومن الأقوام الثرية في العالم، تقول الآية الشريفة: "بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة"، يعني أماكن هم كانت أماكن عامرة، والقرى التي بارك فيها عامرة أيضًا، والطريق الذي يربط بينهم كانت فيه قرى ظاهرة بينة عامرة مزدهرة، فالطريق إلى تلك المنطقة كان كله منطقة عامرة ومزدهرة.

بشهادة العديد من الآيات القرآنية فإن مفردة الأرض المباركة، ﴿الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، تستخدم للتعبير عن بلاد الشام؛ سوريا والأردن وفلسطين، هذه المناطق تسمى القرى التي باركنا فيها والمنطقة المباركة، لاحظوا في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾<sup>(٢٩٢)</sup>، جعلنا هذه الأرض التي فيها المسجد الأقصى أرضا مباركة، وفي سورة الأنبياء: ﴿وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾، سخرنا لسليمان الريح حينما تعصف الأعاصير، هذه كانت مسخرة بيد سليمان، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾<sup>(٢٩٣)</sup>، ويراد بها الشام.

بعض المفسرين ذكروا أن الأرض المباركة، ﴿الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، يراد منها صنعاء أو مأرب، وليس بلاد الشام، وقالوا باعتبار أن سبأ في اليمن جنوب الجزيرة العربية أما بلاد الشام فإنها في شمال الجزيرة العربية، والجزيرة العربية كلها صحار وبراري، والمفترض أن الطريق من سبأ في اليمن إلى بلاد الشام عبارة عن قرى ظاهرة، هذه المساحات الشاسعة كلها تحولت إلى بساتين وإلى قرى مسكونة وظاهرة وبينة، أي متقاربة ومن هذه القرية ترى القرية التي بعدها وهكذا، قرى ظاهرة مزدهرة متقاربة، من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها. . من اليمن إلى الشام، تحولت كلها إلى بساتين، وهذا تصور صعب وليس هناك شواهد تاريخية عليه، ولكن أن نتصور داخل اليمن؛ من منطقة سبأ إلى منطقة صنعاء، هذه المنطقة كلها أصبحت عامرة، فهذا شيء أقرب إلى التصور في هذه المسألة، وكيفما كان، يخبرنا القرآن الكريم أن منطقة سبأ كانت عامرة، فيها زرع وضرع، فيها مواش وأموال وإمكانات ورفاه، ومن منطقة قوم سبأ إلى القرى التي باركنا فيها، كل هذا الطريق أيضًا قرى عامرة ومزدهرة ومتقاربة مع بعضها.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾، السير من قرية إلى أخرى أصبح أمرًا مقدورًا عليه ميسورًا،

٢٩٢. سورة الإسراء: الآية ١.

٢٩٣. سورة الأنبياء: الآية ٨١.

﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيًّ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾<sup>(٢٩٤)</sup>، فضلا عن الإعمار والازدهار ووفور النعمة والراحة في هذه المناطق، أعطينا الأمان أيضاً، فقوم سبأ أعطيناهم وفور النعمة والراحة وأعطيناهم الأمان، مناطق آمنة ليس فيها قطاع طرق وليس فيها حيوانات مفترسة، فالحيوان المفترس يبحث عن مناطق بعيدة عن الناس ولا يقترب من المدن، وحينما تصبح هذه القرى كلها مزدهرة متقاربة يهرب منها الحيوان المفترس فتكون آمنة من الوحوش، وكذلك قطاع الطرق يتواجدون في مناطق لا أحد يستطيع اللحاق بهم فيها أو ينزل العقوبة بهم، وهذه كلها قرى متقاربة وإذا جاء قطاع الطرق فالناس تقتلهم أو تلاحقهم، وفي مكان فيه وفرة في النعمة والسكان لا يأتي قاطع الطريق لأنه ينكشف.

إذن، فالله أعطاهم الأمان والنعمة، والسير والسفر أصبح متيسراً لأن القرى متقاربة وآمنة، وكان يمكن أن يستثمروا هذه العناصر ويتقربوا إلى الله تعالى، وان يستثمروا النعم الإلهية الوفيرة ليجعلوا بيئتهم بيئة إيمانية ومتوجهة نحو الله تعالى، ولكن ما فعلوه كان شيئاً مختلفاً، فأغنياؤهم رأوا أن السفر أصبح بمقدور كل أحد، فمن كان ليس عنده أموال يستطيع السفر نتيجة البيئة الآمنة؛ قرى متقاربة ونعمة متوافرة وأمان، ويمكن التنقل بينها بسهولة، ولم يكن بالأمر السهل في ذلك الوقت أن يسافر الإنسان، وهذا لا يمكن أن يقوم به إلا الأغنياء الذين يوفرون حمايات ويسIRON قوافل حتى يحموا أنفسهم.

### أنانية الإنسان المتكبر

وهنا ترى الخسة والدناءة من الأثرياء من قوم سبأ؛ "فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا"، إلهي كلها نعمة وقرى متقاربة، فأين موقعنا؟! . . . لقد فقدنا خصوصيتنا وميزتنا، كنا نقول إن عندنا بساتين، واليوم حتى الفقراء عندهم بساتين، وكنا نساfer واليوم الكل يسافرون، يارب باعد بين أسفارنا، أنزل النعمة على القرى التي في الوسط وخذ نعمتك منها، حتى لا يستطيع الفقير أن يسافر ويتنقل بسهولة بين هذه القرى لأنها أصبحت متباعدة، وتأتي الوحوش وقطاع الطرق وتصبح غير آمنة، فالفقير يصبح عاجزاً عن أن يسافر، نريد أن يتعذب الفقير وعينه على الطريق حتى يأتيه الغني، لتتكبر على هؤلاء الفقراء ويظلوا أسرى بأيدينا، هذه هي الخسة.

"فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا"، كيف يباعدنا؟، أي دمر هذه القرى لتصبح هناك

فواصل ويحصل حزام غير آمن، "وظلموا أنفسهم"، يعتقدون أنهم سوف يحرمون الفقراء من السفر ومن الحياة والرفاه، إنما ظلموا أنفسهم؛ فالإنسان بأنايته وكبريائه واستعلائه يظلم نفسه وليس الفقير، حينما يمتلئ قلب الإنسان بالغل والغضب والكراهية، يفقد الراحة ويحرق نفسه قبل أن يحرق الآخرين، يقتله الحسد، لا يستطيع أن يرى أحداً عنده نعمة، وهو ناقد على الحياة. الإنسان حاقد وظلامي لا يريد أن يرى الخير لأحد ويريده فقط لنفسه، هؤلاء كبار قوم سباً كانوا هكذا.

"وظلموا أنفسهم"، حينما تجاوزوا الحدود وطلبوا من الله أن يرفع النعمة عن الآخرين، وهذا مرض أخلاقي غريب وعقد نفسية، فكان يجب أن يفرحوا أن جميع الناس يأكلون ويسافرون ويستمتعون بحياتهم. الشعب كله مستفيد، يجب أن يزداد الإنسان قرباً من الله؛ لأن الناس كلها شبت وعندها نعمة وفيرة، غير أن هؤلاء عندهم نعمة ولكنهم لا يتمنونها لغيرهم، فظلموا أنفسهم، "فجعلناهم أحاديث"، الله تعالى يمهل، فهو صبور على عباده ولا يهمل، حينما يتخطى أحد الخطوط الحمراء يجعله الله عبرة لمن اعتبر، حتى يتوب والآخرين يتوبون أيضاً، فجاء الأمر الإلهي بأن ينزل على قوم سباً الأغنياء المرفهين بلاء، ليكونوا عبرة لغيرهم "فجعلناهم أحاديث"، عبرة لمن اعتبر.

### العقاب الإلهي عبرة

أصبح الناس يتكلمون عن مصيبتهم ولماذا تفرقوا وتمزقوا وتبعثروا ولماذا ضاعوا؟، يقال لأن الأغنياء لم يريدوا الخير للجميع وإنما لطبقة معينة، لأنهم كانوا ظلمة وتجاوزوا الحدود وحتى النعمة التي أنعم بها على عباده أرادوا أن يقطعوها، "فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق"، جعلناهم جماعات مبعثرة، وتخبرنا الروايات أن اليمن ليس فيها نهر، وكانت تأتي أمطار موسمية كبيرة، ولأنه ليس هناك نهر فإن الماء يضيع في البراري والصحاري، فبنى هؤلاء سدوداً كبيرة وقاموا بخزن المياه خلف السدود.

أكرمهم الله تعالى بعقول زراعية كبيرة، فشقوا سواقي إروائية في مساحات شاسعة من الأرض، وهذا الماء المتجمع خلف السدود يذهب في هذه السواقي، فتوافر الماء في كل هذه الأرض وأخذوا يزرعون إلى يمينها ويسارها، ما يحيط بهذه السواقي، والله جعل بركة في هذه التربة الخصبة، إذ أعطتهم الأرض ما يريدون وأصبحت هذه البساتين والأشجار المحملة بالثمار، نتيجة هذه السدود الترايبية الكبيرة أصبحت هناك نعمة وفيرة، وحينما أصبح لديهم كفر بالنعمة ولم يريدوا الخير للفقراء، جاء التقدير

الإلهي بأن ينزل عليهم العذاب ، فأرسل الله تعالى عليهم الفئران فقامت بنخر السدود ، والفئران عندها قدرة عجيبة على النخر ، والنملة لها مدن كبيرة تحت الأرض ، تنزل وتحفر أنفاقاً هائلة وكبيرة فما بالك بالفأر ، هذا الفأر الصحراوي الكبير .

بدأت الفئران بنخر هذه السدود الترابية ، والفئران لا تُرى والناس لا تدري ، وهذه العملية أخذت وقتاً وأصبحت السدود هشة غير قادرة على التماسك ، وفي ذلك الوقت جاءت الأمطار الموسمية الغزيرة وجاء السيل ، وهذا السيل لا يقاوم . . اليوم هناك سدود كونكريتية ضخمة ومع ذلك تأتي التقارير أن هناك خطراً ، أن هذا السد قد تصبح فيه مشكلة وسوف يُغرق مناطق شاسعة ، فسد مأرب كان السد الكبير في اليمن ، وخلفه كميات هائلة من المياه ، ثم جاء السيل الكبير وأدى إلى انهيار السد ، بحيث أن الكميات الهائلة من المياه أخذت في ظرف دقائق معدودة كل شيء في طريقها ؛ أخذت القصور والأبنية والبساتين والمواشي . . أخذت كل شيء وانتهى ، انتهى قوم سبأ بقصورهم وممتلكاتهم وكل شيء . . نظروا فرأوا صحراء قاحلة ، لم يجدوا شيئاً يتجمعون حوله ، فذهب كل واحد منهم إلى مكان ، "ومزقناهم كل ممزق" ، شتتاهم ، ولا أحد يعرف أين أصبح الثاني . . صحراء قاحلة وكل واحد ذهب في طريقه ، ولا أحد يدري أين جماعته .

الله تعالى أراد أن يجعلهم عبرة لمن اعتبر ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾<sup>(٢٩٥)</sup> ، صَبَّارٌ صيغة مبالغة من صابر ، وشكور مبالغة لشاكر ، الصابرون والشاكرون هم من يعتبرون بهذه الأمور ، ومن لم يكن عنده صبر وليس عنده شكر لا يعتبر ، لأننا لو قرأنا التأريخ وما جرى على الآخرين ، لعلمنا أن ما يحصل لنا اليوم كان له شاهد في التأريخ .

#### آثار الارتباط بالله

يكفي أن نراجع التأريخ ونراجع القرآن الكريم . . يكفي أن نقرأ أحوال الأمم السابقة حتى نعرف كيف يجب أن نتعامل في هذه الظروف ، وكيف نتصر لأنفسنا وواقعنا ، فنفس هذا الواقع الذي حدث على الأرض لقوم سبأ يمكن أن يحصل لنا في حياتنا الشخصية أو الاجتماعية . . النفس الإنسانية مرتع فانظر كيف تزرع هذه النفس ، ازرعها بالتقوى والورع ومخافة الله تجعل القلب عامراً بذكر الله ، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾



(٢٩٦)، ترى هذا الإنسان عنده طمأنينة وثقة في نفسه، ويشعر بالراحة والقوة لانتمائه إلى الله تعالى .

في زماننا يخرج أحدهم إلى الشارع وهناك حزب وراء ظهره، وحينما تحدث له مشكلة في الشارع يخرج هاتفه ويطلب المساعدة وتحل له مشكلته، وهذا حتى تعامله مع السيطرة يختلف؛ يتكلم بنفس عالٍ رافعاً رأسه، لأن ظهره مسنود، أما المواطن البسيط فنظرته تختلف ويتكلم بلين حتى لا يتورط في مشكلة ولا أحد يسأل عنه حينئذ، فيحاول أن يتجنب أي قضية، هكذا هو سلوك الإنسان، فكيف بالذي يكون الله تعالى معه؟ . . . سيشعر بالقوة في بعدها الإيجابي، فالإنسان حينما يكون مع الله وقلبه عامراً بذكر الله تصبح عنده قوة وعزيمة وإرادة ورباطة جأش، والدنيا وما فيها لو اجتمعت عليه لا تقدر على أن تزلزل قناعاته وتخوفه؛ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(٢٩٧)</sup>، الله تعالى ينصرنا على الناس الذين يقفون بوجوهنا، من الأراذل والمنحرفين، من الضالين والمتطرفين الداعشين، فالله معنا .

في سورة الشمس: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، أنت تتحكم في هذه النفس؛ فجور أو تقوى، صلاح أو طلاح، عمل صالح أو عمل طالح، هذه بيدك وأنت تختار، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾<sup>(٢٩٨)</sup>، الذي يزكي هذه النفس ويرعاها ويهتم بها فقد أفلح، والنجاح والفلاح لهذا الإنسان، أما من يخفي هذه النفس بالفجور والرذيلة فيسكون خائباً، لذلك فما دام هذا الإنسان يستثمر هذه الروح الإنسانية ويعمرها ويشكر الله تعالى فسوف يشعر بالقوة العالية الكبيرة، ومتى ما انهار هذا السد لدى الإنسان واندفع نحو الرذيلة والموبقات والمعاصي والذنوب والخطأ والاعوجاج والانحراف، إذا انهار السد، فسيرى الإنسان نفسه في خواء وفراغ وضياع .

الكآبة تنتشر بين الأغنياء، وربما يوجد فقير تحدث لديه كآبة، لكن نسبة عالية ممن ينتحرون هم من المليارديرية، أحدهم يقول، (أنا سمعت منه هذا الكلام)، يقول، دخلت إلى بيت لأحد كبار الطغاة وهو مهجور يوم هربوا، ولفت انتباهي ألبوم في الدولار، فأخرجت الألبوم لأرى الصور الموجودة فيه، فرأيت صورة صعقتني؛ رأيت

٢٩٦. سورة الرعد: الآية ٢٨ .

٢٩٧. سورة آل عمران: الآية ١٧٣ .

٢٩٨. سورة الشمس: الآية ٧ - ١٠ .

أنهم يضعون مائدة الطعام، وهم جالسون رجالاً ونساءً، واحدهم متعراً فوق المائدة وجالس بين الطعام يقضي حاجته والكل يضحكون منه . . ما هذه السفالة؟ . . ما هذا الانحطاط وما هو تفسيره؟ . . تفسيره أنه لم يبق شيء لم يعمل؛ يذهب للتنزه ويرتكب الموبقات ويقتل، ولم يبق شيء لم يفعله في هذه الدنيا، فأصبحت هناك رتابة، فالقصور موجودة والأموال موجودة، والقصر نراه من الخارج فيبدو لطيفاً وجميلاً، ولكنه لمن يجلس فيه بعد فترة قصيرة يصبح شيئاً عادياً، وحاله كأى بيت من بيوتنا، وليس هناك ذاك البريق . . تذهب في جولة سياحية وتنزه لمدة يوم أو يومين، ولكن الذي يعيش هناك يمكن أن تمر عليه أشهر وهو لم يخرج إلى البحر، والبحر لا يبعد عن بيته كثيراً، ولكن أصبح لديه ملل وتشيع، وذهب رونق القضية .

هكذا يصل الإنسان إلى الخواء والانحطاط، وفي لحظة لا يوجد فيها شيء يقوم به يقتل نفسه، فالمال ليس كل شيء في هذه الدنيا، والغني يعيش حياته ويأكل ويشرب، ولكن الباقي من الأموال لا يحتاج إليه وليس عنده ثقافة الإنفاق على الفقراء، بل يضعها في البنوك ويعطونه أوراقاً وأرقاماً ولا يصرف منها، وأصبحت هذه الأموال وبالأول وزراً عليه، لذلك فالعبرة المعنوية من هذه القصة هي كيف نعلم قلوبنا قبل أن نعلم بلداننا، فصاحب القلب العامر عنده همة وثقة بنفسه، وعنده شعور بالقوة الداخلية وقدرة على الوقوف بوجه الأعداء والتحدي فيستطيع أن يعمر البلاد، أما من كان خاوياً من الداخل ومهزوماً ومنكسراً فلا يستطيع بناء دولة، ولا يستطيع أن يعمر بلاداً، فالذي لم يعمر نفسه لا يستطيع أن يعمر وطنه أو شعبه .

### بين القمة ولحظة الانهيار

العبرة الكبيرة في قصة قوم سبأ، أنه في ذروة وقمة الحياة والرفاه والرخاء والإمكانات قد يكون الإنسان أقرب ما يكون إلى لحظة الضياع الكامل، فقبل ليلة من حدوث السيل كانت هناك قصور وأناس يملكون الأموال الطائلة وكل يتحدث عن أملاكه وإمكاناته . . الجنان وكل شيء مريح، وفي اليوم الثاني تبخر كل شيء ولا أحد كان يتصور ذلك . . في قمة الحياة قد تكون أقرب إلى الانهيار الكامل، وفي قمة انعدام الأمن والإعمار وذروة المشكلة والأزمة قد تكون أقرب إلى حل جذري ينهي مشاكلك كلها؛ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾<sup>(٢٩٩)</sup>، قد تكون أقرب ما يمكن إلى الحل في لحظة المشكلة، وفي ذروة الراحة قد تكون أقرب ما يكون إلى الضياع إذا لم تحسن الأداء وإذا لم تضمن الإطار الصحيح .

ما هو السبب في الإعمار والازدهار الكبير لإمبراطورية سبأ؟، إنه الماء، إذ بنوا السدود وحفظوا الماء فكان الازدهار. . فما السبب في الخراب والتمزق؟، إنه الماء أيضاً!، فالماء يمكن أن يعمر ويمكن أن يهدم ويخرب، فالماء هنا يرمز لأي سبب، والحياة كلها مليئة بوسائل وأسباب هي سيف ذو حدين في استخدامها؛ هذه السكين تقتل بها عباد الله، كما يذبح الإرهابيون الناس، وتصبح طريقاً إلى النار، وتستخدم لإجراء عمليات جراحية كما يفعل الطبيب ليزيل المرض، فتصبح طريقاً إلى الجنة، وكل الوسائل التي بأيدينا وكل النعم التي أعطانا إياها الله تعالى يمكن أن توظف توظيفاً صحيحاً فتكون طريقاً إلى الصلاح والفلاح والتطور والازدهار والإعمار في الحياة المادية والمعنوية، ويمكن أن تكون في الاتجاه الآخر، فنحن نوظف أنفسنا في أي اتجاه تتحرك.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾، هنا محل الشاهد. . لقد صدق ظن إبليس في إمكانية حرفهم. . وسوسة إبليس جعلتهم من الظالمين، إذن، بسبب وساوس إبليس أصبح هؤلاء من الظالمين، وتمكن إبليس منهم، وهذا دور إبليس في تحقيق الظلم، فهو من الموجبات لهذا الظلم، ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا قَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣٠٠)</sup>، الناس كلهم اتبعوا إبليس ومشوا وراء الهوى والشهوات، "إلا فريقاً من المؤمنين"، إلا المؤمنين، فهم لا يطيعون إبليس ويحافظون على أنفسهم ويصلحون مواقفهم. . يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: "أولئك هم الأقلون عدداً والأكثرون عند الله قدراً"<sup>(٣٠١)</sup>، هؤلاء أوتاد الأرض رغم قتلهم، وهؤلاء منزلتهم عند الله عظيمة، وقد يدفع الله البلاء عن أمة بأكملها لوجود ولي من أوليائه في هذه الأمة. . دمة من مراجعنا ومن صلحائنا ومن كبرائنا يمكن أن تدفع الكثير من البلاء والأذى عنا، فإن الورع والتقوى والصلاح تدفع الكثير. نسأل الله أن نكون جميعاً ممن يتخلق بأخلاق الله.

### كيد الشيطان فتنة

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ﴾، الشيطان ليس عنده سلطان، ﴿إِلَّا لِيَتْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾<sup>(٣٠٢)</sup>، نحن وضعنا الشيطان فتنة واختباراً، حتى نرى من يؤمن بالآخرة ومن هو في شك منها ويعمل باتجاه آخر، ورب قائل يقول؛ الله تعالى

٣٠٠. سورة سبأ: الآية ٢٠.

٣٠١. نهج البلاغة ٤: ٣٧، الحكمة ١٤٧.

٣٠٢. سورة سبأ: الآية ٢١.

يقول لنعلم، فهل يعني أن الله لا يعلم، فجاء بالشیطان كي يعلم؟ . . والجواب كلا، فالله يعلم كل شيء؛ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣٠٣)</sup>، ولكن الله لا يحاسب على علمه، بل يحاسب على عمل الناس المطابق لعلمه، والإنسان حينما يقوم بخطوة صالحة أو طالحة، عمل صحيح أو منحرف، يقوم به بملاء إرادته، والله يحاسب على فعل الإنسان بإرادته الحرة وباختياره ورغبته، ولكن الله يعرف الإنسان وملكاته سلفاً، وتحدثنا في ليلة القدر عن هذا الموضوع، يعرف ملكات الإنسان فيقدر لهذا الإنسان أنه سيختار القرار الفلاني .

لو أن أحداً يجلس في مكان مرتفع ويرى إنساناً أعمى يتقدم باتجاه حفرة، فيقول سوف يقع في الحفرة، ويقع الرجل في الحفرة فعلاً، فهذا ليس معناه أنه أوقع الرجل في الحفرة بعدما قال إنه سيقع في الحفرة، وإنما هو وقع بكامل اختياره، ولكنه نتيجة اطلاعه على الموضوع ووجوده في مكان مرتفع، عرف أن الرجل سيقع في الحفرة، وأين مثل هذه الأمثلة البسيطة من علم الله الذي يعلم واقعنا ويعلم ماذا سنختار، ولذلك فإن فعلنا دائماً يطابق علم الله، ولكن ليس هناك جبر بل نحن نختار، والله يعلم ماذا سنختار؛ لأنه يعلم مؤهلاتنا وملكاتنا ونزواتنا، هذه كلها يعلمها الله تعالى، فإذاً "لنعلم"، أن يكون العمل الخارجي مطابقاً لعلمنا حتى نحاسب عليه أو نجزيه ونكافئ عليه .

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾<sup>(٣٠٤)</sup>، الله يحفظ كل شيء، ولا يضيع أي شيء عن الله ولا ينسى أي شيء؛ ﴿لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾<sup>(٣٠٥)</sup> . . نسأل الله أن يكون عملنا عملاً طيباً كريماً، وإن كانت لنا أخطاء وسيئات ومعاص، نسأل الله بحق هذا الشهر وبركة هذه الليالي الشريفة أن يمحوها من سجل أنفسنا، لنكون دائماً في طريق الصلاح والفلاح . . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٣٠٣ . سورة البقرة: الآية ٢٣١ .

٣٠٤ . سورة سبأ: الآية ٢١ .

٣٠٥ . سورة الكهف: الآية ٤٩ .



محاضرات محرم الحرام







الليلة الأولى ٢٥/١٠/٢٠١٤



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعا سلام الله أبدا، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ. السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته .

### الحسين.. دمعة تتجدد ومشروع بعمر الزمان

يطل علينا من جديد شهر محرم الحرام، وتتجدد الآلام والمحن والمصاب باستذكار سيد الشهداء وأبي الأحرار أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتى اقترن اسم محرم الحرام بالحزن والألم والفجعية، وكلما حل شهر محرم هرع الحسينيون المؤمنون لإقامة هذه المجالس الحسينية والجلوس والتعرف على رؤية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى مدرسة الحسين وهي مدرسة الإسلام الكبرى، ومدرسة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الكرام، وكلما حل محرم الحرام استذكر الحسينيون تلك الصرخة الزينية المدوية التي وقفت فيها بوجه الطغاة والظالمين قائلة بوجه الحاكم الظالم: "يا يزيد، اسع سعيك وناصب جهدك فوالله لن تمحو ذكرنا ولن تميمت وحيناً" (٣٠٦).

كلما حل محرم الحرام تذكرنا مقولة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: " إن لقتل الحسين في قلوب المؤمنين حرارة لن تبرد أبداً" (٣٠٧)، سبحان الله، أي نعمة هذه وأي كرامة، في كل سنة وكأن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ استشهد في هذا العام، يتجدد المصاب وتتجدد اللوعة ويستذكر الحسينيون واقعة الطف بتفاصيلها، ويتفاعلون مع هذه المصيبة بكل مشاعرهم وأحاسيسهم، ويتخذون من واقعة الطف منطلقاً وركيزة، للتعرف على منهج الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعلى مشروع الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفرق كبير بين من يقف ويؤبن الحسين، ومن يكون حسنيا في المنهج والعقيدة والرؤية، ولا بُدُّ لنا من أن نكون حسنيين وسنكون حسنيين ما بقينا بإذن الله تعالى .

وفي شهر محرم الحرام، حيث يتجدد الحزن نجلس في مجالس أبي عبد الله الحسين ونذرف الدموع ونبكي على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا ما نجده في روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن زيارة أبي عبد الله الحسين وإقامة المجالس على سيد الشهداء والبكاء وإظهار الحزن على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهناك أجر عظيم للباكين على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وهناك روايات وردت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الكرام تذكر هذا الأجر العظيم وهذه المنزلة الرفيعة للباكين على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسنحاول أن نستعرض بعض هذه الروايات ثم نقف ونحلل هذه الظاهرة .

### ثواب البكاء على الحسين

يستعرض " ابن قولويه" في كتابه الشريف (كامل الزيارات) مجموعة من هذه الروايات، منها عن مسمع بن عبد الملك كرديم البصري قال: " قال لي أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ (الإمام الصادق): يا مسمع أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين؟"، هل تزور الحسين؟، " قلت: لا، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة"، الخليفة الظالم وضع عيوننا، وكانت الزيارة محرمة والولاء للحسين ولأهل البيت يعاقب عليه ويلاحق عليه أولئك الحسينيون، واليوم أبناء أولئك الأعداء يمارسون نفس المنهج، ويستهدفون زوار الحسين وشعائر الحسين ومجالس الحسين ومواكب الحسين، فما أشبه اليوم بالبارحة، والتأريخ يجدد نفسه؛ تتغير الأسماء ولكن المنهج هو المنهج؛ منهج الحسين هو ذات المنهج الذي نسير عليه، والمنهج الأموي ومنهج يزيد هو ذات المنهج الذي يسير عليه الإرهاب الداعشي والتطرف والعنف

٣٠٧. مستدرک الوسائل ١٠: ٣١٨، ب٤٩، ح١٣.



والتشدد وما إلى ذلك ، فالحمد لله الذي جعلنا في صف الحسين وفي جبهة الحسين ومن السائرين على نهج الحسين عَلَيْهِ السَّلَام .

"وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة وعدونا كثير من أهل القبائل والنصاب وغيرهم"، هناك نواصب ومتشددون ومطرفون، وتعرض إلى الأذى الشديد إذا زرنا سيد الشهداء، وهذا شخص معروف، فيقول لا أستطيع أن أذهب متخفياً ويمكن أن يتعرفوا عليّ، فتذهب الأخبار إلى السلطان، "ولست آمنهم أن يرفعوا حالي إلى ولد سليمان"، سليمان بن عبد الملك، "فيمثلون بي، قال لي: أما تذكر ما صنع به"، إذا كنت لا تستطيع أن تزوره لهذه الأسباب، فهل تذكر ما جرى على الحسين؟، "قلت: نعم أذكر ذلك، قال: أفتجزع؟"، هل تصيبك حالة الجزع؟، وهو أشد من الحزن؛ فالحزن بكاء وألم والجزع تعبير أشد، فالإنسان أحياناً يزيد ألمه على حزنه ويكون أشد من الحزن ويعبر عنه بالجزع، "قلت: إي والله واستعبر لذلك"، وهنا الشاهد، أجزع على الحسين وتنزل دمعتي حينما أتذكر مصابه، "حتى يرى أهلي أثر ذلك عليّ"، الإنسان عندما يكون حزينا متألماً يظهر على وجهه ويصفر لونه ويتعكر مزاجه ولا يتسم ولا يكلم أحداً ولا يأكل.

### بشارةٌ عند الممات

"فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي"، الكل يلاحظ ذلك، "قال: رحم الله دمعتك" فانظر إلى منزلة الدمعة عند الله، فالإمام الصادق يقول، "أما إنك من الذين يُنزلون (يعدون) من أهل الجزع لنا"، الذي يبكي على الحسين . . من تتحرك مشاعره وأحاسيسه تجاه الحسين يُسجل من أهل الجزع على الحسين، "والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا ويعملون إذا عملنا، أما إنك ستري عند موتك حضور آبائي لك"، أثر البكاء على الحسين والجزع على سيد الشهداء أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته يحضرون عند المحتضر حينما يفارق الحياة إذا كان ممن يبكي على الحسين ويجزع على سيد الشهداء، "ووصيتهم ملك الموت بك"، لا تشدد عليه، وتساهل معه، "وما يلقونك به من البشارة أفضل"، ويبشرونك بمكانك ومنزلتك في الدار الآخرة، وتكون بشارة عظيمة.

"ولملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها"، الأم الحريصة على ابنها كيف تتعامل معه، كذلك يكون ملك الموت مع الباكي على الحسين؛ أرق مما تتعامل به الأم مع ولدها، "قال: ثم استعبر (ثم بكى الإمام الصادق) واستعبرت معه، (ذكر الحسين فبكوا على سيد الشهداء)، "فقال: الحمد لله الذي فضلنا

على خلقه بالرحمة وخصنا أهل البيت بالرحمة ، يا مسمع إن الأرض والسماء لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ رحمة لنا" ، الأرض والسماء تبكيان على أهل البيت .

"وما بكى لنا من الملائكة أكثر ، وما رقات دموع الملائكة منذ قتلنا" ، منذ ذلك اليوم إلى اليوم الحاضر والملائكة يكون على أهل البيت ، "وما بكى أحد رحمة لنا لما لقينا إلا رحمة الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه" ، قبل أن تبكي وعندما تهتم بالبكاء ، فالله سبحانه وتعالى يقدم هذه الرحمة .

### رحمة ومغفرة يوم القيامة

"فإذا سالت دموعه على خده ، فلو أن قطرة من دموعه سقطت في جهنم لأطفت حرها حتى لا يوجد لها حر ، وإن الموضع لنا قلبه ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض" ، حوض الكوثر ، "وإن الكوثر ليفرح بمحبنا إذا ورد عليه حتى أنه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه" ، حوض الكوثر يفرح بمحبي أهل البيت . . فالناس تتمنى أن تصل إلى الكوثر ، والكوثر يتمنى أن يصل إليه محب أهل البيت ، فيقدم له من الشراب والطعام ما يشتهي ، وما يتمنى ألا يغادره ولا يتركه ، "يا مسمع ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً" ، من شرب من ماء الكوثر فلن يشعر بالعطش أبداً ، "ولم يستق بعدها أبداً" ، ولا يطلب الماء بعد ذلك ، "أما إنك يا ابن كرديم ممن تُروى منه" ، سترتوي من هذا الماء ، وهذه شهادة بحق هذا الرجل .

"وما من عين بكت لنا إلا نعمت بالنظر إلى الكوثر وسُقيت منه" ، كل عين تبكي الحسين وتبكي مظلومية أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ سيكون لها نصيب من الكوثر ، "وأن الشارب منه ممن أحبنا يُعطى من اللذة والطعم والشهوة له أكثر مما يُعطاه من دونه في حيناً"<sup>(٣٠٨)</sup> ، ليس محبوب أهل البيت فقط متنعمين في محبة أهل البيت ، بل هناك مراتب ، فالذي يحبهم أكثر ويلتزم بنهجهم أكثر ، وهو نهج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تكون مكانته أعظم ، فالمنزلة والمكانة والاستفادة من الكوثر بقدر محبة أهل البيت ، فإذن هناك مراتب ، وكلما كانت المرتبة أسمى كان العطاء أجزل .

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: " من ذكرنا عنده ففاضت عيناه (دمعت عيناه) ولو مثل جناح بعوضة"، يعني قطرة من الدمع، "غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر" (٣٠٩)،

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: " أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها غرفا في الجنة يسكنها أحقابا" (٣١٠). وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: " من ذكرنا عنده ففاضت عيناه حرم الله وجهه على النار" (٣١١)، انظروا الآثار العظيمة لمن يبكي على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

### ثواب من أبكى غيره

عن أبي هارون المكفوف قال: " دخلت على أبي عبد الله الصادق (سلام الله عليه) فقال: أنشدني"، (كان منشدا أو خطيبا) فأنشدته فقال: لا، لا تقرألي بهذه الطريقة، كما تشدون"، اقرأ لي على طريقتكم بالنعي، "كما تشدون وكما ترثيه عند قبره"، الصوت الشجي الحزين، هكذا اقرأ لي، قال: "فأنشدته (أمر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية) قال: فلما بكى أمسكت أنا عن القراءة،" فقال: مر، (استمر) فمررت، ثم قال: زدني زدني، قال: فأنشدته (يا مريم قومي فاندبي مولاك... وعلى الحسين فأسعدني ببكائك)، قال: فبكى وتهايج النساء"، يعني أن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ كان واضعاً ستاراً وقد هياً مكاناً للنساء ليجلسن ويستمعن لمصيبة سيد الشهداء.

قال: "فلما أمسكنا وانتهى البكاء قال لي: يا أبا هارون، من أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنة"، من أبكى عشر أشخاص في رثاء الحسين فله الجنة، ثم جعل ينقص واحدا واحدا؛ من أنشد في الحسين فأبكى تسعة... فأبكى ثمانية... فأبكى ستة... إلى أن وصل إلى الواحد فقط، فقال: "من أنشد في الحسين فأبكى واحدا فله الجنة"، ثم قال، "من ذكره (ذكر الحسين) فبكى ولم يجد أحدا فله الجنة" (٣١٢)، (حتى لو أبكى وحده)... وفي رواية أخرى، "لو ذكره فتباكى (لم تأتة الدمعة) وأظهر الحزن فله الجنة" (٣١٣). لاحظوا قيمة البكاء على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ سيد الشهداء وتأثيره العظيم.

- 
٣٠٩. كامل الزيارات: ٢٠٧، ب ٣٢، ح ١٠.  
 ٣١٠. كامل الزيارات: ٢٠١، ب ٣٢، ح ١.  
 ٣١١. كامل الزيارات: ٢٠٧، ب ٣٢، ح ٩.  
 ٣١٢. كامل الزيارات: ٢٠٢، ب ٣٢، ح ٣.  
 ٣١٣. كامل الزيارات: ٢١١، ب ٣٣، ح ٧.

### لماذا البكاء على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: " بكى علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ على أبيه الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عشرين سنة أو أربعين سنة"، التردد من الراوي، إذ شك هل قال الإمام الصادق إن الإمام السجاد بكى عشرين أو أربعين سنة؟، "وما وُضِعَ بين يديه طعام إلا بكى على الحسين حتى قال له مولى له: جُعلت فداك يا ابن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين"، أخشى عليك أن تُصاب بشيء لا سمح الله، فاستشهد الإمام السجاد في جوابه بهذه الآية قال: "﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾" (٣١٤)، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة لذلك" (٣١٥)، كلما ذكرت الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ دمعت عيني، وهناك الكثير من الروايات الواردة في هذا الشأن.

ماذا يعني أن يبكي إمام معصوم على الحسين عشرين سنة؟، هل يمكن أن نخترل هذه الظاهرة ونقول إنها انفعالات عاطفية؟، والحسين عظيم، ولو بكيناه الدهر كله لكان قليلاً في حقه، ولكن الإمام المعصوم يسيطر على أعصابه ويضبط عواطفه ومشاعره ولا يتحرك إلا ضمن إطار المصلحة، ماذا يعني أن يبكي عشرين أو أربعين سنة ليل نهار على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؟. . هذا لا يمكن أن يُفسر بانفعالات عاطفية بحته، بل هذا يُفسر على أنه مخطط دقيق من أجل جعل الحسين قضية تتحرك في الأمة، من أجل تحويل الحسين من مظلوم قُتل في يوم عاشوراء إلى رمز للحق والعدالة الإنسانية يتعاطاه الناس ويتعاملون معه ومع قضيته ومشروعه في كل زمان ومكان؛ " كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء"، هذا معناه.

إذن قضية الحسين ليست قضية عابرة، وليست قضية تاريخية، ورسالة الحسين ليست رسالة الموت والانكسار والضعف، وإنما هي رسالة الحياة والعنفوان والثورة والحركة والتصدي ومكافحة الفساد ومواجهة الظالمين والإرهاب والطغاة. قضية الحسين قضية بناء الإنسان وبناء المجتمع وتنمية الشعوب والأوطان، فتحوّلت قضية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مدخل لبناء تيار حقيقي في الأمة، هو تيار أتباع أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ ومحبي أهل البيت، هذا التيار الذي حمل على أكتافه قضية الحسين وقضية الإسلام والدفاع عن الإسلام وقيمه في كل زمان ومكان.

٣١٤. سورة يوسف: الآية ٨٦

٣١٥. بحار الأنوار ١٢: ٢٦٤، ح ٢٧.

لماذا هذا التأكيد على البكاء؟، لماذا هذا الحث والإصرار على أن نبكي الحسين، ولو أن قطرة دمع نزلت من عين الإنسان لضمن بها الجنة، لماذا هذا الأثر العظيم للبكاء؟. . بدءاً لا بُدَّ من التأكيد على أنه ليس بكاء الانكسار والضعف، وليس بكاء الخنوع والجبن، وليس بكاء انهيار وتراجع، هذا البكاء ليس قطرة خنوع وجبن وإنما قطرة بارود وزيت نضعها على نار الحماسة والمحبة، فتلهب مشاعرنا باتجاه القضية المبدئية التي نتبناها ونعمل من أجلها، ودمعة قوة وصلابة، وهذه دمعة صفاء ونقاء، وهذه دمعة استنفار للمشاعر والعواطف وتوجيه الطاقات في الاتجاه الصحيح. . هذه ليست دمعة انكسار بل دمعة بسالة وقوة، ودمعة شوق، ودمعة اندفاع باتجاه الحق والمبادئ.

### البعد السياسي للبكاء

هناك بعد سياسي مهم؛ البكاء تعبير هادئ وسليم وسلمي عن سخط وغضب وألم، وعن استنكار وعن موقف. لماذا يبكي الإنسان؟. . يبكي تعاطفاً مع قضية؛ أن ترى مظلوماً فتبكي عليه، فهذه الدمعة تعبر عن موقف سياسي يحدوده الدنيا وتعاطف مع المظلوم، وهذا موقف سياسي مهم ولا سيّما في ظروف الاختناق والضغط الكبيرة التي مرت على أهل البيت، ولاحظنا في الرواية التي رويناها أنفاً كيف لا يستطيع أن يزور حرم سيد الشهداء خشية أن يراه أحد فيشي به إلى السلطان فيتعرض إلى العقاب، ومن يستطيع أن يمنع الدمعة مهما كانت الظروف صعبة، وهذا منهج الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا يعني رسالة مهمة في منهج أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، منهج الإسلام، أن الإنسان عليه أن يتخذ موقفاً لصالح القضية التي يؤمن بها. . عليه أن يسجل موقفاً إيجابياً تجاه القضية التي يتبناها ويؤمن بها، وهذا الموقف يمكن أن يبدأ بدمعة وتعاطف وألم ومشاعر وعواطف تجاه تلك القضية، ولكنه لا يقف عند هذا الحد، بل يمتد إلى ما وراء هذا الحد في التصدي وتحمل المسؤولية تجاه المشروع، وهذا ما نجده في فلسفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يجب على الإنسان أن يدعو إلى المعروف وينهى عن المنكر والانحراف والفساد، فإن لم يُسمح له بأن يتحدث فعليه أن يمتعض، فعلمناؤنا يقولون: "أدنى مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الإنكار القلبي"، حين يرى المنكر فينزعج قلباً من هذا، ويرى فعلاً جيداً فيفرح قلباً، وإذا قال إن هذا لا يخصني، ولم يتألم قليلاً للانحراف، فهنا هو الملام، فإذا لم يسمح لك سلطان جائر أو حكومة ظالمة في دولة دكتاتورية وغيرها،

فالإنكار القلبي بيدك ، ويجب أن تنكر فالمطلوب موقف بأي مستوى من المستويات ، هذه هي الخلفية السياسية للبكاء .

### البعد الأخلاقي للبكاء

هناك أيضا البعد الأخلاقي للبكاء ، والإنسان عندما يبكي تتجه عواطفه ومشاعره وأحاسيسه تجاه الحق الذي يندبه ، واتجاه أصحاب الحق ومنهج الحق ومشروع الحق ، وبنفس المستوى ينفر وينزعج من الباطل ومن الظالم ومشروعه وسلوكه ، ومن مساراته والإطار الذي يتحرك فيه ، فتتحول قضية البكاء إلى التولي والتبري ، إلى انشداد نحو الحق وإلى انكماش من الباطل ، هذه الدفعة تحقق لك اصطفاً مع الحق وتحقق عداء مع الباطل . ونلاحظ أن أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ استطاعوا من خلال البكاء أن يحفظوا أتباعهم ، هذه الجماعة الصالحة التي تعرضت إلى ضغوط هائلة كان يمكن أن تتفكك وتذوب في القراءات والمدارس الأخرى وتضيع ، ولكن نتيجة منهج البكاء ومنهج الشد نحو المبدئية استطاع أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أن يضعوا جداراً صلباً يمنع من تفكك هذه الجماعة وانحلالها وذوبانها في المشاريع الأخرى ، فحالة المبدئية وحالة النخوة والشيمة ، وحالة الانتصار للحق والوقوف بوجه الظالم ، هذه كلها أبعاد أخلاقية نحصل عليها من خلال البكاء .

### البعد الروحي للبكاء

البكاء منهج لتزكية النفس وتطهير القلب وبقظة الضمير ، ولرقة القلب التي تحصل للإنسان عندما يبكي ، فالإنسان عندما يبكي يرق قلبه ، ورقة القلب هذه ، والإحساس بمحن وآلام الآخرين منهج وثقافة ، فتجد أتباع أهل البيت ، وبحكم ثقافة البكاء يتحسسون آلام الآخرين وينتفضون لمحن الآخرين ، ويتعاطفون مع كل قضية ، أي قضية ، وفي العالم ترى أتباع أهل البيت أول من يهرول ويسجل موقفاً ويعترض ويقول ، ولا سيما في زماننا وشعبنا يواجه تحديات ضخمة وجراحا نازفة ومحنة كبيرة ، ولكن عينه على الآخرين في البلدان الأخرى ، وهذه ثقافة الإحساس بآلام الآخرين ، وتعبير عن منهج ومدرسة وبعد روحي متطور حصلنا عليه نتيجة ثقافة البكاء .

القرآن الكريم يحدد ما الذي يقابل رقة القلب ، وهي قسوة القلب ، ويتحدث عن مضاعفاتها الخطيرة ؛ لاحظوا في سورة البقرة: " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك " ،

أي بعد أن رأيتم المعاجز والحق ، وبعد أن اكتملت الحجة عليكم ، قست قلوبكم ، ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾<sup>(٣١٦)</sup> ، هذا الإنسان لا يبحث عن حقيقة ومتحجّر على الباطل ، والله أنزل إليه معاجز ورأى الحقيقة بعينه ولا يسمع ، هؤلاء قست قلوبهم . وفي سورة الحديد : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ، ألم يحزن لهم أن ترق قلوبهم لذكر الله ؟ ، ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ ، القرآن الكريم ، ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ، القلب حينما يقسو عن طاعة الله وامتنال أمر الله ، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَيَسْقُون﴾<sup>(٣١٧)</sup> .

في سورة الزمر : ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٣١٨)</sup> ، الضلال المبين لمن قسى قلبه ، هذا البكاء يولد رقة في القلب وتعاطفا ومشاعر وأحاسيس واندفاعات وإحساسا بالآخر ، ولذلك تجد أن العين الباكية نتيجة خشية الله سبحانه وتعالى ، لأنها تحصل على هذا البعد الروحي ، تكون في مصاف العين التي تسهر في ساحات الجهاد ، أو العين التي تغض النظر عن محارم الله سبحانه وتعالى ، كما في هذه الرواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرويهما صاحب البحار : " كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث أعين ؛ عين بكت من خشية الله ، (التي نتكلم عنها) وعين غضت عن محارم الله (تتجنب النظر إلى الحرام وهذا شيء عظيم) وعين باتت ساهرة في سبيل الله "<sup>(٣١٩)</sup> ، إخوانكم المجاهدون الطيبون من أبناء القوات المسلحة ومن مجاهدي الحشد الشعبي اليوم في العديد من الساحات يسطرون الملاحم ويحققون الانتصارات الكبرى بوجه الإرهاب الداعشي في جرف الصخر وييجي وفي مناطق أخرى ، ويقفون بحزم وقوة ويحققون هذه الانتصارات ، وهذه هي العين الساهرة في سبيل الله ، فهنيئا لهم .

### البعد الثقافي للبكاء

حينما تبكي لمظلومية فأنت تحلل ماذا يعني المظلوم ومن هو الظالم ، ولماذا هذا المنهج ، منهج الاعتداء ، ولماذا أصبح هذا مظلوماً وذاك ظالماً؟ . . وترى أنك يجب أن تقف بوجه الظالم ، وهذه ثقافة ؛ ثقافة الاصطفاف مع الحق وتشخيصه والدفاع عنه والانتصار له ، والقوة والشجاعة والبسالة بوجه الظالم والمعتدي ، والأمة التي تتشرف

٣١٦ . سورة البقرة : الآية ٧٤ .

٣١٧ . سورة الحديد : الآية ١٦ .

٣١٨ . سورة الزمر : الآية ٢٢ .

٣١٩ . بحار الأنوار ٩٠ : ٣٣٢ ، ح ٢١ .

بثقافة الانتصار للحق، وتعيش منهج الوقوف بقوة بوجه الظالمين، هذه الأمة لا يمكن أن تُهزم ولا يمكن أن تكسر ولا يمكن أن تضعف، وهذا هو منهجنا؛ منهج الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، منهج الثورة والوقوف بوجه الطغاة والظالمين، والانتصار للحق الحسيني في الدفاع عن الوطن وتلبية نداء المرجعية العليا، والوقوف بوجه الأعداء.

وهذا المد الكبير وهذا الزخم الإنساني الهائل من شبابنا الأبطال الذين يقفون ويدبون عن الوطن ويدافعون عن أرضهم وعرضهم وكرامتهم، هذا المنهج والسلوك سوف يستمران بإذن الله تعالى حتى نظهر أرض الوطن من أولئك الداعشيين الذين دنسوا أرضنا بحضورهم واعتدائهم وإساءاتهم وهتكهم للحرمات وقتلهم للنفس البريئة، وسيعود النازحون بإذن الله تعالى إلى مدنهم وقراهم وأماكن سكناتهم سالمين غانمين وستنتهي هذه الحقبة الكؤود وسندكرها في التاريخ، ونستذكر هذه البطولات والشجاعة، ونستذكر كيف أننا بالنهج الحسيني والدمعة الحسينية، استطعنا أن نقوى ونصمد ونثبت أمام أولئك الأعداء. نسأل الله أن يوفقنا لتكون حسينيين حقا في المنهج وفي الرؤية وفي السلوك والأداء وفي التعاطي وفي التعامل والتصدي وفي التحدي وفي الثبات على المبادئ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الليلة الثانية ٢٦/١٠/٢٠١٤



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعا سلام الله أبدا، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

### البصيرة في الثورة الحسينية

السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون، إخوة وأخوات، ورحمة الله وبركاته، في شهر محرم الحرام، نقف على مائدة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، مدرسة العطاء، ومنهج الحياة، وقد تعودنا في كل عام أن نقف عند إضاءة ومحطة ودرس وعبرة من دروس وعبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد تحدثنا في العام الماضي عن واحدة من السمات والصفات المهمة في الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي أهل بيته وأصحابه، هذه السمة التي شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء، وكانت تمثل مفتاحا أساسيا لهذا الانتصار المعنوي الكبير ولهذا الثبات والاستقامة التي تميز بها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه، ألا وهي سمة البصيرة، فالحسين وأهل بيته وأصحابه كانوا من أهل البصائر، وهذا ما يشهد به عمرو بن الحجاج الزبيدي قائد اليمينة في جيش عمر بن سعد، حيث يقول مستنفرًا قومه وجيشه وهو

يحرصهم على قتال الحسين، يقول لهم: "أندرون من تقاتلون؟، تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر وقوما مستميتين لا يبرز إليهم أحد منكم إلا قتلوه على قتلهم، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم، أولئك أهل البصائر وفرسان المصر" (٣٢٠).

المصر: المدينة، لديهم بصيرة ورؤية ثابتة، فلذلك تجدهم مستميتين، وهذه نتائج للبصيرة، مهما كان عددكم كبيراً ولكن لا تستطيعون الوقوف بوجه أهل البصائر، حتى لو كان عددهم قليلاً، هذه سمة مهمة في الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي أهل بيته وأصحابه، ويجب أن تتوافر فينا، ويجب أن نكون من أهل البصائر، وقلنا لا بد من أن نتحدث عن (معنى البصيرة، وأهمية البصيرة، وأدوات البصيرة، والعوامل التي تحقق البصيرة، وآثار ومعطيات البصيرة، وموانع البصيرة، ومصاديق أهل البصائر).

وقد تحدثنا في السنة الماضية بتفصيل عن معنى البصيرة، وقلنا هي الوضوح الكامل، وحالة اليقين التي تحصل عند الإنسان والاعتقاد القلبي تجاه ما يؤمن به والمشروع الذي يتمسك ويلتزم به، هذا الوضوح الكامل يُطلق عليه البصيرة؛ أن يحمل رؤية واضحة، وفي تعابيرنا اليوم نقول الرؤية الإستراتيجية؛ ماذا يريد، وإلى أين، في مشروعه ومساره وخطواته وأهدافه؟ . . هذه هي البصيرة.

### عوامل تحقيق البصيرة

ثم استعرضنا الآيات والروايات الشريفة التي تتحدث عن أهمية البصيرة، وانتقلنا إلى الحديث عن أدوات البصيرة، إذ إن القرآن الكريم يعتبر القلب - في إشارة إلى العقل والفكر- والعين والأذن، مدخلات وأدوات لتحقيق البصيرة لدى الإنسان، ثم تحدثنا عن عدد من عوامل تحقيق البصيرة، وقلنا إن القرآن والكتب السماوية، التوراة والإنجيل والزبور، عامل لتحقيق البصيرة في الإنسان واستعرضنا عدداً من الآيات والروايات الواردة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الموضوع، كيف أن هذه الكتب السماوية تحقق البصيرة لدى الإنسان.

العامل الثاني/ الآيات الإلهية: النظرة الواعية للظواهر الكونية المحيطة بنا تساعد على تحقيق البصيرة؛ الأرض والسماء والبرق والرعد والبحار والأشجار والجمال والطبيعة والإنسان ودقائق هذا الكون، كلها تساعد على تحقيق البصيرة في الإنسان.

العامل الثالث / التسديد الإلهي : الرعاية الربانية والمدد السماوي ، لهما دور كبير في تحقيق البصيرة ، واستعرضنا عدداً من الآيات الشريفة في العام المنصرم وتوقفنا عند هذا الحد .

في هذا العام نواصل هذا البحث الشيق والمهم ، لنخرج من مجلس الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد تعرفنا على سر من أسرار الحسين ، ومفتاح من مفاتيح النصر والنجاح الحسيني ، ونسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا حسنينين حقاً ، فكرياً ومنهجياً ، وأن نكون من أهل البصائر كما كان الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

### التسديد الإلهي في تحقق البصيرة

#### قدرة التمييز

ورد في (بحار الأنوار) ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما تغفل في عين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو أرمد ، ولعلها إشارة إلى حرب الخندق حينما أصاب الرمد عين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان عليه أن يخرج لقتال عمرو بن عبد ود ، فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أخذ شيئاً من ريقه الشريف وبلل به عين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فشفيت بإذن الله من ذلك الرمد ، وينقل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لنا هذه الواقعة ؛ أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين كان يأخذ من ريقه ويضعه على عين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يدعو بهذا الدعاء : " أذهب عنه الحر والبرد" ، رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يسأل الله سبحانه وتعالى لعل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يذهب عنه الحر والبرد ، " وبصره صديقه من عدوه" ، اللهم أعطه بصيرة ، ليس شفاء بصره فقط ، بل أعطه البصيرة والقدرة على التمييز بين الصديق والعدو .

يقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : " فلم يصبني رمد بعد" ، الله (سبحانه وتعالى) استجاب لرسوله الكريم في حق علي ، " ولا حر ولا برد وإنني لأعرف صديقي من عدوي" (٣٢١) ، انظروا تأثير البصيرة ، القدرة على التشخيص ، وتمييز الناس ؛ الصالح من الطالح والصديق من العدو ، والقريب من البعيد ، وكم من صديق قريب نزعتم أنه صديق وقريب ولكنه ممن يطعن بالخلف وهو أخطر الأعداء ، وكم من أناس نتوهم أنهم أعداء ولكنهم في الواقع أصدقاء ، فنظلمهم ونبعدهم ونقصيهم ونعاديهم ونخاصمهم ، لعدم القدرة على التمييز ، وهذه فراسة المؤمن ، تشخيص وتمييز الصديق من العدو ، وتقدير الموقف

الصحيح في الاصطفاًف ، من معنا ومن ضدنا . . هل كل من ينتقطني هو ضدي ، وكل من يمدحني هو معي؟ ، هذا ليس هو المنطق ، لعل ناقداً مشفقاً يكون أقرب الناس إلينا ، ولعل متملقاً متزلفاً يسمعك الكثير من الإطراء ويطعنك من الخلف ، وهذه القدرة على التمييز هي البصيرة ، وهذا ما تحقق لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ بدعاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما في هذه الرواية .

### العبادة الواعية

ومن الأدعية المروية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في نافلة الليل ، وهي من أهم الأوقات التي يقضيها الإنسان يناجي فيها ربه في آناء الليل ، حيث تتفرغ لمناجاة ربك وتطلب منه أهم ما تريد ، وهذا إمام معصوم ، الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يعلمنا ماذا نطلب : « اللهم أعطني بصراً في دينك » ، إلهي أريد عبادة واعية ، أريد طاعة واعية ، أريد أن أفهم ديني بشكل صحيح ، لا أريد قراءة سطحية وشكلية عن الدين ، ولا أريد رؤية انغلاقية ومتشددة عن الدين ، ولا أريد رؤية انفتاحية متساهلة تضعيع الدين ، بل أريد الرؤية الوسطية الواقعية التسامحية للدين ؛ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (٣٢٢) ، الوسطية والقراءة الصحيحة للدين .

الإسلام دين السلام والمحبة والتعايش ، دين الانفتاح على الآخر ، دين التعامل مع الآخر ، وليس دين الذبح والقتل لكل من يختلف معك في رأي ، كما ترى هذه المدارس والمناهج المتشددة المتطرفة التي أصبحت تحمل لواء الإسلام والإسلام براء من سلوكها ومنهجها .

نطلب من الله البصيرة في الدين ، فديننا ليس فيه (نفذ ثم ناقش) ، وديننا فيه ملاكات الأحكام وفلسفة التشريع ، والروايات الواردة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تعج ببيان فلسفة التشريع ؛ لماذا هذا واجب ولماذا ذاك حرام ، ولماذا يرى الإسلام هذا؟ . . فيه فلسفة وحكمة قد نعرفها وقد نجهلها ، وإن عرفناها عرفنا لماذا هذا واجب وذاك حرام وهذا ممنوع وذاك راجح . . . وإن جهلناها علينا أن نتعرف عليها وأن نسأل عنها ، هذه النظرة الواعية للدين أن يعرف الإنسان لماذا يصلي ولماذا يصوم ولماذا يحج ولماذا يزكي ولماذا يجاهد في سبيل الله ، ولماذا يحضر في مجالس الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ولماذا ، ولماذا؟ . . والإجابة عن هذه الأسئلة تعطي للإنسان بصيرة في دينه ، ويعرف أن هذا

الدين ليس مجموعة تعليمات وأوامر ونواهٍ جوفاء بعيدة عن المنطق والمصلحة الحقيقية لهذا الإنسان في حياته الدنيوية والأخروية .

«اللهم أعطني بصرا في دينك وفقها في عبادتك»، إلهي ، العبادة تحتاج إلى إجراءات صحيحة ، وإلى معرفة بالأحكام ، وما أكثر من يصلي وصلاته باطلة ويتوضأ ويتطهر ووضوؤه باطل ويحج وحجه باطل ويصوم وصومه باطل ، وبعد عشرين سنة يطلع على المسائل ويعرف أنه كان يصلي بطريقة أخرى طوال عمره ، وهذا لا يعذر الإنسان ، إذ يقال لماذا لم تسأل وتتعلم وتتأكد . . نطلب من الله سبحانه وتعالى أن يكون لنا فهم فقهي للعبادة وإجراءات صحيحة والتزام صحيح بالعبادة .

«وفهما في حكمك وكفلين من رحمتك وبيض وجهي بنورك»، هناك من ترى أن وجهه نير بنور الله ، وآخر ترى أن روح الإيمان غائبة عن وجهه ، هذا من الله سبحانه ، والله يبيض الوجوه ، يبيض الله وجوهنا جميعا في الدنيا والآخرة ، " واجعل رغبتني في ما عندك " إلهي أريد أن تكون طموحاتي ورغبتني بما عندك ، ولا أريد أن أرغب في شيء يبعدي عنك ، أريد أن أرغب في ما عندك ويقربني إليك ، وهذه الحركة التكاملية ؛ أن يتحرك الإنسان في طول طاعته لله (سبحانه وتعالى) ، فيرغب بما أحل الله وهو المساحة الكبيرة ويحجم عما حرم الله وعما يغضب الله وهي المساحة الضيقة . مساحة الحلال ومساحة المباحات مساحة واسعة جداً ، لماذا تتركها ونذهب للحرام؟ ، " وتوفني في سبيلك " (٣٢٣) ، على ملتك وملة رسولك ، حينما يغادر الإنسان الحياة وهو على الطريق الصحيح ، وهو على نهج الله ورسوله ، وهو قد عمل وأطاع الله والتزم بنهج رسوله الكريم ، تكون هذه الانتقالة إلى الدار الآخرة انتقالة إلى الجنة والسعادة ، وهنيئاً لمن يحظى بذلك .

في دعاء الإمام الحسين في يوم عرفة : " إلهي إن القضاء والقدر يمنيني وإن الهوى بوثائق الشهوة أسرنني ، فكن أنت النصير لي تنصرنني وتبصرنني " (٣٢٤) ، إلهي النصر من عندك ، والبصيرة من عندك وبتسديدك ورعايتك ولطفك ومحبتك ، تنصرنني وتبصرنني ، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (٣٢٥) ، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ (٣٢٦) ، أين تبحث عن النصر؟ . . ابحث عنه عند الله ، وليس في قوتك ، فمهما كنت قويا فهي شكلية

٣٢٣ . بحار الأنوار ٨٤ : ٢٧١ ، ح ٦٨ .

٣٢٤ . بحار الأنوار ٩٥ : ٢٢٦ .

٣٢٥ . سورة آل عمران : الآية ١٢٦ .

٣٢٦ . سورة آل عمران : الآية ١٦٠ .

و كارتونية ، والله ينصر من يشاء ويخذل من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويرفع من يشاء ويضع من يشاء ، فاطلب النصر من الله ، وكم نحن بحاجة إلى هذه المفاهيم ونحن في معركة طاحنة مع الإرهاب الداعشي ، مع أعداء الله ، نحتاج إلى توجه إلى الله سبحانه وتعالى ونحتاج إلى انقطاع وإلى دمعة وإلى انكسار القلب وإلى تضرع إلى الله سبحانه وتعالى حتى ينزل علينا نصره ، فالنصر من عند الله ، والبصيرة من الله وبتسديده .

### ثلاثة فيهن خير الدنيا والآخرة

في رواية أخرى عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : " إذا أراد الله بعدد خيراً ، إذا أراد الله أن يضع العبد على السكة الصحيحة ، وإذا أراد به خيراً ، وأن يرفعه ويوفقه ، " زهده في الدنيا" ، يُخرج الدنيا من عينه ويصبح زاهداً فيها ، ولكن ماذا يعني الزهد في الدنيا؟ ، ألا يملك شيئاً؟ ، كلا ، الزهد ليس ألا تملك شيئاً ، بل الزهد ألا يملكك شيء ، وهناك من لديه سيارة قديمة الصنع ، قبل عشر سنوات ، وقلبه عليها ويخاف أن تُسرق أو تعطل ، وهناك من لديه سيارة حديثة ولكنه لا يهتم ويقول إذا حدث قدر ، فالله يريد ذلك وإنا لله .

وليس للأمر علاقة بحجم الممتلكات ، فهناك فقير ليس لديه سبل ، وهناك غني زاهد أو العكس ، فالسؤال هل أنت تملك حاجتك أو حاجتك هي التي تملكك؟ . . أن تلبس قميصاً جيداً وتخشى أن يتلوث وكل اهتمامك منصب على القميص ، فهل تملك القميص أو القميص يملكك؟ . . أن تتعلق بأمور الدنيا فتسلب عقلك ويصبح فكرك محصوراً بهذه الأشياء ، فتملكك هذه الأشياء ، فهذا خلاف الزهد . هناك من يصاب بسكتة قلبية عند سرقة بيته أو احتراقه ويقع على أثرها ، وهناك من يسمع ولا يتأثر بشيء ، وهناك فرق بين هذا وذاك ، شتان بين هذا وذاك ، وهذه قضية أساسية ، الزهد ألا يملكك شيء وليس ألا تملك ، فقد تملك ملكاً كبيراً وأنت زاهد .

" وفقهه في الدين" ، لديك رؤية صحيحة عن الدين ، وتقوم بالواجبات والمستحبات ، والمكروهات تمتنع عنها وتلتزم وتحجم . . سئل أحد مراجعنا كيف ندخل الجنة؟ ، فرفع الرسالة العملية التي فيها الأحكام الشرعية وقال هذا حرام لا تعمل به وهذا حلال التزم به وذاك مباح أعمل به وهذا مستحب حاول أن تعمله ، رسالة عملية ، هذه هي الجنة ، التزم وفقه في الدين .

" وبصره عيوبها" ، هنا الشاهد ، امنحه البصيرة ليكتشف عيوب الدنيا ، فمن يكتشف عيوب الدنيا ، هذا الإنسان ، ممن أراد الله به خيراً . البصيرة بعيوب هذه الدنيا لكي لا

تأخذك لذاتها ونزواتها إلى ما لا نهاية وإلى ما يوقعك في الحرام، "ومن أوتيهنَّ"، أي إذا أعطاه الله الثلاثة؛ الزهد في الدنيا والفقه في الدين والبصيرة بعيوب الدنيا، "فقد أوتي خير الدنيا والآخرة"<sup>(٣٢٧)</sup>، ماذا تريد أكثر من ذلك؟، احصل عليهن وستحصل على خير الدنيا والآخرة.

### الهداية إلى معرفة الله

في رواية أخرى في الصلوات المندوبة المستحبة في يوم الجمعة قبل الزوال، هذا الدعاء عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولاحظ ماذا يطلب الإنسان في يوم العيد، ويوم الجمعة يوم العيد والعطاء:

"يا من هداني إليه"، الهداية من الله، أن تتوجه بقلبك نحو الله، وإنها نعمة عظيمة أن تجلسوا اليوم في مجلس الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، في مجلس يُذكر فيه الله، في مجلس يُشجّع فيه على طاعة الله، وفي هذه اللحظة هناك الإنسان في مكان آخر حيث معصية الله، فالهداية توفيق وتسديد من الله، "ودلني حقيقة الوجود عليه"، عندما يطمئن قلبك، وينشد إلى الله سبحانه وتعالى، هذا أيضا تسديد وعطاء إلهي "وساقتني من الحيرة إلى معرفته"، إلهي وفقني لكي أراك وأرى عظمتك وكبرياءك وأتعلق وأتمسك بك، وتصبح عندي حالة العرفان والوضوح، حالة البصيرة، وبهذا تتعزز العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى.

"وبصرني رشدي برأفته"، الحمد لله الذي أعطاني البصيرة لأعرف صلاحتي وأين مصلحتي، برأفته ولطفه. . التسديد الإلهي هو الذي يمنح الإنسان البصيرة في تشخيص صلاحه، "صل على محمد وآل محمد واقبلني عبدا"، إنه أمر عظيم أن يكون الإنسان عبداً لله (سبحانه وتعالى)، ويحسن العبودية لله، أن يكون حراً أمام الناس، وعبداً بين يدي الله، هذه هي العظمة، أن تكون عبداً يحسن العبودية لله (سبحانه وتعالى)، "ولا تذرنني فرداً"، لا تتركني وحدي يا الله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً، فإذا تركتني أضل وانحرف، إلهي أريدك إلى جانبي وأريدك معي، وأريدك هادياً لي، "أنت أحب إلي مولاي"<sup>(٣٢٨)</sup>، أحب شيء إلى الإنسان يجب أن يكون الله (سبحانه وتعالى)، إذا كان عندنا شيء أحب إلى أنفسنا من الله فيجب أن نشك بأنفسنا، ويجب أن نراجع أنفسنا

٣٢٧. الكافي ٢: ١٣٠، ح ١٠.

٣٢٨. مصباح المتعبد: ٣١٢، ح ٤٢٩.

ونعيد تقيّماتنا ونصحح مواقفنا حتى يكون الله سبحانه وتعالى هو الأحب إلى نفوسنا وقلوبنا .

هكذا كان الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ كان الله ماثلاً أمامه وهو أحب شيء عنده ، وأصحاب الحسين وأهل بيت الحسين ، هذا التعلق والارتباط الذي كان لأهل البيت وللحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بالله (سبحانه وتعالى) هو الذي خلدهم ؛ فما هو التفسير الطبيعي والمنطقي لشهيد قتل قبل قرابة ألف وأربعمئة سنة واليوم يؤبن بهذا الحجم؟ . . مئات الملايين من الناس يبكون الحسين ويندبونهم ، وقيّمون المجالس ويحيون شعائر الحسين ، وهذا ليس له تفسير مادي ، فتفسير هذه العواطف والمشاعر والمحبة للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في علاقة الحسين بالله سبحانه وتعالى وتجسيد الحسين للمشروع الرسالي والإلهي ، فكان الحسين مفردة أساسية في هذا المشروع وفي هذا التصميم الرسالي .

نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا على نهج سيد الشهداء وأن يوفقنا لنكون حسينيين حقاً ، قلباً وقالباً ، منطقياً وفكرياً وسلوكياً ، نندب الحسين ونبكي عليه وننتهج نهجه عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





الليلة الثالثة ٢٧/١٠/٢٠١٤



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعاً سلام الله أبداً، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ. السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته .

### البصيرة في الثورة الحسينية

كان حديثنا في الليالي الماضية عن سمة مهمة من سمات الحسين وأهل بيته وأصحابه، وسر من أسرار النجاح والانتصار الذي حققه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي سمة البصيرة، فكان الحسين وأهل بيته وأصحابه من أهل البصائر، وقلنا إن علينا أن نقف عند هذه السمة والصفة لتتعرف عليها من منظور القرآن الكريم والروايات الواردة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فتحدثنا عن معنى البصيرة، وأهمية البصيرة، وعن أدوات البصيرة، وانتهينا إلى الحديث في هذه السنة عن العوامل التي تحقق البصيرة، وقلنا إن القرآن والكتب السماوية، التوراة والإنجيل والزبور، مصدر

أساسي من مصادر تحقيق البصيرة، والآيات الإلهية والظواهر الكونية والرؤية الواعية لهذه الظواهر والوقوف عندها تمنح الإنسان البصيرة، ثم تحدثنا عن العامل الثالث وهو التسديد الإلهي، واستعرضنا عددا من الآيات والروايات التي تشير إلى أن الرعاية الإلهية تمنح الإنسان البصيرة، فيرى الأمور بحسب واقعها.

### الإيمان.. من عوامل تحقيق البصيرة

واليوم نتحدث عن العامل الرابع من عوامل تحقيق البصيرة وهو الإيمان، وقد أشار إلى ذلك عدد من الآيات القرآنية الشريفة، منها ما ورد في سورة الحجر: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾<sup>(٣٢٩)</sup>، في إشارة إلى قوم لوط، هذه الجماعة المنحرفة التي كانت تعاني كظاهرة عامة من الانحراف الأخلاقي والعياذ بالله، وبلغ بهم الانحراف مستوى أصبحوا معه يتجاهرون به، وتخطى التجاهر إلى الاعتداء في وضح النهار على المارة والناس، وهنا يحدثنا القرآن الكريم عن ضيوف حسان من الرجال، يتمتعون بأعلى مستويات الجمال، جاؤوا إلى لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان لوط يعرف حجم المعاناة التي يعيشها مع هؤلاء القوم، وكان قد حذرهم من نزول العذاب الإلهي عليهم مرات ومرات، فأصبح في قلق شديد على ضيوفه وخشي أن يُخزى أمامهم إذا ما تعرضوا إلى اعتداء من أولئك القوم الذين يعيشون حالة الانحراف الأخلاقي، فكان في حالة من الاضطراب جعلته يتمنى ألا يزوره أحد.

وكما نعرف فإن قوم لوط كانوا في منطقة تقع ما بين المدينة والشام، فكل القوافل التي تمر بين هاتين الحاضرتين في ذلك الوقت، وكان طريقاً وشرياناً اقتصادياً كبيراً، إذا ما حظوا رحالهم في تلك المنطقة يتعرض البعض منهم إلى الاعتداء، وقيل إن نبي الله لوط حينما كان يجد البعض يكاد أن يُعتدى عليه أو أن هناك ضغوطاً تُمارس عليه، يأخذهم إلى بيته ليعدهم عن الاعتداء، وبعد فترة اكتشف قوم لوط أن لوطاً يفوت عليهم فرصاً مهمة لانحرافهم، فمنعوه من استضافة أحد في بيته حتى تبقى الساحة مفتوحة لانحرافهم، وكان لوط مغلوباً على أمره مادياً في ذلك المجتمع، وإذا بهؤلاء الضيوف الحسان في مظهرهم يأتون إليه، فكان خائفاً وقلقاً عليهم.

لم يكن لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ يعرف أنهم ملائكة السماء أرسلهم الله تعالى لتنفيذ العقوبة الإلهية بحق هؤلاء القوم، فصار الضيوف يطمئنونه ويهدئونه، والقوم شاهد بعضهم

٣٢٩. سورة الحجر: الآية ٧٤.

هؤلاء يدخلون، فذهب بعضهم يخبر بعضًا أن هناك ضيوفًا على مستوى عالٍ من الجمال دخلوا بيت لوط، فجاء عدد كبير من هؤلاء يطرقون باب لوط لينتزعوا هؤلاء الضيوف منه ويعتدوا عليهم والعياذ بالله، لاحظوا إلى أين وصلت الوقاحة؛ اعتداء وظلم بحق الناس وذنوب ومعصية وتجاوز في وضوح النهار، ولكن حينما تخطوا الحدود جاء العقاب الإلهي، والقرآن الكريم يخبرنا في آيات أخرى عن حوار دار بين لوط وهؤلاء؛ لماذا لا تتزوجون؟، وأنا مستعد أن أزوج من يتوب منكم ويعود إلى رشده من بناتي!، ولكن ابن أسرة وابن علاقات جنسية صحيحة وعلى أسس شرعية، لماذا هذا الانحراف الأخلاقي؟. . . وصل الأمر لإقناعهم بالتخلي عن الاعتداء على ضيوفه إلى حد أن يعرض على التائب منهم أن يزوجه من بناته ولم ينفع ذلك، هنا تجاوزوا كل الخطوط الحمر، وبلغت لحظة الحقيقة ولحظة العذاب الإلهي، والله يُمهّل ولا يُهمّل.

#### الاستفادة من عبر التاريخ

هناك ذنوب ومعاص وانحرافات لا تتحمل تأخير العذاب الإلهي، وقد بلغ الانحراف بهؤلاء إلى مستوى لا يتحمل التأجيل، فعجل الله لهم بالعذاب، وهنا ضيوف لوط صارحوه وقالوا لا تخف علينا فنحن ملائكة السماء لننزل العذاب بهؤلاء بأمر الله، فخذ أهلك والمؤمنين من المنطقة ولا تنظر خلفك، وقيل إن أحد الملائكة في تلك اللحظة أخذ حفنة من التراب وألقاه في وجوههم فعميت عيونهم جميعا وهربوا من ذلك المكان، ثم طلب هؤلاء الملائكة من لوط أن يخرج هو والمؤمنون معه حتى ينزل العذاب في فجر ذلك اليوم، وهذه الآيات تتحدث عن نزول هذا العذاب الإلهي: "فجعلنا عاليها سافلها"، الشيء الأول كان صيحة عظيمة، وهذه الصيحة كما تشير إلى ذلك آيات أخرى كانت إنذار العذاب، فلم يبق أحد منهم صاحبيا، فكانوا بين مغمى عليه ومقتول، ثم جاء العذاب الثاني؛ "فجعلنا عاليها سافلها"، زلزال قلب الأرض عليهم، فما كان في الأعلى أصبح في الأسفل وبالعكس، وهذه ما يحصل في الزلازل والهزات العنيفة وما شابه ذلك، وهذا ما حصل لهم.

وفي هذا درس عظيم؛ كيف أن الإنسان والجماعة والأمة إذا تجاوزت في انحرافها حدود المعقول والخطوط الحمر تعجل بالعذاب الإلهي، وفي هذا درس عظيم آخر؛ أن الانحراف لا يقف عند حد، والإنسان يرتكب في البداية معصية خفية، ثم بعد ذلك يُجاهر بها، حتى يقف أحدهم ويقول إني منذ عشرين سنة لم أصل أبدا، أو يقول إني لم أصم يوما واحدا، ويتفاخر بها وكأنه عمل شيئا حسنا! . . . يتجاهر بفعل الحرام وترك

الواجب، ثم بعد ذلك تتجاوز القضية هذه الحدود لتصل إلى حالة الاعتداء على الآخرين دون وجل أو خجل، هكذا يكون الإنسان حينما يترك مشاعره وأحاسيسه وشهوته تندفع إلى المجهول فتوصله إلى ما لا تحمد عقباه.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾<sup>(٣٣٠)</sup>، العذاب الثالث بعد الصيحة والزلال أن أمطر عليهم حجارة من سجيل، و السجيل هو الطين المتحجر، وأصبح الذي يأتي يرى كومة من الحجر والطين وليس من أثر للحياة في هذه المنطقة، وتلاشت مدينة كاملة، قلبها زلال ثم أتى المطر من الحجارة وأخفى أثرها، لتبقى عبرة لمن اعتبر، هكذا كان العذاب الإلهي الشديد.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾<sup>(٣٣١)</sup>، في هذه القصة التاريخية وما جرى على قوم لوط إشارات ودروس للمتوسمين، والمتوسمون هم المتفهمون المعتبرون، من يلتقط الإشارة، فالتوسم يعني الاعتبار، ﴿وَأَنَّهَا لَبِئْسَ بِلِمْبِئِلٍ مُّقِيمٍ﴾<sup>(٣٣٢)</sup>، كانت هذه المنطقة التي يسكن فيها قوم لوط على طريق يسير فيه الناس بين الجزيرة العربية والشام، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣٣٣)</sup>، المؤمن هو الذي تحصل عنده البصيرة فيعتبر من آيات الله، والمؤمن هو الذي حينما يرى ما جرى على الأمم السابقة يلتقط الدروس والإشارات، ويعتبر مما جرى على الماضين.

علينا أن نعتبر، والذي لا يستفيد من عبر التاريخ يكون هو عبرة من عبر التاريخ، ومشكلتنا أننا لا نقرأ التاريخ ولا نقف عند السنن الإلهية، وهذه السنن متجددة، ﴿فَلَنُحْيِيَنَّكَ حَيَاةً لَّيْسَ لَكَ فِيهَا حِسَابٌ﴾<sup>(٣٣٤)</sup>، المكان والزمان يتغيران، ولكن السنة الإلهية ثابتة، " كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء"، ففي كل مكان وزمان هناك حق وهناك باطل، وهناك صراع بين الحق والباطل.

نرفع أصواتنا ونقول؛ يا أبا عبد الله، يا ليتنا كنا معك فنفوز فوزا عظيما، فصحة الحسين ونصرة الحسين في يوم عاشوراء لا يقاس بها شيء، ولكن من لم يدرك نصرة الحسين في يوم عاشوراء فبإمكانه نصرته في كل زمان ومكان، لأن الحسين لا

٣٣٠. سورة الحجر: الآية ٧٤.

٣٣١. سورة الحجر: الآية ٧٥.

٣٣٢. سورة الحجر: الآية ٧٦.

٣٣٣. سورة الحجر: الآية ٧٧.

٣٣٤. سورة فاطر: الآية ٤٣.

يمثل شخصا وإنما يمثل نهجاً وفكراً وثقافةً وسلوكاً، فيمكننا في كل زمان أن نكون حسنيين، وأن نكون مع الحسين.

### بين المنطق الإسلامي والتشدد

في آية أخرى من سورة العنكبوت: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾<sup>(٣٣٥)</sup>، هذه الآية الشريفة تتحدث عن نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ شيخ الموحدين، هذا النبي الموحّد العظيم، النبي الذي كان يمثل أمة ويتحدث عنه القرآن الكريم على أنه أمة، إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء إلى قومه وألقى عليهم الحجة والدليل وشرح لهم التوحيد والنبوة والمعاد. . أوضح لهم معالم العقيدة والدين، وأوضح لهم الحقائق، فأسقط ما في أيديهم، ولكنهم لم يكونوا يريدون أن يلتزموا ويقبلوا بهذا الحق، فماذا كان جواب البرهان البين على العقيدة الحقّة؟، "فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه"، ليس عندهم جواب، والمنطق السلطوي المنحرف هو القوة السلبية التي تقف بوجه المنطق الحق، فكان الجواب هو القتل، أحرّقه، هذا كان الجواب وليس آمنوا به واستجيبوا ما دام الحق والدليل معه.

صارت القضية تحدياً؛ هذه العلاقة الجدلية بين القوة السلبية والمنطق، فكلما نمت هذه القوة السلبية السلطوية تضاعف المنطق، وجاء القتل والذبح. . في زماننا هناك من يمارس هذا المنهج؛ فلا تسأل عن أي شيء، فهذا ممنوع، وكل من يختلف معنا يجب قتله حتى لو كان من ديننا أو من مذهبنا أو من جماعتنا، وهذا الإرهاب الداعشي هكذا؛ فهناك من ينتمي إلى جماعتهم ومذهبهم وعقيدتهم وسلوكهم ولكنه حين يختلف علي قضية، على غيمة أو أي شيء، يقتلونه فوراً ويصبح كافراً! . . إما أن تكون عبداً ذليلاً أو تكون كافراً! .

أين هذا المنطق من منطق الإسلام، فمنطق الإسلام يقول يا رسول الله تكلم مع المشرك وقل: ﴿وَأِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٣٣٦)</sup>، أنت نبي معصوم، ولكن قل للمشرك إما أنا على ضلال وأنت على هدى أو العكس، وهل هناك احتمال أن يكون النبي المعصوم على ضلال؟، وهل هناك احتمال أن يكون المشرك والكافر على هدى؟، طبعاً ليس هناك احتمال، ولكن إذا كان النبي منذ البداية يقول له إني على حق

٣٣٥. سورة العنكبوت: الآية ٢٤.

٣٣٦. سورة سبأ: الآية ٢٤.

وأنت على باطل ، فكيف يتفاهم ويتحاور معه؟ . . حتى افتح الحوار معه وأوصل الحجة والبرهان إليه وحتى أقنعه بالحق الذي أحمل يجب أن أفتح نافذة ، واحتمل الصواب في منطقته وأن كنت في الواقع لا أراه مصيباً ، واحتمل الخطأ في نفسي حتى لو كنت أرى نفسي مصيباً ، ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ، هذا هو المنطق الإسلامي .

لاحظوا الفرق بين هذا المنطق والمنطق المتشدد الذي يدعي الإسلام والإسلام منه براء ، فمنطق التشدد منطبق فرض الرأي بالقوة ، منطق الظلام وترخيص الدم والتساهل في الأرواح البريئة وقتل النفس المحترمة ، هذا المنطق الأموي اليزيدي ؛ يا حسين إما أن تباع أو نقتلك وإن كنت ابن بنت رسول الله ، ونقتل كل من معك ونسبي نساءك ونقطع الرؤوس ، وقد خيرهم الحسين وقال لهم إذا لم ترضوا دعوني أذهب إلى أرض الله العريضة ، القضية لم تكن سياسية فقط ، بل قضية استعباد للأمة ، فيجب أن تباع وإلا تقتل .

### الإيمان أقوى من بطش الجبارين والمنحرفين

هذا كان المنطق الذي يتحدث عنه القرآن الكريم تجاه إبراهيم وأولئك الظلمة في قبالة : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ ، استنفرت السلطة إمكاناتها كلها من أجل الدفاع عن باطلهم ، فليس عندهم منطق وهم خائفون من منطق إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن توحيده ، لذلك حاولوا وضع الجدران بينه وبين الناس وحرصوهم بأن إبراهيم يستهدف الأوثان التي عبدها آباؤكم وأجدادكم ويجب أن نجعله عبرة لغيره ، وفي النصوص التاريخية أن قومه قضوا أربعين يوماً يجمعون الحطب من كل مكان حتى اجتمع ما يوازي الجبل وأضرموا النار فيه ، جبل من الحطب يحترق فماذا يحصل؟ . . في الروايات أن الطير في السماء لم يستطع أن يمر في المنطقة بسبب لهيب النار الرهيب ، وهذا ما يبرر أنهم ألقوا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في النار من خلال المنجنيق لأنهم لا يستطيعون الاقتراب من النار العظيمة التي أوقدوها .

القضية فيها استعراض ، وهذا الاستعراض أصبح تجسيداً للصراع بين الحق والباطل ، بين التوحيد والشرك ، وحينما تأخذ المعركة هذا الجانب ينتصر الله تعالى للحق . الكثير من الأنبياء من مجموع مئة وأربعة وعشرين ألف نبي قتلوا ، وكانت هذه المقاتل خطوات لإنزال العذاب الإلهي ، والحجة والبرهان والمعجزة الإلهية حتى تنكشف الأمور . . كان استنفار عام والنار ملتهبة والقوم متجمعون ، إنه تحدٍ كبير .

تذكر الروايات أنه حين أوثقوا أيدي وأرجل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لكي يرموه في النار، هنا جاءه جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وسأله؛ ألك حاجة؟، فقال إبراهيم: أما إليك فلا، فذهل جبرائيل من هذا الجواب، فالنار تستعر ولهيبها يرتفع إلى السماء، وإبراهيم قد وضع على المنجنيق مكتوفاً يُقذف به في النار، فقال له جبرائيل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي<sup>(٣٣٧)</sup>، يكفيني من السؤال أن الله يعلم بحالي، الله يعلم وإذا كانت هناك مصلحة في أن ينجينني يفعل ذلك، لاحظوا التوحيد والإيمان المطلق، وهذه حالة مهمة أن يكون الإنسان في حالة من التسليم لله تعالى، حينما يكون سائراً في طريق الطاعة لله تعالى لا تأخذه في الله لومة لائم.

الله تعالى حينما رأى إبراهيم نجح في هذا الاختبار وجسد التوحيد، جاء النداء الإلهي في آخر لحظة قبل أن يُقذف في النار الملتهبة: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(٣٣٨)</sup>، في الروايات، أن إبراهيم حينما سقط فكأنه سقط في الجنة، جنان ومكان لطيف مؤنس بأمر الله في وسط هذه النار، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣٣٩)</sup>، المؤمن يجعل الله له بصيرة فيعتبر من هذه الدروس؛ نار محرقة لا تحرق إبراهيم، وأمة بأجمعها اجتمعت على قتل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو رجل واحد وليس عنده سلاح، فلا يقدر على قتله بأمر الله، كذلك حالة الثقة بالله والشعور بالقوة للانتماء إلى مدرسة التوحيد، وإلى الله تعالى.

حينما نراجع واقعة الطف ونرى أحوال الحسين وأهل بيته وأصحابه، حينما نرى القاسم والصغار والأطفال والشيوخ، كيف كانوا يتعاملون ببسالة وكأن شيئاً لم يكن، فما تفسير ذلك؟ . . إن حالة الثقة والشعور بالقوة والعزة من قوة الله وعزته، حينما يكون الإنسان على حق، وكل هاجسهم كان على شيء واحد؛ قالوا يا أبا عبد الله، أولسنا على الحق؟، قال بلى، قالوا إذن لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا، فالموت الذي هو أخطر شيء عند الإنسان؛ لأنه يسلب الحياة، يتحول إلى مطمح يطمح إليه المؤمن؛ أن يُقتل في سبيل الله ويحظى بالشهادة.

في كل يوم من هذه الأيام، في محرم الحرام، نرف نداء من الشهداء وقفوا ودافعوا وانتصروا لعقيدتهم ووطنهم وكرامتهم وشعبهم، ولبوا نداء مرجعيتهم وقدموا الأرواح

٣٣٧. بحار الأنوار ٦٨: ١٥٦، ح ٧٠.

٣٣٨. سورة الأنبياء: الآية ٦٩.

٣٣٩. سورة العنكبوت: الآية ٢٤.

رخصة من أجل هذه المبادئ والقيم، من أجل الحسين ونهجه، من أجل أن تبقى راية الحسين خفاقة في هذه البلاد، من أجل السلام، من أجل التعايش والوئام، من أجل مواجهة أعداء الحسين، فهنئنا لهم وهنئنا لنا بثقافة الشهادة، وهنئنا لشعبنا بثقافة الشهادة، واعلموا أيها المؤمنون الحسينيون؛ ما دامت ثقافة الشهادة والتضحية والعطاء قائمة فينا، فلن يصيب هذه الأمة مكروه، هذه الأمة لا تُهزم، القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة.

هذه الثقافة ورثناها من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ومن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن هذا الخط الرسالي، خط الأنبياء والصالحين والمصلحين على طول التاريخ، وتجدون كيف أن هذه السنن تجدد نفسها في كل يوم، وترون أنه مع هذه المعاجز الواضحة؛ نار ملتهبة يرمون فيها إبراهيم، فتكون بردًا وسلامًا عليه، وما هو أكثر من هذه الحجة وهذا الدليل، ولكنهم لا يتغيرون ولا يؤمنون؛ ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(٣٤٠)</sup>، وفي هذا درس؛ فهناك من وصل إلى مستوى من الانحراف، لم يعد معه يؤمن ولو جئت به إلى الشمس في واضحة النهار، ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾<sup>(٣٤١)</sup>. . ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٣٤٢)</sup>، إن تعرض عنهم أفضل واستثمر وقتك مع من يبحث عن الحقيقة ويريد أن يعرفها.

وفي هذا الصدد هناك آيات أخرى كثيرة جاءت لتؤكد أن الإيمان رافد ومصدر حقيقي وعامل أساسي من عوامل تحقيق البصيرة، منها الآية الرابعة والأربعون من سورة العنكبوت، والآية التاسعة والسبعون من سورة النحل، والآية السادسة والثمانون من سورة النمل، والآية السابعة والثلاثون من سورة الروم، والآية الثانية والخمسون من سورة الزمر، والآية الثالثة بعد المئتين من سورة الأعراف وغيرها كثير. هنا نؤكد على دور الإيمان في تحقيق البصيرة، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل البصائر على نهج الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ. . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٣٤٠. سورة النحل: الآية ١٠٨. سورة محمد: الآية ١٦.

٣٤١. سورة التوبة: الآية ٨٠.

٣٤٢. سورة الأعراف: الآية ١٩٩.





الليلة الرابعة ٢٨/١٠/٢٠١٤



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعاً سلام الله أبداً، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ . السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته .

### البصيرة في الثورة الحسينية

في رحاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى مائدة سيد الشهداء كنا نتحدث عن سمة مهمة من سمات وصفات الحسين وأهل بيته وأصحابه، كان لها الدور الكبير في تحقيق هذا الانتصار العظيم، وهذه الصفة إذا ما تجسدت في الإنسان في كل زمان ومكان تكون عنصراً أساسياً من عناصر النصر والتقدم والثبات والإصرار لتحقيق الأهداف والغايات المشروعة والنبيلة ألا وهي سمة البصيرة، وانتهينا بالأمس إلى الحديث عن العنصر الرابع من عناصر تحقيق البصيرة، وهو الإيمان، واستعرضنا عدداً من الآيات القرآنية التي تشير إلى دور الإيمان في تحقيق البصيرة، واليوم نستعرض عدداً من الروايات في هذا الشأن .

## فراصة المؤمن

في بحار الأنوار: عن الحسن بن الجهم عن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ يسأله ما وجه إخباركم بما في قلوب الناس. . كيف تخبرهم عما في نفوسهم وقلوبهم؟، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: "أما بلغك قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: اتقوا فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"، إذن فالإيمان يؤدي إلى فراصة، وهذه الفراصة تجعل المؤمن ينظر بنور الله فيتعرف على ما لا يتعرف عليه الآخرون، وتكون له بصيرة، "قال بلى، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: فما من مؤمن إلا وله فراصة ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره"، المؤمن له هذه الفراصة وينظر بعين الله، ولكن المؤمنين لهم مراتب ودرجات، وبقدر ما يشتد الإيمان ويزداد، تشتد هذه الفراصة والبصيرة وتعمق أكثر فأكثر.

"وقد جمع الله للأئمة ما فرقه في جميع المؤمنين"، كل مؤمن له فراصة بقدر إيمانه، والفراصة التي منحها الله للمؤمنين جميعا باختلاف مراتبهم جمعها في الإمام المعصوم، فهو ينظر بنور الله وله بصيرة وفراصة عظيمة فيكشف ما في قلوب الناس ويتعرف عليه، "وقال عز وجل في كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾<sup>(٣٤٣)</sup>"، والتوسم هو الإبصار، أتوسم في فلان أن يكون كذا، وهذه فراصة وبصيرة ورؤية استشراف للمستقبل، هكذا يفسر الإمام الرضا هذه الآية الشريفة، "فأول المتوسمين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثم علي بن أبي طالب من بعده ثم الحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى يوم القيامة"<sup>(٣٤٤)</sup>، هذا دور الإيمان في تحقيق البصيرة.

في رواية أخرى في البحار: سؤال ابن الكواء أمير المؤمنين عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عن بصير بالليل بصير بالنهار في رواية طويلة يقول، من هو البصير بالليل الأعمى بالنهار وبالعكس، والوقت لا يسمح باستعراض الرواية كلها ولكن استعرض هذا المقطع: "أخبرني عن بصير بالليل بصير بالنهار"، والبصير لا يعني أنه يرى بعينه وإنما عنده عمق نظر ورؤية ثاقبة، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: "أما بصير بالليل بصير بالنهار فهو رجل آمن بالرسول والأوصياء الذين مضوا"، الإيمان بالرسالات السماوية وبالأنبياء، هذا الإيمان يسهم في تحقيق البصيرة، "وبالكتب والنبيين وآمن بالله ونيبه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأقر

٣٤٣. سورة الحجر: الآية ٧٥

٣٤٤. بحار الأنوار ٢٤: ١٢٨، ح ١٣.

لي بالولاية فأبصر في ليله ونهاره<sup>(٣٤٥)</sup>، في هذا التفسير لأمير المؤمنين يربط البصيرة والرؤية الثاقبة، بالإيمان الذي يحقق ويوجد هذه البصيرة.

### الإيمان والحكمة

في الكافي الشريف عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: " ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين صباحاً إلا زهده في الدنيا"، يكون عمله خالصاً لله لا يشوبه شرك أو شائبة . . هذا الإنسان يمنحه الله أولاً الزهد في الدنيا، "وبصّره داءها ودواءها"، يعطيه البصيرة في اكتشاف داء هذه الدنيا، فالدنيا فيها منزلقات ومنعطفات ويمكن أن تأخذ بالإنسان إلى الهاوية وعلى الإنسان أن يكتشف مكامن الخطر فيها، لأنه إذا اكتشف الخطر في شيء لا يذهب نحوه، والوقاية خير من العلاج، فإذا اكتشفنا داء هذه الدنيا ومضارها وأخطارها فسوف نتقي ونتورع عن اللوج في هذه الأخطار، " ودواءها"، أما إذا وقعت الواقعة وارتكب الخطأ ووقعنا في المعصية فما هو الدواء وكيف نعالج؟ . . الأفضل ألا يمرض الإنسان، ولكن إذا مرض فعليه أن يعرف كيف يعالج نفسه .

هذه من الأمور التي يمنحها الله تعالى لمن خلص إيمانه ويعطيه البصيرة، " وأثبت الحكمة في قلبه"، يكون حكيماً في فكره، فمواقفه وسلوكه وأداؤه تكون على أساس الحكمة، فيحقق الكثير من الإنجازات، " وأنطق بها لسانه"<sup>(٣٤٦)</sup>، الله يجري الحكمة من قلبه على لسانه فيتحدث بالحديث الحكيم وهذا كله من نتاج الإيمان بالله تعالى .

### البصيرة درجات

في رواية أخرى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: " ما أنتم والبراءة يبرأ بعضكم من بعض"، أيها المؤمنون، لماذا الخصومة، ولماذا يتكلم أحدكم بالسوء عن الآخر؟، لماذا لا تتعاضون ولا تتحابون؟، لماذا كل أمة تلعن الأخرى؟، لماذا هذه الخصومات والصراعات والشجارات؟، "إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض"، هناك مؤمن بمستوى وهناك مؤمن بمستوى أعلى وأعلى، "وبعضهم أكثر صلاة من بعض"، هناك من يكتفي بالفرائض وهناك من يقوم الليل، "وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض"، المؤمنون عندهم بصيرة، ولكن يختلفون في حجم هذه البصيرة، فهي مراتب، وهذه البصيرة

٣٤٥ . بحار الأنوار ١٠ : ٨٣ ، ح ١ .

٣٤٦ . الكافي ٢ : ١٦ ، ح ٦ .

تتسع وتتعلم بعمق إيمانه، "وهي الدرجات" (٣٤٧)، ولكن إذا كنت أفضل من غيرك وعندك التزام أكثر فلا يعني أن تسيء إلى الآخر أو تستهين به وتقلل من قيمته.

تعايشوا وتحابوا ولتحمل بعضكم بعضاً، هكذا يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، فاختلافكم في المراتب يجب ألا يؤدي إلى أن يتصاغر البعض في عيون الآخر ويتكبر البعض على الآخر، وكما نحن بحاجة إلى مثل هذه التوصيات والتعليمات الدينية النابعة من عمق الرؤية الإسلامية المحمدية الصحيحة في حل مشاكلنا وفي إزابة الجليد بين أبناء الوطن والدين الواحد، بين أبناء العقيدة الواحدة، في دائرة المؤمنين، كيف لنا أن نتعايش ونتحاب ونعمق أو أصر العلاقة بيننا؟، هذه مسؤولية كبيرة كما يشير إليها الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ.

### العامل الخامس من عوامل البصيرة.. التقوى

التقوى تحقق البصيرة عند الإنسان، فالإنسان الذي يتجنب الوقوع في المعصية والذنب والرذيلة، فإن ذلك يمنحه الحصانة ويحقق له البصيرة وبعد النظر. في سورة الأعراف: " وإما ينزغك من الشيطان نزغ"، إذا أصابتك من الشيطان وساوس، وإذا حرك فيك الشيطان النفس الأمارة بالسوء ودفعك نحو المعصية والاثم والرذيلة، وإذا حرك فيك حب الدنيا والشهوات والنزوات المنفلتة وغير المنضبطة، وإذا دفعك الشيطان نحو المال والسلطة والوجاهات غير المشروعة، وإذا شجعك الشيطان على اعتماد الوسائل غير المشروعة لتحقيق الأهداف والغايات، وحاول أن يبرر لك ويقول إن الغاية تبرر الوسيلة، بينما المنهج الإسلامي ليس منهج تبرير للوسائل حتى لو كانت الغايات شريفة ونبيلة، فالوسائل يجب أن تكون من جنس الغايات. . إذا نزغك من الشيطان نزغ. . إذا وسوس لك الشيطان، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (٣٤٨)، عليك أن تستجير بالله وتلوذ به تعالى وتسلم أمرك إليه، وأن تعود إلى ربك وتطلب النجدة من الله تعالى في أن ينقذك من هذه الوسواس.

هذا الخطاب موجه لنبي، إذن حتى الأنبياء يتعرضون إلى الوسواس الشيطانية، وعليهم أن يكونوا حذرين، وليس أحد بمأمن، وحتى النبي المعصوم ليس بمنأى عن وسواس الشيطان، وهذا لا يتنافى مع العصمة، فالنبي أيضا يلوذ بالله تعالى؛ ففي قضية

٣٤٧. الكافي ٢: ٤٥، ح ٤.

٣٤٨. سورة الأعراف: الآية ٢٠٠.

يوسف وزليخة، ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾<sup>(٣٤٩)</sup>، يعني لولا أن الله تعالى تداركه في لحظة حرجة لكان يوسف هم بالمعصية، ولكن الله تعالى قدم له البرهان ونبهه فلم يقدم على المعصية.

"إنه سميع عليم"، الله تعالى سميع وعلیم، يسمع استجارتنا واستجدانا وهو عليم بأسرارنا، وعلیم بمكائد الشيطان وطريقة نفوذه وأساليبه للنفوذ إلى أنفسنا ولتحقيق هدفه وغايته في حرفنا عن مسار الطاعة لله تعالى.

### ذكر الله والبصيرة

هذه الآية بنفس الاتجاه تقريباً؛ في سورة فصلت: ﴿وَمَا يَزُغَنَّاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٣٥٠)</sup>، وهنا الشاهد، "إن الذين اتقوا"، الكلام مع المتقين، الذين لم يندفعوا نحو المعصية، ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾<sup>(٣٥١)</sup>، المتقي عنده مناعة وحصانة، فحينما يمسه طائف من الشيطان يتذكر الله تعالى، ويتذكر النعم الإلهية التي أنعمها عليه، ويتذكر العذاب الإلهي الذي يتعرض له الإنسان إذا ما قصر في أداء الواجب ووقع في المعصية، هذا التذكر والالتفات بفضل التقوى يجعل للإنسان مناعة وحصانة ويحفظه من الوقوع في المعصية والحرام.

لاحظوا التعبير القرآني؛ ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾، من الطواف، فالوساوس الشيطانية يعبر عنها القرآن بالطائف، يعني تحيط بالإنسان؛ تحيط بفكره وتبحث عن منفذ حتى تنفذ منه وتحرفه عن مساره. . تحاصر الإنسان ولا مجال للتخلص منها والحفاظ على الثبات والاستقامة والطاعة ألا بذكر الله، فإذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا. . تذكروا الله ونعمه ونقمة وعقابه للمنحرفين. وساوس الشيطان لا تنحصر بفئة عمرية معينة، بل في كل المراحل، فقد يكون عنفوان الشباب أو الشهوة الهائجة عند الشباب تجعله بمرمى سهام الشيطان بشكل أكبر ولكن التحدي للجميع، ولا تنحصر الوسوس الشيطانية بمستوى إيماني دون آخر، فالكل يتعرض لهذه الوسوس حتى الأنبياء كما أسلفنا، وهذا يعني أن الإنسان إذا وصل في كماله فهو يتعرض إلى وساوس وكيد الشيطان، ونسأل الله أن يجيرنا جميعاً من وساوس الشيطان.

٣٤٩. سورة يوسف: الآية ٢٤.

٣٥٠. سورة فصلت: الآية ٣٦.

٣٥١. سورة الأعراف: الآية ٢٠١.

هذا يؤكد أننا يجب أن نتجنب البيئة الملوثة، فالذنب معدٍ مثل الفيروس، والبيئة الملوثة ينتشر فيها المرض بشكل سريع، واليوم في العالم هناك أمراض خطيرة، بعضها مؤخرًا في أفريقيا، وأي شخص يأتي من هذه البلدان ويدخل إلى أي بلد يجب أن يُفحص قبل أن يدخل، فقد يكون حاملًا للفيروس، وكذلك في الجانب المعنوي والروحي؛ فالبيئة الملوثة، بيئة المعصية والتحلل، بيئة رفاق السوء الذين يدفعون الإنسان إلى الرذيلة ويشجعونه على المعصية، يجب تجنبها، وكلما كان إيمان الإنسان أكبر كانت مقاومته لفيروس المعصية أكبر، والذي تكون بنيتة الإيمانية قوية يتحمل، والذي تكون بنيتة ضعيفة ينساق نحو المعصية، فلذلك يجب أن نوجد في أنفسنا المناعة من الوقوع في الحرام، ويجب أن نتجنب هذه البيئة الملوثة، ويجب تجنب الكتب المثيرة والكتب المضللة وتجنب وحذف الفضائيات غير المنضبطة التي تبث أفلامًا لا تنسجم مع قيمنا الأخلاقية، وكلما ابتعدنا عن البيئة الملوثة حافظنا على أنفسنا وديننا.

### البصيرة حصانة

إذن فالتقوى ثم المراقبة ثم ذكر الله تعالى توجد الحصانة والمناعة، والتقوى لها دور كبير في تحقيق البصيرة، إذ يكشف الإنسان حقيقة الذنب والمعصية ومآلاتها وما يتعرض له الإنسان نتيجة سلوكه طرق الانحراف والضلال، هذه البصيرة توجد للإنسان مناعة من الوقوع في الانحراف والحرام، "فإذا هم مبصرون"، التقوى تحقق هذه البصيرة.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل البصائر، وأن يوفقنا للعمل الصالح وأن يرزقنا المزيد من الثبات والإصرار والعزيمة على أن نمضي في طريق الحق وندافع عن الحق ونتمسك به، وهذا ما فعله سيد الشهداء الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام؛ "لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر" (٣٥٢)، الهدف إصلاحي، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحقيق الإنجاز الحقيقي في بناء دولة عادلة وبناء مجتمع على أساس القيم والمبادئ، وتحقيق الحرية الحقيقية لأولئك الناس، هذا هو المشروع الحسيني، ويجب أن يبقى خالدًا ورمزًا ويجب أن نسير في طريق تحقيق هذا المشروع. نسأل الله أن يجعلنا حسينيين حقًا فكريًا وقولًا وسلوكًا وأداءً، وأن يحقق العدل الإلهي بعودة إيماننا المنتظر الذي يأخذ بالثأر لإيماننا الحسين ولكل المظلومين، نسأل الله أن يحقق ذلك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الليلة الخامسة ٢٩/١٠/٢٠١٤



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعاً سلام الله أبداً، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

### البصيرة في الثورة الحسينية

السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون، إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته، تحدثنا في موضوع مهم ودرس وعبرة من دروس وعبر سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقلنا إن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ مدرسة، مدرسة في الفكر والمنهج، وإذا أردنا أن نكون حسينيين، فعلينا ألا نكتفي بإظهار الحزن والبكاء والعاطفة مهما كانت مهمة، ولكن علينا أن نقف عند مشروع الحسين، عند الصفات والسمات التي جعلت من الحسين نبأ للإنسانية جمعاء، وفي هذا السياق قلنا إن علينا أن نقف عند صفة وسمة من سمات الحسين وأهل بيته وأصحابه، ألا وهي سمة «البصيرة» .

وانتهينا إلى الحديث أمس عن التقوى كعامل خامس من عوامل البصيرة، كل ذلك  
بآيات من القرآن الكريم والروايات الواردة عن الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلِ  
بَيْتِهِ الْكِرَامِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

### آثار التقوى في تحقيق البصيرة

آية أخرى في أن (التقوى) عامل من عوامل البصيرة، هي قوله تعالى في سورة  
الأنفال، الآية التاسعة والعشرين، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾<sup>(٣٥٣)</sup>،  
هذه الآية الشريفة تشير إلى أربعة آثار من آثار التقوى، فمن يكون متقياً، من  
يتجنب الذنوب والمعاصي، من يحقق لنفسه الطهارة المعنوية، بحسب هذه الآية  
الشريفة تتحقق له أربعة آثار مهمة:

#### الأثر الأول: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾

يصل الإنسان إلى مستوى يميز فيه الحق من الباطل، فالفرقان هو ذلك الهدى والنور  
الذي يمكن الإنسان من تمييز الحق من الباطل، والإنسان المتقي، يجعل الله له فرقاناً،  
فتكون عنده قدرة على التشخيص والتمييز وتحديد الخطأ من الصواب، في تحديد  
المضر من النافع، في تحديد الجيد من السيئ والرديء، في وتمييز الصديق من العدو،  
وهذه في غاية الأهمية، الإنسان في مسيرته في الحياة، من أجل أن يحقق طموحاته،  
ومن أجل أن يصل إلى أهدافه وغاياته، تعثره وتقف في طريقه مصدات ومطبات  
وعواصف ومنزلات، وتلتبس عليه الأمور، ولا يعرف أي طريق يتخذ، هل يقدم أو  
يحجم، يتقدم أو يتأخر، يصادق أو يعادي، يحب أو يبغض، يفعل أو يهدأ ويستقر،  
يتعامل بحزم أو بلين، وهكذا في منعطفات الحياة تلتبس الأمور على الإنسان ولا يعرف  
الموقف الذي عليه أن يتخذه، والمتقي هو الذي تكون له قدرة وتكون له بصيرة ويكون  
له فرقان، فيميز ويختار الطريق الصحيح، وأنت إذا اخترت الطريق الصحيح ضمنت  
الوصول إلى الأهداف والغايات النبيلة والمشروعة.

#### القدرة على اختيار الموقف الصحيح

مشكلتنا في الحياة مشكلة قرار، فالقرار الصحيح ينتج نتائج صحيحة . . الحر بن  
يزيد الرياحي تأريخه أموي، وكان من قادة الجيش في حزب السلطة الجائرة، وحينما

٣٥٣ . سورة الأنفال: الآية ٢٩ .



جاء إلى كربلاء، جاء ليقطع الطريق على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهذا كان الهدف من العملية العسكرية التي أرسل لأجلها، ولكن الحر في لحظة أصبحت له بصيرة، أصبح قادراً على التمييز، وعلى اتخاذ القرار الصحيح بعد أن شخص الصحيح، إنه قرار صحيح نابع من تشخيص صحيح، قرار صحيح تتبعه إرادة في تطبيق القرار، اتخذ قراره وقال: "أخير نفسي بين الجنة والنار" (٣٥٤)، واختار الجنة على النار بأن يكون في صف الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وفي الجانب الآخر الشمر بن ذي الجوشن، تأريخه مليء بالمواقف والإنجازات؛ فقد قاتل مع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في (صفين)، وكان يصنف على معسكر أهل البيت في تأريخه، ولكن أين كانت النهاية؟.. اختار الموقف الخاطئ واتخذ القرار غير الصحيح. وعمر بن سعد قائد المعركة، وهو ابن سعد بن أبي وقاص، والحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في حواراته ذكره بأنه ابن سعد بن أبي وقاص؛ ألا تعرفني؟، أنا الحسين، أنا ابن بنت رسول الله، فقال أعرف أنك ابن رسول الله، فقال له إذن لماذا تقاتلني؟.. والجواب هو ملك الري، عندي مصالح وطموحات، وبالطبع لم يبدأ ببيان الحقيقة وأخفى الطموح الحقيقي؛ قال عندي بيت سيُصادر ويُهدم، فقال له الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنا أعوضك، قال عندي مزارع، فقال له أنا أعطيك، قال عندي عائلة، فقال أنا أويهم في مكان آخر بعيد عن أعين السلطة.. سد عليه الطرق وأراد أن يلقي عليه الحجة، حتى وصل إلى ملك الري، وهو قضية كبيرة في ذلك الوقت، فقال له: "يا عمر لن تهناً بعدي بدنيا ولا آخرة"، الآخرة تذهب منك والدنيا لا تحصل عليها، وأنت اختار.

تنبأ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بنبوءة وصدقت في ما بعد؛ قال: "لكأنني برأسك على قصبه قد نصبت بالكوفة يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضاً بينهم" (٣٥٥)، يُقطع رأسك ويرمى، والأطفال يأخذونه ويلعبون به، وهذا ما حصل.

إن من يستطيع أن يشخص الموقف الصحيح يكون قد أنجز نصف المهمة، فعليه أن يأخذ القرار وتكون له إرادة في حسن التطبيق وهذه بيده، وهذا التشخيص والتمييز، وهو الفرقان، يمنحه الله سبحانه وتعالى للمتقين، وقد يقول قائل ما علاقة التمييز والتشخيص بالتقوى، فهذه قضية ترتبط بتشخيصات في الحياة وفي المواقف، وتلك قضية شخصية نفسية وتزكية للروح، فما علاقة هذه بتلك؟.. لماذا يكون لدى

٣٥٤. بحار الأنوار ٤٥ : ١١ .

٣٥٥. بحار الأنوار ٤٥ : ١٠ .

الإنسان المتقي فرقان، وتكون لديه قدرة على التمييز ويكون ذا بصيرة؟ . . والجواب أن الإنسان بعقله ومدركاته قادر على إدراك الحقيقة، والله (سبحانه وتعالى) جعل في مدركات الإنسان، في عقل الإنسان وفكره، ما يمكنه من الوصول إلى الحقيقة، والله (سبحانه وتعالى) يفتح الطريق أمامه ليصل إلى الحقيقة؛ " فلله الحجة البالغة " (٣٥٦)، الله يقيم الحجة على عباده، فكيف يجازينا ويعاقبنا إذا لم يلق الحجة علينا؟، لذلك فعقل الإنسان مصمم بطريقة تجعله، إذا أزيحت العوائق، يستطيع أن يكتشف الحقيقة ويصل إليها، ولكننا بسوء اختيارنا نضع الحجب والستائر أمام هذا القلب .

أزح الستائر لترى الغرفة مضيئة بالشمس، وإذا وضعت الستائر فلن تعرف الليل من النهار، وقلوبنا كذلك؛ فإن الهرولة خلف المعاصي والذنوب والشهوات والتعلقات الدنيوية غير المشروعة . . نحو اللذات غير المنضبطة، والمال الحرام، والسلطة غير المشروعة، والوجاهات غير المشروعة، هذه الهرولة توجد دخاناً يحيط بالإنسان فيعتقد أنه يعيش في حالة جيدة وطيبة، ولكن في واقعه، فإن كل هذه التعلقات غير المشروعة الدنيوية أصبحت عائقاً يعيقه عن أن ينظر إلى الحقيقة، فلا ينظر ولا يقيم تقييماً صحيحاً، وحينما يزاح هذا الدخان وحينما ترفع هذه الستائر بطهارة القلب وتزكية النفس، وحينما يصبح الإنسان بقلب سليم، يكون قادراً على أن يرى الحقيقة، ويشخص ما يعجز عنه الآخرون، هذا الإنسان يستطيع أن يراه ويقدره، ويصبح عنده تقدير صحيح للموقف وتشخيص صحيح، لأن أدواته أدوات نظيفة، والأداة النظيفة قادرة على أن توصل، فحين يكون عندك ناظور مشوش فلن ترى به، والثاني عنده نفس الناظور ولكنه نظيف، فعندما ينظر يرى بوضوح، والمتقي نتيجة لطهارة قلبه ينظر بعين الله ونوره فيرى الحقيقة، وتصبح عنده قدرة على التشخيص، وغير المتقي لا يرى .

### النظر بعين الله

الأمر الصحيح في الإجابة عن هذا السؤال؛ لماذا يتمتع المتقي بالفرقان، وبقدرة التمييز بين الحق والباطل، إن الكمال هو ما يجنح إليه الإنسان، فهو يرغب في أن يكون عالماً، أو مالكا لثروة ووجاهة وتأثير . . دائما يرغب بالمزيد، والكمال الإنساني هو انعكاس للكمال المطلق لله سبحانه وتعالى، وعلم الإنسان ليس إلا اقتباس من علم الله العالم المطلق، فإذا كان العلم لله والكمال لله ونحن في حركتنا نجنح إلى أن نكون

تجسيدياً وانعكاساً لكمال الله وعلمه ونقته من علم الله، فكل شيء من الله، حينذاك يكون الإنسان المتقي هو الأقرب إلى الله، وكلما كان الإنسان أقرب كان أقدر على الاقتباس وتفتح بوجهه أنوار المعارف الإلهية، فينظر بنور الله، ويكتشف ويتعرف على الحقائق.

القلب كالمرآة، فهذه المرآة قد تتصدع، أو تغطي بالغبار وأشياء كثيرة فلا تعكس، ونفس المرآة، أصقلها وأبعد الغبار عنها وستصبح مرآة كاشفة معبرة، والقلب كذلك، أحياناً يتصدع فلا يرى، وإذا ما أزيحت عنه هذه التصدعات فسوف يرى بوضوح وتنكشف له الحقائق، لذلك فالتقوى تؤدي إلى الفرقان وإلى التمييز بين الحق والباطل، ولذلك نجد على طول الخط التاريخي للإنسانية الكثير من العظماء الذين تميزوا عن غيرهم بموقف صحيح في وقت صحيح، وما الذي يميز الناس بعضهم عن بعض؟ . . . تشخيص مبكر، وقرار صحيح، وخطوات جريئة لتحقيق القرار، وتراكم الإنجازات والإيجابيات.

التشخيص الخاطئ ينتج عنه قرار خاطئ يبعد الإنسان عن النجاح وتراكم السلبيات، هذه هي القضية، وما أكثر القرارات المفصلية التي أُخذت في وقت صحيح في تاريخ الإنسانية، والتي غيرت من مسارات شعوب وأمم. يقول سلمان المحمدي: "والله لو وليتموها علياً لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أرجلكم" (٣٥٧) لماذا؟ . . . لأن علياً عليه السلام قادر على أن يشخص تشخيصاً صحيحاً، وأن يتخذ قراراً صحيحاً، وأن ينفذ القرار الصحيح، فتحصل السعادة وتتراكم الإيجابيات الكبيرة.

### المطامع تطمس البصيرة

لاحظوا في سورة البقرة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣٥٨)، التقوى تعليم، "ويعلمكم الله"، تنتج بصيرة ومعرفة، وتشخيصاً صحيحاً ودقيقاً للأمر؛ في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: "أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع" (٣٥٩)، مصرع العقل تحت بريق المطامع، يطمع فيندفع فلا يحسب للأمر حسابها ولا يرى الواقع بتفاصيله، فيخفق ويتلصق ويفشل ويتراجع وينكسر.

٣٥٧. بحار الأنوار ٨٠: ٢٩، ح ١.

٣٥٨. سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

٣٥٩. نهج البلاغة ٤: ٤٩، الحكمة ٢١٩.

مصراع العقل حينما يأخذه البريق؛ بريق الدنيا، بريق الطمع، بريق الحرص، بريق الشهوة، فيصبح غير قادر على تحليل الأمور بشكل صحيح ومنطقي، الجشع، الطمع، الحرص، الاحتكار، الاستحواذ، الأنانية، كلها أمراض قاتلة، تجعل الإنسان يبتعد عن الآخرين وينعزل كدودة القز التي تشتغل ليل نهار وتعتقد أنها تعمل شيئاً مهماً، ولا تعرف أنها تحيط نفسها بهذا الخيط، حتى يكتمل فتموت، حين يغلق أي منفذ لدخول الهواء، ويستفيد الآخرون من نتاجها لكنها تموت، وهي تظن أنها تعمل شيئاً مهماً لنفسها.

هذا الأثر الأول، وهو الشاهد في هذه الآية الشريفة: "يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً"، إذا اتقيتم، فإن الله يعطيكم التمييز بين الحق والباطل ويمنحكم البصيرة.

الأثر الثاني: ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، الله يخفي سيئاتكم، ويمحو آثار هذه السيئات، إذا اتقيتم الله.

الأثر الثالث: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

لا يخفي سيئاتكم فقط، بل يغفر لكم، ويشملكم برحمته، ولا يعرضكم لعقوبته، وقد يقول قائل ما هو الفرق بين (يكفر عنكم سيئاتكم) و (يغفر لكم)؟. بعض المفسرين قال إن تكفير السيئات هو إخفاؤها في الدنيا والمغفرة في الآخرة، والبعض الآخر قال إن يكفر سيئاتكم أي يخفيها، يعني يبعد ويلغي آثارها النفسية والاجتماعية، والذنب له آثار وضعية، وحينما يذنب الإنسان يترتب عليه آثار في هذه الدنيا، ولا يتصور البعض منا أنه إذا كذب والعياذ بالله فإن الأمر سيمر، والناس ستنسى وتذهب القضية، الحقيقة أنه لا شيء يذهب، وكلها لها آثار وتبعات في الدار الدنيا قبل الآخرة وعليك أن تتحمل، والمغفرة هي العفو الإلهي والخلاص من العقوبة في الآخرة، هذا الأثر الثالث.

الأثر الرابع: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٣٦٠)</sup>

المتقي يترقب الجزاء العظيم الذي لا يُعد ولا يحصى ولا يعرفه إلا الله، لا يعرف قيمته ومقداره إلا الله سبحانه وتعالى. . إذن فالتقوى تحقق البصيرة.

## علاج داء القلوب والأبدان

لنأخذ رواية أيضا في بحار الأنوار يرويها عن نهج البلاغة الخطبة الحادية والثمانين :  
" فإن تقوى الله دواء داء قلوبكم " ، القلب يمرض ، ونحن نهتم بالأمراض البدنية ؛ نجري التحاليل ونأخذ الأدوية (الله يقيكم شر الأمراض) ، فهذه الأشياء تهمننا وتعنيننا ، ولكن الإنسان فيه جانب مادي ومعنوي ، مرض الروح كيف هو؟ . . هل نهتم به ونقف عنده ، نعالجه أم لا نعالجه؟ ، التقوى كما يذكر أمير المؤمنين "دواء داء قلوبكم" ، علاج مرض القلوب والنفوس والأرواح ، علاجها التقوى ، تطهر القلب وتنظفه ، فيصح القلب حينما يكون الإنسان متقيًا .

"وبصر عمى أفئدتكم" ، التقوى تعطيك البصيرة حتى لا تكون قلوبكم عمياء ، تقول الآية الشريفة في سورة (الحج) : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(٣٦١)</sup> ، القلب يعمى وليس البصر ، وقد ترى بعينك ، أن هذا نهار وهذا ليل ، وذاك قصير وهذا طويل ، فالعين الباصرة ترى ، ولكن عين البصيرة هي العمياء فلا ترى والعياذ بالله ، وما يزيل العمى عن القلب هو التقوى ، "شفاء مرض أجسادكم" ، حتى أمراضكم الجسدية ، تشفيها التقوى ، لماذا؟ . . للآثار الوضعية للذنوب ، والآثار الطيبة للطاعة ، صل الرحم تحصل على طول العمر ، فإن طول العمر من الآثار الوضعية للصدقة ، فادفع الصدقة يطل عمرك ، "صوموا تصحوا"<sup>(٣٦٢)</sup> أتريد صحة في البدن؟ ، عليك بطاعة الله فإن لها آثارًا وانعكاسات في البدن .

في كل الأمراض البدنية ، للجانب الروحي للمريض أثر كبير في سرعة العلاج وبطئه ؛ فهناك مريض مرضًا شديدًا لكن روحيته عالية ومقاومته للمرض قوية ، فيصمد ويتغلب على المرض ، وهناك مرض بسيط ، لكن المريض ينهار وينكسر أمام المرض ، وإذا عرفنا أن ذكر الله هو الذي يوجب الثقة والطمأنينة والقوة ؛ ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(٣٦٣)</sup> ، سنعرف سر التقوى في شفاء أمراض البدن .

"وصلاح فساد صدوركم" ، الصدر يفسد ، والعياذ بالله ، حينما يندفع نحو الشهوات والميول ولا تكون له كوابح ومصدات ، يأخذه الهوى إلى المجهول وإلى ما لا تحمد عقباه ، والتقوى هي الكابح والمصد الذي يوقف الإنسان عند حدود معينة لكيلا يندفع

٣٦١ . سورة الحج : الآية ٤٦ .

٣٦٢ . بحار الأنوار : ج ٩٣ ص ٢٥٥

٣٦٣ . سورة الرعد : الآية ٢٨ .

أكثر من ذلك، "وظهور دنس أنفسكم"، التقوى تطهر أدران وذنس القلوب؛ ﴿إِنَّ التَّقَىٰ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾<sup>(٣٦٤)</sup>، التقى يستطيع أن يسيطر على نفسه، "وجلاء غشاء أبصاركم"، البصر تصبح عليه غشاوة، وهذه الغشاوة لا تسمح له بالنظر، والتقوى تجلي هذه الغشاوة فينظر إلى الواقع كما هو، "وأمن فرع جأشكم"<sup>(٣٦٥)</sup>، التقوى توجد رباطة الجأش وقوة في القرار، وثقة بالله وبالنفس، هذه القوة تجعل الإنسان يقف بوجه الأعداء، وتجعل الإنسان قادرا على المواجهة والتحدي، وتجعل الإنسان بمستوى المسؤولية في المنعطفات الخطيرة التي يمر بها في الحياة، التقوى تعطيه رباطة الجأش، وتعطيه الأمن والاستقرار والثقة.

### شواهد من جرف النصر

تجولنا في منطقة جرف النصر، وكانت حصنا حصينا للإرهاب على طول السنوات العشر الماضية، جاءت القوات الأجنبية وخرجت وجرف الصخر موجودة ولا يتقرب إليها أحد، وآلاف من أبنائنا قتلوا في جرف الصخر، في حمايته أو في الطرق التي تمر منه، وأقولها بألم، الكثير من أعراضنا ونسائنا وبناتنا انتهكت حرماتهن على هذا الطريق أيضا، حيث أختطفن وأغتصبن، واليوم يتحدثون لنا بكثير من الاعترافات من هؤلاء المجرمين، عن الاعتداء على أعراض الناس، هذه جرف الصخر العصبية، الحصن للإرهاب، وبعد انتشار خبر أنها ستكون هدفا للمجاهدين من الحشد الشعبي ولقواتنا المسلحة الباسلة، جعلهم ذلك يتهيؤون، فليس لدينا سر في البلد والحمد لله، مع العلم أن أهم شيء هو عنصر المفاجأة والمباغته للعدو، وإذا كنت تطبل لأسبوعين وتقول للعدو سنأتي إليكم، سيستعد لك أكثر، ولكن هذا هو حال بلدنا.

اجتمعت اليوم بقيادتهم، بهؤلاء الأبطال الشجعان الشباب، كم عددهم، كيف هي خططهم، كم المدة التي استغرقت حتى يحققوا هذا النصر العظيم وحتى يطردوا (داعش) بسرعة، كانت غير متوقعة ومفاجئة لقياداتهم، فضلا عن الآخرين، الخطط كانت موضوعة لحرب أطول مما حصل بكثير، ولكن ما الذي جعل هذه القوة والبسالة والشجاعة تدفع العدو إلى أن ينهار ويفر أو يقتل بالطريقة التي رأيناها اليوم في جرف النصر؟، هذه هي الثقة بالله، وهذه هي رباطة الجأش وقوة الإيمان والعقيدة، الإيمان

٣٦٤. سورة يوسف: الآية ٥٣.

٣٦٥. نهج البلاغة ٢: ١٧٣، الخطبة ١٩٨.

الحقيقي بالدفاع عن الوطن، والإيمان الحقيقي بالتمسك بالعقيدة، والانتصار لنداء المرجعية العليا حينما دعت الشباب الأبطال إلى أن يهبوا لنصرة وطنهم ويدافعوا عن أرضهم وعرضهم وكرامتهم، هذه البسالة والقوة التي ترهب الأعداء، إنما جاءت من التقوى، من الإيمان، وحقيقة كان الإنسان يقرأ في عيون هؤلاء الشجعان الأبطال مدى عقيدتهم وإيمانهم، ومدى تمسكهم بنهجهم، ومدى استمدادهم من الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

### في ضيافة مسلم بن عقيل

هذه الليلة الشريفة منسوبة لمسلم بن عقيل، هذا الرجل العظيم العالم الرباني، والإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يرسل مسلم بن عقيل لأنه ابن عمه، ليست هناك منسوبيات ومحسوبيات في الحق، بل أرسله لمؤهلاته وخصائصه؛ كان عالما وكان حكيما وكان ذا بصيرة، وكان قادرا على اتخاذ الموقف الصحيح، ومن غير إطالة، أنقل حوارا قصيرا جرى بينه وبين عبيد الله بن زياد والي الكوفة قبل أن ينفذ بحقه حكم الإعدام ويرمى بجسده الشريف من أعلى قصر الإمارة إلى الأرض.

قال له عبيد الله بن زياد: "ايه يا ابن عقيل أتيت الناس وهم جمع"، أتيت الكوفة وأهلها متحابون ملتفون حول قيادتهم (حول عبيد الله بن زياد) وكلمتهم واحدة "فشتت بينهم"، انظروا القراءة المغلوطة المغرضة للأحداث، والتصوير السيئ واستغلال الظروف، ظروف القوة السلطوية، ومسلم بن عقيل أسير بين يديه، يريد أن يقرأ قراءة ويفرضها على التاريخ، أننا كنا موحدين وأنت شتت الجمع، وهو رسول، فالمرسل أي الحسين هو سبب الفرقة، هو الذي فرق الناس، وهو الذي خرج عن الطاعة، وهو الذي خرج عن الجماعة، فهو باغٍ، لأن الباغي من يخرج عن جماعة المسلمين فيستحق قتله.

"فشتت بينهم وفرقت كلمتهم وحملت بعضهم على بعض"، أثرت فتنة في الكوفة، فهناك أناس تقول نعم، وأناس تقول لا، أناس مع الحسين وأناس مع يزيد، وأنت أثرت الفتنة، ولكن الشجاعة (كلمة حق عند سلطان جائر)، فقال مسلم في ذلك الحال: "كلا ليس لذلك أتيت، ولكن أهل مصر (أهل الكوفة) زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر"، لم آت لأفرق، بل جئت لأعالج محنة هؤلاء الناس، أنا جئت أداوي جراح هؤلاء الناس الذي صاحوا من ظلمك وبطشك بشرائهم وصلحائهم أنت وأبوك، "لنأمر بالمعروف ونهى عن المنكر"، لنأخذ الأمة إلى حيث سعادتها وليس إلى حيث تمزيقها وتفكيكها وتفرقتها، "ونعمل

فيهم بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب<sup>(٣٦٦)</sup>، أنت الظالم وأنت من ابتعد عن حكم كتاب الله، ورحت تحكم بشهواتك وميولك. . انظروا إلى الشجاعة التي لا تكون إلا لذوي البصائر، حينما يقفون ويحددون الموقف الصحيح، فيلجمون أهل الباطل بحججهم ودفاعهم وكلامهم الحق.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل البصائر، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الليلة السادسة ٢٠١٤/١٠/٣٠



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعا سلام الله أبدا، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ. السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته .

### البصيرة في الثورة الحسينية

كان حديثنا عن سر من أسرار نجاح الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وصفة محورية من صفات الحسين وأهل بيته وأصحابه، كان لها عظيم الأثر في تحقيق هذا الإنجاز العظيم، ويمكن أن يكون لها الأثر البالغ في كل أمة وجماعة تحقق هذه السمة والصفة في وجودها، ألا وهي البصيرة، فكان الحسين وأهل بيته وأصحابه من أهل البصائر .

تحدثنا عن معنى البصيرة وأهميتها وعن أدوات البصيرة وعن العوامل التي تحقق البصيرة وتساعد على تعميق البصيرة والرؤية لدى الإنسان، وانتهينا إلى العامل السادس من هذه العوامل، وهو طاعة الله تعالى .

## العامل السادس: طاعة الله

إن طاعة الله وطلب رضوانه من عوامل تحقق البصيرة لدى الإنسان، وللتدليل على ذلك، نستعرض بعض الشواهد، منها الآية الشريفة من سورة المائدة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٣٦٧)</sup>، الله أرسل لكم نورا، وهو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وأرسل لكم الكتاب المبين، القرآن الكريم، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾، فالذي يطيع الله ويتبع رضا الله تعالى، فالله يهديه ويمنحه البصيرة والرؤية الثاقبة ويمكنه من تشخيص الاتجاه الصحيح ليتخذ القرار الصحيح، فيحصل على النجاة في الدنيا والآخرة.

الطاعة لله تجسيد ما يرضي الله جل وعلا، وتطبيق ما يحقق رضا الله يؤدي إلى الهداية، ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾، الله يهديه إلى كل الطرق الموصلة إلى رضا الله في الدنيا والآخرة والسلامة من العذاب والعقوبة الإلهية، والتشخيص الصحيح نصف العلاج، فالمشكلة في التشخيص، وما أكثر من يمرض وبجهل الأطباء تشخيصه الصحيح. طاعة الله تعالى واقتفاء رضوان الله، في قبالة الهداية الإلهية لسبل السلام، فالله يريه ويعينه في تشخيص الطريق الصحيح الذي ينقذه من العقوبة ويحقق له السعادة.

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾، الله تعالى يخرج المطيعين من الظلمات ويمنحهم البصيرة، يخرجهم من ظلمات الشرك والجهل والظلم والفرقة والنفاق والتشردم والخواء والفراغ الروحي والنفسي، وهو القاتل للأمم والشعوب، فالأمة الجوفاء الخاوية معنويا، التي تفتقد روح العزيمة والإصرار، هذه الأمة تضع وتذوب، وتتكسر على صخور التحديات التي تواجهها في الحياة، فالعنصر المعنوي هو الأساس في تحقيق الانتصارات، وهو يحتاج إلى بصيرة وهداية من الله، ويحتاج إلى النور، إلى أن ينتقل الإنسان من ظلمات الشرك والكفر والبغي وكل أخلاق ذميمة إلى نور التوحيد، نور العبودية لله، نور العلم والمعرفة، نور الوحدة والألفة، نور التعايش مع الآخر، نور الصلاح والإصلاح، النور الذي يتمثل بكل مكارم الأخلاق، فكل ذميمة أخلاقية ظلمة وكل مكرمة أخلاقية نور بطاعة الله.

فالله يمنح الإنسان البصيرة ويخرجه من ذمائم الأخلاق إلى النور، إلى مكارم الأخلاق، فيكون الإنسان إلهيا متخلقا بأخلاق الله، يكون الإنسان يسير في سبل

٣٦٧. سورة المائدة: الآية ١٥.

السلام، في الطرق الموصلة إلى السعادة في الدنيا والآخرة، والبصيرة هي التي تحقق ذلك، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣٦٨)</sup>، طاعة الله من آثارها الهداية إلى الصراط المستقيم، ذلك الصراط الذي ليس فيه انحراف في الفكر والعقيدة، وليس فيه انحراف في العمل والسلوك، وقد يمتلك الإنسان عقيدة صحيحة ولكن سلوكه منحرف، وقد تكون عقيدته منحرفة والعباد بالله، عقيدته منحرفة ويعتقد بأنه على صواب؛ ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(٣٦٩)</sup>، أخسر الناس هم أولئك الذين يسيرون في طريق الضلال والانحراف والتشدد والتطرف ويحسبون أنه هو الطريق إلى الجنة، فيقطعون رؤوس الناس حتى يدخلوا الجنة!، بعقيدة باطلة وتشدد وتطرف، ويحسبون أنهم يصنعون حسنا وأنهم يتقربون إلى الله ويحققون لأنفسهم سعادة أخروية، بهذه النظرة الظلامية والعقيدة الفاسدة، وهذا السلوك المشين.

### نتضامن مع عشائر البونمر

العراق يعاني منذ أكثر من عشرة أعوام الآثار المدمرة لهذا الفكر المنحرف والضال، ورأينا كيف هو التعامل والتعاطي من قبل هؤلاء الإرهابيين المتشددين، واليوم يبطش الإرهاب الداعشي ويفتك بأبناء شعبنا في كل بقعة، واطلعنا مؤخرا على المجزرة التي قام بها ضد أهلنا وعشائرتنا وأحبائنا من البونمر والعشائر الأخرى في الأنبار، وهذا يبرهن على أن هذه العقيدة المنحرفة لا تقف عند حد طائفة ولا تقف عند حد دين ولا تقف عند حد قومية، وكل من يختلف معهم فهو عرضة للقتل والاستهداف.

إن أعظم الأمور عند الله هو حرمة الدماء، وأزهد الأمور عند هؤلاء هو الدم وقتل النفس البريئة، فيقتلون الناس بدون تردد ويدعون أن هذا من الإسلام، وحاشا للإسلام أن يحمل مثل هذا الفكر المتطرف والعقيدة المنحرفة

إننا نعلن تضامنا مع عشائر البونمر وكل عشائر الأنبار وكل عشائر العراق الذين يقفون ببسالة وشجاعة ويدافعون عن الأرض والعرض والكرامة، يدافعون عن وطنهم وعن أنفسهم وعن ممتلكاتهم وعن حرمتهم، ومن هم داعش حتى يفتكوا وبيطشوا وسيطروا ويهيمنوا على هذه المساحات الواسعة من أرضنا؟، وفي كل شبر من هذه

٣٦٨. سورة المائدة: الآية ١٦.

٣٦٩. سورة الكهف: الآية ١٠٤.

الأرض هناك عشائر غيورة ووطنية تقاثل ببسالة إذا ما قررت ذلك ، وهذا ما نجده يوماً بعد آخر ، وإذا فقدت عصابات داعش حاضنتها فسوف تكون النهاية وشيكة وقريبة لهذه العصابة المجرمة ، وفي هذا الطريق قد نقدم شهداء ، ولكنهم شهداء طاهرون ومن موقع القوة ، شهداء من موقع المبادرة ومن موقع التصدي والدفاع عن الوطن ، هذه الأرض الطاهرة التي احتضنت الحسين لا يمكن إلا أن تتخذ قرارا اتخذه الحسين ، فكان هذا الشموخ الحسيني وهذا السمو الحسيني والرفعة الحسينية والخلود الحسيني .

لا بُدُّ لنا من أن نسير على درب الحسين وأن نقف بوجه الانحراف والإرهاب الداعشي بكل مكوناتنا وطوائفنا وقومياتنا وتوجهاتنا ، إنها القضية المركزية التي نتوحد عليها جميعاً ، وعلينا أن نستنفر كل الإمكانيات البشرية والمادية الوطنية العراقية لمواجهة الإرهاب الداعشي ، وأقولها من جديد؛ ليس من حل لمشكلة الإرهاب الداعشي في العراق إلا على يد العراقيين أنفسهم ، فما حك جلدك مثل ظفرك ، والآخرون قد يساعدون ويقدمون تسهيلات لكنهم لا يستطيعون القضاء على داعش ، فهذا قدرنا وهذه مهمتنا ومسؤوليتنا نحن العراقيين أن نواجه الإرهاب الداعشي ، وستتحقق بإذن الله تعالى وبيركة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ الانتصارات تلو الانتصارات في الأيام القليلة القادمة ، كما ستشهدون وتتابعون بمشيئة الله تعالى .

### الطاعة طريق البصيرة.. والنفاق آفة الطاعة

إذن ، فإن طاعة الله تعالى لها دور كبير في تحقيق البصيرة ، البصيرة التي تعطينا القدرة على التمييز والتشخيص الصحيح ، الآية السابعة والأربعون وما بعدها من سورة النور ، تقول إن حالة التردد والشك والغموض في مقابل البصيرة تجعل الإنسان يبتعد عن طاعة الله ، فكما أن طاعة الله تؤدي إلى البصيرة ، فإن غياب البصيرة يربك الطاعة ويبعد الإنسان عنها: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ﴾ ، هذه الآيات الشريفة تتحدث عن ظاهرة النفاق ، وهي من الأمراض المتجذرة في المجتمع الإسلامي منذ الصدر الأول في الإسلام ، لذلك كرس القرآن الكريم عشر آياته للتصدي لها ، أي أكثر من ستمئة آية في القرآن الكريم وردت في النفاق ، وهذا يعني أن هذه الظاهرة كانت مستحكمة وترتكب صفو المجتمع ، وكانت تعرض المجتمع إلى هزات عنيفة وخطيرة ، حتى استنفر القرآن عشر آياته لمعالجتها .

المنافقون على مستوى الادعاء والكلام والقول الأجوف ، ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ، بعد أن قالوا آمنا يعرض فريق

آخر عن هذا الإيمان، ﴿وَمَا أَوْلَاكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣٧٠)</sup>، وشتان بين من يدعي الشيء ومن يتسم بالشيء ويتوافر لديه الشيء، وشتان بين من يدعي الإيمان والمؤمن الحقيقي. المنافقون يدعون الإيمان ولكن في الواقع هم ليسوا مؤمنين، فماذا تعني ظاهرة النفاق هذه؟، النفاق حالة الازدواجية والتلون والوجوه المتعددة، فيظهر أمامك بشكل ووراءك بشكل آخر، والإنسان السوي غير المريض وغير المعقد، هناك تكاملية بين جسمه وروحه؛ أما مؤمن فيكون سلوكه سلوك المؤمن، وأما منحرف فيكون سلوكه سلوك المنحرفين، أما أن يكون ظاهره الإيمان وباطنه الانحراف، فهذا تلون وازدواجية يعبر عنها بالنفاق.

جاء في سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣٧١)</sup>، هذه هي الازدواجية التي يعيشها المنافق، والنفاق من أخطر الأمراض في المجتمع الإسلامي، والمنافقون أخطر الأعداء في داخل المجتمع، والسبب واضح؛ لأنهم في الواقع ليسوا أصدقاء وفي الظاهر ليسوا أعداء، لأنهم منافقون ويكونون العداة والحقد والكرهية والمكر والخديعة، في الظاهر يستغلون امتيازات المؤمنين وثقة الناس بهم، وفي الباطن يكيدون ويتحيلون ويتآمرون على الأمة وعلى المجتمع، ولكنهم محصنون من العقاب، لأن العدو معروف أنه عدو فتقاتله، أما هذا فيأتي بشكل صديق، ولكنه ليس صديقاً إنما يخفي نفسه بين الناس، وهذا خطره عظيم، فلا يمتلك الإخلاص حتى يؤمن بالله إيماناً حقيقياً، ولا يمتلك الجرأة والشجاعة حتى يعلن عن نفسه بأنه غير مؤمن، فلا هذه ولا تلك، فيخلط بين الأمرين ويتظاهر بشيء ولكنه يبطن شيئاً آخر.

### جذور النفاق

جذور النفاق تبدأ من تقاطع المصالح، فهناك مصالح وهناك مستفيدون من البيئة المنحرفة، ويأتي المشروع الإصلاحية فيقطع خيوط الفساد والانحراف، لأنه مشروع إصلاح، فيصطدم بمصالح هؤلاء الانتهازيين والمنحرفين، وفي البداية يقولون إنها سحابة صيف، والأمور بأيدينا، فيكون موقفهم موقف السخرية، هكذا يعبر القرآن الكريم، يسخرون من المشاريع الإصلاحية، ولكن بعد فترة يرون أن المشروع الإصلاحية بدأ يتسع ويتمدد في الأمة ويكسب أصدقاء وحلفاء، فيشعرون بالقلق

٣٧٠. سورة النور: الآية ٤٧.

٣٧١. سورة البقرة: الآية ٨.

ويخافون على مصالحهم فيبدؤون بحرب شعواء على مشروع الإصلاح ، حرب سياسية واقتصادية وعسكرية وإعلامية ونفسية ، تحريض وتهيج المشاعر والرأي العام بالضد من المشروع الإصلاحي ، إذ يضغطون لكسر المشروع وتعطيله وقلب النظام لكسر هيبة الدولة وما شابه ، وإما أن ينجحوا ويحققوا غرضهم ، أو يصمد المشروع الإصلاحي أمام هؤلاء ويتجذر ويقوى وتتحقق انتصارات للمشروع ، فيبدؤون بالتظاهر بالانسجام مع المشروع والتسليم له ، ولكن في واقعهم يكيّدون ويتآمرون ويمكرون ، وهذا هو النفاق .

### النفاق خطر عظيم

النفاق اشتق من النفق ، والنفق هو القناة التي تمتد داخل الأرض وتستخدم للتستر والهروب ، وتستخدم للتنقل من مكان إلى آخر دون أن يشعر الآخرون ، والمنافق يتظاهر بالإيمان والصلاح ويتعاطى على أن قلبه يحترق من أجل المشروع والوطن ويظهر نفسه على أنه وطني ولكن في واقع الأمر هو غير ذلك ، ففي النهار شيء وفي الليل شيء آخر وبسلوك آخر ، هذه هي حالة النفاق ، ولذلك هو غير مشخص وغير واضح ، " اتخذوا أيماهم جنّة " ، أقسموا أنهم مؤمنون واتخذوا هذا القسم والتظاهر بالإيمان جنّة ومصدا وسترا وقاية لأنفسهم ، حتى يقولوا إنهم من الوطنيين ، ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٣٧٢)</sup> ، عملهم في السر تعطيل المشروع وتخريبه .

في سورة المنافقون: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(٣٧٣)</sup> ، ادّعوا الإيمان ثم كفروا من الناحية الواقعية ، " قطع على قلوبهم فهم لا يفقهون " ، هذه الحالة نجدها في المنافقين ، يتسترون ويتحايلون ويتقمصون الشخصية الإيمانية والوطنية ويظهرون على أنهم حريصون ، ويتغلغلون في مواقع الدولة الحساسة ويصلون إلى المواقع الخطيرة تحت هذه الياقطة ، ويناصر بعضهم بعضاً ويشكلون مافيات في مواقع النفوذ والسلطة ، لهدم المشروع وإفساده ، بل يزايدون على الآخرين في دعوى الإيمان والوطنية ويحرجون الآخر ، فالمنافق يتهم المؤمن والوطني الحقيقي ، وكل هذه الاتهامات للآخر حتى يبرئ نفسه ويكون فوق الشبهات ، وبهذا يجد لنفسه موطناً قدم ويرسخ ويركز هذا الموقع حتى يعطل المشروع ويلغيه ويفككه ، ولذلك فهم

٣٧٢ . سورة المنافقون : الآية ٢ .

٣٧٣ . سورة المنافقون : الآية ٣ .

مكمن الخطر الأكبر، ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(٣٧٤)</sup>، هكذا ورد في القرآن، وهذا ما وجدناه في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

في مكة كان الإسلام فتياً، فسخروا منه واستهزؤوا، ولكن بعد ثلاثة عشر عاماً، انتقل الرسول إلى المدينة وأسس الدولة الإسلامية الفتية، فبدؤوا بالتحريض والتجيش ضدها، وبدؤوا يتحركون ويضغطون عليها سياسياً وعسكرياً، بالحروب والمشاكل والفتن والحرب النفسية والرأي العام ومحاولة التنكيل برسول الله لإضعاف المسلمين، حتى جاءت غزوة بدر، هذه الغزوة العظيمة التي أرسلت دعائم الإسلام، وأصبح يملك دولة قوية لا يمكن أن تهزم، وهنا جاؤوا ليدعوا الانسجام مع رسول الله ومع الإسلام، حتى تتهياً لهم بيئة التحرك في داخل المجتمع الإسلامي للنيل من المسلمين، والقرآن الكريم يتحدث عنهم بالتفصيل في آيات كثيرة. هذه الآيات التي تتعرض أيضاً إلى صفات المنافقين سنتحدث عنها في الليالي المقبلة بإذن الله تعالى.

#### أصحاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ .. وضوح الرؤية والموقف

في هذه الليلة العظيمة، ليلة السادس من محرم المنسوبة لأصحاب، ونحن نتحدث عن البصيرة عند الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه، لا بُدَّ لنا من أن نقف عند بعض الإضاءات والومضات التي تشير إلى هذه البصيرة في سلوك أصحاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فحينما يتحدث الحسين عن أصحابه يقول: "يستأنسون بالمنية دوني"<sup>(٣٧٥)</sup>، يلتذون ويفرحون بالمنية دفاعاً عن المشروع، وهذا لا يكون إلا حينما تتوافر البصيرة في أعلى حالاتها لدى الإنسان حتى يقف ويقاوم ببسالة من أجل مشروعه ومبادئه وقيمه.

ونقف عند ومضة أخرى، في موقف أحد أصحاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، هو عابس بن شبيب الشاكري، هذا الشخص الجليل قليل الادعاء كثير العمل، المنسوبة إليه هذه الكلمة الشهيرة: "حب الحسين أجني"<sup>(٣٧٦)</sup>.

حينما جاء مسلم بن عقيل وصلى خلفه ثمانية عشر ألف شخص وبايعوه، في ذروة النشوة والانتصار والحشود الكبيرة، وقف عابس أمام شيوخ الكوفة ووجهائها والجمهور الغفير الذي بايع ووجه خطابه لمسلم، قائلاً: "إني لا أخبرك عن الناس،

٣٧٤. سورة المنافقون: الآية ٤.

٣٧٥. موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٤٩٣.

٣٧٦. أدب الطف ٨: ١٧٢.

ولا أعلم ما في نفوسهم"، يعني أنه غير متأكد من هذه البيعة، لا حظوا النظرة الثاقبة، "ولا أغرك بهم"، هؤلاء يركضون وراء السلطان، أما المسألة التي فيها دماء وتضحيات وحرب فإنهم يتفرقون عنها، "ووالله"، أتكلم عن نفسي، "ووالله إني أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتكم"، أنا أول من يستجيب للقتال معكم، "ولأقاتلن معكم عدوكم ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله لا أريد بذلك إلا ما عند الله"<sup>(٣٧٧)</sup>، لا أريد منكم مالا ولا موقعا ولا سلطانا ولا أريد وزارة، إنما تجارتي مع الله تعالى.

هذه الوقفة ووقفه مبدئية، فلاحظوا البصيرة عند الإنسان إلى أين تجره؟، ولاحظوا العزة والقوة حينما تكون للإنسان ثقة بالله وثقة بالنفس ووضوح في الرؤية إلى الموقف الذي يجب عليه، وبقي عابس وفيًا لهذه الكلمة، ويوم عاشوراء وقف بين يدي سيد الشهداء وقال له: "ما أمسى على وجه الأرض قريب ولا بعيد أعز عليّ منك"، في هذه الدنيا العريضة، لا يوجد الإنسان أعز عليّ منك، وليس عندي إلا هذه الروح أفديها لك يا حسين، وليست القضية شخصية، بل قضية عقيدة ومشروع رسالي، "السلام عليك، أشهد أني على هداك وهدى أبيك"<sup>(٣٧٨)</sup>، يجدد هذه الشهادة وهذه البيعة، ويجدد هذه الثقة بمشروع الحسين والإيمان العميق، وهذه هي البصيرة.

أما موقف جون، العبد الأسود، الذي جاء ليعتاش على مائدة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكن حينما جدّ الجدّ ورأى ما جرى على الحسين وقف يوم عاشوراء مخاطبا الحسين: "أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم، إن ريحي لنتن ولوني لأسود، فتنفس عليّ بالجنة"، يا حسين، أنا عبد، هكذا يسموني، ولكن تنفس عليّ بالجنة، "ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض لوني، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم"<sup>(٣٧٩)</sup>، هذه هي البصيرة والرؤية. . نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل البصائر، ومن السائرين على نهج الحسين ومن أنصار الحسين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٣٧٧. تاريخ الطبري ٤ : ٢٦٤.

٣٧٨. بحار الأنوار ٤٥ : ٢٩.

٣٧٩. بحار الأنوار ٤٥ : ٢٢.





الليلة السابعة ٢٠١٤/١٠/٣١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعا سلام الله أبدا، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

### البصيرة في الثورة الحسينية

السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته، في هذه الليلة الحزينة المنسوبة إلى أبي الفضل العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ، نواصل بحثنا القرآني والروائي المهم في البصيرة

### التلازم بين طاعة الله والبصيرة

انتهينا إلى العامل السادس من عوامل تحقيق البصيرة، وهو الطاعة لله سبحانه وتعالى، واستعرضنا عددا من الآيات الشريفة في هذا الأمر، وكان حديثنا في الليلة الماضية عن المقطع القرآني في سورة النور، الآية الشريفة المباركة السابعة وما بعدها: ﴿وَيَقُولُونَ

أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرُّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى قَرْيَةً مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨٠﴾ ،  
 وقلنا إن هذا المقطع يشير إلى حالة عكسية؛ غياب البصيرة والشك والتردد، وكيف تؤثر  
 في الابتعاد عن طاعة الله .

في آيات سبقت رأينا أن طاعة الله تحقق البصيرة، وهنا غياب البصيرة يبعد الإنسان  
 عن الطاعة، إذ يتحدث هذا المقطع القرآني عن المنافقين وظاهرة النفاق، هذا المرض  
 العضال الذي يمثل حالة الازدواجية في الشخصية والتلون والوجه المتعددة للإنسان؛  
 فأمامك شيء وخلفك شيء آخر . يتلون ويغير وجهه، ويظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر،  
 وذكرنا أن المنافقين هم أخطر الناس في المجتمع؛ فهم في الظاهر ليسوا أعداء لأنهم  
 يتظاهرون بالتدين والإيمان، والناس لا تتعامل معهم على أنهم أعداء، وفي الواقع هم  
 ليسوا أصدقاء لأنهم يطنون المكيدة والمؤامرة والنيل من المشروع، فيستغلون امتيازات  
 المؤمنين، ويتخلصون ويتهربون من استحقاقات المعادين والخصوم، ولذلك يصبحون  
 حالة خطيرة جدا .

وتحدثنا عن جذور النفاق، وقلنا إن النفاق يعود إلى تقاطع المصالح، فهناك  
 كانتونات، وهناك مجموعات مستفيدة، وحينما يأتي المشروع الإصلاحي، عليه أن  
 يغير ويصلح، فتضرب مصالحهم، وفي البداية يستهينون بهذا المشروع الإصلاحي،  
 ويستهزئون ويسخرون منه، ولكن حينما يمضي هذا المشروع وينمو ويتسع إلى مستوى  
 يشعرهم بالقلق على مصالحهم وأنفسهم يبدؤون بالضغط والمكيدة، الضغط السياسي،  
 والعسكري، والإعلامي، وتحريض الرأي العام بالضد من مشروع الإصلاح، بإثارة  
 الرأي العام بوجه المصلحين، وإذا استطاع المشروع الإصلاحي أن يتجاوز المرحلة  
 أيضا ويتسع ويتجذر ويتعمق ويتمدد في الأمة ويكتسب أنصارا كثيرين، وإذا وجدوا  
 أنهم غير قادرين على كسره وتفكيكه، يعمدون إلى الانسجام معه والانحناء أمامه،  
 فيتظاهرون بالاهتمام بالمشروع والانسجام معه والتسليم له ولكنهم في الواقع يكيّدون .

### صفات المنافقين في النصوص القرآنية

وقلنا إن النفاق من النفق، والأنفاق هي الطرق التي تمتد تحت الأرض، والأنفاق  
 عبارة عن قنوات للتنقل والتستر بعيدا عن مرأى الآخرين، واليوم نتحدث عن بعض  
 السمات والصفات التي يذكرها القرآن الكريم للمنافقين ولكن بومضات سريعة وخاطفة .

## الصفة الأولى : المكر والخديعة

يقول الله تعالى : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٣٨١)</sup>، هم مخادعون، ولديهم تكتيكات، ويقومون بخطوات معينة، ويحسبون أنها شطارة وأن الناس لا تفهم ذلك، ويتوهمون أن الحقيقة لن تنكشف، فيتكتكون ويتلونون ويغيرون مواقفهم ويركبون الموجات، هكذا يقول عنهم القرآن الكريم، يحسنون التمثيل، وفي كل عزاء تجدهم هم أصحاب العزاء، وفي كل قضية هم محور هذا الموضوع، ويظهرون أنفسهم بحماسة واندفاع في كل قضية، ويكرسون كل إمكاناتهم ووجودهم في الخديعة، في الطريق الخاطئ، في مسار ليس فيه مصداقية وليس فيه واقعية، ونتيجتهم الفشل وانكشاف أمرهم وافتضاحه، ولذلك تشير الآية : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾، يعتقدون أنهم شطار وفجأة يكتشفون أنهم قد كشفوا على حقيقتهم .

## الصفة الثانية : الكذب

من سمات المنافقين الكذب، فالمنافق كذاب كثير الكذب، ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٣٨٢)</sup>، ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾<sup>(٣٨٣)</sup> . . . ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾<sup>(٣٨٤)</sup>، فالمنافق يعني الكذاب ولا ترى منافقا غير كذاب، لأن النفاق ازدواجية، فيبطن شيئاً ويظهر شيئاً، وهذا التناقض الكبير كيف يتستر عليه؟ . عليه أن يكذب ويرر، ويقول هذه لم أقصدها وتلك لم أقلها، ويضطر إلى أن يكذب ويكذب ليغطي على نفسه .

## الصفة الثالثة : يحملون راية الإصلاح

يظهرون أنفسهم على أنهم مصلحون ويحملون شعارات براءة يخدعون الناس من خلالها، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾<sup>(٣٨٥)</sup>، يقولون نحن أصحاب الإصلاح وحملة مشروع الإصلاح، عميت عيونهم وقلوبهم من كثرة الذنوب وفقدوا البصيرة، والإنسان الذي ليس له بصيرة لا يرى الحقيقة، بل أحياناً يرى ما ليس

٣٨١ . سورة البقرة : الآية ٩ .

٣٨٢ . سورة المنافقون : الآية ١ .

٣٨٣ . سورة التوبة : الآية ٧٤ .

٣٨٤ . سورة البقرة : الآية ١٠ .

٣٨٥ . سورة البقرة : الآية ١١ .

حقيقة على أنه الحقيقة، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٣٨٦)</sup>، هو المفسد ولا يعرف ويتصور أنه مصلح ويصدق نفسه، وأخطر شيء عندما يصل الإنسان إلى درجة من الانحراف يبدأ معها بعملية التغيير في القيم والأعراف، فما هو قيمة يصبح عملية ذميمة، وما هو ذميمة أخلاقية يصبح مكرمة أخلاقية، واليوم أصبح الفساد شطارة وحقاً وأمرًا طبيعيًا، والنزاهة تصبح سذاجة، كما في موظف بسيط لا يأخذ رشوة، فيُنظر إليه على أنه بسيط وساذج، هل يكون الفساد إنجازا وشطارة والنزاهة سذاجة وبساطة؟! .

### الصفة الرابعة: الإعجاب بالذم

الإعجاب بالذم وتسفيه الآخرين وقيمتهم، من صفات المنافق، فهو لا يرى إلا نفسه ولا يقبل ولا يعترف بالآخر، "وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس"، الناس الذين رأوا معاجز السماء وأصبحوا مؤمنين، "قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء"، يرون الناس سفهاء وهم الذين يعرفون، فيحتكر المنافق العلم والمعرفة ويسفه ويسخف الآخرين، ويرى نفسه عاقلا وذكيا ولا يعرف أن الأمر عكس ذلك؛ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣٨٧)</sup>، وهل السفاهة أكبر من أن يعيش الإنسان هذه الازدواجية الكبيرة، فيظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر؟، فإذا كنت تظهر شيئاً صحيحاً فلماذا لا تؤمن به؟، وإذا كنت تبطن شيئاً صحيحاً فلماذا لا تؤمن به؟ . . النفاق جبن وضعف وعدم جرأة في بيان الرأي المخالف، فإذا كنت تعتقد بصواب رأيك فلماذا لا تعلنه؟. القضية ليست إلا تقاطع مصالح وليست بيان رأي، هذه جذور النفاق كما أسلفت، تسفيه وتقليل قيمة الآخرين، ومرض يصاب به الإنسان .

في زماننا هناك من يسفه الشعائر الحسينية ويعيب علينا إقامة العزاء على سيد الشهداء وإحياء شعائر الحسين عَلَيْهِ السَّلَام، أو يعيب علينا أنماط وأساليب هذه الشعائر، ويقولون بعد ألف واربعمئة سنة وأنتم على حالكم، وقد وصل الإنسان إلى القمر، وأنتم لا تزالون هكذا على حالكم، عجباً!، لا علاقة لهذه بتلك، حياتنا بهذه الشعائر، وفخرنا بهذه الشعائر وبناءنا الأخلاقية والقيمية بهذه الشعائر، والمبدئية والإصرار على الثوابت تعمق فينا بهذه الشعائر، والحماسة والمشاعر الملهبة تجاه الحق إنما نحصل عليها من

٣٨٦. سورة البقرة: الآية ١٢ .

٣٨٧. سورة البقرة: الآية ١٣ .

خلال الشعائر، وهذه الحيوية وهذا العنفوان وهذا الحضور الفاعل في قضايا الأمة، إنما نحصل عليها من خلال إحيائنا لهذه الشعائر.

فيها الأبعاد الفكرية والمعرفية والأخلاقية والروحية والثقافية والاجتماعية، فالشعائر مدرسة، ومسلك ومسار ومنهاج نعتمده في حياتنا، فلا يمكن أن نقلل من قيمة الشعائر، وأصبحنا اليوم نسمع نداءات قد يكون بعضها مخلصا وعن طيبة قلب، لنعطل الشعائر هذه السنة والطعام الذي يطعم في الشعائر نرسله إلى النازحين، ولنعطل الشعائر وهذا الطعام للمجاهدين في ساحات القتال، النازحون أهلنا وأحبتنا، ومكانهم في قلوبنا ويجب أن ندعمهم، والمجاهدون شرفنا وعزنا ويجب أن نقف معهم وإلى جانبهم، ولكن من أين تأتي بالروحية لأمة تقف وتضحى وتقدم وتعطي؟، من أين نشترى هذه الروحية وكيف نبنيها وننميها؟، وهل تحصل هذه الروحية، روحية العطاء والفداء والإيثار إلا من خلال الشعائر، إذا عطلنا الشعائر، فهل سترفع الناس الطعام وتعطيه للنازحين؟.. كلا، الشعائر يجب أن تبقى ويجب أن نحافظ عليها ونعمقها ويجب أن ننفق فيها، وهي تربي لنا أمة تقف مع كل مظلوم وتدافع عن كل مظلوم وتتحدى كل ظالم.

### الصفة الخامسة: التلون

هؤلاء كالحرباء، يُسمعون كل طرف ما يناسبه وما يرضيه وما يقنعه، هذه طريقته، ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(٣٨٨)</sup>، نضحك على المؤمنين، والكلام الصحيح هو أننا معكم أيها الكفار، فنحن نتظاهر ونتلون ونسخر ونستهزئ بهؤلاء المؤمنين السذج، وهم يقبلون منا.. نريد أن نسير مصالحنا ونعيش.. ماذا نفع لهم يجب أن نتماشي معهم، هذه سمة النفاق، ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾<sup>(٣٨٩)</sup>، الله (سبحانه وتعالى) هو من يسخر منهم، وهو من يمنعهم ويحرمهم من البصيرة، فيبقون ويغوصون في فساد فكرهم وعقيدتهم ومنهجهم، وهم من يخسر وليس المؤمن.

### الصفة السادسة: الظاهر اللطيف

الظاهر المغربي، المنافق شكله مغر ومرتب ولطيف، " وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم"، والخطاب موجه لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ترى أن مظهر المنافق لطيف

٣٨٨. سورة البقرة: الآية ١٤.

٣٨٩. سورة البقرة: الآية ١٥.

وظاهر الإيمان، وعنده لحية ومسبحة وخاتم، والظواهر الإيمانية مهمة جداً للمؤمنين، والمؤمن يجب أن يكون عليه مظهر الإيمان، والنظر إليه يذكر بالله، ولكن لا يمكن من خلال الظواهر فقط أن تدلل على الإنسان بأنه مؤمن، فليس كل من لبس خاتماً وأمسك مسبحة وأطلق لحية معناها أن هذا مؤمن، المؤمن يضع هذه الأمور ولكن ليس كل من وضعها هو مؤمن، ونحتاج إلى دقة وتمييز حتى لا نستغل ونؤخذ على حين غرة، لا يمكن اختزال التدين والإيمان بالظواهر الشكلية فقط، يجب أن نرى سلوكه وعمله منسجمين مع ظاهره.

### الصفة السابعة : الحديث المنمق

حديثه منمق ومؤثر ومقنع، فالمنافق يصور الأمور بطريقة تبدو مقنعة، "وإن يقولوا"، يا رسول الله، "تسمع لقولهم"، إذا كان حديثه من اللباقة واللباقة والمنطقية الظاهرية، (ترتيب الكلمات) بطريقة تجلب نظر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فكيف بمن هو دونه؟ . . يجب الحذر، فليس كل من يتكلم كلاماً جميلاً هو على حق، يجب أن نفكك ونحذر، فما أكثر من يظهر على الشاشات ويتحدث بأحاديث ويظهر حماسة في الدفاع عن قضايا، ويكون حديثه مليئاً بالتناقضات، ويجب أن نحذر من مثل هذا الصنف من الناس.

### الصفة الثامنة : الواقع خلاف الظاهر

واقعهم خلاف ظاهرهم، فهم أجسام بلا روح، والقرآن يعبر عنهم: "كأنهم خشب مسندة"، قطع من الخشب مسندة على الجدار ومتكئة عليه، جسم بلا روح، فظاهره مغرٍ وواقعه خواء.

### الصفة التاسعة : حالة الخوف

حالة الهلع والقلق والخوف من افتضاح أمرهم، ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٣٩٠)</sup>، كل كلمة تقولها يقول لماذا تتكلم عني؟، فالمنافق لأنه يعيش هذه الازدواجية ويعيش على التضليل والخداع، فداًئماً يعيش هاجس أن يفتضح أمره ويحسب أي كلام عليه،

٣٩٠. سورة المنافقون: الآية ٤.

وقد ورد في التفاسير أن الخائن خائف<sup>(٣٩١)</sup>، فحالة الخوف والهلع من صفات المنافق . . هذه سمات المنافقين وصفاتهم، ذكرنا بعضها لطبيعة هذا المقطع القرآني الشريف .

### إسلام المنافق مشروط بالمصالح

نعود إلى الآية الشريفة من سورة النور، فبعد أن ذكرت هذه الآية أن المنافقين يقولون آمنا وأطعنا ولكنهم في الواقع ليسوا كذلك، فظاهرهم غير واقعهم، ولا يطيعون ولا يلتزمون، هنا يأتي بشاهد، فالآية القادمة تعطي شاهداً على أن المنافقين هم أهل حديث وادعاء فقط، وواقعهم ليس واقعاً إيمانياً، تقول الآية: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُخَيَّرُوا بَيْنَهُمْ إِذَا قَرَّبُوا مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾<sup>(٣٩٢)</sup>، يقال إن شأن نزول هذه الآية أن أحد المسلمين في الظاهر (منافق) اختلف مع يهودي في قضية وتنازعا، فاليهودي قال للمسلم في الظاهر، ما دمننا مختلفين فلنذهب إلى نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونترافع عنده، وما يقوله النبي فأنا أقبل به، لكن هذا المسلم بدلاً من أن يفرح بقبول اليهودي برسول الله حكماً، قال له أنا أرفض أن نذهب إلى رسول الله، ولنذهب إلى كعب ابن أشرف الذي هو من زعماء اليهود ونترافع عنده، فكان في ذلك امتعاض شديد، فنزلت هذه الآية بحق هذه الظاهرة النفاقية، إذ يترافع عند اليهودي ولا يقبل بالترافع عند رسول الله ويدّعي الإيمان .

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾<sup>(٣٩٣)</sup>، ولكن إذا كان الحق معه، والحكم يعطى له الحق ولا يأخذ منه، فإنه يركض ويهرول ويقبل، إذن هذا غير مؤمن برسول الله بل بنفسه فقط، وهذا متمسك بمصالحه ولا يتمسك بالرسالة، وهذا (يدافع عن إسلام يكون هو حجة الإسلام فيه) أما الإسلام الذي حجة الإسلام فيه شخص آخر فلا يريده، فهو لا يدافع عن الإسلام بل عن نفسه، فالبعض يندفع في مشروع إذا كان هو سيد المشروع، أما إذا كان من رفع الراية غيره فلا يندفع اتجاهه، وهذه مشكلة، فيما أن الإيمان الحقيقي في قبال النفاق هو حالة التسليم، التسليم للحجة الشرعية، والتسليم لرسول الله إن كان له أم عليه، أي كان الحكم يقبل به، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٣٩٤)</sup>، حالة التسليم المطلق أي كانت النتائج .

٣٩١ . انظر: تفسير الرازي ١٨ : ١٢٣ . الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٨ : ٣٥٧ .

٣٩٢ . سورة النور: الآية ٤٨ .

٣٩٣ . سورة النور: الآية ٤٩ .

٣٩٤ . سورة النساء: الآية ٦٥ .

يتعرض القرآن إلى ثلاثة أسباب لعدم قبولهم الاحتكام إلى رسول الله: "أفي قلوبهم مرض"، النفاق مرض عضال، والمنافق قلبه مريض فلا يقبل بالحق، والشاهد هنا في هذه الآية، "أم ارتابوا"، أم أنهم غير منافقين ولكنهم في حالة من الشك والحيرة وليس عندهم بصيرة، فلا يطيعون، لأن غياب البصيرة والشك والتردد والحيرة تدفع الإنسان إلى عدم الطاعة. والاحتمال الثالث، "أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله"، أم هم غير منافقين ولا متحيرين، بل هم مؤمنون، ولكنه مؤمن قلق يخاف أن يظلمه رسول الله ولا يعطيه حقه، وهذا الأمر فيه تناقض كبير؛ فكيف تؤمن برسول الله وأنه "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى"، تؤمن برسول الله على أنه الحجة الشرعية، ثم لا تقبل ولا تستقر ولا تطمئن للحكم الذي يصدره رسول الله، وتعتقد أنه قد يظلمك.

كيف يظلم رسول الله؟. فالظلم نابع من الجهل أو من الحاجة أو الأناية، وكلها منزه عنها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فهذا لا يكون، ﴿بَلْ أَوْلَتْكُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٣٩٥)</sup>، يا من تتهم رسول الله اعرف أنك أنت الظالم، ولو كنت تقنع بحقك وتقبل به ما كنت لتقلق، لكنك تريد أن تتمدد على حقوق الآخرين وتعرف أن رسول الله لا يعطيك إلا حقا، وهذا القلق ناتج من أنك تريد كسب المعركة ظالما أو مظلوما، محقا أو مبطلا، وهذا هو الظلم بعينه، وللحديث صلة في هذا الموضوع المهم والحساس.

### العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ .. بصيرة المؤمن ووفاء الأخ

في هذه الليلة السابعة من محرم، ليلة أبي الفضل العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذا الرجل العظيم الذي عُرف بالبصيرة الثاقبة؛ ففي رواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: "كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاء حسنا ومضى شهيدا"<sup>(٣٩٦)</sup>، هذه شهادة من الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، تصف أبا الفضل العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه نافذ البصيرة، وكذلك في زيارة أبي الفضل العباس التي يرويها ابن قولويه في كامل الزيارات، والتي جاء فيها: "أشهد أنك لم تهن ولم تنكل، وأشهد أنك مضيت على بصيرة من دينك مقتديا بالصالحين ومتبعا للنبیین"<sup>(٣٩٧)</sup>، فنشهد لأبي الفضل العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الزيارة أنه مضى على بصيرة من دينه.

وهكذا نجد البصيرة الواضحة في سلوك أبي الفضل العباس حينما وقف ودفع

٣٩٥. سورة النور: الآية ٥٠.

٣٩٦. شرح الأخبار ٢: ١٩١. عمدة الطالب: ٣٥٦.

٣٩٧. كامل الزيارات: ٤٤٢.



إخوانه إلى ساحة المعركة، إخوانه من أمه (عبد الله وعثمان وجعفر)، وأراد أن يتأكد من تضحيتهم واستشهادهم بين يدي أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قبل أن يقدم هو على الشهادة دفاعاً عن ابن بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقال لهم: "تقدموا يا بني أُمِّي حتى أراكم نصحتم لله ولرسوله"<sup>(٣٩٨)</sup>، انظروا إلى البصيرة العميقة؛ الإنسان يضحى بنفسه وإخوانه من أجل العقيدة والرسالة والمنطق والمشروع الكبير الذي حمّله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ على أكتافه.

حينما برز إلى قتال أولئك الظالمين واشتد به العطش، نزل إلى الفرات وملاً القربة ليحملها إلى أطفال الحسين ونسائه، ولما اغترف من الماء ليشرب تذكر عطش الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه فرمى الماء وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني      وبعده لا كنت أن تكوني  
هذا الحسين وارد المنون      وتشربين بارداً المعين  
تالله ما هذا فعال ديني<sup>(٣٩٩)</sup>

وكان يرتجز ويقول:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا      حتى أوارى في المصاليت لقي  
نفسي لسبط المصطفى الطهر وقا      إني أنا العباس أغدو بالسقا  
ولا أخاف الشر يوم الملتقى<sup>(٤٠٠)</sup>

، هذه كانت الكلمات التي تعبر عن بصيرة أبي الفضل العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كيف وقف وكيف ضحى وكيف جاهد وكيف تمسك بمشروع الحسين وكيف قدم روحه من أجل هذا المشروع.

نسأل الله سبحانه بحق أبي الفضل العباس أن يجعلنا ممن يسير على نهج الحسين وعلى نهج أبي الفضل العباس. والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣٩٨. الإرشاد ٢: ١٠٩.

٣٩٩. مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٧٩.

٤٠٠. بحار الأنوار ٤٥: ٤٠.



## الليلة الثامنة ١/١١/٢٠١٤



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعاً سلام الله أبداً، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ. السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته.

### البصيرة في الثورة الحسينية

كنا نتحدث عن سر من أسرار النجاح والانتصار في الثورة الحسينية، وعن مدخل من مداخل التفوق والتميز الذي حظي به الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه في هذه الثورة المعطاء، ألا وهي صفة البصيرة، وانتهينا إلى العامل السادس من العوامل التي تحقق البصيرة، وهو طاعة الله تعالى

قلنا إن الطاعة لله واتباع رضاه والعمل على مرضاته تجعل الإنسان على بصيرة من أمره، واستعرضنا عدداً من الآيات القرآنية في هذا الشأن، ونقف اليوم عند هذا المقطع من خطبة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ يقول: " فطوبى لمن له قلب سليم"، هنيئاً لمن له قلب طاهر، " أطاع من يهديه"، أطاع الله تعالى والتزم بالأوامر الإلهية، " وانتهى عن

نواهيهِ وتجنب ما يردية" ، ابتعد عن الضلالة والانحراف ولم يضر نفسه بمعصية الله تعالى ، بل أطاع الله ، فماذا تحقق له نتيجة الطاعة؟ ، " فيدخل مدخل الكرامة" ، كرامة الإنسان ورفعته الإنسان وسمو الإنسان وقدر وشأن الإنسان بطاعة الله تعالى ، والعز كل العز في الوقفة الذليلة بين يدي الله تعالى ، والذل والهوان لمن يعصي ويتمرد على أمر الله .

"فيدخل مدخل الكرامة" ، الله تعالى يمنحه الكرامة الحقيقية من خلال هذه الطاعة ، "فأصاب سبيل السلامة" ، بهذه الطاعة يصيب ويصل إلى طريق السلامة ، وكما تلونا في الآية الشريفة بالأمس : " يهدي به من اتبع رضوانه سبل السلام " (٤٠١) ، القرآن الكريم يقول وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقتبس ، "فأصاب سبيل السلامة" ، طريق الخلاص ، طريق الأمان والسلام ، فسعادة الدنيا والآخرة بطاعة الله تعالى ، " سيصير ببصره" ، هنا الشاهد ، طاعة الله تعطي للإنسان بصيرة ورؤية ثاقبة ، وتصبح عنده قدرة على تشخيص الأهداف والمسارات وتحديد الطريق الصحيح الذي عليه أن يسير فيه ، " وأطاع هادي أمره" ، حينما يحظى بالبصيرة تتعمق عنده الطاعة لله تعالى .

" دلّ أفضل الدلالة" ، إلى حيث السعادة في الدارين ، أفضل الدلالة وأفضل الطرق من خلال الطاعة لله التي تحقق البصيرة ، والبصيرة تجعل الإنسان يتمسك أكثر بالطاعة فيحقق المزيد من سبل السلام ومن فرص السعادة في الدنيا والآخرة ، " وكشف غطاء الجهالة المضلة الملهية " (٤٠٢) ، البصيرة تكشف غطاء الجهل والانحراف والضلالة والخروج عن الطريق القويم ، فالطاعة لله تعالى تحقق هذه البصيرة والبصيرة تؤمن للإنسان السعادة في الدنيا والآخرة .

### العامل السابع للبصيرة : طاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

ما نعبر عنه بالحجة الشرعية ، وطاعة رسول الله وأهل بيت رسول الله ليس بمعزل عن طاعة الله ، فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " ، أمره أمر الله ، وأهل بيت الرسول أيضا أمرهم أمر الرسول وأمر الرسول هو أمر الله ، فطاعة الرسول وطاعة أهل بيت الرسول كطاعة الله في آثارها ، وفي أنها تمنح البصيرة للإنسان ؛ " ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" ، لأن ما يقوله الرسول هو

٤٠١ . سورة المائدة : الآية ١٦

٤٠٢ . بحار الأنوار ٥٣ : ٨٠ ، ح ٨٦ .

قول الله وما ينهى عنه الرسول هو ما ينهى عنه الله تعالى ، ففي الآية الثمانين من سورة النساء: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ، طاعة الرسول هي طاعة لله تعالى ، ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ ، من أعرض وعصى الرسول ، ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ ، يا رسول الله إذا عصوك ولم يلتزموا بتوجيهاتك وتعليماتك فلا نحملك مسؤولية محاسبتهم ، فأنت غير مسؤول عن محاسبة هؤلاء لأن حسابهم عندنا

في سورة النور الآية الحادية والخمسين وما بعدها: ﴿إِنَّمَا﴾ ، أداة حصر ، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ، الواجب تجاه النبي هو السمع والطاعة ، فالاستماع لأوامره والطاعة لهذه الأوامر سمة المؤمنين ، وكل ما يقوله الرسول يجب أن يقول المؤمن إزاءه سمعا وطاعة ، كلمة واحدة ولكن ذات مدلول كبير؛ كيف أن الإنسان بين يدي رسول الله يجب أن يقول سمعنا وأطعنا ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ، الفلاح والنجاح والفوز في هذه الطاعة ، في قولهم سمعنا وأطعنا ، وهنئنا لمن يسمع من رسول الله وهنئنا لمن يطيع أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

ثم في الآية الرابعة والخمسين من هذه الآيات الشريفة: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ ، رسول الله يتحمل تبليغ الرسالة ولا يتحمل أكثر من ذلك ، ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ ، وأنتم تتحملون مسؤوليتكم في الطاعة لرسول الله ، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ ، إذا أطعتم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فإن الله يعطيكم البصيرة ، لتبصروا الطريق وتصلوا إلى الهداية ، فالطاعة لرسول الله تحقق البصيرة كما هي الطاعة لله جل وعلا ، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾<sup>(٤٠٣)</sup> ، إذن ، فطاعة الرسول هي طاعة الله تعالى .

في سورة الأحزاب: ﴿يُضِلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ ، أيها المؤمن ، إن الله تعالى يوفقك بالعمل الصالح ؛ ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾<sup>(٤٠٤)</sup> ، الله يوفق فيقوم الإنسان بالعمل الصالح الطيب ، والله تعالى يتقبل ذلك العمل الصالح ، ﴿يُضِلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٤٠٥)</sup> ، الفوز العظيم بطاعة الله ، وطاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما ذكرنا في طول طاعة الله وليست في عرضها .

٤٠٣ . سورة النور: الآية ٥٤ .

٤٠٤ . سورة هود: الآية ٨٨ .

٤٠٥ . سورة الأحزاب: الآية ٧١ .

## طاعة أهل البيت من طاعة الرسول

ثم تأتي آيات أخرى تلحق أهل البيت برسول الله، فطاعة أهل البيت كطاعة رسول الله وطاعة رسول الله كطاعة الله تعالى، ففي سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، الأئمة العدول المعصومون عليكم أن تطيعوهم كما تطيعون رسول الله، ﴿وَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٤٠٦)</sup>، الطاعة لأهل بيت الرسول كالطاعة لرسول الله، ولها نفس الأثر في منح البصيرة للإنسان.

نقرأ بعض الروايات في هذا الشأن؛ في هذا الدعاء عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بحق رسول الله يرويه صاحب البحار يقول بعد أن يذكر عددا من الأوصاف لرسول الله ويدعو له بالرفع لكل هذه الأوصاف، يقول في هذا الدعاء: "وأن تزيده بعد ذلك"، إلهي بعد كل ما طلبته لرسول الله أسألك أن تزيده "مما أنت أعلم به وأوسع له"، إلهي، أي منزلة رفيعة وأي مكانة عظيمة أنت أعلم بها، فأعطها لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، "وتريني ذلك حتى أزداد في الإيمان به بصيرة"، هنا الشاهد، الإمام الصادق يدعو الله أن يريه مقامات رسول الله حتى يشتد إيمانا به، وكلما زاد إيمانه به وطاعته له زادت بصيرته، فالطاعة لرسول الله تزيد في البصيرة.

"حتى أزداد في الإيمان به بصيرة وفي محبته ثباتا وحجة"<sup>(٤٠٧)</sup>، المحبة يجب ألا تكون محبة مشاعر فحسب، بل يجب أن تتحول هذه المحبة إلى إيمان ودليل وحجة ووعي، أي الطاعة الواعية والمعرفة الواعية العميقة برسول الله وأهل بيته.

في رواية أخرى أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ من يستحق الزكاة فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "المستضعفون من شيعة محمد وآله الذين لم تقوَ بصائرهم"، شيعة رسول الله وأهل بيته هم من يجب أن تدفع لهم الزكاة، ولكن أولئك الذين ليس لديهم بصائر قوية وإيمانهم ليس قويا "فأما من قويت بصيرته"، أهل البصائر وذوو الرؤية العميقة منهم، "وحسنت بالولاية لأوليائهم والبراءة من أعدائه معرفته"، لديهم معرفة حقيقية بالولاء لأهل البيت والعداء لأعدائهم، من عنده التزام وطاعة لأهل البيت، هؤلاء بصيرتهم عميقة، "فذلك أخوكم في الدين فلا تعطوه زكاة ولا صدقة"، إذا وصل

٤٠٦ . سورة النساء: الآية ٥٩ .

٤٠٧ . بحار الأنوار ٨٣ : ٣١٧ ، ح ٦٧ .

الإنسان إلى مستوى البصيرة نتيجة الطاعة لرسول الله ولأهل بيته ، فهو أخوكم وكالجسد منكم ، فلا تعطوه الزكاة .

" فإن موالينا وشيعتنا منا كالجسد الواحد" ، يحرم على جماعتنا الزكاة والصدقة ، "وليكن ما تعطونه إخوانكم المستبصرين البر" (٤٠٨) ، أكرمهم وأحسنوا إليهم بعنوان الإحسان والإكرام ، وليس بعنوان الزكاة والصدقة ، فكما هو معروف في فلسفة الزكاة والصدقة أنها تطهر المال ، ويعبر عنها بالروايات بوسخ المال ، والإنسان يظهر ماله بالزكاة ، والشاهد أن البصيرة تأتي من التولي والتبري والطاعة لرسول الله وأهل بيته .

### معرفة أهل البيت تحقق البصيرة

في رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في حق نفسه : " إنه لا يبلغ أحد من شيعتنا حد الاستبصار حتى يعرفني بالنورانية" ، حتى يعرف حقيقة أمير المؤمنين النورانية ، " فإذا عرفني بها كان مستبصرا" ، حينذاك يحصل على البصيرة ، فمعرفة علي ومعرفة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ حق معرفتهم تحقق البصيرة ، " كان مستبصرا بالغا كاملا قد خاض بحرا من العلم وارتقى درجة من الفضل واطلع على سر من أسرار الله ومكنون خزائنه" (٤٠٩) ، حينما يتعرف الإنسان على حقيقة أهل البيت يكون قد اكتشف سرا من أسرار الله ، فتحصل له البصيرة ، فيتمسك بهم ويطيعهم ويلتزم بأوامرهم فيزداد بصيرة ويزداد تمسكا بهم .

في رواية أخرى في البحار : عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : " علي ديان هذه الأمة" ، لفظ (ديان) صيغة مبالغة ، فهو راهب هذه الأمة ، " والشاهد عليها" ، علي يشهد على هذه الأمة ، " والمتولي لحسابها وهو صاحب السنام الأعظم" ، صاحب الدرجة الرفيعة العالية " وطريق الحق الأبهج والسبيل وصراط الله المستقيم به يهدي بعدي من الضلالة" ، يا من تريد أن تهتدي من الضلالة ، يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إن الله يهدي بعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ من الضلالة ، وهنا الشاهد ، " ويبصر به من العمى" ، بطاعة علي . . بالالتزام والطاعة لأهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يبصر من العمى ، فيحصل الإنسان على البصيرة والرؤية الثاقبة العميقة ، " به ينجو الناجون" (٤١٠) ، النجاة والهداية والبصيرة بعلي ، والسعادة بنهج رسول الله وأهل بيته ، علي والأئمة الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . في زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ : " أتيتك يا حبيب رسول الله وابن رسوله وإني لك عارف" .

٤٠٨ . بحار الأنوار ٩٣ : ٦٨ ، ح ٤٠٨ .

٤٠٩ . بحار الأنوار ٢٦ : ٧ .

٤١٠ . بحار الأنوار ٤٠ : ٩٧ ، ح ١٦٦ .

هناك مدارس تمنع الإنسان من المعرفة؛ لا تسأل، لا تتفحص، بل قل نعم، وأي كلام شرك وأي سؤال كفر، فلا تسأل، ليس لك حق أن تسأل وتستفسر وتستوضح، ولكن مدرسة الإسلام الأصيل، مدرسة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ توجب عليك السؤال والاستفسار والاستيضاح، حتى لا تبقى الشبهة في قلبك، فيجب أن تعرف وتتعمق. . . يجب أن تغور وتعي وتفكر، وقيمة الولاء لأهل البيت أن يكون هذا الولاء عن معرفة وبينة ودليل وحجة حتى متمسك به، لذلك فالولاء لأهل البيت يؤدي إلى البصيرة لأنه معرفة، " وإني لك عارف"، أنا عارف بك، " وبحقك مقر"، متمسك بالحق الذي أنت عليه، " وبفضلك مستبصر"، هنا الشاهد؛ يا حسين، بفضلك ورعايتك ومحبتك وطاعتك والالتزام بنهجك أنا مستبصر، فالبصيرة بطاعة الحسين والالتزام بنهج الحسين.

" وبضلالة من خالفك موقن"، هناك منطق آخر يقول؛ ما لنا والدخول بين هؤلاء؛ سيدنا يزيد قتل سيدنا الحسين!، القاتل سيدنا والمقتول سيدنا! . . . كيف؟ . . . هذا غير صحيح، فالحسين حق ومن يقف معه فهو على حق، ومن يقف بوجهه فهو على باطل. هذا التعويم والتبسيط غير مقبول ويجب أن نضع النقاط على الحروف، وأن نعرف أين هو الحق ونتمسك به، وأين هو الباطل ونتخذ موقفا منه، ونتجنب المواقف المهلهلة والمساحات الرمادية؟، وإذا كنت مبدئيا فابحث عن الحق وكن مع الحق وقف بوجه الباطل ودافع عن الحق بوجه الباطل، هكذا يجب أن تكون.

إن منطق سيدنا يزيد وسيدنا الحسين غير صحيح، وعندنا سيد واحد هو الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنه الحق، إذن فإن منهج الحسين منهج الموقف وليس منهج اللا موقف، أن تشخص الحق وتقف إلى جانبه، هذه ثقافة الحسين، " عارف بالهدى الذي أنت عليه"، أنا كلي معرفة أنك على هدى وصواب وعلى حق وأنتك دافعت عن الإسلام والقيم وعن المظلومين، وأنتك حملت شعار الإصلاح، وأنتك لم تطلب شيئا لنفسك ولعائلتك، " بأبي أنت وأمي ونفسي"<sup>(٤١١)</sup>، بعد أن تصبح على بصيرة من هو الحسين، وتعرف أنه الحق والمبدئية والعقيدة والصراط المستقيم الذي نسير فيه، حينذاك تقدم نفسك رخيصة من أجل القيم والمبادئ، الفداء يأتي نتيجة للبصيرة، والبصيرة نتيجة الطاعة والالتزام بنهج الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

### التمسك بهم شفاء من العمى والجهل

في رواية أخرى، أن الإمام أبا حنيفة النعمان يوجه سؤالاً للإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول له: "جعلت فداك أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾" (٤١٢)، ما هو المقصود بالنعيم، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: "النعيم نحن أهل البيت"، يعني يوم القيامة نُسأل عن أهل البيت، "نحن الذين أنقذ الناس بنا من الضلالة"، وهنا الشاهد، "وبصّروهم بنا من العمى" بأهل البيت ويطاعتهم والالتزام بنهجهم منح الله تعالى الناس البصيرة من أمرهم، فالبصيرة بطاعة أهل البيت "وعلمهم بنا من الجهل" (٤١٣)، نأخذ علمنا من أهل البيت وهم أخذوه من رسول الله، ورسول الله هو الطريق الواضح القويم الذي لا لبس فيه.

عن علي بن سويد السائي قال، كتب إلي أبو الحسن الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو في الحبس: "فإنك أمرؤ نزلك الله من آل محمد"، إنك رجل نزلك الله من آل محمد "بمنزلة خاصة"، فهنيئاً له هذه البشارة، "بما ألهمك من رشدك"، لأن الله أعطاك من الرشد والوعي والفهم العميق، "وبصّرك من أمر دينك بتفصيلهم" (٤١٤)، منحك البصيرة بتفصيلهم لما تعتقد به من أفضليتهم ورد الأمور إليهم والرضا بما قالوا، لأنك تطيع أهل البيت أصبحت لك بصيرة، وهذه البصيرة أخذتك إلى المنزلة الخاصة فأصبحت ذا منزلة رفيعة عند الله تعالى.

عن الإمام العسكري: "الفقر معنا خير من الغنى مع عدونا" (٤١٥)، البعض يعيب علينا ويقول إنكم تدفعون ضريبة لانتمائكم لأهل البيت؛ من مفخخات وقتل، فتحلوا عن هذه القضية، لا والله لن نتخلى عن أهل البيت مهما كانت الضريبة قاسية، وسنبقى متمسكين بولائنا لعلي وآل علي لأننا أصحاب العقيدة وأصحاب البصيرة، ولأننا تربينا في مدرسة علي الذي كان يقول لأتباعه وشيعته حين كان خليفة للمسلمين: "من أحبنا أهل البيت فليتخذ للفقر جلباباً، من أحبنا أهل البيت دَعَاه البلاء دَعَا" (٤١٦).

من أراد أن يكون على الطريق المستقيم ويتبنى الحق فعليه أن يوطن نفسه، أن يصقل

٤١٢ . سورة التكاثر: الآية ٨.

٤١٣ . بحار الأنوار ١٠: ٢٠٩، ح ١٠٠.

٤١٤ . بحار الأنوار ٢: ٢٠٩، ح ١٠٤.

٤١٥ . بحار الأنوار ٥: ٢٩٩، ح ٧٢.

٤١٦ . نهج البلاغة ٤: ٢٦، الحكمة ١١٢.



ويمتحن ويختبر ويجرب، وأن يكون بمستوى عال من الأداء، كل هذا البلاء الذي يتعرض له أتباع مدرسة علي، هو بناء وتربية وإعداد للمسؤوليات العظيمة الملقاة على عواتقهم تجاه الأمة.

### ملاذنا في المحن

"الفقر معنا خير من الغنى مع عدونا ونحن كهف لمن التجأ إلينا"، نحن في العراق أمام شعب منكوب، والذين بقوا في ديارهم تحت أسر الإرهاب الداعشي منكوبون أيضا، والمناطق التي أوت النازحين وتحمل أعباء كبيرة وضغوطا على بنيتها التحتية ومواردها وإمكاناتها تتحمل مشاكل كبيرة أيضا، فالشعب العراقي اليوم كله شعب منكوب، والإرهاب يسعى إلى أن يفتك ويبطش، والعدد الأكبر من أبناء شعبنا في ظروف غير اعتيادية، وعلينا أن نلوذ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته ونتوسل إلى الله تعالى أن يفرج عنا هذه الكربات، وليعلم أبناء شعبنا أن كل هذه المحن والآلام ستتحول إلى رافد حقيقي في عزتهم وكرامتهم وقوتهم، وفي نصر الله لهم، فلا يمكن للعراق وللشعب العراقي أخذ الأدوار الكبيرة في حركة التاريخ ما لم يتحمل هذا الشعب هذه الأعباء وما لم يمحص بالبلاء، لنستعد للمنازلة الكبرى وتحمل مسؤولياتنا العظمى، "ونور لمن استبصر بنا"، هذا الشاهد، من يستبصر بنا، من يحصل على البصيرة من خلالنا، فنحن نور له ونذله على الطريق، "وعصمة لمن اعتصم بنا، من أحبنا كان معنا في السنام الأعلى"، في الدرجات العالية الرفيعة، "ومن انحرف عنا فإلى النار" (٤١٧)، اللهم ارزقنا محبة محمد وآل محمد واجعلنا على نهجهم ومنوالهم وفكرهم ومدرستهم.

هذه الليلة الشريفة منسوبة للقاسم بن الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذلك الشاب اليافع الذي وقف بين يدي أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يستأذنه للذهاب إلى القتال، ولكن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يسمح له بالبراز وقال له إن أباك استشهد وبقيت أنت لأهلك، فكيف تذهب إلى المعركة؟. ولكن لاحظوا البصيرة وعمق الرؤية؛ إذ وقع على يدي ورجلي أبي عبد الله يقبلها ويرجو الحسين أن يسمح له بالبراز، وعندها سأله الحسين سؤالا، ولاحظ البصيرة العميقة في السؤال والجواب؛ يا قاسم، كيف ترى الموت؟، فيجيبه بجواب قصير؛ أراه أحلى من العسل. . شاب يافع في مقتبل حياته وأمامه طموحات وأحلام،

وأى شاب في عمر القاسم عَلَيْهِ السَّلَامُ يحلم بأشياء كثيرة، فكيف يكون الموت أحلى من العسل للقاسم بن الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، لولا تلك البصيرة العميقة التي كان يتمتع بها؟. فهنيئاً له هذه البصيرة وهذا الوضوح، وهنيئاً له هذا العطاء، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا على هذا النهج سائرين وبثورة الحسين متمسكين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الليلة التاسعة ٢/١١/٢٠١٤



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين .

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعا سلام الله أبدا، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ .

### البصيرة في الثورة الحسينية

السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته، كان حديثنا في الليالي الماضية عن سر من أسرار النجاح الحسيني، وعن مفاتيح من مفاتيح النصر في ثورة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو مفتاح للنصر في كل موقف وفي كل حركة وفي كل جماعة، ألا وهو سمة (البصيرة) في الإنسان، وتحدثنا عن العوامل التي تحقق البصيرة، وانتهينا للعامل الثامن وهو (التفكير).

#### العامل الثامن لتحقيق البصيرة: التفكير

التفكير يساعد على تحقيق البصيرة، إذ يعطي الإنسان قدرة على تشخيص الأمور وفرزها، لاحظوا هذه الآية الشريفة من سورة سبأ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا

لِلَّهِ مُتَّبِعُونَ ﴿٤١٨﴾، أفراداً وجماعات، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾<sup>(٤١٨)</sup>، هذه الآية الشريفة تشير إلى أهمية التفكير والتدبر، وأن هذا التفكير يحقق البصيرة، فيقي الإنسان من الوقوع في العذاب الأخروي. . إذا أردت أن تتخلص من العذاب فيجب أن تكون لديك بصيرة والبصيرة تتحقق من خلال التفكير.

لتقف عند مفردات هذه الآية الشريفة القصيرة، ولكن ذات المغزى والمدلول الكبير، "قل"، يا رسول الله، أخبر أمتك، أخبر الناس، "قل إنما أعظكم"، الموعظة تكون في أمور تخص مصالح الناس وليس للواعظ مصلحة فيها، "أعظكم"، ما أريد أن أخبركم به قضية تعنيكم وتصب في مصلحتكم وليس لي مصلحة فيها، بل كلها لكم؛ هذا سر من أسرار النجاح أريد أن أعطيكم إياه، "إنما أعظكم بواحدة"، أريد أن أحرص على مصالحكم في شيء واحد يمثل الجذر الأساسي لكل إصلاح، على المستوى الفردي والجماعي، وهذا الشيء الواحد تمسكوا به، فهو مفتاح لكل شيء، ألا وهو التفكير.

التفكير مدخل لكل إصلاح، ولكل خطوة صحيحة، ولكل سعادة، والأمة التي تعيش حالة الغفلة وحالة السهو، وحالة التفكك والغموض والضبابية، الأمة التي لا تفكر، تقع ضحية لمن يغزوها، فقد يغزوها عسكرياً فتختل السيادة وتنخرم، إذ يأتي العدو ويحتل الأرض، وقد تُغزى فكرياً فتفقد هويتها الفكرية، وقد تُغزى ثقافياً فتتبعثر العادات والأعراف والتقاليد الطيبة التي تجمع هذه الأمة، فهناك الغزو الثقافي والغزو الفكري والغزو العسكري والغزو الاقتصادي، إذ تُنهب ثرواتها وهي لا تعلم، وقد تُغزى عقائدياً ويضيع دينها وهي لا تعرف، كل ذلك نتيجة الغفلة وعدم التفكير، لكن الأمة الواعية، الأمة المفكرة، الأمة التي تدقق وتفكر وتمحص، الأمة التي تقف بعمق عند كل ظاهرة وعند كل قضية، هذه الأمة لا تضيع ولا تُهزم مهما كان العدو متمكناً ومسلحاً بأسلحة متطورة، فالأمة المفكرة تقف بوعيتها في وجه كل التحديات.

### التفكير مسؤولية فردية وجماعية

يا رسول الله، قل لأمتك: "إنما أعظكم بواحدة": قضية أساسية، قضية مركزية، قضية محورية، إن تمسكتم بها فلن تهزموا، ولن تكسروا، ولن تغلبوا، فيكون النصر والظفر لكم دائماً، ألا وهي التفكير، "أن تقوموا"، يعني أن تنهضوا بتحمل واجباتكم

ومسؤولياتكم، هذا يعني أن التفكير يحتاج إلى تحضيرات، يحتاج إلى استعداد، يحتاج إلى توفير الدافع الذي يدفع نحو الفكر، فمن أجل أن تفكر يجب أن يكون لديك دافع يدفعك نحو التفكير، ويشجعك على التفكير، فتحصل الإرادة ويحصل العزم على أن تفكر، ما لم نهى الأرضية المناسبة للتفكير لا نستطيع أن نفكر تفكيراً صائباً، إذ نحتاج إلى بيئة تساعد على دوران الفكر وعلى العصف الفكري، نحتاج إلى أن نفتح المجالات ونسمح بالحوار ونأخذ ونعطي وننمي القدرة على التفكير في شعوبنا وأممنا.

حتى تكون لنا أمة واعية لا بُدَّ من أن تكون الأرضية مناسبة، لا بُدَّ من أن تكون هناك ثقافة التفكير والنظرة العميقة والمعرفية للأمر، "أن تقوموا لله"، فركم يجب أن يكون فكراً إلهياً، لأنه حينما يفكر من منطلقات إلهية ومبدئية، وحينما يتعمق ويتأمل في الأمور بدوافع إلهية وقيمية، تكون عملية التفكير عملية ناجحة ومؤثرة ومنتجة، وعموماً، الإخلاص في التفكير، الإخلاص في العمل، الإخلاص في القول، الإخلاص في الفعل، الإخلاص في السلوك، الإخلاص في كل شيء يكون منتجاً؛ فما كان لله ينمو، والله يجعل الخير والبركة والتوفيق فيه. قوموا وتهيؤوا للتفكير، بدوافع إلهية، بدوافع رسالية، بمنطلقات مبدئية وقيمية، "مثنى وفرادى"، فكروا كأفراد، وكل فرد عليه أن يفكر ويتأمل ويدقق وينظر ويتفحص، تكون لديه قدرة تحليلية، "ومثنى"، بشكل جماعي، أن يفكر الاثنان معاً، والمجموع يفكرون معاً.

ماذا يعني التفكير الفردي والتفكير الجماعي؟.. التفكير الفردي أن تكون لك شخصية مستقلة، وقدرة ذاتية على التحليل والغور في الأمور واستنباط الأحداث والخروج بنتيجة، لديك قدرة على أن تحلل وتفكر وتخطط كفرد، والتفكير الجماعي ينمي فينا عدم الاحتكار وعدم الاستبداد بالرأي وإشراك الآخرين والتشاور معهم والاستفادة من خبراتهم، من منا يعلم كل شيء؟، من منا يتميز ويتألق في كل شيء؟.. لا يوجد، فكل واحد منا ينظر للأمور من زاويته وله معطيات وخبرات وتجارب، فحينما تستشير الآخر تصل إلى أفضل النتائج، ولا تستبد برأيك.

### شرائط وآليات التفكير السليم

فكروا فرادى أو مع عدد آخر من الناس، يعني فكروا بعيداً عن الضوضاء، فكروا بعيداً عن الصخب المجتمعي، فكروا بعيداً عن تأثيرات الرأي العام والأجندة التي تدخل وتفرض شيئاً عليكم وتدفعكم باتجاهات محددة، أي عليك أن تنتهج الموضوعية

والشفافية والصدقية في التفكير. . فكر بالمصلحة بما هي وليس بتأثير الأجواء التي تُصنع حتى تشوش عليك وتدفعك لاتخاذ قرار ما بعيدا عن مصالحك .

فكروا مثني وفرادي، بعيدا عن هذا الصخب، بعيدا عن الشائعة، وإثارة الرأي العام في اتجاهات عامة قد تكون على خلاف المصلحة، فلا تتأثر بذلك وأنت تفكر، بل انظر ما هي المصلحة وخذ قرارك على أساس المصلحة وليس على أساس الضغوط، بعيدا عن التصلب، بعيدا عن التعنت، بعيدا عن العزة بالرأي، لأن الإنسان حينما يطرح رأيا على عدد كبير من الناس فمن الصعب أن يتراجع ويبدو منكسرا أمام الآخرين، ومن الصعب على الكثير أن يقول أرجو المعذرة، لقد توهمت .

يقول فكروا فرادي ومثني مع عدد محدود، لكي تستطيع تصور الفكرة حسب معطيات الحوار والعصف الفكري، وإذا رأيت نفسك مخطئا، وإذا فتح لك أفق جيد من خلال الحوار، فستطور فكرتك، وإذا طرحتها على الرأي العام وتبين أن هناك خللا، فمن الصعب أن تتراجع وقد تتعلق بالفكرة وأنت تعلم أنها خاطئة. إن " مثني وفرادي " فيها كل المداليل؛ التفكير يجب أن يبدأ من الفرد وينتهي بالمستشارين والخبراء الذين يتشاور الإنسان معهم، ويجب أن يبقى في دوائر مغلقة بعيدا عن التأثير والتأثر بالرأي العام الذي يعاكسه، " ثم تفكروا"، إذا وفرت المناخ المناسب والبيئة المناسبة وتهيأت للتفكير، فعليك أن تجلس وتفكر، " ثم تفكروا"، وفي هذه الآية هناك إطلاق؛ فلا يقول ثم تفكروا في الله، أو في الآخرة أو في سعادتك، بل يقول: " ثم تفكروا"، هذا الإطلاق دليل على أن التفكير يجب أن يشمل كل مجالات الحياة، في المجال الأخروي والديني؛ ففكر في شؤوننا الحياتية، وفي شؤوننا الدينية. . نفكر في مصالحنا العامة، وفي مصالحنا الخاصة. . نفكر في الأسرة، وفي شؤون المجتمع، ففي كل شيء يجب أن نفكر، يجب أن يكون الإنسان مفكرا، لا تحركه العواطف والانفعالات، ولا يتحرك بمشاعر سرعان ما يتبين أنه مخطئ فيها، بل ينظر ويتفحص ويتعمق ويتحمل ثم يقرر ثم يُقدم، هذا منهج الإسلام ومنهج القرآن .

"ثم تفكروا"، وفرّ أجواء التفكير الصحيح ثم فكر مع نفسك ومع الآخرين، وأشركهم حتى تصل إلى أفضل النتائج، وتحصل على البصيرة والرؤية نتيجة هذا التفكير، وما أوجنا إلى الرؤية، الكثير من الإشكاليات والتخبط في مجالات الحياة التي نعيشها ناتجة من غياب الرؤية؛ ماذا نريد، ومن أين نبدأ وإلى أين ننتهي وما هي أهدافنا المرحلية وما هي أهدافنا الإستراتيجية، وكيف نحقق هذه الأهداف، وما هي خططنا، وما هي خارطة الطريق، وما هي الأسقف الزمنية المطلوبة، ومن هم الرجال

الذين نعتدهم في تحقيق هذه الأهداف؟ . . إذا فقدنا الرؤية يصبح الإنسان بلا بوصلة وتتلفه الرياح ويذهب يمينا وشمالا؛ يعمل ويعمل ولكن بلا نتيجة، لأن هذا العمل باتجاهات مختلفة، فهو غير منتج، انظروا إلى المثقب (الدريل) الذي يثقب الأشياء الصلبة حتى الصخر، إذ يكون مركزًا على نقطة محددة ثم يأتي الضغط على هذه النقطة، وحينما تضغط على نقطة مهما كانت صلبة فسيكون المثقب قادرًا على أن يحفرها ويثقبها، ولكن إذا (عمي) فلن يستطيع أن يثقب . . إذا فقد التركيز فلن يحفر ولن يثقب، والإنسان كذلك؛ يجب أن يكون لديه تركيز؛ ما هي أهدافه، ماذا يريد؟، وكيف يحقق ما يريد؟، وما هي الخطوات المطلوبة لتحقيق ما يريد؟، هذه هي البصيرة والرؤية العميقة، الرؤية الإستراتيجية لتحقيق الأهداف والغايات .

"ما بصاحبكم من جنة"، الآية تقول صاحبكم، ولا تقول رسول الله، بل صاحبكم، هذا الذي عاش معكم مدة طويلة، هذا الذي عرفتم منه الأمانة والصدق، فهو الصادق الأمين، هذا الذي عرفتم منه الدراية والحكمة، هذا صاحبكم، فكيف تتهمونه بالجنون، وهو صاحبكم الذي تعرفونه منذ سنين، وكيف لمجنون أن يلخص رسالته ويقول "إنما أعظكم بواحدة"، ويعتبر محور رسالته "ثم تفكروا"، اذهبوا وفكروا وتأملوا، فرادى أو استشيروا وناقشوا وعمقوا، وتعرفوا على مبادئ الرسالة حتى تعرفوا قيمتها، النبي الذي يختزل رسالته في التفكير وفي العلم والمعرفة والمشورة والصدقية، كيف يكون مجنونًا؟، هذا أكبر دليل على عقله وأنه لا يقبل أن يتبعه أحد إلا بالعقل والدراية .

### الإسلام رسالة إنذار

﴿إن هو إلا نذير لكم﴾، هذه الآية تختزل الرسالة الإسلامية بأنها رسالة إنذار، وفي آيات أخرى ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(٤١٩)</sup>، بشارة وإنذار، ولكن في هذه الآية تختزل الرسالة بالإنذار، لأن الإنذار يحقق دافعًا أقوى من البشارة، لأن البشارة مصلحة يحققها الإنسان، أما الإنذار فهو خطر يدفعه، ودائمًا دفع الضرر أسرع من جلب المصلحة والمنفعة، لذلك فالرسالة الإسلامية رسالة إنذار .

في سورة ص: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، الإنذار يمثل ركيزة أساسية في الرسالة الإسلامية، ثم تتوج هذه الآية الشريفة، ﴿بين يدي عذاب

٤١٩ . سورة البقرة: الآية ١١٩ . سورة سبأ: الآية ٢٨ .

شديد<sup>(٤٢٠)</sup>، بين يدي، تعني أنه قريب، فالآية القرآنية تقول بين يدي عذاب شديد، يعني أن العذاب قريب ولا تظن أن يوم القيامة بعيد جدا، فهذه بحساباتنا الدنيوية، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾<sup>(٤٢١)</sup>، يوم واحد في القيامة يعادل خمسين ألف سنة من الحياة الدنيا، والبعض منا عمره خمسون عاما، وهو يقول بالأمس القريب كان عمري خمس عشرة سنة، وقبل مدة تخرجت وإذا بها عشرون أو ثلاثون سنة، وهكذا يمر الوقت، فالعذاب الإلهي قريب.

"بين يدي عذاب شديد"، رسول الله يندركم من هذا العذاب الشديد القريب إليكم؛ يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "بعثت أنا والساعة" يوم القيامة، "كهاتين"<sup>(٤٢٢)</sup>، وضم الوسطى والسبابة، الأصابع متلاصقة، من بعثة الرسول إلى يوم القيامة وقت قصير وإن رأيناه طويلاً، لكنه في الواقع قصير، فلا تقل إن الوقت طويل وأنا شاب لأستمتع بحياتي، وهذا حرام وذاك حلال وهذا زائد وذاك ناقص. . الله كريم وعندما أكون بعمر السبعين سأتوب، كلا، "بين يدي عذاب شديد"، برمشة عين، ومن قال لك إنك ستبلغ الستين سنة؟، فلا أحد يعلم متى يموت وكيف يموت وفي أي مكان يموت، فكن مستقيماً، وسر على طريق الطاعة لله (سبحانه وتعالى) لكي لا تندم في وقت من الأوقات.

هذه الآية الشريفة دليل قاطع على بطلان ما يدعيه البعض من أن الدين أفيون الشعوب، وأن الدين يخدر الشعوب كما يقولون ويستغل بساطة الناس ومشاعرها، أو الدين رجعية، ويتقاطع مع العصرية والتطور والتكنولوجيا، فالإسلام يقول: "أعظكم بواحدة" . . . "ثم تفكروا"، فجوهر رسالة الإسلام هو التفكير؛ استعمل عقلك وتأمل ودقق وتعمق في الأمور، فهل من يدعو إلى التعمق يخدر الناس ويجهلهم ويستغل بساطتهم؟ . . يقول للإنسان فكر، ولا تفكر لوحده، بل شارك الآخرين المختصين، ولا تفكر في أجواء السخط خشية أن تتأثر، فإذهب إلى الأماكن الهادئة المغلقة وفكر بشكل عميق بعيداً عن المؤثرات لتكتشف الحقيقة. هل الرسالة التي تكون من صنع البشر ويكون الهدف منها التغيير بالناس وإضلال الناس والضحك على الذقون، تفتح عقول الناس وتقول لهم فكروا؟ . . أي كلام هذا؟.

٤٢٠. سورة ص: الآية ٦٥.

٤٢١. سورة المعارج: الآية ٤.

٤٢٢. بحار الأنوار ١٦: ٢٥٦، ح ٣٦٦.



## التفكير جوهر الرسالة

الإسلام يعتبر رسالته المركزية والمحورية هي التفكير، وإذا أردت أن تكون مسلماً حقيقياً فعليك أن تكون مفكراً متمقماً ومتدبراً متسائلاً باحثاً عن الحقيقة، ألا تقبل الأمور بدون نقاش أو تداول أو تدقيق، هذا هو الإسلام، وهذه حقيقة يركز عليها القرآن الكريم بشكل مكثف؛ لاحظوا في سورة النحل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٤٢٣)</sup>، وفي سورة الرعد والزمر والجاثية: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٤٢٤)</sup>، وفي سورة الحشر والأعراف: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٤٢٥)</sup>، وفي سورة البقرة الآيتين: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٤٢٦)</sup>، فانظروا إلى التأكيد على التفكير، وعلى التعمق في الأمور والتدبر.

الآيات التي جاءت لتؤكد على التفقه، والتفقه هو الفهم العميق ونمط من أنماط التفكير، الآيات التي أكدت على العقل والتعقل، وما أكثرها في القرآن الكريم، الآيات التي جاءت لتذم بشدة عدم التدبر والتفكير، وهي ست وأربعون آية، كل هذه الآيات عندما نجتمعها نرى عمق هذه الظاهرة وهذه الحقيقة القرآنية، حقيقة التفكير ودورها في تحقيق البصيرة، حتى أن القرآن الكريم يعتبر أن من صفات أصحاب النار أنهم لا يتفكرون، لاحظوا في سورة الملك: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾، لو كنا نصغي إلى ما سمعناه، ويكون استماعاً حقيقياً، ولو كنا نفكر ونتأمل ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(٤٢٧)</sup>، هذه الكلمات عن أهل النار؛ يقولون لو كنا نفكر لما كنا من أهل النار، لأن الدليل يأخذنا إلى حقيقة الطاعة لله (سبحانه وتعالى).

في آيات أخرى يعتبر أن من لا يفكر مرشح إلى أن يكون من أصحاب النار، لاحظوا في سورة الأعراف: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾، أوجدنا، أعددنا، ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالإِنْسِ﴾، هيأنا لجهنم الكثير من الجن والإنس، ما هي صفتهم؟ ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾، لديهم عقول لا يفكرون بها، لا يتأملون بها، لا يستفيدون منها، ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾، لديهم بصر وليس لديهم بصيرة ورؤية عميقة، فهم بدون بصيرة، ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، لا يعي ويأخذ الأمور ببساطة،

٤٢٣. سورة النحل: الآية ١١، ٦٩.

٤٢٤. سورة الرعد: الآية ٣. سورة الزمر: الآية ٤٢. سورة الجاثية: الآية ١٣.

٤٢٥. سورة الحشر: الآية ٢١. سورة الأعراف: الآية ١٧٦.

٤٢٦. سورة البقرة: الآية ٢١٩، ٢٦٦.

٤٢٧. سورة الملك: الآية ١٠.

ولا يقف عند المسائل ويعي ويستوعب ويحتوي المعلومات والحقائق التي عُرضت عليه، ﴿أولئك كالأنعام﴾، كالبهائم، شكلهم شكل الإنسان، يمشون على رجلين، ولكن واقعهم كالأنعام، كمن يمشي على أربع، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ أسوأ من البهيمة، والبهيمة ليس لها قدرة على التفكير، أما هذا فلديه قدرة على التفكير ولا يفكر، فهو أسوأ من البهيمة. ﴿أولئك هُمُ الْعَافِلُونَ﴾<sup>(٤٢٨)</sup>، يعيشون الغفلة، والغفلة تحصل للإنسان إذا لم يفكر، فكر حتى تحصل على البصيرة. . وسواصل هذا الحديث الشيق بإذن الله .

### علي الأكبر عَلَيْهِ السَّلَامُ .. نفاذ البصيرة وصلابة الموقف

هذه ليلة التاسع من محرم المنسوبة لعلي الأكبر عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذا الشاب الذي كان أشبه الناس خلقاً ومنطقاً برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كان عمره سبعاً وعشرين سنة، في مقتبل الشباب، ويحدثنا التاريخ أنه في ليلة عاشوراء حينما جمعهم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ليصارعهم قائلاً: "إن القوم يطلبوني ولو ظفروا بي لذهلوا عن غيري وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً"<sup>(٤٢٩)</sup>، إن هؤلاء يريدوني ويطلبوني فاستفيدوا من الليل وتسربوا إلى أرض الله الواسعة، فإنهم إذا ظفروا بي فلن يلاحقوا أحداً من بعدي، وهنا وقف الأصحاب وقالوا لو قُتلنا وقُطعنا وذُرِينا يُفعل ذلك بنا سبعين مرة ما تركناك يا أبا عبد الله، لا نذهب إلى الدنيا بدونك، والله لا نفعلها.

علي الأكبر في تلك الليلة وذلك الاجتماع التشاوري قام وسأل الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ سؤالاً واحداً، وانظر إلى البصيرة؛ يا أبا عبد الله أجبني كي أقرر: "أولسنا على الحق؟"، فالدنيا ولذاتها وشهواتها، لا تعينني، بل الذي يعينني هو موقفنا؛ أهو على الحق أم لا؟، "أولسنا على الحق؟"، قال: "بلى نحن على الحق"، قال: "إذن لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا"<sup>(٤٣٠)</sup>، الموت لا يخيفنا ما دما على الحق. . هذه هي البصيرة والرؤية العميقة والبوصلة، أن يكون الهدف هو الحق، والسير خلف الحق، والتمسك بالحق، والدفاع عن الحق، وأن يكون الإنسان حقانياً، في أقواله وأفعاله وسلوكه، ولتكن النتائج ما تكون، فالإنسان سيموت اليوم أو بعد عشرين أو ثلاثين أو خمسين سنة، إذن لتكن موتة شرف في الدفاع عن الوطن وفي الذود عن العرض والكرامة.

٤٢٨ . سورة الأعراف: الآية ١٧٩ .

٤٢٩ . بحار الأنوار ٤٤: ٣١٦ .

٤٣٠ . بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٧ .

كان علي الأكبر عَلَيْهِ السَّلَامُ أول من تقدم من أهل البيت ، وهذه الأسبقية والمبادرة دليل على بصيرته ، وبما أن والده علي الأكبر هي ليلي ، وهي حفيدة أبي سفيان من جهة أمها ، فأما ميمونة بنت أبي سفيان ، فعندما خرج علي الأكبر ، صاح رجل من القوم : " يا علي ، إن لك رحمًا بأمر المؤمنين يزيد ونريد أن نرعى الرحم " ، يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وعلي الأكبر ابن ليلي بنت ميمونة بنت أبي سفيان ، إذن هناك قرابة ، ولا نريد قتلك ، " فإن شئت آمنك " ، نريد أن نقتل الحسين وليس لدينا مشكلة معك ، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : " إن قرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أحق أن ترعى " (٤٣١) ، إذا كنتم تبحثون عن معايير القرابة من رسول الله أهم من يزيد ، وأنا ابن بنت رسول الله ، فلماذا تُرعى قرابة أبي سفيان ، ولا ترعى قرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، أين الدين والعقيدة ؟ . فجدي من أمي أبو سفيان وجدي من أبي رسول الله ، ألا تُرعى الرحم ؟ . انظروا إلى البصيرة والحجة الدامغة التي استخدمها علي الأكبر .

وكذلك الصلابة في القتال ، فلم يزل يحمل على الميمنة ويعيدها على الميسرة ، ويغوص في الوسط ، فلم يقابله جحفل إلا رده ، ولا برز إليه شجاع إلا قتله ، فقتل مئة وعشرين فارسا ، وحينما سقط صريعا ، نادى بأعلى صوته : " عليك مني السلام أبا عبد الله ، هذا جدي رسول الله قد سقاني بكأسه شربة لا أظمأ بعدها أبدا وهو يقول إن لك كأسا مذخورة " (٤٣٢) ، انظروا إلى البصيرة التي تنكشف له وهو على قيد الحياة ويرى رسول الله وهو يسقيه الماء ، ثم أخذ الحسين بكفه من دمه الطاهر ورمى به نحو السماء فلم تسقط منه قطرة ، ففي واقعة الطف تكررت هذه الحالة عدة مرات ؛ في علي الأكبر وفي الطفل الرضيع ، يرمي الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بدمهم إلى السماء فلا تسقط قطرة منه ، وفي هذه جاءت زيارته : " بأبي أنت وأمي من مقتول ومذبوح من غير جرم ، بأبي أنت وأمي دمك المرتقي إلى حبيب الله ، بأبي أنت وأمي من مقدم بين يدي أبيك يحتسبك ويبيكي عليك محترقا عليك قلبه ، يرفع دمك إلى عنان السماء لا يرجع منه قطرة ، ولا تسكن عليك من أبيك زفرة " (٤٣٣) . صلى الله عليك سيدي يا علي الأكبر ، وجعلنا الله من السائرين على نهجكم ، نهج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، نهج الطاعة لله ، نهج التفكير والبصيرة والرؤية العميقة ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٤٣١ . شرح الأخبار ٣ : ٩٥٣ . سر السلسلة العلوية : ٣٠ .

٤٣٢ . بحار الأنوار ٤٥ : ٤٤ .

٤٣٣ . كامل الزيارات : ٤١٥ .



الليلة العاشرة ٣/١٠/٢٠١٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك، عليك منا جميعا سلام الله أبدا، ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منا بزيارتكم، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون إخوة وأخوات ورحمة الله وبركاته.

### البصيرة في الثورة الحسينية

ليلة عاشوراء، ليلة الحزن والألم والفجعة، الليلة التي كانت مقدمة لتلك المجزرة الإنسانية الكبرى، الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن شخصا وإنما يمثل منهجا، فأرادوا قتل منهج الحسين وقتل مشروع الحسين، أرادوا قتل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في ذلك اليوم، لأن مشروع الحسين هو مشروع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أرادوا قتل الرسالة وقتل الحق الذي تمسك به الحسين، وقتل القيم التي قاتل من أجلها الحسين؛ "إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا ظالما ولا مفسدا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر" (٤٣٤)، هذه أهداف ودوافع ومبررات الثورة، ومن استهدف الحسين استهدف هذه الأهداف، استهدف هذه الغايات النبيلة، استهدف هذه القيم والمثل العالية، لذلك أرادوا أن يقتلوا الحق في يوم عاشوراء، وهذا ما يبرر مقولتنا: "كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء" لأن الصراع بين الحق والباطل لم ينحصر في يوم عاشوراء، ونسأل الله أن يجعلنا ممن يصطف مع الحق وينتصر للحق ويتمسك بالحق ويدافع عن الحق.

كان حديثنا في الليالي الماضية عن البصيرة، عن مفتاح النجاح وعن سر الأسرار في تحقيق الانتصارات الكبرى في الحياة، فقد كان الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابه وأهل بيته من أهل البصائر كما شهد لهم بذلك العدو، وكل من يريد أن يكون ببصيرة أصحاب الحسين عليه أن يأخذ بأسباب البصيرة، ليحقق البصيرة في نفسه. تحدثنا عن تعريف البصيرة وأهميتها ومراتبها وعن أدوات البصيرة وعن العوامل التي تحقق البصيرة، وانتهينا إلى العامل الثامن من عوامل تحقيق البصيرة وهو التفكير.

### أثر التفكير في تحقيق البصيرة

التفكير ينمي ويعمق البصيرة في الإنسان، وقد استعرضنا عددا من الآيات الشريفة في الليلة الماضية، واليوم نقف عند بعض النصوص الروائية.

في الكافي باب التفكير عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "كان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: نبّه بالتفكير قلبك"، إذا كنت تريد أن ينتبه قلبك ويبصر لتحصل على البصيرة فعليك بالتفكير، لأن التفكير يحرك العقل والشعور وينظم المسار ويوضح الرؤية ويوصلنا إلى البصيرة، والإنسان حينما يكون على بصيرة من أمره وتكون له رؤية واضحة وتشخيص دقيق للموقف وما ينبغي عليه أن يكون، حينذاك تكون انطلاقة كبيرة ويحقق النجاح المطلوب، "وجاف عن الليل جنبك"، في الليل يكون الخلود إلى النوم والراحة، ولكن أن ترفع رأسك عن الوسادة وتخرج من فراشك الدافئ، وتسبغ الوضوء وتتوجه نحو الله تعالى وتقوم في آناء الليل، فإن فيه لذة لا يعرفها إلا من يلتزم بهذه السنة النبوية الشريفة؛ قيام الليل والتأثيرات العظيمة لذلك، "واتق الله ربك" (٤٣٥)، التقوى والورع عن محارم الله وتجنب المعصية والذنوب والرذيلة، هذه توصيات علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٤٣٤. بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.

٤٣٥. الكافي ٢: ٥٤، ح ١.

## موقع التفكير بين العبادات

في رواية أخرى عن الحسن الصيقل قال: " سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عما يروي الناس أن تفكر ساعة (يعني لحظة) خير من قيام ليلة"، هذا التفكير ثوابه أعظم من قيام ليلة كاملة، فماذا يقصد؟، "قلت كيف يتفكر، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: يمر بالخربة أو بالدار فيقول أين ساكنوك"، أين من سكن هذه الديار؟، لقد كانت لديهم طموحات وتطلعات، ذهبوا وانتهوا والبيت خرب، "أين بانوك"، أين هذا المقاول الذي بنى هذا البيت وتباهى أمام العالم بأنه بنى هذا الصرح، "ما بالك لا تتكلمين"<sup>(٤٣٦)</sup>، لا تردين على أسئلتي، هذا هو المطلوب من تفكير ساعة؛ النظرة الواعية العميقة وقراءة ما بين السطور واستنتاج الحدث والاعتبار من كل قضية؛ أرى مريضاً فاشكر الله على نعمة الصحة من الله تعالى، فإن فيروسات لا تُرى بالعين يمكن أن تنتهي كل هذه الطموحات والرغبات والآمال، فلا تُغر، هذه هي النظرة الواعية، أن أرى عظمة الله فأقول من أوجد هذا وأين أنا من هذا؟، واعتذر عن الحالات السلبية والأخطاء. . النظرة المتفحصية والعميقة التي يبحث صاحبها عما وراء الحدث ولا يقتنع بما يراه بعينه من الشكليات والظواهر، بل يريد ما وراء الظاهر، هذه النظرة يطلق عليها البصيرة، ولا يحصل عليها الإنسان إلا بالتفكير، يأخذ العبر من الحياة.

رواية أخرى عن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: " ليست العبادة كثرة الصلاة والصوم إنما العبادة التفكير في أمر الله عز وجل"<sup>(٤٣٧)</sup>، هذه المقاربة بين الكم والنوع، هل أقرأ جزءاً من القرآن الكريم وانتباهي في مكان آخر، أو أقرأ صفتين بتدبر وتأمل؛ فأقرأ آيات الرحمة وأطلبها لنفسي وللمؤمنين، وأقف عند آيات العذاب وأعوذ بالله منها لنفسي وللمؤمنين؟. إن ركعتين ببصيرة وتأمل وتدبر وخشوع وخضوع وتوجه تعادلان خمسين ركعة كنقر الغراب كما يعبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فالعبادة الواعية هي التي تحقق البصيرة، ولذلك تقدم على الكم وعلى العدد؛ عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: " التفكير يدعو إلى البر (العمل الصالح) والعمل به"<sup>(٤٣٨)</sup>، لأن التفكير يوجد البصيرة، والبصيرة تشخص، فإذا شخصت البر تندفع وتعمل به، فكل عمل صالح مرهون بالبصيرة، والبصيرة تأتي من التفكير.

٤٣٦. الكافي ٢: ٥٤، ح ٢.

٤٣٧. الكافي ٢: ٥٥، ح ٤.

٤٣٨. الكافي ٢: ٥٥، ح ٥.

في بحار الأنوار: عن الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: "عليكم بالتفكر فإنه حياة قلب البصير"، التفكير حياة لقلب البصير، لأن البصير لا يحيا قلبه ولا يحصل على البصيرة إلا بالتفكر، "ومفاتيح أبواب الحكمة" (٤٣٩)، إذا تفكرت تفتح الأفاق بوجهك وتستطيع أن تكتشف الحقائق وتصل إلى الحكمة .

### عاشوراء.. حلقة من التصميم الإلهي للبشرية

لخصوصية هذه الليلة اكتفي بهذا وأقف في البحث عند هذا الحد، فإن ليلة عاشوراء ليلة عظيمة تحتاج إلى وقفة وإلى توجه، لعلنا نحظى برعاية الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وكرمه ولطفه بدعائه عند الله لنا، هنيئاً لكم يا زوار الحسين ويا من تحضرون مجلس الحسين .

في البحار: عن زرارة عن أحدهما، الإمام الباقر أو الإمام الصادق، لأن زرارة كان يروي عنهما وكان من أصحابهما، أنه قال: "يا زرارة ما في الأرض مؤمنة إلا وقد وجب عليها أن تسعد فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ في زيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ"، هذا خطاب موجه للأخوات يرويه زرارة عن الإمامين الباقرين ثم قال: "يا زرارة إنه إذا كان يوم القيامة جلس الحسين في ظل العرش وجمع الله زواره وشيعته ليبصروا من الكرامة والنصر والبهجة والسرور إلى أمر لا يعلم صفته إلا الله"، حجم السعادة والبهجة والكرامة والنصرة والعزة التي يستشعرها زوار الحسين وشيعته لا يعلمها إلا الله تعالى، "فيأتيهم رسل أزواجهم من الحور العين من الجنة"، الحور العين ترسل رسلا إلى هؤلاء من شيعة الحسين وزواره، "فيقولون إنا رسل أزواجكم إليكم يقرن إنا قد اشتقناكم وأبطأتم عنا فيحملهم ما هم فيه من السرور والكرامة على أن يقولوا إلى رسلهم آتيكم إن شاء الله" (٤٤٠).

وفي رواية عن أم سلمة زوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يقول: (لما رأت أم سلمة عزم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ على التوجه إلى العراق قالت: يا ولدي لا تحزني بخروجك إلى العراق فإني سمعت جدك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء وعندي تربتك في قارورة دفعها إلي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال الحسين: يا أمه، وإني أعلم أنني مقتول مذبح ظلما وعدوانا وقد شاء الله عز وجل أن يرى حرمي ورهطي مشردين وأطفالي مذبحين مأسورين ومقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرا، فقالت أم سلمة: واعجابه، فأني تذهب

٤٣٩ . بحار الأنوار ٧٥ : ١١٥ ، ح ١٢ .

٤٤٠ . بحار الأنوار ٩٨ : ٧٥ ، ح ٢٥ .

وأنت مقتول؟، قال: يا أماء إن لم أذهب اليوم ذهبت غدا وإن لم أذهب غدا ذهبت بعد غد، وما من الموت بد، هذه إرادة إلهية وتصميم رباني، وليس بيدي تغييره.

ثورة الحسين تدخل كحلقة ومفردة في سنن التاريخ، وتدخل ضمن التصميم الإلهي لقيادة البشرية ورسائل الاعتبار التي يطلقها الله تعالى لبني الإنسان، (وإني لأعرف اليوم الذي أقتل فيه والساعة التي أقتل فيها والحضرة التي أدفن فيها كما أعرفك وأنظر إليها كما إليك، وإن أحببت يا أماء أن أريك مضجعي ومكان أصحابي، فطلبت منه ذلك فأراها تربة أصحابه ثم أعطاها من تلك التربة وأمرها أن تحتفظ بها في قارورة، فإذا رأتها تفور دماً تيقنت قتله)، وفي اليوم العاشر بعد الظهر نظرت إلى القارورتين، القارورة التي منحها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والقارورة التي منحها الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فإذا هما تفوران دماً<sup>(٤٤١)</sup>.

إذن فالقضية تصميم إلهي رباني وليست المسألة اعتبارية، والحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ مع علمه الكامل بالنتائج خرج إلى العراق، ولم يأت للتدافع على السلطان، فهذا صراع مبدئي بين الحق والباطل، وهذا ما نلاحظه في كلمته مع الوليد والي المدينة حينما جاء الأمر من يزيد ليأخذ البيعة من الحسين، فقال له الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: "أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الرحمة، بنا فتح الله، وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله"<sup>(٤٤٢)</sup>، فالمسألة ليست مسألة مشاعر وعواطف، بل مسألة حماية مشروع ودفاع عن أمة ومثل وقيم.

### الحسين.. مبدئية المشروع وصلابة القائد

وفي رواية مهمة، أن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ حين كان محاصراً من الحر بن يزيد الرياحي، التحق به أربعة أقبلوا من الكوفة على رواحلهم، لم يأتوا من المدينة وإنما من الكوفة، وقد أراد الحر احتجازهم أو ردهم وقال للحسين: "إن هؤلاء النفر من أهل الكوفة وليسوا ممن أقبل معك، وأنا حابسهم أو رادهم، فقال له الحسين: لأمنعهم مما أمنع منه نفسي"، حكمهم حكمي، "إنما هؤلاء أنصاري وأعواني وقد كنت أعطيتني أن لا تعرض لي بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد، فقال أجل لكنهم لم يأتوا معك،

٤٤١. بحار الأنوار ٤٤: ٣٢١.

٤٤٢. بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٥.



قال عَلَيْهِ السَّلَامُ هم أصحابي"، كل من يلتحق بالحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وركبه فهم من أصحاب الحسين، لا حظوا المنطق، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: "هم أصحابي وهم بمنزلة من جاء معي فإن تمت على ما بيني وبينك فبه وإلا ناجزتك"، حاربتك دفاعا عنهم، " فكف عنهم الحر وسمح لهم بالالتحاق بركب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٤٤٣)</sup>.

رُوي أن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يوم الطف إذا حمل على عسكر ابن زياد يقتل بعضا ويترك آخرين مع تمكنه من قتلهم فليل له في ذلك؛ استغرب الأصحاب من قتل البعض دون الآخر فقال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: " كُشف عن بصري فأبصرت النطف التي في أصلابهم"، بهذه البصيرة العميقة، بصيرة المعصوم أبصر النطف التي في أصلاب هؤلاء، " فصرفت عمن يخرج من نطفته من هو أهل الإيمان<sup>(٤٤٤)</sup>، من كان يحمل نطفة طاهرة تركته لاستخلاص تلك الذرية منه، ومن لم يكن يحمل نطفة صالحة قتلته.

بعد أن بقي الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وحيدا وتكاثر عليه الأعداء، قال كلمة في لحظاته الأخيرة: " هوّن ما نزل بي أنه بعين الله<sup>(٤٤٥)</sup>، ما دام هذا الأمر في سبيل الله، وما دامت الدوافع إلهية ورسالية، لاحظوا البصيرة والموقف، فحينما يكون العمل لله يشعر الإنسان أنه بالمحضر الربوبي.

في أثناء المعركة كان يحدث القوم: " يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون، أنا الذي أقاتلكم والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم من التعرض لحرمي ما دمت حياً<sup>(٤٤٦)</sup>، لاحظوا المبدئية والقيم ومستوى الخطاب؛ يخاطبهم بما يقرون به، هذا المنهج الحسيني في الحوار والجدال الإيجابي، وحينما أقحم الفرس في الماء وكان شديد العطش بعد صراع طويل مع الأعداء، همّ الفرس ليشرب، فقال الحسين: "أنت عطشان وأنا عطشان فلا أشرب حتى تشرب"، فلاحظوا القمة في الجانب الروحي والأخلاقي والمعنوي، فرفع الفرس رأسه كأنه فهم الكلام<sup>(٤٤٧)</sup>، الفرس كان يفهم كلام الحسين وأولئك الأجلاف المنحرفون لم يفهموا مقولة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يدركوا كلامه.

٤٤٣ . تاريخ الطبري ٤ : ٣٠٦ .

٤٤٤ . موسوعة كلمات الإمام الحسين : ٦٠٩ .

٤٤٥ . موسوعة كلمات الإمام الحسين : ٥٧٣ .

٤٤٦ . بحار الأنوار ٤٥ : ٥١ .

٤٤٧ . بحار الأنوار ٤٥ : ٥١ .

## ليلة المكاشفة وبصيرة الأهل والأصحاب

ليلة عاشوراء كانت ليلة نجوى وحوارات صادقة، وليلة مكاشفة مع أهل بيته وأصحابه، فالحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يتعامل مع مغفلين، ولم يرد أن يتكتم على الحقيقة، فأوضح وشرح لهم الموقف حتى يتخذوا قرارهم بأنفسهم، بل النصوص التاريخية في ليلة عاشوراء تشير إلى أن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أسقط حقوقه عنهم، وطلب منهم ورجاهم أن يغادروا في تلك الليلة ويتركوه وحده، ولكنهم رفضوا، لذلك يقول الحسين: "فإني لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي"، والحسين يعلم أصحاب الأنبياء والأوصياء، ولكنه بعلمه الواسع يقول: "لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعا" (٤٤٨).

تشير الروايات إلى أنه بدأ بأهل بيته فصارحهم وطلب منهم المغادرة، وكل واحد منهم تحدث بحديث وأعرب عن عزمه القتال مع الحسين مع كامل معرفتهم بالنتائج، ثم توجه للأصحاب وحدثهم أيضا بهذا الأمر، فكانت لهم كلمات قوية وصريحة بالوقوف إلى جانب الحسين وعدم التخلي عنه.

لاحظوا هذه الكلمة لسعيد بن عبد الله الحنفي قال: "والله لا نخليك (يا حسين) حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسوله فيك، أما والله لو علمت أنني أقتل ثم أحيى ثم أحرق حيا ثم أذرى، يفعل بي ذلك سبعين مرة لما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك (ألقى موتي دونك) فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء بعدها أبدا" (٤٤٩).

أما زهير بن القين فقال: "والله وددت أنني قُتلت ثم نُشرت ثم قُتلت حتى أقتل كذا ألف مرة وأن الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك" (٤٥٠)، هذه هي الظروف التي مرت على سيد الشهداء في تلك الليلة.

قال علي الأكبر عَلَيْهِ السَّلَامُ: "سمعت أبي في الليلة التي قُتل فيها - ليلة عاشوراء - يقول وهو يصلح سيفه:

٤٤٨ . بحار الأنوار ٤٤ : ٣٩٢ .

٤٤٩ . بحار الأنوار ٤٤ : ٣٩٣ .

٤٥٠ . بحار الأنوار ٤٤ : ٣١٦ .

يا دهر أف لك من خليل      كم لك بالإشراق والأصيل  
من صاحب وطالب قتيل      والدهر لا يقنع بالبديل  
وإنما الأمر إلى الجليل      وكل حي سالك سبيلي

، كلنا يذهب إلى الموت، يقول: "فأعادها مرتين أو ثلاثاً ففهمتها"، علي الأكبر عرف ما أراد الحسين، "وخنقتني العبرة ولزمت السكوت وعلمت أن البلاء قد نزل، وأما عمتي زينب لما سمعت ذلك وثبتت تجر ذيلها حتى انتهت إليه، قالت واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة، اليوم مات أبي علي وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وإمام الباقي، فعزّأها الحسين وصبرها وفي ما قال: يا أختاه تعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وكل شيء هالك إلا وجهه، ولي ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة" (٤٥١)، هكذا كانت المكاشفة في ليلة عاشوراء.

خرج عَلَيْهِ السَّلَامُ في جوف الليل يتفقد التلاع والعقبان، فتبعه نافع بن هلال الجملي، فسأله الحسين عن سبب خروجه وراءه، فقال نافع: "يا ابن رسول الله أفرغني خروجك إلى جهة المعسكر، فقال الحسين: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الخيل يوم يحملون وتحملون، ثم رجع عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو قابض يد نافع ويقول: هي هي والله، وعد لا خلف فيه، ثم قال: ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل فتنجو بنفسك، فنزل نافع على قدميه يقبلهما ويقول: ثكلتني أمي، إن سيفي بألف وفرسي مثله، فوالله الذي من بك علي لا فارقتك حتى يكلا عن قتل وجز، ثم وقف الحسين إزاء خيمة زينب ووقف نافع ينتظره، فسمع زينب تقول له: هل سمعت من أصحابك نياتهم، فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة"، أخاف أن يتخلوا عنك حينما يجد الجد، فقال: والله لقد بلوتهم"، اختبرتهم، "فما وجدت فيهم إلا الأثوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه".

قال نافع: "لما سمعت منه بكيه وأتيت حبيب بن مظاهر وحكيت ما سمعت منه ومن أخته زينب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال حبيب: والله لولا انتظار أمره (أمر الحسين) لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة"، وطمأنت الحوراء زينب أننا لن نتخلى عن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، "قلت: إني خلفته عند أخته وأظن النساء شاركنها الحسرة"، بنات الرسالة خائفات، فلا يعرفن ما ستؤول إليه الأمور، "فهلا جمعت أصحابك وتوجهتم لهن بكلام يطيب

قلوبهن"، يطمئنهن، "فقام حبيب ونادى: يا أصحاب الحمية، فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضارية، فقال لبني هاشم: ارجعوا لمقركم لا سهرت عيونكم، ثم التفت إلى أصحابه وقص عليهم ما شاهده وسمعه نافع وقال: هلموا معي لنواجه النسوة ونطيب خاطرهن، وجاء حبيب ومعه أصحابه وصاح: يا معشر حرائر رسول الله، هذه صوارم (سيوف) فتيانكم ألوا إلا يغمدوها إلا في رقاب من يريد السوء فيكم، وهذه أسنة (رماح) غلمانكم أفسموا ألا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديتكم، فخرج النساء إليهم ببياء وعويل وقلن أيها الطيبون، حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين" (٤٥٢).

فسلام على الحسين وعلى أهل بيت الحسين وعلى أصحاب الحسين، وجعلنا الله من أنصاره وأعوانه وشيعته ورزقنا شفاعته، وجعلنا من الآخذين بثأره تحت راية وليه الإمام المنتظر عَلَيْهِ السَّلَامُ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



المحاضرات الاخلاقية في  
الأخوة الإيمانية



---

ألقى سماحة السيد عمار الحكيم هذه المحاضرات  
على ملاكات المكتب الخاص والملاكات المتقدمة  
لتيار الحكمة الوطني خلال شهر رمضان المبارك بعد  
صلاة الظهر واستمرت بعد الشهر الفضيل في يوم  
الثلاثاء من كل أسبوع .

---



## المحاضرة الأخلاقية الأولى

بتاريخ ٢٠١٤/١/١٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم، وبارك الله لكم في جهودكم، وعظم الله أجوركم، بهذه الأيام الشريفة، ونحن نقرب من أربعينية سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلَامُ.

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن الأخوة الإيمانية، ودور هذه الأخوة، وطبيعة القداسة في العلاقة بين المؤمنين، وانتقلنا في الحديث في هذا الموضوع عن حقوق الإخوان، حق الأخ المؤمن على أخيه المؤمن، وإن هذه العلاقة التي تنتمي إلى الإيمان وتستند إلى العقيدة ينبثق منها ويترتب عليها سلسلة من الحقوق والالتزامات والواجبات تجاه أي من المؤمنين نحو أخيه المؤمن. وانتهينا إلى الحق الثالث عشر

### الحق الثالث عشر/ قبول هدية المؤمن

يتضح الحق الثالث عشر من قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يقبل هديته»، أي من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض، قبول هدية الأخ المؤمن، وهذا يجرننا للبحث عن موضوع الهدية والصلة، وهي عمل يذكر الإنسان من خلاله الآخرين، فيقدم لهم شيئاً من شأنه أن يعزز العلاقة والمحبة والأخوة بين صاحب الهدية ومن أهديت إليه. وهذه الهدايا مهما كانت بسيطة، إلا أن لها أثراً نفسياً طيباً في قلوب الناس ونفوسهم. ولذلك هناك تشجيع وحث في النصوص الشرعية على مسألة الهدية، وتشديد على استحبابها.

ولابدَّ من البحث في عدة محاور في هذا الموضوع:

المحور الأول: أهمية الهدية، وتتجلى أهميتها في دورها الكبير في تطيب الخواطر وتقريب النفوس وكسر الحواجز.

فقد ورد عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: لئن أهدي لأخي المسلم هدية تنفعه، أحب إلي من أن أتصدق بمثلها»<sup>(٤٥٣)</sup>، ففي سلم الأولويات في الأعمال الصالحة، تُقدّم الهدية المفيدة على الصدقة.

وعن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن أبيه الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «نعم الشيء الهدية، وهي مفتاح الحوائج»<sup>(٤٥٤)</sup>، أي من أراد من الله (سبحانه وتعالى) أن يقضي حوائجه ويحل مشاكله، فليقدم هدية لأخيه المؤمن؛ لأنها من أفضل الأشياء.

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً قال: «ثلاثة تدل على عقول أربابها: الرسول، والكتاب، والهدية»<sup>(٤٥٥)</sup>.

يبين أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الحكمة المباركة، أن هناك ثلاثة أشياء لو أتى بها الإنسان، لكانت دليلاً على رجحان عقله، وأن لديه حكمة في التعاطي والتعامل مع الآخرين، وهي:

الأول: الرسول، فهو يقطع الطريق على القيل والقال، ويمنع من أن تُحرّف الحقائق وتُسوّه الوقائع وتتغير الأخبار، فتترتب عليها نتائج وخيمة، فإن كثيراً من مشاكلنا اليوم هي من جراء هذا الكم الهائل من القيل والقال، ولو أن الإنسان عندما يتعرض إلى مشكلة يرسل من يتفاوض عنه مع الطرف المقابل بشكل مباشر، لحلت كثير من المشاكل وقضى على الشائعات التي تلوكها الأفواه بسبب الغموض الذي يكتنف كل مشكلة، ولكن لو تركها صاحبها سائبة، فستصل إلى الطرف المعني مشوهة أو مبتورة أو أكبر من حجمها. إذن فالذي يرسل رسواً ويفتح قناة مباشرة مع الأطراف الأخرى، يوصل رسالته بشكل صحيح، وهذا يعني أنه عاقل وهو دليل على الحكمة.

الثاني: الكتاب، وفيه توثيق للأشياء، وعدم تركها عرضة للنسيان بسبب الاتكال على الذاكرة وحدها، وعن طريق كتابة وتوثيق الاتفاقات والبيوع وأنواع المعاملات،

٤٥٣. الكافي ٥: ١٤٤، ح ١٢.

٤٥٤. مستدرک الوسائل ١٣: ٢٠٦، ح ١٢.

٤٥٥. مستدرک الوسائل ١٣: ٢٠٦، ح ١٣.



سوف تُحل الكثير من المشكلات، فالوثيقة خير دليل وخير برهان وخير ما يرجع إليه، من دون زيادة أو نقصان.

الثالث: الهدية، وهو مورد الشاهد، فالهدية مفتاح العاقل إلى قلوب الناس، إذ يجسّر بها العلاقة معهم ويمتد إلى قلوبهم، فهي تدخل في نفوس الآخرين، ولذا يُستحب للإنسان أن يقدم هدايا إلى الآخرين.

المحور الثاني: دوافع الهدية، أي سبب الهدية، ويجب أن يكون الدافع شريفاً ونبيلاً، وأن يكون لله (سبحانه وتعالى). وهناك أسباب عديدة للهدية:

منها: مكافأة المحسن على معروفه، كما لو تطوع إنسان بتقديم خدمة أو إهداء معروف، فهنا تُقدم له هدية مقابلة لإحسانه بالإحسان. وهي يمكن أن تكون دافعاً مهماً من دوافع الهدية.

ومنها: مجاملة من يراد مجاملته، ومثاله العرف السائد في أوساطنا بتقديم وجبات من الطعام للجار الجديد الذي نزل توأ في داره، فهو بسبب انشغاله بنقل الأثاث وترتيبه لا يستطيع الطهو، فيقوم الجيران بإهداء الطعام له، أو كتقديم الهدايا للأقرباء والأصدقاء في المناسبات، كالقدوم من سفر الحج والزيارة، والأفراح كالزواج والولادة، من أجل تعزيز الروابط معهم.

ومنها: الهدية لله (سبحانه وتعالى)، فتقدم الهدايا لا من أجل هدف معين، وإنما في سبيل الله (سبحانه وتعالى) وتقرباً إليه. وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الهدية على ثلاثة أوجه: هدية مكافأة، وهدية مصانعة، وهدية لله (عز وجل)» (٤٥٦).

وعن أبي الحسن عليه السلام، في الرجل يهدي الهدية إلى ذي قرابته يريد الثواب وهو سلطان، قال: «ما كان لله (عز وجل) ولصلة الرحم فهو جائز وله أن يقبضها» (٤٥٧). ولكن إذا كانت الدوافع غير شريفة وغير نظيفة فلا تجوز، كما لو كانت الهدية غطاء للرشوة، من أجل تمشية معاملة معينة، ولو قيل له إنها رشوة فربما لن يقبل، أو يرفع دعوى قضائية ضد صاحبها، فيعمد إلى القول إنها هدية، مع أنها في حقيقتها رشوة، إذ لا تتغير الحقائق بتغيير الأسماء.

٤٥٦. الكافي ٥: ١٤١، ح ١.

٤٥٧. الكافي ٥: ١٤١، ح ٤.

ومما يؤكد هذا المعنى ما ورد عن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند ذكر أهل الفتنة فقال: «فيستحلون الخمر بالنبذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع»<sup>(٤٥٨)</sup>، أي يسمون الخمر نبذًا ويشربونه؛ لحرمة الخمر وحلية النبذ، ويسمّون الرشوة هدية؛ لحرمة الرشوة وحلية الهدية، ويسمّون الربا بيعًا؛ لحرمة الربا وحلية البيع، فيخادعون الآخرين بتغيير الأسماء، لتغيير الأحكام الثابتة عند الله (عزّ وجلّ)، وما يخذعون إلا أنفسهم.

وعن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أيضًا قال: «من شفع لأخيه شفاعة، فأهدى إليه هدية فقبلها منه، فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا»<sup>(٤٥٩)</sup>.

وعن أبي حميد الساعدي قال: «استعمل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رجلاً من الأزدي، فلما قدم قال هذا لكم وهذا لي، فقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي، أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟. والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئاً، إلا جاء به يوم القيامة يحمله في عنقه أمام الناس»<sup>(٤٦٠)</sup>.

تتحدث هذه الرواية الكريمة عن أمر مهم يتعلق بإدارة الدولة، ولا سيّما في ظروفنا الحالية، وهو أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وظّف شخصاً لجباية الضرائب، وعندما ذهب هذا الشخص وأنجز عمله ورجع إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في المسجد، أخرج الأموال التي جمعها، ولكنه قال هذا لبيت المال، وهو ما جباه من الضرائب، وهذا لي مما أعطانيه الناس من هدايا، فصعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المنبر، وخطب خطبة تعرّض فيها لمعالجة هذه الظاهرة قبل استفحالها، فاستنكر أولاً على هذا الموظف عمله هذا، وإن لم يكن في ظاهره أنّه ارتكب حراماً، بل لم يكن هذا الموظف يرى أن في عمله هذا أدنى شبهة؛ لأنّ ما حصل عليه كانت هدايا جباه بها الناس فعلاً، ولكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بيّن أن هذه الهدايا ليست لهذا الموظف، الذي لم يكن ليحصل عليها لولا تصديه لعمله الوظيفي هذا، فلو قعد في داره فهل سيحصل عليها؟. وقطعا يتفق الجميع على نفي ذلك، ومعنى ذلك أن هذه الأموال التي حصل عليها بعنوان الهدية، يجب أن ترجع لبيت المال. ثم حذّر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من أن أي شخص يأخذ مثل هذه الهدايا بسبب وظيفته ويجعلها لنفسه، فإنّه سيطوق بها يوم القيامة أمام الناس جميعاً، ويفضحه الله تعالى على رؤوس الخلائق.

٤٥٨. بحار الأنوار: ٧٢: ٤٥، ح ٧.

٤٥٩. كنز العمال: ٦: ١١٢، ح ١٥٠٧٠.

٤٦٠. صحيح مسلم ٦: ١١.

وقد كتب سماحة الوالد عزيز العراق (رحمة الله عليه) في وصيته: إن كل هدية قُدمت لي وقيمتها أكثر من ثمن قارورة عطر؛ خمسة آلاف إلى عشرة آلاف دينار، فهي ليست لي وإنما هي لبيت المال، فإني لو كنت جالساً في الحوزة العلمية في النجف الأشرف ومشغولاً بالدرس والتدريس، فهل سيعطيني أحد هذه الهدايا؟. فهذه هدايا للموقع وليست لشخصي. وهذا درس لنا جميعاً علينا أن نستفيد منه ونتعلم منه.

وورد عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير قوله تعالى: «أَكَالُونَ لِلسُّحْتِ»<sup>(٤٦١)</sup>، والسحت هو المال الحرام، أنه قال: «هو الرجل يقضي لأخيه الحاجة ثم يقبل هديته»<sup>(٤٦٢)</sup>.

المحور الثالث: قبول الهدية، وهو من مكارم الأخلاق إذا كانت ضمن المعايير الصحيحة. وقد ورد عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من تكرمه الرجل لأخيه المسلم أن يقبل تحفته، ويتحفه بما عنده ولا يتكلف له شيئاً»<sup>(٤٦٣)</sup>، فكرامة المسلم عند أخيه هي قبول هديته، ومن هوانه عليه عدم قبولها.

ومما يرتبط بقبول الهدية موضوع المكافأة على الهدية، ولا ينبغي التكلف في رد الهدية بمثلها أو أحسن منها، بل كل بحسب حاله، فالهدية أمر معنوي بحت، ولا ينبغي أن يقيم بتقييم مادي، وإنما قيمته بما يحمله من معنى التكريم، فمثلاً كانت لي بنت في الروضة ورسمت وروداً على قصاصة من الورق وأهدتها لي، فكان لهذه القصاصة وقع في نفسي أبلغ من كثير من الأشياء الثمينة التي أهديت لي، فالهدية هي أمر معنوي، وليس عيباً أن يعطي الإنسان بمقدار ما يستطيع، ولو بأن يتفنن بشيء ما ويقدمه هدية، وإن لم تكن له قيمة مادية، ولكن فيه قيمة معنوية كبيرة، كما لو زار أحدنا ضريح سيد الشهداء في كربلاء وذكر أخاه بالدعاء تحت قبته وصلّى عنه ركعتين، فمثل هذه الهدية لا تُقدَّر بثمن.

وورد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لا يرد الرجل هدية، فإن أخذ فليكافئه، والذي نفسي بيده، لو دُعيت إلى ذراع لأجبتة، ولو أهدني إليّ كراع لقبلت»<sup>(٤٦٤)</sup>، وكانت العرب آنذاك لا تُعد الدعوة إلى ذراع أو كراع وليمة، ولا تجيب من دعا إليها.

٤٦١. سورة المائدة: الآية ٤٢.

٤٦٢. تفسير نور الثقلين ١: ٦٣٣، ح ١٩٨.

٤٦٣. الكافي ٥: ١٤٣، ح ٨.

٤٦٤. مستدرک الوسائل ١٣: ٢٠٦، ح ١٤.

وورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الهدية رزق الله، فمن أهدى إليه شيء فليقبله»<sup>(٤٦٥)</sup>، وإذا كانت الهدية رزق الله، فلا ينبغي الامتناع عن قبولها وردّها.

المحور الرابع: فوائد الهدية، أي معطيات الهدية والنتائج المترتبة عليها وآثارها.

انظروا إلى القرآن الكريم حينما يحدثنا بقصة نبي الله سليمان (عليه وعلى نبينا وآله السلام) مع بلقيس ملكة سبأ: «وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ. فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ»<sup>(٤٦٦)</sup>.

لقد أرادت بلقيس بما أوتيت من ذكاء وحكمة، أن تكتشف نوايا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ هل هو ملك من ملوك الأرض أو نبي من أنبياء الله تعالى، وحينئذ تعلم كيف تتعامل معه، وقد ورد في بعض الروايات أنها أرسلت لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ خمس مائة غلام وخمس مائة جارية، وألبستهم أفضل الملابس وأركبتهم أفضل الدواب والخيول، وزيت الخيول بالذهب والفضة. وعندما وصلت الهدايا إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ غضب، وقال كلاماً فيه من التهديد والوعيد ما ترتعد منه فرائص الملوك خوفاً وهلعاً، فقد توعد مملكة سبأ بأن يرسل اليهم جيشاً عرمرماً يقضي على ملكهم وسلطانهم، إلا أن يأتوه طائعين.

وموضع الشاهد في الآية الكريمة أن الهدية تُفرح المهدي إليه وتدخل عليه السرور، ومن آثارها أنها تكف شر الأشرار أو من قصد المهدي بسوء.

وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: تهادوا تحابوا، فإنها تذهب بالضغائن»<sup>(٤٦٧)</sup>، والضغائن هي الأحقاد، ويخبرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن الهدية تورث المحبة في قلب من تُهدى إليه، وتذهب عن صدره الأضغان والكراهية.

وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «نعم الشيء الهدية، تذهب بالضغائن»<sup>(٤٦٨)</sup>، فالهدية هي غسيل القلوب من الكراهية، وكل ما من شأنه تكبير صفو العلاقات الاجتماعية. ومعنى ذلك أنه لو سادت هذه الثقافة بين الناس، فإنها كفيلة بتطهير القلوب من الشحناء والبغضاء بين أفراد النوع الإنساني.

وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «تصافحوا فإن المصافحة تزيد في المودة،

٤٦٥. مستدرک الوسائل ١٣: ٢٠٧، ح ١٨.

٤٦٦. سورة النمل: الآية ٣٥-٣٦.

٤٦٧. الكافي ٥: ١٤٤، ح ١٤٤.

٤٦٨. بحار الأنوار ٧٢: ٤٤، ح ١.

والهدية تذهب بالغل»<sup>(٤٦٩)</sup>، يبين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك طريقين لتمتين الروابط الاجتماعية:

الاول: المصافحة، التي من شأنها زيادة المحبة بين المتصافحين، وهذا يعني أن المحبة ذات حدود واسعة جداً، ففي كل مرة يلتقي فيها الأخوان المؤمنان ويتصافحان، تزداد هذه العلاقة القلبية بينهما، وإذا ما فرضنا أنهما كانا يفعلان ذلك سنوات، فإلى أي حد ستصل هذه المحبة.

الثاني: الهدية، التي من آثارها إزالة الحقد والكراهية من قلوب المتهادين، فقد يتسلل الغل إلى قلب المؤمن لظرف معين تجاه أخيه المؤمن، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(٤٧٠)</sup>، وحينئذ عليه أن يبادر إلى غسل هذا الغل بالهدية.

وعن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ما أستعطف السلطان، ولا استسلت سخيمة الغضبان، ولا استميل المهجور، ولا استنجحت صعاب الأمور، ولا استشفعت الشرور بمثل الهدية»<sup>(٤٧١)</sup>، يذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الحكمة العلوية المباركة الهدية، كحل سحري لخمس من الحالات الصعبة والطارئة التي قد تمر بالإنسان أحياناً ولا يجد لها مخرجاً، وهي:

الأولى: استعطف السلطان، فقد يمر بالإنسان ظرف طارئ يجعل أمره بيد السلطان الذي يستطيع الفتك به، وهو يحتاج في مثله إلى الخروج من سطوته وتهدئته والتخفيف من قراراته التعسفية، أو يحتاج إلى استعطافه لقضاء حاجة عنده، فعليه أن يلجأ إلى الهدية ليستميل بها قلبه.

الثانية: استرضاء الغضبان، فقد تثير بعض التصرفات نتيجة الاحتكاك اليومي المباشر مع الناس واختلاف أمزجتهم غضب البعض، وليس من الصحيح ترك الغضب - كحالة مؤقتة تمر على الإنسان - يستشري ويستفحل ويتحول إلى عداوة، ففي مثل هذه الحالة، على الإنسان أن يبادر إلى استرضاء الغضبان بالهدية، فمن شأنها أن تهدئ من الغضب وتقضي عليه.

الثالثة: استمالة المهجور، فقد يهجر بعض الناس بعضهم الآخر، لأمر من أمور الدنيا سبب النزاع والخصومة بينهم، وتتعدد العلاقات الاجتماعية بينهم بسبب هذا الهجران،

٤٦٩ . مستدرك الوسائل ١٣ : ٢٠٤ ، ح ٢ .

٤٧٠ . سورة الحشر : الآية ١٠ .

٤٧١ . مستدرك الوسائل ١٣ : ٢٠٧ ، ح ١٦ .

الذي يصبح من الصعب معه إعادة العلاقات إلى سابق عهدها، فالهدية هنا من شأنها أن تؤثر أثرها المطلوب، وتقلع جذور الهجران والتباعد بين الإخوان والأصدقاء والأقارب.

الرابعة: استنجاح الأمور الصعبة، أي طلب النجاح للأمور الصعبة والمتعسرة يكون عبر الهدية، فهي التي من شأنها تحقيق نجاحات باهرة لما استعصى من المشاكل، وتقيض الوسائل المناسبة وتشق الطريق للحلول الناجعة، لأنها توفر الأرضية الملائمة لكل ذلك.

الخامسة: استشفاع الشرور، أي بالهدية تدفع الشرور؛ فمن تتوقع منه شرًا يمكن دفع شره بأن تهدي له هدية تنظف قلبه من دوافع الشر وتزيل منه البغضاء.

فالهدية تحقق جميع هذه الأمور، وتذلل جميع الصعاب والمشاكل التي يمكن أن يتعرض لها الإنسان في حياته؛ لأنها توجد حالة من المحبة والنخوة والصلة والتراحم بين الناس.

المحور الخامس: عدم التركيز على ثمن الهدية، فليس المهم ما هي الهدية، لأنها أمر معنوي يحكي حالة الاهتمام بالمُهدي إليه، وهي مسألة رمزية ينبغي أن تبقى في ذاكرة الزمن، ومحفورة في جبين الحياة، فمن المناسب أن يأتي الحاج لذويه وأصدقائه بعود سواك من الحج، لأنه البلد الذي ينبت فيه شجر الأراك، وورد الاستحباب في استعماله قبيل الوضوء والصلاة، ولا ينبغي استصغار قيمته لقلته ثمنه، لأنه يحمل معاني كبيرة؛ منها أن مُهديه الذي ذهب لأداء عمل عبادي باهظ الثمن، قد ذكر من يهدي إليه هذا العود من السواك في تلك البقاع المقدسة بالدعاء والزيارة التي لا حدود لقيمتها.

وفي رواية عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تهادوا بالنبق تحيي المودة والموالة»<sup>(٤٧٢)</sup>، وثمره النبق كانت متوافرة بكثرة في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان الناس يزهدون بها لوفرتها وسهولة الحصول عليها، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطلب من المسلمين التهادي بالنبق، بالرغم من توافره للجميع بكثرة، ولكن المطلوب هو النتيجة والأثر المترتب على التهادي، وهو إحياء المودة والموالة بين المسلمين.

المحور السادس: ردّ الهدية بهدية أخرى، لأنه داخل في باب ردّ الجميل، كما قال

تعالى: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ»<sup>(٤٧٣)</sup>، فعلى المُهدى إليه أن يتحين الفرصة المناسبة لردّ الهدية إلى من أهداه، ولا يكن طرفاً سلبياً في المعادلة بأن يأخذ فقط ولا يعطي، فإنه وإن لم يكن يملك ما يردّ به على ما أهدى إليه، فعليه أن يردّ بالشيء البسيط الذي يقدر عليه والباقي على الله، فهو الذي يرتب الأمور ويضعها موضعاً حسناً يليق بها في نفوس الآخرين.

لقد ورد عن علي عليه السلام أنه قال: «إذا أكرم أحدكم أخاه بالكرامة فليقبلها، فإن كان ذا حاجة صرفها في حاجته، وإن لم يكن محتاجاً وضعها في موضع حاجته، حتى يؤجر فيها صاحبها. ومن كان عنده جزاء فليجز جازيه، ومن لم يكن له جزاء فثناء حسن»<sup>(٤٧٤)</sup>، وفي رواية أخرى زيادة: «ودعاء»<sup>(٤٧٥)</sup>. ترسم هذه الرواية المباركة عن أمير المؤمنين عليه السلام المنهج الذي ينبغي للمُهدى إليه أن يتعامل به مع الهدية، وهو إن كان محتاجاً لها صرفها في موضع حاجته، كما لو أهدى إليه ثوب وكان محتاجاً إليه فليلبسه، وإن لم يكن محتاجاً إليه، فليعطه لمن هو محتاج إليه ليحصل المُهدى على الثواب المرجو. ثم ينتقل عليه السلام إلى بيان المنهج في ردّ الهدية؛ فمن كان ذا سعة فليردّ الهدية بأخرى إلى مُهدئها، وإن لم يكن لديه ما يردّ به هدية المُهدى، فليردّ بالثناء الجميل والدعاء الحسن.

المحور السابع: إشراك الآخرين بالهدية، ولا سيّما إذا كانت الهدية من النوع الذي يمكن إشراك الآخرين فيه كالطعام، كما لو أهدى أحدهم صندوقاً من التمر لشخص كان جالساً مع جماعة من الناس، فيُستحسن أن يُخرج كمية من ذلك التمر ويوزعه بين الجالسين.

وقد روى الإمام الجواد عليه السلام، عن أبيه الإمام الرضا عليه السلام، عن أبيه الإمام الكاظم عليه السلام، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن الإمام الباقر عليه السلام، عن الإمام السجاد عليه السلام، عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم أهديت له هدية وعنده جلساؤه، فقال: أنتم شركائي فيها»<sup>(٤٧٦)</sup>، وهذا من الخلق الجميل، ولا سيّما من أولئك الذين يتصدون لأمر عام أو يحظون بوجاهة اجتماعية وتكرر عليهم الهدايا، أن يشركوا معهم من كان

٤٧٣. سورة الرحمن: الآية ٦٠.

٤٧٤. مستدرک الوسائل ٨: ٣٩٧، ح ١.

٤٧٥. دعائم الإسلام ٢: ٣٢٦، ح ١٢٣٠.

٤٧٦. مستدرک الوسائل ١٣: ٢٠٩، ح ١.

حاضرًا وقت الإهداء ، فإنَّ هذا من شأنه أن يعمم المحبة وينزع فتيل الحسد والكرهية .  
وقد ورد أيضًا في المعنى نفسه : «جلساء الرجل شركاؤه في الهدية»<sup>(٤٧٧)</sup> ، ومن كان  
يريد أن يخص بهديته المُهدى إليه فقط ، فليعطها إياه في مكان يكون فيه وحده .

المحور الثامن : الهدية المعنوية أفضل من الهدية المادية .

ورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قوله : «إِنَّ أَفْضَلَ الْهَدِيَةِ الْكَلِمَةُ مِنْ كَلَامِ  
الْحِكْمَةِ ، يَسْمَعُهَا الْعَبْدُ ثُمَّ يَتَعَلَّمُهَا ثُمَّ يَعْلَمُهَا»<sup>(٤٧٨)</sup> ، فنحن مثلًا في كل يوم ثلاثاء نأتيكم  
بهدية ، وهي هذه الروايات من ثقافة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومعارفهم ، وهذه كلها هدايا  
في الحياة ، فهذه الحكمة والكلمة الطيبة هدية ، ومع الأسف فنحن قليلًا ما نفكر بالهدايا  
المعنوية كإهداء كتاب ، ونقتصر على الهدايا المادية .

وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال : «ما أهدى المرء المسلم إلى أخيه هدية أفضل  
من كلمة حكمة ، يزيد الله بها هدى ، ويرده عن ردى»<sup>(٤٧٩)</sup> ، فالحكمة التي تُهدى إلى  
مسلم وتدله على الطريق الصحيح ليمشي فيه ، وترده عن الطريق الأعوج الذي هو ماض  
فيه ، هي في الواقع أفضل هدية يمكن أن يحصل عليها الإنسان .

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : «نِعَمَ الْهَدِيَةِ الْمَوْعِظَةُ»<sup>(٤٨٠)</sup> ، فالموعظة التي يعظ  
بها الإنسان الآخرين ، هي هدية كبيرة يقدمها إليهم .

وروي عن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، أن جبرائيل جاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ  
فقال : «يا رسول الله إن الله (سبحانه وتعالى) أرسلني إليك بهدية لم يعطها أحدًا قبلك .  
قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : قلت : وما هي ؟ قال : الصبر ، وأحسن منه . قلت : وما  
هو ؟ قال : الرضا ، وأحسن منه ؟ قلت : وما هو ؟ قال : الزهد ، وأحسن منه ، قلت : وما  
هو ؟ قال : الإخلاص ، وأحسن منه ، قلت : وما هو ؟ قال : اليقين ، وأحسن منه . قلت :  
وما هو ؟ قال جبرائيل : إن درجة ذلك التوكل على الله (عزَّ وجلَّ) . فقلت : وما التوكل  
على الله (عزَّ وجلَّ) ؟ فقال : العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع ، ولا يعطي ولا يمنع ،  
واستعمال اليأس من الخلق ، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله ، ولم يرجُ  
ولم يخف سوى الله ، ولم يطمع بشيء سوى الله»<sup>(٤٨١)</sup> .

٤٧٧ . الكافي ٥ : ١٤٤ ، ح ١٠٧٧ .

٤٧٨ . كنز العمال ١٠ : ١٧٢ ، ح ٢٨٨٩١ .

٤٧٩ . بحار الأنوار ٢ : ٢٥ ، ح ٨٨٨ .

٤٨٠ . عيون الحكم والمواعظ : ٤٩٤ .

٤٨١ . بحار الأنوار ٧٤ : ٢٠ ، ح ٤٠٤ .



يبين الله (سبحانه وتعالى) لرسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مدارج الكمال الست، وهي: الصبر، ثم الرضا بقضاء الله وقدره، ثم الزهد، ثم الإخلاص، ثم اليقين، ثم التوكل على الله (عز وجل)، وهو أعلاهن منزلة وأشرفهن درجة، ومن كان عنده التوكل فهذا يعني أن السالك قد طوى في مسيرته المعنوية إلى الله (عز وجل) جميع المراحل الخمس السابقة، أو أنه إذا حصل على درجة التوكل حصل على باقي الدرجات.

ثم يسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن حقيقة التوكل على الله (عز وجل)؟ فيجيبه بأنه العلم بأن المخلوق، وليس الإنسان فقط، بل جميع ما خلق الله (عز وجل)، لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع، وليس هم سوى وسائل لا أكثر، فأكبر إمبراطور على وجه الأرض لا يستطيع إلحاق الأذى بنملة ما لم يأذن الله بذلك، وإن أغنى أغنياء العالم كقارون، لا يستطيع أن ينفق ديناراً واحداً في طاعة الله إذا لم يهده الله تعالى. ثم استعمال اليأس من الخلق جميعاً، وهذا طبعاً لا يعني إهمال الأسباب الطبيعية في الطلب، التي جعلها الله (سبحانه وتعالى) كذلك، وأمرنا باتباعها، فإذا مرض الإنسان عليه أن يذهب إلى الطبيب للعلاج، وفي الوقت نفسه يطلب من الله (عز وجل) الشفاء، فهو الذي يهدي الطبيب إلى أن يشخص المرض تشخيصاً صحيحاً، ويكتب الدواء الكفيل بعلاج المرض، فنحن لسنا القائلين بالجبر ولا بالتفويض، وإنما مدرستنا هي أنه لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين.

فإذا وصل العبد إلى درجة التوكل ترتبت على ذلك الأمور التالية:

أولاً: لم يعمل لأحد سوى الله، ولم يشرك في عمله أحداً مع الله جل جلاله، لأن جميع ما عداه هم مخلوقات لا يستحقون أن يشركهم في عمله.

ثانياً: لم يرج ولم يخف سوى الله، فالرجاء والخوف ينبغي أن يكونا لله ومن الله وحده لا شريك له، ومن كان كذلك لو أدخل على أعتى طاغوت وهو مقيد اليدين، فإنه لن يشعر برهبة ولا خوف؛ لأنه على يقين من أن هذا الطاغوت لا يستطيع أن يضره بشيء ما لم يكن مقدراً من الله تعالى، كما جاء ذلك على لسان أهل الإيمان في القرآن الكريم: «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا» (٤٨٢).

ثالثًا: لم يطمع بشيء سوى الله، فيقتصر طمعه على الله وحده؛ لأنه الذي بيده كل شيء، وهو القادر على كل شيء، وكل من سواه لا يملكون من قطمير، وغير قادرين على نفع أنفسهم أو دفع الضر عنها.

المحور التاسع: تقديم الهدية لمن يستحق ولمن لا يستحق، فقد ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «عُدْ مَنْ لَا يَعُودُكَ، وَأَهْدِ إِلَى مَنْ لَا يَهْدِي إِلَيْكَ»<sup>(٤٨٣)</sup>، أي على الإنسان أن يقوم بواجبه وإن تقاعس الآخرون، ومن لا يبادلك الهدية، قدم الهدية له مرة ومرتين وعشرًا، إذ ينبغي أن تكون أنت الكبير، وأما تقصير الآخر في واجبه فهو مشكلته. فعلينا أن نتعامل مع الآخرين بما تمليه علينا ضمائرنا ومنظومتنا الأخلاقية.

نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا من المتخلقين بأخلاق الله، ومن العاملين بهذه الحقوق، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

٤٨٣. من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٠٠، ح ٤٠٧٦.



## المحاضرة الأخلاقية الثانية

بتاريخ ٢٠١٤/١/٢١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن الأخوة الإيمانية، وتحديدًا عن حقوق الإخوان، حق الأخ المؤمن على أخيه المؤمن، وإن هذه العلاقة التي تنتمي إلى الإيمان وتستند إلى العقيدة ينبثق منها ويترتب عليها سلسلة من الحقوق والالتزامات والواجبات تجاه أي من المؤمنين نحو أخيه المؤمن. وانتهينا إلى الحق الرابع عشر

### الحق الرابع عشر/ مكافأة صلة المؤمن

يتجلى هذا الحق من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن بقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث محور البحث: «ويكافئ صلته»، ومعنى مكافأة الصلة هو ردّ الجميل ومقابلة المعروف بمعروف مثله. وبالرغم من كون هذا الحق هو من الحقوق التي لا تختص بالمؤمن، وإنما تشمل وجوب ردّ المعروف لكل إنسان ولو كان كافرًا، ولكن خص المؤمن به هنا من باب الأولوية.

### مكافأة الصنيعة في القرآن

وقد ورد ذكر هذا الحق في القرآن الكريم في عدد من الآيات نذكر بعضها منها:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾<sup>(٤٨٤)</sup>، وقد بين

٤٨٤ . سورة الرحمن : الآية ٦٠ .

الله (سبحانه وتعالى) في هذه الآية الكريمة هذا الحق الإنساني بصيغة الاستفهام الاستنكاري؛ إشارة إلى كونه من الأمور البديهية التي يتسالم عليها العقلاء، وبينه أيضاً بصيغة الحصر؛ إشارة إلى أن الإحسان لا بُدَّ من أن يجازى بإحسان مثله، ولا يمكن أن يكون السكوت أو الإساءة جزاء له.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَفَيْتَ لَنَا﴾<sup>(٤٨٥)</sup>، فقد أرسل شعيب إحدى ابنتيه إلى موسى (عليهما وعلى نبينا وآله السلام) ليكافئه على العمل الذي قدمه لهم بسقي مواشيهم من الماء الذي كان الناس يسقون منه مواشيهم، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أرسل ابنتيه ليقوما بهذا العمل لعجزه عنه بسبب كبر سنه، وعدم وجود ولد له أو خادم أو أجير. وبالرغم من أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أتى بهذا العمل بمبادرة طوعية ولا يستحق عليه الأجر، ولكن مع ذلك سمّته ابنة شعيب أجراً؛ لثلاث أسباب: أولاً، لا يمكن أن يدخل في باب الامتنان، ومن هنا عرف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه أمام عائلة متميزة في منطقتها، فاستجاب لدعوته وقصد منزل شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾<sup>(٤٨٦)</sup>، تقرر الآية الكريمة أن مكافأة الصلة بأحسن منها هي سنة إلهية، وقد تكرر بيان ذلك في مواضع أخرى من القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾<sup>(٤٨٧)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾<sup>(٤٨٨)</sup>.

### مكافأة الصنيعة في الروايات

ورد ذكر هذا الحق وبيان تفاصيله في روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تحت عناوين مختلفة، نقتصر على موضع الحاجة منها في بيان هذا الحق.

### أهمية مكافأة الصنيعة

ورد التأكيد الشديد على أهمية مكافأة الصنيعة في الأخبار الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة، نستعرض في ما يلي بعضاً منها.

٤٨٥. سورة القصص: الآية ٢٥.

٤٨٦. سورة النجم: الآية ٣١.

٤٨٧. سورة يونس: الآية ٢٦.

٤٨٨. سورة النساء: الآية ٨٦.

الرواية الأولى: ما رواه إسماعيل المكي عن الحسن أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يردّ الرجل هدية، فإن أخذ ليكافئه. والذي نفسي بيده لو دعيت إلى ذراع لأجبت، ولو أهدي إليّ ذراع لقبلت»<sup>(٤٨٩)</sup>.

استعرض هذا الحديث المبارك توجيهًا أخلاقيًا مهمًا يسهم في زيادة اللحمة الاجتماعية وتمتين الروابط الأخوية بين الناس، وذلك من خلال التأكيد على قبول الهدية ثم المكافأة عليها بهدية مثلها. ثم أقسم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على أمرين، هما أنه لو دُعي لتناول طعام بسيط - ويتمثل آنذاك بذراع شاة وليس شاة بأكملها كما هي عادة العرب آنذاك - لأجاب ولبي الدعوة، وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لو أهدي إليه شيء بسيط لقبله.

الرواية الثانية: ما رواه الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: من سألكم بالله فأعطوه، واستعاذكم بالله فأعيذوه، ومن دعاكم بالله فأجيبوه، ومن اصطنع إليكم معروفًا فكافئوه»<sup>(٤٩٠)</sup>.

الملاحظ في هذه الرواية المباركة أنها قيّدت إجابة الأمور الثلاثة الأولى بأن تكون بالله (سبحانه وتعالى)، بينما أطلقت مكافأة المعروف وإن لم يكن أتى به لوجه الله (سبحانه وتعالى).

الرواية الثالثة: بالإسناد المتقدم قال: «من أذى إلى أحد معروفًا فليكافئ، فإن عجز فليش به، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة»<sup>(٤٩١)</sup>.

الرواية الرابعة: عن أبي القاسم الكوفي في كتاب الأخلاق قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من اصطنع إليكم معروفًا فكافئوه»<sup>(٤٩٢)</sup>.

### مكافأة الصنيعة بأحسن منها

ورد الحث على مكافأة الصنيعة بأفضل منها في القرآن الكريم كما مرت الإشارة إليه آنفًا، وورد الحث عليه في السنّة المطهرة في روايات عديدة.

منها: ما رواه الحسين بن سعيد عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «وليسَت المكافأة أن

٤٨٩. مستدرک الوسائل ١٣: ٢٠٦ ح ١٤.

٤٩٠. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٥٤ ح ١.

٤٩١. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٥٤ ح ٢.

٤٩٢. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٥٤ ح ٤.

يصنع كما صنع حتى يربي عليه، فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء» (٤٩٣).

يبين الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا أن المكافأة الحقيقية لا تكون بأن يردّ على المعروف بمثله، بل لا بُدّ من أن يزيد عليه ويأتي بأفضل منه، فإنه إن فعل ذلك فقد كافأه، وإلا كان الفضل له؛ لأنه قد بادر إلى اصطناع المعروف أولاً.

ومنها: ما رواه زرارة عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: من صنع بمثل ما صنع إليه فإنما كافأه، ومن أضعفه كان شكورًا، ومن شكر كان كريمًا، ومن علم أنّ ما صنع إنما صنع إلى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم، ولم يستزدهم في مودتهم، ولا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك، ووقيت به عرضك، واعلم أنّ الطالب إليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فأكرم وجهك عن ردّه» (٤٩٤).

يطرح الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة ثلاثة مفاهيم تتعلق بالصنعة ومكافأتها هي:

المفهوم الأول: مراتب المكافأة، وقد قسمها عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قسمين:

الأول: ردّ الصنعة بمثلها، وهي مرتبة المكافأة.

الثاني: ردّ الصنعة بمثلها، أي بأحسن منها، وهي مرتبة الشكر. ومن فعل ذلك كان كريمًا.

المفهوم الثاني: جهة الصنعة، فالإنسان عندما يقدم على عمل المعروف إما يكون ناظرًا فيه إلى الآخرين، أو يكون ناظرًا فيه إلى نفسه، فإن كان الأول فهو ينتظر من الآخرين شكرهم ومودتهم، وإن كان الثاني لم ينتظر من الناس جزاء ولا شكورًا، ولم ينتظر أيضًا زيادة في مودتهم له. ولذا ينبغي للإنسان أن يكون ناظرًا إلى أن ما يقدمه للآخرين إنما يقدمه في الحقيقة إلى نفسه، فيكون قد حافظ على عرضه - أي على سمعته - في الدنيا، واستحق جزيل الثواب من الله (سبحانه وتعالى) في الآخرة.

المفهوم الثالث: الترغيب في فعل المعروف، وقد تطرق أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى هذا الموضوع هنا لا من باب التماس الثواب الأخروي، بل من جهة مكارم الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن، فإن من طلب حاجة إليك فإنما قد أراق ماء وجهه، فعليك أن تصون ماء وجهك بعدم ردّ قضاء حاجته.

٤٩٣. وسائل الشيعة ١٦: ٣٠٧ باب ٧ من أبواب الأمر بالمعروف، ح ٤.

٤٩٤. وسائل الشيعة ١٦: ٣٠٥ باب ٧ من أبواب الأمر بالمعروف، ح ١.

## وجوب مكافأة الصنعة

يجب على من أسدي له معروف أن يكافئه ولا يتواني عن رده بمثله أو بأحسن منه، وقد ورد ذلك في الروايات الشريفة. منها: ما رواه علي بن سالم قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: آية في كتاب الله مسجلة. قلت: وما هي؟ قال: «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان»، جرت في المؤمن والكافر، والبر والفاجر، من صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به» (٤٩٥).

وقد ذمت الروايات الشريفة من يكفر بالصنعة ولا يكافئها وسمته بقاطع سبيل المعروف، منها ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لعن الله قاطعي سبيل المعروف. قيل: وما قاطعو سبيل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره» (٤٩٦).

## أقل مراتب المكافأة

قد يمر الإنسان أحياناً بظرف قاهر لا يستطيع معه مكافأة الصنعة بأحسن منها أو بمثلها، فماذا عليه أن يفعل؟ هل يسكت ويتغاضى أو هناك أسلوب آخر يستطيع بواسطته رد الإحسان ومكافأة المعروف؟. لقد خط لنا أهل البيت عليهم السلام في مثل هذه الحالات منهجاً للتعامل معها، ألا وهو الشكر اللساني في حضور المحسن وغيابه.

منها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «من سألكم بالله فأعطوه، ومن أتاكم معروفاً فكافئوه، وإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا الله له حتى تظنوا أنكم قد كافأتموه» (٤٩٧).

وما روي عنه أيضاً، قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «كفأك بثنيك على أخيك إذا أسدي إليك معروفاً أن تقول: جزاك الله خيراً، وإذا ذكر وليس هو في المجلس أن تقول: جزاه الله خيراً، فإذا أنت قد كافأته» (٤٩٨).

ومنها: ما رواه الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «من

٤٩٥ . وسائل الشيعة ١٦ : ٣٠٦ باب ٧ من أبواب الأمر بالمعروف، ح ٣.

٤٩٦ . وسائل الشيعة ١٦ : ٣٠٩ باب ٨ من أبواب الأمر بالمعروف، ح ١.

٤٩٧ . وسائل الشيعة ١٦ : ٣٠٧ باب ٧ من أبواب الأمر بالمعروف، ح ٥.

٤٩٨ . وسائل الشيعة ١٦ : ٣٠٧ باب ٧ من أبواب الأمر بالمعروف، ح ٧.

- أُتي إليه بمعروف فليكافئ به ، فإذا عجز فليثن عليه ، فإن لم يفعل فقد كفر النعم» (٤٩٩) .  
 وقال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : «من قصرت يده بالمكافأة فليطل لسانه بالشكر» (٥٠٠) .  
 وقال الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ : «المعروف غل لا يفكه إلا مكافأة أو شكر» (٥٠١) .

### صنعة المؤمن

تشير الروايات الواردة عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلى ظاهرة غريبة هي نكران صنعة المؤمن ، فمهما عمل المؤمن من معروف إلى الناس فإنه لا يقابل إلا بكفرانها ، وهو أمر قد جرى به القضاء الإلهي ، إلا في المؤمن الذي تجب عليه مكافأة صنعة أخيه المؤمن ، وفيها إشارة إلى أن على المؤمن ألا ينتظر جزاء ولا شكوراً من الناس حينما يقدم على فعل المعروف ، وألا يثنيه ذلك عن المزيد منه ، ونشير هنا إلى بعض هذه الروايات :

الرواية الأولى : عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : «إنَّ المؤمن مكفّر ، وذلك أنَّ معرفه يصعد إلى الله (عزَّ وجلَّ) فلا ينشر في الناس ، والكافر مشهور وذلك أنَّ معرفه للناس ينتشر في الناس ولا يصعد إلى السماء» (٥٠٢) .

الرواية الثانية : عن السكوني عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال : «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : يد الله (عزَّ وجلَّ) فوق رؤوس المكفرين ترفرف بالرحمة» (٥٠٣) .

وتبيّن هاتان الروايتان العلة التي من أجلها لا تقابل صنعة المؤمن بالشكر والمكافأة ، وهي أن الله (سبحانه وتعالى) يريد هذا المعروف خاصاً لوجهه الكريم لا يخالطه أي غرض دنيوي ، ويدخره له عنده ليجزيه به الجزاء الأوفى في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

الرواية الثالثة : عن الحسين بن موسى عن أبيه الإمام موسى بن جعفر عن أبيه عن جده عن علي بن الحسين عن أبيه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مكفراً لا يُشكر معرفه ، ولقد كان معرفه على القرشي

٤٩٩ . وسائل الشيعة ١٦ : ٣٠٩ باب ٨ من أبواب الأمر بالمعروف ، ح ٢ .

٥٠٠ . وسائل الشيعة ١٦ : ٣١١ باب ٨ من أبواب الأمر بالمعروف ، ح ٨ .

٥٠١ . بحار الأنوار ٧٢ : ٤٤ ح ١٢ .

٥٠٢ . وسائل الشيعة ١٦ : ٣٠٨ باب ٧ من أبواب الأمر بالمعروف ، ح ٩ .

٥٠٣ . وسائل الشيعة ١٦ : ٣٠٨ باب ٧ من أبواب الأمر بالمعروف ، ح ١٠٣ .



والعربي والعجمي ، ومن كان أعظم من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ معروفًا على هذا الخلق ، وكذلك نحن أهل البيت مكفرون لا يُشكر معروفنا ، وخيار المؤمنين مكفرون لا يُشكر معروفهم»<sup>(٥٠٤)</sup> .

أكتفي بهذا المقدار ، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

٥٠٤ . وسائل الشيعة ١٦ : ٣٠٨ باب ٧ من أبواب الأمر بالمعروف ، ح ١١ .



## المحاضرة الأخلاقية الثالثة

بتاريخ ٢٨/١/٢٠١٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين .

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن الأخوة الإيمانية، وقلنا إن هذه العلاقة التي تنتمي إلى الإيمان وتستند إلى العقيدة ينبثق منها ويترتب عليها سلسلة من الحقوق والالتزامات والواجبات تجاه أي من المؤمنين نحو أخيه المؤمن . وانتهينا إلى الحق الخامس عشر

### الحق الخامس عشر/ شكر نعمة الأخ المؤمن

يتجلى هذا الحق بقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الرواية موضع البحث : «ويشكر نعمته» ، فيجب على الأخ المؤمن أن يشكر نعمة أخيه المؤمن ، وشكر النعمة من القضايا الأساسية والمهمة ويترتب عليها الأجر العظيم .

#### معنى الشكر

يأتي الشكر تارة بمعنى الشكر النفسي والقلبي اتجاه هذا الإحسان وهذه النعمة ، وقد ورد في هذا المعنى قول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : «من أنعم الله عليه بنعمة فعرّفها بقلبه فقد أدى شكرها»<sup>(٥٠٥)</sup> .

٥٠٥ . الكافي ٩٦: ٢ ح ١٥٥ .

ويأتي تارة أخرى بمعنى الشكر اللفظي واللساني ، وقد ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا المعنى قوله : « من شكر المعروف فقد قضى حقه »<sup>(٥٠٦)</sup> .

وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : « إذا قصرت يدك عن المكافأة فأطل لسانك بالشكر »<sup>(٥٠٧)</sup> .

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً : « من حق الشكر لله تعالى أن يشكر من أجرى تلك النعمة على يده »<sup>(٥٠٨)</sup> .

ويأتي الثالثة بالمعنى العملي وردّ الإحسان بإحسان مثله ، ومنه قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « من اصطنع إليه المعروف فاستطاع أن يكافئ عنه فليكافئ »<sup>(٥٠٩)</sup> .

وقد يأتي بمعنى رابع وهو أن المؤمن حين يُنعم على أخيه بنعمة يقوم أخوه بشكره قلبياً ولسانياً وعملياً ، وهو يتطلب مرتبة عالية من الاندماج حتى كأن نعمة الأخ المؤمن هي نعمة للإنسان نفسه .

ولذلك فالشكر يتطلب خفض الجناح والتواضع لمن كان واسطة في النعمة الحقيقية التي تقرب الإنسان إلى الله (سبحانه وتعالى) ، وليست الوهمية التي تقرب الإنسان إلى الشيطان رتبة ، كأن يوفر له معصية أو ما شابه .

إن من يقوم بإحسان ويقدم نعمته لنا إنما هو مجرد وسيلة لإيصال هذه النعمة وحامل لها ، ولكن المنعم الحقيقي هو خالق هذه النعمة ، وهو الله (سبحانه وتعالى) . وكما نشكر الموصل والواسطة لهذه النعمة لا بُدَّ من أن نشكر المنعم الحقيقي .

### مراتب الشكر

تكون مراتب الشكر على أساس المعاني السابقة للشكر ، وقد وردت في ذلك روايات كثيرة نذكر بعضها .

الرواية الأولى : عن ميسر عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : « شكر النعمة اجتناب المحارم ، وتمام الشكر قول الرجل : الحمد لله رب العالمين »<sup>(٥١٠)</sup> .

٥٠٦ . مستدرک الوسائل ١٢ : ٣٥٦ ح ٨ .

٥٠٧ . مستدرک الوسائل ١٢ : ٣٥٦ ح ٨ .

٥٠٨ . مستدرک الوسائل ١٢ : ٣٥٦ ح ٩ .

٥٠٩ . مستدرک الوسائل ١٢ : ٣٥٥ ح ٤ .

٥١٠ . الكافي ٢ : ٩٥ ح ١٠ .

الرواية الثانية: عن عمر بن يزيد قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «شكر كل نعمة وإن عظمت أن تحمد الله (عزَّ وجلَّ)»<sup>(٥١١)</sup>.

الرواية الثالثة: عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: هل للشكر حد إذا فعله العبد كان شاكرًا؟ قال: نعم. قلت: ما هو؟ قال: يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل ومال، وإن كان في ما أنعم عليه في ماله حق أداه، ومنه قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾<sup>(٥١٢)</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾<sup>(٥١٣)</sup>، وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾<sup>(٥١٤)</sup>،<sup>(٥١٥)</sup>.

الرواية الرابعة: عن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن (صلوات الله عليه) يقول: «من حمد الله على النعمة فقد شكره، وكان الحمد أفضل من تلك النعمة»<sup>(٥١٦)</sup>.

الرواية الخامسة: عن صفوان الجمال عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال لي: «ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله، إلا أدى شكرها»<sup>(٥١٧)</sup>.

الرواية السادسة: عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه فقد أدى شكرها»<sup>(٥١٨)</sup>.

الرواية السابعة: عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنَّ الرجل منكم ليشرب الشربة من الماء فيوجب الله له بها الجنة. ثم قال: إنه ليأخذ الإناء فيضعه على فيه فيسمي ثم يشرب فينحيه وهو يشتهي فيحمد الله، ثم يعود فيشرب ثم ينحيه فيحمد الله، فيوجب الله (عزَّ وجلَّ) بها له الجنة»<sup>(٥١٩)</sup>.

الرواية الثامنة: عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان في سفر يسير على ناقة له إذ نزل فسجد خمس سجعات، فلما

- 
٥١١. الكافي ٢: ٩٥ ح ١١.  
 ٥١٢. سورة الزخرف: الآية ١٣.  
 ٥١٣. سورة المؤمنون: الآية ٩٢.  
 ٥١٤. سورة الإسراء: الآية ٨٠.  
 ٥١٥. الكافي ٢: ٩٥ - ٩٦ ح ١٢.  
 ٥١٦. الكافي ٢: ٩٦ ح ١٣.  
 ٥١٧. الكافي ٢: ٩٦ ح ١٤.  
 ٥١٨. الكافي ٢: ٩٦ ح ١٥.  
 ٥١٩. الكافي ٢: ٩٦ ح ١٦.

أن ركب قالوا: يا رسول الله إنا رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه فقال: نعم، استقبلني جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فبشرني ببشارات من الله (عزّ وجلّ)، فسجدت لله شكراً، لكل بشرى سجدة» (٥٢٠).

الرواية التاسعة: عن يونس بن عمار عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إذا ذكر أحدكم نعمة الله (عزّ وجلّ) فليضع خده على التراب شكراً لله، فإن كان راكباً فليضع خده على التراب، وإن لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خده على قربوسه، وإن لم يقدر فليضع خده على كفه ثم ليحمد الله على ما أنعم الله عليه» (٥٢١).

### أهمية الشكر

تتجلى أهمية الشكر في منظومة الإسلام الأخلاقية في عدد من الأخبار نتبرك بذكر بعض منها.

الرواية الأولى: روى السكوني عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب، والمعافى الشاكر له من الأجر كأجر المبتلى الصابر، والمعطى الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع» (٥٢٢).

تنزل هذه الرواية المباركة منزلة الشكر في استحقاق الثواب منزلة الصبر في ثلاثة مواضع، ولأنّ ثواب الصبر لا حدود له فقد جعل مقياساً يقاس إليه كل عمل ذي ثواب عظيم، وقد أشار القرآن الكريم إلى ثواب الصابرين في قوله تعالى: «إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (٥٢٣).

الرواية الثانية: عن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند عائشة ليلتها فقالت: يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً. قال: وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم على أطراف أصابع رجله فأنزل الله (سبحانه وتعالى): «طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى» (٥٢٤)» (٥٢٥).

٥٢٠. الكافي ٢: ٩٨ ح ٢٤.

٥٢١. الكافي ٢: ٩٨ ح ٢٥.

٥٢٢. الكافي ٢: ٩٤ ح ١.

٥٢٣. سورة الزمر: الآية ١٠.

٥٢٤. سورة طه: الآية ١-٢.

٥٢٥. الكافي ٢: ٩٥ ح ٦.

تتحدث هذه الرواية الكريمة عن المنزلة الأرفع للشكر، وذلك حينما ينطلق الشكر بعمله لا من أجل الثواب الجزيل، بل لأن الله (سبحانه وتعالى) أهل للشكر.

الرواية الثالثة: عن عبيد الله بن الوليد قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «ثلاث لا يضر معهن شيء: الدعاء عند الكرب، والاستغفار عند الذنب، والشكر عند النعمة»<sup>(٥٢٦)</sup>.

يبين هذا الحديث المبارك أنّ الأمور التي من شأنها أن تضر الإنسان إذا تعرض لها يرتفع ضررها إذا اقترنت بما يناسبها من أفعال، وهي الدعاء عند الشدائد، وطلب المغفرة من الله (عزّ وجلّ) عند ارتكاب المعاصي، وشكر الله تعالى عند نزول النعم. الرواية الرابعة: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من شكر المعروف فقد قضى حقه». وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً: «من شكر من أنعم عليه فقد كافأه»<sup>(٥٢٧)</sup>.

ويتبين من هاتين الحكمتين العلويتين أهمية الشكر في قضاء حق النعم البشرية والإلهية على الإنسان.

### الشكر وزيادة النعم

لقد تطرقت الروايات الشريفة أيضاً إلى أنّ شكر النعم هو السبيل إلى زيادتها وتضاعفها، فما من نعمة تُشكر إلا كانت في نمو وازدياد، وما من نعمة تكفر إلا كانت في تضائل واضمحلال.

الرواية الأولى: عن السكوني عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ما فتح الله على عبد باب شكر فحزن عنه باب الزيادة»<sup>(٥٢٨)</sup>.

تبين هذه الرواية الشريفة أنّ إلهام الله (سبحانه وتعالى) الإنسان الشكر على النعمة، معناه أنه يريد أن يزيده من تلك النعمة، ولهذا ينبغي على الإنسان كما يطلب نزول النعم من الله (سبحانه وتعالى)، أن يطلب منه توفيقه لشكر ما أنعم به عليه حذرًا من زوالها ورغبة في زيادتها.

الرواية الثانية: عن عبد الله بن إسحاق الجعفري عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «مكتوب في التوراة: اشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال

٥٢٦. الكافي ٢: ٩٥ ح ٧.

٥٢٧. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٦٥ ح ٨.

٥٢٨. الكافي ٢: ٩٤ ح ٢.

للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كُفرت ، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير»<sup>(٥٢٩)</sup> .

يبين هذا الحديث الكريم أنّ الدعوة إلى شكر النعم وبيان آثار هذا الشكر ليست من خصائص الدين الإسلامي الحنيف فقط ، فقد ذكرت ذلك أيضاً الكتب السماوية السابقة . وتطلب هذه الفقرات الكريمة على لسان الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ من الإنسان أن يشكر من أنعم عليه بنعمة ما ، وأن ينعم على من يشكره ، ثم تبين آثار ذلك الشكر في عدم زوال النعم وزيادتها ، كما أنها معرضة للزوال إذا كفر بها ولم تشكر . ومعنى أمان لها من الغير أي أنّ الشكر أمان للنعم من التغير والتبدل .

الرواية الثالثة : عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : «من أعطي الشكر أعطي الزيادة ، يقول الله (عزّ وجلّ) : ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾»<sup>(٥٣٠)</sup> .

يبين الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الحديث الشريف المستند القرآني لقوله : «من أعطي الشكر أعطي الزيادة» ، وهو الآية الكريمة المذكورة التي جاءت كلمة الزيادة فيها مؤكدة بلام التأكيد ، أي أنّ الشكر يستلزم الزيادة حتمًا من الله تبارك وتعالى ، وهو وعد قطعه على نفسه ، ومن أوفى عهدًا من الله تبارك وتعالى . فاسعوا إلى الازداد من النعم بالشكر ، ولا تملوا الشكر وأكثروا منه ، فهو باب واسع فتحه الله الكريم للراغبين في زيادة النعم .

الرواية الرابعة : عن عمر بن يزيد قال : قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : إني سألت الله (عزّ وجلّ) أن يرزقني مالاً فرزقني ، وإني سألت الله أن يرزقني ولدًا فرزقني ولدًا ، وسألته أن يرزقني دارًا فرزقني ، وقد خفت أن يكون ذلك استدراجًا . فقال : أما - والله - مع الحمد فلا»<sup>(٥٣١)</sup> .

ينفي الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في جواب عن سؤال لأحد أصحابه أن يكون توالي النعم عليه استدراجًا له من الله (سبحانه وتعالى) بعد أن كان ذلك مع أداء حقها من الشكر . ومنه يُعلم أنّ تتابع النعم على الإنسان غير الشاكر هو استدراج له ليزداد كفرًا فيزداد بُعدًا عن الله (عزّ وجلّ) ويزداد عذابًا يوم القيامة .

٥٢٩ . الكافي ٢ : ٩٤ ح ٣ .

٥٣٠ . الكافي ٢ : ٩٥ ح ٨ .

٥٣١ . الكافي ٢ : ٩٧ ح ١٧ .

## فائدة الشكر

وهذا الشكر فيه فوائد :

الفائدة الأولى : أن يكون الإنسان بقدر المسؤولية ويحفظ الجميل ، فحينما يقوم الأخ المؤمن بخطوة فيها إحسان ، فالشكر على هذا الإحسان هو عرفان بالجميل ، وهو تعبير عن أن هذا الإنسان كريم ؛ كقول الشاعر :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فالإنسان المؤمن إنسان كريم النفس يذكر الخدمات التي يقدمها الأخ المؤمن له .

الفائدة الثانية : هو نوع من أنواع التثقيف على المعروف ، فعندما يقوم الآخر بخطوة صحيحة ، فنقوم برّد الجميل ونشكره على ذلك سيتشجع ويقوم بهذا الجميل لغيرنا من الناس ، فيشيع الإحسان بين الناس ، ولكن إذا لم نشكره شكراً لفظياً فسيتخلى عن الفعل الحسن والجميل لأي من الناس ، فنكون قد قطعنا باب المعروف بتركنا الشكر . وهنا تكمن أهمية الشكر .

الفائدة الثالثة : إن الشكر يستبطن التواضع ، فعندما نشكر أحداً من الناس على صنيعه لنا فإن ذلك يعني أننا نتواضع له ، وهو خفض الجناح للأخ المؤمن ، وهذه سمة من سمات المؤمنين ، وهي قضية حساسة ومهمة .

أكتفي بهذا المقدار ، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته





## المحاضرة الأخلاقية الرابعة

بتاريخ ٢٠١٤/٢/٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن الأخوة الإيمانية، وما يترتب عليها من الحقوق والالتزامات والواجبات تجاه أي من المؤمنين نحو أخيه المؤمن. وتناولنا الحق الخامس عشر (شكر نعمة الأخ المؤمن)، واستعرضنا في آخر الجلسة الماضية فوائد الشكر، ونكمل اليوم الحديث عن الشكر.

### الشكر على الإحسان الحقيقي

الشكر يكون للنعمة الحقيقية، والجميل والإحسان الحقيقيين في المنظور الإلهي، إذ ينبغي أن يكون الشكر على الإحسان الواقعي الصحيح المنسجم مع المبادئ والأطر الشرعية ومع القيود والحدود الإلهية. وما أكثر ما يُعد عند البعض إحساناً، ولكنه في الواقع معصية أو ترغيب بالمعصية أو خلق لمناخات المعصية، فأبي جميل في هذا الأمر؟ كمن يعطي مثلاً «كارتاً» من هذه «الكارتات» التي تفتح القنوات الفضائية المشفرة التي نسمع عنها، ويقال إنَّ بين هذه القنوات قنوات غير لائقة وغير مناسبة، فمع أن لهذا «الكارت» سعراً معيئاً، ولكن عندما تستخدمه وتفتح التشفير قد ترى أشياء لا تليق بك، وتوقعك في الحرام، فمثل هذه القضية لا تعتبر نعمة تستحق الشكر، بل هذا الشخص ورطني وجعلني في معرض الوقوع في الحرام. فالشكر إذن إنما يكون للنعمة، والنعمة هي التي تنسجم مع المبادئ والأطر الشرعية ومع القيود والحدود الإلهية.

## شكر الله على كل حال

الموضوع الآخر هو شكر الله (سبحانه وتعالى) على كل حال، وهو أن نحمد الله (سبحانه وتعالى) على كل حال نحن فيه، فمثلاً لا ينبغي أن نترك شكر من سعى وبذل جهداً من أجلنا ولكن لم تتحقق النتيجة، لأنه قد تعب وبذل مجهوده وهذا ما يقدر عليه، وأما تحقق النتيجة ونجاح الحاجة فهو أمر خارج عن يده، فيجب علينا أن نشكره وإن لم تحصل النتائج، وأحياناً يتعرض الإنسان إلى مكروه وإذا بنا نراه - أجازنا الله وإياكم - يتناول حتى على الله (سبحانه وتعالى)، فالبعض يقع في الكفر بالله لفظياً وإن لم يقصده عقائدياً، وهذا مع الأسف من العادات السيئة التي نجدها في بعض الأوساط الاجتماعية ذات المستوى الثقافي الهابط، فعندما يتعرض أحدهم إلى مكروه ما أو يشتد به الغضب ينبري لسب الخالق جل جلاله وتقدست أسماؤه، فيسيء إلى مقام الربوبية الجدير بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير.

فيجب حمد الله تعالى على كل الأحوال وفي كل الظروف، فإن نزلت مصيبة نقول: الحمد لله على ما أصابنا، وينبغي أن نعتقد بوجود حكمة في نزول هذا البلاء، كأن يريد الله تعالى أن يرفع درجتنا بهذا الابتلاء، فهي نعمة جاءت لنا وفرصة لنشكر البارئ (عز وجل) ونحمده عليها، فحمد الله على كل حال قضية أساسية في القاموس الأخلاقي للإسلام، فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا ورد عليه أمر يسره قال: الحمد لله على هذه النعمة، وإذا ورد عليه أمر يغتم به قال: الحمد لله على كل حال»<sup>(٥٣٢)</sup>.

ينقل لنا الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ سنة جده المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند نزول النعمة، وسنته عند حلول البلاء، لكي نلتزم بهذه السنة الكريمة عند حدوث النعمة أو عند التعرض للبلاء، فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول عند النعمة: الحمد لله على النعمة، ويقول عند البلاء: الحمد لله على كل حال. ويجب علينا الالتزام بهذه السنة وعدم تخطيها.

## الشكر عند رؤية المبتلى

عن أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «تقول ثلاث مرات إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تُسمعه: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ولو شاء فعل. قال: من قال ذلك لم يصبه ذلك البلاء أبداً»<sup>(٥٣٣)</sup>.

يعلمنا الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا كيفية شكر الله (عزَّ وجلَّ) عند رؤية إنسان مبتلى بعاهة بدنية، كالعمى والعرج والجنون وغيرها من أنواع البلاء، وصيغة الشكر على النعمة التي يتمتع بها هو وسلبت من ذلك المبتلى: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك ولو شاء فعل. وجزاء هذا الشكر هو عدم الإصابة بذلك البلاء إلى آخر العمر. وقد شرط الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ عدم إسماع المبتلى عند قول كلمات الشكر هذه مراعاة لمشاعره، وهذا من مفردات خلق الإسلام الرفيع الذي يأمر به أتباعه. وهكذا ينبغي أن يتحول الشكر إلى ظاهرة في حياة الإنسان، بحيث يستغل ويغتتم كل ما من شأنه أن يشكر الله تعالى عليه من نعمه العظيمة، ولو كانت تلك نعمة قديمة مرت عليه ولم يؤد شكرها سابقاً أو يجدد لها الشكر، فيتحول الإنسان بشكل تدريجي إلى إنسان شاكر، ويكون من أهل الشكر، ويسجل اسمه في قائمة الشاكرين. وشكرُ الله (سبحانه وتعالى) له جزاء وفير في الدنيا قبل الآخرة، منه أنه يزيد في النعم، كما نطق بذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(٥٣٤)</sup>. ولعل عدم النهي عن إسماع الآخرين كلمات الشكر، باستثناء المبتلى، يحمل في طياته الدعوة إلى أن يتحول شكر الله (سبحانه وتعالى) إلى ظاهرة اجتماعية، للقضاء على ما هو سائد في أوساط الناس من الاستهانة بنعم الله تعالى وعدم شكره على نعمائه التي لا تحصى على كل واحد منا، فنسمع البعض يقول: ماذا أعطانا الله؟ مع أنه غارق في نعمه (سبحانه وتعالى)، ونراه بمجرد أن يُبتلى ببلاء أياما معدودات، ينطلق لسانه بكفران النعم الجسام التي من الله تعالى بها عليه، ويتناسى ما أغدق عليه من نعم كل هذه السنين الطوال، حتى تحول كفران النعم إلى ظاهرة في المجتمع تحتاج إلى تذكير مستمر لعلاجها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهناك ظاهرة اجتماعية أخرى جديرة بالإشارة إليها؛ وهي الاستهزاء بالمبتلى والاستخفاف به، وكأن ما يتعرض له الإنسان من بلاء هو سبب عليه، مع أن الابتلاء

٥٣٣. الكافي ٢: ٩٧ ح ٢٠.

٥٣٤. سورة إبراهيم: الآية ٧.

الإلهي للبشر ليس للانتقام منهم، ولا للتشفي، ولا ليجعلهم محلاً لاستهزاء وسخرية الآخرين، بل هي لهم نعمة في نفسها لما سيعوضهم بدلها في عاجل الدنيا أو أجل الآخرة، كمن سُلبت منه نعمة البصر، فيرزقه الله تعالى حافظة قوية يعوضه بها، ويسر له الكثير من أموره. وهو - أي البلاء - في نفس الوقت عبرة وعظة لنا؛ لنشكر الله تعالى على ما وهبه لنا من هذه النعم التي سلبها من عدد محدود جداً من عباده، ليتنبه من غفلته وهو يموج في بحور الدنيا ويلهث وراء ملذاتها الفانية.

روي عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «ما من عبد يرى مبتلىً بابتلاء ما فيقول: الحمد لله الذي عدل عني ما ابتلاك به، وفضلني عليك بالعافية، اللهم عافني مما ابتليته به، إلا لم يبتلْ بذلك البلاء»<sup>(٥٣٥)</sup>.

يذكر الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ صيغةً أخرى لشكر الله تعالى عند رؤية مبتلى، وهي تختلف عن الصيغة الأولى في الرواية السابقة التي كانت أكثر اختصاراً، كما أنها اشتملت على قيد لم يذكر هنا، وهو عدم إسماع المبتلى هذه الكلمات. وهذا لا يعني إلغاء هذا القيد عند استعمال هذه الصيغة، بل يبقى الأمر على ما هو عليه عند استعمال هذه الصيغة أيضاً، ومن هذا التنوع نفهم أنّ الإنسان يستطيع استعمال أي صيغة يراها للشكر ما دامت تتضمن المحتوى نفسه، ولو كان ذلك باللهجة الدارجة، ولكن استعمال الصيغ الواردة في النصوص أفضل، فإذا لم يكن يحفظ فله التعبير بما شاء من كلمات تتضمن شكر الله تعالى الذي عافاه مما ابتلى به هذا المبتلى.

وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إذا رأيت الرجل وقد أُبتلي وأنعم الله عليك فقل: اللهم إني لا أسخر ولا أفخر، ولكن أحمدك على عظيم نعمائك علي»<sup>(٥٣٦)</sup>.

ومعنى لا أسخر ولا أفخر أي لا أسخر من هذا المبتلى بسبب ما ابتلاه الله سبحانه به، ولا أفخر عليه بخلوي من هذا البلاء. وهنا يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ صيغةً ثالثة لشكر الله تعالى عند رؤية مبتلى ببلاء ما، وتتضمن هذه الصيغة التركيز على حالة عدم الاستهزاء بالمبتلى وعدم الفخر عليه عند رؤيته، وقد مرت الإشارة سابقاً إلى وجود هذه الظاهرة في مجتمعاتنا عند رؤية المبتلى، ولعلها كانت موجودة آنذاك أيضاً، فأراد الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ معالجة هذه الظاهرة بإنشاء هذه الصيغة الخاصة في شكر الله تعالى عند رؤية المبتلى.

٥٣٥. الكافي ٢: ٩٧ ح ٢٠.

٥٣٦. الكافي ٢: ٩٨ ح ٢٢.

إن توجيه الخطاب إلي المبتلى بما ابتلاه الله تعالى به، إما استهزاء به أو افتخاراً عليه، يعد مخالفة صارخة لما أمرنا به من التوجه بالخطاب لله (سبحانه وتعالى) وشكره على العافية من هذا البلاء، من أجل عدم الابتلاء بهذا البلاء والإصابة به، فإن الاستهزاء بالمبتلى أو الافتخار عليه قد يؤدي إلى نتيجة عكسية تمامًا، وهي الإصابة بذلك البلاء، فالاستهزاء بالمبتلى والافتخار عليه بالإضافة إلى كونهما من المحرمات يستحق صاحبهما العقوبة الإلهية، فإنه يعرض نفسه للإصابة بهذا الابتلاء أكثر من الساكت الذي لا يشكر ولا يسخر، والشكر وحده هو الذي يدفع الإصابة بذلك البلاء، وهناك روايات تشير إلى أن من غير مؤمنًا فإنه لا يخرج من الدنيا حتى يُصاب بنفس ما غير به غيره، كما ورد ذلك في قول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من غير مؤمنًا بشيء لم يمت حتى يركبه»<sup>(٥٣٧)</sup>. فلماذا السخرية من المبتلى؟ أسبب أن الله تعالى ألبسنا ثوب العافية وحرمه منه؟ فهل كان لنا الخيار في ذلك، أو كان لهذا المبتلى الخيار فيه؟ ولماذا الافتخار على المبتلى؟ أهو بعمل قد عملناه فحصلنا على السلامة، أم كان الابتلاء نتيجة تقصير منه لذلك أصيب به؟. إن العقل يأبى لصاحبه أن يكون ساخرًا بمبتلى أو مفتخرًا عليه، فإن لم يكن أمثال هؤلاء من أهل الدين فليكن من أصحاب العقول.

هناك رواية لطيفة جدًا عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن الله جل ثناؤه ليعتذر إلى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الأخ إلى أخيه، فيقول: وعزتي وجلالي ما أحوجتك في الدنيا من هوان كان بك عليّ، فارفع هذا السجف - أي الستر - فانظر إلى ما عوضتك من الدنيا. قال: فيرفع فيقول: ما ضرني ما منعتني مع ما عوضتني»<sup>(٥٣٨)</sup>، فالله سبحانه كريم مع عباده لطيف بهم، ولهذا لا ينبغي أن نسخر ولا نفتخر على مبتلى بفقره أو غيره من ألوان البلاء، وهذان شرطان أساسيان حتى يحظى الإنسان بالحفاظ على النعمة، ولا يزيل الله (سبحانه وتعالى) هذه النعمة منه.

وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله ولا تسمعوهم فإن ذلك يحزنهم»<sup>(٥٣٩)</sup>. وقد مرّ هذا المضمون في رواية سابقة، وهذا التأكيد على عدم إسماع المبتلى هذا الشكر على العافية مما ابتلي به، لأن إسماعه ذلك سيدخل الحزن في قلبه، وإن كان لا يقصد به الإساءة إليه، ولذلك يجب عدم إسماعه حذرًا من أن يؤذيه ذلك ويجعله يتذكر فقدانه هذه النعمة وتعم أكثر الناس بها.

٥٣٧. الكافي ٢: ٣٥٦ ح ٢.

٥٣٨. الكافي ٢: ٢٦٤ ح ١٨.

٥٣٩. الكافي ٢: ٩٨ ح ٢٣.

## شكر المنعم الحقيقي

والنقطة الأخيرة في مسألة شكر النعمة، هي أن نشكر المنعم الحقيقي وهو الله (سبحانه وتعالى)، ولكنه يوصل نعمه إلينا بأسباب طبيعية من خلال عبادته، فمثلاً إذا أراد الله تعالى أن يرزقك يهيئ لك سبباً ما، كأن يُهدي إليك شخص هدية معينة أو يوفر لك فرصة معينة، فهذا موصل كساعي البريد، والمنعم الحقيقي هو الله (سبحانه وتعالى)، وهذا مجرد موصل، ولكن علينا أن نشكر المنعم وأن نشكر الموصل أيضاً، ولا يكفي أن نشكر المنعم فقط، لأنّ هذا بذل جهداً، وقد أرسله الله تعالى وجعله وسيلة، وكل منا يمكن أن يكون وسيلة خير، فيجب أن نشكر الموصل أيضاً.

جاء في رواية يرويهها عمار الدهني قال: «سمعت علي بن الحسين (سلام الله عليه) يقول: إنّ الله يحب كل قلب حزين، ويحب كل عبد شكور، يقول الله (سبحانه وتعالى) لعبد من عباده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يا ربي. فيقول الله (سبحانه وتعالى): لم تشكرني إذ لم تشكره. ثم قال: أشكركم لله أشكركم للناس»<sup>(٥٤٠)</sup>.

بيّن الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة صنفين من الناس يحبهما الله (سبحانه وتعالى)، وهما صاحب القلب المحزون، والعبد الشكور أي الكثير الشكر، والمناسبة في ذكر هاتين الخصلتين أنهما من خصال المؤمن، والحزن ضد الفرح، ومن كان في هذه الدنيا فرحاً فسيكون محزوناً في الآخرة، ومن كان محزوناً هنا كان فرحاً هناك، قال الله (سبحانه وتعالى): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾<sup>(٥٤١)</sup>، أي في الحياة الدنيا كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾<sup>(٥٤٢)</sup>، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٥٤٣)</sup>.

والقلب الحزين هو القلب المنكسر، وقد ورد في الرواية الشريفة: «إنّ الله عند المنكسرة قلوبهم»<sup>(٥٤٤)</sup>، وانكسار القلب هو لحظة استجابة الدعاء، وعندما تدمع العين فاعلم أنّ هذه لحظة استجابة الدعاء. ولذلك ورد في آداب زيارة الأئمة الأطهار من أهل

٥٤٠. الكافي ٢: ٩٩ ح ٣٠.

٥٤١. سورة القصص: الآية ٧٦.

٥٤٢. سورة الرعد: الآية ٢٦.

٥٤٣. سورة آل عمران: الآية ١٦٩ - ١٧٠.

٥٤٤. بحار الأنوار ٧٠: ١٥٧، ح ٣.

البيت) سلام الله عليهم) قراءة إذن الدخول ، فإن انكسر القلب ودمعت العين فاعلم أن هذا هو الإذن بالدخول ، ولا يكون ذلك إلا لمن حزن قلبه .

والصنف الآخر الذي يحبه الله تعالى هو العبد الشكور ، ومن تمام شكر الخالق ، شكر المخلوق الذي كان واسطة لوصول النعمة ، وفي هذا الحديث الشريف ينقل الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ مشهداً من مشاهد يوم القيامة ، ليتجلى بوضوح كامل العلاقة الصميمية بين شكر الخالق وشكر المخلوق ، والمشهد هو «أن الله (سبحانه وتعالى) يقول لعبد من عبده يوم القيامة : أشكرت فلاناً؟ فيقول : بل شكرتك يا ربي» ، ظناً منه أن شكره تعالى وحده على نعمه يغني عن شكر الآخرين . «فيقول الله (سبحانه وتعالى) : لم تشكرني إذ لم تشكره» ، إذن من لم يشكر المخلوق لم يشكر الله تعالى . ثم يبين الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا المفهوم الأخلاقي الرفيع بقوله : «أشكركم لله أشكركم للناس» ، فجعل ميزان كثرة شكر الله تعالى هو أن يكون الإنسان أكثر شكراً للناس . وبهذا الكلام النوراني تتبدد الظلمات عن التصورات الخاطئة التي تعشش في أذهان البعض ؛ أن الاكتفاء بشكر الله تعالى يغني عن شكر من كان وسيلة في وصول النعمة . ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى ما أشار إليه القرآن الكريم في الترابط الوثيق بين السبب والواسطة في وصول النعمة ، في حكاية قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لزيد : «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» (٥٤٥) .

وهناك رواية أخرى في هذا السياق عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : «من حق الشكر لله تعالى أن يشكر من أجرى تلك النعمة على يده» (٥٤٦) ، والمعنى أن لشكر الله تعالى حقاً لا يتم إلا باستيفائه ، وهذا الحق هو شكر الإنسان الذي جعله الله تعالى وسيلة وطريقاً لوصول النعمة إلينا ، إذن فشكر المنعم وشكر الموصول لهذه النعمة أمران مترابطان لا يجوز التفكيك بينهما . وهذا أيضاً من آداب الشكر .

أكتفي بهذا المقدار ، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٥٤٥ . سورة الأحزاب : الآية ٣٧ .

٥٤٦ . مستدرک الوسائل ١٢ : ٣٥٧ .



## المحاضرة الأخلاقية الخامسة

بتاريخ ٢٠١٤/٢/١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين .

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن الأخوة الإيمانية، والحقوق المترتبة عليها، وقد أكملنا الحديث عن الحق الخامس عشر (شكر نعمة الأخ المؤمن)، ومنتقل للحديث عن الحق السادس عشر

### الحق السادس عشر / نصرة المؤمن

يتجلى هذا الحق بقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرواية الكريمة التي وضعناها أساساً لهذا البحث: «يحسن نصرته»، فلا يكفي أن تنصر أخاك المؤمن، بل عليك أن تحسن هذه النصرة، أي تنصره بشكل صحيح، وأن تنصره بكمال النصرة.

وهذا يدعونا الى أن نقف قليلاً عند أساليب أداء الواجب، أي أداء العمل والخدمة، فلو فرضنا أن إنساناً يعمل في مكان ما مدرساً يقول: إني أبحث عن تعيين لأقضي بعض الوقت في الوظيفة لإسقاط الواجب، ثم أذهب للتدريس الخصوصي حيث المال الوفير. فهل يمكن قبول مثل هذا الكلام من شخص كل ما يفكر فيه هو مجرد الحضور في المدرسة لكي لا يقطع مرتبه الشهري ولا تعاقبه الوزارة؟ وليس مهمًا عنده بعد ذلك أفهم التلاميذ الدرس أم لم يفهموا، وأعطى للدرس حقه كما ينبغي أم لم يعطه. ولا يمكن أن يقال لمثل هذا المعلم إنه قد أحسن التعليم، وإن وقف في الصف وسرد



المعلومات المتعلقة بالموضوع كاللبغاء، ثم ينصرف بعد أن يدق الجرس، غير أنه باستيعاب الطلاب للدرس. إن حسن التعليم والتدريس هو أن يعطي المعلم والمدرس حق الدرس، بحيث يخرج من قاعة الدرس وهو على يقين بأن الطلاب قد فهموا الدرس فهماً جيداً، وأن يكون حريصاً على استيعابهم للدرس ولو بتنوع أساليب التدريس؛ من خلال الإجابة عن الأسئلة وتكرار المادة الدراسية وتبسيطها، وتكليف الطلاب بواجبات بيتية، واستعمال أمثلة وأساليب توضيحية لإيصال المعلومة إلى أذهان الطلاب، إلى غير ذلك مما كنا نراه من معلمي ومدرسي الجيل السابق في مدارسنا العراقية. إذن فهناك فرق واضح بين التدريس وحسن التدريس، وكذلك الأمر هنا؛ فهناك فرق بين مجرد النصرة وحسن النصرة.

ومثال آخر: سلوك الموظف في دائرة من دوائر الدولة مع المراجع الذي جاء خطأ إلى هذا المكان وكان عليه مراجعة دائرة أخرى، فيوجهه الوجهة الصحيحة ويعطيه العنوان الصحيح، أو مراجع لا يعرف الطرق الروتينية التي تمر بها المعاملة، فيرشده إلى أي موظف يذهب وكيف يملأ الاستمارة وما المطلوب منه... ومثل هذه الأعمال لا تعتبر إسقاطاً للواجب فقط، لأنه يقوم بعمله على أحسن وجه وفي أعلى درجات المسؤولية والحرص على أداء الواجب الوظيفي، ويتعداه إلى حد الإنصاف.

وهناك مرتبة ثالثة وهو صاحب المشروع الحريص الذي لا يكتفي بالإنصاف، والذي يرى الطلاب أبناء له، ولا يكتفي بتوفير وتهيئة كل الظروف الملائمة للدراسة، بل يتعداها إلى الأسباب التي تدعو هذا الطالب مثلاً إلى استيعاب الدرس، وعلة شروده الذهني، والمشاكل التي يعاني منها داخل البيت، والاتصال بالديه ومحيطه الاجتماعي في محاولة لحل المشكلة التي يعاني منها في عدم التوجه إلى الدرس، وهذا أمر أكثر من الإنصاف، ومثل هذا المعلم مؤمن بقضية أكبر من مجرد التدريس الجيد وبذل الوسع في إيصال المادة العلمية للطلاب؛ فهو بالإضافة إلى ذلك مصلح اجتماعي كرس حياته لإنقاذ المجتمع، فالأب أحياناً يعجز عن إصلاح ابنه ولا يستطيع أن يعدل سلوكه بالرغم من استعماله جميع الوسائل، ولكن هذا المدرس صاحب الإيمان بالقضية، يبذل المزيد من وقته من أجل حل مشكلة أمثال هؤلاء الطلاب، لعله يستطيع علاج مشاكلهم قبل أن تستفحل ويتحولوا إلى فريسة سهلة بأيدي أصحاب التوجهات المنحرفة في المجتمع. فالمرتبة العالية من تحمل المسؤولية، هي أن يشعر الإنسان بأنه مؤمن بالمهمة المناطة به وحريص عليها؛ فهو لا يكتفي بأداء مهمته الوظيفية في حدود عمله زماناً ومكاناً، بل يكرس حياته من أجل المشروع الذي آمن به في الإصلاح. إنه مستعد أن يعطي كل شيء

من أجل العمل الذي نذر نفسه له ، ويتخطى حدود المسؤولية المناطة به ، وهو بذلك لا يريد من أحد جزاء ولا شكورا ، فهو يرى نفسه صاحب مشروع ، ولذا نراه محروق القلب تجاه هذه القضية .

فمعنى «يحسن نصرته» أي من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يحسن نصرته ، فيقف معه حتى الموت ، فهو كأخيه من أمه وأبيه ، بل هو أكثر من ذلك ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(٥٤٧)</sup> ، أي أن أقرب الناس لإبراهيم عليه السلام حتى من ابنه هم الذين آمنوا به ، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ والذين آمنوا معه . فالأخوة الإيمانية مقدّمة على الأخوة النسبية ، والأخ المؤمن أكثر قرباً من الأخ النسبي ، ولذا يجب أن أقف معه أكثر ، وأكون محروق القلب بشأنه ، ومهما سمعت منه فلا أتركه ، وأبقى معه إلى آخر الخط .

فهذا هو معنى حسن النصره ، أي انصر أخاك على عدوه الظالم له ، وانصره على نفسه إذا سوّلت له ركوب طريق الخطأ أو الخطيئة . ولا تقبل من عاذل عدله ، ولا من لائم لومه ، في ترك أخيك وأداء ما عليك من حق تجاهه ، فانظروا إلى عظمة حق المؤمن على المؤمن .

وأخيرا اسمحوا لي أن أتلو على مسامعكم هذه الآيات المنسوبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ أَخَاكَ الصَّدَقُ مَنْ يَسْعَى مَعَكَ      وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ  
وَمَنْ إِذَا عَايَنَ أَمْرًا قَطَعَكَ      شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

وأخو الصدق يعني الصدوق ، وهو من يحسن نصرته أخيه ، وتتجسد هذه النصره بالسعي للأخ المؤمن والوقوف معه ، وبإلحاق الضرر بالنفس من أجل أن يفيد ، فيسهر معه عندما تواجهه مشكلة ، ويضع نفسه في فوهة المدفع ليدفع عنه ، ويتلقى السهام لثلا يصيبه مكروه ، وإذا رأى أمراً فيه خطر عليه واستهداف له ضييع نفسه ليحفظه ، فيضحى بنفسه من أجله ، ويفديه بنفسه ويقدمه عليها ، فهذا هو الأخ الصدوق الذي يجب حسن نصرته ، وهذه هي العلاقة الإيمانية التي يجب أن توجد بين المؤمنين ، وبهذا المستوى من النصره والمؤازرة والمحبة والمودة نستطيع أن نغلب الآخرين ، ممن هم على طرف نقيض مع الإسلام والإيمان .

٥٤٧ . سورة آل عمران : الآية ٦٨ .

## النصر والهزيمة في المنظور الإلهي

وردت في القرآن الكريم آيات تبين أن النصر حليف المؤمنين كقوله تعالى: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(٥٤٨)</sup>، وكقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾، أي إن كلمة النصر هي التي سبقت، فالله (سبحانه وتعالى) يقول لقد قلناها لأنبيائنا؛ إن النصر معكم دائماً، ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾<sup>(٥٤٩)</sup>، أي إن الظفر والغلبة لجند الله دائماً، فالنصر لأنبياء الله والظفر لمشروع الله، فلا ينبغي أن يتردد أحد أو يشك في أن النصر إنما هو لمشروع السماء لا غير.

وقد يقول البعض: لقد قتل الأنبياء، وقد قال الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: «ما منا إلا مقتول أو مسموم»<sup>(٥٥٠)</sup>، وتقطعت أشلاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، بينما يقول الله (سبحانه وتعالى): ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾، ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ و﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾، فكيف يُتصور ذلك؟ ونحن نرى كبوات وتلكؤات، ونجد أحياناً انكسارات عسكرية، ففي أحد هُزم المسلمون مع أنهم كانوا بقيادة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكيف ينسجم هذا الواقع مع هذه الآيات؟.

والجواب واضح؛ فهذه الآيات ناظرة إلى المسار العام لحركة الرسالات الإلهية، لا إلى حالات خاصة في مقاطع زمنية متفاوتة، فقد خسر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في جولة، ولكن كان النصر حليفه في نهاية المطاف وهزم المشركين، وطهر أرض جزيرة العرب من عبادة الأوثان، فالعبرة بالنتيجة وليست في تفاصيل بعض المعارك خلال مسيرة الحرب الطويلة، فإذا خسر جولة وكسب المعركة فمن هو المنتصر؟ أليس المنتصر هو الذي يكسب المعركة؟ والحرب كر وفر كما يقولون؛ خطوات للأمام وخطوة للخلف، وهنا قد يتقدم العدو وهناك نتقدم عليه، والمهم هو حينما تنتهي المعركة ويحسم الصراع ونرى من هو المنتصر.

وكذلك كان الإمام الحسين عليه السلام في عصر يوم عاشوراء شهيداً على رمضاء كربلاء، ونعتبر أنه قد خسر المعركة، ولكن لو نظرنا اليوم إلى ملحمة كربلاء وسألنا هل انتصر الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء أم انكسر؟ فإذا كنا لا نعرف الجواب فما علينا إلا أن نتظر في كل عام أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، وحينئذ سنرى الجواب

٥٤٨ . سورة المجادلة: الآية ٢١ .

٥٤٩ . سورة الصافات: الآية ١٧١-١٧٣ .

٥٥٠ . بحار الأنوار ٢٧ : ٢١٧ ، ح ١٨ .

في ساحات كربلاء، حيث يخرج إليه عشرون مليون زائر من المؤمنين به ومن مختلف بقاع الدنيا، يمشون على الأقدام مئات الكيلو مترات، وفي المقابل نسأل أين قبر يزيد بن معاوية؟ وهل هناك من يريده أو من يسير إليه؟ وهل هناك من يتشرف بالانتماء إليه؟ إذن هذا هو النصر العظيم.

لقد كابد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الأمرين حتى قال: «ما أُوذِي نبي مثلما أُوذيت»<sup>(٥٥١)</sup>، فقد تحمل المعاناة والآلام وبقي محاصراً ومعزولاً في مساحة ضيقة، ولكننا نرى اليوم ظهوراً للإسلام بشر به الله (سبحانه وتعالى) بقوله: «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ»<sup>(٥٥٢)</sup>، فقد أخذ الإسلام مدياته في العالم، ونسأل من هو المنتصر اليوم، هل هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أم أبو سفيان؟ وهل يزور أحد قبر أبي سفيان؟ وهل يتشرف إنسان بالانتماء إليه؟ وهل يوجد من يعتز ويفتخر به؟ لقد ذهب كل هؤلاء إلى مزابل التاريخ، وبقيت راية الحق خفاقة.

ولهذا لا ينبغي أن نستعجل في الحكم عندما نرى كثرة الإخفاقات في المديات القصيرة، لأننا عندما ننظر إلى المسار العام نرى دوماً الانتصارات هي سيدة الموقف، فالمشروع الرسالي مشروع منتصر لا محالة، وهذا الانتصار هو الذي يذكره الله (سبحانه وتعالى) لرسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وللمؤمنين.

انظروا إلى قوله تعالى في سورة المؤمن: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا» أي نصرهم على أعدائهم، وهذا أمر واضح، «وَالَّذِينَ آمَنُوا» أي ونصر الذين آمنوا أيضاً، فلا تقتصر على نصر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بل نصر المؤمنين أيضاً، وهذا النصر سيكون حليفهم، «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ»<sup>(٥٥٣)</sup>، نصرهم في هذه الدنيا، وهناك نصر آخر مدخر لهم يوم القيامة، ولاحظوا هنا التعبير القرآني عن يوم القيامة بـ «وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ»، فمن هم الذين يقدمون للشهادة في يوم القيامة؟ إنهم الله والملائكة والأنبياء والمؤمنون، فالملائكة والأنبياء والمؤمنون يُستقدمون للشهادة بين يدي الله (سبحانه وتعالى)، ولهذا سُمِّي يوم القيامة بيوم الشهادة، فهو اليوم الذي تقدم فيه الشهادة بحق الناس، فمن يشهد بحقنا هم الملائكة والأنبياء، والأئمة الأطهار (سلام الله عليهم) يشهدون أيضاً لأنهم

٥٥١. بحار الأنوار ٣٩: ٥٦.

٥٥٢. سورة التوبة: الآية ٣٣.

٥٥٣. سورة المؤمن: الآية ٥١.

امتداد للأنبياء، وقد ورد التأكيد على هذا المعنى في زيارات المعصومين أيضاً: «أشهد أنك تشهد مقامي وتسمع كلامي»<sup>(٥٥٤)</sup>، والمؤمنون يشهدون أيضاً.

### شروط النصر

إذن فالنصر لله ولرسوله وللمؤمنين، ولكن لهذا النصر شروط يجب أن تتوفر حتى يتحقق، فإذا نجحنا في تحقيق الشروط تحقق الانتصار، وإذا أخفقنا في تحقيق الشروط لم يتحقق الانتصار، فالمشكلة ليست في القاعدة الإلهية للنصر ولكن المشكلة فينا، فنحن الذين أخفقنا، ولكن القاعدة الإلهية تقول إن النصر لنا على الدوام، فما الشروط التي يتوقف عليها النصر الإلهي؟.

لاحظوا هذه الآية الشريفة من سورة آل عمران التي ذكر فيها بعض هذه الشروط: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥٥٥)</sup>.

### الشرط الأول: عدم الضعف والقلق

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: أي لا تضعفوا في المعركة، ولا تنكسروا، وكونوا أقوياء وثابتين وواثقين بالله (سبحانه وتعالى). ﴿وَلَا تَحْزِنُوا﴾: أي لا تقلقوا من المشاكل، ولا تحملوا همًا للمعاناة والمحنة وكثرة الأعداء، وكونوا صبورين، فإن لم تضعفوا ولم تقلقوا فإن الله (سبحانه وتعالى) يحقق لكم النصر: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي أنتم غالبون، ولكن هذا النصر الذي يعدنا الله تعالى به لا يتحقق إلا بشرط الإيمان: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

### الشرط الثاني: التغيير نحو الأحسن

وفي سورة الأنفال إشارة إلى شرط آخر من شروط النصر، في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٥٥٦)</sup>.

هل تريد أن تقعد في بيتك ويأتيك النصر؟ كلا طبعاً، فسيدخل عليك مجرمو داعش ويذبحونك مع أطفالك، فلا بُدَّ من الحركة والاستعداد للمواجهة، والتغيير يجب أن

٥٥٤. مستدرک الوسائل ١٠: ٣٤٥، ح ١.

٥٥٥. سورة آل عمران: الآية ١٣٩.

٥٥٦. سورة الأنفال: الآية ٥٣.

يبدأ من هنا، والخطوة الأولى يجب أن تبدأ من هنا، ولولا فتوى المرجعية، ولولا استجابة شبابنا وأبنائنا لهذه الفتوى والإسراع إلى ساحات الجهاد، ما كانت لدينا اليوم هذه العزة والكرامة، ولما كنا نجلس في بغداد آمين، هذه سنة إلهية في النصر وهي أن نغير نحو الأفضل، ونمنع من تغيير الأمور الحسنة إلى السيئة، وأن نغير أمورنا السيئة إلى أمور حسنة، هذا هو المنهج، وهذا هو الشرط الأساسي في تحقيق الانتصار.

### الشرط الثالث: عدم محبة أعداء الله

يقول الله (سبحانه وتعالى) في الآية الشريفة: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، لا يمكن أن ترى مؤمناً حقيقياً بالله وباليوم الآخر وهو يحب ويوالي من عادى الله ورسوله، إذ كيف يمكن لمؤمن أن يودّ أعداء الله ورسوله؟ وكيف يمكن أن يتقرب إليهم؟ وكيف يمكن أن يفتح عليهم ويعطي في قلبه حيزاً لهم؟ فهؤلاء أعداء الله ورسوله، ولا يمكن أن يكون الإنسان مؤمناً وهو يحب أعداء الله وأعداء رسوله؛ لأنّ النور والظلمة لا يمكن أن يجتمعا، وكذلك محبة الله ومحبة أعداء الله لا يمكن أن تجتمعا في قلب واحد. «وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ»<sup>(٥٥٧)</sup>، حتى لو كان أعداء الله ورسوله هم أقرب الناس إلينا؛ كأبائنا أو أبنائنا أو إخواننا أو أحد أقاربنا، فلا يجوز أن نحبهم، فإذا كان هذا الإنسان عدواً لله ولرسوله، مهما كان قريباً، فلا يمكن أن يكون محباً لي، ولا يمكن أن أكون محباً له، ولا يمكن أن أعطيه الولاء والمحبة.

نعم قد يجامل الإنسان أناساً وتكون له علاقات إنسانية في المجتمع فهذا شيء آخر، ولكن الولاء والمودة والثقة والمشاعر لا تعطى إلا للمؤمنين، ولا يمكن أن يكون الإنسان مؤمناً وهو يعطي مشاعر الحب والولاء لأعداء الله وأعداء رسوله.

وقد أشارت هذه الآية المباركة إلى أربعة عناوين ممن هم أقرب الناس إلى الإنسان، وهم الآباء والأبناء والإخوان والعشيرة، ولكن في آية أخرى هناك إشارة إلى عنوانين إضافيين، وهي قوله تعالى في سورة التوبة: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا»، أموال كسبتموها.. حصلتكم عليها، «وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا»، إن كانت عندكم تجارة مع المعاندين من أعداء الله، وتخافون إن ارتبكت علاقتكم بهم أن تضيع هذه التجارة، «وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا» أي مساكن

٥٥٧. سورة المجادلة: الآية ٢٢.

تعجبكم ، ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ ، إذا كانت علاقتك بهذه الأشياء أشد من علاقتك بالله ورسوله والجهاد في سبيله فإن النتيجة هي : ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ ، فانظروا وانظروا كيف يكون عذاب الله ، وكيف سينزل بكم في العاجل والآجل ، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٥٥٨)</sup> ، وهكذا نرى أن في الآية الأخيرة تفصيلاً أكثر؛ فقد ذكرت عناوين إضافية ، بينما اقتضت الآية الأولى على العناوين الأربعة ، وهي الأقرب للإنسان ، فإذا كان هناك شخص يحب أباه أو ابنه أو أخاه أو عشيرته ، أكثر من حبه لله ورسوله والجهاد في سبيل الله ، فلينتظر ما سيحل به في القريب العاجل ، وقد وصفه الله (سبحانه وتعالى) بالفسق ، وإذا كان فاسقاً فهو مطرود من الهداية الإلهية ومحروم منها ، اللهم إلا أن يتدارك نفسه بالتوبة إلى الله ((عز وجل)).

أكتفي بهذا المقدار ، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



## المحاضرة الأخلاقية السادسة

بتاريخ ٢٠١٤/٢/١٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن الأخوة الإيمانية، وحقوق المؤمن على أخيه المؤمن، واستعرضنا ستة عشر حقا منها، ننتقل اليوم إلى الحديث عن الحق السابع عشر.

### الحق السابع عشر/ حفظ حليلة المؤمن

يتبين هذا الحق من قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الرواية التي نقلناها في صدر البحث: «يحفظ حليلته»، والحليلة هي الزوجة. فمن حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يحفظ زوجته من حيث حفظ خدره وكرامته وعرضه.

يجب عليك حفظ عرض الأخ المؤمن كما لو كان عرضك، وعليك أن تحفظه في البعد الديني، والبعد الاجتماعي والبعد السلوكي، ويجب عليك أن تخاف عليها كما لو كانت زوجتك.

الأخ المؤمن يزور أخاه المؤمن، ثم تتطور العلاقة بينهما وتتحول إلى علاقة عائلية، وربما رفعت الحشمة بين العائلتين فيجلسان معا على مائدة واحدة، وربما امتد نظر البعض إلى البعض الآخر، وربما تطور الأمر إلى تبادل الحديث والابتسام، وربما تطور الأمر أكثر وأكثر. وفي العلاقة الإيمانية ينبغي أن تقف هذه العلاقة عند حدودها



الشرعية ولا تتجاوزها، ويجب أن تبقى الحرمات محفوظة، ولكن مع الأسف نجد أن هناك تساهلاً في مجتمعنا في هذا الموضوع، ولذا ينبغي أن يبقى الحجاب مسدولاً بين المؤمن وزوجة أخيه المؤمن، فالإنسان كتلة من المشاعر والعواطف والأحاسيس تؤثر فيه النظرة والكلمة والابتسامة والحركة، لئلا يجد الشيطان لعنه الله ثغرة ينفذ منها، لأنه حاضر في كل مكان وزمان يتربص بعدوه الإنسان ليزله عن الطريق. ولهذا علينا أيها الإخوة عدم التساهل في هذا الموضوع أبداً وتحت أي ذريعة كانت، ويجب أن تبقى الحرمات محفوظة على كل حال.

ومن مصاديق حفظ حليلة الأخ المؤمن، أن يكون حرصه على حفظ عرض أخيه، كحرصه على حفظ عرضه، فتتحول الحالة الاجتماعية إلى حالة مؤازرة، وكل عينه على عرضه وعلى أعراض المؤمنين، وعند ملاحظة أي خلل وأي تسامح يبادر إلى وضع حد له، فمثلاً إذا رأيت زوجة أخي المؤمن في حالة غير لائقة أو في سلوك غير طيب، وهي لم تكن قاصدة لشيء، بل هي مسترسلة، فيجب تنبيهها بالكلمة الطيبة، وعندها تكون هناك حالة من التضامن وينضبط المجتمع، فالانحرافات تبدأ بخطوة ثم تليها خطوة ثانية ثم تليها خطوة ثالثة، ثم يرى الإنسان فجأة أنه قد وصل إلى نقطة لم يتصور أن يكون فيها.

ويجب علينا أيها الإخوة بوصفنا بشراً ولسنا ملائكة، أن نتعامل بواقعية وحذر مع كل ما حولنا، فإننا ننطوي بين جنابتنا على نفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، ولهذا على كل واحد منا أن يحفظ حليلته أولاً، ثم ينطلق لحفظ حليلة أخيه المؤمن من أن تتعرض إلى أي سوء.

### الحق الثامن عشر/ قضاء حاجة المؤمن

يتضح هذا الحق من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن بقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقضي حاجته»، فالمؤمن يقضي حاجة أخيه المؤمن، وهذا من أهم الحقوق، وقد ورد الكثير من النصوص الشرعية في هذا الموضوع، وفي التأكيد على أهمية قضاء حوائج المؤمنين.

## قضاء الحوائج في الروايات

نحاول هنا كما في سائر الحقوق الأخرى أن نلقي نظرة سريعة على الروايات الواردة في هذا الموضوع، لكي نكتشف مدى أهميته، والأجر العظيم الذي أعدّه الله (سبحانه وتعالى) لكل مؤمن يسعى في قضاء حاجة أخيه المؤمن. وقضاء الحوائج بشكل عام هو من الأمور المهمة في الشريعة، كما أن له دورًا عظيمًا وكبيرًا في حياة الناس.

الرواية الأولى: ورد في بحار الأنوار عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «من كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته ما كان في حاجة أخيه»<sup>(٥٥٩)</sup>.

تتحدث هذه الرواية المباركة عن المكافأة العظيمة التي يحصل عليها من يسعى في قضاء حوائج إخوانه المسلمين، ألا وهي أن الله (سبحانه وتعالى) يكون في قضاء حوائجه في طول المدة التي يسعى فيها في قضاء حوائج إخوانه، أي أنه كلما كثرت حاجات إخوانه إليه واستغرق قضاؤها وقتًا أكثر، قضى الله (عزّ وجلّ) له عددًا أكبر من حوائجه الشخصية. فمن انشغل في قضاء حاجة أخيه المسلم وقضى وقتًا في هذا الأمر، كان الله (سبحانه وتعالى) في قضاء حاجته طيلة انشغاله في حاجة أخيه.

فما دمت تمشي في قضية وتسعى في شأن من شؤون الأخ المؤمن، وما دمت مشغولًا بقضاء حاجة أخيك المؤمن، فإنّ الله (سبحانه وتعالى) أيضًا يكلف ملائكة ينشغلون بقضاء حوائجك وحل مشاكلك، ولا تتصور أن هذه بمعزل عن تلك، فالإنسان الذي يقضي حياته بالسعي في حوائج المؤمنين، يقيض الله (سبحانه وتعالى) له ملائكة يقضون وقتهم في حل مشاكله وتذليل الصعوبات والعقبات التي تواجهه، إلى غير ذلك من الأمور والشؤون.

الرواية الثانية: ورد في بحار الأنوار أيضًا، عن علي بن يقطين، عن موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كان في بني إسرائيل رجل مؤمن، وكان له جار كافر، فكان هذا الكافر يرفق بالمؤمن، ويوليه المعروف في الدنيا، فلما أن مات الكافر بنى الله له بيتا في النار من طين، فكان يقيه حرها، ويأتيه الرزق من غيرها، وقيل له: هذا لما كنت تدخل على جارك المؤمن فلان بن فلان من الرفق وتوليه من المعروف في الدنيا»<sup>(٥٦٠)</sup>.

كان علي بن يقطين المقرب من الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قائدًا للشرطة في

٥٥٩. بحار الأنوار ٧١: ٢٨٦، ح ١١.

٥٦٠. بحار الأنوار ٧١: ٣٠٥، ح ٥٢.

الدولة العباسية، وقد تصدى لهذه المسؤولية في هذه الدولة الجائرة بأمر من الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَام، ليقضي حوائج المؤمنين ويحل مشاكلهم ويخفف من أعبائهم.

يروى علي بن يقطين عن الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَام هذه الرواية المباركة عن الأثر الأخرى للمعاملة الطيبة للمؤمن ولو كانت من كافر، وهي تحكي قصة حسن معاملة كافر لجاره المؤمن في بني إسرائيل، فكان هذا الكافر يرفق بالمؤمن، ولا تخلو المجتمعات من مثل هذه النماذج التي تتعامل مع البشر على أساس إنساني، فترى البعض ممن لا دين له ولا عقيدة صحيحة لديه، ولكنه يمتلك آداباً اجتماعية وصاحب أخلاق جيدة، تنعكس من خلال تعامله مع من يختلفون عنه في الدين والمعتقد، وهو لا ينطلق في حسن معاملته هذه من دوافع دنيوية أو أخروية، وإنما هو يفعل ذلك بدوافع إنسانية نبيلة فقط، ولكن الله (سبحانه وتعالى) لا يسبقه سابق ولا يلحقه لاحق في كرمه وإحسانه، فلا يدع هذا الكافر بلا ثواب على إحسانه لعبده المؤمن في الدنيا، فيعطيه من الجزاء الأوفى الذي يظل هذا الكافر متحيراً منه، فهو يجعله في بحبوحة من العيش وهو في النار، فيبني الله تعالى له بيتاً في النار من طين، يخفف عنه حرارة نار جهنم، ويأتيه الرزق من غير النار، أي أن طعامه يختلف عن طعام أهل النار، فماؤها يغلي في البطون كغلي الحميم، وطعامها يقطع الأمعاء، كما ورد في الأوصاف القرآنية، فطعام النار وشرابها لا يُطاق، وهو عذاب آخر لأهل النار، ولكن هذا الكافر تأتيه قصعته من خارج النار، وعندما يستغرب من هذه الكرامة التي خصه الله تعالى بها، يقول له الملائكة: «هذا لما كنت تدخل على جارك المؤمن فلان بن فلان من الرفق وتوليه من المعروف في الدنيا»، وكنت تقضي حوائجه، فخصك الله (سبحانه وتعالى) بهذه الميزة وأنت في النار.

الرواية الثالثة: عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام قال: «إنَّ لله عبادةً من خلقه يفزع العباد إليهم في حوائجهم، أولئك هم الآمنون يوم القيامة»<sup>(٥٦١)</sup>.

يخبر الإمام عَلَيْهِ السَّلَام في هذا الحديث المبارك عن مجموعة من المؤمنين يلجأ إليهم الناس عند الشدائد وعندما يتعرضون إلى مشكلة ما ليسعفوهم ويقفوا معهم، والإنسان المهتم بقضاء حوائج الناس يُعرف في المجتمع، ويخبر الناس بعضهم بعضاً عندما تعرض لهم حاجة أن قضاء حاجتك عند فلان. ثم يبشِّر الإمام عَلَيْهِ السَّلَام أولئك بأنهم

الآمنون يوم القيامة حينما يهيمن الفزع والهلع على قلوب الناس في ذلك اليوم، وهم من مصاديق قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِّنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾<sup>(٥٦٢)</sup>.

الرواية الرابعة: ورد في الكافي الشريف عن ابن أبي نصر قال: «قرأت في كتاب أبي الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أبي جعفر: يا أبا جعفر، بلغني أن الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير، فانما ذلك من بخل منهم لثلاثين منك أحد خيراً، وأسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلا من الباب الكبير، فإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ثم لا يسألك أحد شيئاً إلا أعطيته، ومن سألك من عمومته أن تبره فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً والكثير إليك، ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسة وعشرين ديناراً والكثير إليك، إنما أريد بذلك أن يرفعك الله»<sup>(٥٦٣)</sup>.

ينقل الراوي هنا كتاب الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ من خراسان إلى ابنه الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما أسكنوه دار الإمارة في المدينة المنورة، وعاملوه معاملة الأمراء باعتبار أن أباه كان ولياً للعهد في خلافة المأمون العباسي، ويظهر من هذا الكتاب الكريم أن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يتابع أخبار عائلته في المدينة عن كثب، فوصله خبر أن ولده الوحيد محمد الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ كان إذا أراد الخروج أخرجته الموالي - وهم الخدم والحمايات التي كانت في قصر الإمارة - من الباب الخلفي الصغير، ولم يكونوا يخرجونه من الباب الرئيس للقصر؛ لأن الناس من أصحاب الحوائج كانت تقف أمام الباب الرئيس، فكان الموالي يخرجونه من الباب الخلفي الصغير بخلاً منهم أن يقضي الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ حوائجهم، ولثلاثين منك أحد خيراً، وبالرغم من صغر سن الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ آنذاك، إذ لا يتجاوز ثماني سنوات، فإن والده الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ يقسم عليه بحقه عليه، وهو حق الأبوة وحق الإمامة، وفي هذا الأسلوب من الكلام تغليظ شديد وإلحاح أكيد على اتباع ما سيطلبه منه من مطالب، وهي كالتالي:

أولاً: أن يكون مدخله ومخرجه من الباب الكبير للقصر فقط، وألا يخرج من الباب الخلفي كما يفعله معه جلاوزة السلطان.

ثانياً: إذا ركب للخروج من القصر ليكن معه من الدنانير والدراهم ما يكفي ليعطي كل من يسأله.

ثالثاً: أن يعطي من يسأله من عمومته خمسين ديناراً فأكثر، وكان الدينار آنذاك يعادل

٥٦٢. سورة النمل: الآية ٨٩.

٥٦٣. الكافي ٤: ٤٣ ح ٥٦٣.

متقلاً من الذهب، أي يعطي خمسين مثقالاً من الذهب في الأقل، وأن يعطي من تسأله من عماته خمسة وعشرين ديناراً فأكثر، وكان أعمام وعمات الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ خمسة وثلاثين فرداً. وقد حدّد الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ لولده الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ الحد الأدنى من العطاء، وترك له الباب مفتوحاً أن يزيد ما شاء، كل بحسب حاجته ومقدار مؤونته، ومن هنا ندرك سر لقب «الجواد» الذي حمله إمامنا محمد بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثم بيّن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ لولده محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ الهدف الذي من أجله يوصيه بهذه الوصايا، لئلا يتصور من يطلع على هذا الكتاب بعد ذلك أنّ الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ يريد الدنيا لولده بهذه الأعمال، فيقول له: «إنما أريد بذلك أن يرفعك الله»، فالهدف إذن أخروي لا دنيوي وإن كانت وسائله دنيوية بحتة، إذ الأعمال بالنيات، وهذه الأعمال إذا اقترنت بنية التقرب إلى الله جل جلاله لا شك أنها ستكون مدارج للرفعة والكمال والحظوة الكبيرة عند الله (عزّ وجلّ). ونلاحظ هنا أنّ الإمام المعصوم يحتاج أيضاً إلى ممارسة هذه الأعمال لينال حظوة أعظم عند الله (عزّ وجلّ). وأما الأبعاد السياسية لهذا السلوك فستكون له نتائج كارثية على الحكم العباسي، ونعرض عن الخوض فيها لسكوت الرواية عنها، ولعدم علاقتها بالموضوع محل البحث.

«فأنفق ولا تخش من ذي العرش اقتاراً»: أي أنفق على هؤلاء الناس واقض حوائجهم ولا تخش الفقر والفاقة، فإنّ الله تعالى سيمدك بما تحتاج إليه ما دمت تنفق في هذا السبيل، ولكن عليك أن تنفق بحكمة ومنطق وأن تضع المال في محله، والله (سبحانه وتعالى) يعوضك عن هذا الإنفاق. ومن كل ذلك نعلم أنّ قضاء حوائج الناس مسألة في غاية الأهمية.

أكتفي بهذا المقدار، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## المحاضرة الأخلاقية السابعة

بتاريخ ٢٠١٤/٢/٢٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين .

مازلنا في الأخوة الإيمانية، وحقوق المؤمن على أخيه المؤمن، وكان حديثنا في اللقاء السابق عن الحق الثامن عشر، وهو (قضاء حاجة المؤمن)، إذ تحدثنا عن فضل قضاء حاجة الناس بشكل عام في الروايات، واليوم ننتقل إلى الحديث عن (فضل قضاء حاجة المؤمن) بشكل خاص .

### فضل قضاء حاجة المؤمن

أما قضاء حاجة المؤمن الذي هو أخص من قضاء حوائج الناس، فله بحث آخر في فضله، وفي أنه حق من الحقوق التي جعلها الله (سبحانه وتعالى) على عباده .

الرواية الأولى: عن أبي الأعز النخاس، قال: سمعت الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «قضاء حاجة المؤمن أفضل من ألف حجة متقبلة بمناسكها، وعتق ألف رقبة لوجه الله، وحملان ألف فرس في سبيل الله بسرجهما ولجمها»<sup>(٥٦٤)</sup>.

يتحدث الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الكريمة عن عظيم ثواب قضاء حاجة المؤمن، فهي تعادل من الثواب ما يعجز أن يأتي به عابد عامل من الطاعات والصدقات ولو عمّر ألف عام، ويذكر الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا ثلاثة أنواع من الثواب على ثلاثة أنواع من الطاعات، التي بمجموعها لا تعادل ثواب قضاء حاجة واحدة من حاجات المؤمن :

٥٦٤ . بحار الأنوار ٧١ : ٢٨٤ ، ح ٥٦٤ .

الأول: ثواب ألف حجة متقبلة، والمقصود هنا ثواب الحج المستحب؛ إذ الواجب على المسلم هو الحج مرة واحدة في العمر مع القدرة والاستطاعة، ولا يجب عليه أكثر من واحدة ولو كان مستطيعاً. وذكر «متقبلة» هنا لأن أغلب الناس حجهم باطل وغير مقبول، وقد كشف عن هذه الحقيقة الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما كشف الغطاء لأحد المؤمنين فرأى قليلاً من البشر فقط يطوفون حول الكعبة، وأكثر الباقين بهيئة حيوانات، وعندما سأله عن ذلك قال: «ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج»<sup>(٥٦٥)</sup>، فكيف وأكثر الناس لا يستطيع أن يأتي بالحج أكثر من مرة واحدة في العمر، هذا إذا كانت متقبلة، وأما قضاء حاجة المؤمن فهي تزيد على ثواب ألف حجة متقبلة بجميع مناسكها.

الثاني: ثواب عتق ألف رقبة لوجه الله تعالى، مع أن عتق رقبة واحدة فيه من الثواب الجزيل الذي لا يخطر على قلب بشر كما ذكرت الروايات، فكيف بثواب عتق ألف نسمة من رق العبودية؟.

الثالث: ثواب حملان ألف فرس في سبيل الله بسرجهما ولجمها، والمقصود به ثواب تجهيز جيش المسلمين بألف فرس بكامل لوازمها، أي ما يعادل تجهيز المجاهدين بألف آلية عسكرية في سبيل الله تعالى.

واعلموا أحبائي أن كلام المعصوم لا مبالغة فيه، ولا تتصوروا أن هذا على الله كثير، فالله (سبحانه وتعالى) جواد كريم لا تنقص خزائنه بكثرة العطاء، بل يزداد جوداً وكرماً. وثواب قضاء حاجة المؤمن يزيد على كل هذا الأجر العظيم.

الرواية الثانية: عن الإمام الصادق عن أبيه عن آبائه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وهذه من روايات السلسلة الذهبية - قال: «والله لقضاء حاجة المؤمن خير من صيام شهر واعتكافه»<sup>(٥٦٦)</sup>، يقسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك على أن ثواب قضاء حاجة واحدة للمؤمن، أفضل من صيام شهر كامل يصومه الإنسان وهو معتكف في المسجد بعيداً عن الناس، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى إليه من رب الأرض والسماء، ولو أن مؤمناً قضى في كل يوم حاجة واحدة لمؤمن من حوائج الدنيا، فمعنى ذلك أنه يحصل من الثواب على أفضل من ثواب صيام ألف شهر معتكفاً.

الرواية الثالثة: عن النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من قضى لمؤمن حاجة قضى

٥٦٥. مستدرک الوسائل ١: ١٥٧، ح ٢٢.

٥٦٦. بحار الأنوار ٧١: ٢٨٥، ح ٦.

الله له حوائج كثيرة، أدهان الجنة<sup>(٥٦٧)</sup>. الذي يظهر من هذا الحديث المبارك أنّ هناك أموراً أكثر من الجنة، ولعل أحدها هو رضوان الله (سبحانه وتعالى)، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَسَاكِينٌ ظَلِيمَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾<sup>(٥٦٨)</sup>.

الرواية الرابعة: عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله (سبحانه وتعالى): عليّ ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنة<sup>(٥٦٩)</sup>. وقد جاء نظير هذا التعبير في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(٥٧٠)</sup>، أي أن هذا الثواب لا حساب له، ولا يعلم مقداره إلا الله (عزّ وجل). وهذا يعني أنّ ثواب قضاء حاجة المؤمن لا حصر له بعدد مهما كان ذلك الرقم كبيراً جداً، أي أنّ ثوابه لا نهاية له في تعبيراتنا الحسابية اليوم.

الرواية الخامسة: عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنّ لله (عزّ وجل) وجوهاً خلقهم من خلقه، وأمّشاهم في أرضه لقضاء حوائج إخوانهم، يرون الحمد مجدداً<sup>(٥٧١)</sup>، أي أنّ الله (عزّ وجل) خلق أناساً وجعلهم وجوهاً معروفة بين خلقه يسعون لقضاء حوائج إخوانهم المؤمنين، ومن سماتهم أنهم يرون الحمد مجدداً، أي أنهم لا يريدون شيئاً جزاء على أعمالهم، ومجددهم هو قول: الحمد لله رب العالمين حينما يوفقههم الله لقضاء حوائج المؤمنين.

الرواية السادسة: عن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أحسن يا إسحاق إلى أوليائي ما استطعت، فما أحسن مؤمن إلى مؤمن ولا أعانه إلا خمش وجه إبليس وقرّح قلبه<sup>(٥٧٢)</sup>»، يوصي الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أحد أصحابه أن يحسن إلى أولياء الإمام ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ لأنه عندما يساعد أخاه المؤمن فإنه يخمش وجه إبليس لعنه الله ويجرح قلبه، لأنه لا يريد أن يشيع الإحسان بين المؤمنين وتتقوى أواصر المحبة والتعاون بينهم، بل هو يسعى جاهداً إلى أن تسود العداوة والبغضاء بين المؤمنين، كما أخبر بذلك الله (سبحانه وتعالى) بقوله في كتابه الكريم: «إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء»<sup>(٥٧٣)</sup>.

- 
٥٦٧. بحار الأنوار ٧١: ٢٨٥ ح ٧.  
 ٥٦٨. سورة التوبة: الآية ٧٢.  
 ٥٦٩. بحار الأنوار ٧١: ٢٨٥ ح ٨.  
 ٥٧٠. سورة النساء: الآية ١٠٠.  
 ٥٧١. بحار الأنوار ٧١: ٢٨٦، ح ١٢.  
 ٥٧٢. بحار الأنوار ٧١: ٣٠١ ح ٣٨.  
 ٥٧٣. سورة المائدة: الآية ٩١.



الرواية السابعة: عن داود بن سرحان قال: «دخل سدير الصيرفي على أبي عبد الله (صلوات الله وسلامه عليه)، فقال له: يا سدير ما كثر مال رجل قط إلا عظمت الحجة لله عليه، فإن قدرتم أن تدفعوها عن أنفسكم. فقال له: يا ابن رسول الله بماذا؟ قال: بقضاء حوائج إخوانكم من أموالكم»<sup>(٥٧٤)</sup>.

يبين الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ لأحد أصحابه من ذوي الأموال، أن كثرة المال لها تبعات يجب على المؤمن مراعاتها، وإلا كان في الآخرة في خطر، لأن حجة الله (سبحانه وتعالى) عليه ستكون أكبر، لكثرة ما أعطاه من مال. وهنا يتساءل هذا الصحابي عن طريق الخلاص من هذه الحجة، فيجيبه الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن طريقها هو قضاء حوائج المؤمنين المالية.

فالمفتاح لمن أعطاه الله تعالى زيادة على ما يحتاج إليه هو وأهل بيته، هو مساعدة إخوانه المحتاجين والسعي في قضاء حوائجهم بهذه الأموال، وعندها سترتفع حجة الله (سبحانه وتعالى) عنه ويخف حسابه وتزيد في ميزان أعماله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الرواية الثامنة: عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من قضى لأخيه المؤمن حاجة كان كمن عبد الله دهرًا»<sup>(٥٧٥)</sup>، هذه الرواية الكريمة من روايات السلسلة الذهبية أيضًا، يتحدث فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ثواب قضاء حاجة المؤمن بأنه يعادل عبادة الله جل جلاله دهرًا، والدهر يساوي فترة زمنية طويلة جدًا، كما في قوله تعالى: «هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا»<sup>(٥٧٦)</sup>.

الرواية التاسعة: عن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا إسحاق من طاف بهذا البيت طوافاً واحداً كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، وغرس له ألف شجرة في الجنة، وكتب له ثواب عتق ألف نسمة، حتى إذا صار إلى الملتزم فتح الله له ثمانية أبواب الجنة يقال له ادخل من أيها شئت. فقلت: جعلت فداك هذا كله لمن طاف؟ قال: نعم، أفلا أخبرك بما هو أفضل من هذا؟ قال: قلت: بلى. قال: من قضى لأخيه المؤمن حاجة كتب الله له طوافاً وطوافاً حتى بلغ عشرًا»<sup>(٥٧٧)</sup>.

٥٧٤. بحار الأنوار ٧١: ٣٠٢ ح ٣٩.

٥٧٥. بحار الأنوار ٧١: ٣٠٢ ح ٤٠.

٥٧٦. سورة الإنسان: الآية ١.

٥٧٧. بحار الأنوار ٧١: ٣٠٢ ح ٤٦.

بيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا عظيم ثواب قضاء حاجة المؤمن، عن طريق مقايستها بثواب الطواف حول البيت الحرام، وأنها تعادل عشرة أضعاف ذلك الثواب الذي ذكره له، أي أن من قضى حاجة واحدة للمؤمن كتب الله له عشرة آلاف حسنة، ومحا عنه عشرة آلاف سيئة، ورفع له عشرة آلاف درجة، وغرس له عشرة آلاف شجرة في الجنة، وكتب له ثواب عتق عشرة آلاف نسمة. كل هذا ترغيباً للمؤمنين في قضاء حوائج إخوانهم.

الرواية العاشرة: عن الإمام علي بن الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «معاشر شيعتنا أما الجنة فلن تفوتكم، سريعاً كان أو بطيئاً، ولكن تنافسوا في الدرجات، واعلموا أن أرفعكم درجات وأحسنكم قصوراً ودوراً وأبنية أحسنكم فيها إيجاباً لإخوانه المؤمنين وأكثرهم مواساة لفقرائهم، إن الله (عز وجل) ليقرب الواحد منكم إلى الجنة بكلمة يكلم بها أخاه المؤمن الفقير بأكثر من مسير مائة ألف عام وإن كان من المعذبين في النار، فلا تحقروا الإحسان إلى إخوانكم، فسوف ينفعكم الله تعالى حيث لا يقوم مقام ذلك شيء غيره»<sup>(٥٧٨)</sup>.

يتحدث الإمام السجاد في خطابه العام هذا لجماهير الشيعة وبيّن لهم أموراً مهمة هي:

أولاً: إن الجنة مضمونة لهم، ولكنهم يتفاوتون في دخولها، فمنهم من يدخلها سريعاً، ومنهم من يتأخر في دخولها بسبب تأخره في الحساب. وقد تكلمنا سابقاً عن الصراط وكيفية عبوره، وكيف أن البعض يعبره بسرعة كالبرق الخاطف، والبعض الآخر يعبره بسرعة فارس راكب على فرسه، والبعض يعبره بسرعة عداء يركض، والبعض يعبره هرولة، والبعض يعبره مشياً، والبعض يعبره زحفاً، ثم يبدأ الصراط يضيق حتى يراه البعض مثل الشعرة، ويكاد يقع في النار ولكنه يتمسك ويتعلق به إلى أن يعبره، والبعض يسقط في جهنم ويلبث فيها أحقاباً، ثم يخرج منها ويدخل الجنة بعد أن يصفى.

ثانياً: إن التنافس ينبغي أن يكون في درجات الجنة، فإن للجنة درجات كثيرة كما صرح بذلك القرآن الكريم.

ثالثاً: إن أرفع أهل الجنة درجة وأحسنهم قصوراً ودوراً وأبنية، هو من كان في الدنيا أحسن المؤمنين قضاء لحوائج إخوانه المؤمنين، وأكثرهم مواساة لفقرائهم.

رابعًا: إنّ مواساة الفقراء مرة تكون بالمال لمن كان صاحب مال ، ومرة تكون بالكلمة الطيبة لمن لم يكن لديه مال زائد ينفقه على الفقراء . ثم يبيّن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ مقدار ثواب كلمة المواساة للفقير ، بأنّ الله (عزّ وجلّ) يقرب قائلها إلى الجنة أكثر من مسير مائة ألف عام ، ولو كان معدل سرعة الإنسان مشيًا ثلاثة كيلو مترات في الساعة ، فإنّ هذا يعني أنه يقطع مسافة اثنين وسبعين كيلو مترا في اليوم ، وهو يساوي أكثر من خمسة وعشرين ألف كيلو متر في السنة ، فإذا ما ضربت في مائة ألف سنة فإن النتيجة ستكون مليارين وخمسمائة ألف كيلو متر ، وهذا ما تقربه إلى الجنة كلمة واحدة ، فكيف إذا كثرت كلماته خلال عمره المديد ، فحينئذ لا نمتلك أرقامًا لتحديد المسافة ، ولكن نعلم إجمالاً أنّ المؤمن كلما كثرت كلماته في مواساة إخوانه الفقراء كان من أهل الجنة ، وإن كان هؤلاء الفقراء من المعذبين في النار ، أو كان ذلك المؤمن الناطق بكلمة المواساة من المعذبين في النار .

خامسًا: يجب عدم احتقار الإحسان والزهد فيه مهما كان قليلاً ، ولو كان مجرد كلمة مواساة عابرة ؛ لأنه سوف ينفع الله تعالى صاحبه حيث لا يقوم مقام ذلك شيء غيره في يوم القيامة ، ولهذا علينا أن نسعى في قضاء حوائج المؤمنين لنضمن لأنفسنا العبور السريع على الصراط لندخل الجنة بسلام آمين .

أكتفي بهذا المقدار ، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



## المحاضرة الأخلاقية الثامنة

بتاريخ ٢٠١٤/٥/٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين .

ما زلنا نتحدث عن حقوق الأخوة الإيمانية، وتناولنا في الجلسة الماضية الحق الثامن عشر (قضاء حاجة المؤمن)، واستعرضنا عشر روايات في بيان فضل قضاء حاجة المؤمن، ونستمر اليوم في عرض مجموعة أخرى من الروايات .

الرواية الحادية عشرة: عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أبيه عن آبائه قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: المؤمنون إخوة يقضي بعضهم حوائج بعض، فبقضاء بعضهم حوائج بعض يقضي الله حوائجهم يوم القيامة»<sup>(٥٧٩)</sup>.

وهذه الرواية هي أيضًا من روايات السلسلة الذهبية، يتحدث فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن أن من مقتضى الأخوة الإيمانية أن يقضي المؤمنون بعضهم حوائج بعض، لا أن يبادر البعض منهم لذلك بينما يتقاعس الآخرون اتكالا على إخوانهم العاملين، بل على الجميع المبادرة إلى قضاء حوائج إخوانهم متى ما اطلعوا عليها .

الرواية الثانية عشرة: عن الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «ما من مؤمن يدخل بيته مؤمنين فيطعمهما إلا كان ذلك أفضل من عتق نسمة. وما من مؤمن يقرض مؤمنًا يلمس به وجه الله إلا حسب الله له أجره بحساب الصدقة. وما من مؤمن يمشي لأخيه في حاجة إلا كتب الله له بكل خطوة حسنة، وحوط عنه سيئة، ورفع له بها

درجة، وزيد بعد ذلك عشر حسنات، وشَفَع في عشر حاجات. وما من مؤمن يدعو لأخيه في ظهر الغيب إلا وكل الله به ملكًا يقول: ولك مثل ذلك. وما من مؤمن يفرج عن أخيه كربة إلا فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة. وما من مؤمن يعين مؤمنًا مظلومًا إلا كان له أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام. وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلا نصره الله في الدنيا والآخرة. وما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»<sup>(٥٨٠)</sup>.

يبين الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الكريمة جزاء ثمانية أعمال يقوم بها المؤمن لإخوته المؤمنين، وهي كالتالي:

إطعام اثنين من المؤمنين أفضل من عتق رقبة.

جزاء إقراض مؤمن مبلغا من المال يعادل ثواب الصدقة بقدر ذلك المبلغ.

جزاء الخطوة الواحدة في السعي لقضاء حاجة مؤمن خمسة أمور، منها أن تقضى له عشر حاجات.

جزاء الدعاء للأخ المؤمن في ظهر الغيب أن يُعطى مثله.

جزاء تفريج كربة دنيوية عن مؤمن تفريج كربة أخروية.

جزاء إعانة مؤمن مظلوم أفضل من ثواب صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام.

جزاء نصرته المؤمن نصر الله تعالى له في الدنيا والآخرة.

جزاء خذلان مؤمن خذلان الله تعالى له في الدنيا والآخرة.

الرواية الثالثة عشرة: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ فِي عَوْنِ الْمُؤْمِنِ مَا دَامَ الْمُؤْمِنُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ، وَمَنْ نَفَسَ عَنْ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَرْبَةً مِنَ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ كَرْبَةً مِنَ الْآخِرَةِ»<sup>(٥٨١)</sup>.

يحث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الرواية المباركة على أهمية وضرورة التواصل الاجتماعي بين المؤمنين، ويبين أن إعانة الله (سبحانه وتعالى) لهم متوقفة على إعانة بعضهم لبعض الآخر، والمؤمن الذي يعيش في عزلة اجتماعية سيحرم من هذه الكرامة الإلهية. وكثيرًا ما يؤكد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته المعصومون

٥٨٠. بحار الأنوار ٧١: ٣١١ ح ٦٧.

٥٨١. بحار الأنوار ٧١: ٣١٢ قطعة من ح ٦٩.

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، على الثواب الجزيل الذي ينتظر المؤمن الذي يخوض غمار الحياة الاجتماعية ويتواصل مع إخوانه المؤمنين ، ويسهم في رفع بعض الصعوبات عنهم .

الرواية الرابعة عشرة: عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : «من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنما هي رحمة من الله ساقها إليه ، فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا وهو موصول بولاية الله ، وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر عليها فقد ظلم نفسه وأساء إليها» (٥٨٢) .

يكشف الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة النقاب عن حقيقة جديدة من حقائق قضاء حاجة المؤمن ؛ وهي أنّها باب من أبواب الرحمة الإلهية فتحه الله تعالى له ، فإن استثمر هذه الفرصة وولج هذا الباب فقد اتصل بولاية أهل البيت المتصلة بولاية الله (سبحانه وتعالى) ، فمن دخلها فقد دخل في ولايته سبحانه ، ومن كان الله تعالى وليه فقد فاز فوزاً عظيماً ، وكان في كنف الله تعالى وجواره . وأما من تقاعس عن قضاء حاجة أخيه المؤمن بعد أن قصده بها ، فقد ظلم نفسه وخسر خسراناً مبيئاً وحرّم نفسه من الدخول في رحمة الله تعالى ورعايته .

الرواية الخامسة عشرة: عن ابن مهران قال : «كنت جالساً عند مولاي الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فأتاه رجل فقال كذا . . . ثم قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : من سعى في حاجة أخيه المؤمن فكأنما عبد الله تسعة آلاف سنة ، صائماً نهاره قائماً ليله» (٥٨٣) .

ينقل الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الرواية المدهشة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في ثواب قضاء حاجة المؤمن ، وأنها تعادل عبادة تسعة آلاف سنة ، أي لو كان متوسط عمر الإنسان ستين سنة ، نطرح منها خمسة عشر عاماً إلى أن يبلغ الإنسان سن التكليف الشرعي ، ثم عبد هذا الإنسان الله (سبحانه وتعالى) خمسة وأربعين عاماً ، أي الأعوام المتبقية من عمره ، فإنّ قضاء حاجة واحدة للمؤمن تعادل مائتي مرة عمر هذا العابد ، وكل ذلك لا من باب الترغيب في قضاء حوائج المؤمنين فقط ، بل سيحصل من يفعل ذلك حتماً على هذا الثواب . ومن ذلك نعرف عظم ثواب قضاء حاجة المؤمن عند الله (سبحانه وتعالى) .

الرواية السادسة عشرة: عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : «ما من مؤمن بذل جاهه لأخيه المؤمن إلا حرّم الله وجهه على النار ، ولم يمسه قتر ولا ذلة يوم القيامة . وأيما

٥٨٢ . بحار الأنوار ٧١ : ٣١٣ قطعة من ح ٦٩ . .

٥٨٣ . بحار الأنوار ٧١ : ٣١٥ ح ٧٢ .

مؤمن بخل بجاهه على أخيه المؤمن ، وهو أوجه جاهًا منه ، إلا مسّه قتر وذلة في الدنيا والآخرة ، وأصاب وجهه يوم القيامة لفحات النيران ، معدّبًا كان أو مغفورًا له» (٥٨٤) .

يبين الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا مسألة قضاء حاجة المؤمن بواسطة الجاه والمنزلة الاجتماعية التي يمتلكها مؤمن آخر ، ويخبر عن مكنون الغيب بأن من استعمل جاهه في قضاء حاجة أخيه المؤمن كان من أهل الجنة ، ولم يمسه قتر ولا ذلة عند الحساب في عرصات يوم القيامة ، وأما المؤمن الذي يبخل بجاهه على أخيه المؤمن ويمتنع عن استعمال جاهه في قضاء حاجته ، فانه سيتعرض للذلة والمهانة في الدنيا والآخرة . وبالإضافة إلى ذلك فإن الله (سبحانه وتعالى) وإن لم يدخله النار في الآخرة ، ولكنه ستصيب وجهه يوم القيامة لفحات النيران ، سواء كان من أهل الجنة أو من أهل النار ، ولا يتخلص من هذه العقوبة الإلهية حتى الإنسان الصالح الطيب ، ولا بُدُّ من أن يخزيه الله (سبحانه وتعالى) ويذله . وهذه الآثار الوضعية المباشرة لخذلان المؤمن وعدم نصرته وعدم قضاء حاجته . نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا ممن يسعى في قضاء حوائج المؤمنين .

الرواية السابعة عشرة : عن زيد الشحام قال : سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول : «من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهفان عند جهده ، فنفس كربته ، وأعانته على نجاح حاجته ، أوجب الله (عزّ وجلّ) له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله يعجل له منها واحدة ، يصلح بها أمر معيشته ، ويدّخر له إحدى وسبعين رحمة لأفراع يوم القيامة وأهواله» (٥٨٥) .

تبين هذه الرواية المباركة أنّ إغاثة المؤمن المضطر هي السبيل للحصول على العيش الكريم في الدنيا ، وهي السبيل أيضًا للخلاص من أهوال يوم القيامة التي لا تطاق . والمراد من الإغاثة هو كشف الشدة ، واللهفان هو المكروب ، واللهفان العطشان ، وهو كناية عن إغاثة المؤمن الذي ضاقت به السبل وسدت في وجهه أبواب الفرج .

الرواية الثامنة عشرة : عن المفضل عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : قال لي : «يا مفضل اسمع ما أقول لك ، واعلم أنه الحق وافعله ، وأخبر به عليه إخوانك . قلت : جعلت فداك وما عليه إخواني ؟ قال : الراغبون في قضاء حوائج إخوانهم . ثم قال : ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله (عزّ وجلّ) له يوم القيامة مائة ألف حاجة ، من ذلك أولها الجنة ، ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنة بعد أن لا يكونوا نصّابًا . وكان المفضل

٥٨٤ . بحار الأنوار ٧١ : ٣١٧ ح ٧٨٤

٥٨٥ . بحار الأنوار ٧١ : ٣١٧ ح ٨٥

إذا سأل الحاجة أخوا من إخوانه قال له: أما تشتهي أن تكون من علية الإخوان؟» (٥٨٦).

يبين هذا الحديث الشريف أنّ هناك فئة متميزة من المؤمنين، هم الذين يسعون في قضاء حوائج إخوانهم، ويطلق عليهم الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ «عليّة الإخوان»، ويمكن لأيّ مؤمن مهما كان مستواه الثقافي والاجتماعي أن يتبوأ هذه المرتبة العالية ويكون في قمة الهرم الاجتماعي لجماعة المؤمنين. وإذا كان للمؤمن إزاء كل حاجة يقضيها لأخيه المؤمن مائة ألف حاجة من حاجات يوم القيامة، فإنه وبعملية حسابية بسيطة لو قضى عشر حاجات من حوائج إخوانه المؤمنين، فقد ادخر لنفسه مليون حاجة من حوائج الآخرة، أولها دخوله الجنة، وثانيها دخول والديه، وثالثها دخول زوجته وأولاده وهكذا، بشرط ألا يكونوا من أهل النصب والعداوة لآل محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الرواية التاسعة عشرة: عن صدقة الأحذب عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قضاء حاجة المؤمن خير من عتق رقبة، وخير من حُمْلان ألف فرس في سبيل الله» (٥٨٧).

يستعرض الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة عظيم الثواب المدخر لمن قضى حاجة لأخيه المؤمن، الذي يعجز عن إحصائه العادون. والحُمْلان بالضم حمل الشخص على الفرس وبعثه إلى الجهاد.

الرواية العشرون: عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لقضاء حاجة امرئ مؤمن أحب إلى الله من عشرين حجة ينفق فيها صاحبها مائة ألف» (٥٨٨).

تستعرض هذه الرواية الكريمة أيضًا الثواب الجزيل الذي ينتظر من قضى لأخيه المؤمن حاجة. إنّ الهدف من كل هذا التأكيد وتنوع الروايات في بيان الثواب الهائل الذي أعدّه الله (سبحانه وتعالى) لمن قضى حاجة لأخيه المؤمن، هو ليس من أجل الترغيب في ذلك فقط، بل من أجل حث المؤمنين على نيل هذه الدرجات الرفيعة في الآخرة، التي ربما ينحصر الطريق إليها بهذا العمل، أو لأنه أيسر السبل للحصول على هذه المقامات الرفيعة.

الرواية الحادية والعشرون: عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تنافسوا في المعروف لإخوانكم وكونوا من أهله، فإنّ للجنة بابًا يقال له المعروف لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا، فإنّ العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكل الله

٥٨٦. بحار الأنوار ٧١: ٣٢٢ ح ٩٠.

٥٨٧. بحار الأنوار ٧١: ٣٢٤ ح ٩٢.

٥٨٨. بحار الأنوار ٧١: ٣٢٤ ح ٩٣.



(عز وجل) به ملكين : واحداً عن يمينه وآخر عن شماله ، يستغفرون له ربه ، ويدعون بقضاء حاجته . ثم قال : والله لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أسرَّ بقضاء حاجة المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة» (٥٨٩) .

يحث الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ شيعته على التنافس في قضاء حوائج إخوانهم ، ليكونوا ممن يدخلون الجنة من باب المعروف ، الذي لا يدخله إلا أهل المعروف في الدنيا . ثم يبيِّن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ كيف أنَّ الساعي في قضاء حاجة أخيه المؤمن يحفه الله تعالى بملائكته ، وكيف أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ينظر إلى فعله هذا ويسرَّ به .

أكتفي بهذا المقدار ، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



## المحاضرة الأخلاقية التاسعة

بتاريخ ٢٠١٤/٥/٢١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين .

مازلنا في الحق الثامن عشر من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، وهو (قضاء حاجة المؤمن)، واستعرضنا إحدى وعشرين رواية تبين فضل قضاء حاجة المؤمن، واليوم نبداً حديثنا باستعراض روايتين تتحدثان عن ضرورة التضامن في قضاء الحوائج

### التضامن في قضاء الحوائج

وردت الأخبار عن الأئمة الهداة (صلوات الله عليهم) بضرورة التضامن بين المؤمنين في قضاء بعضهم حوائج البعض الآخر، نذكر بعضها .

الرواية الأولى: روى الراوندي بإسناده عن جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «المؤمنون إخوة يقضي بعضهم حوائج بعض، فيقضي الله لهم حاجتهم»<sup>(٥٩٠)</sup>.

يبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك أنَّ سعي المؤمنين بعضهم للبعض الآخر في قضاء حوائجهم، هذه الحالة من التضامن تقع في نظر الله (سبحانه وتعالى)، فيقضي لهم حوائجهم جميعاً.

الرواية الثانية: عن الحسين بن زيد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

٥٩٠. بحار الأنوار ٧١: ٣١٦ ح ٧٣.

«قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المؤمنون إخوة، يقضي بعضهم حوائج بعض، فبقضاء بعضهم حوائج بعض يقضي الله حوائجهم يوم القيامة»<sup>(٥٩١)</sup>.

أضاف هذا الحديث المبارك معلومة جديدة وهي أن ثواب تضامن المؤمنين بينهم في قضاء حوائجهم في الدنيا، هو قضاء الله (سبحانه وتعالى) لهم حوائجهم في يوم القيامة.

### الوعد بقضاء حاجة المؤمن

نتطرق هنا إلى موضوع آخر يتعلق بقضاء حاجة المؤمن أيضاً، وهو ضرورة الوفاء بالوعد الذي يقطعه المؤمن لأخيه المؤمن بقضاء حاجته، ولا يتركه في دوامة الانتظار القاتل، فلا هو قد قضى حاجته، ولا هو اعتذر إليه لبحث عن طريق آخر لقضاء حاجته.

الرواية الأولى: عن أبي جنادة والحسين بن مخارق عن جعفر بن محمد عن أبيه (عليهما السلام) عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من ضمن لأخيه المسلم حاجة له، لم ينظر الله تعالى له في حاجته حتى يقضي حاجة أخيه المسلم»<sup>(٥٩٢)</sup>.

يتناول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك ظاهرة الوفاء بالعهد، وكيف أن من يعطي وعداً لأخيه في قضاء حاجته ثم لا يفعل، من غير عذر سائغ عند الله (سبحانه وتعالى)، فإن الله تعالى لا ينظر في قضاء أي حاجة له حتى يفي بوعد أخيه المسلم ويقضي له حاجته. ونرى - مع الأسف - استفحال هذه الظاهرة في مجتمعاتنا اليوم، فعندما يطلب المسلم من أخيه المسلم قضاء حاجة له يقدر عليها، نرى الطرف المقابل يكيل له الكلام الطيب والوعود المعسولة بأن يعتبر الحاجة مقضية، ولكنه في الواقع لا يحرك ساكناً، ويضع أخاه المسلم في خانة الانتظار الكاذب، وربما يكرر عليه الطلب فيعده بأكثر مما وعده سابقاً ولكن من دون جدوى.

ولذا ينبغي الالتفات إلى أن تأخر قضاء بعض حوائجنا - خصوصاً أولئك الذين هم موضع لها - مرتبط بحوائج إخواننا التي أناطوها بنا وتكفلنا بقضائها لهم.

الرواية الثانية: روى الراوندي بإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من ضمن لأخيه المسلم حاجة له لم ينظر الله تعالى له في حاجته حتى يقضي حاجة أخيه المسلم»<sup>(٥٩٣)</sup>.

٥٩١. بحار الأنوار ٧١: ٣١٠ ح ٦٤.

٥٩٢. بحار الأنوار ٧١: ٣١٧ ح ٧٧.

٥٩٣. بحار الأنوار ٧١: ٣١٦ ح ٧٣.

وهكذا تبقى حاجة الضامن محبوسة عن القضاء حتى يقضى حاجة أخيه التي وعده بقضائها . وما أكثر ما نرى الوعود الكاذبة التي يطلقها البعض لمن يلتمسون منهم قضاء حوائجهم ظناً أنّ في ذلك سياسة وشطارة ، ولم يعلموا أنهم قد قيّدوا حوائجهم في مربط حوائج إخوانهم ، فلا تُقضى لهم حتى يفوا بجميع ما وعدوا به .

### ردّ حاجة المؤمن

هناك روايات عجيبة في مسألة ردّ حاجة المؤمن ، نتبرك بذكر بعضها :

الرواية الأولى : عن محمد بن سنان قال : « كنت عند الرضا (صلوات الله عليه) فقال لي : يا محمد إنه كان في زمن بني إسرائيل أربعة نفر من المؤمنين ، فأتى واحد منهم يزور الثلاثة وهم مجتمعون في منزل أحدهم في مناظرة بينهم ، فقرع الباب فخرج إليه الغلام ، فقال : أين مولاك؟ فقال : ليس هو في البيت . ودخل الغلام إلى مولاة فقال له المولى : من كان الذي قرع الباب؟ قال : فلان ، فقلت له : لست في المنزل . فسكت ولم يكثر ولم يلم غلامه ، ولا اغتم أحد منهم لرجوعه عن الباب ، وأقبلوا في حديثهم ، فلما كان من الغد بكر إليهم الرجل فأصابهم وقد خرجوا يريدون ضيعة لبعضهم ، فسلم عليهم وقال : أنا معكم . فقالوا له : نعم ، ولم يعتذروا إليه ، وكان الرجل محتاجاً ضعيف الحال ، فلما كانوا في بعض الطريق إذا غمامة قد أظلمتهم ، فظنوا أنه مطر ، فبادروا ، فلما استوت الغمامة على رؤوسهم إذا مناد ينادي من جوف الغمامة : أيتها النار خذهم وأنا جبرائيل رسول الله ، فإذا نار من جوف الغمامة قد اختطفت الثلاثة نفر وبقي الرجل مرعوباً يعجب مما نزل بالقوم وما يدري ما السبب ، فرجع إلى المدينة فلقي يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخبره الخبر وما رأى وما سمع . فقال يوشع ابن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ : أما علمت أنّ الله سخط عليهم بعد أن كان عليهم راضياً ، وذلك بفعلهم بك . فقال : وما فعلهم بي؟ فحدّثه يوشع . فقال الرجل : فأنا أجعلهم في حلّ وأعفو عنهم . قال : لو كان هذا قبل لنفعهم ، فأما الساعة فلا ، وعسى أن ينفعهم من بعد»<sup>(٥٩٤)</sup> .

بيّن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة قصة ما جرى على ثلاثة نفر من المؤمنين من بني إسرائيل ونزول العقاب الإلهي الصارم بهم ، لتقاعسهم عن قضاء حاجة أخ لهم في الإيمان ضعيف الحال واستهانتهم به لفقره ، وكيف حل بهم المكر الإلهي حينما جعل أخاهم الرابع صاحب الحاجة الذي قصدهم بحاجته في غفلة عن

استضعافهم واستصغارهم له لضعف حالته المادية، وقد كان صادق النية معهم بحيث أنه لو اطلع على ما عاملوه به من الاستخفاف لعفا وصفح عنهم، فيكون ذلك حائلاً دون وقوع العذاب الإلهي بهم. ورغم أن أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يحذروننا دائماً من مثل هذه السلوكيات المشينة التي لا تتناسب مع القيم الإنسانية النبيلة، فضلاً عن القيم الإسلامية الكريمة، ولكن نرى مع الأسف الشديد أن أمثال هذه الممارسات الاستعلائية منتشرة في الأوساط الاجتماعية التي تدعي التدين وتظاهر به، والله يعلم كم من العقوبات الإلهية قد نزلت بساحتنا بسبب هذه السلوكيات، ولكن لا يوجد من يخبرنا بها كما فعل يوشع ابن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمر الله (عز وجل)؛ لأن إمامنا الذي إليه مرد أمرنا غائب عن الأنظار بسبب كثرة ذنوبنا وابتعادنا عن القيم الصحيحة التي دعا لها الله (سبحانه وتعالى) في كتابه الكريم.

الرواية الثانية: عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قلت: جعلت فداك ما تقول في مسلم أتى مسلماً زائراً أو طالب حاجة وهو في منزله، فاستأذن عليه فلم يأذن له ولم يخرج إليه؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا أبا حمزة أيما مسلم أتى مسلماً زائراً أو طالب حاجة وهو في منزله فاستأذن عليه ولم يخرج إليه، لم يزل في لعنة الله حتى يلتقيا. فقلت: جعلت فداك في لعنة الله حتى يلتقيا؟ قال: نعم يا أبا حمزة، في لعنة الله حتى يلتقيا من جديد»<sup>(٥٩٥)</sup>.

يبين الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الكريمة الأثر الوخيم في عدم قضاء حوائج المؤمنين، والذنب الفادح في رد الأخ المؤمن والامتناع عن استقباله، ولو بمقدار الخروج إليه والسلام عليه ليتخلص من الإحراج، فعدم استقباله ولو بهذا المقدار تترتب عليه جميع هذه المضاعفات الخطيرة. نسأل الله الجليل أن يغفر لنا ولكم جميع تقصيرنا في حق إخواننا المؤمنين، وأن يجعلنا جميعاً ممن يقضي حوائج المؤمنين ولا يردّها.

الرواية الثالثة: عن إبراهيم التيمي قال: «كنت أطوف بالبيت الحرام، فاعتمد عليّ أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: ألا أخبرك يا إبراهيم ما لك في طوافك هذا؟... إلى أن قال: أيما مؤمن سأله أخوه المؤمن حاجة وهو يقدر على قضائها ولم يقضها له، سلط الله عليه شجاعاً في قبره ينهش أصابعه»<sup>(٥٩٦)</sup>.

تستعرض هذه الرواية المباركة أحد الآثار الأخروية ومشهدا من مشاهد عذاب البرزخ بسبب التغافل عن قضاء حاجة المؤمن للقادر على قضائها، إذ يسلط الله (سبحانه

٥٩٥. الكافي ٢: ٣٦٥ ح ٤.

٥٩٦. بحار الأنوار ٧١: ٣١٩ ح ٨٣.

وتعالى) عليه في قبره أفعى تعض أصابع يديه ورجليه إلى يوم يبعثون، وهكذا يبقى يتجرع الآم لدغها، وينفث مع كل لدغة صرخة ألم الندم والحسرة على ما فرط في حق أخيه المؤمن .

الرواية الرابعة ورد في كتاب الكافي الشريف عن أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام له في حاجته ابتلي بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر»<sup>(٥٩٧)</sup>.

يذكر الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ بعداً من أبعاد عدم المبادرة في قضاء حاجة المسلم، وهو أن الله (سبحانه وتعالى) يبتليه بقضاء حاجة غير صحيحة لغير المؤمن فيؤثم بذلك ولا يؤجر.

الرواية الخامسة: عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه قال): «أبما رجل من شيعتنا أتى رجلاً من إخوانه فاستعان به في حاجته فلم يعنه وهو يقدر، إلا ابتلاه الله بأن يقضي حوائج غيره من أعدائنا، يعذبه الله عليها يوم القيامة»<sup>(٥٩٨)</sup>.

يبين الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا جزء الامتناع عن قضاء حاجة المؤمن بعد أن يأتيه طالباً منه مساعدته في قضائها وهو قادر عليها، فالحديث بين المؤمنين من شيعتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فجزاؤه أن يبتليه الله (سبحانه وتعالى) بأن يقضي حوائج أعداء أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، من حيث يقصد أو لا يقصد، ومن حيث يعرف أو لا يعرف، فيعذبه الله تعالى عليها يوم القيامة .

الرواية السادسة: عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «لم يدع رجل معونة أخيه المسلم حتى يسعى فيها ويواسيه إلا ابتلي بمعونة من يأثم ولا يؤجر»<sup>(٥٩٩)</sup>، يعني أنه لم يسع في قضاء حاجة أخيه، وهو نفس المضمون المنقول أنفاً عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ. وتكرار هذه المطالب من الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ دليل على أهميتها، ولما في التكرار من أثر تربوي كبير في الفرد والجماعة .

الرواية السابعة: عن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: سمعته يقول: «من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله (عز وجل)»<sup>(٦٠٠)</sup>.

٥٩٧. الكافي ٢: ٣٦٥ - ٣٦٦ ح ١.

٥٩٨. الكافي ٢: ٣٦٦ ح ٢.

٥٩٩. الكافي ٢: ٣٦٦ ح ٣.

٦٠٠. الكافي ٢: ٣٦٦ ح ٤.

يوضح الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا عقوبة من بخل بمساعدة أخيه المؤمن بعد أن قصده مستجيراً به وهو قادر عليها، بأنه قد قطع ولاية الله (عزَّ وجلَّ)، لأنه قد قطع ولاية أخيه المؤمن، لقوله تعالى: «الله ولي الذين آمنوا»<sup>(٦٠١)</sup>، وعندها سوف لن يتولى أمره ولا يعينه ولا ينصره. فالحذر الحذر، ثم الحذر الحذر من التغافل عن قضاء حوائج المؤمنين، لما فيه من النتائج الوخيمة والعواقب الشديدة في الدنيا والآخرة.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



## المحاضرة الأخلاقية العاشرة

بتاريخ ٢٧/٥/٢٠١٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

مازلنا في الحق الثامن عشر من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، وهو (قضاء حاجة المؤمن)، واستعرضنا سبع روايات تبين الآثار السيئة لرد حاجة المؤمن، ونستعرض اليوم مجموعة أخرى من الروايات.

الرواية الثامنة: عن الإمام الصادق (سلام الله عليه) أيضاً يقول: «أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله يوم القيامة مسوداً وجهه، مزرقة عيناه، مغلولة يداه إلى عنقه، فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله، ثم يؤمر به إلى النار»<sup>(٦٠٢)</sup>.

يبين الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة أن من يمتنع عن قضاء حاجة المؤمن، وهو قادر عليها بنفسه أو من عند غيره، ينعت بالخيانة لله ورسوله يوم القيامة، وينادى عليه بهذا الاسم عند سوقه إلى النار، بعد أن يسودّ وجهه، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله (عزّ وجلّ): «تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ»<sup>(٦٠٣)</sup>، وتزرق عيناه، وجاءت الإشارة إلى ذلك في قوله عز من قائل: «وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا»<sup>(٦٠٤)</sup>، وتُقَيّد يداه إلى عنقه، ويدخل النار ذليلاً بسبب امتناعه عن إعانة أخيه المؤمن.

٦٠٢. الكافي ٢: ٣٦٧ ح ١.

٦٠٣. سورة الزمر: الآية ٦٠.

٦٠٤. سورة طه: الآية ١٠٢.



ومع هذا الصنف من الروايات، لا محيص لمن لا يرغب في الثواب، ولا يحركه للاندفاع في قضاء حاجة أخيه المؤمن، إلا الانصياع إلى روايات التهديد والوعيد التي تبين مدى العذاب الذي سيتعرض له هؤلاء الممتنعون عن قضاء حوائج إخوانهم، ويكفي لمن كان له مسكة من عقل وصف هؤلاء بالخونة لله ورسوله حافظاً للمبادرة والإسراع في إعانة إخوانه المحتاجين.

وقد قرأنا في اللقاء السابق بعض النصوص التي تبين حجم التوبيخ والتقريع الإلهي لهؤلاء المترفعين عن مساعدة إخوانهم المؤمنين، وهو شيء رهيب ومرعب، وقد ورد على لسان أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والروايات مستفيضة وكثيرة في هذا الشأن.

الرواية التاسعة: عن يونس بن ضبيان قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا يونس من حبس حق المؤمن أقامه الله (عزَّ وجلَّ) يوم القيامة خمسمائة عام على رجليه، حتى يسيل عرقه أو دمه، وينادي مناد من عند الله: هذا الظالم الذي حبس عن الله حقه. قال: فيوبخ أربعين يوماً، ثم يؤمر به إلى النار»<sup>(٦٠٥)</sup>.

ينقل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا صورة أخرى من صور عذاب من امتنع عن أداء حق المؤمن، وهي أن الله (عزَّ وجلَّ) يوقفه على رجليه خمسمائة سنة، وإذا كان كل يوم من أيام الآخرة يعادل ألف سنة، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾<sup>(٦٠٦)</sup>، فإن مجموع الأيام التي يوقفه الله سبحانه فيها على رجليه يساوي مائة وثمانين مليون سنة من سنوات الدنيا، فكيف سيتحمل هذا الإنسان الذي لا يطيق الوقوف على رجليه بضع ساعات أن يقف كل هذه الملايين من السنين. وهكذا سيقف من حبس حاجة لمؤمن مرغماً ذليلاً حتى يسيل عرقه أو دمه - يبدو أن التريديد من الراوي - من شدة الألم، ثم ينادي ملك من عند الله (سبحانه وتعالى) ويصفه بالظالم الذي حبس عن الله حقه، فينزل من ظلم حق مؤمن منزلة الظالم لله (سبحانه وتعالى)، فمن ظلم مؤمناً كان كمن ظلم الله (عزَّ وجلَّ)، ثم توبخه الملائكة على فعلته وجريمته هذه أربعين يوماً، ثم يؤمر به إلى النار وساءت مصيراً، نستجير بالله من ذلك.

الرواية العاشرة: عن الإمام الصادق (سلام الله عليه) قال: «من كانت له دار، فاحتاج مؤمن إلى سكنها، فمنعه إياها، قال الله (عزَّ وجلَّ): يا ملائكتي أبخل عبدي على عبدي بسكنى الدار الدنيا؟ وعزتي وجلالي لا يسكن جناني أبداً»<sup>(٦٠٧)</sup>.

٦٠٥ . الكافي ٢ : ٣٦٧ ح ٢ .

٦٠٦ . سورة الحج : الآية ٤٧ .

٦٠٧ . الكافي ٢ : ٣٦٧ ح ٣ .

ينقل لنا الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة صورة جديدة من صور الآخرة بشأن قضية محددة، وهي مخاطبة الله (سبحانه وتعالى) ملائكته الكرام بشأن عبد كانت له دار لا يحتاج إلى سكنها وزائدة عن حاجته، وقد طلب منه أخ له مؤمن أن يسكنها ليستر بها نفسه وعياله من أعين الناس ومن حرارة الشمس في الصيف وبرودة الجو في الشتاء، فمنعه إياها، وفي موجة من الغضب الإلهي يقسم رب العزة والجلالة بعزته وجلاله ألا يسكن هذا وأمثاله في جنته. فكانت هذه الدار الزائدة وبالا على صاحبها، وكان بإمكانه أن يجعلها طريقاً إلى الجنة لو لم يبخل بها على أخيه وأسكنه إياها، ولكنه حرم أخاه مدة محدودة فحرمه الله تعالى جنته ورضوانه أبد الأبدين.

وكم هو خطير مثل هذا الكلام الذي يصف بواقعية ما سيحصل في يوم القيامة من مشاهد تذهل العقول هولها. وكم لهذه الأمور من آثار عظيمة، ونحن نعدّها هينة في الدنيا ولا نحسب لها حساباً، باعتبار أنّ مثل هذه الدار هي ملكي الشخصي، ومن حقي أن أتصرف فيها كما أشاء، وليس هناك من إلزام شرعي أو قانوني يمنعني من ذلك، وأنّ لي مطلق الحرية في منع أخي المؤمن من سكنها، وأتوهم أنني لم أرتكب بذلك إثماً، وإذا بالنتيجة تأتي صاعقة يوم القيامة، إذ أحاسب على أمور كنت أحسب أنني لن أقف فيها للحساب. صحيح أنني لم أرتكب ذنباً يدخلني الله سبحانه بسببه النار، ولكنه يستطيع أن يحرمني جنته ورضوانه كما في صاحب الدار هذا.

الرواية الحادية عشرة: عن علي بن جعفر قال: سمعت أبا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فأنما هي رحمة من الله (عزّ وجلّ) ساقها إليه، فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا، وهو موصول بولاية الله (عزّ وجلّ)، وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة، مغفور له أو معذب، فإن عذره الطالب كان أسوأ حالاً. قال: وسمعتّه يقول: من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله (سبحانه وتعالى)» (٦٠٨).

يبين الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الحديث المبارك أنّ حاجة المؤمن إلى المؤمن هي باب لطف ورحمة فتحه الله تعالى له، وهو مخير بين قبول هذه الرحمة بقضاء حاجة أخيه أو رفضها بامتناعه عن قضائها، فإن قبل ذلك فقد وصله بولاية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ التي هي موصولة بولاية الله (عزّ وجلّ)، أي أنّ ولايتهم متصلة بولايته تعالى، وإن ردّه عن

حاجته وهو يقدر على قضائها سلط الله عليه ثعباناً ينهشه في قبره إلى يوم القيامة ، سواء كان من أهل الجنة أو من أهل النار ، لأنه عذاب برزخي ، وعالم البرزخ هو العالم من بعد الموت إلى حين قيام الساعة عندما يكون الإنسان في قبره . فإن عذر طالب الحاجة من لم يقضها له فإنه وإن تخلص من نهش الأفعى في قبره ، ولكنه سيكون في ندامة شديدة من حيث أن هذا المؤمن قد عفا عنه وأسقط حقه ومثله يستحق قضاء الحاجة ، أو أن المراد أن يكون حقه محفوظاً له ليحاسبه عليه يوم القيامة .

إن هذه المنظومة التي تنظم العلاقات الإيمانية تجعل الإنسان مسؤولاً عن أخيه المؤمن ، حتى لو أسقط هذا المؤمن حقه ، ولكن الله (عز وجل) له حق أيضاً ، ومعايير العذاب الإلهي تختلف عن معايير الإنسان ، فالشخص قد يسقط حقه ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) يقدر أن هذه المنظومة إذا جرى التساهل فيها فسوف تنفرط ، فالمؤمن قد يعطف قلبه على الآخر فيسقط ما بذمته له من حقوق ، وعندها سترتبك العلاقة ، وتحدث فوضى اجتماعية ، ويزول هذا التماسك واللحمة بين المؤمنين ، ويفقد المجتمع تماسكه . ولذلك إن عذره الطالب كان أسوأ حالاً .

ثم ينقل علي بن جعفر عن أخيه الإمام موسى بن جعفر كلاماً مشابهاً ، في أن من استجار به أخوه المؤمن فلم يجره فقد قطع الولاية بينه وبين الله (سبحانه وتعالى) ، ولم يعد ولياً له ، ومن لم يكن في ولاية الله تعالى فقد وقع في ولاية الشيطان .

إذن ردّ حوائج المؤمنين وعدم قضائها مع القدرة على ذلك ، من الأمور التي جاء النهي عنها كثيراً ، وفيها كل هذه الآثار السلبية .

### أهمية السعي في قضاء الحاجة وإن لم تنجح

شدد أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على أهمية السعي في قضاء حوائج المؤمنين وإن لم تقض بعد ذلك ؛ لأن أمر قضائها بيد الله (عز وجل) ، إن شاء فعل إن كان ذلك في مصلحة المؤمن ، فالسعي هو المطلوب وهو الذي يترتب عليه الثواب الأخروي .

الرواية الأولى : عن أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه عليه) قال : «أوحى الله (عز وجل) إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن من عبادي من يتقرب إليّ بالحسنة فأحكمه في الجنة . فقال موسى : يا ربي وما تلك الحسنة؟ قال : يمشي مع أخيه المؤمن في قضاء حاجته ، قضيت أم لم تقض» (٦٠٩) .

هؤلاء الذين يقومون بالعمل الصالح ويأتون بالحسنات قربة إلى الله تعالى سأجعلهم حكاما في الجنة، أي أعطيهم مفتاح الجنة بأيديهم، وأجعلهم هم الذين يقررون، ويكون لهم حضور وسطوة في الجنة. فقال موسى: يا ربي وما تلك الحسنات؟ فأجاب الله (سبحانه وتعالى) أن هؤلاء هم الذين يسعون مع إخوانهم المؤمنين في قضاء حوائجهم، سواء قضيت أو لم تقض، فالمهم أنهم يمشون فيها وإن كانوا يعلمون أن الطرق أمام قضائها مسدودة، ولكن لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، وهو وحده الذي بيده مفاتيح كل شيء، والقادر على كل شيء، الذي يقول للشيء كن فيكون، ولأنه (سبحانه وتعالى) هو الذي يلين القلوب، وما علينا إلا السعي، سواء أنتج هذا السعي أو لم ينتج، فهذا غير مرتبط بنا، بل هو قرار رب العالمين، وفي كل الأحوال فإن عليك القيام بما يجب عليك ويتحقق به الغرض.

الرواية الثانية: ورد عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من ذهب مع أخيه في حاجة، قضاهما أو لم يقضها، كان كمن عبد الله عمره»<sup>(٦١٠)</sup>. يبين لنا الإمام هنا ثواب السعي في قضاء حاجة المؤمن، وأنه يعادل ثواب من قضى عمره بأجمعه في عبادة الله تعالى.

ونلاحظ من مجموع الروايات الواردة في هذا الباب أن هناك تأكيداً على ضرورة قضاء الحاجة عند السؤال والطلب، فإذا طلب منك الأخ المؤمن قضاء حاجة فهنا عليك أن تسعى في قضائها له.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



## المحاضرة الأخلاقية الحادية عشرة

بتاريخ ٢٠١٤/٦/٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

نتواصل بالحديث عن حقوق الأخوة الإيمانية، وما زلنا في الحق الثامن عشر (قضاء حاجة المؤمن)، واستعرضنا في آخر اللقاء السابق روايتين تتحدثان عن أهمية السعي في قضاء حاجة المؤمن سواء أثمر هذا السعي أم لم يثمر، لأن السعي واجب، أما تقدير الخواتيم فمتروك لله تعالى.

### طلب الحاجة داخل في طلب المساعدة

ورد في الروايات الكريمة عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنْ طلب الحوائج داخل في عنوان طلب المساعدة.

الرواية الأولى: عن الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله (عز وجل): ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾ قال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، يعني الصلوات المكتوبات التي جاء بها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وأقيموا أيضًا الصلاة على محمد وآله الطيبين الطاهرين. ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: من أموالكم، ومن أبدانكم إذا لزمت زكاة الأبدان، ومن معونتكم إذا التمسست. ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾: تواضعوا مع المتواضعين لعظمة الله (عز وجل) في الانقياد لأولياء الله محمد نبي الله وعلي ولي الله والأئمة بعدهما سادات أصفياء الله<sup>(٦١١)</sup>.

٦١١. بحار الأنوار ٧١: ٣٠٨، ح ٦٢.

يوضح الإمام في هذه الرواية الكريمة معنى الآية الكريمة الأنفة الذكر، ولزوم هذا البيان ناشئ من تصور قاصر عند الناس في فهم الآية، فهم يتوهمون أن إقامة الصلاة تقتصر على أداء الصلاة المكتوبة، بينما المقصود منها أيضاً ذكر الصلاة على محمد وآله الطاهرين. وكذلك الأمر بالنسبة للزكاة فهم يقصرونها على الزكاة الواجبة، بينما هي تشمل أيضاً زكاة الأبدان وهي زكاة الفطرة، وتشمل أيضاً زكاة المعونة - وهي موضع الشاهد - والمقصود منها تقديم المعونة والمساعدة اللازمة إذا طلبت منكم، ويتضح هذا المعنى بشكل جلي في روايات أخرى كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لكل شيء زكاة، وزكاة العلم نشره»<sup>(٦١٢)</sup>. أما قوله (عز وجل): «واركعوا مع الراكعين»، فالتصور الشائع أن المراد به هو ركوع الصلاة، بينما المقصود منه واقعاً هو التواضع، أي تواضعوا مع المتواضعين لعظمة الله (عز وجل) في الانقياد لأوليائه الله: محمد نبي الله، وعلي ولي الله، والأئمة بعدهما سادات أصفياء الله.

الرواية الثانية: عن صفوان عن العيص عن ابن مسكان عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «أحب أخاك المسلم، وأحب له ما تحب لنفسك، وكره له ما تكره لنفسك، إذا احتجت فسله، وإذا سألك فأعطه، ولا تدخر عنه خيراً فإنه لا يدخره عنك، كن له ظهراً فإنه لك ظهر، إن غاب فاحفظه في غيبته، وإن شهد فزره، فإنه منك وأنت منه، وإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسلم سخيمته وما في نفسه، وإذا أصابه خير فاحمد الله عليه، وإن ابتلاه فاعضده وتمحل له» أو «تحمل له»<sup>(٦١٣)</sup> على نسخة أخرى.

يقرر الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة القاعدة الرئيسة في العلاقة بين المسلمين، وهي: أن تحب المسلم أولاً، ثم تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك. وبالطبع فإن تحقق هذا الأمر في القلب وتجسده في الواقع ليس هيناً، ويحتاج إلى فطرة سليمة وأرضية تربوية عالية؛ لأن النفس الإنسانية ميالة إلى الأنانية والأثرة. وإذا ما تحقق هذا الحب فينبغي أن يتجسد في ترسيم العلاقات الاجتماعية الصادقة في أرض الواقع، وقد ذكر الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية تسعة أمور تظهر هذا الحب المتبادل بين المسلمين، هي:

أولاً: سؤاله عند الحاجة، أي إذا كانت عندك حاجة فاطلبها من أخيك المسلم.

ثانياً: وهنا الشاهد، إعطاؤه عند السؤال، وقضاء حاجته.

٦١٢. وسائل الشيعة ١٦: ٣٦٨، ح ١١٢.

٦١٣. بحار الأنوار ٧١: ٢٢٢، ح ٥٥.

ثالثًا: عدم ادخار الخير عنه، لأنه لا يدخره عنك، أي لا تتأخر عليه في خير من خدمة أو غيرها، كما أنه لا يتأخر عنك في ذلك.

رابعًا: أن تكون له ظهرًا، فإنه لك ظهر. ولا حظوا هنا لو أن هذا المؤمن يشعر إخوانه المؤمنين دائمًا بأنه ظهر لهم، والمؤمن الآخر يشعر إخوانه الآخرين بنفس الشعور، فسيكون هناك تماسك كبير في المجتمع.

خامسًا: حفظه عند غيابه، أي عند سفره مثلاً، فلا تسمح لأحد بأن يسيء إليه أو إلى عائلته، وعليك أن تدافع عنه.

سادسًا: زيارته عند حضوره، أي إذا عاد من سفره فعليك بزيارته في منزله احترامًا له وزيادة في إكرامه؛ لأنه منك وأنت منه، فأنتما في الحقيقة شيء واحد، وإن اختلفتم في الأسماء والأنساب.

سابعًا: تطيب نفسه عند حدوث ما يكدر صفو العلاقة، فإذا كان عاتبًا عليك وقد حمل في نفسه ضدك شيئًا ما، فلا تفارقه حتى تنتزع هذا الأذى والغضب من نفسه، وعليك إقناعه وإرضائه ولا تبقى هذه النقطة السوداء في قلبه.

ثامنًا: حمد الله (عز وجل) عندما يكون الأخ المسلم في خير، لأن ما يصيبه من خير يصيبك منه أيضًا.

تاسعًا: الوقوف معه عند تعرضه للبلاء، والبحث له عن عذر في ذلك، أو - على قراءة النسخة الأخرى تحمل عنه ما يصيبه من البلاء.

فهكذا يجب أن تكون علاقة المسلم بأخيه المسلم، وبطريق أولى علاقة المؤمن بأخيه المؤمن.

### قضاء حاجة المؤمن وإن لم يطلبها

المرحلة الأخرى هي قضاء حاجة الأخ المؤمن وإن لم يطلبها، فالبعض تمنعه عزة نفسه من أن يطلب من أحد حاجة، والبعض يمنعه الحياء من ذلك، والبعض تراه يطلبها من غير أهلها، ولهذا ينبغي على المؤمن بمجرد أن يطلع على حاجة أخيه أن يبادر إلى قضائها قبل سؤاله إياها، فإن رآه يعاني من مشكلة مالية أو إدارية فعليه أن يسرع إلى حلها إن استطاع ذلك وإن لم يطلبها منه.

لاحظوا هذه الرواية الشريفة عن المعلى بن خنيس قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

ما حق المسلم على المسلم؟ قال: سبعة حقوق واجبات ما منهن حق إلا وهو عليه واجب، إن ضيِّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وترك طاعته، ولم يكن لله (عزَّ وجلَّ) فيه نصيب. قلت له: جعلت فداك وما هي؟ قال: يا معلى إني عليك شفيق، أخشى أن تضيِّع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل. قال: قلت له: لا قوة إلا بالله. قال: أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك، والحق الثاني أن تتجنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره، والحق الثالث أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك، والحق الرابع أن تكون عينه ودليله ومرآته، والحق الخامس أن لا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمأ ولا تلبس ويعرى، والحق السادس أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم، فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه، والحق السابع أن تبر قسمه، وتجب دعوته، وتعوده في مرضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجئه إلى أن يسألها، ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك»<sup>(٦١٤)</sup>.

والشاهد في هذه الرواية المباركة ما تضمنه الحق السابع من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجئه إلى أن يسألها، ولكن تبادره مبادرة»، أي إذا علمت بطريق ما بحاجة أخيك المسلم، فعليك السعي إلى قضائها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ولا تضطره إلى أن يطلب منك قضاءها، فإن هذه المبادرة من شأنها أن ترسخ العلاقة وتسهم في توطيدها بشكل كبير.

ورود عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من ذهب مع أخيه في حاجة قضاها أو لم يقضها كان كمن عبد الله عمره»<sup>(٦١٥)</sup>.

وعن محمد بن مسلم قال: أتاني رجل من أهل الجبل، فدخلت معه على أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له عند الوداع: أوصني. فقال: أوصيك بتقوى الله، وبر أخيك المسلم، وأحب له ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لنفسك، وإن سألك فأعطه، وإن كف عنك فأعرض عليه، لا تملّه خيراً فإنه لا يملك»<sup>(٦١٦)</sup>.

٦١٤. الكافي ٢: ١٦٩، ح ٢.

٦١٥. وسائل الشيعة ١٢: ٢١١ ح ٢٢.

٦١٦. بحار الأنوار ٧١: ٢٢٥ ح ١٤.



### قضاء حاجة المؤمن ودينه بعد وفاته

كما أنّ للمؤمن حقوقاً على أخيه المؤمن في حياته، فكذلك له حقوق عليه بعد مماته .

منها: ما روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته، ويواري عورته، ويفرّج عنه كربته، ويقضي دينه، فإذا مات خلفه في أهله وولده»<sup>(٦١٧)</sup>.

أكتفي بهذا المقدار ، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



## المحاضرة الأخلاقية الثانية عشرة

بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين .

نتواصل بالحديث عن حقوق الأخوة الإيمانية، وما زلنا في الحق الثامن عشر (قضاء حاجة المؤمن)، وتناولنا في آخر اللقاء السابق قضاء حاجة المؤمن ودينه بعد وفاته، نبدأ حديثنا اليوم بذكر مراتب قضاء الحاجة .

### مراتب قضاء الحاجة

وهي ثلاث مراتب :

#### ١ - إعطاؤه ما زاد عن الحاجة .

ورد عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال : «لأكلة أُطعمها أخا لي في الله أحب إليّ من أن أشبع مسكيناً، ولئن أشبع أخا في الله أحب إليّ من أن أشبع عشرة مساكين، ولئن أعطيه عشرة دراهم أحب إليّ من أن أعطي مائة درهم في المساكين»<sup>(٦١٨)</sup> .

#### ٢ - المساواة بينه وبين صاحب الحاجة من قوته .

قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : «المسلم أخو المسلم، وحق المسلم على أخيه المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه، ولا يروى ويعطش أخوه، ولا يكتسي ويعرى أخوه، فما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم»<sup>(٦١٩)</sup> .

٦١٨ . بحار الأنوار ٧١ : ٣٦٣ ح ٢٦ .

٦١٩ . بحار الأنوار ٧١ : ٢٢١ ح ٢ .

ورود في كتاب فقه الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اعلم يرحمك الله أن حق الإخوان واجب فرض لازم أن تفتدّونهم لأنفسكم وأسماعكم وأبصاركم وأيديكم وأرجلكم وجميع جوارحك، وهم حصونكم التي تلجؤون إليها في الشدائد في الدنيا والآخرة، لا تماطوهم - أي لا تفخروا عليهم - ولا تخالفوهم ولا تغتابوهم ولا تدعوا نصرتهم ولا معاونتهم، وابدلوا النفوس والأموال دونهم، والإقبال على الله جل وعز بالدعاء لهم، ومواساتهم ومساواتهم في كل ما يجوز فيه المساواة والمواساة، ونصرتهم ظالمين ومظلومين»<sup>(٦٢٠)</sup>.

### ٣ - يؤثره على نفسه

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من أثر على نفسه بالغ في المروءة»<sup>(٦٢١)</sup>.

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الإيثار غاية الإحسان»<sup>(٦٢٢)</sup>.

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الإيثار أعلى مراتب الكرم وأفضل الشيم»<sup>(٦٢٣)</sup>.

عن أبان بن تغلب قال: كنت أطوف مع أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألتني الذهاب معه في حاجة، فأشار إليّ، فكرهت أن أدع أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وأذهب إليه، فبينما أنا أطوف إذ أشار إليّ أيضاً فراه أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: يا أبان إياك يريد هذا؟ فقلت: نعم. قال: فمن هو؟ قلت: رجل من أصحابنا. قال: هو على مثل ما أنت عليه؟ فقلت: نعم. قال: فاذهب إليه. قلت: فأقطع الطواف؟ قال: نعم. قلت: وإن كان طواف فريضة؟ قال: نعم. قال: فذهبت معه، ثم دخلت عليه فسألته فقلت: أخبرني عن حق المؤمن على المؤمن. فقال: يا أبان دعه لا ترده. قلت: بلى جعلت فداك، فلم أزل أردد عليه، فقال: يا أبان تقاسمه شطر مالك، ثم نظر إليّ فرأى ما دخلني، فقال: يا أبان أما تعلم أن الله (عزّ وجلّ) قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟ قلت: بلى جعلت فداك. فقال: أما إذا أنت قاسمته فلم تؤثره بعد، إنما أنت وهو سواء، إنما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر»<sup>(٦٢٤)</sup>.

٦٢٠ . بحار الأنوار ٧١ : ٢٢٦ ح ٢٠ .

٦٢١ . غرر الحكم : ح ٩١٧٣ .

٦٢٢ . غرر الحكم : ح ٩١٥٦ .

٦٢٣ . غرر الحكم : ح ٩١٦٠ .

٦٢٤ . الكافي ٢ : ١٧١ ح ٨ .

وعن أبي محمد العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال: قال أمير المؤمنين لليوناني الذي رأى منه المعجزات الباهرات وأسلم على يديه: «أمرُك أن تواسي إخوانك المطابقين لك على تصديق محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتصديقي والانقياد له ولي مما رزقك الله وفضلك على من فضلك به منهم، تسد فافتهم، وتجبر كسرهم وختهم، ومن كان منهم في درجتك في الإيمان وساويته فيما لك في نفسك، ومن كان منهم فاضلاً عليك في دينك أثرته بمالك على نفسك حتى يعلم الله منك أن دينه أثر عندك من مالك، وأن أولياءه أكرم عليك من أهلك وعيالك» (٦٢٥).

### آداب قضاء حاجة المؤمن

١ . عدم المنة على من تقضي حاجته .

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» (٦٢٦).

٢ . استصغار الخدمة المقدمة في قضاء الحاجة .

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يستقيم قضاء الحوائج إلا بثلاث: باستصغارها لتعظم، وباستكتمائها لتظهر، وبتعجيلها لتهنؤ» (٦٢٧).

وقال أبو عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رأيت المعروف لا يتم إلا بثلاث خصال: تصغيره وتيسيره وتعجيله، فإذا صغرت فقد عظمت عند من تصنعه إليه، وإذا يسرت فقد تمته، وإذا عجلته فقد هنأته، فإن كان غير ذلك فقد محقته» (٦٢٨).

٣ . إخفاؤها والتكتم عليها .

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا صنعت معروفًا فاستره، وإذا صنع إليك معروف فانشره» (٦٢٩).

٦٢٥ . بحار الأنوار ٧١: ٢٢١ ح ١ .  
 ٦٢٦ . سورة البقرة: الآية ٢٦٤ .  
 ٦٢٧ . نهج البلاغة: ١٠١ .  
 ٦٢٨ . مستدرک الوسائل ١٢: ٣٦١ ح ١ .  
 ٦٢٩ . مستدرک الوسائل ١٢: ٣٦٢ ح ٦ .

قال أبو عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «احفظ عني ثلاثاً: إذا صنعت معروفًا فعجله، فإنّ تهنته تعجيله، فإذا فعلته فاستره فإنه إن ظهر من غيرك كان أعظم لعذرك، فإذا نوبته فاقصد به وجه الله دون رياء الناس، فإنك إذا قصدت به وجه الله كان أحسن لذكره في الناس» (٦٣٠).

#### ٤ . تعجيلها .

عن الرضا عن أبيه عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنّ الرجل ليسألني الحاجة فأبادر بقضائها مخافة أن يستغني عنها فلا يجد لها موقعاً إذا جاءت» (٦٣١).

#### حاجة المؤمن إلى أخيه المؤمن رحمة

وفي رواية عن إسماعيل بن عمار الصيرفي قال: «قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: جعلت فداك، المؤمن رحمة على المؤمن؟ قال: نعم. قلت: وكيف ذلك؟ قال: أيما مؤمن أتى أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمة من الله ساقها إليه وسببها له، فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها، وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما رده عن نفسه رحمة من الله (عزّ وجلّ) ساقها إليه وسببها له، وذخر الله (عزّ وجلّ) تلك الرحمة إلى يوم القيامة، حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها، إن شاء صرفها إلى نفسه، وإن شاء صرفها إلى غيره. يا إسماعيل فإذا كان يوم القيامة وهو الحاكم في رحمة من الله قد شرعت له فإلى من ترى يصرّفها؟ قلت: لا أظن يصرّفها عن نفسه. قال: لا تظن ولكن استيقن فإنه لن يردها عن نفسه. يا إسماعيل من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلط الله عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة، مغفوراً له أو معذباً» (٦٣٢).

يبين الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الكريمة كيف يكون المؤمن رحمة على المؤمن، في جواب سؤال وجهه إليه أحد أصحابه، وتتمثل في طلب المؤمن حاجته من أخيه المؤمن، فهي باب الرحمة الذي يفتحه الله تعالى له، فإن قضى حاجته فمعنى ذلك أنه قد قبل هذه الرحمة، وإن ردها ولم يقضها له وهو يقدر على قضائها فمعنى ذلك أنه لم يقبل تلك الرحمة. ولكن هذه الرحمة تبقى محفوظة عند الله (عزّ وجلّ) إلى

٦٣٠ . مستدرک الوسائل ١٢ : ٣٦١ ح ٢ .

٦٣١ . بحار الأنوار ٧١ : ٢٨٦ ح ٩ .

٦٣٢ . بحار الأنوار ٧١ : ٣٢٤ ح ٩٤ .

يوم القيامة ، فيعطيها لطالب الحاجة ، وهذا هو ثواب من طلب حاجة إلى أخيه المؤمن فلم يقضها له ، وأما عقاب من أحجم عن قضائها فإن الله (عزّ وجلّ) يسلّط عليه ثعباناً في قبره من حين موته إلى يوم القيامة يعض إبهامه ، سواء كان من أهل الجنة أو من أهل النار.

أكتفي بهذا المقدار ، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



## المحاضرة الأخلاقية الثالثة عشرة

بتاريخ ٢٩/٦/٢٠١٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

كان حديثنا عن حقوق الأخوة الإيمانية، وهي حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، واستعرضنا ثمانية عشر حقاً منها، ننتقل اليوم للحديث عن الحق التاسع عشر.

### الحق التاسع عشر / شفاعة المؤمن في حاجة المؤمن وقبول شفاعته

يتجلى هذا الحق بقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «يشفع مسألته»، فحق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشفع مسألته، ويشفع من الشفاعة وهي الوساطة، أي يتوسط في مسألة أخيه المؤمن ليقضيها له، فقوله: (يشفع) يشير إلى توسط الإنسان عند الآخرين لقضاء حوائج المؤمنين، ويشير أيضاً إلى قبول وساطة الآخرين.

وقد ورد التأكيد على هذا الحق في كلمات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، نستعرض في ما يلي بعضاً منها:

الرواية الأولى: في كتاب وسائل الشيعة الشريف عن أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «إن الله فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيديكم» (٦٣٣).

الرواية الثانية: عن ابن مهران قال: كنت جالساً عند مولاي الحسين بن علي عليه السلام فأتاه رجل فقال: يا ابن رسول الله إن فلاناً له عليّ مالٌ ويريد أن يحبسني، فقال عليه السلام: «ما عندي مالٌ أقضي عنك، قال: كلمه، قال عليه السلام: فليس لي به أنس، ولكني سمعت أبي أمير المؤمنين عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: من سعى في حاجة أخيه المؤمن فكأنما عبد الله تسعة آلاف سنة»<sup>(٦٣٤)</sup>، لذلك هذا حق عظيم من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض.

### الحق العشرون / تسميت عطسة المؤمن

الحق الآخر للمؤمن كما في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يسمى عطسته»، أي عندما يعطس أخوك المؤمن، فمن حقه عليك أن تسمت عطسته، أي تدعوه بالرحمة.

وأما فائدة التسميت فهي:

أولاً: إظهار الاهتمام.

ثانياً: الدعاء للمؤمن بطلب الرحمة له، وهذا شيء مهم جداً.

فقد أفرد الشيخ الكليني باباً كاملاً في كتاب الكافي الشريف في موضوع العطاس والتسميت، باسم «باب العطاس والتسميت»<sup>(٦٣٥)</sup>، ذكر فيه روايات عدة:

منها: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «للمسلم على أخيه من الحق أن يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويسمته إذا عطس»<sup>(٦٣٦)</sup>، يقول العاطس: الحمد لله رب العالمين لا شريك له، فيقول الآخر: يرحمك الله، فيجيبه العاطس: يهديكم الله ويصلح بالكم.

ومنها: عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إذا عطس الرجل فسمّته ولو كان من وراء جزيرة»، وفي رواية أخرى: «ولو من وراء البحر»<sup>(٦٣٧)</sup>.

٦٣٤. بحار الأنوار ٣٤: ٣١٥، ح ٧٢٤.

٦٣٥. الكافي ٢: ٦٥٣.

٦٣٦. الكافي ٢: ٦٥٣ ح ١.

٦٣٧. الكافي ٢: ٦٥٣ ح ٢.



ومنها: عن إسحاق بن يزيد ومعمربن أبي زياد وابن رثاب قالوا: كنا جلوساً عند أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ عطس رجلٌ، فما ردّ عليه أحد من القوم شيئاً حتى ابتداء هو - أي الإمام - فقال: «سبحان الله ألا سمّتم! إنّ من حق المسلم على المسلم أن يعودّه إذا اشتكى، وأن يجيبه إذا دعاه، وأن يشهده إذا مات، وأن يسمّته إذا عطس» (٦٣٨).

ومنها: عن صفوان بن يحيى قال: كنت عند الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ فعطس، فقلت له: صلى الله عليك، ثم عطس فقلت: صلى الله عليك، ثم عطس فقلت: صلى الله عليك، وقلت له: جعلت فداك إذا عطس مثلك تقول له كما يقول بعضنا لبعض يرحمك الله أو كما نقول؟ قال: «نعم، أليس تقول صلى الله على محمد وآل محمد؟ قلت: بلى، قال: ارحم محمداً وآل محمد، قال: بلى وقد صلى الله عليه ورحمه، وإنما صلواتنا عليه رحمة لنا وقربة» (٦٣٩).

ومنها: عن داود بن الحصين قال: كنا عند أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فأحصيت بالبيت أربعة عشر رجلاً، فعطس أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فما تكلم أحدٌ من القوم، فقال أبو عبد الله: «ألا تسمّتون! من حق المؤمن على المؤمن إذا مرض أن يعودّه، وإذا مات أن يشهد جنازته، وإذا عطس أن يسمّته، وإذا دعاه أن يجيبه» (٦٤٠).

ومنها: عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابه قال: عطس رجلٌ عند أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: الحمد لله، فلم يسمّته أبو جعفر، وقال: «نقصنا حقنا. ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته، فقال الرجل: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآل محمد، فسمّته أبو جعفر» (٦٤١).

ومنها: عن ابن أبي عمير عن سعد بن أبي خلف قال: كان أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا عطس فقليل له: يرحمك الله، قال: «يغفر الله لكم ويرحمكم». وإذا عطس عنده إنسان قال: «يرحمك الله (عزّ وجلّ)» (٦٤٢).

إذن نقول لمن يعطس: يرحمك الله، بعد أن يقول: الحمد لله رب العالمين وصلى

٦٣٨ . الكافي ٢ : ٦٥٣ ح ٣ .

٦٣٩ . الكافي ٢ : ٦٥٣ ح ٤ .

٦٤٠ . الكافي ٢ : ٦٥٤ ح ٧ .

٦٤١ . الكافي ٢ : ٦٥٤ ح ٩ .

٦٤٢ . الكافي ٢ : ٦٥٥ ح ١١ .

الله على محمد وآله ، وعندما يُقال له : يرحمك الله ، يقول لهم : يغفر الله لكم ، أو بارك الله فيكم .

ومنها : عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : « إذا عطس الرجل فليقل : الحمد لله رب العالمين لا شريك له ، وإذا سمّت الرجل فليقل : يرحمك الله ، وإذا ردّ فليقل : يغفر الله لك ولنا ، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سئل عن آية أو شيء فيه ذكر الله فقال : كل ما ذكر الله فيه فهو حسن» (٦٤٣) .

ومنها : عن ابن أبي نجران عن بعض أصحابنا قال : عطس رجل نصراني عند أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له القوم : هداك الله ، فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « قولوا : يرحمك الله ، فقالوا له : إنه نصراني ، فقال : لا يهديه الله حتى يرحمه» (٦٤٤) .

عن أبي بكر الحضرمي قال : سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قول الله (عزّ وجلّ) : « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» ماذا يراد منه؟ فقال الإمام : « العطسة القبيحة» .

وهناك مجموعة أخرى من الروايات ، ولكن نكتفي بهذا المقدار من الروايات في هذا الحق من حقوق المؤمنين «يسمت عطسته» .

والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٦٤٣ . الكافي ٢ : ٦٥٥ ح ١٣ .

٦٤٤ . الكافي ٢ : ٦٥٦ ح ١٨ .



## المحاضرة الأخلاقية الرابعة عشرة

بتاريخ ٢٠١٤/٦/٣٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

انتهينا في الجلسة الماضية من الحق العشرين من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، نتقل اليوم إلى الحق الحادي والعشرين

### الحق الحادي والعشرون/ إرشاد ضالة المؤمن

وردت الإشارة إلى هذا الحق في الرواية موضوع البحث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يرشد ضالته»، أي من حق المؤمن على أخيه المؤمن إذا أضاع شيئاً أن يرشده إليه، وذلك بإبداء الاهتمام ومساعدته في العثور عليه، ويشمل ذلك:

- ١ . إذا كان لديه شيء فأضاعه، فيعين أخاه المؤمن على العثور عليه .
- ٢ . إذا كان لديه طموح في الوصول إلى شيء لم يكن عنده، فيعينه على تحقيقه .
- ٣ . إذا كانت الضالة أمراً مادياً كمكان أو شيء أو شخص .
- ٤ . إذا كانت ضالته أمراً معنوياً كالمقامات الإلهية والمعنوية .

وقد ورد التأكيد على هذا الحق في روايات عدة:

منها: ما رواه الشيخ الكليني في الكافي الشريف عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «الحكمة ضالة المؤمن فحيث ما وجد أحدكم ضالته فليأخذها»<sup>(٦٤٥)</sup>.

ومنها: ما رواه الشيخ المجلسي في بحار الأنوار عن الإمام السجاد (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «هلك من ليس له حكيم يرشده»<sup>(٦٤٦)</sup>.

ومنها: ما في غرر الحكم عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أنا داعيكم إلى طاعة ربكم، ومرشدكم إلى فرائض دينكم، ودليلكم إلى ما ينجيكم»<sup>(٦٤٧)</sup>.

ومنها: ما في غرر الحكم أيضاً عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «أخوك في الله من هداك إلى رشاد، ونهاك عن فساد، وأعانك على إصلاح معاد»<sup>(٦٤٨)</sup>.

٥. إذا كان يعرف الضالة ويرشده إليها.

٦. إذا لم يعرفها ولكنه يعرف من يعرفها فيرشده إلى من يعرفها.

ومنها: ما روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «الدال على الخير كفاعله»<sup>(٦٤٩)</sup>.

ومنها: ما روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في حق المؤمن على المؤمن، يذكر فيها عدة حقوق، الرابع: «أن تكون عينه، ودليله، ومرآته»<sup>(٦٥٠)</sup>.

ومنها: عن سماعة قال: سألت الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قول الله تعالى: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ... فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا»<sup>(٦٥١)</sup> قال: «من أخرجها من ضلال إلى هدى فكأنما أحياها، ومن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها»<sup>(٦٥٢)</sup>.

٦٤٥. الكافي ٨: ١٦٧ ح ١٨٦.

٦٤٦. بحار الأنوار ٧٨: ١٥٩.

٦٤٧. غرر الحكم: باب ١٠، رقم الحكمة ٢٠٦٧.

٦٤٨. غرر الحكم: باب ٤١، رقم الحكمة ٩٦٩٧.

٦٤٩. بحار الأنوار ٤٦: ١٦٩.

٦٥٠. الكافي ٢: ١٦٩.

٦٥١. سورة البقرة: الآية ٢٢٤.

٦٥٢. الكافي ٢: ٢١٠ ح ١.

## الحق الثاني والعشرون / ردّ سلام المؤمن

ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الرواية موضوع البحث ثلاثين حقاً للمؤمن على أخيه المؤمن، والحق الثاني والعشرون من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض هو ردّ سلام المؤمن إذا سلم، وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يرد سلامه». فردّ السلام حق للمؤمن على أخيه المؤمن، أي السلام ورد السلام، والتحية التي يطلقها الإنسان تمثل واحداً من الآداب المهمة في العلاقة الإيمانية بين المؤمنين؛ أن يُحيي بعضهم بعضاً، والتحية من الحياة، وهي دعاء للأخ المؤمن بالسلامة والأمان والبقاء لئلا يتعرض إلى مكروه.

### السلام تحية أهل الجنة والملائكة

ورد في قوله تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾<sup>(٦٥٣)</sup> - في إشارة إلى الملائكة، أنهم يُحيون من خلال السلام وإشاعة السلام، وقد وردت هذه الآية الشريفة في أهل الجنة، فأهل الجنة يُحيي بعضهم بعضاً بالسلام.

وقد نص عدد من الآيات القرآنية الشريفة على أن الملائكة أيضاً يقومون بالتحية عبر السلام؛ كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾<sup>(٦٥٤)</sup>، إذن التحية المتبادلة بين الملائكة والأنبياء هي السلام، فالملائكة تقول «سَلَامًا»، والنبي يُحييها «سَلَامًا»، إذن السلام مُتبادل بين الملائكة والأنبياء.

وتشير آية أخرى إلى أن الملائكة حينما تأتي لتقبض الأرواح الطيبة، الأرواح المؤمنة، تسلم عليهم قبل قبض الروح، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٦٥٥)</sup>. الملائكة تقبض الأرواح الطيبة وتقبض الأرواح الخبيثة والعياذ بالله، ولكن حينما تتوفى الأرواح الطيبة تلقي التحية على أصحابها، إذ تقول لهم: سلامٌ عليكم، تفضلوا وادخلوا الجنة جزاء بما كنتم تعملون، وتفتح لهم أبواب الجنة وتنقلهم إلى دار السعادة.

وكذلك فإنّ خزنة الجنة، وهم العاملون فيها، يُسلمون على أهل الجنة كما في قوله

٦٥٣ . سورة يونس : الآية ١٠ .

٦٥٤ . سورة هود : الآية ٦٩ .

٦٥٥ . سورة النحل : الآية ٣٢ .

تعالى: ﴿وَسِيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾<sup>(٦٥٦)</sup>، فالمتمقون عندما يذهبون إلى الجنة ويصلون إلى أبوابها، تُفتح لهم ويستقبلهم خزنتها بالتحية فيقولون لهم: سلام عليكم طبتم، ثم يطلبون منهم الدخول إليها ويشرونهم بالبقاء فيها أبداً. وعلينا أن نتعلم من خلق الملائكة كيف تتعامل مع من يأتينا ويدخل من أبوابنا، فنستقبلهم بالابتسامة والبشاشة والسلام والعبارات الطيبة مثل: تفضلوا، أهلاً ومرحباً. وإن شاء الله تعالى يكون خلقنا هكذا في التعامل مع ضيوفنا كما يتعامل الملائكة مع الوافدين على الجنة.

### السلام تحية الله تعالى لأنبيائه

وهكذا يسلم الله (سبحانه وتعالى) على أنبيائه وعلى أهل بيت رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(٦٥٧)</sup>، الله يسلم على أهل بيت نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم، وهذا السلام هو دعاءً بالسلامة والبقاء والحفظ، وهو تعبيرٌ عن الاهتمام والرعاية، فحين تسلم على شخص وتطلب له السلامة، فذلك يعني أنك تحترمه وتقدره، وتفتتح عليه وتبدي له الاهتمام.

فهذا السلام يُحقق حالة من المحبة ويعزز ويعمق هذه الأخوة، ويوثق العلاقة الإيمانية بين المؤمنين، ولذلك اعتُبر من آداب المؤمنين بعضهم مع بعض.

### آداب السلام في الإسلام

كل خطوة في الإسلام لها آداب؛ كيف تُلقي؟ كيف تؤدي؟ وما هي حدودها؟ فلو أخذنا هذا السلام على بساطته لوجدنا فيه آداباً، ونحاول هنا على عجلة أن نستعرض آداب السلام:

الأدب الأول: البدء بالسلام: من آداب السلام أن تبدأ بالسلام، وتكون أنت المُبادر. وورد في رواية: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يبتدئ المسلمين دائماً بالسلام، وفي يوم من الأيام قرر شخص أن يسبق الرسول بالسلام، واختفى خلف جدار ينتظر مجيء الرسول ليبادره بالسلام، وكان متهيئاً ليفاجئ الرسول، وإذا

٦٥٦. سورة الزمر: الآية ٧٣.

٦٥٧. سورة الصافات: الآية ١٣٠.

برسول الله من خلف الجدار قال: يا فلان السلام عليك، وأوضح له أنه لا يمكنه أن يغلبه بهذه المسألة. فتقافة البدء بالسلام شيء مهم.

لاحظوا أيضًا هذه الرواية الشريفة في كتاب بحار الأنوار: قال الإمام أبو عبد الله الصادق (سلام الله عليه): «البادئ بالسلام أولى بالله وبرسوله»<sup>(٦٥٨)</sup>، الذي يتدئ السلام هو الأولى وهو الأقرب إلى الله ورسوله.

فإن بدأت بالسلام تحصل على ٦٩ حسنة، وإن رددت السلام فلك حسنة واحدة، لأن السلام مستحب وردّ السلام واجب، فمن يأتي بالمستحب يحصل على أجر كبير، فقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «السلام سبعون حسنة، تسع وستون للمبتدئ، وواحدة للراد»<sup>(٦٥٩)</sup>.

وورد في كتاب الكافي الشريف عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أبدؤوا بالسلام قبل الكلام، فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه»<sup>(٦٦٠)</sup>، هذه هي عقوبته، فلا نجيبه عن سؤاله حتى يُسلم.

وورد أيضًا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «البادي بالسلام أولى بالله وبرسوله»<sup>(٦٦١)</sup>، لأنّ من التواضع أن يبدأ الإنسان الآخرين بالسلام، وأن يسلم على من يلقاه.

وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أيضًا قال: «أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام»<sup>(٦٦٢)</sup>، ولذلك فإنّ من الآداب المهمة للسلام أن يبدأ الإنسان بالسلام ويبادر إليه.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٦٥٨. بحار الأنوار ٧٣: ١١، ح ٤٦٨.

٦٥٩. بحار الأنوار ٧٣: ١٧، ح ٤٦٩.

٦٦٠. الكافي ٢: ٦٤٤ ح ٢.

٦٦١. الكافي ٢: ٦٤٥ ح ٨.

٦٦٢. الكافي ٢: ٦٤٤ ح ٣.



## المحاضرة الأخلاقية الخامسة عشرة

بتاريخ ٢٠١٤/٧/١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

كان حديثنا في اللقاءات السابقة عن حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، وذكرنا أنها ثلاثون حقاً كما وردت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ووصلنا إلى الحق الثاني والعشرين، وهو (رد سلام المؤمن)، وذكرنا أن للسلام آداباً في الإسلام، ذكرنا منها في آخر اللقاء السابق واحداً، ونستكمل اليوم بقية الآداب

الأدب الثاني: إفشاء السلام: أي الإكثار من السلام، وعدم الشعور بالتعب أو الإعياء، فابدأ بالسلام وأشعه بين الناس لأن إشاعة السلام شيء مهم.

جاء في بحار الأنوار عن أبي بصير عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إن في الجنة عُرفاً يُرى ظاهرها من باطنها»، هناك غرف في الجنة ترى من داخلها خارجها، «وباطنها من ظاهرها»، ومن الخارج ترى الداخل، كالكريستال النقي المتألئ الذي يستطيع الإنسان أن يرى من خلاله، «يسكنها من أمتي من أطاب الكلام»، الكلام الطيب، «وأطعم الطعام، وأفشى السلام»، فالذي يُفشي السلام يسكنه الله في هذه الأماكن الرفيعة والمهمة، «وصلى بالليل والناس نيام»، الصلاة في أثناء الليل، ثم قال: «إفشاء السلام ألا يبخل بالسلام على أحد من المسلمين»<sup>(٦٦٣)</sup>، أن يسلم على من يلقاه سواء كان يعرفه أو لا يعرفه، صغيراً كان أو كبيراً، إفشاء وإفشاء السلام من آداب السلام.

٦٦٣. بحار الأنوار ٧٣: ٢، ح ٢.



وورد في رواية أخرى عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من التواضع أن تسلم على من لقيت»<sup>(٦٦٤)</sup>.

وفي رواية أخرى: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أنس سلم على من لقيت»، أن تسلم على كل من تراه، «يزيد الله من حسناتك وسلم في بيتك يزيد الله في بركتك»<sup>(٦٦٥)</sup>، حتى في بيتك سلم على أهلِكَ فهذا السلام يُدخل البركة إلى البيت.

وورد في رواية عن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً: «يا أنس أسبغ الوضوء تمر على الصراط مر السحاب، أفش السلام يكثر خير بيتك، أكثر من صدقة السر فإنها تُطفئ من غضب الرب (عزّ وجلّ)»<sup>(٦٦٦)</sup>. يوصي النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الرواية أحد أصحابه بأمور ثلاثة ويبيّن له ثمرة كل واحد منها، وهي:

الأول: إسباغ الوضوء، وهو الاعتناء بالوضوء والاهتمام به وأداؤه بشكل جيد، وجزاؤه سرعة المرور على الصراط يوم القيامة.

الثاني: إفشاء السلام، أي إلقاء التحية على الجميع، وجزاؤه كثرة خير البيت، فإن كنت تريد زيادة رزق بيتك، وأن تكون النعمة موجودة دائماً فيه وألا يصيبك الفقر، فعليك بإفشاء السلام، وهذه من الآثار الدنيوية لإفشاء السلام.

الثالث: الإكثار من صدقة السر، وجزاؤه إطفاء غضب الرب (عزّ وجلّ).

وجاء في رواية خامسة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إن أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وإن أبخل الناس من بخل بالسلام»<sup>(٦٦٧)</sup>. وتتضمن هذه الرواية الشريفة فقرتين، الأولى في بيان أن أكثر الناس عجزاً هو من عجز عن الدعاء، مع أنه من أيسر الأمور، فما على الإنسان إلا أن يتوجه إلى الله (سبحانه وتعالى) بقلبه ويطلب منه قضاء حاجته، من جلب منفعة أو دفع مكروه، فمما لا شك فيه أن من أعظم الأسباب لقضاء الحوائج هو طلبها من الله جل جلاله، كما بيّن ذلك في قوله: «قُلْ مَا يَعْجُبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ»<sup>(٦٦٨)</sup>. وتتضمن الفقرة الثانية بيان أن أكثر الناس بخلاً هو من بخل بالسلام، مع أنه أمر يسير لا يكلفه إلا تحريك شفتيه بقول السلام عليكم.

٦٦٤ . الكافي ٢: ٦٤٦ ح ١٢ .

٦٦٥ . بحار الأنوار ٧٣: ٣، ح ٥ .

٦٦٦ . بحار الأنوار ٧٣: ٤، ح ٨ .

٦٦٧ . بحار الأنوار ٧٣: ٤، ح ١١ .

٦٦٨ . سورة الفرقان: الآية ٧٧ .

ورود في رواية سادسة: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ قالوا: بلى يا رسول الله. فقال: إفشاء السلام في العالم»<sup>(٦٦٩)</sup>، أي أن أفضل سلوك أخلاقي لأهل الدنيا والآخرة هو إفشاء السلام، والسرف في ذلك أن السلام يلين الطرف الآخر مهما كان متشدداً ومتصلباً، ويزيل من قلبه جذور الحقد والكراهية، ويزرع فيه بذور المحبة والمودة.

الأدب الثالث: أن يُسلم الإنسان حتى لو كان وحده، وقد ورد عن أبي جعفر الإمام الباقر (صلوات الله وسلامه عليه) في تفسير قوله تعالى: «إذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم»<sup>(٦٧٠)</sup>، أنه قال: «إذا دخل الرجل منكم بيته، فإن كان فيه أحد يُسلم على من في البيت، وإن لم يكن فيه أحد فليقل: السلام علينا من عند ربنا. يقول الله: ﴿تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾»<sup>(٦٧١)</sup>، فحينما تطلب السلام لنفسك وأنت وحدك، فإن الله (سبحانه وتعالى) يرد عليك السلام.

الأدب الرابع: ردّ السلام، إذ قال الله تعالى: «وإذا حُيِّتُم بتحيةٍ فحيوا بأحسن منها أو ردّوها»<sup>(٦٧٢)</sup>، والأفضل في ردّ السلام أن تقول: وعليكم السلام ورحمة الله، أي أضف لها، أو ردّوها بمثلها إن لم تكونوا على ما يرام، لأن ردّ السلام من الواجبات، فقد جاء في كتاب الكافي رواية عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «السلام تطوع ورده فريضة»<sup>(٦٧٣)</sup>، فالسلام مستحب ولكن ردّ السلام واجب.

لاحظوا هذه الرواية الشريفة في الردّ بالأحسن، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أتاه رجل فقال: السلام عليك يا نبي الله، فقال: وعليك ورحمة الله، ثم أتاه آخر فقال: السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وعليك ورحمة الله وبركاته، ثم أتاه آخر فقال: السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وعليك، فقيل له: يا رسول الله لم لم تقل لهذا كما قلت للذين من قبله؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنه تشافها<sup>(٦٧٤)</sup>، أي لم يبق له شيئاً حتى يضيف عليها، إذ قالها كاملة. وعلى كل حال فردّ السلام يجب أن يكون بأحسن منه، وهذا من آداب السلام.

٦٦٩. بحار الأنوار ٧٣: ١٢، ح ٥٠.

٦٧٠. سورة النور: الآية ٦١.

٦٧١. بحار الأنوار ٧٣: ٣، ح ٣.

٦٧٢. سورة النساء: الآية ٨٦.

٦٧٣. الكافي ٢: ٦٤٤ ح ١.

٦٧٤. بحار الأنوار ٧٣: ١٢، ح ٥١.

وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَلَّمَ مِنَ الْقَوْمِ وَاحِدٌ أَجْزَأُ عَنْهُمْ وَإِذَا رَدَّ وَاحِدٌ مِنَ الْقَوْمِ أَجْزَأُ عَنْهُمْ»<sup>(٦٧٥)</sup>. يبيِّن هذا الحديث المبارك حكمًا جديدًا؛ وهو كفاية أن يردَّ شخص واحد إذا كانوا جماعة، كما لو دخل عليكم أحدهم وقال: السلام عليكم، فلا حاجة الى أن يردَّ عليه الجميع، بل يكفي أن يرد أحدكم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإن رَدَّ أكثر من واحد فهو يحظى بثواب رَدِّ السلام، بينما من سمع السلام منكم ولم يرد واكتفى برَدِّ الآخرين فلا إثم عليه.

الأدب الخامس: إيصال السلام، فمن الآداب التعامل مع السلام كأمانة، وإيصال هذه الأمانة، لاحظوا هذه الرواية عن جابر بن عبد الله البجلي قال: «سمعت سلمان الفارسي يقول لي وللأشعث بن قيس: إن لي عندكما وديعة، فقلنا: ما نعلمها إلا أن قومًا قالوا لنا أقرؤوا عنا السلام، قال سلمان: فأَيُّ شيء أفضل من السلام وهي تحية أهل الجنة؟»<sup>(٦٧٦)</sup>، فمن آداب السلام إيصال أمانة السلام.

الأدب السادس: عدم التمييز في السلام، أي السلام على الجميع، لاحظوا هذا الحديث الشريف عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنْ مِنَ التَّوَاضِعِ أَنْ يَرْضَى الرَّجُلُ بِالْمَجْلِسِ دُونَ الْمَجْلِسِ، وَأَنْ يُسَلِّمَ عَلَى مَنْ يَلْقَى، وَأَنْ يَتْرِكَ الْمَرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحَقًّا، وَلَا يَحِبُّ أَنْ يَحْمَدَ عَلَى التَّقْوَى»<sup>(٦٧٧)</sup>. تضمن هذا الحديث أربع خصال للمتواضع، وبها يتميّز عن المتكبر، وهي:

الأولى: أن يجلس حيث ينتهي به المجلس، ولا يقصد صدر المجلس.

الثانية: يسلم على كل من يلقاه، صغيرًا كان أو كبيرًا، عالمًا كان أو جاهلًا، غنيًا كان أو فقيرًا.

الثالثة: يترك الجدال وإن كان على حق وخصمه على باطل.

الرابعة: لا يحب أن يمدحوه في شيء حسن أتى به.

وفي رواية أخرى: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خَمْسٌ لَا أَدْعُهُنَّ حَتَّى الْمَمَاتِ: الْأَكْلُ عَلَى الْحَضِيضِ مَعَ الْعَبِيدِ، وَرُكُوبُ الْحِمَارِ، وَحَلْبُ الْعَنْزِ بِيَدِي، وَلِبْسُ الصُّوفِ،

٦٧٥ . بحار الأنوار ٧٣ : ٧ ، ح ٢٦٦ .

٦٧٦ . بحار الأنوار ٧٣ : ١٤ .

٦٧٧ . بحار الأنوار ٧٣ : ٦ ، ح ١٩٧ .

والتسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي»<sup>(٦٧٨)</sup>. يبين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خمس خصال للتواضع، وقد عاهد نفسه ألا يترك واحدة منها حتى يتوفاه الله تعالى، لتكون سنة يقتدي بها المسلمون من بعده، وهي:

الأولى: الجلوس مع الفقراء على الأرض ومشاركتهم طعامهم.

الثانية: ركوب الحمار، وكان الأشراف من الناس آنذاك يأنفون من ركوبه لما في ذلك من الذل، ويركبون الخيول بدلاً منه.

الثالثة: حلب العنز، وهو عمل العبيد عادة، أي أنه يقوم بأداء أعماله بنفسه ولا يكلف الآخرين ليقوموا بها.

الرابعة: لبس الصوف، وهو لباس الفقراء لما فيه من الخشونة.

الخامسة: التسليم على الصبيان، وهذا السلام يزيد الطفل ثقةً بنفسه، ولكن هذه الأعمال يأبأها سائر الناس لما فيها من التواضع الشديد، ولا يعتبر الإنسان لو تركها متكبراً، ولكن مع ذلك ألزم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نفسه بها.

ويجب علينا أن نسلم على الجميع ولا ننتظر الرد، فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «السلام من أسماء الله، فأفشوه بينكم، فإن الرجل المسلم إذا مر بالقوم فسلم عليهم فإن لم يردوا عليه يردّ من هو خير منهم وأطيب»<sup>(٦٧٩)</sup>، أي سيردّ الأهم منهم؛ فالملائكة ستردّ، والله سبحانه هو الذي سيردّ السلام، وهو ما يبغيه المؤمن.

وورد عن أبي عبد الله الصادق سلام الله عليه قوله: «من قال سلام عليكم ورحمة الله فهي عشرون حسنة»<sup>(٦٨٠)</sup>، وهو يرتبط أيضاً بعدم التمييز في السلام على الجميع.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٦٧٨. بحار الأنوار ٧٣: ١٠، ح ٣٨.

٦٧٩. بحار الأنوار ٧٣: ١٠، ح ٣٩.

٦٨٠. بحار الأنوار ٧٣: ١١، ح ٤٦.



## المحاضرة الأخلاقية السادسة عشرة

بتاريخ ٢٠١٤/٧/٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

يتواصل حديثنا في الحق الثاني والعشرين من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، وهو (رد سلام المؤمن)، وقلنا إن للسلام في الإسلام آداباً ينبغي مراعاتها، ذكرنا ستة منها في اللقاء السابق، ونستمر في عرض بقية الآداب اليوم إن شاء الله.

الأدب السابع: صيغة السلام، أي كيف نسلم

لاحظوا هذه الرواية الشريفة في بحار الأنوار بالإسناد إلى وهب، قال: «لما أسجد الله (عزّ وجلّ) الملائكة لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأبى إبليس أن يسجد، قال له ربه (عزّ وجلّ): «أخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين»، ثم قال (عزّ وجلّ) لآدم: يا آدم انطلق إلى هؤلاء الملائكة، فقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فسلم عليهم، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فلما رجع إلى ربه (عزّ وجلّ) قال له ربه (سبحانه وتعالى): هذه تحيتك وتحية ذريتك من بعدك في ما بينهم إلى يوم القيامة»<sup>(٦٨١)</sup>.

إن صيغة السلام: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، هي الصيغة التي علمها الله (سبحانه وتعالى) لآدم (عليه وعلى نبينا وآله السلام)، حينما طلب منه أن يذهب إلى الملائكة ويسلم عليهم بهذه الصيغة، فردّوا عَلَيْهِ السَّلَامُ بقولهم: «وعليك السلام ورحمة

الله وبركاته»، فكان القرار الإلهي في السلام من تلك اللحظة إلى يوم القيامة هو: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والجواب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. هكذا يُعلمنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صيغة السلام.

وورد في كتاب الكافي الشريف عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: يُكره للرجل أن يقول حياك الله ثم يسكت حتى يتبعها بالسلام»<sup>(٦٨٢)</sup>، أي لا ينبغي للإنسان عندما يرى شخصاً آخر أن يكتفي بما يتداوله الناس للتحية في ما بينهم، كأن يقول له: حياك الله، أهلاً ومرحباً، ثم يسكت، بل ينبغي له أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأدب الثامن: هيئة التحية. ورد في رواية عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «إن من تمام التحية للمقيم المصافحة، وتمام التسليم على المسافر المعانقة»<sup>(٦٨٣)</sup>.

هذه الرواية في بيان كمال هيئة التحية، فصيغة التحية هي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأما هيئة التحية فهي تختلف بين المقيم والقادم من السفر، فكمال التحية للمقيم في نفس البلد أو الزميل في نفس مكان العمل هي المصافحة، مع نطق صيغة السلام وهي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وتمام التسليم على المسافر المعانقة، لأن المعانقة فيها المزيد من الترحيب والاهتمام بهذا الوافد إلينا.

الأدب التاسع: السلام الكامل. لاحظوا هذه الرواية التي تشير إلى ضرورة أن يكون السلام كاملاً واضحاً من كلا الطرفين، وألاً يكون ناقصاً، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا غرار في الصلاة ولا التسليم»<sup>(٦٨٤)</sup>، والغرار في التسليم أن يقول الرجل: السلام عليك أو يردده فيقول: وعليك، ولا يقول: وعليك السلام، ويكره تجاوز الحد في الرد على السلام كما يكره الغرار، أي ينبغي أن يقول المسلم: السلام عليكم، ولا يقول: السلام عليك. وينبغي للراد أيضاً أن يقول: وعليكم السلام، ولا يقتصر على قول: وعليكم. وكذلك ينبغي في الرد على السلام عدم تجاوز الحد الوارد في النصوص، فكما يُكره النقص، فكذلك تُكره الزيادة في الجواب على حدود السلام المتعارفة.

الأدب العاشر: في سلام المرأة، وكيف يُسَلَّم الرجل على المرأة، فقد ورد عن

٦٨٢. الكافي ٢: ٦٤٦ ح ١٥.

٦٨٣. الكافي ٢: ٦٤٦ ح ١٤.

٦٨٤. بحار الأنوار ٧٣: ٧، ح ٢٢.

أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن النساء كيف يُسَلَّمَن إذا دخلن على القوم، قال: المرأة تقول: عليكم السلام، والرجل يقول: السلام عليكم» (٦٨٥). فالمرأة عندما تدخل إلى مكان فيه رجال تغلب صيغة السلام فتقول: عليكم السلام، ويقول الرجل في الردّ عليها: السلام عليكم.

الأدب الحادي عشر: تراتبية السلام، أي من يجب عليه أن يبادر إلى السلام أولاً. لاحظوا هذه الرواية عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في بيان من يسلم على من، قال: «يسلم الراكب على المشي، والمشاي على القاعد، وإذا لقيت جماعة جماعة سلم الأقل على الأكثر، وإذا لقي واحد جماعة سلم الواحد على الجماعة» (٦٨٦).

وفي رواية أخرى: «يسلم الراكب على المشي، والقائم على القاعد» (٦٨٧)، إذن فالقاعدة دائماً أن من كان في موقع أفضل يجب عليه أن يبدأ بالسلام.

الأدب الثاني عشر: السلام عند الوداع. لاحظوا هذه الرواية الشريفة عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أبيه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا قام الرجل من مجلسه فليودع إخوانه بالسلام، فإن أفاضوا في خير كان شريكهم، وإن أفاضوا في باطل كان عليهم دونه» (٦٨٨)، أي ليكن توديعه لهم بالسلام عليهم، فإذا ودعهم بالسلام وهم كانوا يشتغلون بخير فله نصيب من ذلك، وأما إذا كانوا يشتغلون بشر- والعياذ بالله - فشرهم عليهم وحدهم.

الأدب الثالث عشر: استخدام صيغة الجمع عند السلام، فلا تغل السلام عليك، بل قل السلام عليكم حتى لو كان شخصاً واحداً. لاحظوا هذه الرواية الكريمة في كتاب الكافي الشريف، عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ثلاثة تردّ عليهم ردّ الجماعة وإن كان واحداً... والرجل يسلم على الرجل فيقول: السلام عليكم» (٦٨٩).

الأدب الرابع عشر: الجهر بالسلام، وهو رفع الصوت عند السلام ليُسمع، فقد ورد عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إذا سلم أحدكم فليجهر بسلامه، فلا يقول المسلم سلّم فلم يردّ عليّ، فإذا ردّ أحدكم فليجهر برده». ثم قال: كان عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول:

٦٨٥ . بحار الأنوار ٧٣ : ٧ ، ح ٢٤ .

٦٨٦ . الكافي ٢ : ٦٤٧ ح ٣ .

٦٨٧ . الكافي ٢ : ٦٤٧ ح ٤ .

٦٨٨ . بحار الأنوار ٧٣ : ٩ ، ح ٣٦ .

٦٨٩ . الكافي ٢ : ٦٤٥ ح ١٠ .

لا تغضبوا ولا تُغضبوا، أفسحوا السلام، وأطيبوا الكلام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»<sup>(٦٩٠)</sup>. فكما يُستحب الجهر بالسلام، كذلك يُستحب الجهر برّد السلام.

هذه هي الآداب الأربعة عشر للسلام التي استعرضناها، ونسأل الله أن يُعيننا على الالتزام بها جميعاً.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته





## المحاضرة الأخلاقية السابعة عشرة

بتاريخ ٢٠١٤/٧/٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

كان حديثنا عن الأخوة الإيمانية، وأوردنا رواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تذكر ثلاثين حقا للمؤمن على أخيه المؤمن، استعرضنا منها اثنين وعشرين حقا، واليوم ننتقل إلى الحق الثالث والعشرين.

### الحق الثالث والعشرون/ تطيب الكلام مع الأخ المؤمن

يتضح هذا الحق في الرواية موضوع البحث بقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «ويطيب كلامه». أي يجب على المؤمن أن يطيب كلامه حينما يتحدث مع أخيه المؤمن.

#### مفهوم طيب الكلام

الطيب من حيث المفهوم هو ألا نستغيب أمام المؤمن، ولا نكذب بين يديه، ولا نذكر الفاحشة على ألسنتنا في مسمع منه، فالمضمون يجب أن يكون مضموناً طيباً، وكذلك الأسلوب والعبارة والنبرة يجب أن تكون طيبة، فالأسلوب يجب ألا يكون فيه قسوة، ولا يكون فيه كسر، ولا يكون فيه إساءة، ولا تحقير. أيها المؤمن، عندما تخاطب أخاك المؤمن فخاطبه بكلام طيب، هذا معنى طيب الكلام.

وهناك معنى آخر، وهو أن المؤمن يطيب كلام أخيه المؤمن، أي عندما يأتي أخوك

المؤمن وهو عصبي المزاج ويكلمك بعصبية، فيجب عليك أن تأخذه على محمل حسن، وعندما يكلمك عن شخص ويبدأ ينعته بكلمات بذئثة ويطلب منك أن تنقلها، فلا ينبغي لك أن تنقلها بهذه الصورة، وتصنع مشكلة بين الأخوين، بل قل له: فلان اتصل وبدأ يسأل عنك، وأوصل المضمون والمعنى بطريقة طيبة وبكلام طيب، حتى لا تصنع مخاصمة بين الأخوين.

### العلاقة الإيمانية وطيب الكلام

وطيب الكلام هو الحالة الطبيعية بين المؤمنين، ويُسْتَشْنَى من ذلك حالات النهي عن المنكر، فإذا فعل شخص أمامك المنكر فيجب عليك أن تظهر له عدم الاكتراث وعدم الاهتمام، وتحاول أن تنهيه عن هذا الفعل بأي طريقة كانت، حتى يرجع هذا المؤمن إلى صوابه، وتحول بينه وبين الانحراف وارتكاب الخطأ، أما إذا رأيت الخطأ أمامك ولم تفعل شيئاً وبقيت تعامله بمحبة، فأنت بذلك تشجعه على الخطأ، وسيتوسع في ممارسة الخطأ، ويزداد في انحرافه إلى غير ذلك، فهذا في الحقيقة معنى تطيب الكلام.

### الحث على طيب الكلام

لقد أكد الإسلام على أهمية طيب الكلام عند محادثة الناس، وقد ورد الحث عليه في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾<sup>(٦٩١)</sup>، وفي الروايات الشريفة، فهو من خلق الأنبياء، وقد أمر الله (سبحانه وتعالى) به أنبياءه، ففي الحديث القدسي: قال الله (سبحانه وتعالى) مخاطباً نبيه موسى عليه وعلى نبينا وآله السلام: «يا موسى أطب الكلام»<sup>(٦٩٢)</sup>.

وورد في حديث قدسي آخر: قال الله (سبحانه وتعالى) لنبيه عيسى عليه وعلى نبينا وآله السلام: «يا عيسى أطب الكلام، وكن حيثما كنت عالماً أو متعلماً»<sup>(٦٩٣)</sup>.

وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: «ثم ليقضوا تمثهم» قال: «ما يكون من الرجل في حال إحرامه، فإذا دخل مكة وطاف وتكلم بكلام طيب كان ذلك كفارة لذلك

٦٩١. سورة إبراهيم: الآية ٢٤ - ٢٦.

٦٩٢. الكافي ٨: ٤٦.

٦٩٣. الكافي ٨: ١٣٧.

الذي كان منه»<sup>(٦٩٤)</sup>، فالكلمة الطيبة كفارة تمحو ما ارتكبه المحرم من ذنوب بلسانه .

### ثقافة الدعاء وطيب الكلام

وفي طيب الكلام هناك أيضًا ثقافة الدعاء، وكيفية مخاطبة الله (سبحانه وتعالى) بالكلام الطيب وبالثناء، وقد رأيت في ذلك روايات مهمة نتلو بعضها . لاحظوا هذه الروايات في كتاب الكافي الشريف، باب الثناء قبل الدعاء .

الرواية الأولى: عن الحارث بن المغيرة قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «إياكم إذا أراد أحدكم أن يسأل من ربه شيئاً من حوائج الدنيا والآخرة حتى يبدأ بالثناء على الله (عزّ وجلّ) والمدح له، والصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثم يسأل الله حوائجه»<sup>(٦٩٥)</sup>، فالمديح لله والثناء عليه (سبحانه وتعالى) والصلاة على النبي وآله قبل طلب الحوائج هي من آداب الدعاء، أي يبدأ الداعي بالكلام الطيب قبل بيان ما يريد ويطلب، وحينئذ ستكون القاعدة هي أن يبدأ الإنسان بالكلمة الطيبة ثم يطلب ما يريد .

الرواية الثانية: عن محمد بن مسلم قال: قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنّ في كتاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إنّ المدحة قبل المسألة، فإذا دعوت الله (عزّ وجلّ) فمجده . قلت: كيف أمجده؟ قال: تقول: يا من هو أقرب إليّ من جبل الوريد، يا فعال لما يريد، يا من يحول بين المرء وقلبه، يا من هو بالمنظر الأعلى، يا من هو ليس كمثله شيء»<sup>(٦٩٦)</sup>، فتمجيد الله (سبحانه وتعالى) من مصاديق الثناء عليه والمدح له سبحانه، إذ لا يستحق التمجيد سوى الله (سبحانه وتعالى). إذن فالمدحة قبل المسألة، وعلى الإنسان أن يقول هذه الكلمات ثم يسأل حاجته ويطلبها منه تعالى شأنه .

الرواية الثالثة: عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنما هي المدحة، ثم الثناء، ثم الإقرار بالذنب، ثم المسألة، إنه والله ما خرج عبد من ذنب إلا بالإقرار»<sup>(٦٩٧)</sup>. تبين هذه الرواية المباركة ثلاث مراحل تسبق طلب الحوائج من الله (سبحانه وتعالى)، وهي المدحة، أي التمجيد كما بيّنته الرواية السابقة، ثم المديح، ثم الإقرار بالذنوب؛ لأن الإنسان تأخذه العزة بالإثم، ويصر على خطئه، ويبرر خطأه،

٦٩٤ . من لا يحضره الفقيه ٢: ٤٨٤ ح ٣٠٣٠ .

٦٩٥ . الكافي ٢: ٤٨٤ ح ١ .

٦٩٦ . الكافي ٢: ٤٨٤ ح ٢ .

٦٩٧ . الكافي ٢: ٤٨٤ ح ٣ .

وهذا هو أسلوب الشيطان في تزيين الذنب بعين الإنسان كما ورد ذلك في قوله: ﴿لَأَزِيَّتَنَّهُمْ﴾<sup>(٦٩٨)</sup>، فسلح الشيطان هو تزيين الباطل.

وقد ورد في رواية نقلها بالمعنى: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جالسا ومعه عدد من أصحابه، فدخل رجل كان غائبا لفترة، فسلم وجلس، فرد رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وسأله: أين كنت يا أبا فلان، لم نرك منذ مدة؟ فقال: يا رسول الله كنت في سفر. فسأله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عما رأى في سفره هذا، فقال: يا رسول الله المساجد كثيرة، وناسها متدينون وطيبون، وقد استمتعت كثيرا بذهابي هناك حيث الموعظة، والنصيحة، والحديث الطيب، وتلاوة القرآن، ومجالس الدعاء. فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: صدقت. وجلس الرجل قليلا ثم استأذن وذهب، وبعد قليل دخل رجل آخر وسلم، فسأله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أين كنت يا أبا فلان لم نرك منذ مدة؟ فقال له: لقد كنت في سفر يا رسول الله. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إلى أين؟ فقال: كنت في المدينة الفلانية، وكانت نفس المدينة التي كان يتحدث عنها الرجل الأول. فسأله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ما الأخبار؟ فقال له: يا رسول الله إنها مدينة مليئة بالفسق، والفجور، والطرب، والراقصات، والقمار. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): صدقت. فتعجب أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأن المدينة واحدة، فإما أن تكون هكذا أو هكذا، وخرج الرجل، ولم يتجرأ أحد من المسلمين ويتكلم مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن تصديقه لكليهما مع ما في كلامهما من التعارض الواضح، ولكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عرف ما في نفوسهم، وقرأ ما في عيونهم، فقال لأصحابه: هل أنتم مستغربون؟ فقالوا: نعم يا رسول الله، ما القصة؟ كيف يمكن أن يكونا صادقين؟! فقال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: كل شخص منهم يبحث عما يريد، فالأول يبحث عن المساجد، ووجد ما يريد واستأنس، والثاني يبحث عن هواه وملذاته، ووجد ما يريد.

أما أنت فعن أي شيء تبحث في هذه الدول الأوروبية مع كل المزالق المتواجدة فيها؟ فقد تجد فيها شبابا مراهقين عندما تلاحظ تدينهم تخجل من نفسك. كنت مرة في كندا وركبت مع أحد الشباب المؤمنين في سيارته لكي يوصلني، فقال: سيدنا ما رأيك أن نقرأ دعاء الصباح، فقلت له: جيد جدا تفضل، فقال: أنت اقرأ سيدنا، فقلت له: لا، أنت اقرأ لنا، فبدأ يقرأ دعاء الصباح بصوت شجي، وحزين، وعن ظهر قلب، فخجلت

٦٩٨. سورة الحجر: الآية ٣٩.

من نفسي لأنني لم أحفظ دعاء الصباح، إذ أقرأه في مفاتيح الجنان فقط، ولكن هذا الشاب في كندا، ومراهق، لا يتجاوز عمره التاسعة عشرة، حافظ لدعاء الصباح وكان يقرأه بصوت شجي ويكي. قلت: عجيب! أنا ابن السيد محسن الحكيم لست حافظاً لدعاء الصباح، ولست ملتزماً بدعاء الصباح في كل يوم، وهذا الشاب في كندا حافظ له وملتزم به بشكل عفوي، قال: سيدنا أنا كل صباح عندما أخرج أقرأ دعاء الصباح في الطريق. قلت في قلبي هنيئاً له، فالإنسان هو وتوجهاته، هو واهتماماته، هو الذي يقرر.

إن الاعتراف بالخطأ أمر مهم، وعدم تبرير الخطأ أمر مهم أيضاً، إذا كنت تريد أن تقع في التبرير في أي حالة فستقع في المعصية حتى وأنت في بيت الله، وإذا كنت لا تريد أن تبرر وتريد أن تكون واقعياً، وتقف بشجاعة أمام الخطأ، فعليك أن تقول هذا خطأ وتصلح نفسك. نسأل الله أن يعيننا على إصلاح أنفسنا.

ورود عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في تقديم المديح والثناء قبل الدعاء قوله: «إذا أردت أن تدعو فمجد الله (عزّ وجلّ) واحمده، وسبحه، وهللّه، وأثن عليه، وصلّ على محمد وعلى آله، ثم سل تعطّ»<sup>(٦٩٩)</sup>. فانظروا كم هو مهم الكلام الطيب مع الله (عزّ وجلّ)، وإذا أخذنا بهذه التراتبية فسنعطى ما نريد.

قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على ربه، وليمدحهُ، فإنّ الرجل إذا طلب الحاجة من السلطان هياً له من الكلام أحسن ما يقدر عليه، فإذا طلبتم الحاجة فمجدوا الله العزيز الجبار، وامدحوه وأثنوا عليه، تقول: يا أجود من أعطى، ويا خير من سئل، ويا أرحم من استرحم، ويا أحد يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، يا من لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، يا من يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويقضي ما أحب، يا من يحول بين المرء وقلبه، يا من هو بالمنظر الأعلى، يا من ليس كمثله شيء، يا سميع، يا بصير، وأكثر من أسماء الله (عزّ وجلّ) فإنّ أسماء الله كثيرة، وصلّ على محمد وآله، وقل: اللهم أوسع عليّ من رزقك الحلال ما أكفُ به وجهي، وأؤدي به أمانتي، وأصل به رحمي، ويكون عوناً لي في الحج والعمرة».

وقال: إنّ رجلاً دخل المسجد فصلّى ركعتين ثم سأل الله (عزّ وجلّ)، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: عجل العبد ربه، وجاء آخر فصلّى ركعتين ثم أثنى على الله (عزّ وجلّ) وصلّى على النبي وآله، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: سل تعطّ»<sup>(٧٠٠)</sup>.

٦٩٩. الكافي ٢: ٤٨٥ ح ٥٥.

٧٠٠. الكافي ٢: ٤٨٥ ح ٦.

عن عثمان بن عيسى عن حدثه عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قلت: آيتان في كتاب الله (عزّ وجلّ) أطلبهما فلا أجدهما، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: وما هما؟ قلت: قول الله (عزّ وجلّ): «ادعوني أستجب لكم» فندعوه ولا نرى إجابة، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أفترى الله (عزّ وجلّ) أخلف وعده؟ قلت: لا، الله لا يخلف وعده، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: فمما ذلك؟ قلت: لا أدري، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لكنني أخبرك؛ من أطاع الله (عزّ وجلّ) في ما أمره ثم دعاه من جهة الدعاء أجابه، قلت: وما جهة الدعاء؟ قال: تبدأ فتحمد الله، وتذكر نعمه عندك، ثم تشكره، ثم تصلي على النبي وآله، ثم تذكر ذنوبك فتقر بها ثم تستعيذ منها، ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: وما الآية الأخرى؟ قال: قلت: قول الله (عزّ وجلّ): «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين» وإني أنفق ولا أرى خلفاً، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أفترى الله (عزّ وجلّ) أخلف وعده؟ قلت: لا، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: فمما ذلك؟ قلت: لا أدري، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لو أن أحدكم اكتسب المال من حله وأنفقه في حقه، لم ينفق رجل درهماً إلا أخلف عليه»<sup>(٧٠١)</sup>.

إذن، طيب الكلام مسألة مهمة حتى في علاقتنا بالله، وفي الدعاء هو جزء من استجابة الدعاء من قبل الله (سبحانه وتعالى).

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## المحاضرة الأخلاقية الثامنة عشرة

بتاريخ ٢٠١٤/٧/٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

كان حديثنا في حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، وانتهينا في الجلسة السابقة من الحق الثالث والعشرين، وهو (تطبيب كلام الأخ المؤمن)، واليوم ننتقل إلى الحق الرابع والعشرين.

### الحق الرابع والعشرون/ برّ إنعام المؤمن

وهو قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرواية محل البحث: «بيرّ إنعامه»، فالمؤمن يبرّ إنعام أخيه المؤمن ليتقبل هذا الإحسان وهذا المعروف ويُعوضه بأفضل منه، أو أنّ المؤمن يبرّ إنعامه لأخيه المؤمن، بمعنى أنه يكتمه ويستره، فحينما يقوم بمعروف لأخيه المؤمن لا يعلنه، ولا يظهره، ولا يفشي هذا الأمر، ولا يخرج أخاه المؤمن أنه قدم له عوناً أو مساعدةً في شيء ما.

### أهمية المعروف

تتجلى أهمية المعروف من خلال تأكيد الكثير من الآيات والروايات عليه، واعتباره ركيزة أساسية من ركائز البناء الاجتماعي السليم، وبنيت عليه الأحكام والقوانين في

سائر مفاصل الحياة الاجتماعية ، كقوله تعالى : ﴿فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(٧٠٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٧٠٣)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾<sup>(٧٠٤)</sup> . وكقول الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ لِمَنْ حَبَّبَ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفَ وَحَبَّبَ إِلَيْهِ فِعَالَهُ»<sup>(٧٠٥)</sup> ، وقال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ الْبِرَّةَ أَسْرَعَ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي يَمْتَارُ فِيهِ الْمَعْرُوفُ مِنَ الشَّفْرَةِ فِي سَنَامِ الْجَمَلِ ، أَوْ مِنَ السَّيْلِ إِلَى مَنْتَهَاهُ»<sup>(٧٠٦)</sup> .

وعن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : «سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول : أول من يدخل الجنة المعروف وأهله»<sup>(٧٠٧)</sup> .

وبهذا الإسناد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كان يقول : «إنما المعروف زرع من أنمى الزرع ، وكنز من أفضل الكنوز ، فلا يُزهدنك في المعروف كفر من كفر ، ولا جُحود من جحد ، فإنه قد يشركك عليه من يسمع منك فيه ، وقد تصيب من شكر الشاكر ما أضاع منه العبد الجاحد»<sup>(٧٠٨)</sup> .

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً قال : «إني لأعجب من أقوام يشترون المماليك بأموالهم ولا يشترون الأحرار بمعروفهم»<sup>(٧٠٩)</sup> .

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً قال : «كل معروف صدقة»<sup>(٧١٠)</sup> .

وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً قال : «سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول : «الخلق عيال الله فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله ، وأدخل على أهل بيت سروراً»»<sup>(٧١١)</sup> .

٧٠٢ . سورة البقرة : الآية ١٧٨ .

٧٠٣ . سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

٧٠٤ . سورة فصلت : الآية ٣٤ .

٧٠٥ . وسائل الشيعة ١٦ : ٢٨٦ ح ٤ .

٧٠٦ . وسائل الشيعة ١٦ : ٢٨٧ ح ٨ .

٧٠٧ . مستدرک الوسائل ١٢ : ٣٣٩ ح ٢ .

٧٠٨ . مستدرک الوسائل ١٢ : ٣٤٠ ح ٥ .

٧٠٩ . مستدرک الوسائل ١٢ : ٣٤٥ ح ٥ .

٧١٠ . مستدرک الوسائل ١٢ : ٣٤١ ح ١٢ .

٧١١ . مستدرک الوسائل ١٢ : ٣٨٨ ح ١ .



## أجر المعروف

وعد الله تعالى على لسان حججه بالثواب الجزيل لأهل المعروف، ترغيباً في العمل به، فقد روى جميل عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «إِنَّ مِمَّا خَصَّ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) بِهِ الْمُؤْمِنَ، أَنْ يَعْرِفَهُ بَرِّ إِخْوَانِهِ وَإِنْ قَلَّ، وَلَيْسَ الْبِرُّ بِالكَثْرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ثم قال: «وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». ومن عَرَفَهُ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) بِذَلِكَ أَحَبَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ (سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى) وَفَاهُ أَجْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ. ثم قال: يا جميل، إِرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ لِإِخْوَانِكَ فَإِنَّهُ تَرْغِيبٌ فِي الْبِرِّ» (٧١٢).

وقد ذكر القرآن الكريم أن الله (عَزَّ وَجَلَّ) سيعطي الأجر لبعض أصناف المؤمنين بغير حساب، وقد ذكرت هذه الرواية الكريمة أن من هؤلاء أهل المعروف. ومعنى إيفاء الأجر بغير حساب أن النعيم الذي يعيشون فيه في الآخرة في ازدياد مستمر، فيرى صاحبه في كل يوم نِعَمًا جديدة وتوسّعًا في جنانه لا انتهاء له ولا زوال.

أما أجر المعروف في الدنيا فإنَّ الله (عَزَّ وَجَلَّ) يعطيه ضعف ما يعطي وينفق في أعمال البرِّ، كما ورد ذلك في ما رواه أبو بصير قال: «ذكرنا عند أبي عبد الله الأغنياء من الشيعة، فكانه كره ما سمع منّا فيهم، فقال: يا أبا محمد إذا كان المؤمن غنيًّا ووصولاً رحيماً له معروف إلى أصحابه، أعطاه الله أجر ما ينفق في البرِّ مرتين ضعفين؛ لأنَّ الله يقول في كتابه: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾» (٧١٣).

وقال الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أول من يدخل الجنة المعروف وأهله، وأول من يرد عليّ الحوض» (٧١٤).

وعن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يقول الله: المعروف هدية مني إلى عبدي المؤمن، فإن قبلها مني فبرحمتي ومنّي، وإن ردها عليّ فبذنبه حرمها ومنه لا منّي» (٧١٥).

٧١٢. وسائل الشيعة ١٦: ٣٧٧ ح ١.

٧١٣. وسائل الشيعة ١٦: ٢٨٩ ح ١٣.

٧١٤. وسائل الشيعة ١٦: ٣٠٣ ح ٢.

٧١٥. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٤٢ ح ١٤.

## التطوع بالمعروف

ينبغي على المؤمن المبالغة إلى المعروف والتطوع به قبل السؤال، فقد ورد عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «جزى الله المعروف إذا لم يكن يبدأ عن مسألة»<sup>(٧١٦)</sup>.

وفي الخبر أن معاوية سأل الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الكرم والنجدة والمروءة، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أما الكرم فالتبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال، والإطعام في المحل...»<sup>(٧١٧)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «للكرم فضيلة المبادرة إلى فعل المعروف وإسداء الصنائع»<sup>(٧١٨)</sup>.

## عدم استصغار المعروف

قد يحجم الإنسان عن عمل المعروف بسبب قلة ما في يده، مع أن المعيار في المعروف ليس القلة والكثرة، وإنما تجاوز عقبة الشح وكسر شره البخل في النفس، وقد أشار قوله (سبحانه وتعالى) إلى هذه الحقيقة: «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»<sup>(٧١٩)</sup>. وكذلك فإن القليل والكثير لا يحسبان بالعدد، وربما كانت نسبة القليل الذي يتطوع به الفقير بالقياس إلى ما يملك، أكثر بكثير من نسبة ما يعطيه الغني بالقياس إلى أمواله، فيكون درهم الفقير أكثر أجرًا من دنانير الغني. وإذا كانت الكلمة الطيبة صدقة، لأنها معروف، و«كل معروف صدقة»<sup>(٧٢٠)</sup> كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الكلمة الطيبة أفضل من التصدق بالمال الذي يلحقه أذى، كما في قوله تعالى: «قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبُعُهَا أَذًى»<sup>(٧٢١)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «لا تستصغروا شيئاً من المعروف قدرتم على اصطناعه إيثاراً لما هو أكثر منه، فإن اليسير في حال الحاجة إليه أنفع لأهله من ذلك الكثير في حال الغناء عنه»<sup>(٧٢٢)</sup>.

٧١٦. مستدرك الوسائل ١٢: ٣٤١ ح ١٠.

٧١٧. مستدرك الوسائل ١٢: ٣٤٢ ح ١٥.

٧١٨. مستدرك الوسائل ١٢: ٣٤٦ ح ٢٨.

٧١٩. سورة الحشر: الآية ٩.

٧٢٠. وسائل الشيعة ١٦: ٢٨٥ ح ٢.

٧٢١. سورة البقرة: الآية ٢٦٣.

٧٢٢. مستدرك الوسائل ١٢: ٣٤٠ ح ٨.

وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وبشر حسن»<sup>(٧٢٣)</sup>.

لقد حث الشارع المقدس على إسداء المعروف بقدر المستطاع وإن كان قليلاً، كما مرت الإشارة إليه في الروايات السابقة، وكذلك يؤكد عليه ما ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «افعل المعروف ما أمكن»<sup>(٧٢٤)</sup>.

### تصغير المعروف وستره وتعجيله

ينبغي لفاعل المعروف أن يلتزم بثلاثة أمور، هي:  
الأول: تصغيره وإن كان في نفسه كبيراً وجليلاً؛ لأنَّ هذا من شأنه أن يعظمه في عين من فعلت له هذا المعروف.

الثاني: ستره وعدم إذاعته والبوح به للآخرين، وإن كان ذلك بحسن نية؛ لأنَّ في ذلك تميماً للمعروف، وإلا كان ناقصاً. أما إذا تعمّد نشره وإذاعته للمنَّ به على من اصطنعه له، فقد تحول الى منكر، وفقد عنوان المعروف.

الثالث: تعجيله والإسراع به، وعدم انتظار سؤال صاحب الحاجة أو إلحاحه في طلبها؛ لأنَّ في تعجيله التهنئة به لمن قدّم له، وإلا فإنَّ المعروف مع التّطويل والتسويق تنكيد له.

وقد ورد هذا المعنى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «رأيت المعروف لا يتم إلا بثلاث: تصغيره وستره وتعجيله، فإنك إن صغرتَه عظمتَه عند من تصنعه إليه. وإذا سترته تمّمتَه، وإذا عجلته هنأتَه، وإذا كان غير ذلك سخّفته ونكّدتَه»<sup>(٧٢٥)</sup>.  
وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يستقيم قضاء الحوائج إلا بثلاث: باستصغارها لتعظم، وباستكتمها لتظهر، وبتعجيلها لتنهأ»<sup>(٧٢٦)</sup>.

### دفع السيئة بالحسنة

حثَّ الإسلام العزيز على دفع السيئة بالحسنة، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾<sup>(٧٢٧)</sup>، وقال أيضاً: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ

٧٢٣. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٤٠ ح ٢٠.

٧٢٤. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٤٥ جزء من ح ٢٨.

٧٢٥. وسائل الشيعة ١٦: ٣١٤ ح ١.

٧٢٦. نهج البلاغة ٣: ١٧٢ / ١٠١.

٧٢٧. سورة المؤمنون: الآية ٩٦.

عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ<sup>(٧٢٨)</sup>، أي من أساء إليك فعوضه بالإحسان، وليصدر منا دائماً العمل الحسن، وليصدر منا المعروف، ولا سيّما بعد صدور السيئة، فهو كفيل بمحوها، قال تعالى: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٧٢٩)</sup>. وإذا ما تدارك الإنسان إساءته بالإحسان، فإن الله (سبحانه وتعالى) يغفر له ويبدّل سيئاته حسنات، كما ورد ذلك في قوله (عزّ وجلّ): ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا<sup>(٧٣٠)</sup>.  
أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٧٢٨. سورة فصلت: الآية ٣٤.

٧٢٩. سورة النمل: الآية ١٠ - ١١.

٧٣٠. سورة الفرقان: الآية ٧٠.



## المحاضرة الأخلاقية التاسعة عشرة

بتاريخ ٢٠١٤/٧/٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

كان حديثنا عن حقوق الأخوة الإيمانية، ووصلنا إلى الحق الرابع والعشرين، وهو (برّ إنعام المؤمن)، وذكرنا في آخر الجلسة السابقة أموراً ثلاثة ينبغي لفاعل المعروف أن يلتزم بها، وهي: تصغير المعروف وستره وتعجيله، ثم قلنا إن الإسلام يحث على دفع السيئة بالحسنة. ننتقل إلى نقطة أخرى في هذا الموضوع.

### تقديم المعروف للجميع

النقطة الأخرى التي نودّ الحديث عنها هي المعروف وإسداؤه للجميع، أي أن يكون الإنسان ممن يُقدم المعروف للجميع؛ لمن يستحقه وللمن لا يستحقه، فإن كان الآخر لا يستحق المعروف، فإنك أهل أن تكون من أهل المعروف.

لاحظوا هذه الرواية الشريفة عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «اصطنع المعروف إلى أهله، وإلى غير أهله، فإن لم يكن من أهله فكن أنت من أهله»<sup>(٧٣١)</sup>، أي اعمل المعروف إلى أهل المعروف وهم من يستحقونه، واعمل المعروف أيضاً حتى لأولئك الذين هم ليسوا من أهل المعروف وهم الذين لا يستحقونه، فإن كان لا يستحق هذا المعروف، فأنت تستحق أن تكون من أهل المعروف، فلا يصدر منك إلا المعروف، هذه هي ثقافة أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

٧٣١. بحار الأنوار ٧١: ٤١٣، ح ٢٧.

## تمييز المؤمنين بإسداء المعروف

صحيح أنك تصنع المعروف للجميع، ولكن الأقربين أولى بالمعروف، والأقرب هو الأكثر قرباً لنا بالأخوة الإيمانية. فالمؤمن يجب أن يُخص بالإحسان والمعروف بشكلٍ خاص ويُميز في الإحسان إليه.

لاحظوا هذه الرواية الشريفة عن أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، قال: «خصوا بالظافكم خواصكم وإخوانكم»<sup>(٧٣٢)</sup>، فيجب أن يُميز المؤمن بإسداء المعروف والإحسان إليه.

وورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً قوله: «أنفع الكنوز معروفك تودعه الأحرار، وعلم بتدارسه الأخيار»<sup>(٧٣٣)</sup>، أي أنّ أهمّ الكنوز وأنفعها للإنسان أمران، الأول: المعروف الذي يُسديه ويُقدّمه إلى الأحرار، وهم الذين يحفظون الجميل، ويذكرون المعروف لأهله. والثاني: هو تدارس مناقب أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكراماتهم، وعلومهم، ومعارفهم، كالذي نصنعه نحن في هذه اللقاءات والمحاضرات، حين نتدارس معارف أهل البيت (سلام الله عليهم)، التي هي معارف الإسلام، وهذا من أنفع الكنوز للإنسان.

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً قال: «إن مالك لا يغني جميع الناس، فاحصص به أهل الحق»<sup>(٧٣٤)</sup>، فلا أحد منا يستطيع أن يحل جميع مشاكل الناس المالية، ولذا ينبغي علينا أن نقدم أهل الحق والمؤمنين ونسدي لهم الخدمة والمعروف.

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً قال: «خير المعروف ما أصيب به الأبرار»<sup>(٧٣٥)</sup>، أي أنّ أفضل أعمال البر والمعروف هي ما يُقدمها الإنسان لذوي البر.

وعنه (عليه أفضل الصلاة والسلام) قال: «خير البر ما وصل إلى الأحرار»<sup>(٧٣٦)</sup>، وهم الذين لا يبيعون دينهم أو دنياهم بدنيا غيرهم، ولا يملك زمام أمورهم سواهم. فالمؤمنون والأبرار والأحرار هي سمات من يجب أن يُخصوا بالبر والمعروف، وأن نُميّزهم عن غيرهم، فيجب أن نقدم المعروف بالدرجة الأساسية لهذه الطبقة وهذه الشريحة من الناس.

٧٣٢. بحار الأنوار ١٢: ٣٤٩، قطعة من ح ٦.

٧٣٣. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٤٩، ح ٤.

٧٣٤. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٥٠، قطعة من ح ٦.

٧٣٥. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٥٠، قطعة من ح ٦.

٧٣٦. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٥٠، قطعة من ح ٦.

وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا عُرِّضَ عَلَى أَحَدِكُمُ الْكِرَامَةَ فَلَا يَرُدُّهَا، فَإِنَّمَا يَرُدُّ الْكِرَامَةَ الْحِمَارَ»<sup>(٧٣٧)</sup>، أي لو تكرم عليك أخوك المؤمن وقدم إليك معروفاً، ولو بشق تمر، فاقبل منه ذلك، لأنها تُرْسَخ وتُعزَّز العلاقة بين المؤمنين، فمضمون الرواية هو أن من لا يقبل الكرامة فهو حمار.

### عدم الخوف من العوز عند فعل المعروف

ينبغي لعامل المعروف ألا يتوجس خيفة من نقص ماله عند إقدامه على فعل المعروف، بل يجب عليه ان يتوقع الزيادة والتوفيق.

لاحظوا هذه الرواية الشريفة عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تنزل المعونة على قدر المؤونة»<sup>(٧٣٨)</sup>، فالله (سبحانه وتعالى) هو الرزاق ذو القوة المتين، ينزل المعونة والرزق على قدر المؤونة، أي على قدر الحاجة، فلا ينبغي أن يقلق الإنسان أو يخشى العوز والفاقة حينما يقدم لإخوانه المؤمنين المعروف.

وورد عن أبي الحسن موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كان في بني إسرائيل رجلٌ صالح، وكانت له امرأةٌ سالحة، فرأى في النوم أن الله تعالى قد وُتِّق لك من العمر كذا وكذا سنة، وجعل نصف عمرك في سعة، فاختر لنفسك إما النصف الأول وإما النصف الآخر. فقال الرجل: إن لي زوجةً سالحة وهي شريكتي في المعاش، فأشاورها في ذلك فتعود إليّ فأخبرك. فلما أصبح الرجل قال لزوجته: رأيت في النوم كذا وكذا، فقالت: يا فلان اختر النصف الأول وتعجل العافية لعل الله سيرحمنا ويتم لنا النعمة، فلما كان في الليلة الثانية أتى الآتي فقال: ما اخترت؟ قال النصف الأول، فقال ذلك لك، فأقبلت الدنيا عليه من كل وجه، ولما ظهرت نعمته قالت له زوجته: قرابتك والمحتاجون وجارك وأخوك، فهبهم، فعاشوا سعيدين موفورا لهم حظهم هم وجميع جيرانهم وأقاربهم. فمضى نصف العمر وجاز حد الوقت فرأى الرجل مثل الذي رآه أولاً في النوم، قال: إن الله (سبحانه وتعالى) قد شكر لك ذلك، ولك تمام عمرك سعةً مثل ما مضى»<sup>(٧٣٩)</sup>.

٧٣٧. بحار الأنوار ٧٢: ١٤٠، ح ١.

٧٣٨. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٦٨ ح ١.

٧٣٩. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٦٨ ح ٢.

وهنا دروس كبيرة، أولها: المشورة مع العائلة، بما أنّ القرارات الحاسمة والمصيرية في الحياة تشمل تبعاتها الزوجة أيضًا، فعلينا أن نشاورها فيها. ثانيها: تقديم الرجاء والأمل، وانظروا إلى رجاء هذه المرأة الصالحة وثقتها بالله (سبحانه وتعالى). ثالثها: قبول ما أشارت به الزوجة بعد ما أدرك صدقها ورجحان عقلها وتوكلها على الله (عز وجل). رابعها: أنّ التوكل على الله (سبحانه وتعالى) شيء مهم، فهناك أسباب طبيعية يجب احترامها واعتمادها، ولكنّ هناك أيضًا شيئًا ما وراء هذه الأسباب، وهو التوكل على الله تعالى. خامسها: أنّ العطاء لا يُنقص وإنما يزيد، فالله تعالى يبارك للإنسان في ما يُقدّم وفي ما يُعطي.

### زوال النعمة بترك المعروف

إذا أعطيت فالله (سبحانه وتعالى) يزيدك، أما إذا كانت لديك القدرة على عمل المعروف ولم تفعل، فسيصبح مردود ذلك عكسيا عليك، وسيسلب الله سبحانه هذه النعمة منك؛ لأنها عطية إلهية، فإن استخدمتها بشكل صحيح فالله (سبحانه وتعالى) يعطيك الزيادة، وأما إذا استخدمتها بشكل غير صحيح أخذك الله (سبحانه وتعالى) بالنقصان.

لاحظوا هذه الرواية الشريفة عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام قال: «اعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتتحول إلى غيركم»<sup>(٧٤٠)</sup>، فإذا مللت من حوائج الناس إليك واستكثرتها وأخذت تتنصل من قضائها، فالله (سبحانه وتعالى) يسلبك هذه النعمة ويعطيها لغيرك؛ لأنّ زوال النعمة يكون بترك المعروف.

ويؤيد ذلك ما روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أحسنوا مجاورة النعم، لا تملوها ولا تنفروها، فإنها قلما نفرت من قوم فعادت إليهم»<sup>(٧٤١)</sup>، أي عندما تأتيك النعم كن جاريًا حسنًا لها، وتعامل معها بشكل جيد، ولا تتعب ولا تنفر من خدمة الناس، فإن المعروف إذا خرج من بيتك لا يرجع إليه أبدًا إلا بقدره قادر، فإياك والجزع والكلل والملل من فعل المعروف، وإلا فسوف يضيع عليك الأمر ولا تحصل على مبتغاك.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٧٤٠. مستدرك الوسائل ١٢: ٩ ح ١  
٧٤١. مستدرك الوسائل ١٢: ٣٦٨ ح ٥.





## المحاضرة الأخلاقية العشرين

بتاريخ ٢٠١٤/٧/٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين .

نتواصل في الحديث عن الحق الرابع والعشرين من حقوق الاخوة الإيمانية التي ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو (برإنعام المؤمن)، وانتهى بنا الحديث في اللقاء السابق عند زوال النعمة بترك المعروف .

### فعل المعروف لبني هاشم

رعاية الهاشميين، وتكريمهم، واحترامهم، وتوقيرهم، أمر مهم جداً؛ لأنه في فعل المعروف هناك خصوصية، وهناك نصوص كثيرة دلت على أهمية المعروف لبني هاشم، وقد كان في أحوال بعض علمائنا الكبار إذا دخل عليه أحد أطفال السادة، أن يقف على قدميه كرامة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا الموضوع من المواضيع المهمة أيضاً .

ولنقف عند هذه المسألة؛ لأنّ هناك نوعاً من التساهل في هذا الموضوع، ويجب أن نرى ما الآثار العظيمة المترتبة على احترام وتكريم وتوقير بني هاشم، ولا سيّما من السادة العلويين .

فقد ورد عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: من اصطنع صنيعاً إلى واحد من ولد عبد المطلب ولم يُجازه عليها في الدنيا فأنا أجازيه غداً إذا لقيني يوم القيامة» (٧٤٢).

وفي رواية أُخرى عن هشام بن الحكم قال: «كان رجلٌ من ملوك أهل الجبل يأتي الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في حجته، فيُنزله أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في دار من دوره، وطال حجه ونزوله، فأعطى أبا عبد الله عشرة آلاف درهم ليشتري له داراً، وخرج إلى الحج، فلما انصرف قال: جُعِلْتُ فِدَاكَ اشتريت الدار؟ قال: نعم، وأتى بصك فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشتراه جعفر بن محمد لفلان بن فلان الجبلي، اشترى له داراً في الفردوس، حدها الأول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والحد الثاني أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، والحد الثالث الحسن بن علي، والحد الرابع الحسين بن علي (عليهما السلام). فلما قرأ الرجل ذلك قال: رضيْتُ، جعلني الله فداك. فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: إني أخذت ذلك المال ففرقته في ولد الحسن والحسين (عليهما السلام)، وأرجو أن يتقبل الله ذلك ويشبك به في الجنة. فانصرف الرجل إلى منزله وكان الصك معه، ثم اعتل علة الموت، فلما حضرته الوفاة جمع أهله وحلفهم أن يجعلوا الصك معه، ففعلوا ذلك، فلما أصبح القوم غدوا إلى قبره فوجدوا الصك على ظهر القبر مكتوباً عليه: وفيَّ إليَّ ولي الله جعفر بن محمد» (٧٤٣).

بالفعل حينما انتقل إلى النشأة الأخرى رأى ثواب صلة وإكرام ذرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمامه في العالم الآخر، وقد كتب هذا على ظهر الصك، ليكون كرامة في أن أهل البيت وفوا بما وعدوا، والإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ كان وفياً بما وعد.

وفي رواية أُخرى في هذا السياق، عن أبي حبيب النباحي قال: «رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في المنام، وحدثني محمد بن منصور السرخسي، بالإسناد عن محمد بن كعب القرظي، قال: كنت في جحفة نائماً، فرأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في المنام، فأتيته، فقال لي: يا فلان سررت بما تصنع مع أولادي في الدنيا. فقلت: لو تركتهم بمن أصنع؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: فلا جرم تجزى من في العقبى. فكان بين يديه طبق فيه تمر صيحاني، فسألته عن ذلك، فناولني قبضةً فيها ثماني عشرة تمر، فنهضت من النوم، وتأولت أن أعيش ثماني عشرة سنة، فنسيت ذلك، فرأيت يوماً ازدحام الناس فسألته عن ذلك، فقالوا: أتى علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فرأيته جالساً في هذا الموضع نفس المكان الذي رأيت فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وبين يديه طبق فيه تمر صيحاني، فسألته عن ذلك؟ فناولني قبضةً فيها ثماني عشرة تمر. فقلت له: زدني منه. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لو زادك جدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لزدناك» (٧٤٤).

٧٤٣. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٧٣ ح ٢.

٧٤٤. بحار الأنوار ٤٩: ١١٩، ح ٥.

وفي رواية أُخرى عن الشيخ القمي يقول: «رويت على مشايخ قم أنّ الحسين بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يقم يشرب علانيةً، فقصد يوماً الحاجة إلى باب أحمد بن إسحاق الأشعري، وكان وكيلًا في الأوقاف بقم، فلم يأذن له، فرجع إلى بيته مهمومًا، فتوجه أحمد بن إسحاق إلى الحج، فلما بلغ سامراء فاستأذن على أبي محمد العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يأذن له، فبكى أحمد طويلاً وتضرع حتى أذن له، فلما دخل قال: يا ابن رسول الله لِمَ منعتني الدخول عليك وأنا من شيعتك ومواليك؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لأنك طردت ابن عمنا عن بابك. فبكى أحمد وحلف بالله انه لم يمنعه من الدخول عليه إلا لأن يتوب من شرب الخمر. قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: صدقت، ولكن لا بُدَّ من إكرامهم، واحترامهم، على كل حال، وأن لا تحقرهم، ولا تستهين بهم لا تتسابهم إلينا. فلما رجع أحمد إلى قم عائداً من الحج، أتاه أشرفهم، وكان الحسين معهم، فلما رآه أحمد وثب إليه، واستقبله، وأكرمه، وأجلسه في صدر المجلس، فاستغرب الحسين ذلك منه واستبدعه، وسأله عن سببه، فذكر له ما جرى بينه وبين العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذلك، فلما سمع ذلك ندم من أفعاله القبيحة، وتاب منها ورجع إلى بيته وأهرق الخمر وكسر آلاتها، وصار من الأتقياء المتورعين، والصلحاء المتعبدين، وكان ملازمًا للمساجد ومعتكفًا فيها حتى أدركه الموت»<sup>(٧٤٥)</sup>.

هناك إنسان يرتكب المعصية وقلبه أسود وقاس، وهو ضال مضل، وهناك شخص يرتكب الخطأ ولكن سريره طيبة، وقلبه طاهر، ولكن ارتبكت عليه الأمور، فضاع في لحظة وأخطأ، فعلينا أن نميِّز بين الناس، فالمنحرف فايروس متحرك أينما تضعه يؤثر في الآخرين ويفسد الناس، وله أثر سيئ فيجب إبعاده، ويوجد إنسان يضعف ويخطئ، ولكن قلبه طيب، فهذا يجب احتواؤه، وشتان بين الإبعاد والاحتواء، بحسب طبيعة هؤلاء الناس.

وورد عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «قال جدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إني سأشفع يوم القيامة لأربع طوائف، ولو كان لهم مثل ذنوب أهل الدنيا: من سل سيفه لذريتي ونصرهم، ومن أعانهم في حال فقرهم وفاقتهم بما يقدر عليه من المال، ومن أحبهم بقلبه ولسانه، ومن قضى حوائجهم إذا اضطروا إليها وسعى بها»<sup>(٧٤٦)</sup>.

يذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث المبارك أربعة أصناف من الناس

٧٤٥. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٧٥، ح ٤.

٧٤٦. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٧٥، ح ٥.

يشفع لهم يوم القيامة ، ولو كانوا من أصحاب الذنوب العظيمة التي تعادل ذنوب أهل الدنيا جميعاً ، وهو وعدٌ قطعه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على نفسه في أن يكون أهل هذه الأصناف الأربعة من أهل الجنة ، مع أنهم لو تركوا وتلك الذنوب العظام التي ارتكبوها لكانوا من أهل النار ، وطبعاً هذا لا يعني أنّ جميع هذه الأصناف هم من أصحاب الذنوب الكبيرة ، ولكن لو كانوا من أهلها لغفرها لهم الله تعالى بشفاعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وهذه الأصناف هي :

الصف الأول : من شهر سيفه ودافع عن ذريته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ونصرهم .

الصف الثاني : من ساعدهم في حال فقرهم وفاقتهم بما يقدر عليه من المال الذي يكف عن وجوههم ذل الفقر والعوز .

الصف الثالث : من أحبهم بقلبه وأظهر محبتهم على لسانه ، أي لا يبقى جهم بينه وبين ربه فقط ، وجاء في الروايات أنه إذا أحببت شخصاً فأخبره ، وهذا إبراز للمحبة ، وتعبير عنها ، وهو يعزز المحبة ، ويقرب الناس بعضهم من بعض ، فإن شخصاً لو همس في اذنك وقال : في الله والله أنا أحبك ، أنت أخ إيماني ، لك محبة خاصة في قلبي ، فانك عندما تسمع هذا الكلام ستفتح أكثر ، وتتعاطى معه أكثر .

الصف الرابع : من قضى حوائجهم إذا اضطروا إليها وسعى بها . وهنا يوجد قيد في قضاء حوائجهم ، وهو عند اضطرارهم إليها ، وهذا معناه عدم شمول قضاء حوائجهم التي لم يضطروا إليها ، ويستطيعون قضاءها بأنفسهم .

ونلاحظ أنّ الأصناف الأربعة ترتبط بذرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقط ، ولا تشمل كل بني هاشم ، أو ذرية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من غير فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ، بل تقتصر على ذرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من أولاد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ، وهم الحسن والحسين (عليهما السلام) وذرايرهم فقط .

ولعل هناك من يقول : نذهب ونفعل ما نشاء ، ونرتكب أي ذنب ، ومن ثم نهتم قليلاً بذرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتنتهي القضية . كلا ، فإنه إذا تبعثت الأوضاع الدينية لمثل هؤلاء فسيسلب منهم التوفيق ، ولا يستطيعون الاهتمام بذريته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، بل يجب أن يكون قلب هؤلاء طاهراً ونقياً حتى يستطيعوا أن يؤدوا مثل هذه الأمور .

وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال : « حَقَّتْ شَفَاعَتِي لِمَنْ أَعَانَ ذَرِيَّتِي بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ

وماله»<sup>(٧٤٧)</sup>، أي يستحق شفاعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثلاثة: من أعان ذريته بيده ونصرهم بقوة، ومن أعانهم بلسانه فجلب لهم معروفًا أو دفع عنهم مكروهًا، ومن أعانهم بأمواله إذا احتاجوا إليها.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أكرموا أولادي، وحسنوا آدابي»<sup>(٧٤٨)</sup>، يعني أكرموا ذريتي، واعملوا بآدابي.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أحبوا أولادي الصالحين لله»<sup>(٧٤٩)</sup>، أي أظهروا المحبة للصالحين من ذريته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وابدؤوا المشاعر الطيبة اتجاههم.

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من أكرم أولادي فقد أكرمني»<sup>(٧٥٠)</sup>، أي علينا أن نكرم ذريته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بنية إكرامه، وسيصل هذا الإكرام لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو كفيل بأن يرد لنا هذا الإحسان في الآخرة عندما نكون أحوج إليه.

وفي رواية أخرى عن الإمام علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «حق قرابات أبي ديننا محمد وعلي وأوليائهما أحق من قرابات نسبنا، إن أبي ديننا يرضيان عنا أبيي نسبنا، وأبوي نسبنا لا يقدران أن يرضيا عنا أبيي ديننا محمدًا وعليًا (صلوات الله عليهما)»<sup>(٧٥١)</sup>، للنسب حق، فأخوك وابن عمك مثلًا لهما حق قرابة النسب، ولكن حق قرابة أبيي ديننا أولى من حق قرابة النسب، وكم هو تعبير جميل، والسؤال لماذا ذرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مهمة؟ لأنهم اخوتنا أيضًا، ولكن ليس بالنسب، بل هم أبناء أبيي ديننا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهؤلاء أبناءهما، فابن أهلك هو أخوك في قرابة النسب، وابن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو ابن أهلك في قرابة الدين، لأنهما أبوا ديننا، وهما أولى، وتأتي هذه الأولوية من أن أبيي ديننا يستطيعان أن يرضيا عنا أبيي نسبنا، فرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يستطيعان إقناع أبيي وأمي ليرضيا عني، ولكن أبيي وأمي لا يستطيعان أن يرضيا عني أبيي ديني محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذن فالشخص الذي هو راض عنك ويرضي عنك أباك وأمك، فتحظى برضا الوالدين أيضًا، يكون هو الأولى والأقرب، ويجب أن يقدم في الاحترام والتوقير والرعاية على الأبوين النسبيين.

٧٤٧. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٧٦، قطعة من ح ٨.

٧٤٨. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٧٦، قطعة من ح ٨.

٧٤٩. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٧٦، قطعة من ح ٨.

٧٥٠. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٧٦، قطعة من ح ٨.

٧٥١. بحار الأنوار ٢٣: ٢٦٢، قطعة من ح ٨.

وعن الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد قيل له إِنَّ فلاناً كان له ألف درهم، عرضت عليه بضاعتان يشتريهما لا تتسع بضاعته لهما، فقال: أيهما أربح لي؟ فقيل له: هذا يفضل ربحه على هذا بألف ضعف، قال: أليس يلزمه بعقله أن يؤثر الأفضل؟ قالوا: بلى، قال: فهكذا إثثار قرابة أبوي دينك محمد وعلي «(صلوات الله عليهما)» أفضل ثواباً بأكثر من ذلك، لأنَّ فضله على قدر فضل محمد وعلي «(صلوات الله عليهما)» على أبوي نسبه» (٧٥٢).

يضرب الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية المباركة مثلاً لتقريب معنى أولوية قرابة الدين على قرابة النسب: تاجر عنده مال يريد أن يشتري بضاعة، فذهب للسوق فرأى بضاعتين وماله لا يكفي إلا لواحدة منهما، فسأل أي بضاعة منهما يقدمها على الأخرى؟ فقيل له: هذه يفضل ربحها على تلك بألف ضعف - هذه تشتريها بمائة دينار وتبيعها بألف عندما تعود إلى بلدك، والثانية تشتريها بمائة دينار وتبيعها بمليون في بلدك، أي بألف ضعف، فهل يشتري البضاعة التي يربح منها ألف دينار أو البضاعة التي يربح منها مليوناً؟ - فيجيب الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ عقله يلزمه أن يؤثر الأكثر ربحاً. ثم بينَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ إثثار قرابة أبوي الدين محمد وعلي (عليهما الصلاة والسلام) أفضل ثواباً بأكثر من ذلك، لأنَّ فضل الإحسان إلى ذريتهما على قدر فضل محمد وعلي (عليهما الصلاة والسلام) على أبوي النسب.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## المحاضرة الأخلاقية الحادية والعشرون

بتاريخ ٢٠١٤/٧/٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

مازلنا في الحق الرابع والعشرين من حقوق الأخوة الإيمانية، وتحدثنا عن خصوصية فعل المعروف لبني هاشم، ورعاية الهاشميين، وتكريمهم، واحترامهم، وتوقيرهم، واستعرضنا عددا من الروايات التي تدل على أهمية المعروف لبني هاشم. ونستعرض اليوم روايات أخرى

في رواية عن الحسن بن علي العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إِنَّ رَجُلًا جَاعَ عِيَالَهُ فَخَرَجَ يَبْغِي لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ، فَكَسَبَ دَرَهْمًا فَاشْتَرَى بِهِ خَبْزًا وَإِدَامًا، فَمَرَّ بِرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ مِنْ قَرَابَاتِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا)، فَوَجَدَهُمَا جَائِعَيْنِ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَحَقُّ مِنْ قَرَابَاتِي، فَأَعْطَاهُمَا إِيَاهُمَا وَانصَرَفَ، وَلَمْ يَدْرِ بِمَاذَا يَحْتَجُّ فِي مَنْزِلِهِ، فَجَعَلَ يَمْشِي رَوِيدًا يَتَفَكَّرُ فِي مَا يَعْتَذِرُ بِهِ عَنْهُمْ وَيَقُولُهُ لَهُمْ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا بِفَيْحٍ يَطْلُبُهُ فَدَلَّ عَلَيْهِ، فَأَوْصَلَ إِلَيْهِ كِتَابًا مِنْ مِصْرٍ وَخَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ فِي صِرَّةٍ، وَقَالَ: هَذِهِ بَقِيَّةُ حَمَلَتِ إِلَيْكَ مِنْ مَالِ ابْنِ عَمِّكَ مَاتَ بِمِصْرٍ وَخَلَّفَ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ عَلَى تِجَارَةِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَعَقَارًا كَثِيرًا، وَمَالًا بِمِصْرٍ بِأَضْعَافِ ذَلِكَ. فَأَخَذَ الْخَمْسَمِائَةَ دِينَارًا، فَوَسَّعَ عَلَى عِيَالِهِ، وَنَامَ لَيْلَتِهِ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ تَرَى إِغْنَاءَنَا لَكَ لَمَّا آثَرْتَ قَرَابَتَنَا عَلَى قَرَابَتِكَ؟. إِلَى أَنْ ذَكَرَ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ أَثْمَانِ تِلْكَ الْأَمْلاكِ ثَلَاثَمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، فَصَارَ أَغْنَى أَهْلَ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ أَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا جَزَاؤُكَ فِي الدُّنْيَا عَلَى إِثَارِ قَرَابَتِي عَلَى قَرَابَتِكَ، وَلَأَعْطِيَنَّكَ فِي الْآخِرَةِ بَدَلَ كُلِّ

حبة من هذا المال في الجنة ألف قصر، أصغرها أكبر من الدنيا، مغرز كل إبرة منها خير من الدنيا وما فيها». (٧٥٣)

ينقل لنا الإمام الحسن بن علي العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الكريمة قصة رجل فقير لا يملك قوت عياله، فخرج يطلب عملاً ليحصل على مال يمكنه من أن يشتري شيئاً لهم يسدّ به جوعتهم، فوجد عملاً حصل منه على درهم، وذهب إلى السوق واشترى خبزاً وإداماً، ورجع فرحاً إلى عائلته إذ حصل لهم على ما يأكلون، ولكنه مر أثناء الطريق على رجل وامرأة من ذرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقد أضرب بهما الجوع، فقال: هؤلاء أولى من أولادي، وأعطاهما ما اشتراه وانصرف، ولم يعرف بماذا سيعتذر لعائلته وهم ينتظرونه ساعات ليحلب لهم ما يسدون به رقبتهم، هل سيقول لهم إني وجدت من هو أحق منكم من أولاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأعطيتهم الطعام؟ وبالطبع لن يقبلوا بذلك، كيف وهم واجبو النفقة عليه، ويجب عليه إطعامهم وكسوتهم قبل غيرهم وإن كانوا من ذرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

إنّ عذره هذا لا يجدي نفعاً، فقد أقدم على فعل أكثر مما هو مطلوب منه شرعاً، بل مخالف لما هو مطلوب منه، ولعل حبه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو الذي دفعه إلى تقديم ذريته، وبقي حائراً لا يعلم ماذا سيقول وماذا سيفعل، فقرر أن يسير ببطء لعله يهتدي إلى عذر يعتذر به لعائلته، لقد كان عمله هذا ونيته الصالحة بمرأى من الله تعالى، وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأمير المؤمنين ينظران إليه من عالم الغيب، وإلى نجاحه الباهر في هذا الامتحان الإلهي العسير، وجاءت المكافأة أسرع من المتوقع، فها هو ساعي البريد يبحث عنه حتى وجده بعد لحظات من هذا الامتحان، فأوصل إليه كتاباً من مصر، وأخبره أنّ قريباً له في مصر قد توفي وترك له إرثاً عظيماً، وناوله صرة فيها خمسمائة دينار من الذهب، كما ترك له ألف دينار على تجار مكة والمدينة وأملاكاً كثيرة من بساتين ودور، وترك له أيضاً مالا بمصر بأضعاف ذلك، فاشترى لعائلته طعاماً طيباً ووسّع عليهم، وعندما نام في تلك الليلة رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعلياً عَلَيْهِ السَّلَامُ في عالم الرؤيا، وسألاه: كيف ترى إغناءنا لك بسبب إيثارك قرابتنا على قرابتك؟. وقد وصل إليه من أثمان تلك العقارات ثلاثمائة ألف دينار من الذهب، فصار أغنى أهل المدينة، ثم أتاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مرة أخرى في عالم الرؤيا ليضيف له بشرى جزاء إحسانه إلى ذريته برغيف من الخبز مع إدام بسيط لم يتجاوز ثمنه درهما واحداً،



فخطبه بلقب العبودية قائلاً له: «يا عبد الله»، وهذا يعني أنّ هذا الإنسان قد صار عبداً حقيقياً لله (عزّ وجلّ)، بعد أن آثر هوى الدين على هواه في ظرف عصيب يندر من يجتازه بنجاح، ثم قال له إنّ هذه الأموال التي تركها قريبه التاجر له بتخطيط مسبق من الله تعالى هي جزاؤه في الدنيا، وأما ثوابه في الآخرة فإنه سيعطيه بدل كل حبة من هذا المال في الجنة ألف قصر، أصغر تلك القصور أكبر من الدنيا بأسرها بما فيها من سماوات وأرضين، ومغرر كل إبرة - كناية عن أنّ أصغر كل جزء منها - خير من الدنيا وما فيها، وإنه لثواب يفوق التصور البشري، وليس هذا على الله بمستبعد، فهو الذي يقول للشيء كن فيكون، وكل هذا لا يساوي أمام عظمته (سبحانه وتعالى) شيئاً.

وروي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم: أربعة أنا لهم شفيح، ولو أتوا بذنوب أهل الأرض: الضارب بالسيف أمام ذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في مصالحهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه»<sup>(٧٥٤)</sup>، ومنها يتضح أنّ الإحسان إلى ذرية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم هي الباب الواسع لدخول الجنة.

وفي رواية عن أبي عبد الله عليه السلام، سمعته يقول: «لا تدعوا صلة آل محمد عليهم السلام من أموالكم، من كان غنياً فعلى قدر غناه، ومن كان فقيراً فعلى قدر فقره، ومن أراد أن يقضي الله له أهم الحوائج فليصل آل محمد عليهم السلام وشيعتهم، بأحوج ما يكون إليه من ماله»<sup>(٧٥٥)</sup>.

تبين هذه الرواية المباركة أمرين في غاية الخطورة وهما:

أولاً: الإحسان إلى ذرية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، كل بقدر طاقته ووسعه، الغني بما يناسب غناه والفقير بما يناسب فقره، يعني ألا يكتفي الغني بإعطاء القليل كما يعطي الفقير، وألا يمتنع الفقير من إعطاء القليل لقلته، لئلا يحرّموا أنفسهم من جميل الجزاء في الدنيا وجزيل العطاء في الآخرة.

ثانياً: من كانت له حاجة مهمة يريد قضاءها فأمامه هذا الطريق السريع الذي لو سار به لوصل إلى ما يتبغي سريعاً، ألا وهو صلة آل محمد وشيعتهم، أي الإحسان إلى ذريتهم

٧٥٤. مستدرك الوسائل ١٢: ٣٨٢، ح ٢٠٤.

٧٥٥. مستدرك الوسائل ١٢: ٣٨٣، ح ٢١٤.

والإحسان إلى شيعة آل محمد، ومنه نعرف أن الإحسان إلى شيعتهم يوازي الإحسان إلى ذريتهم في قضاء الحوائج الدنيوية الخطيرة والمهمة والمتعسرة.

وفي رواية عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «سمعتة يقول: إنَّ الرحم معلقة بالعرش تقول: اللهم صلِّ من وصلني، واقطع من قطعني، وهي رحم آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو قوله: «والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل» وكل ذي رحم»<sup>(٧٥٦)</sup>.

وقد وردت في كتاب بحار الأنوار، باب مدح الذرية الطيبة وثواب صلتهم، مجموعة من الروايات سأنتقي بعضها التي تتضمن إشارات مهمة عن دور الإحسان إلى ذرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الرواية الأولى عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فتغشاهم ظلمة، فيضجون إلى ربهم، ويقولون: يا ربنا اكشف عنا هذه الظلمة. قال: فيقبل قومٌ، يمشي النور بين أيديهم، قد أضاء أرض القيامة، فيقول أهل الجمع: هؤلاء أنبياء الله؟ فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بأنبياء. فيقول أهل الجمع: هؤلاء ملائكة؟ فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بملائكة. فيقول أهل الجمع: هؤلاء شهداء؟ فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بشهداء. فيقول أهل الجمع: من هم؟ فيجيئهم النداء: يا أهل الجمع سلوهم من أتم. فيقول أهل الجمع: من أتم؟ فيقولون: نحن العلويون، نحن ذرية محمد رسول الله، نحن أولاد علي ولي الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنون. فيجيئهم النداء من عند الله (عزَّ وجلَّ): اشفعوا في محبيكم، فيشفعون، فيُشفَّعون»<sup>(٧٥٧)</sup>.

يستعرض الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الكريمة مشهداً من مشاهد يوم القيامة، عندما يجتمع الناس كلهم في المحشر في ظلمة شديدة، فيضجون إلى الله تعالى جميعاً بأن يكشف عنهم هذه الظلمة، وإذا بأشخاص يمشون يكشف نورهم ذلك الظلام الدامس، وهنا يسأل الناس عن هوية هؤلاء الأشخاص: هؤلاء أنبياء أم ملائكة أم شهداء؟ ويأتيهم الجواب من الله تعالى في كل مرة بالنفي، فيسألونه من هم؟ فيأتيهم الجواب من ساحة القدس الإلهي: أسألوهم بأنفسكم. فيسألونهم، فيعرفونهم بأنفسهم بخمسة عناوين هي: نحن العلويون، نحن ذرية محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، نحن

٧٥٦. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٨٣، ح ٢٢.

٧٥٧. بحار الأنوار ٩٣: ٢١٧، ح ١.

أولاد علي ولي الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن المطمئنون الآمنون. وكل هذه العناوين الخمسة تنطبق على آل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، عرفوا أنفسهم بعنوان لكل صنف من أصناف الناس كانوا يعرفونهم به في الدنيا.

وعن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «النظر إلى ذريتنا عبادة. فقيل له: يا ابن رسول الله النظر إلى الأئمة منكم عبادة، أم النظر إلى جميع ذرية النبي؟ فقال: بل النظر إلى جميع ذرية النبي عبادة»<sup>(٧٥٨)</sup>. يبين الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ في تلك الأجواء المشحونة بالتمويه على الناس من قبل بني العباس بأنهم أهل بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أن النظر إلى ذرية آل محمد عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله (سبحانه وتعالى)، ومع كل هذا الوضوح ينطلق السؤال من المستمعين، وكأن الاستغراب كان هو الدافع وراء هذا السؤال: هل النظر إلى خصوص الأئمة المعصومين هو عبادة، أو النظر إلى جميع ذرية النبي عبادة؟ وطبعاً عندما يقول ذرية النبي فالمقصود بهم هم ذرية علي عَلَيْهِ السَّلَامُ من فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، ولا يشمل أولاده من غيرها، فضلاً عن عدم شموله باقي بني هاشم. وهنا يأتي التأكيد من الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أن النظر إلى جميع ذرية النبي عبادة. وإذا كان مجرد النظر إليهم عبادة، فلا شك أن احترامهم وإكرامهم والإحسان إليهم أشد عبادة. وأين هذا الكلام من استباحة المسلمين لدمائهم وأموالهم ومطاردتهم وسجنهم ونفيهم وتجويعهم وإذلالهم وتشريدهم وإهانتهم وظلمهم يتقربون بذلك إلى الله (سبحانه وتعالى) بهذه الأفعال، وكأنهم من كفار ملة أخرى أمرهم الله تعالى أن يفعلوا بهم ذلك!.

وفي رواية أخرى قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أنا سيد الأنبياء والمرسلين، وأفضل من الملائكة المقربين، وأوصيائي سادة أوصياء النبيين والمرسلين، وذريتي أفضل ذريات النبيين والمرسلين»<sup>(٧٥٩)</sup>.

يبين النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الشريف للمسلمين أموراً ثلاثة يرتبط بعضها ببعض، وهي:

أولاً: أنه سيد الأنبياء والمرسلين جميعاً بلا استثناء، فهو أفضل من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وباقي الأنبياء والمرسلين (عليهم وعلى نبينا وآله السلام). وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أفضل من جبرئيل ومكائيل وإسرافيل وعزرائيل والملائكة أجمعين.

٧٥٨. بحار الأنوار ٩٣: ٢١٨ ح ٢.

٧٥٩. بحار الأنوار ٩٣: ٢١٨ ح ٥.

ثانيًا: أن أوصياءه الأئمة الاثني عشر المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم أفضل أوصياء جميع الأنبياء والمرسلين .

ثالثًا: أن ذريته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هم أفضل من جميع ذراري الأنبياء والمرسلين .  
وإذا كانت كل هذه التأكيدات قد وردت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، نعرف حجم الانحراف الذي عاشته الأمة عن أوصيائه وذريته إلى اليوم ، خلال كل هذه القرون المتتالية التي أورثت بعضهم وعداوتهم وظلمهم وقتلهم .  
أكتفي بهذا المقدار ، وللحديث صلة تأتي تبعًا إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



## المحاضرة الأخلاقية الثانية والعشرون

بتاريخ ٢٠١٤/٧/١٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

نواصل اليوم حديثنا في الحق الرابع والعشرين من حقوق الأخوة الإيمانية، وكنا نتحدث عن أهمية فعل المعروف لبني هاشم بشكل خاص، وذكرنا مجموعة من الروايات التي وردت في كتاب بحار الأنوار، باب (مدح الذرية الطيبة وثواب صلتهم)، ونستعرض اليوم مجموعة أخرى.

وفي رواية أخرى فيها مضامين عالية ومهمة، تقول: «ذكر العلامة (قدس سره) في كتابه المسمى بمنهاج اليقين بسنده عن رواه قال: وقعت في بعض السنين ملحمة بقم، وكان في هذه الحرب جماعة من العلويين، وكان هناك السادة الهاشميون أيضاً، فتفرق أهلها في البلاد - أي انتصر العدو في هذه المعركة - وكان فيها امرأة علوية صالحة كثيرة الصلاة والصيام، وكان زوجها من أبناء عمها، أصيب في تلك الملحمة، وكان لها أربع بنات صغار من ابن عمها ذلك، فخرجت مع بناتها من «قم» لما خرجت الناس منها، فلم تزل ترمي بها الغربية من بلد إلى بلد، حتى أتت بلخ، وكان قدومها إليها إبان الشتاء - بلخ منطقة شديدة البرد - فقدمت بلخ في يوم شديد البرد، ذي غيم وثلج، فحين قدمت بلخ بقيت متحيرة لا تدري أين تذهب، ولا تعرف موضعاً تأوي إليه يحفظها وبناتها من البرد والثلج، فقيل لها: إن بالبلد رجلاً من أكابرها، معروفاً بالإيمان والصلاح، يأوي إليه الغرباء وأهل المسكنة - رجل ميسور الحال، وجيه وكبير في قومه، بيته مفتوح لأصحاب الحاجات - فقصدت إليه العلوية وحولها بناتها، فلقيته جالساً على باب داره،

وحوله جلساؤه وغلماناه، فسلمت عليه وقالت: أيها الملك إنني امرأة علوية ومعني بناتٌ علويات ونحن غرباء، وقدمنا إلى هذا البلد في هذا الوقت من البرد الشديد، وليس لنا من نأوي إليه، ولا لنا في هذه المدينة من نعرفه فنلجأ إليه، والثلج والبرد قد أضربنا، دُللنا إليك، فقصدناك لتأوينا، فقال: ومن يعرف أنك علوية؟ اثنتيني على ذلك بشهود، فلما سمعت كلامه خرجت من عنده حزينةً تبكي ودموعها تنتثر، واقفة في الطريق متحيرة لا تدري أين تذهب، فمر بها سوقياً، فقال: ما لك أيتها المرأة واقفة والثلج يقع عليك وعلى هذه الأطفال معك؟ فقالت: إنني امرأة غريبة لا أعرف موضعاً آوي إليه، فقال لها: امضي خلفي حتى أدلك على الخان الذي يأوي إليه الغرباء، فمضت خلفه.

قال الراوي: وكان بمجلس ذاك الملك رجلٌ مجوسي، فلما رأى العلوية، وقد ردّها الملك وتعلل عليها بطلب الشهود وقعت لها الرحمة في قلبه، فقام في طلبها مسرعاً، فلحقها عن قريب فقال: إلى أين تذهبين أيتها العلوية؟ قالت: خلف رجل يدُلني على الخان لآوي إليه، فقال لها المجوسي: لا، بل ارجعي معي إلى منزلي، فأوي إليه فإنه خيرٌ لك، قالت: نعم، فرجعت معه إلى منزله، فأدخلها منزله، وأفرد لها بيتاً من خيار بيوته، وأفرشه لها بأحسن الفرش، وأسكنها فيه، وجاء بالنار والحطب وأشعل لها التنور، وأعد لها جميع ما تحتاج إليه من المأكل والمشرب، وحدث امرأته وبناته بقصتها مع الملك، وفرح أهله بها، وجاءت إليها المرأة - زوجة المجوسي - مع بناتها وجواربها، ولم تزل تخدمها وبناتها وتؤنسها حتى ذهب عنهن البرد والتعب والجوع، فلما دخل وقت الصلاة، قالت للمرأة: ألا نقوم إلى قضاء الفرض؟ قالت لها المرأة المجوسي: وما الفرض؟ إنا أناسٌ لسنا على مذهبكم، إنا على دين المجوس، ولكن زوجي لما سمع خطابك مع الملك، وقولك إنك امرأة علوية، وقعت محبتك في قلبه لأجل اسم جدك، وردّ الملك لك، فقالت العلوية: اللهم بحق جدي وحرمة عند الله أسأله أن يوفق زوجك لدين جدي، ثم قامت العلوية إلى الصلاة والدعاء طول ليلها لأن يهدي الله ذلك المجوسي لدين الإسلام.

قال الراوي: فلما أخذ المجوسي مضجعه ونام مع أهله تلك الليلة، رأى في منامه أنّ القيامة قد قامت، والناس في المحشر، وقد كظهم العطش، وأجهدهم الحر، والمجوسي في أعظم ما يكون من ذلك، فطلب الماء، فقال له قائل: لا يوجد الماء إلا عند النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته فهم يسقون أولياءهم من حوض الكوثر، فقال المجوسي: لأقصدنهم فلعلهم يسقونني جزاءً لما فعلت مع ابنتهم وإيوائي إياها، فلما قصدهم وجدهم يسقون من يرد إليهم من أوليائهم ويردّون من ليس من

أولياهم، وعلي واقفٌ على شفير الحوض ويده الكأس، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم جالسٌ وحوله الحسن والحسين وأبناؤهم، فجاء المجوسي حتى وقف عليهم وطلب الماء وهو لما به من العطش، فقال له عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنك لست على ديننا فنسقيك، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يا علي اسقه، فقال: يا رسول الله إنه على الدين المجوسي، فقال: يا علي إن له عليك يداً بيّنة، قد آوى ابنتك فلانة وبناتها، فكنتهم عن البرد، وأطعمهم من الجوع، وها هي الآن في منزله مكرمة، فقال له عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ادنُ مني أدنُ مني، فدنوت منه فناولني الكأس بيده، فشربت شربةً وجدت بردها على قلبي، ولم أر شيئاً ألد ولا أطيب منها.

قال الراوي: وانتبه المجوسي من نومته وهو يجد بردها على قلبه ورطوبتها على شفثيه ولحيته، فانتبه مرتاعاً، وجلس فزعاً، فقالت له زوجته: ما شأنك؟ فحدثها بما رآه من أوله إلى آخره، وأراها رطوبة الماء على شفثه ولحيته، فقالت له: يا هذا قد ساق إليك خيراً بما فعلت مع هذه المرأة والأطفال العلويين، فقال: نعم، والله لا أطلب أثراً بعد عين.

قال الراوي: وقام الرجل من ساعته وأسرج الشمع، وخرج هو وزوجته حتى دخل البيت الذي تسكنه العلوية، وحدثها بما رآه، فقامت وسجدت لله شكراً، وقالت: والله إنني لم أزل طول ليلتي أطلب إلى الله هدايتك للإسلام، والحمد لله على استجابة دعائي فيك، فقال لها: اعرضي عليّ الإسلام، فعرضته عليه، فأسلم وحسن إسلامه، وأسلمت زوجته وجميع بناته وجواريه وغلماؤه، وأحضرهم مع العلوية حتى أسلموا جميعهم.

قال الراوي: وأما ما كان من الملك، فإنه في تلك الليلة لما أوى إلى فراشه، رأى في منامه ما رآه المجوسي، وأنه قد أقبل إلى الكوثر، فقال: يا أمير المؤمنين اسقني فياني وليّ من أوليائك، فقال له عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اطلب من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فياني لا أسقي أحداً إلا بأمره، فأقبل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقال: يا رسول الله، مُر لي بشربةٍ من الماء، فياني وليّ من أوليائك، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: اتنتني على ذلك بشهود، فقال: يا رسول الله وكيف تطلب مني الشهود دون غيري من أوليائكم؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: وكيف طلبت الشهود من ابنتنا العلوية لما أتتك وبناتها تطلب منك أن تأويها في منزلك؟ ثم انتبه وهو حيران القلب، شديد الظمأ، فوقع في الحسرة والندامة على ما فرط منه في حق العلوية، وتأسف على ردّها، فبقي ساهراً

بقية ليلته ، حتى أصبح وركب وقت الصبح يطلب العلوية ويسأل عنها ، فلم يزل يسأل ولم يجد من يخبره عنها ، حتى وقع على السوقي الذي أراد أن يدلها على الخان ، فأدله أن الرجل المجوسي الذي كان معه في مجلسه أخذها إلى بيته ، فعجب من ذلك ، ثم إنه قصد إلى منزل المجوسي وطرق الباب ، فقيل : من بالباب؟ فقيل له : الملك واقف ببابك يطلبك ، فعجب الرجل من مجيء الملك إلى منزله إذ لم يكن من عادته ، فخرج إليه مسرعاً ، فلما رآه الملك وجد عليه الإسلام ونوره ، فقال الرجل للملك : ما سبب مجيئك إلى منزلي ولم يكن لك ذلك عادة؟ فقال الملك : من أجل هذه المرأة العلوية ، وقد قيل لي إنها في منزلك ، وقد جئت في طلبها ، ولكن أخبرني عن حال هذه الحلية عليك ، فإنني أراك قد صرت مسلماً؟ فقال : نعم والحمد لله ، وقد منّ عليّ بركة هذه العلوية ودخولها منزلي بالإسلام ، فصرت أنا وأهلي وبناتي وجميع أهل بيتي على دين محمد وأهل بيته ، فقال له : وما السبب في إسلامك؟ فحدثه بحديثه ودعاء العلوية له ورؤياه وقص القصة بتمامها ، ثم قال : وأنت أيها الملك ما سبب حرصك على التفتيش عنها بعد إعراضك أولاً عنها وطردك إياها؟ فحدثه الملك بما رآه وما وقع له مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، فحمد الله تعالى ذلك الرجل على توفيق الله تعالى إياه لذلك الأمر الذي نال به الشرف والإسلام وزادت بصيرته ، ثم دخل الرجل على العلوية فأخبرها بحال الملك ، فبكت وخرت ساجدة لله شكرًا على ما عرفه من حقها ، فاستأذنها في إدخاله عليها ، فأذنت له فدخل عليها واعتذر إليها وحدثها بما جرى له مع جدها صلوات الله عليه ، وسألها الانتقال إلى منزله ، فأبت وقالت : هيهات لا والله ، ولو أن الذي أنا في منزله كره مقامي فيه لما انتقلت إليك ، وعلم صاحب المنزل بذلك ، فقال : لا والله لا تبرحي منزلي واني قد وهبتك هذا المنزل ، وما أعددت فيه من الأهبة هدية مني إليك ، وأنا وأهلي وبناتي كلنا في خدمتك ، ونرى ذلك قليلاً في جنب ما أنعم الله تعالى به علينا بقدمك» (٧٦٠) .

هذه رواية وقصة من القصص التي تُشير إلى الأجر العظيم في خدمة ذرية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

وفي رواية أخرى في نفس الموضوع ، روى ابن الجوزي في كتابه عن جده أبي الفرج بإسناده لأبي الخصيب قال : «كنت كاتباً للسيدة أم المتوكل العباسي ، فبينما أنا في الديوان وإذا بخادم صغير يخرج من عندها - الرجل لا يدخل الحجرة ، ولكن يجوز



ذلك للخادم الصغير غير البالغ، لتبادل الرسائل أو نقل التوجيهات وما شابه - ومعه كيس فيه ألف دينار - الدينار الواحد يعادل مثقال ذهب- وقال: تقول لك السيدة: فرّق هذا على أهل الاستحقاق فهو من أطيب مالي، واكتب أسماء الذين تفرّق عليهم حتى إذا جاءني من هذا الوجه شيءٌ صرفته إليهم - هذه أموال نقية بحسب تعبيرها، اذهب وقسمها بين الفقراء ممن تعرفهم وأعطني قائمة بأسماء هؤلاء الفقراء وكم أعطيتهم، حتى إذا أتتني مواردٍ أُخرى أصرفها لهم، وقد يكون هذا حتى تتأكد، وترى أين ذهبت هذه الأموال، وعلى من أنفقت - قال: فمضيت إلى منزلي وجمعت أصحابي وسألتهم عن المستحقين، فسمّوا لي أشخاصًا، ففرّقت عليهم ثلاثمائة دينار، وبقي الباقي بين يدي إلى نصف الليل، وإذا أنا بطارق يطرق الباب فسألته من أنت؟ فقال: أنا فلان العلوي، وكان جاري فأذنت له، فدخل وقلت له: ما الذي جاء بك في هذه الساعة؟ قال: طرقتي طارق من ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم ولم يكن عندي ما أطعمه - أتاني ضيف من ذرية رسول الله يطلب العون وهو جائع، ولا يوجد في بيتي مؤونة لكي أعطيه، وأنت جاري فساعدني بشيء إن استطعت - فأعطيته دينارًا فأخذه، وشكر لي وانصرف، فخرجت زوجتي وهي تبكي وتقول: أما تستحي؟ يقصدك مثل هذا الرجل ابن رسول الله فتعطيه دينارًا؟ وقد عرفت استحقاقه - أنت تعلم أنه سيد علوي، وهو فقير لا يوجد عنده لقمة يطعم بها ضيفه، وعندك سبعمائة دينار في الكيس، وأنت مخول أن تصرفها إلى الفقراء، ولكنك أعطيته دينارًا واحدًا، ألا تستحي؟ - فأعطه الجميع، فوقع كلامها في قلبي - استحسنت كلامها، فهو سيد ابن رسول الله، وهو محتاج فمن يستحق السبعمائة أكثر منه؟ - فقممت خلفه وناولته الكيس فأخذه وانصرف، فلما عدت إلى الدار ندمت وقلت: الساعة يصل الخبر إلى المتوكل وهو يمقت العلويين فيقتلني، فقالت لي زوجتي: لا تخف وتوكل على الله وعلى جدهم، فبينما نحن كذلك إذ طرق الباب والمشاعيل بأيدي الخدم وهم يقولون أجب السيدة فسمعت قائلاً يقول - وهي أم المتوكل قليلاً تواترت الرسل، فوقف عند ستر السيدة فسمعت قائلاً يقول - وهي أم المتوكل - : يا أحمد جزاك الله خيرًا، وجزى زوجتك، كنت الساعة نائمة فجاءني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقال: جزاك الله خيرًا، وجزى زوجة ابن الخصب خيرًا، فما معنى هذا؟ فحدثتها الحديث وهي تبكي، فأخرجت دنائير وكسوة وقالت: هذا للعلوي، وهذا لزوجتك، وهذا لك، وكان ذلك يساوي مائة ألف درهم، فأخذت المال وجعلت طريقي على باب العلوي، وطرقت الباب وقال من داخل المنزل وقبل أن يفتح الباب: هات ما عندك يا أحمد وخرج وهو يبكي، فسألته عن بكائه فقال: لما دخلت منزلي

قالت لي زوجتي: ما هذا الذي معك؟ فعرفتها، فقالت لي: قم بنا نصلي وندعو للسيدة، وأحمد، وزوجته، فصلينا ودعونائهم نمت، فرأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في المنام وهو يقول: «قد شكرتهم على ما فعلوا معك، الساعة يأتونك بشيء فاقبله منهم»<sup>(٧٦١)</sup>. انظروا الى رعاية رسول الله لذريته، ورعايته لمن يسدي المعروف لذريته.

وفي رواية أخرى: «نقل ابن الجوزي في كتاب تذكرة الخواص أنّ عبد الله بن المبارك كان يحج سنة ويغزو سنة، وداوم على ذلك خمسين سنة، فخرج في بعض السنين لقصيد الحج وأخذ معه خمسمائة دينار وذهب إلى موقف الجمال في الكوفة ليشتري جمالاً للحج، فرأى امرأة علوية على بعض المزابل تنتف ريش بطة ميتة، قال: فتقدمت إليها وقلت: لماذا تفعلين هذا؟ فقالت: يا عبد الله لا تسأل عما لا يعينك، قال: فوقع في خاطري من كلامها شيء فألححت عليها. قالت: يا عبد الله قد ألجأتني إلى كشف السر إليك، أنا امرأة علوية ولي أربعة يتامى مات أبوهن من قريب، وهذا اليوم الرابع ولم نأكل شيئاً، وقد حلت لنا الميتة فأخذت هذه البطة أصلحها واحملها إلى بناتي فيأكلنها، قال: فقلت في نفسي: ويحك يا ابن المبارك أين أنت عن هذه؟ فقلت: افتحي حجرك، ففتحت فصيبت الدنانير في طرف إزارها وهي مطرقة لا تلتفت إليّ، قال: ومضيت إلى المنزل ونزع الله من قلبي شهوة الحج في ذلك العام، ثم تجهزت إلى بلادي وأقمت حتى حج الناس وعادوا، فخرجت أتلقى جيراني وأصحابي، فجعل كل من أقول له قبل الله حجك وشكر سعيك يقول: وأنت شكر الله سعيك وقبل حجك، أما قد اجتمعنا بك في مكان كذا وكذا، وأكثر عليّ الناس في القول، فبث متفكراً في ذلك فرأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في المنام وهو يقول لي: يا عبد الله لا تعجب، فإنك أغثت ملهوفة من ولدي، فسألت الله تعالى أن يخلق على صورتك ملكاً يحج عنك كل عام إلى يوم القيامة، فإن شئت تحج وإن شئت لا تحج»<sup>(٧٦٢)</sup>.

ونقل أيضاً في كتابه عن أبي الدنيا: «أن رجلاً قد رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في منامه وهو يقول: امض إلى فلان المجوسي وقل له: قد أجيبت الدعوة، فامتنع الرجل من أداء الرسالة، لئلا يظن المجوسي أنه يتعرض له، وكان الرجل المجوسي في دنيا وسيعه، فرأى الرجل رسول الله ثانياً وثالثاً، فذهب إلى المجوسي وقال له في خلوة من الناس: أنا رسول رسول الله إليك وهو يقول لك: قد أجيبت الدعوة، فقال له المجوسي: أتعرفني؟ قال: نعم أعرفك، فقال: إني أنكرك دين الإسلام ونبوة محمد،

٧٦١. بحار الأنوار ٩٣: ٢٣١ ح ٢٩

٧٦٢. بحار الأنوار ٩٣: ٢٣٤ ح ٣٤

قال: وهو الذي أرسلني إليك مرة، ومرة، ومرة، فقال المجوسي: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ودعا أهله، وأصحابه فقال لهم: كنت على ضلال وقد رجعت إلى الحق، فأسلموا، فمن أسلم فما في يده فهو له، ومن أبي فلينزع عما لي عنده، فأسلم القوم وأهله، وكان له ابنة مزوجة من ابنه ففرق بينهما، ثم قال المجوسي للرسول: أتدري ما الدعوة؟ فقلت له: لا والله وأنا أريد أن أسألك الساعة عنها، فقال: لما زوجت ابنتي صنعت طعاماً ودعوت الناس فأجابوا، وكان إلى جانبنا قوم أشرف من ذرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقراء لا مال لهم، فأمرت غلماني أن يبسطوا لي حصيراً في وسط الدار، فسمعت صبية تقول لأمها: يا أماه لقد آذانا هذا المجوسي برائحة طعامه، فأرسلت إليهن بطعام كثير وكسوة ودنانير للجميع، فلما نظرن إلى ذلك قالت الصبية للباقيات: والله ما نأكل حتى ندعو له، فرفعن أيديهن وقلن: حشرك الله مع جدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأمن بعضهن، فتلك الدعوة التي أجيبت<sup>(٧٦٣)</sup>. بعث له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خبراً يقول: يا مجوسي ببركة هؤلاء العلويات قدر الله لك أن تكون معنا في الجنة، فلذلك أسلم هو وأهل بيته ومن في الدار.

فالمعروف لذرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ له مثل هذه المنزلة العظيمة.

نسأل الله أن يوفقنا دائماً إلى أن نكون ممن يسدي المعروف لمن هو أهله، ولمن ليس من أهله، لنكون نحن من أهله، وكذلك الرعاية الخاصة والاحترام والتوقير للسادة من ذرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



## المحاضرة الأخلاقية الثالثة والعشرون

بتاريخ ٢٠١٤/٧/١٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

ما زال حديثنا في الحق الرابع والعشرين من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، وانتهينا من الحديث عن المنزلة العظيمة لمن يقدم المعروف لذراري رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ننتقل الآن للحديث عن (أدوات المعروف)

### أدوات المعروف

إنّ مظاهر المعروف كثيرة، ولكن أدواته تنحصر في ثلاث، هي: القلب واللسان واليد. وقد أشارت إلى هذا المعنى الرواية الشريفة المروية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «والمعروف واجب على كل أحد بقلبه ولسانه ويده»<sup>(٧٦٤)</sup>، ويستفاد منها أنّ المعروف واجب عيني على كل إنسان، أي لا يسقط عنه إن عمل به غيره، ولا يجوز له الاكتفاء بما يقوم به الآخرون من معروف، بل لا بُدَّ من أن يأتي به بنفسه بجميع مراتبه التي ذكرتها الرواية الكريمة، وبتناولها هنا بشيء من البيان:

المعروف بالقلب: وهو أن يضمّر الإنسان ويكنّ في قلبه وفي نفسه الخير للآخرين، لا أن يضمّر لهم الحقد والغل والاعتداء، وهذه الصفات ترتبط بالقلب، أي يستشعر الإنسان في قلبه المودة والمحبة، وأن يفكر وينوي الإحسان والمعروف للآخرين.

٧٦٤. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٤١ ح ١٣.

المعروف باللسان: وهي الكلمة الطيبة التي يتفوه بها الإنسان، فيسعّد الآخرون بسماعها، وكما جاء في الأثر: «الكلمة الطيبة صدقة»<sup>(٧٦٥)</sup>، فالإنسان يستعمل المفردات اللغوية لإفهام الآخرين ما يقصده، وبإمكانه أن يعبر عن مقصوده بألفاظ مختلفة وتعابير متفاوتة، بعضها يسر السامع، وبعضها لا يسره بل يسيء إليه، فإذا كان المهم إيصال الأفكار، فبالإمكان أن نوصل هذه الأفكار من دون أن نكسر أحداً، وإن كان المقصود هو التشفي والتأثر والكسر والتكبر على الآخرين والاستعلاء عليهم فهذا بحث آخر. فالنصوص، واختيار المفردات، ونبرة الصوت، وتقاسيم الوجه، هذه كلها مؤثرة بتوصيل الفكرة مهما كانت قاسية، ولكن بطريقة هادئة تشعر الآخر، وإن كنت ناقدًا له، أنك لا تقصد كسره، فهناك فرق بين أن تكون ناقدًا لفكرة، أو منهج، أو قضية، وبين أن تكون حاقداً على شخص والعياذ بالله.

المعروف باليد: والمراد به العمل الجيد الذي ينجزه الإنسان للآخرين، وعادة ما تكون اليد هي الوسيلة لإيجاده في الخارج. فاليد يجب أن تكون يداً تعمل المعروف، وتصنع المعروف، وتعامل بالمعروف، فلا يصدر من الإنسان إلا ما هو معروف.

إذن هذه ثلاث مراتب للمعروف هي: القلب، واللسان، واليد، فمن لم يقدر على اصطناع المعروف بيده فلسانه، فإن لم يستطع فقلبه، ففي الأقل يدعو إلى الخير، ويتمنى الخير للناس.

### شروط المعروف

يمتاز المعروف عن غيره بشروط ثلاثة، هي: التصغير والتسهيل والتسريع، وإلا لم يكن معروفًا، فمع تهويل العمل وتعسيره وتأخيريه يكون نقيضًا للمعروف، وقد وردت الإشارة إلى هذا المعنى في الرواية الشريفة المروية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «رأيت المعروف لا يتم إلا بثلاث خصال: تصغيره وتيسيره، وتعجيله. فإذا صغرتَه فقد عظمتَه عند من تصنع إليه، وإذا يسرتَه فقد تممتَه، وإذا عجلتَه فقد هنأتَه»<sup>(٧٦٦)</sup>.

فشرط قبول المعروف أن تقلل من قيمته، وإذا قللت من قيمته أمام الآخرين، فإنك تعظم من قيمته بين يدي الله (سبحانه وتعالى)، ثم تيسره وتسهيله للناس، ويجب عليك تجنب وضع الصعوبات والمشاكل أمام إنجازهِ، لكي يستطيع الآخرون الاستفادة

٧٦٥. وسائل الشيعة ٥: ٢٣٤ ح ٣.

٧٦٦. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٦١ ح ١.

منه، فإنَّ وضع العراقيل، ولا سيَّما الأمور الروتينية المملة، يجعل الكثير من الناس يعرضون عن الانتفاع من هذا المعروف. كما يجب تعجيل المعروف والابتعاد عن كل ما من شأنه الإبطاء في تحصيله والاستفادة منه. فيا من بيده مقدرات الناس، ويا من بيده مصالح الناس، انظروا إلى أهمية أوقات الناس، ولا تؤخروا إنجاز أعمالهم بذرائع واهية، وانظروا على عظيم هموم الناس، وكيف تحلون مشاكلهم وتنجزون أعمالهم بأسرع ما يمكن، ولا تؤجلوا عمل اليوم إلى الغد. إذن هناك ثلاثة شروط: تصغيره، وتيسيره، وتعجيله، فإذا صغرتَه فقد عظمتَه عند من تصنع إليه، وإذا يسرتَه فقد تممته، فإن كماله بيسره، وإذا عجلته فقد هنأته.

في رواية أخرى عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لسفيان الثوري: «احفظ عني ثلاثاً: إذا صنعتَ معروفًا فعجله، فإن تهنتته تعجيله، فإذا فعلته فاستره، فإنه إن ظهر من غيرك كان أعظم لعذرك، فإذا نوبته فاقصد به وجه الله دون رياء الناس، فإنك إن قصدت به وجه الله كان أحسن لذكرك في الناس»<sup>(٧٦٧)</sup>.

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا صنعتَ معروفًا فاستره، وإذا صنَّع إليك معروفًا فانشره»<sup>(٧٦٨)</sup>، هذه الطريقة تؤدي إلى إشاعة المعروف، فإذا فعلت المعروف فلا تتحدث به، ويا من صنَّع إليك المعروف تكلم، واشرح، وعرف بأهل المعروف، بمن صنَّع لك المعروف، فهذه توجد حالة التوازن الصحيح بين هذا وذاك.

### آثار المعروف

للمعروف آثار كثيرة، دنيوية وأخروية، وهي نتائج قهرية تترتب على عمل المعروف وتقديم الإحسان للآخرين، وقد تطرق القرآن الكريم والأحاديث المأثورة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إلى بيان الكثير من هذه الآثار التي قد يهتدي إليها الإنسان الفطن بما يشاهده من توفيقات لأصحاب المعروف، وتتناول في ما يلي الإشارة إلى هذه الآثار التي ذُكرت في النصوص الدينية.

الأثر الأول: الطمأنينة الأخروية، أي أن الذي يفعل المعروف يكون مطمئنًا في الآخرة، كما ورد في قوله تعالى: «بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ

٧٦٧. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٦١ ح ٢.

٧٦٨. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٦٢ ح ٦.

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ<sup>(٧٦٩)</sup>، فالله (سبحانه وتعالى) يؤجره على هذا العمل، ولن يشعر بالخوف والحزن يوم القيامة، ويكون مطمئناً ومستقراً في يوم الفزع الأكبر يوم القيامة.

الأثر الثاني: تمام النعمة، أي أن الله (عز وجل) يتم النعمة على المحسنين، كما أشارت إليه الآية الشريفة: «ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ<sup>(٧٧٠)</sup>»، فالذي يعطيه الله تعالى الكتاب ويعطيه تفصيل كل شيء هو من أحسن، أي يتم الله تعالى نعمته على من يحسن بأن يعطيه الحجة التامة والعلم التفصيلي بجميع الأمور.

الأثر الثالث: استجابة الدعاء، أي أن الله تعالى يستجيب دعوات أهل المعروف، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: «وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ<sup>(٧٧١)</sup>»، الله استجاب دعاءهم، إذ كان طلبهم من الله: اغفر لنا ذنوبنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، والله (سبحانه وتعالى) استجاب لهم، وآتاهم ثواب الدنيا، وهو ما أرادوه من النصر في هذه الدنيا، وحسن ثواب الآخرة، والله يحب المحسنين. لأنهم كانوا محسنين استجاب الله دعاءهم، ونصرهم في الدنيا، ورزقهم الجنة في الآخرة، فثواب الدنيا وأجر الآخرة للمحسنين. هذا أثر آخر من آثار الإحسان والمعروف.

الأثر الرابع: التسديد الإلهي، الله يسدد المحسن، فقد جاء في سورة النحل الآية ١٢٨: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ»، الله مع المحسن يعينه، ويسدده، وينصره، ويحقق له ما يريد. وفي سورة العنكبوت الآية ٦٩: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ»، هذه المعية تؤدي إلى هداية السبل، فالله يفتح لك الطريق، ويعينك، ويسدك، فهو معك إذا كنت محسناً.

الأثر الخامس: البشارة، الله يبشر المحسنين. في سورة الأحقاف الآية ١٢: «وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ»، فالقرآن للظالم إنذار، وللمحسن بشارة.

٧٦٩. سورة البقرة: الآية ١١٢.

٧٧٠. سورة الأنعام: الآية ١٥٤.

٧٧١. سورة آل عمران: الآية ١٤٧ - ١٤٨.

الأثر السادس: تكفير الذنوب، فالإحسان يكفر ذنوب الإنسان، كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾<sup>(٧٧٢)</sup>، فالإنسان بحسناته يكفر عن سيئاته، بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٧٧٣)</sup>، أي أن من تحول من حالة الظلم والإساءة إلى حالة الإحسان والمعروف، فإن الله (سبحانه وتعالى) يغفر ويكفر ويتجاوز ويصفح عن المحسنين.

الأثر السابع: المودة، وهي العلاقة الحميمة، وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾<sup>(٧٧٤)</sup>، أي افعل المعروف، وقم بالأمر بالطريقة الحسنة، فإذا الذي بينك وبينه عداوة بمنزلة الولي الحميم، فقد يتحول العدو إلى محب وقريب، وهذه المحبة ناتجة من فعل المعروف، وقد أشارت إلى هذه الحقيقة الرواية الشريفة: «من بذل معروفًا مالت إليه القلوب»<sup>(٧٧٥)</sup>، فبذل المعروف يؤدي إلى جلب محبة الناس له، فتتعرز المحبة والمودة من خلال فعل المعروف.

الأثر الثامن والتاسع: سلوك الطريق المطمئن، الطريق الموثوق به، والعاقبة الحسنة للإنسان حينما يكون ممن يفعل المعروف، وإليه أشار قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٧٧٦)</sup>، فإذا كنت محسنًا فأنت متمسك بالعروة الوثقى، والطريق الموثوق، والمسار المطمئن.

يقال إن الإمام محسن الحكيم «قدس سره» حينما أنهى موسوعته الفقهية «مستمسك العروة الوثقى»، وهي دورة استدلالية فقهية كاملة، وتعتبر من أهم ما هو موجود في تراثنا الفقهي، أراد أن يضع اسمًا لهذه الموسوعة الفقهية، فتفاءل بالقرآن الكريم وخرجت هذه الآية الشريفة: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ فسمى الموسوعة «مستمسك العروة الوثقى»، وقد قال لي أحد المراجع: إن الموسوعة الفقهية للإمام الحكيم لا يستغني عنها فقيه. وكان منهج الإمام الحكيم فيها يتلخص بالإيجاز والعمق والدقة، فخير الكلام ما قل ودل، فكانت عبارتها مقتضبة ذات مداليل واسعة، وكل كلمة لها مدلولها الخاص، ولا يوجد فيها كلام حشو، ولا يوجد

٧٧٢. سورة هود: الآية ١١٤.

٧٧٣. سورة النمل: الآية ١١.

٧٧٤. سورة فصلت: الآية ٣٤.

٧٧٥. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٤٧ ح ٢٨.

٧٧٦. سورة لقمان: الآية ٢٢.



فيها كلام تفصيلي، ولا شروح، وهي دورة استدلالية فقهية كاملة، ولذلك إذا أراد أحد أن يكتب شرحاً لهذه المجلدات الأربعة عشر، فسيكون الشرح عشرات المجلدات.

إن الطريق المطمئن، والمسار الموثوق به، يتحقق من خلال الإحسان، بدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، وكذلك تحصل من خلال الإحسان العاقبة الحسنة، لقوله تعالى: ﴿وَالِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

الأثر العاشر: الرحمة، فمن آثار المعروف الرحمة، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٧٧٧)</sup>، فالرحمة الإلهية قريبة من المحسن، وهي أثر من آثار الإحسان.

هذه عشرة آثار، نكتفي بهذا المقدار اليوم، ونستمر في عرض الآثار الأخرى في الجلسة المقبلة إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



## المحاضرة الأخلاقية الرابعة والعشرون



بتاريخ ٢٠١٤/٧/١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين .

كان حديثنا في الحق الرابع والعشرين من الحقوق الثلاثين التي ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للمؤمن على أخيه المؤمن في الرواية قيد البحث، وتحدثنا في آخر اللقاء السابق عن آثار المعروف وذكرنا عشرة منها .

الحادي عشر والثاني عشر: الفلاح، والهداية، والفلاح والنجاح يتحققان من خلال الإحسان، وكذلك تتحقق الهداية من خلال الإحسان والمعروف، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٧٧٨)</sup>، فالمحسن على هداية، والمحسنون هم المفلحون، إذن فالفلاح والهداية إنما يحصلان من خلال الإحسان والمعروف .

الثالث عشر: رفع المؤاخذة. من آثار الإحسان رفع العقوبة عن المحسن، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾<sup>(٧٧٩)</sup>، فالله (سبحانه وتعالى) يرفع العقوبة عن المحسن، وما على المحسن من سبيل، أي من إثم، وملاحقة، ومتابعة، لأنه تبارك يرفع المؤاخذة عن المحسن .

٧٧٨ . سورة لقمان: الآية ٢ - ٥ .

٧٧٩ . سورة التوبة: الآية ٩١ .

الأثر الرابع عشر: السعادة في الدنيا والآخرة: يحصل الإنسان على سعادة الدارين بإحسانه ومعروفه، فيعيش في الدنيا سعيداً، وفي الآخرة سعيداً، وقد أشارت الآية الكريمة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٧٨٠)</sup>، وكذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٧٨١)</sup>، إذن يعطي الله (سبحانه وتعالى) الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة، إضافة إلى إحسانه إليهم، كما يعطيهم السعادة في الدار الآخرة.

الأثر الخامس عشر: العفة، فهي أثر آخر من آثار الإحسان، وقد أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾<sup>(٧٨٢)</sup>، فمن يكون مثواه وفعله حسناً، تصبح عنده حصانة وعفة، فلا يرتكب الرذيلة، فالعفة إذن أثر آخر من آثار المعروف. ويحظى من يفعل المعروف أيضاً بالقبول ومحبة الناس، ومحبة الله (سبحانه وتعالى)، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٧٨٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٧٨٤)</sup>، إذن يحب الله (سبحانه وتعالى) المحسن، وكذلك يدل عليه ما مرّ في الرواية السابقة: «من بذل معروفه مالت إليه القلوب». فالإحسان يورث المحبة في قلوب الناس.

الأثر السادس عشر: زوال العذاب، فمن آثار الإحسان ارتفاع العذاب الأخروي عن صاحبه، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٧٨٥)</sup>، إذن فالعذاب لا يرتفع عن من لم يكن محسناً، ويرتفع عن المحسن، وينجو من عذاب الله (سبحانه وتعالى) في الآخرة بفعل إحسانه في الدنيا.

الأثر السابع عشر: الأمان، فالمعروف يوجب الأمان والاستقرار، والمجتمع الذي يشيع فيه المعروف يعيش في حالة من الطمأنينة والسكينة والأمان، لاحظوا قوله تعالى:

٧٨٠. سورة النحل: الآية ٣٠.

٧٨١. سورة الزمر: الآية ١٠.

٧٨٢. سورة يوسف: الآية ٢٣.

٧٨٣. سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

٧٨٤. سورة البقرة: الآية ١٩٥.

٧٨٥. سورة الزمر: الآية ٥٨.

«مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ»<sup>(٧٨٦)</sup>، فتقرر الآية الكريمة أنّ نتيجة الإحسان والقيام بالحسنة وأداء المعروف، هي الأمان من الفزع والخوف الأكبر في يوم القيامة.

الأثر الثامن عشر: دفع ميتة السوء، فالمعروف يبعد ميتة السوء، إذ يموت البعض في أوضاع سيئة؛ كمن يأتيه ملك الموت عند قضاء الحاجة مثلاً، فيقع في حالة غير لائقة وغير مناسبة، أو يموت في ظروف أو حالات غير مناسبة عند وقوع حوادث معينة أو ظروف قهرية، كالحرق والغرق والدهس والسقوط من شاهق، ويتم تجاوز ميتة السوء من خلال فعل المعروف.

وقد ورد التأكيد على هذا المعنى في مجموعة من الروايات، منها: ما روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «صنيع المعروف أو فعل المعروف يدفع ميتة السوء»<sup>(٧٨٧)</sup>، وبهذا الحديث المبارك يكون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد وضع الحجر الأساس في بناء صرح هذا المفهوم الإسلامي، في اختيار الميتة اللائقة ودفع ميتة السوء. وهناك أبعاد مهمة في رواية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لهذا الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكان بمقدوره أن ينشئ هذا المعنى بنفسه، ومن هذه الأبعاد فتح طريق الرواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لثلاث تدرّس سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ومنها أنها تمثل تحدياً سياسياً صارخاً للمنع الذي صدر بعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بمنع الرواية عنه والعقوبة عليها، ومنها الحرص على الاستفادة من هذا المفهوم ووصوله إلى أكبر عدد من المسلمين عبر العصور، الذين يرون الحجية منحصرة في أقوال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ومنها: ما روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء»<sup>(٧٨٨)</sup>، والمراد من مصرع السوء هو الوفاة التي تكون في ظروف سيئة، والتي فيها هوان وذلة، والله (سبحانه وتعالى) يدفعها عن الإنسان بفعله للمعروف.

الأثر التاسع عشر: برّ الرسول، وهو يحصل من خلال فعل المعروف، كما أشارت إليه الرواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من أوصل إلى أخيه المؤمن معروفاً فقد أوصل

٧٨٦. سورة النمل: الآية ٨٩.

٧٨٧. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٤٠، ح ٧.

٧٨٨. بحار الأنوار ٧١: ٤٠٧، ح ١.

إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ<sup>(٧٨٩)</sup>، فمن يفعل المعروف لأخيه المؤمن بدافع الإيمان، فهو في الحقيقة قد قدّم معروفاً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ومنه نستنتج أن كل ما يأتي به المؤمن من إحسان، هو في الواقع إحسان مقدّم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. ومن الطبيعي أن ثواب هذا المعروف سيكون أعظم، لأنه إحسان مقدّم لشخص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأما الإحسان الذي يقدمه إلى الآخرين من غير المؤمنين فثوابه محدود بحسبهم. وحينئذ سيكون الترغيب عظيمًا في الإقدام على عمل المعروف لأخيه المؤمن، إذا علم المؤمن أن ما يأتي به من معروف هو بمثابة تقديمه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الأثر العشرون: زيادة النعمة ودفع البلاء، وهذا يحصل من خلال فعل المعروف، وقد ورد ذلك في قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «صاحب المعروف لا يعثر، وإن عثر وجد متكاً»<sup>(٧٩٠)</sup>، لأن الله (سبحانه وتعالى) يدفع عنه البلاء، وإن عثر يسخر له الله من يعينه ويساعده في الخروج من الأزمة التي يقع فيها بفضل فعله المعروف، وهكذا يستطيع الإنسان التخلص من كثير من أنواع البلاء الذي قدر له، بسبب فعله المعروف للآخرين. وجاء في رواية أخرى: «صنائع المعروف تدر النعماء وتدفع البلاء»<sup>(٧٩١)</sup>، فمن أراد الزيادة في الخير بحيث يدر عليه درًا، فعليه بفعل المعروف، ومن أراد دفع البلاء عن نفسه، فعليه بفعل المعروف.

الأثران الحادي والعشرون والثاني والعشرون: زيادة العمر والسمعة الطيبة، وقد ورد هذا الأثر في ما روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «كثرة اصطناع المعروف يزيد في العمر وينشر الذكر الحسن»<sup>(٧٩٢)</sup>، وهذان الأثران لا يحصلان بمجرد عمل المعروف، بل لا بُدَّ من كثرة فعل المعروف، وطبعًا لا تتحقق الكثرة إلا بعدد الثمانين فما فوق، كما جاء ذلك في استنباط الإمام علي الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ للكثرة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾<sup>(٧٩٣)</sup> قال: «عددنا تلك المواطن فكانت سبعين موطنًا»<sup>(٧٩٤)</sup>. فطول العمر والذكر الطيب لا يحصلان إلا بالمثابرة على أعمال المعروف،

٧٨٩. الكافي ٤: ٢٧ ح ٨.

٧٩٠. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٤٦ ح ٢٨.

٧٩١. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٤٦ ح ٢٨.

٧٩٢. مستدرک الوسائل ١٢: ٣٤٦ ح ٢٨.

٧٩٣. سورة التوبة: الآية ٢٥.

٧٩٤. الكافي ٧: ٤٦٣ ح ٢٠.

وحينما يكون الإنسان كثير الإحسان للآخرين ويسدي لهم المعروف ، يمكن أن يعيش محبوباً ومقبولاً في المجتمع .

الأثران الثالث والعشرون والرابع والعشرون: تحقيق حالة البروز الاجتماعي ، فعمل المعروف يعطي المكانة الاجتماعية الرفيعة للإنسان ، وقد أشار إلى هذا الأثر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله : «من بذل معروفه استحق الرئاسة»<sup>(٧٩٥)</sup> ، أي أن الله (سبحانه وتعالى) يعطي الوجاهة والبروز والظهور والزعامة لمن يسدي المعروف للناس ويخدمهم ويقوم بواجبهم . ويستشف من استعمال مفردة «البذل» هنا ، أنه لا يكفي كثرة المعروف للحصول على هذا الأثر ، بل لا بُدَّ من بذله لمن يستحقه ولمن لا يستحقه ، وأن يبذله للقاصي والداني .

هذه أبرز آثار المعروف في الروايات .

والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



## المحاضرة الأخلاقية الخامسة والعشرون

بتاريخ ٢٠١٤/٧/١٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

مازلنا متواصلين في الحديث عن حقوق الأخوة الإيمانية، وكان الحديث عن الحق الرابع والعشرين، وانتهينا في اللقاء السابق من الآثار المترتبة على فعل المعروف.

### كتمان المعروف

يحبذ للإنسان أن يكتم المعروف الذي يقوم به، ولا يجهر به، ولا يتحدث عنه أمام الآخرين، فقد ورد في الرواية عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «أحيوا المعروف بإماتته، فإنَّ المنة تهدم الصنعة»<sup>(٧٩٦)</sup>. يطلب منا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا أن نحبي المعروف، ولكن كيف نحبي المعروف؟ والمتبادر إلى الذهن أن إحياء المعروف تكون أولاً بإيجاده في الخارج، وثانياً بنشره بين الناس والحديث بما قمنا به من معروف، ولكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ يبيِّن لنا أمراً آخر على عكس ما تبادر لنا، فإنَّ حياة المعروف تكون بإماتته، أي بعدم الحديث عنه وترك نشر ما أتينا به من معروف، ثم يبيِّن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ العلة التي من أجلها يطلب منا إماتة المعروف بقوله: «إنَّ المنة تهدم الصنعة»، أي أن ذكر ما يأتي به الإنسان من معروف يتضمن المنة على من وقع عليه المعروف، وإذا منَّ الإنسان بما جاء به من معروف، فهو في الحقيقة قد هدم معروفه، وقضى على إحسانه، ولذلك علينا أن ننسى ما نفعل من معروف ونغيبه ولا نذكره، ولا نخشى من ضياعه؛ لأنَّ الله

٧٩٦. مستدرک الوسائل ١٢: ٤٣٩ ح ٥.

(سبحانه وتعالى) لن ينسأه لنا، وسنجده في كتاب أعمالنا وميزان حسناتنا. وكذلك فإن استذكار المعروف قد يؤدي إلى الرياء والعجب والتفاخر، وقد يؤدي إلى المنّة في يوم ما، فتقول والعياذ بالله: أنا فعلت لك كذا وكذا، وحينها يموت المعروف.

وجاء في رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه قال: «سل المعروف ممن ينسأه، واصطنعه إلى من يذكره»<sup>(٧٩٧)</sup>. يطلب منا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الرواية الشريفة أن نطلب المعروف والمساعدة من الشخص الذي ينسى هذا المعروف وهذه المساعدة، ويطلب منا أيضاً أن نعمل المعروف لمن يذكره ولا ينسأه، أي ينبغي أن تكون المعادلة عكسية بين طرفي المعروف، وفي ذلك حياة للمعروف؛ فإن سؤال المعروف ممن لا ينسأه ويتحدث به أمام الآخرين يستبطن المنّة به، ومع المنّة يموت المعروف، وكذلك فإن اصطناع المعروف إلى من لا يذكره وينسأه أو يتناساه ولا يتحدث به أمام الآخرين إماتة له أيضاً، لأن الحديث بما قدّمه صاحب المعروف من معروف من شأنه أن يحقق الوثام الاجتماعي، ومعه تتركز وترسخ العلاقة بين المؤمنين، ويزداد صاحب المعروف في تقديم معرفه للآخرين، ويتشجع الباقون في عمل المعروف لما له من ذكر حسن.

ورود في رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه قال: «من مَنَ بمعروفه فقد كَدَرَ ما صنعه»<sup>(٧٩٨)</sup>، أي أن صنع المعروف شيء براق جميل ولطيف للغاية، وإذا ما مننت به فقد كدرته وضيعته على نفسك، ولهذا يجب الاجتناب جداً عن المنّ بما تأتي به من معروف وما تقدمه من إحسان للآخرين. إذن فبقاء المعروف صافياً وجميلاً يكون بالابتعاد عن المنّ به، لأنه يمحق المعروف.

وجاء في رواية أخرى في هذا السياق: «ملاك المعروف ترك المنّ به»<sup>(٧٩٩)</sup>، أي أن المعروف متقوم بترك المنّ به، فإن صاحبه المنّ أو لحقه لم يكن معروفاً أصلاً، والمنّ يعني تذكير الآخرين بما قدمته لهم من مساعدة أو إحسان. إذن فكتمان المعروف وعدم البوح به من الأمور المهمة والمؤثرة في المعروف، بل لا يعد المعروف مع عدمها معروفاً.

٧٩٧. مستدرک الوسائل ١٢: ٤٣٩ ح ٥.

٧٩٨. مستدرک الوسائل ١٢: ٤٣٩ ح ٥.

٧٩٩. مستدرک الوسائل ١٢: ٤٣٩ ح ٥.



## جزاء المعروف

بحث الجزاء الإلهي الذي يعطيه الله سبحانه في الدنيا وفي الآخرة لأهل المعروف  
بحث قرآني شيق، وندناول في ما يأتي بعض الآيات القرآنية في هذا الموضوع.

منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٨٠٠)</sup>، فالزوجة إذا كانت مصرة على نمط خاص من الحياة والسلوك الذي لا ينسجم مع قيمك، وكنت لا تستطيع أن تتخلى عن قيمك ولا تستطيع أيضًا أن تحررها؛ لأن في ذلك فقدانًا للأنس والاستقرار في العائلة، فليس هناك من سبيل سوى التسريح بمعروف، لتبحث المرأة عن الحياة التي تريد. ويطلق لفظ التسريح على من يخرجونه من السجن، وعلى من يخرجونه من الأسر، وهنا أيضًا تسريح، لأن الزوجة تقيد نفسها مع زوجها عند الزواج به، وعليها الالتزام بما تفرضه عليها الحياة الزوجية من واجبات، فإن أبت ذلك فليس أمامها إلا التحرر من قوانين الزوجية، وإطلاق سراحها لتجد لنفسها ما تريد من حياة. ولكن إذا رضيت بما قسم لها الله تعالى، وكانت تريد الله تعالى ورسوله والحياة الأخرى، فإن الله (سبحانه وتعالى) سيعطي المحسنة من هؤلاء النساء الأجر والثواب العظيم في الآخرة. إن الزوجة حين تصبر على الفقر مع الزوج المؤمن، ولا تتذمر ولا تشكو من العيش معه بسبب فقره، تبتغي في ذلك رضوان الله تعالى وثوابه في الدار الآخرة، فهي محسنة وكتب الله تعالى لها ثواب المحسنين.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٠١)</sup>، فأجر المحسن محفوظ له عند الله (سبحانه وتعالى)، وسيعطيه إياه في الآخرة؛ لأن الدنيا الفانية بعمرها القصير لا تتسع لعظيم ما سيعطيه الله تعالى من أجر للمحسنين.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾<sup>(٨٠٢)</sup>، أي أنّ من يقدم العمل الحسن والمعروف فلن نضيعه، بل نحفظه له ونؤجره على فعل المعروف.

ومنها: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ

٨٠٠. سورة الأحزاب: الآية ٢٨ - ٢٩.

٨٠١. سورة التوبة: الآية ١٢٠.

٨٠٢. سورة الكهف: الآية ٣٠.

أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ»<sup>(٨٠٣)</sup>، فالذين استجابوا لله والرسول هم من خرجوا إلى الجهاد واستعدوا للتضحية، بعدما أصابهم الألم ووقع فيهم ما وقع.

وكم نحن بحاجة إلى الحديث في مثل هذه الآيات الشريفة في هذه الظروف التي نحن فيها، فبعدما ضاعت الموصل وصلاح الدين والأنبار وغيرها من مدن العراق العزيزة، وبعدها انهار الجيش، هبَّ المجاهدون في سبيل الله استجابة لنداء الله ورسوله، فنداء المرجعية اليوم هو نداء الله والرسول؛ لأنَّ المرجعية امتداد للإمامة الإلهية، وهي المسؤولة عن توضيح الحكم الشرعي، فهؤلاء الذين هبوا للجهاد ولَبَّوا النداء، هؤلاء محسنون، فإن اتقوا الله (عزَّ وجلَّ) في جميع أعمالهم كان لهم أجر عظيم، فتلبية النداء والتقوى والورع والعمل في سبيل الله، يقابلها أجر عظيم أعده الله للمحسنين الذين يلبون نداء الله ورسوله.

ومنها قوله تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»<sup>(٨٠٤)</sup>، تقرر الآية الكريمة ميزان الثواب والعقاب يوم القيامة، وهو مضاعفة أجر الحسنة إلى عشرة أضعاف تلك الحسنة، بينما لا يحسب على السيئة الواحدة إلا تلك السيئة فقط، فهل ترون عظيم رحمة الله وكرمه مع عباده، وعلى هذا الحساب فسوف لا يُظلم أحد أبداً؛ فأَيُّ ظلم يُتصور إذا كانت السيئة بواحدة والحسنة بعشر، فهذا ليس عدلاً فقط، بل هو أكثر من العدل، وهو إحسان ولطف من الله (سبحانه وتعالى).

### عناوين الأجر في القرآن

هناك مجموعة من عناوين الأجر والثواب، تشير إليها الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن جزاء الإحسان، وهي من مصاديق الإحسان، وهي كالتالي:

الأجر الأول: حفظ ماء الوجه، فوجه المحسن أبيض، ويكون كريماً ومحترماً في قومه وعند الله (سبحانه وتعالى)، كما ورد ذلك في قوله تعالى: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»<sup>(٨٠٥)</sup>، فالذي يحسن يعطيه الله تعالى جزاء الحسنة هذه الأمور:

٨٠٣. سورة آل عمران: الآية ١٧٢.

٨٠٤. سورة الأنعام: الآية ١٦٠.

٨٠٥. سورة يونس: الآية ٢٦.

الأول: الحسنى، ولعل المراد بها في هذه الآية الجنة، وزيادة على الجنة، وهي رضوان الله (سبحانه وتعالى)، فقد يغفر الله تعالى لأقوام ويدخلهم الجنة وهو غير راض عنهم، أو يكون المراد من تلك الزيادة ما يتفضل به الله (عز وجل) من النعم على عبده المحسن في الحياة الدنيا.

الثاني: لا يرهق وجوههم قترٌ ولا ذلة، وهنا الشاهد، أي لا يغطي وجوههم غبار وسواد، فوجوههم ليست مغبرة ولا ظلماء، بل هي نقية ومببضة وصافية وطاهرة، فالمحسن يكون مرفوع الرأس؛ لأنه من أهل المعروف، وهو عزيز وليس بذليل.

الثالث: أن المحسنين هم أصحاب الجنة وأهلها، وليسوا طارئين عليها، وهم فيها خالدون.

الأجر الثاني: المنّ الإلهي، أي أن الله (سبحانه وتعالى) يمن على العبد جزاء إحسانه، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَلَيْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٠٦)</sup>، فنتيجة لإحسان يوسف وأخيه، (عليهما وعلى نبينا وآله السلام)، من الله تعالى عليهما، أي تفضل وأنعم عليهما، والمراد من المنّ الإلهي هنا هو جمع شمله مع أبيه وإخوانه. إذن فهذا المنّ الإلهي هو نتيجة الإحسان.

الأجر الثالث: النصر الإلهي، فمن كان محسنًا حظي بنصر الله (عز وجل) وتأييده على عدوه، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَخَيَاتَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ. وَنَصَرْنَا هُمَا فَكَانُوا هُمُ الْعَالِينَ... إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٠٧)</sup>، فالنصر هنا كان للإحسان.

الأجر الرابع: بقاء النسل، فبقاء الذرية منوط بعمل المعروف الذي يأتي به الإنسان، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ وَخَيَاتَاهُ وَأَهْلُهُ مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ... إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٠٨)</sup>، إذن بقاء الذرية ونجاتها جزاء للإحسان.

الأجر الخامس: الجنة، فهي جزاء الله تعالى للمحسن، كما ورد ذلك في قوله عز من قائل: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

٨٠٦. سورة يوسف: الآية ٩٠.

٨٠٧. سورة الصافات: الآية ١١٤ - ١٢١.

٨٠٨. سورة الصافات: الآية ٧٥ - ٨٠.

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ<sup>(٨٠٩)</sup> ، وكما جاء ذلك أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨١٠)</sup> ، وكما ورد أيضًا هذا المعنى في آية أخرى: «فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين»<sup>(٨١١)</sup> ، جزاء المحسن جنات تجري من تحتها الأنهار، فالجنة جزاء لفعل المعروف .

أكتفي بهذا المقدار ، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

٨٠٩ . سورة المرسلات : الآية ٤١ - ٤٤ .

٨١٠ . سورة الذاريات : الآية ١٦ .

٨١١ . سورة المائدة : الآية ٨٥ .



## المحاضرة الأخلاقية السادسة والعشرون

بتاريخ ٢٠١٤/٧/١٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

يتواصل حديثنا في الحق الرابع والعشرين من الحقوق الثلاثين التي ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للمؤمن على أخيه المؤمن في الرواية قيد البحث، ووصلنا إلى عناوين الأجر التي وردت في جزاء الإحسان في القرآن الكريم، واستعرضنا خمساً منها.

الأجر السادس: التحية من الله (سبحانه وتعالى)، فالله يحيي أهل المعروف. لاحظوا هذه الآيات من سورة الصافات: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨١٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨١٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨١٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِيْلَ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨١٥)</sup>، انظروا إلى تكرار السلام من الله تعالى على أنبيائه جزاء للإحسان الذي عملوه.

الأجران السابع والثامن: الحكمة والعلم، فالله (سبحانه وتعالى) يتكرم على أهل المعروف بالحكمة والعلم. لاحظوا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا

٨١٢. سورة الصافات: الآية ٧٩ - ٨٠.

٨١٣. سورة الصافات: الآية ١٠٩ - ١١٠.

٨١٤. سورة الصافات: الآية ١٢٠ - ١٢١.

٨١٥. سورة الصافات: الآية ١٣٠ - ١٣١.

وَكذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ<sup>(٨١٦)</sup>، الحُكْم يأتي بمعنى الحكمة، ويأتي أيضاً بمعنى الإدارة والقيادة، إذن الحكم والعلم هما جزء الإحسان.

الأجر التاسع: الرحمة، كما تجلى ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨١٧)</sup>، فالإنسان المحسن - وهو من يقوم بالمعروف - يرزقه الله (سبحانه وتعالى) الرحمة، وتكون الرحمة قريبة منه، وهناك العديد من الآيات الشريفة الأخرى التي جاءت لتؤكد على مفهوم الرحمة.

الأجر العاشر: الفدية، دفع البلاء هو جزاء للمعروف، وقد ورد هذا الأجر في قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨١٨)</sup>، ثم بعد آيات يقول: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٨١٩)</sup>، إذن، فهذه الفدية حينما دفع الله (سبحانه وتعالى) البلاء بها عن إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) بذبح ولده إسماعيل، إنما جاءت جزاءً لإحسانه؛ لأنه كان من المحسنين.

الأجر الحادي عشر: الاتصال بالوحي، فالكتب السماوية هي جزاء يعطيه الله (سبحانه وتعالى) للمحسنين، والأنبياء من المحسنين، كما ورد النص على هذا الأجر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ وبعد آيات ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ... إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٢٠)</sup>، فالكتاب المستبين هو الكتاب الواضح الذي فيه بيان بليغ، ويقصد به هنا التوراة، فإنها كانت كتاب موسى (عليه وعلى نبينا وآله السلام)، إذن فإن إنزال الكتب السماوية على الأنبياء يمثل مصداقاً آخر من مصاديق الجزاء والثواب الإلهي للمحسنين.

الأجر الثاني عشر: المكانة الاجتماعية، فيعطي الله (سبحانه وتعالى) المكانة الاجتماعية المرموقة للمحسن. لاحظوا هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَكذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٢١)</sup>، ومكناها يعني أعطيناه التأثير والوجاهة والقدرة والموقع المتميز، وأصبح متمكناً في مصر، إذ كان رئيساً للوزراء في الحكم الملكي آنذاك، فالملك جعل يوسف (عليه

٨١٦. سورة القصص: الآية ١٤.

٨١٧. سورة الأعراف: الآية ٥٦.

٨١٨. سورة الصافات: الآية ١٠٤ - ١٠٥.

٨١٩. سورة الصافات: الآية ١٠٧.

٨٢٠. سورة الصافات: الآية ١١٧ - ١٢١.

٨٢١. سورة يوسف: الآية ٥٦.

وعلى نبينا وآله السلام) رئيساً للوزراء كما نعبر في مصطلحاتنا اليوم، وجعل بيده جميع القرارات وأمر الديوان عنده، فهو يتحكم بالأمر كيف يشاء. وهذه المكانة الاجتماعية المرموقة كانت من نصيب يوسف (عليه وعلى نبينا وآله السلام)؛ لأنه كان محسناً، والله تعالى لا يضيع أجر المحسنين، فجزء الإحسان المكانة الاجتماعية.

الأجر الثالث عشر: النجاح في الاختبارات والامتحانات الإلهية والابتلاءات، فالله (سبحانه وتعالى) يوفق المحسن للنجاح في هذه الاختبارات، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾<sup>(٨٢٢)</sup>، أي أن هذا لهو الاختبار الواضح الكبير. تعرفون أن الله (سبحانه وتعالى) لم يرزق إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) ولداً إلا بعد عمر طويل، بعد أن أصبح شيخاً كبيراً، فحينما جاء الأمر الإلهي بذبح إسماعيل (عليه وعلى نبينا وآله السلام)، كان اختباراً عسيراً وشاقاً، فكم هو صعب أن يمسك الإنسان بيده السكين ليذبح ابنه العزيز الذي جاء بعد سنين طويلة من الانتظار والترقب، لقد كان بلاءً عظيماً على إبراهيم وعلى ابنه إسماعيل (عليهما وعلى نبينا وآله السلام)، ولقد فاز إسماعيل ونجح في الاختبار عندما قال لأبيه: «افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين»، وكذلك فاز إبراهيم ونجح عندما أمسك السكين وهم بتنفيذ الأمر الإلهي بذبح ولده إسماعيل (عليه وعلى نبينا وآله السلام) ولم يبرر لنفسه بأي عذر، مع أن الله (سبحانه وتعالى) جعل له فسحة للتراجع، حينما جاء هذا الأمر في عالم الرؤيا، ولم ينزل به جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ من عند الله تعالى، فكان بإمكانه أن ينتظر نزول الوحي أو يطلب من الله تعالى توضيحاً أو إعفاء من هذا الأمر، ولكنه لم يفعل وامتلأ فوراً للأمر الإلهي بعد أن أخبر به ولده إسماعيل (عليه وعلى نبينا وآله السلام)، ولقد كان سر النجاح في هذا البلاء المبين أن إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) كان من المحسنين. إذن كان هذا جزءاً لإحسانه، فكن محسناً واعمل المعروف، ليمكّنك الله من النجاح في مطبات هذه الدنيا فتفوز وتخرج منها بسلام.

الأجر الرابع عشر: السمعة الطيبة، فأهل المعروف يجازيهم الله بسمعة طيبة، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ وَنَحْنَاهُ وَأَهْلُهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٢٣)</sup>، أي جعلنا له سمعة طيبة في الأمم التي ستأتي من بعده فتذكره

٨٢٢. سورة الصافات: الآية ١٠٥ - ١٠٦.

٨٢٣. سورة الصافات: الآية ٧٥ - ٨٠.

بخير، وهذا جزاء للمحسنين أن تكون سمعتهم طيبة تشيع في الآفاق، في زمانهم، وفي الأزمنة الآتية والأمم اللاحقة. وكذلك كان الأمر بالنسبة لإبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) إذ جعل الله تعالى له السمعة الطيبة في الأمم القادمة، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾<sup>(٨٢٤)</sup>. وكذلك تكرر هذا الكلام مع موسى وهارون (عليهما وعلى نبينا وآله السلام)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّآ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ... وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ... إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٢٥)</sup>، وقد تكرر هذا التعبير في الآية الشريفة ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ أو ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا﴾ للعديد من الأنبياء؛ في نوح وإبراهيم وموسى وهارون، وهذا تأكيد على أن السمعة الطيبة تكون جزاء لمن يقوم بالإحسان والمعروف.

الأجر الخامس عشر: النجاة من الكربات ومن المحن يكون جزاء للمحسنين ولأهل المعروف، كما جاء في قوله تعالى: «ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون. ونجيناه وأهله من الكرب العظيم... إنا كذلك نجزي المحسنين»<sup>(٨٢٦)</sup>، فلقد أنقذه الله تعالى من الكرب العظيم، والبلاء العظيم، والمحنة العظيمة، والمصيبة الكبرى، ونجى أهله منها؛ لأنه كان من المحسنين. وورد نفس التعبير بحق موسى وهارون (عليهما وعلى نبينا وآله السلام)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّآ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ... إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٢٧)</sup>، وقد تكرر التعبير بالكرب العظيم، والبلاء العظيم، مع نوح وموسى وهارون (عليهم وعلى نبينا وآله السلام).

الأجر السادس عشر: الهداية الخاصة، فقد جاءت جزاء وثواباً لمن يقوم بالمعروف ويقدم الإحسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٢٨)</sup>، إذن فهذه الهداية الخاصة كانت جزاء لإحسانهم.

كانت هذه أهم عناوين الأجر التي وردت في جزاء الإحسان.

والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٨٢٤. سورة الصافات: الآية ١٠٤ - ١٠٨.

٨٢٥. سورة الصافات: الآية ١١٤ - ١٢١.

٨٢٦. سورة الصافات: الآية ٧٥ - ٨٠.

٨٢٧. سورة الصافات: الآية ١١٤ - ١٢١.

٨٢٨. سورة الأنعام: الآية ٨٤.





## المحاضرة الأخلاقية السابعة والعشرون

بتاريخ ٢٠١٤/٧/١٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

ما زلنا في الحق الرابع والعشرين من حقوق الأخوة الإيمانية، وانتهينا في اللقاء السابق من ذكر عناوين الأجر التي وردت في جزاء الإحسان في القرآن الكريم. ننتقل اليوم إلى الحديث عن مصاديق الإحسان في القرآن الكريم.

### مصاديق الإحسان في القرآن الكريم

نستعرض في ما يلي الأمور التي أُعتبرت إحساناً ومعروفاً في القرآن الكريم، لنعرف المعروف من وجهة نظر القرآن الكريم.

المصداق الأول: تجنب الفساد، وقد اعتبره القرآن الكريم معروفاً، فالمعروف يبعد الإنسان عن الفساد، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَقَطْمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٢٩)</sup>، إذن فإن تجنب الفساد في الأرض، وترك الإفساد فيها بعد إصلاحها مصداق من مصاديق الإحسان في القرآن الكريم. وهذا التوازن الدقيق بين الخوف والرجاء مسألة في غاية الأهمية، فإذا كان الإنسان يستحضر المخاوف، وكلنا خطاؤون، وكلنا خطيئة، وكلنا زلة، والإنسان ليس معصوماً، فكلنا نرتكب ذنوباً وأخطاءً كثيرة، ولو شغل هذا الجانب كل اهتمام الإنسان فسوف يصاب بالإحباط والقنوط واليأس من رحمة الله (عزَّ وجلَّ)، وأما لو

٨٢٩. سورة الأعراف: الآية ٥٦.

حاول الإنسان استحضار الجانب الآخر دائماً، فإنه سيهون ويقلل من شأن المعصية، فتصبح عنده حالة من الارتخاء والتجاوز والإسفاف بالمعصية والذنب والإثم. ولكن يجب الجمع بين الخوف والرجاء وحفظ التوازن بينهما، فينبغي أن نستحضر ذنوبنا لتحصل لنا حالة القلق منها ونخاف من الله سبحانه، وفي نفس الوقت نستحضر رحمة الله تعالى لكي لا نصاب باليأس أو القنوط، فيحصل التوازن بين الرجاء وعدم الركون إلى النفس والهوى والشهوات واستغلال رحمة الله (سبحانه وتعالى) بطريقة سلبية، وبين الوقوع باليأس من رحمة الله سبحانه. إذن تجنب الفساد مصداق من مصاديق الإحسان والمعروف.

المصداقان الثاني والثالث: تجنب الفحشاء وتجنب الذنوب الكبيرة، والفحشاء هي الذنوب القبيحة، والذنوب الكبيرة هي في مقابل الذنوب الصغيرة، ويعرف الذنب الكبير بأنه الذنب الذي وضع له الشرع حداً، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾<sup>(٨٣٠)</sup>، فالله (سبحانه وتعالى) يعطي الحسنى للمحسنين جزاءً، والحسنى هي الجنة، وهؤلاء المحسنون هم الذين يبتعدون عن الذنوب الكبيرة ويتجنبون الفاحشة، إلا اللمم، وهي الذنوب الصغيرة التي تصدر منهم أحياناً، ولكن سرعان ما يتوبون منها ويعودون إلى الله (سبحانه وتعالى)، فيتوب الله عليهم لأنه واسع المغفرة. إذن تجنب كبائر الإثم وتجنب الفواحش من مصاديق الإحسان.

المصداق الرابع والخامس والسادس: الاستغفار، والتهجد في آناء الليل، ورعاية المحرومين، من مصاديق المعروف، والآيات الشريفة التالية تذكر هذه المصاديق الثلاثة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾<sup>(٨٣١)</sup>، فالمصداق الأول فيها هو أنّ هؤلاء المحسنين كانوا يقضون جزءاً من الليل بالتهجد في العبادة والانتقطاع إلى الله (سبحانه وتعالى)، والمصداق الثاني فيها للإحسان هو أنّ هؤلاء المحسنين يستغفرون الله تعالى بالأسحار، والمصداق الثالث فيها للإحسان هو أنّهم يراعون المحرومين ويساعدونهم.

المصداق السابع: الأمل والرجاء بالانضمام إلى صف الصالحاء، فالله (سبحانه

٨٣٠. سورة النجم: الآية ٣١.

٨٣١. سورة الذاريات: الآية ١٦ - ١٩.

وتعالى) يجعل الإنسان المحسن محسناً برجائه وأمله ، لأن الشخصية السلبية التي ترى دائماً النصف الخالي من الكأس ، لا تستطيع أن تكون تعبيراً وتجسيداً لحالة الإحسان ، في حين أن الإحسان يعني خدمة الآخر ، ويعني التواصل ، فيجب أن يكون المحسن إنساناً إيجابياً . إذن فالنفاؤل والأمل بحد ذاتهما مصادق من مصاديق الإحسان ، كما جاء في الآية الشريفة : « وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ »<sup>(٨٣٢)</sup> ، فالرجاء من الله سبحانه أن يدخلهم في رحمته ويجعلهم من الصالحين ، هو مصادق من مصاديق الإحسان ، والله يجازيهم على ذلك .

المصاديق الثامن والتاسع والعاشر: الإنفاق وكظم الغيظ والعفو ، وقد وردت هذه المصاديق الثلاثة في قوله تعالى : « الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ »<sup>(٨٣٣)</sup> ، فالإنفاق هو المصادق الأول للمعروف فيها ، وكظم الغيظ الذي يعني السيطرة على الأعصاب والمشاعر وعدم الانجرار وراء الانفعالات العصبية ، هو المصادق الثاني من مصاديق الإحسان فيها ، والمصادق الثالث للمعروف فيها هو العفو ، الذي يعني الصفح عن الآخرين .

وهناك تصور خاطئ عند البعض ، هو أن الإحسان يقتصر على إعطاء المال ، والواقع أن الإنفاق جانب مهم من الإحسان ، ولكن دائرة المعروف والإحسان تتعدى ذلك ، لتصل إلى أن السلوك المستقيم حسنة ، والفكرة الصحيحة حسنة ، والتعاطي مع الآخرين حسنة ، والأمل حسنة ، وهكذا كل ما ذكرنا من مصاديق وسنذكره .

المصادقان الحادي عشر والثاني عشر: الإيمان والعمل الصالح ، كما ورد ذلك في قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا »<sup>(٨٣٤)</sup> فالإيمان والعمل الصالح من مصاديق الإحسان .

المصاديق الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر: الزكاة والصلاة واليقين بالآخرة ، كما جاء ذلك في قوله تعالى : « هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ »<sup>(٨٣٥)</sup> ، فهنا ثلاثة من مصاديق للإحسان ، وهي دفع

٨٣٢ . سورة المائدة : الآية ٨٤ - ٨٥ .

٨٣٣ . سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

٨٣٤ . سورة الكهف : الآية ٣٠ .

٨٣٥ . سورة لقمان : الآية ٣ - ٤ .

الزكاة وإقامة الصلاة، مع أنها عمل عبادي بحت، واليقين بالآخرة، مع أنه مجرد اعتقاد قلبي.

المصداق السادس عشر: تكريم الزوجة عند طلاقها، وقد اعتبر القرآن الكريم هذا التكريم من مصاديق الإحسان أيضًا، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٣٦)</sup>، فإذا طلقت المرأة قبل الدخول وحصول المعاشرة الزوجية، تستحق نصف المهر شرعًا، وهنا يطلب الله (سبحانه وتعالى) من الرجل تعويضهن عما فاتهن من المهر، على الغني بقدر استطاعته، وعلى الفقير بمقدار ما يستطيع أن يقدم، وهذا التكريم هو نوع من أنواع الإحسان والمعروف.

المصداق السابع عشر: تفسير الرؤيا والإجابة عن أسئلة الآخرين، قد اعتبرها القرآن الكريم من مصاديق المعروف أيضًا، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٣٧)</sup>، فلأنك محسن يجب عليك الإجابة عن أسئلتنا وتفسير أحلامنا، إذن هذا مصداق من مصاديق الإحسان.

المصداق الثامن عشر والتاسع عشر: التقوى والصبر، لاحظوا هذه الآية الشريفة: ﴿قَالُوا أَلَيْسَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٣٨)</sup>، فالتقوى والصبر يحصل عليهما الإنسان المحسن بسبب إحسانه. وورد ذلك أيضًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٣٩)</sup>، وذكرت ذلك أيضًا الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٤٠)</sup>، هنيئًا للمتقين على ما يحصلون عليه من نعم عظيمة في الجنة، لأنهم عندما كانوا في الدنيا، كانوا يتقون الله تعالى ويجتنبون المعاصي، حين كان الآخرون يذهبون وراء شهواتهم ونزواتهم ويرتكبون

٨٣٦. سورة البقرة: الآية ٢٣٦.

٨٣٧. سورة يوسف: الآية ٣٦.

٨٣٨. سورة يوسف: الآية ٩٠.

٨٣٩. سورة الذاريات: الآية ١٥ - ١٦.

٨٤٠. سورة المرسلات: الآية ٤١.

شتى المعاصي ، والآن في الآخرة يعطيهم الله تعالى كل هذه العطايا والنعم الإلهية ، جزاء لتقواهم التي اعتبرها القرآن الكريم إحساناً .

المصداق العشرون : التواضع ، فهو مصداق آخر من مصاديق الإحسان والمعروف ، كما ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . . . فَأَتَاهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٤١)</sup> ، فمن لا يستكبر ويتواضع فهو محسن ، إذن فالتواضع مصداق من مصاديق الإحسان .

المصداق الحادي والعشرون : الجهاد في سبيل الله ، وهو أيضاً مصداق من مصاديق المعروف ، كما جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا أَكُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٤٢)</sup> ، تتحدث الآية الكريمة عن حالة مرضية عاشها مجتمع المسلمين في عصر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وهي تخلفهم عن نصرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما كان يستنهضهم للجهاد ، وكانوا يرفضون الخروج معه لقتال أعداء الله ، فجاءت هذه الآية الكريمة لتوثيق هذه الحالة المرضية من ناحية ، وبيان علاجها من ناحية أخرى ، ويكمن العلاج في أمرين : الأول : لم يكن ينبغي لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن نصرته رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، ولا أن يرضوا بأرواحهم في أن يضحوا بها وهم يرونه يتقدمهم في ساحات الجهاد ، ولا أن يخذلوه ويتركوه وحيداً في الميدان . والثاني : معرفة أن ما يتحملونه من جوع وعطش وتعب في سبيل الله عند خروجهم للجهاد وما يلحقونه من أذى بأعداء الله ، إنما يكتب لهم به عمل صالح ، وعندها سيكونون من أهل الإحسان الذين لا يضيع لهم أجر عند الله (سبحانه وتعالى) .

وفي زماننا هذا تصدت المرجعية لمواجهة العصابات التكفيرية ، وقالت ، وبيّنت ، فلا يصح حينما تكون المرجعية في الميدان أن يتخلف الناس ويكونوا بعيدين ، ويقدموا الحفاظ على أنفسهم ومصالحهم على الحفاظ على الوطن وأعراض المسلمين وأموالهم . ولكن شعب العراق يختلف عن أهل المدينة هؤلاء ومن حولهم من الأعراب آنذاك ؛ فقد هبّ مئات الألوف من العراقيين لتلبية نداء المرجعية التي تمثل القيادة

٨٤١ . سورة المائدة : الآية ٨٢ - ٨٥ .

٨٤٢ . سورة التوبة : الآية ١٢٠ .

الشرعية في عصر الغيبة، وتحملوا الأعباء وتقدموا للدفاع عن الأرض والعرض، وقدموا أرواحهم رخيصة على مذبح الوطن والعقيدة. إذن فالجهاد في سبيل الله مصداق من مصاديق الإحسان.

وتطرت آية أخرى في كتاب الله (عزّ وجلّ) لبيان أنّ جهاد النفس هو أيضًا من مصاديق الإحسان، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٤٣)</sup>، فيكفي أن تقرر، وأن تعزم، ويكفي أن تقوم بواجبك، ليأتي التسديد الإلهي والهداية، ففي الجهاد الأصغر حينما يثبت المؤمن أمام الأعداء، فإن الله تعالى يحقق له النصر، وكذلك الأمر في جهاد النفس - ونحن في شهر رمضان، في ضيافة الله (سبحانه وتعالى)، شهر جهاد النفس، الجهاد الأكبر - إذا قرر الإنسان أيضًا أن يكون صالحًا ومستقيمًا وملتزمًا بالأحكام الشرعية، فإن الله تعالى يعينه على ذلك، ولو خطا الإنسان نحو الله خطوة، فإن الله تعالى يخطو نحوه عشر خطوات، والذي يأتي بالحسنة فله عشر أمثالها، ولكن يجب علينا أن نتحرك ونقرر ونعقد العزم والإرادة في أن نسير في طريق العبودية لله (سبحانه وتعالى).

المصداق الثاني والعشرون: طلب الخير، فقد اعتبر القرآن الكريم طلب الخير للآخرين مصداقًا من مصاديق الإحسان، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٨٤٤)</sup>، يعني ليس من إثم على هؤلاء إذا لم يخرجوا إلى الجهاد لهذه الأسباب؛ إذا نصحوا لله ورسوله وطلبوا الخير في هذه المعركة، وأخلصوا النية، وكانت لديهم العزيمة، لأن الله (سبحانه وتعالى) يرفع العقوبة عن المحسن. إذن فالذين لم يخرجوا إلى الجهاد لكونهم من الضعفاء أو المرضى أو لعدم امتلاكهم نفقة الخروج، ولكنهم كانوا ناصحين لله ورسوله، فإن الله تعالى لا يؤثمهم ولا يعاقبهم لتخلفهم عن الجهاد. إذن فإن طلب الخير، النصح، مصداق آخر من مصاديق الإحسان.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعًا إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٨٤٣. سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

٨٤٤. سورة التوبة: الآية ٩١.



## المحاضرة الأخلاقية الثامنة والعشرون

بتاريخ ٢٠١٤/٧/٢٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبل الله أعمالكم وجعلنا وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الكريم.

كان حديثنا عن الحق الرابع والعشرين من حقوق الأخوة الإيمانية، حقوق المؤمن على أخيه المؤمن التي ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الرواية قيد البحث، وذكرنا أن للإحسان مصاديق كثيرة في القرآن الكريم، استعرضنا اثنين وعشرين منها.

المصداق الثالث والعشرون: الدعاء، وهو مصداق آخر من مصاديق الإحسان، كما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٤٥)</sup>، تتحدث الآية الكريمة عن صنف من القسيسين والرهبان الذين يبكون من خشية الله تعالى عندما يسمعون ما يتلى من القرآن، بسبب ما عرفوا من الحق، فكانوا يتفاعلون مع القرآن الكريم، وهذا ما ورد التأكيد عليه في آداب تلاوة القرآن، أنّ الإنسان يجب أن يتلو القرآن بتأن وتمعن وتدبر، فليس مهمّاً كم يقرأ من الصفحات، بل المهم كيف يقرأ، أي الاهتمام بنوعية القراءة أكثر من الكم، بحيث إذا دار الأمر بين أن يقرأ جزءاً بأكمله بغير تدبر، أو نصف جزء بتدبر، فعليه

٨٤٥. سورة المائدة: الآية ٨٣.

أن يختار قراءة نصف جزء بتدبر، والتدبر يعني الوقوف عند الآيات القرآنية، وهناك بعض المصاحف تحتوي على بيان معنى الكلمات الصعبة في الهامش، يحبذ للإنسان أن يكون عنده هذا النوع من المصاحف، فهو يقرأ ويرى ماذا تقصد الآية الشريفة، وأي مفردة لا يعرفها يكون معناها موجودا في المصحف، ويستطيع أن يتأمل فيها، فيبكي خوفاً عندما تأتي آيات العذاب، ويتفاعل شوقاً ورجاءً من الله عندما تأتي آيات الرحمة والوعد بالجنة، فيعيش مع القرآن، ومع مضامينه، يتألم لآيات العذاب، ويسعد ويفرح لآيات الرحمة والبشارة، هكذا يجب أن نكون، وقد كان هؤلاء الذين ذكرتهم الآية من هذا النوع، ويقولون: «رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ»، أي يسألون الله (سبحانه وتعالى) أن يكونوا يوم القيامة مع محمد وآله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم، إذ هناك فرق واضح بين أن يقولوا: فاكْتُبْنَا مع الشاهدين، وبين أن يقولوا: فاكْتُبْنَا من الشاهدين، فهم لم يسألوا الله تعالى أن يكونوا من الشاهدين، بل سألوه أن يكونوا مع الشاهدين، فمقام الشهادة ليس مقاماً يطلبه الإنسان لنفسه؛ لأنه جعل من الله (سبحانه وتعالى)، كما لا يجوز للإنسان أن يسأل الله تعالى أن يكون نبياً، والدليل على أن مقام الشهادة جعل إلهي هو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(٨٤٦)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٨٤٧)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾<sup>(٨٤٨)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾<sup>(٨٤٩)</sup> أي يتلو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويأتي بعده شاهد منه، أي من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والدليل على أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَام هو نفس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، هو قوله تعالى في آية المباهلة: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(٨٥٠)</sup> وقد ثبت بالقطع في كتب الأخبار والتاريخ والسير والتفسير أنه لم يخرج مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الرجال غير علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَام. وأما قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٨٥١)</sup>، فهي تثبت أن مقام الشهادة جعل من الله تعالى، وليس مقاماً يطلبه الإنسان من الله تعالى فيهبه له، كما أنه ليس المراد من الأمة الوسط جميع المسلمين على مدى العصور والأزمان، بل هم جماعة منهم، كما ورد نظيره في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ

٨٤٦. سورة الأحزاب: الآية ٤٥.

٨٤٧. سورة المزمل: الآية ١٥.

٨٤٨. سورة القصص: الآية ٧٥.

٨٤٩. سورة هود: الآية ١٧.

٨٥٠. سورة آل عمران: الآية ٦١.

٨٥١. سورة البقرة: الآية ١٤٣.



مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴿٨٥٢﴾ ، وكذلك فإن الأمة في القرآن الكريم قد تطلق على الفرد ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (٨٥٣) ، وقد تطلق على الجماعة الصغيرة أيضًا ، كما في قوله تعالى : ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (٨٥٤) .

إذن فهؤلاء القسيسون والرهبان الذين أسلموا وصدّقوا بنبوّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، طلبوا من الله (عزّ وجلّ) أن يكتبهم مع الشاهدين ، فأتابهم الله تعالى بسبب دعائهم هذا الجنة .

وهذه المفاهيم القرآنية الواضحة التي تدعو الإنسان إلى الالتزام والطاعة ، حرّي بنا أن نستوعبها ونطلق منها لطلب الجنة ، فالوحي غذاء فكري ومعنوي معًا ، ونحن عطاشى وجياع معنويًا ، ونعيش حالة من الغموض ، ونحن بين يدي الله (سبحانه وتعالى) ، وأمامنا منازل عظيمة وخطيرة ، وليس هناك ما يمنعنا من أن نأخذ هذا الوحي ونستفيد منه ، ونلتزم به ، ونحظى بسعادة الدنيا والآخرة .

ينبغي أن يكون منطقنا منطبق هذه الثلة المؤمنة عندما قالوا : ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ ، يا إلهنا ، نريد أن تضع اسماءنا في قائمة الصالحين ، وليس في قائمة الأشرار ، ولا المنحرفين ، ولا في قائمة الضالين ، ولا في قائمة المشركين ، بل نريد أن تكون أسماؤنا في قائمة الصالحين ، ومن كان مخلصًا ، وصالحًا ، وطيبًا ، وملتزمًا ، ثم دعا الله (عزّ وجلّ) ، فلا بدّ من أن يستجيب له الله تعالى ، وهكذا أثاب الله هذه المجموعة بما قالت وبما دعت وعلى ما بدا منها ، ﴿جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ . ولكن كيف صار هؤلاء محسنين؟ يخبرنا القرآن الكريم أنهم صاروا كذلك بدعائهم ، وبما قالوا . إذن فالدعاء مصداق للإحسان .

وهناك آيات أخرى نصّت على أن الدعاء من مصاديق الإحسان ، كقوله تعالى : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٥٥) ، أي يجب أن يقترن الدعاء بالخوف من الله دون يأس ، مع الطمع برحمة الله دون إسفاف وترهل ، فإذا دعونا كذلك كنا من المحسنين ، وأصبحت رحمة الله قربية منا .

٨٥٢ . سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

٨٥٣ . سورة النحل : الآية ١٢٠ .

٨٥٤ . سورة القصص : الآية ٢٣ .

٨٥٥ . سورة الأعراف : الآية ٥٦ .

المصداق الرابع والعشرون: الدعوة إلى توحيد الله، وهي أيضًا مصداق من مصاديق الإحسان. لاحظوا قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ لَمْحْضُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْلِيسَ إِنَّكَ عَلَىٰ كَذِبِكَ نَجِزِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٥٦)</sup>، وتدعون: أي تعبدون، بعلاً: اسم صنم مصنوع من ذهب، تدرّون: تتركون، و﴿آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ تعني آباءكم السابقين عليكم، إذ يطلق لفظ «الأب» على الأب وعلى الجد وعلى أبي الجد وعلى جد الجد، وهكذا يتسلسل إلى أبي البشر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ. والآيات الكريمة تحكي دعوة نبي الله إلياس (عليه وعلى نبينا وآله السلام) قومه إلى التوحيد، فكان محسناً بسبب هذه الدعوة.

المصداق الخامس والعشرون: محبة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فهي مصداق من مصاديق الإحسان، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾<sup>(٨٥٧)</sup>، يقترف: يكتسب، أي من يحب قربي النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يكتسب حسنةً، إذن فحب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حسنةٌ ومعروفٌ، يزيد الله له فيها حسناً، وهو مصداق آخر من مصاديق الإحسان.

المصداق السادس والعشرون: رعاية كبار السن، وهو أيضًا مصداق من مصاديق الإحسان في القرآن الكريم، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٨٥٨)</sup>، أي أنك ترعى الكبار لأنك محسن، وهذا أبونا شيخ كبير لا يتحمل فراق ولده، ولهذا ذكروا للمحسن أن أباهم كبير السن ولا يستطيع فراق ولده، ليتساهل معه رعاية للشيخ الكبير، إذن رعاية الكبار مصداق من مصاديق الإحسان.

المصداق السابع والعشرون: الصلح، وهو مصداق آخر من مصاديق الإحسان. لاحظوا هذه الآية الشريفة: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا ذُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾<sup>(٨٥٩)</sup>، خافت: توقعت، نشوزًا: تجاوزًا أو ترفعًا أو تجافيًا، وتتحدث الآية الكريمة عن نشوز الزوج، وإن كان الشائع في العرف هو نشوز الزوجة، فهي حينما لا تمكن زوجها ولا تهتم به ولا ترعاه يقال لها ناشز، فالنشوز صفة للزوجة،

٨٥٦. سورة الصافات: الآية ١٢٥ - ١٢٧.

٨٥٧. سورة الشورى: الآية ٢٣.

٨٥٨. سورة يوسف: الآية ٧٨.

٨٥٩. سورة النساء: الآية ١٢٨.

ولكن هذه الآية الكريمة تقول: كما أنّ الزوجة تكون ناشراً، فكذلك الزوج يمكن أن يكون ناشراً أيضاً، فالزوج الذي لا يعتني بزوجه ولا يهتم ببيته، والبيت بالنسبة له مكان نوم لا أكثر، يُعتبر ناشراً أيضاً، وهو مصداق من مصدايق النشوز، وعلى الرجل أن يطيب خاطر زوجته، ويشرح لها ظروفه، لكي تقدّر وتتقبل غيابه عن البيت بطيب خاطر، ولكن إذا كان عنده وقت فيجب أن يعطي وقته لعائلته وزوجته، بأن يجلس معهم ويتحدث، ويتعد عن حالة التجافي والإهمال ويكون بشوشاً معهم، ولكن هناك من الرجال من يأخذ الهموم معه إلى البيت، ويتعامل بجفاء مع عائلته، ويكون شديداً وقاسياً معهم، فهذا نشوز.

أما الإعراض فهو يعني قلة الاهتمام، وهي حالة سلبية وسيئة في سلوك الأزواج مع زوجاتهم، فحينئذ لا ضمير أن يتصالحا مع بعضهما، ويتعاملتا مع بعضهما بمرونة، لكي لا تندفع الأمور إلى الانفصال والطلاق وما إلى ذلك من حالات قد تؤدي إليها، لكي يتخلصوا من سوء المعاشرة، فالحل يكمن في الصلح والتقارب، ولكن هناك أزواجاً يرون أنه لا يناسبهم ولا يليق بهم أن يتنازلوا لزوجاتهم، والحق أنّ التواضع للزوجة ليس شيئاً سيئاً، ولا خاطئاً، وإنما هو شيء صحيح، وليس عيباً أن تكون للمرأة وجهة نظر، ولذا ينبغي أن يسمع الرجل لزوجته، وربما يكون لها رؤية أخرى أو دليل مقنع فيقنع، وفي المقابل ربما يكون لديه دليل مقنع، وهي التي تقنع، فسلامة العلاقة الزوجية تحتاج إلى مرونة من الطرفين، والصلح يمنع الزوجين من سوء المعاشرة، أو من الانفصال وما إلى ذلك، فالصلح خير، وهذه قاعدة عامة يذكرها القرآن الكريم، أي الصلح أفضل من الخصومة.

وفي خصوص العلاقة الزوجية لا يوجد منا أحد معصوم عن الخطأ، رجالاً ونساءً، وفي كلا الطرفين نقاط قوة ونقاط ضعف، وفي الحياة يجب أن يتحمل بعضنا البعض، وكذلك في العلاقة الزوجية يجب على الزوج تحمل زوجته، وعلى الزوجة تحمل زوجها، وأن يتعاملتا مع بعضهما بمرونة، وهذه لا تخص العلاقة الزوجية فقط، بل ينبغي أن تكون هذه القاعدة «والصلح خير»، سائدة في العلاقات الاجتماعية بين الناس أيضاً، فلو أراد كل شخص أن يفرض رأيه ويكسر الآخر، فلن نستطيع حينئذ أن نحقق الغرض، وإنما يجب أن تكون هناك حالة من المرونة بين الطرفين.

ثم تتطرق الآية الشريفة إلى بيان حقيقة أنّ النفس البشرية جبلت على الشح، أي على الحرص الشديد والبخل، ونفهم من هذا المقطع في هذه الآية «وأحضرت الأنفس الشح»، أنّ نصف المشاكل، سواء كانت زوجية أو مشاكل عامة، ناتجة من البخل،

ويشمل البخل في المال، والبخل في بشاشة الوجه، والبخل في الكلمات الرقيقة، والبخل في التعاطي مع الأمور.

وأخيراً تتطرق الآية إلى أن الإنسان لو اتقى وأحسن، فإن الله خير بهذا الإحسان، ويرى ذلك ويحسبه له.

المصدق الثامن والعشرون: العمل بالتكليف، فهو مصداق من مصاديق الإحسان، كما ورد ذلك في قوله تعالى من سورة الصافات في قصة إسماعيل وإبراهيم (عليهما السلام): «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»<sup>(٨٦٠)</sup>، ومعنى «تَلَّهُ لِلْجَبِينِ» أي وضع جبينه على الأرض، ومعنى «صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا» أي أحسنت يا إبراهيم بإسراعك بتنفيذ الأمر الإلهي، إذن فالعمل بالتكليف هو مصداق من مصاديق الإحسان.

المصدق التاسع والعشرون: الأضحية التي تقدم قرباناً في الحج، فهي أيضاً حسنة، ومصدق من مصاديق الإحسان. لاحظوا قوله تعالى: «وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ... وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ»<sup>(٨٦١)</sup>، فالأضحية وتقديم القرابين لله (عز وجل) مصداق من مصاديق الإحسان.

هذه هي المصاديق التسعة والعشرون التي يستعرضها القرآن الكريم من مصاديق الإحسان.

وبهذا ننتهي من هذا الحق من الحقوق الإيمانية.

والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٨٦٠. سورة الصافات: الآية ١٠٢ - ١٠٥.

٨٦١. سورة الحج: الآية ٣٦ - ٣٧.



## المحاضرة الأخلاقية التاسعة والعشرون

بتاريخ ٢٠١٤/٧/٢١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبل الله صيامكم وقيامكم، وجعلكم من المرحومين في هذا الشهر الكريم. انتهينا في اللقاء السابق من الحق الرابع والعشرين من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن، ننتقل اليوم إلى الحق الخامس والعشرين، وهو (تصديق قَسَم المؤمن).

### الحق الخامس والعشرون/ تصديق قَسَم المؤمن

يتجلى هذا الحق من حقوق الأخوة الإيمانية بقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الرواية موضوع البحث: «يصدق أقسامه»، أي أن الأخ المؤمن إذا أقسم على شيء فمن حقه على أخيه المؤمن أن يقبل هذا القسم منه، وأن يتعامل معه على أن ما أقسم عليه أمر قد تحقق. والقسم واليمين والحلف، كلها مفردات تشير إلى هذه الحقيقة، وهي من الأمور المهمة التي يجب أن نقف عندها.

### أنواع اليمين

لليمين أنواع عدة نذكرها في ما يلي:

النوع الأول: يمين التأكيد، وهو أن يقوم الإنسان بعمل ما ويخبر به بصيغة القسم، فيقول مثلاً: والله فعلت، والله ذهبت، والله سأذهب، وقد يكون في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، أو يخبر عن حالة معينة فيقول: والله أنا مريض، والله أنا فقير.

النوع الثاني: يمين المناشدة، وهي طلب قضاء حاجة من الآخرين بصيغة القسم، كأن يقول: بالله عليك اجلب لي ماء، بالله عليك خذني معك إلى المكتبة، بالله عليك حل لي مشكلتي.

النوع الثالث: يمين العقد، وهي اليمين التي يترتب عليها الأثر الشرعي والكفارة، ويتحقق ذلك حينما يقسم الإنسان على القيام بفعل ما، واجباً كان أو مندوباً أو مباحاً، أو يقسم على ترك أمر ما محرم أو مكروه، وحين ذلك يتعين عليه دفع الكفارة إذا حنث بهذه اليمين.

النوع الرابع: يمين الإنكار، وهي تتحقق في المرافعات القضائية، عندما يدعي شخص مثلاً أن فلاناً سرق منه الشيء الفلاني، ولا يوجد لديه دليل لإثبات ذلك، وينكر الشخص المتهم بالسرقة ما يُتهم به، فعندها يأمره القاضي بالحلف أنه لم يسرق، عملاً بقاعدة «البينة على المدعي واليمين على المنكر»، فيحلف بالله أنه لم يسرق، فتبرأ ذمته مما اتهم به.

#### أنواع اليمين في الروايات

وردت الإشارة إلى هذه الأنواع الأربعة لليمين في روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فمما ورد في يمين التأكيد ما رواه زرارة بن أعين عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كل يمين حلف عليها لا يفعلها مما له منفعة في الدنيا والآخرة فلا كفارة عليه»<sup>(٨٦٢)</sup>.

ومما ورد في يمين المناشدة ما رواه عبد الله بن سنان عن عبد الرحمن بن عبد الله قال: «سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الرجل يقسم على الرجل في الطعام ليأكل معه، فلم يأكل معه، هل عليه في ذلك كفارة؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا، ليس عليه كفارة»<sup>(٨٦٣)</sup>.

في كتاب الكافي الشريف: عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «الأيمان ثلاث: يمين ليس فيها كفارة، ويمين فيها كفارة، ويمين غموس توجب النار. فاليمين التي ليس فيها كفارة، الرجل يحلف بالله على باب برٍّ أن لا يفعله، واليمين التي تجب فيها الكفارة، الرجل يحلف على باب معصية أن لا يفعله فيفعله، واليمين الغموس التي توجب النار، الرجل يحلف على حق امرئ مسلم على حبس ماله»<sup>(٨٦٤)</sup>.

٨٦٢. وسائل الشيعة ٣٣: ٢٤٨ ح ٣.

٨٦٣. الكافي ٧: ٤٤٦ ح ٦.

٨٦٤. الكافي ٧: ٤٣٨ ح ١.

وعن علي بن إبراهيم قال: «الأيمان ثلاث: يمين تجب فيها النار، ويمين تجب فيها الكفارة، ويمين لا تجب فيها النار ولا الكفارة. فأما اليمين التي تجب فيها النار، فرجل يحلف على مال رجل يجحده ويذهب بماله، ويحلف على رجل من المسلمين كاذباً فيورطه، أو يعين عليه عند سلطان وغيره فيناله من ذلك تلف نفسه أو ذهاب ماله، فهذا تجب فيه النار. وأما اليمين التي تجب فيها الكفارة فالرجل يحلف على أمر هو طاعة لله أن يفعله، أو يحلف على معصية لله أن لا يفعلها ثم يفعلها فيندم على ذلك فتجب فيه الكفارة. وأما اليمين التي لا تجب فيها الكفارة فرجل يحلف على قطيعة رحم، أو يجبره السلطان أو يكرهه والده أو زوجته، أو يحلف على معصية لله أن يفعلها ثم يحنث، فلا تجب فيه الكفارة»<sup>(٨٦٥)</sup>

### ما يصح وما لا يصح من القسم

نقرأ في كتاب الكافي الشريف، الجزء السابع، باب ما لا يلزم من الأيمان والندور، الحديث الرابع في هذا الباب:

عن أبي الحسن الرضا (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «سألت عن رجل حلف في قطيعة رحم، فقال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لا نذر في معصية، ولا يمين في قطيعة رحم». قال: وسألت عن رجل أحلفه السلطان بالطلاق وغير ذلك فحلف. قال: لا جناح عليه. وسألت عن رجل يخاف على ماله من السلطان، فيحلف لينجو به منه؟ قال: لا جناح عليه. وسألت: هل يحلف الرجل على مال أخيه كما على ماله؟ قال: نعم»<sup>(٨٦٦)</sup>.

يسأل الراوي في هذه الرواية الكريمة الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أربعة أنواع من اليمين، هل فيها مؤاخذه أو إثم أو عقوبة أو كفارة، وهي كالتالي:

الأول: اليمين في قطيعة الرحم، كأن يحلف الرجل ألا يكلم أباه أو ابنه أو زوجته، فيجيبه الإمام الرضا بنقل حديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أنه لا ينعدد يمين أصلاً لا في معصية ولا في قطيعة رحم.

الثاني: اليمين بالطلاق كاذباً عند السلطان مجبراً، وهو من الأيمان المعروفة في فقه المذاهب الأخرى، فيجيبه الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه لا جناح عليه، أي لا إثم عليه ولا يترتب عليه الطلاق.

٨٦٥. الكافي ٧: ٤٣٩ ذيل ح ١.

٨٦٦. الكافي ٧: ٤٤٠ ح ٤.

الثالث: اليمين كذباً خوفاً على المال من السلطان الجائر لئلا يأخذه منه ظلماً، فأجابه الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه لا جناح عليه أيضاً، أي ليس عليه الكفارة في هذه اليمين.

الرابع: يمين الرجل كاذباً عند السلطان على مال الأخ المؤمن لينجيه منه، فيجيبه الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بنعم، أي أنه يجوز له أن يحلف كذلك ولا يترتب عليه إثم أو كفارة.

وعن عمرو بن البراء قال: «سُئِلَ أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنا أسمع، عن رجل جعل عليه المشي إلى بيت الله والهدى، قال: وحلف بكل يمين غليظ أن لا أكلم أبي أبداً، ولا أشهد له خيراً، ولا يأكل معي على الخوان أبداً، ولا يأويني وإياه سقف بيت أبداً، قال: ثم سكت. فقال أبو عبد الله: أبقى شيء؟ قال: لا، جُعِلْتُ فِدَاكَ. قال: كل قطعة رحم فليس بشيء»<sup>(٨٦٧)</sup>، أي أن اليمين في قطعة الرحم لا تنعقد وهي باطلة ولا أساس لها.

وعن سماعة بن مهران قال: «سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رجل جعل عليه أيماً أن يمشي إلى الكعبة، أو صدقة أو عتق أو نذر أو هدي إن هو كلم أباه، أو أمه، أو أخاه، أو ذا رحم، أو قطع قرابة، أو مأثم فيه يقيم عليه، أو أمر لا يصلح له فعله. فقال: كتاب الله قبل اليمين، ولا يمين في معصية»<sup>(٨٦٨)</sup>، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كتاب الله قبل اليمين»، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾<sup>(٨٦٩)</sup>، أي أن هذه اليمين لا أثر لها ولا تنعقد لأنها يمين في معصية، ومخالفة لما أمر به الله (عز وجل) في كتابه الكريم.

عن محمد بن مسلم: «أن امرأة من آل المختار حلفت على أختها أو ذات قرابة لها، فقالت: أدني يا فلانة فكلي معي، فقالت: لا، فحلفت، وجعلت عليها المشي إلى بيت الله وعتق كل ما تملك وأن لا يظلمها وإياها سقف بيت، ولا تأكل معها على خوان أبداً، فقالت الأخرى: مثل ذلك، فحمل عمر بن حنظلة إلى أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ مقالتهما، فقال: «أنا قاض في ذا، قل لها: فلتأكل وليظلمها وإياها سقف بيت، ولا تمشي، ولا تعتق، ولتتقي الله ربها ولا تعد إلى ذلك، فإن هذا من خطوات الشيطان»<sup>(٨٧٠)</sup>. نصت هذه الرواية الشريفة أنه لا قيمة لمثل هذه الأيمان؛ لأنها أيمان في معصية الله (سبحانه وتعالى) الذي أمر بصلة الرحم، وهي من خطوات الشيطان اللعين الرحيم الذي يترصد بالإنسان الدوائر، ويوقع العداوة بين الإنسان وأهل بيته وأقاربه وأصدقائه وجيرانه ومعارفه.

٨٦٧. الكافي ٧: ٤٤٠ ح ٥.

٨٦٨. الكافي ٧: ٤٤٠ ح ٧.

٨٦٩. سورة الإسراء: الآية ٢٣.

٨٧٠. الكافي ٧: ٤٤٠ ح ٨.



وعن إسحاق بن عمار قال: «سألت أبا إبراهيم - الإمام أبا الحسن موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ - عن رجل قال: لله عليّ المشي إلى الكعبة إن اشتريت لأهلي شيئاً بنسيئته، فقال: أيشق ذلك عليهم؟ قال: نعم، يشق عليهم أن لا يأخذ لهم شيئاً بنسيئته، قال: فليأخذ لهم بنسيئته وليس عليه شيء»<sup>(٨٧١)</sup>. يبيّن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لا شيء من الإثم أو الكفارة على اليمين بمثل هذه الأمور التي في تركها ضرر على العائلة، فإن الله سبحانه وتعالى لا يقبل يميناً فيها ضرر على الإنسان أو على عائلته.

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) أنه قال في رجل حلف بيمين أن لا يكلم ذا قرابة له، قال: «ليس بشيء، فليكلم الذي حلف عليه. وقال: كل يمين لا يُراد بها وجه الله (عزّ وجلّ) فليس بشيء في طلاق أو عتق. قال: وسألته عن امرأة جعلت مالها هدياً لبيت الله إن أعارت متاعها لفلانة وفلانة، فأعار بعض أهلها بغير أمرها، قال: «ليس عليها هدي، إنما الهدى ما جعل لله هدياً للكعبة، فذلك الذي يوفى به إذا جعل لله، وما كان من أشباه هذا فليس بشيء، ولا هدي لا يُذكر فيه الله (عزّ وجلّ)»<sup>(٨٧٢)</sup>. فالحلف يكون مقبولاً حينما تكون فيه طاعة لله (عزّ وجلّ)، وأما إذا كانت فيه معصية لله، أو تجاوز للحكم الشرعي، فلا تنعقد هذه اليمين.

وفي رواية أخرى عن زرارة عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، قلت له: الرجل يحلف بالأيمان المغلظة أن لا يشتري لأهله شيئاً، قال: «فليشتر لهم وليس عليه شيء في يمينه»<sup>(٨٧٣)</sup>.

عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يمين في غضب، ولا في قطيعة رحم، ولا في جبر، ولا في إكراه. قال: قلت: فما الفرق بين الإكراه والجبر؟ قال: الجبر من السلطان، ويكون الإكراه من الزوجة والأم والأب وليس ذلك بشيء»<sup>(٨٧٤)</sup>. فربما يفقد الإنسان في لحظات الغضب السيطرة على مشاعره، فيحلف ألا يفعل الأمر الفلاني مثلاً، فلا ينعقد مثل هذا الحلف لأنه صدر في حالة الغضب، وكذلك لا تنعقد اليمين في حالات الجبر والإكراه، ثم يبيّن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ الفرق بين الجبر والإكراه جواباً عن سؤال السائل.

في رواية أخرى عن سعد بن أبي خلف قال: قلت لأبي الحسن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

٨٧١. الكافي ٧: ٤٤١ ح ١١.

٨٧٢. الكافي ٧: ٤٤١ ح ١٢.

٨٧٣. الكافي ٧: ٤٤٢ ح ١٤.

٨٧٤. الكافي ٧: ٤٤٢ ح ١٦.

إني كنت اشترت جاريةً سرًّا من امرأتي، وإنه بلغها ذلك، فخرجت من منزلي، وأبت أن ترجع إلى منزلي، فأتيها في منزل أهلها، فقلت لها: إن الذي بلغك باطل، وإن الذي أتاك بهذا عدو لك أراد أن يستفزك، فقالت: لا والله لا يكون بيني وبينك خيرٌ أبداً، حتى تحلف لي بعق كل جارية لك وبصدقة مالك إن كنت اشترت جاريةً وهي في ملكك اليوم، فحلفتُ لها، وأعادت اليمين وقالت لي: فقل: كل جارية لي الساعة فهي حرة، فقلت لها: كل جارية لي الساعة فهي حرة، وقد اعتزلت جاريته، وهممت أن أعتقها وأزوجها لهواي فيها. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ليس عليك في ما أحلفتك عليه شيء، وأعلم أنه لا يجوز عتق ولا صدقة إلا ما أريد به وجه الله وثوابه»<sup>(٨٧٥)</sup>، فالعتق الشرعي هو ما كان لله (سبحانه وتعالى)، وليس لأجل فلان أو فلانة، فمثل هذه اليمين لا تتعقد أيضاً.

وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إذا حلف الرجل على شيء، والذي حلف عليه إتيانه خير من تركه، فليأت الذي هو خير ولا كفارة عليه، وإنما ذلك من خطوات الشيطان»<sup>(٨٧٦)</sup>، إذا حلف على شيء، يعني حلف على تركه، مثلاً: والله لن أصلي أول الوقت، والله لن أصلي صلاة الليل، أو أي شيء من هذا النوع، فأبي فعل حلف على تركه، وكان فعله أفضل من تركه، لا يعتني بهذا الحلف لأنه ليس قسمًا في سبيل الله، وليقم بهذا العمل ولا كفارة عليه، وإنما ذلك من خطوات الشيطان.

في رواية أخرى عن سعيد الأعرج قال: سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الرجل يحلف على اليمين، فيرى أن تركها أفضل، وإن لم يتركها خشي أن يآثم، أيتها؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أما سمعت قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا رأيت خيراً من يمينك فدعها»<sup>(٨٧٧)</sup>، أي إذا وجدت الخير على خلاف اليمين، وكان الأفضل هو الشيء الذي أقسمت على خلافه، فأترك اليمين واعمل بالأحسن والأفضل.

### حرمة القسم

أكدت النصوص الشريفة من الآيات القرآنية والروايات الواردة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أن للقسم حرمة، فيجب ألا يقسم الإنسان بالله (سبحانه وتعالى) إلا عند الضرورة، والقسم على كل شيء تحول - مع الأسف - إلى

٨٧٥. الكافي ٧: ٤٤٢ ح ١٨٥

٨٧٦. الكافي ٧: ٤٤٣ ح ٢

٨٧٧. الكافي ٧: ٤٤٤ ح ٣

حالة متداولة في ثقافتنا، فأحاديثنا مليئة بالقسم بالله (سبحانه وتعالى). لماذا نقسم بالله؟ ولماذا نقحم لفظ الجلالة واسم الله العزيز في تفاصيل يومية حياتية بسيطة؟.

لاحظوا هذه الآية الشريفة: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُضْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٨٧٨)</sup>، أي لا تتجرؤوا على الله، ولا تجعلوا الله (سبحانه وتعالى) وسيطا وسبباً بالحلف به، ولا تذكروه في أيمانكم من دون أن تكون هناك ضرورة لهذا الأمر، وعليكم أن تلتزموا بفعل الحسن، واتقوا الله، وأصلحوا بين الناس، ولكن لا تجعلوا الله (سبحانه وتعالى) عرضةً لأيمانكم.

وقد وردت في كتاب الكافي الشريف إشارات الى هذا الموضوع، ففي الرواية الشريفة عن أبي أيوب الخزاز قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين، فإن الله (عز وجل) يقول: «ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم»<sup>(٨٧٩)</sup>.

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: من أجل الله أن يحلف به، أعطاه الله خيراً مما ذهب منه»<sup>(٨٨٠)</sup>، فالهدف من الحلف تأكيد قضية للحصول على مكسب ما، ولكن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: يا إنسان، إذا تركت القسم وفقدت مكسباً حفاظاً على قداسة اسم الله وحفاظاً على هيبة الذات المقدسة، فإن الله (سبحانه وتعالى) يعوضك خيراً مما فقدته، وإنك إذا أقسمت للحصول على شيء ما، فقد تحصل عليه وقد لا تحصل، ولكن إذا تركت القسم مراعاة لحرمة القسم، فإن الله تعالى يعطيك أكثر مما تتوقع أن تحصل عليه بالقسم.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اجتمع الحواريون إلى عيسى عليه السلام فقالوا له: يا معلم الخير أرشدنا. فقال لهم: إن موسى نبي الله أمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين، وأنا أمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين»<sup>(٨٨١)</sup>، أي أن الإمام الصادق عليه السلام يأمرنا أن لا نحلف بالله كاذبين ولا صادقين.

وعن أبي سلام المتعبد أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول لسدير: «يا سدير من حلف بالله كاذباً كفر، ومن حلف بالله صادقاً أثم، إن الله (عز وجل) يقول: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ

٨٧٨. سورة البقرة: الآية ٢٢٤.

٨٧٩. الكافي ٧: ٤٣٤ ح ١.

٨٨٠. الكافي ٧: ٤٣٤ ح ٢.

٨٨١. الكافي ٧: ٤٣٤ ح ٣.

عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ»<sup>(٨٨٢)</sup>. يبيّن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حكمًا في غاية الخطورة، وهو دوران أمر الحلف بين الكفر والإثم، ولذا يجب اجتنابه على كل حال، ويستدل على ذلك بالآية الكريمة أعلاه.

وفي رواية عن أبي بصير قال: «حدثني أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أَبَاهُ كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ، فَقَالَ مَوْلَى لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ عِنْدَكَ امْرَأَةً تَبْرَأُ مِنْ جَدِّكَ، فَقَضَى لِأَبِي أَنَّهُ طَلَقَهَا، فَادَّعَتْ عَلَيْهِ صَدَاقَهَا، فَجَاءَتْ بِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمَدِينَةِ تَسْتَعْدِيهِ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ: يَا عَلِيُّ إِمَّا أَنْ تَحْلِفَ، وَإِمَّا أَنْ تَعْطِيَهَا حَقَّهَا. فَقَالَ لِي: قُمْ يَا بَنِي فَأَعْطِهَا أَرْبَعِمِائَةَ دِينَارٍ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبُهِ جَعَلْتَ فِدَاكَ أَلَسْتَ مُحَقًّا؟ فَقَالَ: بَلَى يَا بَنِي، وَلَكِنِّي أَجَلَلْتُ اللَّهَ أَنْ أَحْلِفَ بِهِ يَمِينِ صَبْرٍ»<sup>(٨٨٣)</sup>، فانظروا الى عظيم حرمة القسم عند الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بحيث أنه دفع أربعمائة دينار ولم يحلف، مع أنه كان محقًا، كل ذلك إجلالًا وتقديسًا لاسم الله (سبحانه وتعالى) بأن يجعله عرضة ليمينه.

### خطورة القسم الكاذب على الإيمان

مرّ في رواية سابقة أن «من حلف بالله كاذبًا فقد كفر»، ومعنى ذلك أن إيمان الإنسان مرهون بقسمه.

وجاء في الرواية الشريفة عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من حلف على يمين وهو يعلم أنه كاذب فقد بارز الله (عزّ وجلّ)»<sup>(٨٨٤)</sup>، لأنه دخل بخصومة مع الله (سبحانه وتعالى)، حين حلف به كاذبًا استهانة بالذات المقدسة.

وفي رواية أخرى: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اليمين الصبر الكاذبة تورث العقر والفقر»<sup>(٨٨٥)</sup>، أي من يقسم بالله كاذبًا فإنّ الله (سبحانه وتعالى) يعاقبه بعقوبتين مدى عمره: الأولى: لا يرزقه بذرية، والثانية: يصاب بالفقر والفاقة.

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنّ اليمين الفاجرة تنغل في الرحم. قال: قلت: جعلت فداك ما معنى تنغل في الرحم؟ قال: تعقر»<sup>(٨٨٦)</sup>.

٨٨٢. الكافي ٧: ٤٣٤ ح ٤.

٨٨٣. الكافي ٧: ٤٣٥ ح ٥.

٨٨٤. الكافي ٧: ٤٣٥ ح ١.

٨٨٥. الكافي ٧: ٤٣٦ ح ٤.

٨٨٦. الكافي ٧: ٤٣٧ ح ١١.

وعن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: « إِنَّ اللَّهَ (سبحانه وتعالى) خلق ديكاً أبيض عنقه تحت العرش، ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، له جناح في المشرق، وجناح في المغرب، لا تصيح الديوك حتى يصيح، فإذا صاح خفق بجناحه، ثم قال: سبحان الله، سبحان الله العظيم الذي ليس كمثله شيء. قال: فيجيبه الله (سبحانه وتعالى) فيقول: لا يحلف بي كاذباً من يعرف ما نقول»<sup>(٨٨٧)</sup>، يعني من يحلف بالله سبحانه كاذباً لا يعرف التوحيد، ويخرج عن ربة الإسلام، ويكون كافرًا، إذ عندما نقول: سبحان الله العظيم ليس كمثله شيء، فإننا نصف الله (سبحانه وتعالى) بأوصاف لا يعرف معناها من يحلف كذباً، ويسلب منه توفيق طاعة الله (سبحانه وتعالى).

وهناك شاهد آخر على هذا الأمر في الآية الشريفة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِّنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ آرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ»<sup>(٨٨٨)</sup>، يعني أن هذا القسم يكون على ما أشهدتنا عليه وأوصيتنا به، سنلتزم به، ولا نستبدل هذه الأمانة التي أمنتنا عليها حتى لو كان ذا قربي، ونوصلها كما هي.

وقد ذكر صاحب تفسير نور الثقلين شأن نزول هذه الآية الشريفة يقول: «إنها نزلت في ابن بند وابن أبي مارية النصرانيين، وكان هناك رجل يقال له تميم الداري، وهو مسلم، خرج معهما في سفر، وكان مع تميم خرج ومتاع وآنية منقوشة بالذهب وقلادة، أخرجها لبعض أسواق العرب لبيعهها، فلما مروا بالمدينة اعتل تميم، فلما حضره الموت دفع ما كان معه إلى ابن بند وابن أبي مارية، وأمرهما أن يوصلاها إلى ورثته، فقدمتا المدينة فأوصلا ما كان دفعه إليهما تميم، وحسبا الآنية المنقوشة بالذهب والقلادة، فقال ورثة الميت: هل مرض صاحبنا مرضاً طويلاً أنفق فيه نفقة كثيرة؟ فقالوا: ما مرض إلا أياماً قليلة. قالوا: هل سرق منه شيء في سفره هذا؟ قالوا: لا. قالوا: هل اتجر تجارة خسر فيها؟ قالوا: لا. قالوا: فقد افتقدنا أنبل شيء كان معه، آنية منقوشة بالذهب مكلمة، وقلادة. فقالوا: ما دفعه إلينا قد أديناه إليكم. فقدموهما إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: يا رسول الله، صاحبنا مات وهذان جلبا أغراضه، ولكننا نفقد شيئين مهمين بين أغراضه، وهما يقولان إنه لم يمرض مدة طويلة لكي ينفق على نفسه، ولم يسرق لكي نقول سلبوه، فلا نعرف ما القصة، فأوجب عليهما اليمين. قال لهما رسول الله:

٨٨٧. الكافي ٧: ٤٣٧ ح ١١.

٨٨٨. سورة المائدة: الآية ١٠٦.

«احلفا، فحلفا كذباً، فأطلقهما»، ثم ظهرت القلادة والآنية عليهما، فأخبروا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فانتظر الحكم من الله، فأنزل الله هذه الآية<sup>(٨٨٩)</sup>. فهذه هي الشهادة الأولى التي حلفها رسول الله بها.

ثم قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا﴾<sup>(٨٩٠)</sup>، يعني من أولياء الميت، في إشارة للآيات القادمة والحكم الذي بينه، وحين ذاك أخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الآنية والقلادة منهما، وأرجعهما إلى ورثة تميم، فهذا أيضاً حكم القسم، وحنث القسم.

### شروط القسم في القرآن الكريم

هناك ثلاثة شروط أساسية مطلوبة للقسم تشير إليها الآيات القرآنية الشريفة، هي:

الشرط الأول: القدرة، فيجب أن يكون الحالف قادراً على الوفاء بما يقسم عليه، كما لو قال: والله سأشتري لك الحاجة الفلانية، أو والله سأخذك إلى المكان الفلاني، وكان عازماً على شراء تلك الحاجة أو أخذه إلى ذلك المكان، ولكن لو عجز عن أن يفي بقسمه سقطت عنه اليمين، ولا يُعد حنثاً أو عصياناً في ما أقسم عليه.

ونجد الإشارة إلى هذا الشرط في القرآن الكريم في الحوار الذي دار بين يعقوب (عليه وعلى نبينا وآله السلام) وأولاده، عندما طلبوا منه أن يرسل معهم بنيامين بطلب من شقيقه يوسف (عليه وعلى نبينا وآله السلام)، وهم لم يكونوا يعرفون أن العزيز الذي طلب منهم ذلك هو يوسف: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾<sup>(٨٩١)</sup>، رفض يعقوب (عليه وعلى نبينا وآله السلام) إرسال بنيامين معهم حتى يؤتوه بموثق من الله، أي حتى يحلفوا بالله (سبحانه وتعالى) أنهم سيرجعونه له، ثم يقيد يعقوب (عليه وعلى نبينا وآله السلام) ما طلبه منهم من اليمين بالله، بما لو أحيط بهم بأمر قهري خارج عن اختيارهم ولا يتمكنون معه من إرجاع بنيامين له، وكأنه يعلم بما سيقع لهم فقيّد لهم القسم لينبئهم على ذلك؛ لأن ذكر هذا القيد لا حاجة له لسقوط الحنث باليمين في حال العجز عن تنفيذها لأمر قاهر خارج عن الإرادة، وهذا تقييد للقسم بالقدرة.

٨٨٩. تفسير نور الثقلين ١: ٦٨٤.

٨٩٠. سورة المائدة: الآية ١٠٧.

٨٩١. سورة يوسف: الآية ٦٦.

وقد ذكر بعض المفسرين هنا التفاتة لطيفة، يقول: إن قول يعقوب (عليه وعلى نبينا وآله السلام): «لَنْ أُرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ»، أي إذا تعرضتم بأجمعكم إلى أمر قاهر لا تستطيعون بسببه إرجاع بنيامين معكم، فإنكم مبرؤون من الحنث بهذا القسم، ولكن إذا بقي واحد منكم لم يحط به، فبحكم هذا القسم يجب عليه أن يرجع لي بنيامين. إذن فالقدرة على الوفاء شرط بنفوذ اليمين، وهذا معناه أنه يجب على الإنسان أن يحلف على أشياء ممكنة التحقيق، ولكن إذا حصل مانع من تحقيقها ولم تكن له القدرة على الوفاء بما أقسم عليه، سقط عنه الحنث ولم يؤاخذ عليه.

الشرط الثاني: لا ينعقد القسم إلا بالله (سبحانه وتعالى)، وعندها يكون قسمًا شرعيًا ويجب الوفاء به، كما ورد ذلك في قوله تعالى: «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ»<sup>(٨٩٢)</sup>، يعني لا تنكثوا عهودكم، عندما يقول أحدكم: علي عهد الله، لأنه من أنواع القسم بالله (عز وجل). وكذلك لا تنكثوا أيمانكم، عندما يقول أحدكم: أقسم بالله أو أحلف بالله. وذلك لأنكم بعهودكم وأيمانكم هذه قد جعلتم الله عليكم كفيلاً ووكيلاً، إذ عندما تحلف لأحدكم: والله سأفعل لك هذا، فهو يعني أنك وضعت الله كفيلاً عليك في هذا الأمر، وحينما يكون الله (سبحانه وتعالى) هو الكفيل عليكم في القسم، فإن ذلك معناه أنك تضع الله (سبحانه وتعالى) طرفاً، فهو الذي يستوفي منك ما أقسمت عليه لو تخليت عن تنفيذه، وهو بالطبع سيعاقبك في الدنيا قبل الآخرة على تهاونك بالوفاء، لأنه (سبحانه وتعالى) يعلم بما نفع.

ووردت الإشارة إلى هذا الشرط أيضاً في قوله تعالى: «وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ»<sup>(٨٩٣)</sup>، هنا يقسم إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) بالله (عز وجل)، أن يدبر تديراً لأصنامهم، يعني يهدمها ويدمرها بعد تفرقهم ورجوعهم إلى بيوتهم، حين تبقى هذه الأصنام وحدها، وهنا أستعملت صيغة «تالله»، وهي من صيغ القسم الصريحة كما في «والله» و«بالله».

وكذا وردت الإشارة إلى هذا الشرط في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْحَامِسَةُ

٨٩٢. سورة النحل: الآية ٩١.

٨٩٣. سورة الأنبياء: الآية ٥٧.

أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨٩٤﴾، تبيّن الآية الشريفة حكماً شرعياً قضائياً، لفض النزاع بين الزوج وزوجته عندما يدّعي عليها أنه وجدها تزني والعياذ بالله، وليس هناك شهود رأوا ذلك غيره، فحينها يتوجب عليه اليمين خمس مرات، يكرر في الأيمان الأربع الأولى أنه صادق في ما يقول، ويحلف في المرة الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان كاذباً. فعندها يحكم عليها بالرجم، ولكنها تستطيع أن تدفع عن نفسها العقوبة، وذلك بأن تقسم خمس مرات أيضاً، تحلف في الأربعة الأولى أن زوجها كاذب في ما يدّعيه، وتحلف في المرة الخامسة أن غضب الله عليها إن كان صادقاً. فإذا حلفت فرّق القاضي بينهما وانحلت العلقة الزوجية بينهما من غير حاجة إلى إجراء صيغة الطلاق، أي أن عقد الزواج يفسخ تلقائياً.

وهناك ظاهرة غير صحيحة تسود في مجتمعاتنا في هذه الأيام، وهي سهولة وسرعة اتهام الآخرين بالفاحشة من غير تثبت ومن غير دليل شرعي، فعندما يأتي أحد ويتهم امرأة بالزنا والعياذ بالله، يطلب منه القضاء الشرعي أن يأتي بأربعة شهود، فإذا أتى بهم وشهدوا بأنهم رأوا الفاحشة بشكل كامل بالعين وتطابقت شهاداتهم أقيم عليها الحد، وإذا لم يأت بالشهود الأربعة، وأتى بثلاثة أو أقل أقيم عليهم حد القذف، فهنا نرى تشدداً كبيراً من الشارع المقدس في هذه القضية، ولكننا - وهو مما يؤسف له - نلاحظ في مجتمعاتنا تساهلاً كبيراً في هذا الأمر، فنراهم يتهمون الرجال والنساء بمجرد الظن والشك والشبهة، أو في ظرف غير مبرر، وهذا أمر خطير جداً، وذنبه عظيم، والله (سبحانه وتعالى) يتشدد كثيراً في هذا الأمر، فبنى حكم إقامة حد الزنا ليس على شاهد واحد، ولا على اثنين، ولا على ثلاثة، بل لا يثبت إلا بأربعة شهود، وإلا اعتبره قذفاً واتهاماً بالباطل.

ولكن الحكم يختلف في اتهام الزوج لزوجته بالفاحشة، فحكمه ما تقدّم ذكره؛ إذ يقسم خمس مرات على ذلك. وقد يقال: لماذا هذا التمييز وهذا الفرق بين اتهام الغير واتهام الزوج؟ والجواب: إنّ الزوج قادر على أن يدخل إلى أماكن ويرى زوجته فيها، وأما الآخرون فلا يستطيعون ذلك، فمثلاً لو قال شخص: إنّ فلانة ارتكبت الموبقة، يُقال له: وما أدراك؟ فيقول: إني رأيت فلاناً دخل عليها في البيت، فإنّ ذلك لا يكفي في ثبوت جريمة الزنا، وإن كان في النفس شك، ولكن لا يمكن البناء عليه في توجيه



التهمة، لأن دخوله عليها لا يعني تحقق المعصية بكامل أبعادها، ولكن الزوج يستطيع أن يجد زوجته في أماكن لا يستطيع الآخرون أن يروها فيها عادة، ولهذا تكفي رؤيته وحده في إثبات هذه الجريمة بعد أداء الإيمان الخمس أمام القاضي الشرعي.

الشرط الثالث: أن يقصد القسم، فحينما يقول: والله، يجب أن يكون قاصداً أنه يقسم على شيء ما، لأن الإنسان ربما يأتي بصيغة القسم وهو لا يقصده، كما يتفق وقوع ذلك كثيراً في الأحاديث اليومية بين الناس، فهذا ليس بقسم. وكذا لا يعتبر قسماً شرعياً ما يكره عليه الإنسان من أداء القسم، لأن المكره مسلوب الاختيار والقصد، فلا ينعقد له قسم أصلاً.

وقد وردت الإشارة إلى هذا الشرط في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(٨٩٥)</sup>، فهنا لا توجد كفارة ولا عقوبة على من يقسم قسماً لم يقصده، ولكن يؤاخذ الله (عز وجل) بما تعمد فيه، كما ورد ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾<sup>(٨٩٦)</sup>، أي بما وثقتم عليه الأيمان بالقصد والنية، وحين ذاك يؤاخذكم الله (عز وجل) على ذلك. هذه هي الشروط الثلاثة لصحة القسم الذي يجب على صاحبه أن يفي ويلتزم به.

### الوفاء بالقسم

على الإنسان أن يفي ويلتزم بالقسم حينما يأتي به، وعلى المؤمن أن يصدق أخاه المؤمن عندما يقسم له، إذ اعتبر هذا الحق من حقوق الأخوة الإيمانية، وذلك لأن هذا التصديق يعمق العلاقة الاجتماعية، وعندها تكون الكلمة محترمة، فحينما يقسم الإنسان على شيء، يصدق الآخرون أنه سيفي به.

نقرأ قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَصَتْ غَزَلُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾<sup>(٨٩٧)</sup>، أي لا تكونوا في مسألة الوفاء بأيمانكم كذلك السيدة التي حلت الغزل الذي غزلته، إذ يقال إن هناك امرأة، في زمن الجاهلية أو في صدر الإسلام، ميسورة الحال و متمكنة ولديها خدم، فكانت تغزل هي وخدمها من

٨٩٥. سورة البقرة: الآية ٢٢٥.

٨٩٦. سورة المائدة: الآية ٨٩.

٨٩٧. سورة النحل: الآية ٩٢.

الصباح إلى العصر، وعندما يحل العصر تقول لخدمها: حلوا الغزل، فينقضون الغزل الذي كانت تغزله من الصباح إلى العصر، فوصفت بأنها حمقاء، وقد تكون مصابة بمرض نفسي، إذ لا يوجد إنسان طبيعي يفعل هذا الشيء. فالله هنا يحذر عباده من أن يعملوا هذا الشيء نفسه، فعندما يفتح الغازل الخيط بعد عقده، لا يرجع كما كان، بل تصبح فيه حالة ارتداد، فالتشبيه القرآني جميل جداً، إذ يشبه من نقض يمينه بمن نقضت غزلها، فإنها إذا نقضت الغزل فلن تعود الأمور كما كانت، بل أسوأ مما كانت، وكذلك الحالف الذي يغرر بالناس باسم الله لكي يصدقه، فمن يحلف بالله (سبحانه وتعالى) ولا يفي فهو غادر، ويستهزئ بالله حين يقسم به ولا يفي بقسمه.

ثم تبيّن الآية الكريمة أنّ تسابق الجماعات والأمم على نقض إيمانها بالله العزيز وعهودها، فتكون أمة أكثر انحرافاً من أمة، إنما هو ابتلاء من الله (سبحانه وتعالى)، ليختبركم بهذه الأيمان والأقسام التي تأتون بها، وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون، عندما يضع أمامكم استحقاقات هذا العمل، وآثاره العظيمة، فيتبين لكم حينئذ كيف كنتم تتعاملون في هذا الموضوع.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تبعاً إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



## المحاضرة الأخلاقية الثلاثون

بتاريخ ٢٠١٤/٧/٢٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبل الله صيامكم وقيامكم، وجعلكم من المرحومين في هذا الشهر الكريم. كان حديثنا في الحق الخامس والعشرين من حقوق الأخوة الإيمانية، وهو (تصديق قَسَمَ المؤمن). وتحدثنا في آخر اللقاء السابق عن الوفاء بالقسم.

### استغلال القسم

وهو أن يحلف شخص ليغرر بالآخرين، ويستغل ثقة الناس بالله (سبحانه وتعالى)، فعندما يحلف ويقول: والله، تقبل الناس منه هذا القسم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٨٩٨)</sup>، تتحدث الآية الكريمة عن ظاهرة مَرَضِيَّة في مجتمع المسلمين في المدينة، تلتخص في الولاء الذي تكنه جماعة من المسلمين لقوم غضب الله عليهم، وقال أصحاب التفاسير إن المقصود من هؤلاء القوم هم اليهود. ثم يصف الله (سبحانه وتعالى) هذه الجماعة - الذين صادقوا ووالوا وأحبوا قوماً غضب الله عليهم، وبنوا علاقاتهم مع المغضوب عليهم - بقوله: ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾،

٨٩٨. سورة المجادلة: الآية ١٤ - ١٥.

وهؤلاء إذا لم يكونوا من المسلمين حقيقة ولا من اليهود فهم منافقون، ولهذا كان لا بُدَّ من كشف هوية هذه الجماعة الجديدة التي التبست على باقي المسلمين، فهؤلاء ظاهرهم الإسلام، ولكنهم يوالون أعداء المسلمين، ويشقون الصف، ويتخلون عن مصالح الأمة، ويذهبون إلى خندق الأعداء، وبينون علاقات معهم، ولا يهمهم غير الحفاظ على مصالحهم، فهؤلاء ليسوا منكم، لأنَّ كون الإنسان من قوم، يعني أن يحفظ مصالحهم، ويؤيد مواقفهم، وأما من يتصل من قومه ووطنه ويصطف مع الأعداء، فهو ليس منهم، وهم أيضاً ليسوا من اليهود ولا من الكفار ولا يعتقدون بعقائدهم، ولكن الذي يجمعهم معهم هو مصالحهم الفئوية.

ولكن القرآن الكريم يشير في آية أخرى الى أن من يحمل الولاء لليهود أو غيرهم من الكفار، فهو في الحقيقة منهم، وإن كان ظاهره أنه منكم، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(٨٩٩)</sup>، فكيف يمكن أن نجتمع بين الآيتين مع أن ظاهرهما التنافي، فالآية الشريفة هنا تقول: كل من يواليهم فهو منهم، ولكن الآية السابقة تقول: ﴿مَا هُمْ مِنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾؟.

والجواب: أن المقصود بـ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ أي ليس منهم بالديانة، لأن هؤلاء مسلمون وأولئك يهود، وأما ما ورد في الآية الثانية: ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، أي يأخذ حكمه منهم، وأن العذاب الذي ينزل عليهم ينزل أيضاً على من يواليهم. فالمنافقون ظاهرهم أنهم مسلمون، ولكنهم في الحقيقة يهود أو نصارى بحسب الولاء الذي يحملونه لأحدهما.

ثم تنتقل الآية الكريمة إلى بيان أبرز ما يمتاز به هذه الجماعة، وهي صفة الحلف على الكذب: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، لكي يستطيع باقي المسلمين معرفتهم وتمييزهم ليحذروا منهم، فهم لا يحلفون على الصدق كما هو المفروض والمقصود من الحلف بالله تعالى، بل يحلفون على الكذب وهم يعلمون أنه كذب، لكي يموهوا الحقائق عليكم ويضللكم. فالمنافقون يقسمون بالله كذباً على خلاف الواقع وهم يعلمون أنهم كاذبون، ويستغلون اسم الله (سبحانه وتعالى) لمآربهم الخاصة، وهؤلاء ينتظرهم عذاب شديد أعدّه الله (سبحانه وتعالى) لهم. وكأن الآية الكريمة تشير إلى أن هذه الجماعة ماضية في مخططاتها وسينجحون بقدر ما يحققون من جهد، وبقدر ما يغفل المسلمون عن كشف هوياتهم وفضحهم والوقوف في وجه مخططاتهم وإفشالها ودحرها؛ لأن الآية لم تشر إلى أي عقوبة دنيوية لهم.

٨٩٩. سورة المائدة: الآية ٥١.

ولقد استحقوا هذا العذاب الأخروي الشديد بسبب حجم الجريمة التي يرتكبونها، وهي خيانتهم للإسلام والمسلمين، واستغلالهم للحلف بالله (سبحانه وتعالى) على الكذب، ليخدعوا المسلمين لمآرب خاصة ومصالح وقتية وقصيرة.

وهناك آيات أخرى بشأن استغلال المنافقين للقسم وأيمانهم الكاذبة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْلِفَنَّ إِنَّ أَرْدَنَّا إِلَّا الْحُسَيْنَى﴾<sup>(٩٠٠)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدَنَّا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾<sup>(٩٠١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾<sup>(٩٠٢)</sup>.

### حُثُّ الْقَسَمِ

هو أن يحلف شخص ثم ينقض قسمه ويتخلى عنه، وهناك الكثير من الآيات القرآنية الشريفة تُشير إلى هذا الموضوع، وفيها تفرغ ووعيد بالعذاب الشديد لمن يحلف بالله (سبحانه وتعالى) ثم يتخلف عنه ولا يلتزم به.

منها قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَأَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٩٠٣)</sup>، الإيلاء هو أن يحلف الزوج على هجران زوجته، وكانت هذه الظاهرة شائعة في أيام الجاهلية، فكان الرجل يُقسم على ألا يعاشر زوجته ويهجرها، فتبقى الزوجة معلقة، واستمرت هذه الظاهرة أيضًا بعد الإسلام، فكان المسلمون يؤلون من نسائهم إذا اختلفوا معهن. وقد حاول الإسلام القضاء على الآثار السلبية المترتبة على الإيلاء، فنزلت هذه الآية الشريفة التي أمهلت الزوج أربعة أشهر ليحسم فيها موقفه، فإذا أن يحث بيمينه ويعود إلى زوجته ويتعامل معها كزوجة ويدفع الكفارة، ثم يغفر الله تعالى له هذا الذنب فهو الغفور الرحيم، وإما أن يطلقها، وحينئذ سيحكم الله (سبحانه وتعالى) في موقفه هذا، فهو السميع الذي يسمع كل شيء، والعليم الذي يعلم ما تخفي الصدور.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٩٠٤)</sup>

٩٠٠ . سورة التوبة: الآية ١٠٧ .

٩٠١ . سورة النساء: الآية ٦٢ .

٩٠٢ . سورة التوبة: الآية ٤٢ .

٩٠٣ . سورة البقرة: الآية ٢٢٦ - ٢٢٧ .

٩٠٤ . سورة آل عمران: الآية ٧٧ .

، يتوعد الله (سبحانه وتعالى) في هذه الآية الكريمة من يشتري ويبيع اسمه (سبحانه وتعالى) بثمن بخس، فيحلف على أتفه الأمور ثم يحنث بيمينه، بخمسة أمور: لا خلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله (سبحانه وتعالى) يوم القيامة، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يُزكّاهم في الدنيا، ولهم عذابٌ أليم في الآخرة، إذن فمن يحنث في اليمين فهو بعيدٌ عن الله (سبحانه وتعالى) كل البعد في الدنيا والآخرة.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ يُبَاخِرُونَ الرَّسُولَ وَهُمْ بَدُّوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٩٠٥)</sup>، يتحدث هذا المقطع القرآني وما سبقه عن المشركين، الذين أدخلوا بعهودهم ونكثوا أيمانهم التي قطعوها للمسلمين على الالتزام والوفاء بها، وطعنوا في دينكم ونسبوا إليه ما هو منه براء، فالموقف من هؤلاء هو أن قتالوهم فهم أئمة الكفر، الذين لا أيمان لهم، لأنهم سرعان ما يحنثون بها، فلعل قتالهم يكون رادعاً لهم في ترك الخيانة والالتزام بعهودهم والوفاء بأيمانهم.

فاستخدام السيف والقوة في الإسلام يكون عندما يصل استعمال الوسائل السلمية إلى طريق مسدود، ويزيد من جراءة العدو وتنمره في الاستخفاف بالدين الإسلامي الحنيف، والاستخفاف بالمسلمين إلى حد التعدي عليهم وقتالهم. ثم يستنكر الله (عزَّ وجلَّ) على المسلمين سكوتهم وتقاعسهم وعدم المبادرة إلى قتالهم، مع أنهم هم الذين بدؤوا بالقتال، ثم يوبخهم توبيخاً شديداً ويتهمهم بالجبن، ويبين السبب الحقيقي لهذا التخاذل بأنهم يخافونهم، وهم بوصفهم مسلمين كان الأولى بهم أن يخافوا الله (عزَّ وجلَّ)، لا أن يخافوا أعداءه، ثم يبيِّن لهم الأسباب الموجبة لقتال هؤلاء المشركين بأمور:

الأول: أنهم قوم نكثوا أيمانهم ولم يفوا لكم بما أقسموا عليه، وهنا يأتي تحريض المسلمين على القتال؛ ألا تدافعون عن أنفسكم، وعن أعراضكم، وعن أموالكم، وعن وطنكم، وعن عقيدتكم؟ ألا تقاتلون قوماً لا يحترمون أيمانهم والتزاماتهم وعهودهم؟.

الثاني : أنهم همّوا باخراج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، فقد كانت فكرتهم في بادئ الأمر إخراج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من مكة ، ثم بعد ذلك اختلفوا بينهم وقرروا أن يقتلوه .

الثالث : أنهم بدؤوكم أول مرة بالقتال ، وليس لكم من سبيل إلا الدفاع عن أنفسكم . إذن فالموقف يتطلب منكم أن تقفوا بوجه هذه المجموعات المنحرفة والضالة ، وكيف تخافونهم والله (سبحانه وتعالى) أحق وأولى أن تخافوه إن كنتم تؤمنون به ، فإن من خاف الله سبحانه لا يخاف أحداً سواه ، ومن كان يخاف عدوه فإنه لا يخاف الله تعالى . فانطلقوا لقتالهم ، فإنكم إذا قاتلتموهم فستحقق النتائج التالية :

أولاً : سيُعذبهم الله بأيديكم ، ويذيقهم صنوف الأذى بأيديكم ، وهو أنكى لهم أن تتولوا تعذيبهم بأنفسكم خلال الحرب والقتال في ساحات الوغى .

ثانياً : سيخزيهم ويفضحهم ويبيّن كذب دعاوهم الباطلة وشعاراتهم المزيفة وما يتبجحون به ، عندما يدوقون مرارة الهزيمة المنكرة على أيديكم .

ثالثاً : سينصرمكم عليهم ، فتدوقون حلاوة النصر ، وتعيشون مرفوعي الرؤوس ، وسيحترمكم القاصي والداني ؛ لأنكم ضحيتم ودافعتم عن حقكم ودينكم ، وبذلتم الغالي والنفيس في سبيل العيش بعزة وكرامة .

رابعاً : سيسفي صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ، فإنّ هناك من المؤمنين ممن هم الآن يعيشون في ظلّ سلطانهم الغاشم ، قد تحمّلوا كثيراً من هؤلاء الأعداء ، وهم لا يستطيعون الانتصار لأنفسهم من دونكم ، وإنكم بقتالكم لهم وانتصاركم عليهم ستذهبون الغيظ من قلوبهم ، لأنهم سيرون من جرّعوهم الذل والهوان يداسون تحت أقدامكم في ساحات الحرب والجهاد .

خامساً : سيتوب الله (سبحانه وتعالى) على من يشاء ، ممن قصرُوا عن الجهاد وتقايسوا عن الاستجابة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ . والله (سبحانه وتعالى) عليمٌ بما فيه صلاحكم ، وحكيم في كيفية صلاحكم .

### كفارة حنث اليمين

لقد شرّح الإسلام لبعض المخالفات الشرعية عقوبة سمّاها كفارة ، والكفارات إما أن تكون أمراً وحدانياً أو متعدداً ، والكفارات المتعددة إما أن تكون تخيرية ، أي اختيار

واحد من ثلاثة أمور بحسب ما يناسبه ، أو ترتيبية بأن تضع الشريعة له ثلاثة أمور عليه أن يأخذ بالأول منها ، فإن لم يستطع وتعذر عليه الأخذ به أخذ بالثاني ، فإن لم يستطع عمل بالثالث . وكفارة حنث اليمين هي من الكفارات الترتيبية ، كما بين القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٩٠٦)</sup> . تبين الآية الكريمة أن الكفارة ليست على كل يمين يأتي بها المسلم ، فهناك أيمان هي مجرد لغو لا يؤاخذ الله تعالى صاحبها بشيء ، كقول الرجل : أي والله ، ولا والله . ولكنه يؤاخذ في ما عقد عليه الإنسان النية والقصد ، فحلف على أمر ما يريد إثباته أو نفيه .

ثم بينت الآية كفارة حنث اليمين ؛ وهي كفارة ترتيبية تبدأ بإطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم المكفّر أهله وعائلته ، فلا يلزم أن يكون الطعام من أفخر الأنواع ، وإنما من أوسط أنواع الطعام التي يطعمها لأهله . فإن لم يستطع فكسوة عشرة مساكين ، أي يعطي ثياباً لهم تستر أجسادهم من برد الشتاء أو حر الصيف . فإن لم يستطع فتحرير رقبة ، أي يعتق عبداً لوجه الله تعالى ، وكان نظام العبودية سائداً في العصور السابقة ، وكان الإسلام يسعى بكل الوسائل المتاحة للقضاء على هذا النظام ، ومنها أنه شرع تحرير العبيد ككفارات لكثير من الذنوب ، ونلاحظ هنا أنه لم يقيد الرقبة بالمؤمنة كما في بعض الكفارات الأخرى ، بل أطلق الأمر لتشمل العبد غير المسلم ، ومنه يتبين حرص الإسلام على تخليص البشرية جمعاء من العبودية ، ولو كانوا غير مسلمين . فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام يصومها المكفّر عن ذنب الحنث باليمين . ثم تدعو الآية الكريمة المسلمين إلى الالتزام بأيمانهم وحفظها من خلال الوفاء بها . وأخيراً تبين الآية الشريفة الحكمة التي من أجلها شرع الله (سبحانه وتعالى) لنا هذه الأحكام لتخلص من عقوبات الذنوب والمخالفات التي نرتكبها ، وهي أن نكون من الشاكرين له .

### موارد القسم في القرآن الكريم

نحاول أن نستعرض استعراضاً سريعاً هذه الموارد التي يذكرها القرآن الكريم ، عن شخصيات أدت قسمًا ، سلبًا أو إيجابًا ، من صالحين أو من طالحين ، لكن أصل هذا المبدأ هو من أدى قسمًا ونقل عنه القرآن الكريم هذا القسم .

٩٠٦ . سورة المائدة : الآية ٨٩ .



## المورد الأول : قسم الشيطان لآدم وحواء

نجد القرآن الكريم يحدثنا عن قسم أداه الشيطان الرجيم لآدم وحواء (عليهما السلام)، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْضِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٠٧﴾ .

تبيّن هذه الآيات الشريفة وما قبلها وما بعدها من سورة الأعراف قصة آدم وحواء (عليهما السلام)، ونقتصر على ذكر الأجواء التي أقسم فيها إبليس عليه اللعنة لآدم وحواء (عليهما السلام)، فحينما كانا في الجنة - ولعلها جنة في نشأة مادية وديوية في مكان جميل جداً - فسح الله (سبحانه وتعالى) لهما المجال بأن يستفيدا من جميع النعم الموجودة فيها، وفي هذا البستان الكبير والمكان الجميل منعهما من الاقتراب من شجرة واحدة وأمرهما بعدم الأكل منها، وحذرهما من الشيطان اللعين تحذيراً شديداً، وبيّن لهما أنه عدو لهما ويريد أن يخرجهما من تلك الجنة .

وتدخل الشيطان الرجيم وظهر بمظهر الناصح، وحاول أن يغري آدم وحواء (عليهما السلام) بأن يأكلا من ثمار هذه الشجرة، وزعم لهما أن ربهما - أي الله (سبحانه وتعالى)، وقال ذلك تصغيراً للذات الإلهية المقدّسة، وأنه ربهما فقط وليس ربه أو رب الآخرين من المخلوقات - إنما نهاهما عن الأكل من تلك الشجرة لئلا يكونا ملكين من الملائكة، لأن كل من أكل من تلك الشجرة صار ملكاً، أو لئلا يكونا من الخالدين في الجنة، وإلى هنا لم يصدّق كلامه بعد ما سمعاه من التحذيرات الإلهية منه، ولكن الشيطان استعمل هنا القسم، وأخذ يحلف لهما أنه لهما من الناصحين، وأنه ليس له أي مصلحة سواء أكلا منها أو لم يأكلا، ولم يكن آدم وحواء قد سمعا من يحلف كاذباً، وعندها وقعا في الفخ وصدّقوا قوله، فأكلا من هذه الشجرة، وعندها حدث ما لم يتوقعاه، فقد بدت لهما عوراتهما، فبادرا إلى قطع أوراق الشجر ليضعاه على عورتيهما حياء، وجاءهما النداء الإلهي استفهامياً صارماً عن مخالفة نهيهِ عن الأكل من هذه الشجرة، مع تقدّم تحذيره

لهما أنّ الشيطان الذي خدعهما وأغراهما بالأكل منها هو عدو لهما يريد أن يخرجهما من الجنة، فما كان أمامهما إلا الاعتراف بخطئهما وأنهما كانا ظالمين بعضيانهما له (سبحانه وتعالى)، وأنه إن لم يغفر لهما كانا من الخاسرين.

ونتيجة لهذه الخطوة فإنّ الله (سبحانه وتعالى) أخرجهما من تلك الجنة وأهبطهما إلى الأرض، وكذلك أهبط الشيطان اللعين إليها أيضاً، ليتكرر الابتلاء والامتحان الإلهي بينه وبين جميع ذرية آدم وحواء (عليهما السلام)، وليكون بعضهم لبعض عدواً إلى يوم الوقت المعلوم. وهكذا انتقل الإنسان إلى مرحلة الابتلاء، وهنا توجد أبحاث تفصيلية للعلماء بشأن هذه القصة، منها أنّ الأنبياء لو كانوا معصومين فكيف خالفوا الأوامر الإلهية كما خالف آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا؟ وذكروا في الجواب عن هذا السؤال أنّ هذا النهي لم يكن نهياً مولوياً، بل كان نهياً إرشادياً، والمقصود من النواهي المولوية النواهي الصادرة من الله (سبحانه وتعالى) في المنع من ارتكاب الذنوب الكبيرة كشرب الخمر والزنا والقتل بغير حق وغيرها مما هو معروف، وتتصف هذه الحرمة بالمنع الدائم والمستمر لكل البشر وعلى مر العصور، ويترتب على ارتكابها عقوبة أخروية.

أما النواهي الإرشادية فهي النواهي التي تصدر من الله (سبحانه وتعالى) لبعض البشر في بعض الأوقات للاختبار أو لمصلحة معينة، ولا يترتب عليها عقوبة أخروية. ويضربون مثلاً لها في النواهي التي يصدرها الطبيب للمريض بمرض معين، ويأمره بتجنب بعض الأكلات الضارة حفاظاً على صحته، والمريض لو خالف هذه النواهي وأكل من تلك الأطعمة الممنوعة فإنّ ذلك لا يعدّ إهانة للطبيب، ولن يتأذى من ذلك؛ لأنّ هذه التوصيات ليست شخصية، ولا قضية تخصه، بل المريض وحده من سيدفع ثمن هذه المخالفة، ويسيء لنفسه، لأنه لم يأخذ بالنصيحة. كذلك الله (سبحانه وتعالى) عندما نهى آدم وحواء عن تلك الشجرة لم يكن نهياً مولوياً، بمعنى أنه حرّمها عليهما حرمة لو عصوه فيها لاستحقوا العذاب الأخروي، بل قال لهما: إذا كنتما تريدان البقاء في هذه الجنة، وهذا المكان الجميل، فعليكما ألاّ تقربا هذه الشجرة، أي أنّ هذا النهي كان نهياً إرشادياً، ولهذا دفعا ثمن هذه المخالفة بعد أن حصل الذي حصل، وظهرت لهما سوءاتهما، وعندها عرفا حجم الخطأ الذي ارتكبا، وهنا طلبا من الله (سبحانه وتعالى) أن يغفر لهما ويرحمهما لئلا يكونا من الخاسرين.

### المورد الثاني : قسم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

ينقل لنا القرآن الكريم قسم إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) في قوله تعالى :  
 ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ  
 يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٩٠٨)</sup> . تتحدث هاتان الآيتان الكريمتان وما قبلهما وما بعدهما عن قصة إبراهيم  
 (عليه وعلى نبينا وآله السلام) ، ونقتصر على ذكر ما يتعلق بموضوع البحث . وهنا يقسم  
 إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على إنزال الكيد والمكروه بالأصنام التي كان قومه يعبدونها بعد أن  
 يتفرقوا ويذهبوا خارج معبدهم حيث سيقى وحيداً معها . وكان في المعبد الكثير من  
 الأصنام فحطمها جميعاً إلا أكبر صنم فيها فقد تركه ، وقد وفى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بقسمه  
 سريعاً ولم يتأخر عنه . وقد كان عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أقسم أمام عمه أزر وقومه جميعاً أنه سيحطم  
 هذه الأصنام ، بعد أن دار حوار ساخن بينه وبينهم بشأن جدوى عبادة هذه الأحجار التي  
 لا تضر ولا تنفع ، وترك عبادة الله الواحد الأحد .

### المورد الثالث : عهد آل فرعون لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

لقد قطع آل فرعون على أنفسهم عهداً لموسى (عليه وعلى نبينا وآله السلام) أنهم  
 سيؤمنون بالله تعالى ويرسلون معه بني إسرائيل لو كشف عنهم الرجز ، ولكنهم نكثوا  
 عهدهم لما كشف الله (سبحانه وتعالى) عنهم العذاب ، فانتقم منهم وأنزل بهم العذاب  
 الماحق ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ  
 فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحُسَنَاءُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ  
 عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ  
 بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفْصَلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا  
 وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن  
 كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ  
 هُمْ بِالْعُوقُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾<sup>(٩٠٩)</sup> .

يتحدث هذا المقطع القرآني الكريم عن محنة موسى (عليه وعلى نبينا وآله السلام)  
 مع آل فرعون ، في دعوته لهم إلى نبذ عبادة الأصنام ، وعبادة الله الواحد الأحد . والمراد  
 بآل فرعون هم عشيرة فرعون الذين كانوا يشكلون الطبقة الحاكمة المحيطة به ، بدليل

٩٠٨ . سورة الأنبياء : الآية ٥٧ - ٥٨ .

٩٠٩ . سورة الأعراف : الآية ١٣٠ - ١٣٥ .

آيات عديدة ورد فيها هذا التعبير، منها قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾<sup>(٩١٠)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخْبَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾<sup>(٩١١)</sup>.

وتحدثت هذه الآيات الكريمة في هذا المقطع القرآني عن ثلاث مراحل تدرج بها الله (سبحانه وتعالى) معهم لجرهم إلى الإيمان به وترك عبادة الأوثان، وهذه المراحل هي أنواع من التضييق عليهم وإيذائهم وسلب بعض النعم منهم، لعلهم ينتبهون من غفلتهم ويؤمنون بأن مجاري الأمور هي بيد الله (سبحانه وتعالى)، وأنه ليس لآلهتهم دخل في ذلك كما يزعمون، وأنه لو كانت لها القدرة لرفعت عنهم ألوان العذاب الذي يحل بهم منذ مجيء موسى (عليه وعلى نبينا وآله السلام)، وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، فكانت البداية بسلب بعض النعم منهم وحرمانهم منها، فابتلوا بالقحط والجفاف، الأمر الذي ترتب عليه نقصان الناتج الزراعي وارتفاع الأسعار، ومن المعلوم أن مصر كانت وما زالت مجتمعاً زراعياً، ولم تكن وسائل النقل البدائية آنذاك مؤهلة لاستيراد كميات كبيرة من البلدان الأخرى لسد النقص الحاصل في منتوجهم الزراعي. ولكنهم لم يتذكروا ولم تنفعهم آلهة المطر ولا آلهة الثمر ولا آلهة الشمس والقمر حينما كانوا يأتونها متضرعين لتنفذهم مما هم فيه.

ولم يجد هذا الأسلوب معهم نفعاً، واستمروا في غيهم وضلالهم، فكانوا إذا جاءتهم حسنة قالوا هذه لنا واحتكروها لأنفسهم ومنعوا الآخرين من الانتفاع بها، وإن أصابتهم سيئة تطيروا بموسى ومن آمن معه، وقالوا لهم أنتم السبب في الشؤم الذي حل بنا، ويرد الله (سبحانه وتعالى) عليهم مقولتهم هذه، بأن طأثرهم عند الله، ولكن أكثر آل فرعون الذين يتصدون لموسى ومن آمن معه لا يعلمون بذلك. وكان موسى (عليه وعلى نبينا وآله السلام) مستمراً في إظهار المعاجز لهم لعلهم يؤمنون، ولكنهم على النقيض من ذلك قد اتخذوا موقفاً سلبياً جداً ومتشججاً، برفض كل ما يجيء به من الآيات، واعتبروا ذلك سحراً يريد أن يسحرهم به ليتركوا عبادة آلهتهم ويؤمنوا بما يدعوهم إليه من عبادة الواحد الأحد. ومع هذا الإصرار والعناد والاستكبار وعدم جدوى العقوبات السابقة، انتقل بهم الله (سبحانه وتعالى) إلى مرحلة أخرى من العقوبات أكثر شدة.

المرحلة الثانية: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ آيَاتٍ

٩١٠. سورة القصص: الآية ٨.

٩١١. سورة الأعراف: الآية ١٤١.

مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ . وفي هذه المرحلة سلط الله (سبحانه وتعالى) عليهم خمس آيات جديدة هي الطوفان الذي أغرق زروعهم وبيوتهم ، والجراد الذي التهم جميع محاصيلهم الزراعية ، والقمل الذي ملأ شعرهم وثيابهم وكان معهم في نومهم ويقظتهم وحلهم وترحالهم لا يجدون منه خلاصا ، والضفادع التي عاشت معهم في دورهم بأعداد كبيرة بعد أن تحولت بيوتهم إلى مستنقعات آسنة ، ولو لم يكن في الضفادع إلا أصوات نقيقها المزعجة لكفاهم أذى ، والدم الذي تنزفه أجسامهم ولا يجدون له دواء ، فكانت رائحة الدم الكريهة التي ثلوث ثيابهم وأبدانهم تزكم أنوفهم . ولم يُجد ذلك نفعاً أيضاً ، بل زادهم علواً واستكباراً ، وكانوا قوماً مجرمين . ولم يلجؤوا إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليدلهم على سبيل الخلاص مما هم فيه من الأذى والقدارة والمرض و صنوف العذاب . فانتقل بهم الله تعالى إلى المرحلة الأخيرة من التضييق والتشديد قبل حلول العذاب لعلهم يهتدون .

المرحلة الثالثة: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشِفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْعُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٨﴾ .

#### المورد الرابع : يمين إبليس

تكرر اليمين من إبليس اللعين في موارد عدة :

منها: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقُودَنَّ لَهُمْ سِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا يَنبَغُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٩١٢﴾ .

تحدث هذه الآية الكريمة عن الحوار الذي دار بين رب العزة والجلالة وإبليس الرجيم عليه اللعنة ، حينما عصى الأمر الإلهي بالسجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وفي هذا المقطع يقسم إبليس اللعين أنه بمقابل إغواء الله (سبحانه وتعالى) له ، سيقعد لذرية آدم على الصراط المستقيم ليضلهم ويبعدهم عن الله ويصدهم عن الهداية والطاعة والإيمان بالله (سبحانه وتعالى) ، ثم ليأتينهم من جميع الجهات ، فالذي لم تنفع معه وسيلة الإضلال الأولى ، يأتيه بوسيلة إضلال أخرى من جهة أخرى ، وهكذا يستمر في المحاولة معه تلو المحاولة ولا يدعه إلى أن يوقع به ، وعندها سوف أبعدهم عن شكرك فلا تجد أكثرهم شاكرين ، بل يكفرون بالنعمة .

ومنها: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾<sup>(٩١٣)</sup>، يقسم إبليس اللعين في هذه الآية أيضاً بمقابل إغواء الله (سبحانه وتعالى) له، أن يزین لبني آدم في الأرض ويضلهم جميعاً باستثناء من أخلصه الله تعالى، فهؤلاء لا يستطيع إبليس إغواءهم مهما فعل، والقدر المتيقن من هؤلاء المخلصين - بفتح اللام - هم الأنبياء والأوصياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وعندما يكون الشيطان الرجيم غير قادر على إغوائهم، فمعنى ذلك أنهم معصومون. وأما تزيين إبليس لعنه الله لبني آدم المعاصي، فهو بإظهار السيئات بمظهر حسن، فمثلاً يظهر المرأة التي لا يجوز النظر إليها في عيونهم جميلة ولطيفة، ليرغبوا في النظر إليها فيقعوا في الحرام، وكذلك يزین الغيبة والنميمة والكذب والافتراء والبهتان في آذان السامعين، فيقعون في الحرام، فهو يظهر لهم هذه الأمور على أنها جميلة ومؤنسة. والتزيين يعني التبرير، وهو السلاح الفتاك للشيطان، فكل ذنب يقترفه الإنسان يظهره له الشيطان بمظهر حسن، ويجعل له تبريراً معيناً.

إن هذا الضلال الذي يضرب بأطنابه بين البشر في أصقاع الأرض ناتج من قرار الشيطان، وقد كان إبليس من الجن، وكان مختاراً، وكان من العباد، وله سجدة تطول خمسمائة عام، ولكن حينما أمره الله (سبحانه وتعالى) بالسجود لآدم عصى، لأنه استخدم القياس، فقال: «خلقتني من نار وخلقته من طين»، وكيف تسجد النار للطين وهي أشرف؟ وأخذه العُجب، فعصى الله (سبحانه وتعالى)، فطرده الله تعالى من رحمته، وعندما أصبح طريداً أخذ يتوعد ذرية آدم بالإغواء والإضلال، وهذا الإغواء هو الأثر الطبيعي لعصيانه وتمرده على أمر الله (سبحانه وتعالى)، ولذلك فمسألة تزيين الباطل هي سلاح إبليس اللعين، ثم يوسوس للعاصي ما يبرر به عصيانه، كما برر لنفسه بأن النار أشرف من التراب، مع أن هذه الافضلية لا حقيقة لها. ولهذا نرى المذنبين عندما يرتكبون ذنباً ما، يبررون لأنفسهم سوء أعمالهم، ويصدّقون هذه التبريرات، كما أخبر عنهم المولى الجليل بقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(٩١٤)</sup>، أي انحرفوا وأذنبوا وعصوا وهم يحسبون أنهم على الطريق الصحيح والمنهج الحق. وحالة التزيين هذه هي من أشد وأفتك الأسلحة التي يستخدمها الشيطان الرجيم.

٩١٣. سورة الحجر: الآية ٣٢ - ٤٠.

٩١٤. سورة الكهف: الآية ١٠٣ - ١٠٤.

### المورد الخامس : يمين أنطاكية

ورد في سورة «يس» قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾<sup>(٩١٥)</sup>، والقرية يراد بها أنطاكية، وهي الآن تقع ضمن الحدود التركية شمال سورية، وموضع الشاهد في هذه الآيات الكريمة هو يمين هؤلاء الأنبياء الثلاثة أنهم مرسلون من الله تعالى، وهو قولهم: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ الذي وقع موقع القسم: والله نحن أنبياء أرسلنا الله. إذن أتوا لأهل هذه القرية وأقسموا لهم أن الله أرسلهم إليهم.

### المورد السادس : قسم أهل الكتاب

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَأَنْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾<sup>(٩١٦)</sup>. تبين الآية الشريفة قصة مسلم كان في سفر مع اثنين من المسيحيين، ومرض في الطريق، فأوصاهما أن يوصلا أغراضه إلى الورثة إن مات، ثم تبين أن في أغراضه نقصاً، إذ كان لديه قلادة وآنية، ولكنهم لم يجدوها بين الأغراض، فأتى الورثة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يشكون عنده هذين الاثنين، فسألتهما فأنكرا، فطلب منهما أن يقسما بالله أنهما لم يأخذا منها شيئاً، فأقسما، واعتبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هذا القسم دليلاً كافياً على براءتهما، ثم ظهرت بعد ذلك القلادة والآنية، فأخذهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ منهما وأرجعهما إلى الورثة. إذن فإن قسم أهل الكتاب الذي أقسموه بعد الصلاة، هو مورد من موارد القسم في القرآن الكريم.

### المورد السابع : قسم أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

لقد جاءت الإشارة إلى هذا المورد بقوله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ

٩١٥. سورة يس: الآية ١٣ - ١٦.

٩١٦. سورة المائدة: الآية ١٠٦.

وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَاصْرَبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٩١٧﴾ .

لقد كان نبي الله أيوب (عليه وعلى نبينا وآله السلام) أسطورة الصبر، وقد ابتلى الله (سبحانه وتعالى) هذا النبي العظيم بأنواع البلاء، فقد تحدى الشيطان الرجيم الله (سبحانه وتعالى) في أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وطلب من الله (سبحانه وتعالى) أن يفوضه لاختبار أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذ انفجر الشيطان اللعين غضبًا من أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه كان شاكراً لله .

لقد كان لنبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الكثير من الأبناء، والكثير من الأراضي الواسعة والمواشي والأنعام، وفي لحظة فقد أهله وولده وماله، إذ احترقت مزارعه، ومات أولاده، وبقي صفر اليدين، ولم يبق معه إلا زوجة سالحة، وهي بنت نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وصبر أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ على هذا البلاء، فطلب الشيطان اللعين من الله (عز وجل) أن يفوضه في استهداف أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في بدنه، فخوله الله (سبحانه وتعالى) ذلك ما سوى العينين والعقل، وصبر أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ .

لقد ازداد البلاء على أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فأصيب بأمراض عضال، عجيبة وغريبة، لم يرَ الناس مثلها من قبل، فكانت الديدان تأكل من جسمه، وكانت تظهر من جسده رائحة نتنة نتيجة هذا التقرح والالتهابات الشديدة. فخاف الناس من هذا المرض أن يكون مرضاً معدياً، فطردوه وزوجته من المدينة، وصبر أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ .

واستمر الابتلاء ثمانية عشر عاماً، كان نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ خلالها صابراً شاكراً لله (سبحانه وتعالى)، إلى أن حرّض الشيطان اللعين العباد والرهبان وأغراهم به، فكانوا يأتونه ويشمتون به، وكان وقع هذا كبيراً على أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فاضطر إلى أن يبوح لهم بأسراره وقال: في أيام الوفرة والنعمة لم أجلس على مائدةٍ إلا وجئت بالفقراء والمستضعفين وأجلستهم على مائدتي (٩١٨) .

تقول بعض الروايات: إن زوجة النبي اضطرت إلى أن تعمل في البيوت خادمة، مقابل الحصول على مبلغ قليل من المال لتوفير الرزق والأكل لزوجها المريض في الفراش، فخاف الناس من أن تنقل مرضه إليهم، فطردوها (٩١٩) .

٩١٧ . سورة ص: الآية ٤١ - ٤٤ .

٩١٨ . بحار الأنوار ١٢: ٣٤٢ - ٣٤٣ .

٩١٩ . بحار الأنوار ١٢: ٣٥٤ .



فأصبحوا بلا مال، ولا أولاد، ولا صحة، ولا سكن، وهم في غربة، في الصحراء، وفي يوم من الأيام غابت زوجة نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم أتت ومعها خبز، فسألها: من أين أتيت بهذا الخبز؟ فقالت له: لا تسألني يا نبي الله، فأكلا الخبز، وبعد أيام جاعا جوعاً شديداً، فذهبت زوجته وجاءت بالخبز، فسألها السؤال ذاته، فأجابته الجواب ذاته، فألحَّ عليها، فاضطرت الى أن تكشف الحقيقة، وقالت له إنها في المرة السابقة قصت شعرها وباعته لتأتي برغيف من الخبز، وفي المرة الثانية قصت شعرها أيضاً وباعته، يُقال: إنه من شدة الألم الذي انتاب النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ أقسم بالله (سبحانه وتعالى) أن يعاقبها<sup>(٩٢٠)</sup>.

وبعد أن وصل بهم الحال إلى هذا المستوى، اضطرت النبي الى أن يرفع يده بالدعاء وينادي ربه من صميم القلب: «أَنْتِي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ»، ولم يقل له: يا إلهي حلّ مشكلتي، بل قال: يا إلهي، إن الشيطان قد بالغ كثيراً بإيذائي وأنت أرحم الراحمين. وهنا جاء الأمر الإلهي: قم واضرب الأرض برجلك ليخرج الماء، فقام النبي وضرب الأرض بقدمه فانفجر ينبوع من الماء، وكان هذا الماء ماءً نقياً طاهراً فيه الصحة، فاغتسل النبي بهذا الماء، فعاد أفضل مما كان طراوةً ونقاوةً بمشيئة الله (سبحانه وتعالى)، وكانت زوجته المسكينة تهيم بالأرض تبحث عن طعام، فلما رجعت إلى زوجها لم تره على الهيئة التي تركته عليها فلم تعرفه، ووجدت رجلاً جميلاً حسن المنظر، ولكنه يشبه زوجها، فقالت له: تركت هنا مريضاً مسجى يشبهك كثيراً، فقال لها: يا فلانة أنا أيوب ألم تعرفيني؟ لقد جاء الفرج الإلهي.

وأعاد الله (سبحانه وتعالى) له كل ما أعطاه سابقاً من المال، وأعاد له ذريته بشكل مضاعف، وهنا اختلف المفسرون، فقال بعضهم: إن المضاعف بمعنى أحيا أولاده الأموات وصار لديه أولاد، وقال بعضهم: إن الله (سبحانه وتعالى) تفضل عليه بأن أنجب له زوجته ضعفاً من الأولاد، وإن كان كبيراً في السن.

وبالنسبة إلى القسم الذي قطعه النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ في أن يعاقب زوجته نتيجة غضبه، جاءت هذه الآية: «وَأَخَذُ بِيَدِكَ ضَعْفًا فَاصْرَبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ»، والضغث هو حزمة من الحشيش، أمره الله (سبحانه وتعالى) أن يجمعه ويضرب به زوجته مائة ضربة، براً بقسمه، ولئلا يحنث به، وتخفيفاً للعقوبة، فبدلاً من أن يضربها بالسوط ضربها بهذه

الحزمة من الحشيش ، كل ذلك وفاء بقسمه لما للقسم من حرمة عظيمة تجب مراعاتها حتى في مثل هذه الظروف القاسية .

### المورد الثامن : قسم المزارعين

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المورد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ (٩٢١) .

يُشير القرآن إلى قسم عدد من المزارعين من أهل اليمن ، وقصة هذا القسم تتلخص في أنه كان هناك رجل مؤمن صالح يملك بساتين كثيرة ، تجني له أموالاً طائلة ، وكان يأخذ منها بمقدار حاجته ويوزع الفائض بين الفقراء والمساكين ، وكان فقراء تلك المدينة يعتاشون جميعهم على سفرة هذا الرجل الصالح ، فمات هذا الرجل ، وورث أولاده من بعده هذه البساتين الكبيرة ، فعرضهم الله ( سبحانه وتعالى ) للابتلاء ، فهو يختبر الفقير بفقره ، والغني بغناه ، ولكن هؤلاء الأولاد لم يكونوا كأبيهم ، إذ قرروا أن يقطفوا ثمار بساتينهم في كل صباح ، لكي لا يحضر الفقراء والمساكين ويعطوهم منها ، وأقسموا على ذلك . وهذا المقطع القرآني يتحدث عن أن هؤلاء لم ينجحوا في هذا الاختبار ، وعن الآثار التي ترتبت على هذا الأمر .

### المورد التاسع : القسم على ترك الإنفاق

وهو القسم الذي أقسم به بعض المسلمين في قضية «الإفك» ، وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ . . . . . وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٩٢٢) .

وملخص حادثة الإفك على ما رواه كثير من المفسرين أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان في إحدى غزواته ، ومعه بعض أزواجه ، وهي عائشة كما يُقال ، فقد كان من عادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يصطحب معه إحدى زوجاته في كل غزوة من الغزوات ، وفي العودة من إحدى تلك الغزوات كان الطريق طويلاً ، فكان المسلمون يتوقفون للاستراحة ، فكانت تبعد عن ركب الجيش لقضاء حاجتها ، وبعد رجوعها وجدت أنها

٩٢١ . سورة القلم : الآية ١٧ .

٩٢٢ . سورة النور : الآية ١١ - ٢٢ .

قد فقدت مصوغاتها الذهبية، فرجعت إلى الصحراء للبحث عنها، وفي ذلك الوقت كانوا يركبون النساء في الهودج، ولم يشعر المسؤول عن الناقة التي عليها هودج زوج النبي بنزولها، وكان يظن أنها قد عادت إلى مكانها، وعندما رجعت لم تجد أحداً، فبحثت عنهم كثيراً حتى تعبت وغلبها النعاس، فأتى أحد المسلمين من تلك المنطقة، وكان هذا الرجل من نفس المنطقة التي كان فيها بيت أبي بكر، فكان يعرفها عندما كانت طفلة، فتيبها من بعيد وعرفها نتيجة الصورة السابقة التي كان يعرفها بها منذ الطفولة، فتنحى حتى استيقظت، وسألها إن كان قد حدث خطب ما، فقصت له قصتها، فقرّب الناقة منها وجلست عليها وأتى بها إلى المدينة، ولم يكلمها في الطريق حفاظاً على خصوصية المحرم، حتى وصل بها إلى دار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وسوّلت لبعض أصحاب النفوس المريضة أنفسهم أن يتهموا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في عرضه، ودبت الشائعة في المدينة كالنار في الهشيم، وأخرجت هذه القضية النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كثيراً، حتى نزلت هذه الآيات الكريمة، وفيها تقرّيع كبير لتلك العصابة التي أشاعت الخبر.

وبعد نزول هذه الآيات التي فيها تقرّيع شديد وغلظ بحق من تداول هذه الشائعات وتحدث بها على نطاق واسع، أقسم بعض المسلمين الميسوري الحال من أصحاب النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أن لا ينفقوا بعد اليوم على من ساهم في ترويح هذه الشائعة، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفُضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا﴾، إذ منعهم من الحلف على ترك مساعدة الفقراء، وقد رهن الله (سبحانه وتعالى) غفران ذنوب الأغنياء بمساعدة الفقراء، مخاطباً إياهم: أتظنون أيها الأغنياء بعد أن عزمتم على ترك مساعدة هؤلاء الفقراء، أن ليس لديكم ذنوب تحتاجون إلى أن يغفرها الله تعالى لكم؟.

ونتعلّم من هذه الآية الشريفة درساً عظيماً آخر؛ وهو العفو والصفح حتى لو كان الخطأ بهذا المستوى، مع بقاء التأديب والتقرّيع الإلهي في محله، ولكن يجب أن تسير الحياة، ومنّ منّا ليس لديه ذنوب؟ فلا بُدّ من التعامل بيسر في مثل هذه الأمور، وألا يكون الإنسان شديداً في مثل هذه المسائل، فالصفح مسألة في غاية الأهمية.

وتشير الآية أيضاً إلى عملية التمييز بين ناقل الشائعة وصابغها، وبين المنحرفين المغرضين أصحاب الأجندة، والناس المغرر بهم، فالمغرض هو المتآمر، والمغرر به

هو المنخدع بالشائعة . فالتمييز بين المغرر بهم، وأصحاب المشاريع والمتأمرين أمر مهم، ولا بُدَّ من التمييز والتفكيك بينهما .  
أكتفي بهذا المقدار ، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



## المحاضرة الأخلاقية الحادية والثلاثون

بتاريخ ٢٣/٧/٢٠١٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وجعلنا وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الكريم، شهر رمضان المبارك.

كان حديثنا في الحق الخامس والعشرين من حقوق الأخوة الإيمانية، وهو (تصديق قَسَمِ المؤمن). وكنا نستعرض موارد القسم في القرآن الكريم، ذكرنا تسعة منها.

### المورد العاشر: قسم أهل الجنة

يحدثنا القرآن الكريم عن القسم الذي يقسم به بعض أهل الجنة، فقد جاء في هذه الآيات الشريفة: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . . . . . فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ . . . . . فَأَطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ﴾<sup>(٩٢٣)</sup>.

تتناول هذه الآيات الكريمة حوارا بين بعض أصحاب الجنة، مع بعض أهل النار ممن كانوا لهم رفقاء في الدنيا. وبعد أن تحدثت الآيات عن النعيم الذي يعيش فيه المخلصون، في جنات النعيم، تصل إلى جلوسهم مع بعضهم يتساءلون بينهم عن مصير من كان معهم في الدنيا، فيقول بعضهم: أين فلان الذي كان رفيقاً مقرباً لي في الدنيا؟

٩٢٣. سورة الصافات: الآية ٤٠ - ٥٦.

وفي الآخرة يعطي الله (سبحانه وتعالى) لأهل الجنة قدرة وصلحية - متى ما أرادوا - أن يكشفوا الستار وينظروا إلى ما يدور في النار، فاطلّ أحدهم إطلالة على النار فرأى صاحبه في قعر الجحيم، والنار تغلي حوله ويعاني صنوف العذاب، فقال له: تالله إن كدت لتغويني وتضلني. فصدیق السوء من أخطر المهلكات على الإنسان، وهو يؤثر وينخر في الإنسان، وهو ليس عدواً، بل هو صديق، ويؤثر في صديقه رويداً رويداً إلى أن يجره إلى الانحراف والضلال من حيث لا يعلم. لذلك ينبغي الاهتمام بالقرين، والتركيز على الصديق، والسؤال عن أحوال الجيران قبل شراء الدار، فالجار قبل الدار، والتعرف عليهم من أي دين هم؟ وما هو سلوكهم وأخلاقهم؟ وبعدها توكل على الله وجاورهم. وكذلك ينبغي أن يكون الأمر في علاقاتنا الشخصية أيضاً، فلاحظ من هو الصديق الذي تريد أن تصادق؟ وما هي خصوصياته وسلوكه، وتعامله وتدينه والتزامه؟ ولا تستهن بهذه الأمور، لأن علينا أن نفرزها ونفصلها، وعلينا التدقيق بالقرين، لكي لا تقع في مثل هذه التحديات والمشاكل.

#### المورد الحادي عشر: قسم قوم ثمود

أشار القرآن الكريم إلى قسم قوم ثمود في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ . . . . . وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَا هُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ . . . . . وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾<sup>(٩٢٤)</sup>.

تحدث الآيات الكريمة في هذا المقطع عن قصة نبي الله صالح (عليه وعلى نبينا وآله السلام) مع قومه ثمود، وأول ما يلفت الانتباه هو التعبير بـ«أخاهم»، وهو تعبير دقيق، وقد تكرر هذا التعبير مع أربعة أنبياء آخرين هم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام، فإذا كان المقصود أن الله (عزّ وجلّ) قد أرسل هؤلاء الأنبياء الخمسة من نفس أقوامهم، فهو مردود بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾<sup>(٩٢٥)</sup> الذي يعني أن الله يختار أنبياءه من قومهم، ورسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أرسله الله إلى مكة وهو من قريش، أهم عشيرة في مكة، ومن هناك انطلقت الرسالة. ولعل التعبير بـ«أخاهم» إشارة إلى أن الأخ يحمل صفة المودة والقرب، وهو ليس من قبيلتهم فقط، بل هو عضدهم

٩٢٤. سورة النمل: الآية ٤٥ - ٥٣.

٩٢٥. سورة إبراهيم: الآية ٤.

وسند ظهرهم ، وقريب منهم ، وكذلك كان الأنبياء يتوددون دائماً إلى الناس ، وقربين من قلوبهم ، فإن من يريد أن يؤثر في الناس لا يستطيع أن يؤثر بهم بواسطة الأوامر والنواهي ، وإن أطاعوه في لحظة ، ولكن عندما يغمض عينيه يخالفونه ويعصونه ، ولكن من يستطيع أن يبني علاقة محبة ومودة ورحمة وشفقة وحرص ولطف وأخلاق ، يستطيع أن يديرهم بأفضل ما يكون بالأخلاق ، وكانت هذه هي طريقة الأنبياء .

ثم تشير الآيات الكريمة إلى تسعة رهط في المدينة ، أي تسع عصابات ، أو تسع مجموعات منحرفة أو تسعة أحزاب ضالة ، لأن الرهط هم مجموعة لها قائد ، عددهم من عشرة إلى أربعين ، كما يذكره المفسرون ، وهي مجموعات إرهابية منحرفة ؛ لأنهم كما عبّرت عنهم الآية الكريمة : «يفسدون في الأرض ولا يصلحون» ، ويفسدون فعل مضارع يدل على الاستمرار ، يعني أنهم يفسدون دائماً ، وهم أهل شر وبلاء وإيذاء ، وعصابات تسليب ونهب ، وكانت لديهم مشاكل دائماً ، وسيئون إلى الآخرين ، وبالطبع لقد كان نبي الله صالح (عليه وعلى نبينا وآله السلام) كغيره من الأنبياء ، مثار فتنة ، لأن النبي يدعو إلى الصلاح ، فينقسم المجتمع إلى مؤيد ومعارض ، فيصطف الصالحاء معه ، ويصطف المفسدون ضده ، فتحدث حالة الانقسام .

إن المفسدين - كما يحدثنا القرآن الكريم - في قوم ثمود وفي غيرهم يتحدثون بينهم ، وكانوا يأتون النبي ويقولون له : إذا كنت نبياً كما تزعم فأنزل علينا العذاب ، وتشير إلى هذا المعنى الآية الكريمة : «وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعْدَابٍ أَلَيْسَ<sup>(٩٢٦)</sup> ، وهذا أمر غريب ، أن يأتي شخص ويقول : أنا صيدلاني حاذق ، وأخذت الاختصاص من الجامعة الفلانية في تصنيع الأدوية ، وعندما يُسأل ما هي الأدوية التي تصنعها؟ يقول : هذا العلاج جيد جداً ومفعوله قوي ، يزيل الصداع ويزيل الألم ، وهذا الآخر سم قاتل ، فهل يصح أن يقال له : أعطني السم لأشربه وأرى هل أموت فيثبت أنك صيدلاني حاذق؟ أو ينبغي أن يستعمل العلاج وينظر إن كان يشفيه أم لا لكي يرى أهو حاذق أم لا؟ . وكذلك هنا؛ فمن يدعي أنه نبي فهل يصح أن يقال له : أنزل علينا العذاب إن كنت نبياً حقاً ، أو ينبغي أن يقال له : لنجرب المنهج الذي أتيت به ، لنرى إن كان يستطيع تحقيق السعادة لنا أم لا ، أو يقال له : اطلب من الله تعالى أن يلين قلوبنا ، أو اثنتا بمعجزة لنرى ونتأكد . وقد اختار هؤلاء المنهج غير المعقول في إثبات نبوة النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فإن العذاب إذا نزل عليهم وتيقنوا من

صحة نبوته، فإنهم سيكونون حصيداً خامدين وقد خسروا الدنيا والآخرة. فانظروا لهذه القسوة، وهذا الانحراف، لماذا تطلبون العذاب ولا تطلبون الرحمة والهداية والمعجزة التي تدل على صحة وصدق النبوة، ولكن هكذا يتعامل القوم الظالمون مع أنبيائهم؛ إذ يقابلونهم بالسخرية والاستهزاء.

وعندما أعلن صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ نبوته وأنه مرسل من الله (سبحانه وتعالى) إليهم ليعبدوه، انقسم الناس إلى قسمين، فاصطف الصالحون معه، واصطف الآخرون - وهم الأكثر - ضده، وطلبوا من صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ينزل عليهم العذاب، وأراد الله (سبحانه وتعالى) أن يعطيهم إشارة قوية، فابتلاهم بالقحط والجوع والجفاف. إن هؤلاء - قوم ثمود - بدل أن يعتبروا ويروا أن هذه رسالة مهمة من السماء، وأن هذا نبي لا تجوز مخالفته، فسروا هذه الإشارات بأنها شوْم، وقالوا: عندما جاء صالح بدعوته هذه، جاء معه الجوع والعطش والقحط والجفاف. وهذا هو البلاء، وفي هذا درس عظيم؛ فنحن نبحت دائماً عن شماعة نعلت عليها أخطأنا، فمثلاً عندما يفشل الطالب في الامتحان، يقول: لا توجد كهرباء، أو إن المعلم لم يكن جيداً، ولا يقول: أنا السبب أو أنا المخطئ ولم أدرس كما ينبغي. وهكذا القائد عندما يُهزم في المعركة، إذ يأتيك بعشرة أسباب للهزيمة، فيقول: إن الخطة كانت فاشلة، أو إن العتاد لم يصل، أو إن المعنويات كانت مهزوزة، وعشرات الأعذار الأخرى يذكرها لنا، ولا يقول: إن الخطأ كان مني. فطبيعة الإنسان هكذا، فحين نراجع أنفسنا في أي قضية أو عمل أخفقنا فيه ولم تأت النتائج المرجوة، لا يخطر في بالنا أبداً أن نلوم أنفسنا، بل نرمي اللوم دائماً على الآخرين. وهؤلاء - قوم صالح - أيضاً أنزل الله (سبحانه وتعالى) عليهم العذاب بسوء اختيارهم، وبفعلهم الخاطئ، وإساءاتهم، ولم ينزل الله (سبحانه وتعالى) عليهم العذاب الشديد، بل بدأ بإشارة قوية، وهي الجوع والقحط والجفاف، ولم يلوموا أنفسهم، بل قالوا: إن مصدر الشوْم هو صالح «عَلَيْهِ السَّلَامُ» ويجب أن نغتاله هو وأهله، ولكنهم لم يستطيعوا، فذهبوا وقتلوا الناقة التي كانت معجزة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾، أي قالوا: ليقسم بعضنا لبعض بالله أن نقتله وعائلته، وفي الصباح نقول لذويه وعشيرته: لم نحضر قتلهم وإننا لصادقون. وما أشبه اليوم بالبارحة؛ إذ يذبحوننا نحن وأهلنا، نساءنا، وأطفالنا، فقد حاصرت داعش مدينة أمرلي ٢٥ يوماً حصاراً شديداً، وسدوا على أهلها جميع المنافذ والسبل للحيلولة دون هروبهم، وكان فيها ٢٠ ألفاً من أتباع أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ، يريدون أن يذبحوهم جميعاً عن بكرة أبيهم، نساء وأطفالاً وشيوخاً ورجالاً،



هكذا كانوا يتعاملون معنا ، وهذا هو ديدن العصابات الإرهابية المنحرفة .

لقد تحالفت تسع مجموعات إرهابية مسلحة ، وأقسم بعضهم لبعض بالله أن يغتالوا نبي الله صالح وعائلته ، ثم يعلنوا براءتهم من هذه الجريمة ويستنكروها . لقد أقسم هؤلاء بالله تعالى على قتل نبي الله ، فهم يتظاهرون بأنهم مؤمنون بالله ، ولو كانوا مؤمنين بالله حقاً لآمنوا بنبيه وتمسكوا به .

إن تفسير ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا﴾ يعني أنهم يرون أنفسهم على حق ، ونبي الله على باطل ، وهذا هو الذي تكلمنا عنه في تزيين الشيطان : «لأزين لهم» ، وهم مصداق لقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(٩٢٧)</sup> ، فقد كان بناؤهم على أن هذا عمل جيد ، وأقسموا بالله ، وذهبوا لقتل هذا النبي وأهله ، أو كانوا يعلمون أن هذا نبي وهو على الحق وأنهم على باطل ، ولكنهم يريدون قتله ، وحتى هؤلاء الكفرة الفجرة يلزم بعضهم بعضاً بالقسم بالله ، فلا يوجد عندهم غير الله يثقون بالقسم به ليصدق بعضهم ببعض ، لأن الله (سبحانه وتعالى) هو ملاذ الجميع ، حتى المنحرفين .

نعم لقد تأمروا على اغتيال نبي الله وعائلته ليلاً ، وفي الصباح يعلنون براءتهم من قتله ، ويؤكدون ذلك بأنهم لصادقون ، أي سيحلفون لأولياء دم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنهم أبرياء ولا علاقة لهم بالقتل . إذن فهم مع أنهم الأكثر عدداً ولكنهم لا يستطيعون تنفيذ جريمتهم علناً والاعتراف بها ، مما يعني أن هناك أجواء ومعادلات تتحكم بالوضع العام ، وهي لمصلحة النبي صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ، منها وجود عشيرة له وعدد لا بأس به من المؤيدين الذين سيستفزههم مقتله عَلَيْهِ السَّلَامُ .

كانت فكرة تبييت القتل ناشئة من مراقبة تحركات صالح (عليه وعلى نبينا وآله السلام) ، الذي كان يخرج في آناء الليل إلى الجبل للعبادة ، وكانت هناك ثغرة بين جبلين يذهب ويتعبد فيها ، فكان المخطط الإجرامي لاستهداف صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أن يذهبوا ويختبئوا في تلك الثغرة ، وعندما يأتي عَلَيْهِ السَّلَامُ وحيداً كعادته للعبادة ، يغافلونه ويهاجمونه ويذبحونه ، وأما المرأة والأطفال فيذهبون إليهم في منتصف الليل ويذبحونهم ، وفي اليوم الثاني ينكرون ويتصلون من ارتكاب الجريمة ، ولكن عند التنفيذ وحينما ذهبوا إلى تلك الثغرة بين الجبلين ، زلزل الله (سبحانه وتعالى) الأرض تحت أقدامهم فتهاوت الصخور على رؤوسهم وقتلوا جميعاً . لقد كادوا كيداً ، وصالح

٩٢٧ . سورة الكهف : الآية ١٠٤ .

عَلَيْهِ السَّلَامُ غافل عن كيدهم، فكادهم الله سبحانه وهم غافلون عن كيده؛ قال تعالى: « ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ».

والمكر: هو صرف الآخر عما يقصده، أي يريد أن يفعل شيئاً فيشبهه شخص آخر عنه، يعني أنه يلتف على قراره، ويغير رأيه، وقد يكون تغيير الرأي هذا إيجابياً، وقد يكون سلبياً، فأبي تغيير وأي إفشال لخطة هو مكر، ولكننا في استعمالاتنا المعاصرة لهذه اللفظة، نقتصر على المكر الذي فيه بُعدٌ سلبي، ونقصد به الخديعة، ولكن المكر في اللغة العربية يشمل بُعداً إيجابياً أيضاً، فالمكر يعني أن تجهض وتفشل الخطة، فإذا كانت هذه الخطة شيطانية، فإجهاضها وإفشالها عمل رحماني، فهو مكر ولكنه مكر صالح، فالمكر مكران: مكر شيطاني، ومكر رحماني، والمكر ليس عنواناً سلبياً، فلا يخطر بالبال أنه كيف يقول الله (سبحانه وتعالى): «ومكرنا مكرًا» فهل الله ماكر؟ نعم، ولكن ليس ماكراً بالمعنى السلبي، الذي نحن نفهمه في زماننا، بل هو مكر إيجابي، فيمكر بالكفار والمشركين والضالين المنحرفين، أي يجهض خططهم، لأن الله (عز وجل) يدافع عن الذين آمنوا، فيجهض مشاريع الفاسدين والمنحرفين والضالين. «وهم لا يشعرون» أي وهم لا يعلمون، فقد ظنوا أنّ الخطة تسير كما يريدون، وكذلك ظنّ الإرهابيون أنّ سقوط الموصل وتكريت سيحدث انهياراً، ويهرب الجيش، ويدب الخوف والهلع في قلوب الناس، ويدخلون بغداد في يومين، هكذا كان ظنهم، ولكنهم تفاجؤوا بما لم يحسبوا له حساباً عندما صدرت فتوى السيد السيستاني باعلان الجهاد الكفائي، وهبّ مئات الآلاف من الشجعان، يؤيدهم الملايين وهم يجوبون الشوارع والأزقة بأسلحتهم وحناجرهم تهتف بالموت دون الدين والوطن، في منظر لم يشهد له العراق في تأريخه مثيلاً، وانطلقوا وهم يتزاحمون على التطوع للقتال في ساحات الجهاد، حاملين أرواحهم على أكفهم، فأحدثوا ردّة فعل معاكسة، ودبت روح الهزيمة والتخاذل في صفوف الأعداء وتراجعوا القهقري أمام ضرباتهم الموجهة، وطهروا الأرض والعرض من دنس هذه العصابات التكفيرية الوهابية البائسة.

ثم تتحدث الآيات الكريمة عن مصير هؤلاء المستهزئين بالأنبياء، وعاقبة مكرهم وغدرهم وتحديهم للمنهج الحق، ودعانا الله للنظر والاعتبار، فقد دمرهم الله المنتقم الجبار المهيمن المتكبر وقومهم أجمعين، وأنجى الذين آمنوا وكانوا يتقون، ولم يعاقبهم بعقاب المسيئين، لأنهم كانوا مع صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة تأتي تباعاً إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## المحاضرة الأخلاقية الثانية والثلاثون

بتاريخ ٢٤/٧/٢٠١٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا و نبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وجعلنا وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الكريم، شهر رمضان المبارك.

كان حديثنا في الحق الخامس والعشرين من حقوق الأخوة الإيمانية، وهو (تصديق قَسَمَ المؤمن). وكنا نستعرض موارد القسم في القرآن الكريم، ذكرنا أحد عشر منها.

### المورد الثاني عشر: قسم أهل النار

هناك العديد من الآيات الشريفة في القرآن الكريم تشير إلى قسم أهل النار.

منها: قوله تعالى: ﴿وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ فَكَبُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صِدِيقٍ حَمِيمٍ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٩٢٨).

يختزل هذا المقطع القرآني الكريم أهل النار من الضالين والكافرين والمنافقين بعنوان واحد هو عنوان الغاوين؛ لأنهم جميعاً قد أغواهم الشيطان فأضلهم عن السبيل

إلى الجنة، فكان مصيرهم إلى النار. وهناك آية أخرى تُشير إلى نفس الحقيقة أيضًا، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٩٢٩)، لأن الغاوين يتأثرون بالشیطان لذلك بُرزت لهم الجحيم، وللشیطان سلطان على هؤلاء الغاوين فقط.

وفي ذلك المشهد الرهيب في يوم القيامة، وبعد انتهاء الحساب تُبرز الجنة للمتقين وجهنم للغاوين، ويُسأل الغاوين سؤالين: الأول: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟﴾ أي أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله؟. أين الأصنام والأحجار والكواكب والنار والشمس والقمر والزعماء والبقر؟. أين ما كنتم تتخذونه ربًا من دون الله؟. أين الذين كانوا يُنكرون وجود الله (سبحانه وتعالى) ويندفعون إلى عبادة غيره؟.

وهنا لا يُسألون أين ما كنتم تتخذونه إلهًا من دون الله؟ لأن من ضمن هؤلاء الغاوين الكثير من المسلمين واليهود والنصارى الذين يزعمون أن الله (عز وجل) هو إلههم، ولكن يُسألون أين ما كنتم تعبدونهم من دون الله، أي تطيعونهم في ما يأمرونكم وينهونكم وتعصون الله (عز وجل). والسؤال الثاني: ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ؟﴾. هل ينقذونكم اليوم مما أنتم فيه؟ وهل تتوقعون ممن لا يستطيع إنقاذ نفسه من عذاب الله أن ينقذكم؟ ويخيم الصمت على تلك المليارات من البشر وهم لا يقدرّون على جواب، فماذا يجيبون؟ هل يقولون جوابًا عن السؤال الأول: نعم، إن بعضهم موجودون معنا كفرعون وأمثاله ممن اتخذوه البعض معبودًا من دون الله، ولكنهم يصابون بالخرس عندما يقال: هل يستطيعون نصركم أو الانتصار لأنفسهم؟ فلا يستطيعون جوابًا ويرجحون السكوت على إجابة لا يمكن أن تنجيهم مما هم فيه.

وعندما لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم بعد أن أعطوا فرصة الدفاع، يؤمر بهم إلى النار، فتسوقهم ملائكة العذاب إلى جهنم سوقًا عنيفًا بذلة ومهانة، ويكبكون فيها، أي يرمونهم ويدفعونهم فيسقطون على وجوههم فيها. ﴿هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾: أي هم وما عبدوا من دون الله من الأصنام وغيرها ممن ذكرنا، ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ من الجن والإنس الذين كانوا يطيعون إبليس في ما يأمرهم به من إضلال البشر وإغوائهم، فالغاوي ومن تم إغواؤه ومعهم الشيطان يُدفعون إلى النار دفعًا.

ثم ينتقل هذا المقطع القرآني الكريم إلى بيان حال أهل الجحيم فيها، ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ أي يتشاجرون، فالطابع العام الذي عليه أهل النار في علاقاتهم هو الخصومة

الشديدة والتشاجر وتبادل التهم، وكل يقول للآخر أنت الذي أغويتني وأضللتني وورطتني، ولولاك لكنت من أهل الجنة، ثم يعترفون بأنهم كانوا في ضلال مبين، أي ضلال واضح جليّ وشديد، وأنهم كانوا بعيدين جداً عن الهدى، ويقسمون على ذلك للتأكيد، وهو موضع الشاهد: ﴿تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، ثم يبينون الضلال المبين الذي كانوا عليه بقولهم: ﴿اِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي نجعلكم على قدم المساواة مع الله جل جلاله في العبودية، فتركنا الله (سبحانه وتعالى) وتمسكنا بكم، وعصيناه وأطعناكم، وجعلناكم أنداداً لله سبحانه. ثم يبينون من أضلوهم وأبعدوهم عن طاعة الله تعالى: ﴿وَمَا أَضَلْنَا اِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾، وهو أفسى ما يمكن أن يُوصف به من كان سبباً للغواية والضلال، وعلى نقيض ما كانوا يعتقدونه بهم بأنهم الهداة والمرشدون والقادة إلى سبل الخير والحق والصلاح والإصلاح من القادة السياسيين والدينيين، وهو قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ اَكْبٰرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾<sup>(٩٣٠)</sup>، وهم في الواقع كانوا مجرمين، وهم الكبار الذين أداروا الأمور واقتدى بهم عامة الناس، فأضلوهم وأخذوهم الى حيث الانحراف والضلال.

ثم يبدون حسرتهم على تفریطهم بأقل ما يمكن أن يخلصهم من عذاب الجحيم، وهي الشفاعة، فقالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شٰفِعِينَ﴾، فالיום لا يوجد من يشفع لهم، لأن من أعطاهم الله (سبحانه وتعالى) الشفاعة لا يشفعون لمن هبّ ودبّ، بل يشفعون لمن لم يتخذ غير الله سبحانه معبوداً، وليس لمن عصاه وأطاع سواه، ووقف في صف أعدائهم في الدنيا، وكذلك يتحسرون ويندمون على عدم اتخاذهم صديقاً حميماً من المؤمنين يستطيع أن يشفع لهم هنا، فيقولون: ﴿وَلَا صٰدِقٍ حَمِيمٍ﴾، أي ليس لدينا صديق من أهل الصلاح، من أهل الجنة يشفع لنا، وقالوا ﴿حَمِيمٍ﴾ لأن مجرد الصداقة العادية مع المؤمنين لن تنفع في الشفاعة، بل لا بُدَّ من أن تكون الصداقة قوية جداً وحميمة، بحيث يمكن أن يقف المؤمن هناك ويقول إنّ هذا الصديق قد وفّى بجميع حقوق الصداقة معي، وإنه وقف معي في كذا وكذا وساعدني وخلصني من مواقف محرّجة وكان عوناً وعضداً. وقد ورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إنَّ الرجل يقول في الجنة ما فعل صديقي فلان؟ وصديقه في الجحيم. فيقول الله: أخرجوا له صديقه إلى الجنة»<sup>(٩٣١)</sup>، يخرجونه من النار إلى الجنة كرامة لصديقه المؤمن.

وأخيراً يتمنون لو أنهم يرجعون إلى الدنيا مرة أخرى، لكي يكونوا من المؤمنين بالله

٩٣٠. سورة الأنعام: الآية ١٢٣.

٩٣١. بحار الأنوار ٧: ١٥٣.

(سبحانه وتعالى) ويطيعوه في ما يأمر وينهى ، وينبذوا عبادة وطاعة من سواه ، فقالوا : «فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين» ، ولكن هيهات هيهات وأنى لهم ذلك ، فما هي إلا أمانى لا تتجاوز آذانهم ، فليس للإنسان فرصة أخرى للنجاة غير هذه الدنيا الفانية وهذا العمر القصير .

ثم يعقب الله (سبحانه وتعالى) على حكاية هذا المشهد الأخرى بقوله : «إن في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين» ، أي أن في ما قصصناه عبرة كافية لمن يريد الاعتبار ، ولا ينفعه أن يتمنى الرجوع مرة ثانية إلى الدنيا عندما تقوم الساعة وتدق أجراس الحساب ، فالإنسان في فسحة من أمره هنا وليس هناك ، فمن أراد الإنابة فعليه أن يبادر إليها الآن وليس بعد ساعة ، فهو لا يدري متى تطوى صفحة حياته من غير رجعة . ولكن البعض يشاهدون بأعينهم هذه الحقائق والعبر ، والله يُقيم الحجة عليهم ، ولكنهم لا يكثرثون ولا يهتمون ولا يلتفتون وكأن الأمر لا يعينهم .

ثم يقول الله (سبحانه وتعالى) طاوياً صفحة الحديث عن هذا الموضوع : «وإنه لهُو العزيز الرحيم» ، أي أن الله (سبحانه وتعالى) عزيز ، وفي نفس الوقت هو رحيم أيضاً ، ولا منافاة بين العزة والرحمة في صفاته (عز وجل) ، فهو عزيز لا تفوته معاقبة من عصى وتمرد ، ورحيم يصفح عمن يستفيد من هذه العبر ويعبده ولا يعبد سواه .

### المورد الثالث عشر : قَسَمَ اللهُ (سبحانه وتعالى)

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم يقسم الله فيها ، وقسم الله هو تشديد وتأکید . يقول الله تعالى في هذه الآية الشريفة : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾<sup>(٩٣٢)</sup> ، فالله (سبحانه وتعالى) يُقسم أنه قد أرسل الرُّسل ، والخطاب موجّه لبني إسرائيل : نحن أرسلنا موسى نبياً وأرسلنا معه الكتاب ، فهناك أنبياء حملوا معهم رسالات نسميهم الرسل ، وهناك أنبياء لم يحملوا رسالة وإنما جاؤوا ليعضدوا رسالة الرسول الذي كان قبلهم ، ومن حملوا رسالات وكانت رسالاتهم للعالمين جميعاً نسميهم الأنبياء أولي العزم ، وهم خمسة أو ستة على اختلاف الروايات ، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أحد هؤلاء الخمسة ، ويوجد أنبياء ليس لديهم كتب ، ولكنهم كانوا يُبشرون بكتب الأنبياء الآخرين .

«وقفنا من بعده بالرسول» ، أي أتبعنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدد من الأنبياء والرسول ، فكان

مجموع من بعثهم الله (سبحانه وتعالى) مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ، والأنبياء الذين جاؤا بعد نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لبني إسرائيل وذكرت أسماءهم في القرآن هم : داود ، سليمان ، يوشع ، زكريا ، يحيى .

وورد قَسَمَهُ (سبحانه وتعالى) في الآية الشريفة : «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُلُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَا لَهُمْ آحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ» (٩٣٣) ، ومعنى أرسلنا رسلنا تترًا ، أي أرسلنا رسولاً بعد رسول ، فهناك تتابع واستمرار . وكانت الأمم تكذب أي نبي مرسل إليها ، وأحياناً يقتلونه ، فمرسل إليهم نبياً آخر لنقيم عليهم الحجة ، فأهلكنا من كذب الرُّسل بعضهم بعد بعض ، حتى أصبحوا آحاديث وعبرة للآخرين ، «فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ» .

وقد ورد في نهج البلاغة في الخطبة الأولى ، في سياق إرسال الرسل والمهمة المطلوبة من الأنبياء ، يقول عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَجَهَلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْذِنُوا مِنْهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيَذَكِّرُوهُمْ مِنْ سَيِّئِ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُنَبِّرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ مِنْ سَفْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَمَهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَأَجَالَ تُفْنِيهِمْ وَأَوْصَابَ تُهْرِمُهُمْ وَأَحْدَاثَ تَتَابَعٌ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُخَلِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحْجَةٍ قَائِمَةٍ رُسُلٌ لَا تَقْصُرُ بِهِمْ قَلَّةَ عَدَدِهِمْ وَلَا كَثْرَةَ الْمَكْذِبِينَ لَهُمْ مِنْ سَابِقِ سَمِّيَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ غَابَ عَرَفُهُ مِنْ قَبْلِهِ ، عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَّتِ الدُّهُورُ وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاؤُ» (٩٣٤) .

«وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ» : أي اختار الله (سبحانه وتعالى) أنبياء من أولاد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ .

«أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ» : أي أخذ منهم العهد على تلقي الوحي من جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ .

٩٣٣ . سورة المؤمنون : الآية ٤٤ .

٩٣٤ . نهج البلاغة ١ : ٣٣ خطبة ١ .

«وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتُهُمْ»: أي أخذ منهم المواثيق أن يكونوا أمناء في تبليغ الرسالة للناس .

«لَمَّا بَدَلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ»: أي حينما لم يلتزم أكثر الخلق بعهد الله (عز وجل) إليهم وبدلوه بأخر من عند أنفسهم ، وزعموا أنه من الله (سبحانه وتعالى) .

«فَجَهَلُوا حَقَّهُ»: لم يعطوا الله سبحانه حقه في احترام عهده .

«وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ»: أي البدائل ، فعبدوا مع الله سبحانه آلهة أخرى اخترعوها من عند أنفسهم وجعلوها أضداداً وبدائل له (سبحانه وتعالى) .

«وَاجْتَلَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ»: أي صرفتهم الشياطين عن معرفة الله (سبحانه وتعالى) .

«وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ»: أي منعتهم الشياطين من أن يعبدوا الله (سبحانه وتعالى) .

«فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ»: أي أن الله تعالى شأنه أرسل الرسل ليلقي حجته على الناس .

«وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ»: أي أرسل الأنبياء الواحد بعد الآخر بشكل متلاحق .

«لَيْسْتَادُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ»: أي ليطلبوا من الناس أن يؤدوا ما تتطلبه الفطرة من عبادة الله (سبحانه وتعالى) .

«وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ»: أي يُذَكِّرُ الْإِنْسَانَ مَا نَسِيَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ (سبحانه وتعالى) .

«وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ»: يبلغون رسالات الله لكي تكون حجة عليهم بين يدي الله .

«وَيُثَبِّرُوا لَهُمْ دَفَاتِنَ الْعُقُولِ»: يستفزون عقولهم ليفكروا ويروا الحق ويسعوا إليه .

«وَيُرَوِّهُمُ آيَاتِ الْمَقْدَرَةِ»: يبينون لهم أن الله تعالى قادر على كل شيء .

«مَنْ سَقَفَ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعَ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعَ وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَأَجَالَ تُفْنِيهِمْ وَأَوْصَابَ تُهَرِّمُهُمْ»: ومن مصاديق آيات مقدرة الله تعالى: السماء المرفوعة فوق رؤوسهم من غير عمد يرونها، والأرض التي يعيشون عليها، والتي مهدها وأنبت لهم فيها الزرع ليأكلوا من ثماره المتنوعة، وخلق المياه الجارية فوق الأرض، والمياه المستقرة في جوفها، وجعل فيها معاشهم ليمارسوا فيها أنواع الحرف، ويبينون لهم



أيضاً أن أعمارهم محدودة وأن الموت من ورائهم ، وأن في هذه الحياة متاعب تهرمهم ،  
أي تصيبهم بالشيخوخة والعجز .

«وَأَحْدَاثٌ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ» : يشرحون لهم سنة الابتلاء والأحداث التي تتعاقب على  
الناس .

«وَلَمْ يُخَلِّ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ» : لا توجد أمة إلا وأرسل لهم نبي يبين  
لهم آيات الله تعالى ويهديهم إليه ويكون حجة عليهم .

«أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ» : إذا لم يكن هناك نبي بين ظهرانيهم ، فهناك كتاب سماوي منزل من  
الله تعالى إليهم ، فيه الحجة البالغة عليهم ، وبيان لأحكامه سبحانه من الحلال والحرام ،  
وفيه قصص ما قبلهم ، وآيات الإنذار والتحذير ، ومشاهد القيامة والعنة والنار .

«أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ» : إن لم يكن عندهم نبي ولا كتاب ، فهناك حجة ملزمة لهم من  
العقل الذي جعله الله (سبحانه وتعالى) حجة باطنة على جميع خلقه ، فالعقل يبين كل ما  
هو حسن فيتبعه ، وكل ما هو قبيح فيجتنبه .

«أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ» : إن لم يكن عندهم أحد الأمور الثلاثة السابقة ، فهناك طريق رابع  
هو المحجة القائمة ، أي السنة الواضحة والقويمة ، وهي سيرة العقلاء ليسلكها الناس  
ويتبعوا آثارها .

«فلله الحجة البالغة» : كل ذلك من أجل أن تكون لله تعالى على الناس الحجة الدامغة  
يوم القيامة ، ومعها لا يمكن لإنسان أن يقول : ليس لك علينا حجة فتنبعها .

«رُسُلٌ لَا تَقْصُرُ بِهِمْ قَلَّةٌ عَدَدُهُمْ» : أي أن قلة عدد الأنبياء والرسول لم تجعلهم  
يقصرون في تبليغ رسالات ربهم ، فهم على قلتهم كانوا يكفون في إيصال كلمة الحق  
إلى من بُعثوا إليهم .

«ولا كثرة المكذبين لهم» : وكذلك لم تنهم وتثبط من عزائمهم كثرة المكذبين  
والمعارضين لهم ، عن تبليغ الرسالة الإلهية . فالإنسان يجب أن يبقى متمسكاً بالحق  
ولا يستوحش طريق الحق لقلته سالكيه .

«مَنْ سَابِقَ سُمِّيَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ» : يسألون النبي السابق عن النبي الذي يأتي من بعده .  
«أَوْ غَابِرٍ عَرَفَهُ مِنْ قَبْلَهُ» : النبي يُعرف ويكشف للناس الأنبياء الذين كانوا في الأمم  
السابقة .

«عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ»: أي مضت القرون وتتابعت ، فكان في كل عصر نبي .  
 «وَمَضَتِ الدُّهُورُ وَسَلَفَتِ الآبَاءُ وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ»: وكذا كانت الناس عبر القرون  
 والأجيال ، كلما مضى جيل وجاء آخر ، أرسل الله تعالى لهم نبياً يكون حجة عليهم .  
 فقد رحل الآباء وجاء الأبناء ، والأنبيا موجودون يوضحون ويبينون والأمم تُكذِّبُ بهم .  
 ثم تنتقل الآية الكريمة للحديث عن نبي الله عيسى (عليه وعلى نبينا وآله السلام) ،  
 فتقول : «وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ» ، أرسلنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَتَيْنَاهُ المعجزات لكي  
 يُصدق الناس ويؤمنوا بأنه رسول من الله تعالى إليهم .

«وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»: لعل المقصود بروح القدس هو جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وقد  
 جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى : «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ  
 آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ»<sup>(٩٣٥)</sup> ، وروح القدس هو المؤيد والمسدد لكافة الأنبياء ؛  
 لأنه حامل الوحي وسفير الله إليهم .

«أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ» :  
 والخطاب موجه إلى اليهود ، أي إذا جاءكم نبي بتعليمات تنسجم مع ميولكم تمسكتم  
 وأمنتم به ، وإذا جاءكم بتعليمات تخالف ميولكم تنصلتم من طاعته ولم تتبعوه ، فأنتم  
 في الحقيقة لا تتبعون النبي ، وإنما تتبعون أهواءكم ، ولذلك يعتبر القرآن الكريم أن  
 الإيمان الحقيقي هو الذي يقترب بالاتباع ، كما ورد هذا المعنى في قوله تعالى : «فَلَا  
 وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ  
 وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»<sup>(٩٣٦)</sup> ، فالإيمان لا يتحقق إلا بالطاعة والالتزام في ما يهواه الإنسان وما  
 لا يهواه أيضاً .

«ففریقاً کذبتم»: حينما جاءكم الرسول بما لا تهوى أنفسكم كذبتموه ، ولم تتبعوه ،  
 ولم تُطِيعوه ، ولم تلتزموا بنهجه .

«وفریقاً تقتلون»: كما قتلتم النبي زكريا والنبي يحيى (عليهما وعلى نبينا وآله  
 السلام) .

ولذلك نجد أن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لم يكثرثوا لمن يعارض الحق ، فهذا رسول الله  
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ استهدفوه في كل شيء ؛ فاتهموه بالفساد المالي ، كما جاء ذلك في

٩٣٥ . سورة النحل : الآية ١٠٢ .

٩٣٦ . سورة النساء : الآية ٦٥ .

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾<sup>(٩٣٧)</sup>، واتهموه بالسحر والجنون كما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾<sup>(٩٣٨)</sup>، واتهموه في عرضه، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾<sup>(٩٣٩)</sup>. ومع ذلك كله فقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعامل معهم بلطف ولين، كما شهد به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٩٤٠)</sup>

وعلى كل حال، فالأنبياء لم يكثر ثوا لمن عارضوهم واستهزؤوا بهم وسخروا منهم، وبقوا صامدين صابرين متحملين لمسؤولياتهم الجسيمة، كما نطق بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٩٤١)</sup>، فالنبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يعطي اليهود برنامج عمل، فقالوا له: قلوبنا عليها غشاء وغطاء فلا نفقه ما تقول. لقد كانت قلوبهم مظلمة وقاسية، ونتيجة لكفرهم لعنهم الله سبحانه وأبعدهم وطردهم، ولكن قليلاً من هؤلاء آمنوا واستقاموا.

وأشار القرآن الكريم إلى خصلة أخرى من خصال اليهود، في اعتقادهم بأن الجنة خالصة لهم من دون الناس، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَتَجِدْتَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٩٤٢)</sup>، فقد كان اليهود يزعمون أن الجنة لا يدخلها غيرهم، فقد ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾<sup>(٩٤٣)</sup>، ويعتقدون بأن الجميع في ضلال وانحراف، فكانوا يتسمون بالنفس العنصري، وما زال الكثير منهم كذلك. بل ادعوا أكبر من ذلك؛ حينما زعموا أنهم أبناء الله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾<sup>(٩٤٤)</sup>، وما زالوا يزعمون أنهم شعب الله المختار وأنهم أفضل البشر.

٩٣٧. سورة التوبة: الآية ٥٨.

٩٣٨. سورة الذاريات: الآية ٥٢.

٩٣٩. سورة النور: الآية ١١.

٩٤٠. سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

٩٤١. سورة البقرة: الآية ٨٨.

٩٤٢. سورة البقرة: الآية ٩٤ - ٩٦.

٩٤٣. سورة البقرة: الآية ١١١.

٩٤٤. سورة المائدة: الآية ١٨.

وهنا يتحداهم الله (سبحانه وتعالى) ويقول لهم: إذا كنتم تعتقدون حقاً بأن الآخرة حكرٌ لكم من دون الناس، فأسرعوا إليها واطلبوا الموت وتمنوه، ولماذا تمكثون في الدنيا متحملين عذابها وآلامها؟ ولكنهم لا يتمنونه ولن يتمنوه أبداً، بسبب ما قدمت أيديهم، فهم يُدركون جيداً أنّ ذلك مجرد كلام فارغ لا أكثر، وهم لا يتمنون الموت لأنهم يعرفون أعمالهم وذنوبهم ومعاصيهم التي تؤدي بهم إلى جهنم لا محالة، ولذلك يهربون من الموت.

ولا يقتصر الأمر على عدم تمني الموت، بل تراهم أحرص الناس على حياة، وجاءت كلمة الحياة نكرة، فقال القرآن «حياة»، ويعني أنهم حريصون على أي حياة يجدون البقاء فيها حتى لو كانت مذلة، فهم متمسكون بالحياة كيفما كانت، وهم أحرص عليها من سائر المشركين، ويودّ كل واحد منهم لو عاش ألف سنة، فهم يرغبون بالبقاء في الدنيا عمراً طويلاً، ولكن حتى هذا لا ينفعهم؛ لأنّ العذاب ينتظرهم ولو عاشوا ألف سنة، فإنهم لن يتخلصوا من العذاب، والله تعالى الرقيب على كل شيء، بصيرٌ بما يعملون وما يرتكبون من آثام جسام.

وامتاز اليهود بخصلة ثالثة؛ وهي دعواهم أنهم حتى لو دخلوا النار، فإنهم لا يلبثون فيها إلا أياماً معدودة، ثم يخرجون ويدخلون الجنة إلى الأبد، كما ذكر ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾<sup>(٩٤٥)</sup>، فالنار لا تقترب من يهودي حتى لو كان مجرماً فاسقاً، وإن اقتربت فإن ذلك لا يكون إلا أياماً معدودة.

والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

## الفهرست

تقديم ..... ٥

### الملتقيات الثقافية

- ٩ ..... الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٢ / ١ / ٢٠١٤
- ١٧ ..... الملتقى الثقافي بتاريخ ٥ / ٢ / ٢٠١٤
- ٢٩ ..... الملتقى الثقافي بتاريخ ١٢ / ٢ / ٢٠١٤
- ٤٠ ..... الملتقى الثقافي بتاريخ ١٩ / ٢ / ٢٠١٤
- ٥١ ..... الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٦ / ٢ / ٢٠١٤
- ٦٢ ..... الملتقى الثقافي بتاريخ ١٩ / ٣ / ٢٠١٤
- ٧٤ ..... الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٦ / ٣ / ٢٠١٤
- ٨٨ ..... الملتقى الثقافي بتاريخ ٢٧ / ٨ / ٢٠١٤
- ٩٦ ..... الملتقى الثقافي بتاريخ ٣ / ٩ / ٢٠١٤
- ١٠٧ ..... الملتقى الثقافي بتاريخ ١٠ / ٩ / ٢٠١٤
- ١١٩ ..... الملتقى الثقافي بتاريخ ١٧ / ٩ / ٢٠١٤

### الأمسيات الرمضانية

- ١٣١ ..... الأمسية الأولى بتاريخ ٢٩ / ٦ / ٢٠١٤
- ١٣٨ ..... الأمسية الثانية بتاريخ ٣٠ / ٦ / ٢٠١٤

١٤٨	.....	٢٠١٤ / ٧ / ١	الأمسية الثالثة بتاريخ
١٥٧	.....	٢٠١٤ / ٧ / ٢	الأمسية الرابعة بتاريخ
١٦٥	.....	٢٠١٤ / ٧ / ٤	الأمسية السادسة بتاريخ
١٧٥	.....	٢٠١٤ / ٧ / ٥	الأمسية السابعة بتاريخ
١٨٣	.....	٢٠١٤ / ٧ / ٦	الأمسية الثامنة بتاريخ
١٩٣	.....	٢٠١٤ / ٧ / ٧	الأمسية التاسعة بتاريخ
٢٠١	.....	٢٠١٤ / ٧ / ٨	الأمسية العاشرة بتاريخ
٢١٢	.....	٢٠١٤ / ٧ / ٩	الأمسية الحادية عشرة
٢٢٠	.....	٢٠١٤ / ٧ / ١٠	الأمسية الثانية عشرة
٢٣٠	.....	٢٠١٤ / ٧ / ١١	الأمسية الثالثة عشرة
٢٣٩	.....	٢٠١٤ / ٧ / ١٢	الأمسية الرابعة عشرة
٢٤٩	.....	٢٠١٤ / ٧ / ١٤	الأمسية السادسة عشرة
٢٥٩	.....	٢٠١٤ / ٧ / ١٥	الأمسية السابعة عشرة
٢٦٧	.....	٢٠١٤ / ٧ / ١٦	الأمسية الثامنة عشرة
٢٧٦	.....	٢٠١٤ / ٧ / ١٧	الأمسية التاسعة عشرة
٢٨٥	.....	٢٠١٤ / ٧ / ١٨	الأمسية العشرون
٢٩٦	.....	٢٠١٤ / ٧ / ١٩	الأمسية الحادية والعشرون
٣٠٤	.....	٢٠١٤ / ٧ / ٢٠	الأمسية الثانية والعشرون
٣١٥	.....	٢٠١٤ / ٧ / ٢١	الأمسية الثالثة والعشرون
٣٢٣	.....	٢٠١٤ / ٧ / ٢٢	الأمسية الرابعة والعشرون
٣٣٢	.....	٢٠١٤ / ٧ / ٢٣	الأمسية الخامسة والعشرون

محاضرات محرم الحرام

٣٤٣	.....	٢٠١٤ / ١٠ / ٢٥	الليلة الأولى
٣٥٣	.....	٢٠١٤ / ١٠ / ٢٦	الليلة الثانية
٣٦١	.....	٢٠١٤ / ١٠ / ٢٧	الليلة الثالثة
٣٦٩	.....	٢٠١٤ / ١٠ / ٢٨	الليلة الرابعة
٣٧٥	.....	٢٠١٤ / ١٠ / ٢٩	الليلة الخامسة
٣٨٥	.....	٢٠١٤ / ١٠ / ٣٠	الليلة السادسة
٣٩٣	.....	٢٠١٤ / ١٠ / ٣١	الليلة السابعة
٤٠٢	.....	٢٠١٤ / ١١ / ١	الليلة الثامنة
٤١١	.....	٢٠١٤ / ١١ / ٢	الليلة التاسعة
٤٢٠	.....	٢٠١٤ / ١٠ / ٣	الليلة العاشرة

المحاضرات الاخلاقية في الأخوة الإيمانية

٤٣١	.....	٢٠١٤ / ١ / ١٤	المحاضرة الأخلاقية الأولى بتاريخ
٤٤٣	.....	٢٠١٤ / ١ / ٢١	المحاضرة الأخلاقية الثانية بتاريخ
٤٥٠	.....	٢٠١٤ / ١ / ٢٨	المحاضرة الأخلاقية الثالثة بتاريخ
٤٥٧	.....	٢٠١٤ / ٢ / ٤	المحاضرة الأخلاقية الرابعة بتاريخ
٤٦٤	.....	٢٠١٤ / ٢ / ١١	المحاضرة الأخلاقية الخامسة بتاريخ
٤٧٢	.....	٢٠١٤ / ٢ / ١٨	المحاضرة الأخلاقية السادسة بتاريخ
٤٧٨	.....	٢٠١٤ / ٢ / ٢٥	المحاضرة الأخلاقية السابعة بتاريخ
٤٨٤	.....	٢٠١٤ / ٥ / ٦	المحاضرة الأخلاقية الثامنة بتاريخ
٤٩٠	.....	٢٠١٤ / ٥ / ٢١	المحاضرة الأخلاقية التاسعة بتاريخ
٤٩٦	.....	٢٠١٤ / ٥ / ٢٧	المحاضرة الأخلاقية العاشرة بتاريخ

- ٥٠١ ..... ٢٠١٤ / ٦ / ٣ المحاضرة الأخلاقية الحادية عشرة بتاريخ
- ٥٠٦ ..... ٢٠١٤ / ٦ / ١٧ المحاضرة الأخلاقية الثانية عشرة بتاريخ
- ٥١١ ..... ٢٠١٤ / ٦ / ٢٩ المحاضرة الأخلاقية الثالثة عشرة بتاريخ
- ٥١٥ ..... ٢٠١٤ / ٦ / ٣٠ المحاضرة الأخلاقية الرابعة عشرة بتاريخ
- ٥٢٠ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ١ المحاضرة الأخلاقية الخامسة عشرة بتاريخ
- ٥٢٥ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ٢ المحاضرة الأخلاقية السادسة عشرة بتاريخ
- ٥٢٩ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ٥ المحاضرة الأخلاقية السابعة عشرة بتاريخ
- ٥٣٥ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ٦ المحاضرة الأخلاقية الثامنة عشرة بتاريخ
- ٥٤١ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ٧ المحاضرة الأخلاقية التاسعة عشرة بتاريخ
- ٥٤٥ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ٨ المحاضرة الأخلاقية العشرون بتاريخ
- ٥٥١ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ٩ المحاضرة الأخلاقية الحادية والعشرون بتاريخ
- ٥٥٧ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ١٠ المحاضرة الأخلاقية الثانية والعشرون بتاريخ
- ٥٦٤ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ١٢ المحاضرة الأخلاقية الثالثة والعشرون بتاريخ
- ٥٧٠ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ١٤ المحاضرة الأخلاقية الرابعة والعشرون بتاريخ
- ٥٧٥ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ١٦ المحاضرة الأخلاقية الخامسة والعشرون بتاريخ
- ٥٨١ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ١٧ المحاضرة الأخلاقية السادسة والعشرون بتاريخ
- ٥٨٥ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ١٩ المحاضرة الأخلاقية السابعة والعشرون بتاريخ
- ٥٩١ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ٢٠ المحاضرة الأخلاقية الثامنة والعشرون بتاريخ
- ٥٩٧ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ٢١ المحاضرة الأخلاقية التاسعة والعشرون بتاريخ
- ٦١١ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ٢٢ المحاضرة الأخلاقية الثلاثون بتاريخ
- ٦٢٩ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ٢٣ المحاضرة الأخلاقية الحادية والثلاثون بتاريخ
- ٦٣٥ ..... ٢٠١٤ / ٧ / ٢٤ المحاضرة الأخلاقية الثانية والثلاثون بتاريخ